

منتدی اقرأ الثقافی

www.iqra.ahlamontada.com

دیناں اُخْتِیْکِ شوقی



طار طادر

بیروت

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

پدای داتلود کتابهای مختلف مراجعه: (مُنْتَدَى اقرا الثقافی)

پۆدابهزانانی جوهره‌ها کتیب: سه‌ردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتيب (کوردی , عربي , فارسي)

دیوان شوقی

الجزء الأول

دارصادر
بیروت

أحمد شوقي

١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م / ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م

مولده

ولد أحمد شوقي في القاهرة عام ١٨٦٨م . من أسرة تركية تجري في عروقها دماء كردية وشركسية وعربية . كان جده لأبيه تركي الأصل يعمل أمين الجمارك المصرية ، وقد مات عن ثروة راضية بددها ابنه علي بك شوقي والد شاعرنا في سكرة شبابه .

أما جده لوالدته ، فكان أناضولي الأصل ، واحد أفراد الخاصة الخديوية في عهد إسماعيل ، وقد تولت جدته لأمه أمر رعايته في طفولته الأولى ، وقد ترجم شوقي نفسه في الجزء الأول من ديوان «الشوقيات» الذي صدر عام ١٨٩٨ فقال :

« . . . سمعت أبي رحمه الله يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ويقول : إن والده قدم إلى هذه الديار يافعاً ، يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد علي باشا ، وكان جدي - وأنا حامل اسمه ولقبه - يحسن كتابة العربية والتركية خطأ وإنشاءً ، فأدخله الوالي في معيته ، ثم تداولت الأيام ، وتعاقب الولاة الفخام ، وهو يتقلد المراتب العالية ويتنقل في المناصب السامية ، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية ، فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبي في سكرة الشباب ، ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم ، وعشت بظله وأنا واحده ، أسمع بما كان من سعة رزقه ، ولا أراني في ضيق حتى اندب تلك السعة . . . »

كان شوقي «وحيد» أبويه ، وقد لاقى من أسرته كل العطف والحب والعناية ، فهو لم يشعر أنه في حاجة إلى «ندب» السعة التي عاش فيها أبوه غير «محرور» . وليس هذا كل ما كان من تأثير جديه ، وإنما جعلته أسرته على صلة وثيقة بالقصر وصاحبه وبطانة القصر ورجاله .

تربيته

تلقى شوقي دروسه الابتدائية في مدرسة الشيخ صالح حيث دخلها وهو في الرابعة من عمره ، ثم إنتقل منها إلى ما كان يسمى «بالمبتديان» ثم إلى «التجهيزية» ، حتى إذا بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بكلية الحقوق ، وبعد عامين من التحاقه بالكلية أنشئ فيها فرع للترجمة ، دخله وخرج منه بشهادة نهائية في الترجمة .

في العشرين من سنه ، أرسله الخديوي توفيق إلى فرنسا على نفقته ليطم دراسة الحقوق في مونبلييه جامعاً بينها وبين آداب اللغة الفرنسية ، وكانت هذه الدراسة في فرنسا أهم حادث في تكوين شخصية شوقي وتركيز ثقافته إذ تمكن على يدها من التنقل في مختلف البلدان الأوروبية من بعد ، والاتصال بحياتها الثقافية عن طريق الفرنسية ، ثم قضى عاماً في باريس حصل في نهايته على الشهادة النهائية ، ثم عاد إلى وطنه وهو «نضو فراق ، تهزه إليه الأشواق» .

أعماله

أوفده الخديوي توفيق مندوباً عن الحكومة المصرية ، إلى مؤتمر المستشرقين في جنيف الذي عقد عام ١٨٩٤ ، وهناك ألقى قصيدته الملحمية الشهيرة التي يلخص بها تاريخ وادي النيل ، والتي توج بها ناشرو ديوانه ، الجزء الأول من «الشوقيات» ، وكان لها صدى استحسان وقبول في معظم الأوساط والمحافل الأدبية .

ثم ولي رئاسة القلم الإفرنجي بمعية الخديوي عباس حلمي باشا الذي كان

كثير الرعاية له . . . وبقي في ذلك المنصب إلى أن نشبت نيران الحرب العظمى ، وخاضت تركيا غمارها مع الألمان . وكان الخديوي لا يزال مقيماً في الأستانة ، وقد كثر للانكليز عن ناب العداوة ، فرأوا أن يخلعوه ويولوا عمه الأمير حسين كامل باشا سلطنة مصر ، فأبى كثير من موظفي القصر البقاء في مناصبهم وفاء لمولاهم المخلوع ، وكان شوقي من عداد المستقلين . إلا أن السلطة الانكليزية لم تمهله بعد ذلك طويلاً ، إذ نصحته أن يغادر مصر إلى بلد محاييد ، فاختار الأندلس ، وبقي فيها حتى وضعت الحرب أوزارها ، فعاد إلى مسقط رأسه .

عاد إلى وطنه والحركة الاستقلالية التي كان يقودها سعد زغلول في ذروة ازدهارها ومعركة المصريين مع الإنكليز المحتلين في أوجها ، فتحول شعره إلى المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة ، المتنوعة ، وأخذ ولاؤه للقصر يتحول شيئاً فشيئاً إلى الجمهور ، إلى الشعب ، إلى الحركة الإستقلالية ، وأخذت الجماهير العربية في مختلف الأقطار والبلدان تجد فيه شاعر قضاياها ومعبّر عن مشاعرها .

وفي سنة ١٩٢٧ أعيد طبع «الشوقيات» وجرى له حفل تكريم توافد عليه الشعراء وأعلام الثقافة العربية من مختلف الأقطار والبلدان وبيع فيه بإمارة الشعر على لسان حافظ إبراهيم الذي أعلن بالاصالة عن نفسه . وبالنيابة عن وفود الشرق هذه البيعة :

أمير القوافي قد أتيت مباحياً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

لم يبق لشوقي بعد هذا المجد سوى خمس سنوات من عمره فقط ، إنصرف خلالها إلى مراس الحياة الأدبية بجهد ونشاط بعيداً عن معاناة السياسة ووظائفها ، وعمد إلى النوع الأدبي الذي افتقده العرب في تاريخهم لدى إحتكاكهم بالثقافة الغربية ، وهو الشعر التمثيلي ، فأخذ في وضع المسرحيات يحاكي بها ما عرفه لدى شعراء فرنسا ، أمثال راسين وكورني وهوغو على الأخص ، فأخرج

«مصرع كليوبترا» و«قمبيز» و«مجنون ليلي» و«عنترة» كما أخرج مسرحية نثرية «أميرة الأندلس». وقضى نحبه وهو يعمل في مأساة شعرية لم تكتدل .
وفي صباح ١٤ تشرين أول «أكتوبر» ١٩٣٢ أسلم الروح وهو ملء الأسماع في دنيا العرب ، واشهر من أنشدتها الشعر .

مؤلفاته

أما مؤلفات شوقي فإنها قد نشرت كلها وهي :

- ١ - الشوقيات - أربعة أجزاء -
- ٢ - دول العرب وعظمة الإسلام
- ٣ - أميرة الأندلس - مسرحية نثرية -
- ٤ - مصرع كليوبترا
- ٥ - مجنون ليلي
- ٦ - عنترة
- ٧ - الست هدى - ملهاة -
- ٨ - قمبيز
- ٩ - علي بك الكبير ، أو دولة المماليك
- ١٠ - حديث بنتاؤر - رواية نثرية -
- ١١ - عذراء الهند - رواية نثرية -
- ١٢ - لادياس وورقة الآس - رواية نثرية -
- ١٣ - أسواق الذهب - حكم منثورة .

رشيد حبيب الأشقر

كبار الحوادث في وادي النيل *

هَمَّتِ الْفُلُكُ ، واحتواها الماء
ضرب البحرُ ذو العُبابِ حَوَالِيهِ
ورأى المارقون من شَرِّكَ الْأَرِ
وجبالاً موانجاً في جبالٍ
ودَوِيّاً كما تَأَهَّبَتِ الْخَيْدِ
لُجَّةً عند لُجَّةٍ عند أُخْرَى
وسَقَيْنَ طَوْرًا تَلُوحُ . وحيناً
نازلاتٌ في سيرها صاعداتٌ
ربَّ . إن شئتَ فالفضاءُ مَضْبِقُ
فاجعل البحرَ عَصْمَةً . وابعث الرحـ
أنت أنسٌ لنا إذا بَعُدَ الْأَرِ
يتولَّى البحارَ - مها ادهمَّتْ -
وإذا ما عَلَّتْ فذاك قِيَامُ
فإذا راعها جلالُكَ خَرَّتْ
والعريضُ الطويلُ منها كتابُ

وَحَدَاها بمن ثَقِيلُ الرِّجَاءِ
سَما سماءَ قد أَكْبَرَتْها السَّماءُ^١
ضِ شِباكاً تَعْدُها الدُّمَاءُ^٢
تندجى كَأَنَّها الظُّلَماءُ
لُ وهاجت حُماتها الهَيْجاءُ
كهَضابٍ ماجت بها البَيْداءُ
يتولَّى أشباحهمُ الْخَفَاءُ
كالهوادي يَهْزُهْنِ الْحُدَاءُ^٣
وإذا شئتَ فالْمَضْبِقُ فضاءُ
حمةً فيها الرِّياحُ والأنواءُ
سُ . وأنت الحياةُ والإحياءُ
منك في كل جانبٍ لألاءُ
وإذا ما رَعَتْ فذاك دَعاءُ^٤
هَيْبَةً ، ففهيَ والبساطُ سواءُ
لك فيه تَحِيَّةٌ وثناءُ

* قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة جنيف في سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه .

١ العباب : ارتفاع السيل أو الموج .

٢ مرق السهم من الرمية مروقاً : نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر .

٣ الهوادي : أول رعييل من الإبل .

٤ رعا : ضج في صوته .

يا زمانَ البحار . لولاك لم نُفد
فقدماً عن وَخْذِها ضاق وجهُ الـ
وانتهت إمرةُ البحار إلى الشر
وبئسنا . فلم نُخلِّ لبنان
وملكننا . فلما لكون عبيد
قل لبنانِ بنى . فساد . فغالى :
ليس في الممكنات أن تنقل الأجبـ
أجفل الجن عن عزائم فرعو
شاد ما لم يشد زمان . ولا أنـ
هيكل نُشر الديانات فيه
وقبور تحط فيها الليالي
تشفق الشمس والكواكب منها
فأعذر الحاسدين فيها إذا لا
زعموا أمها دعائم شيدت
دُمّر الناس والرعيّة في تشـ
أين كان القضاء . والعدل . والحكـ
وبنو الشمس من أعزة مصر
فادّعوا ما ادعى أصاغر آثـ
ورأوا للذين سادوا وشادوا
إن يكن غير ما أتوه فخار
ليت شعري . والدهرُ حربُ بنـ

جَع بُنْعَى زمانها الوجناء^١
أرض ، وانقاد بالشرع الماء
ق . وقام الوجود فيما يشاء
وعلونا . فلم يَجْزنا علاء
والبرايا بأسرهم أسراء
لم يَجْز مصر في الزمان بناء
ال شُماً . وأن ثنّال السماء^٢
ن . ودانت لبأسها الآناء
شأ عصر . ولا بنى بناء
فهي والناس والقرون هباء
ويؤارى الإصباح والإمساء
والجديدان ، والى ، والفناء
موا . فصعب على الحسود الثناء
بيد البغي . ملؤها ظلماء
بيدها . والخلائق الأسراء
حمة . والرأي . والتهى . والذكاء
والعلوم التي بها يُستضاء
نا . ودعواهم خنا واقتراء^٣
سبة أن تُسخر الأعداء
فأنا منك - يا فخار - براء
وأياديه عندهم أفياء

١ الوجناء : الناقة الشديدة .

٢ الشم : جمع أشم . وهو المرتفع .

٣ الخنا : الفحش في الكلام .

ما الذي داخل الليالي منا
 فعلا الدهر فوق علينا فرعو
 أعلنت أمرها الذئاب ، وكانوا
 وأتى كل شامت من عدا المذ
 ومضى المالكون ، إلا بقايا
 فعلى دولة البناء سلام
 وإذا مصر شاة خير لراعي السر
 قد أذل الرجال ، فهي عبيد
 فإذا شاء فالرقاب فداه
 ولقوم نواله ورضاه
 ففريق ممتعون بمصر
 إن ملكت النفوس فابغ رضاها
 يسكن الوحش للوثوب من الأسد
 يحسب الظالمون أن سيسودو
 والليالي جوائر مثلما جا

في صبا ، ولليالي دهاء ؟
 ن ، وهمت بملكه الأرزاء ؟
 في ثياب الرعاة من قبل جاءوا
 لك إليهم ، وانضمت الأجزاء
 لهم في ترى الصعيد التجاء
 وعلى ما بنى البناء العفاء
 سوء ، تؤذي في نسلها ونساء
 ونفوس الرجال ، فهي إماء
 ويسير إذا أراد الدماء
 ولأقوام القلى والجفاء
 وفريق في أرضهم غرباء
 فلها ثورة ، وفيها مضاء
 ر ، فكيف الخلائق العقلاء ؟
 ن ، وأن لن يؤيد الضعفاء
 روا ، وللدهر مثلهم أهواء

» » »

لبث مصر في الظلام ، إلى أن
 لم يكن ذاك من عمى ، كل عين
 ما نراها دعا الوفاء بنينا
 ليزحوا عنها العدا ، فأزاحوا

قبل : مات الصباح والأضواء
 حجب الليل ضوءها عمياء
 وأتاهم من القبور النداء
 وأزاحت عن جفنها الأقذاء

١ ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذي حل بالبلاد على أثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذي حدث على الملك بين طبقة الأشراف ، ففزوها في سنة ١٦٧٥ ق.م.

وأعيد المجد القديم ، وقامت
 وأتى الدهر تائباً بعظيم
 مَنْ كرميسيس في الملوك حديثاً
 بايعته القلوب في صلب سيني
 واستعدَّ العباد للمولد الأك
 جلّ سيزوستريس عهداً ، وجلّت
 فسمعنا عن الصبي الذي يد
 ويرى الناس والملوك سواء
 وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشي
 في معالي آباتها الأبناء
 من عظيم ، آباؤه عظماء
 ولرميسيس الملوك فداءً
 يوم أن شاقها إليه الرجاء
 بر ، وأزّيت له الغبراء
 في صباه الآيات والآلاء
 نفو ، وطبع الصبا الغشوم الإباء
 وهل الناس والملوك سواء ؟
 لم يحل دون بشره كبرياء

* * *

يولد السيد المتوجَّع عَصَا
 لم يغيره يوم ميلاده بؤ
 فإذا ما المملقون تولّو
 وسرى في قواده زخرف القو
 فإذا أبيض الهديل غراب
 طهرته في مهدها النعماء
 س ، ولا ناله وليداً شقاء
 ه تولّى طباعه الخيلاء
 ل ، تراه مستعدباً وهو داء
 وإذا أبلج الصباح مساءً^٢

* * *

جلّ رميسيس فطرة ، وتعالى
 وسما للعلا ، فنال مكاناً
 وجيوش ينهضن بالأرض ملكاً
 شيعاً أن يقوده السفهاء
 لم ينله الأمثال والنظراء
 ولواء من تحته الأحياء

١ هو رميس الثاني ابن سيني الأول : أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية ، ولي عرش مصر وهو صغير ، واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ - ١٢٢٥ قبل الميلاد ، ويعرف برميسيس الأكبر ، لما اكتسبه من الشهرة الفارقة التي جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر ، والذي كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المباني العديدة التي شيدها في جميع أنحاء البلاد .

٢ الهديل : ذكر الحمام .

وجود يُساس ، والقول فيه
وبناءً إلى بناء . يودُّ الخلد
وعلومٌ تُحيي البلاد . وبتنا
إيه سيزوستريس . ماذا ينال الـ
كبرتُ ذاتك العليّة أن تُحر
لك آمونُ ، والهللُ إذا يك
ولك الريفُ . والصعيدُ . وتاجا
ولك المنشآت في كل بحر
ليت لم يُهلك الزمانُ . ولم يَـ
هكذا الدهرُ : حالةٌ ثم ضدُّ

ما يقول القضاة والحكام
دُ لو نال عمره والبقاء
هُورُ فخرُ البلاد . والشعراء
وصفُ يوماً . أو يبلغ الإطراء
حي تنها الألقابُ والأسماء
بر . والشمسُ . والضحي . آباء
مصر . والعرشُ عالياً . والرداء
ولك البرُّ أرضه والسماء
لِ لِمَلِك البلادِ فيك رجاء
ما لحال مع الزمان بقاء

* * *

لا رَعاكَ التاريخُ يا يومَ قبيز
دارت الدّائراتُ فيك . ونالت
فبمصر مما جنيت لمصر
نكدٌ خالداً ، وبؤسٌ مقيم
يومَ مَنفيسَ ، والبلادُ لكسرى

ز . ولا طَنَطنت بك الأنباء
هذه الأُمَّة اليدُ العسراء
أيُّ داءٍ . ما إن إليه دواء
وشقاءٌ يحدُّ منه شقاءُ
والملوكُ المطاعةُ الأعداءُ

- ١ بتهاور : شاعر مصري قديم .
- ٢ آمون اله الشمس في اعتقاد القدماء ، وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التي أشير إليها في هذا البيت بالشمس والقمر .
- ٣ قبيز : أحد ملوك الفرس ، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، وسلك في المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس اله المصريين وغير ذلك . ويوم قبيز هو اليوم الذي انتصرت فيه جيوشه على جيوش أبسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين في الفرما ومنف ، والذي أخذ فيه الملك أسيراً فأذيق من الذل ما سترى .
- ٤ منفيس : هي منف وكانت العاصمة حينئذ . وكسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قبيز .

يَأْمُر السِّيفُ فِي الرَّقَابِ . وَيَنْهِي
جِيءَ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ ذَلِيلًا
يُبْصِرُ الْآلَ إِذْ يُرَاحُ بِهِمْ فِي
بَنَتْ فِرْعَوْنَ فِي السَّلَاسِلِ تَمْشِي
فَكَانَ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرَ
وَلَمَصِرٍ عَلَى الْقَدَى إِغْضَاءُ
لَمْ تُزَلْزَلْ فَوَادَهُ الْبَاسَاءُ
مَوْقِفَ الذِّلِّ عَتَوَةٌ . وَيُجَاءُ
أَزْعَجَ الدَّهْرَ عَرْيُهَا وَالْخَفَاءُ
رُ . وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الْأُمَرَاءُ

وَأَبُوهَا الْعَظِيمُ يَنْظُرُ لَمَّا
أَعْطِيَتْ جَزَّةً . وَقِيلَ : إِلَيْكَ النَّهْمُ
فَمَشَتْ تُظْهِرُ الْإِبَاءَ . وَتَحْمِي الدَّمَ
وَالْأَعَادِي شَوَاحِصُ . وَأَبُوهَا
فَارَادُوا لِيَنْظُرُوا دَمْعَ فِرْعَوْنَ
فَأَزَوَّهُ الصَّدِيقُ فِي ثَوْبِ فَقْرٍ
فَبَكَى رَحْمَةً . وَمَا كَانَ مَنْ يَبْهَتُ
هَكَذَا الْمَلِكُ وَالْمَلُوكُ . وَإِنْ جَاءَ
رُدِّيتُ مِثْلًا تُرْدَى الْإِمَاءُ^١
رَ . قُومِي كَمَا تَقُومُ النِّسَاءُ
عَ أَنْ تَسْتَرْقَهُ الصَّرَاءُ
بِيَدِ الْخَطْبِ صَخْرَةً صَمَاءُ^٢
نَ . وَفِرْعَوْنُ دَمْعُهُ الْعَنْقَاءُ
يَسْأَلُ الْجَمْعَ . وَالسُّوَالُ بِلَاءُ
كِي . وَلَكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ
رَ زَمَانُ . وَرَوَّعَتْ بَلَوَاءُ

* * *

لَا تَسْلَنِي : مَا دَوْلَةُ الْفَرَسِ ؟ ! سَاءَتْ
أُمَةٌ هُمُّهَا الْخَرَائِبُ تُبْلِيهِ
سَلَبَتْ مِصْرَ عِزِّهَا . وَكَسَتْهَا
وَارْتَوَى سَيْفُهَا . فَعَاجَلَهَا الدَّ
طَلِبَةُ لِلْعِبَادِ كَانَتْ لِإِسْكَدَ
دَوْلَةُ الْفَرَسِ فِي الْبِلَادِ . وَسَاءُوا^١
هِيَ . وَحَقُّ الْخَرَائِبِ الْإِعْلَاءُ
ذِلَّةٌ مَا لَهَا الزَّمَانُ انْقِضَاءُ
بَسِيفٌ مَا إِنْ لَهُ إِرَوَاءُ
دَرُ فِي نَيْلِهَا الْيَدُ الْبَيْضَاءُ

١ الحفا (مقصورة ومدت) : المشي بلا خوف ولا نعل .

٢ وتردى : أصلها تردى ، أي تليس الرداء .

٣ شواخص : جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه .

٤ يعود الضمير هنا إلى الفرس أنفسهم .

شاد إسكندر لمصر بناءً لم تشيدهُ الملوكُ والأمراءُ
بلداً يرحل الأنامُ إليه وحجُّ الطلابُ والحكماءُ
عاش عمراً في البحر ثغر المعالي والمنارُ الذي به الاهتداءُ
مطمئناً من الكتائب والكثُ يب بما يتهي إليه العلاءُ
يبعث الضوء للبلاد ، فتسري في سناه الفهومُ والفهماءُ
والجوارى في البحر يُظهرون عز ال حلك ، والبحرُ صولةٌ وثرأ^١
والرعايا في - نعمة ، ولبطلب حوس في الأرض دولةً علياً^٢
فقضى الله أن تضع هذا الم سنلك أنثى صعبٌ عليها الوفاء^٣
تخذتها روماً إلى الشر تمهيد داً ، وتمهيدُهُ بأنثى بلاءُ
فتناهى الفسادُ في هذه الأر ضي ، وجاز الأبالس الإغواءُ
ضيعت قيصر البرية أنثى يا لرَبِّي مما تجر النساءُ^٤
فتنت منه كهف روما المرجى والحسامُ الذي به الانقاءُ
قاهر الخصم والجحافل مها جدَّ هولُ الرعى وجدَّ اللقاءُ
فأناها من ليس تملكه أذ شى ، ولا تسترقه هيفاء^٥
بطلُ الدولتين ، حامى جى رُو ما الذي لا تقوده الأهواء^٦

١ الجوارى : السفن .

٢ بطليموس : حاكم مصر بعد الإسكندر ومؤسس دولة البطالسة التي استمرت من سنة ٣٢٣ ق.م. إلى سنة ٣٠٠ ق.م. إذ سقطت في عهد كليوباترة .

٣ كليوباترة : هي آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة ، وقد هام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذي انتهت بموته الجمهورية الرومانية ، وكانت صنيعة له ، وانطونيوس ، وهو الذي أنشأ بالاشتراك مع أكتافيوس الأمبراطورية الرومانية ، وقد كان هيام الأخير بها سبباً لغزو أكتافيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التي حاولت عبثاً أن تؤثر في قلبه بجبالها ، فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية وانتحر انطونيوس .

٤ المقصود بقيصر هنا : انطونيوس .

٥ أكتافيوس قيصر .

٦ الدولتان : دولة الغرب ، ودولة الشرق .

أَخَذَ الْمَلِكُ ، وَهِيَ فِي قَبْضَةِ الْأَفْ
سَلَبَتِهَا الْحَيَاةَ ، فَاعْجَبَ لِرَقْطَا
لَمْ تُصِيبْ بِالْخِدَاعِ نُجْحًا ، وَلَكِنْ
قَتَلَتْ نَفْسَهَا ، وَظَنَّتْ فِدَاءً
سَلَّ كِلَوْبَتَرَةَ الْمَكَايِدِ : هَلَّا
فَبَرُومَا تَأَيَّدَتْ ، وَبَرُومَا
وَلِرُومَا الْمَلِكُ الَّذِي طَلَمَا وَآ
وَتَوَلَّتْ مِصْرًا يَمِينُ عَلَى الْمِصْرِ
تُسَمِّعُ الْأَرْضُ قَيْصَرًا حِينَ تَدْعُو
وَيُنِيلُ الْوَرَى الْحَقُوقَ ، فَإِنْ نَا
فَأَصْبِرِي مِصْرُ لِلْبَلَاءِ ، وَأَنْتِي
ذَا الَّذِي كُنْتَ تَلْتَجِينَ إِلَيْهِ

عَى عَنِ الْمَلِكِ وَالْهَوَى عَمِيَاءُ^١
أَرَاخَتْ مِنْهَا الْوَرَى رَقْطَاءُ
خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ : حَسَنَاءُ
صَغُرَتْ نَفْسُهَا ، وَقَلَّ الْفِدَاءُ
صَدَّهَا عَنِ وِلَاءِ رُومَا الدَّهَاءُ ؟
هِيَ تَشْقَى ، وَهَكَذَا الْأَعْدَاءُ
فَاهُ فِي السَّرِّ نُصْحُهَا وَالْوِلَاءُ
رِيٍّ مِنْ دُونَ ذَا الْوَرَى عَشْرَاءُ
وَعَقِيمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرِ الدَّعَاءُ
دَتَهُ مِصْرُ فَأَذْنَهُ صَمَاءُ
لَكَ ؟ وَالصَّبْرُ لِلْبَلَاءِ . بِلَاءُ
لَيْسَ مِنْهُ إِلَى سِوَاهِ التَّجَاءُ

* * *

رَبُّ ، شُقَّتِ الْعِبَادَةُ أَزْمَانًا لَا كَدَ
ذَهَبُوا فِي الْهَوَى مَذَاهِبَ شَيْ
فَإِذَا لَقَّبُوا قَوِيًّا إِلَهَا
وَإِذَا آثَرُوا جَمِيلًا بَتْنَزِيرِ

بُ بِهَا يُهْتَدَى ، وَلَا أَنْبِيَاءُ^٢
جَمَعَتِهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ^٣
فَلَهُ بِالْقُوَى إِلَيْكَ انْتِهَاءُ
فَإِنْ الْجَمَالَ مِنْكَ حَيَاءُ^٤

١ هي : أي كليوباترة .

٢ شاققة الحب إليه : حاجه ، والمراد بالكتب الكتب الإلهية التي تنزلت على الأنبياء .

٣ الحقيقة الزهراء : هي وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين ، فكانوا في أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برموز صارت بعدئذ معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير محسوس في حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان ، فعبدوا العجل (أييس) والقط والكلب وما إلى ذلك .

٤ الحياء : العطاء .

وإذا أنشئوا التماثيل عُرّا
وإذا قدّروا الكواكب أربا
وإذا ألّهُوا النباتَ ، فمن آ
وإذا يَمّموا الجبال سجوداً
وإذا تُعبد البحارُ مع الأسد
وسباع السماء والأرض ، والأر
لِعُلاك المذكَراتُ عبيدٌ
جمع الخلق والفضيلة سِرٌّ

* * *

سجدت مصرُ في الزمان لإيزير
إن تَلِ البرّ ، فالبلادُ نُصارُ
أو تَلِ النفسَ ، فهي في كل عضو
قيل : إيزيرس رَبَّةُ الكونِ ، لولا
واتخذتِ الأنوارَ حُجباً ، فلم تب
أنتِ ما أظهر الوجودَ وما أخ
لك آيسُ ، والمُحَبَّبُ أوزير
مُثلت للعيون ذائلكِ ، والتم
واذعالكِ اليونان من بعد مصر
فإذا قيل : ما مفاخر مصر ؟

* * *

١ السنا : الضوء . والسنا : الرفعة .

٢ المذكَرات ما كان من هذه الآلهة مذكراً .

٣ ذكاء : من أسماء الشمس .

رَبِّ ، هذي عقولنا في صباها
 فعشقتناك قبل أن تأتي الرُّسْدُ
 ووصلنا السُّرى ، فلولاً ظلام الـ
 واتخذنا الأسماء شَتَّى . فلما
 حَجَجْنَا في الزَّمان سحراً بسحرٍ
 ويريد الإله أن يُكْرِمَ العقد
 ظنَّ فرعون أن موسى له وا
 لم يكن في حسابه يومَ رَبِّي
 فرأى الله أن يعقِّ . ولد
 مصر موسى عند انتماء . وموسى
 فيه فخرها المؤيد . مها
 إن تكن قد جففته في ساعة الشك
 خِلَّةً للبلاد يشقى بها النا
 فكبيرُ ألا يُصانَ كبيرُ

* * *

وُلد الرِّفقُ يومَ مولدِ عيسى
 وازدهى الكونُ بالوليد ، وضاءت
 وسرت آية المسيح . كما يسـ
 تملأُ الأرضُ والعوالمُ نوراً
 لا وعيدٌ . لا صولة . لا انتقام
 ملكٌ جاور الترابَ . فلما
 وأطاعته في الإله شيوخٌ

والمروءاتُ ، والهدى ، والحياءُ
 بسناه من الثرى الأرجاء
 رى من الفجر في الوجود الضياءُ
 فالثرى ، مائجٌ بها وضاءُ
 لا حسام . لا غزوة ، لا دماءُ
 ملَّ نابت عن التراب السماءُ
 خُشَّعٌ . خُشَّعٌ له . ضعفاءُ

١ هز الكوكب : انقض . والمراد : مها خذل .

أذعن الناس والملوك إلى ما
 فلهم وقفة على كل أرض
 دخلوا ثيبة ، فأحسن لقيا
 فهموا السر حين ذاقوا ، وسهل
 فإذا الهيكل المقدس دبر
 وإذا ثيبة لعيسى ، ومنفرد
 إنما الأرض والفضاء لربي
 لهم الحب خالصاً من رعايا
 إنما ينكر الديانات قوم

رسموا ، والعقول ، والعقلاء
 وعلى كل شاطئ إرساء
 هم رجالٌ بثيبة حكما
 أن ينال الحقائق الفهماء^٢
 وإذا الدير رَوْنَقُ وبها
 س ، ونبيل الثراء ، والبطحاء
 وملوك الحقيقة الأنبياء
 هم ، وكل الهوى لهم والولاء
 هم بما ينكرونه أشقياء

* * *

هرمت دولة القياصر ، والدو
 ليس تغني عنها البلاد ولا ما
 نال روما ما نال من قبل آتد
 سنة الله في الممالك من قب

لا ت كالناس ، داوهرن الفناء^٣
 ل الأقاليم إن أتاها النداء
 لنا ، وسيمته ثيبة العصماء
 ل ومن بعد ، ما لنعمي بقاء

* * *

أظلم الشرق بعد قيصر والغر
 فالورى في ضلاله متباد
 عرف الله ضلّة ، فهو شخص
 وتولّى على النفوس هوى الأو
 فرأى الله أن تُطهر بالسيد
 وكذلك النفوس وهي مراض

ب ، وعم البرية الإدجاء
 يفتك الجهل فيه والجهلاء
 أو شهاب ، أو صخرة صماء
 ثان ، حتى انتهت له الأهواء
 ف ، وأن تغسل الخطايا الدماء
 بعض أعضائها لبعض فداء

- ١ ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة .
 ٢ السر : أي سر عبادة الله على دين المسيح .
 ٣ دولة القياصرة : الدولة الرومانية .

لم يعادِ الله العبيدَ ، ولكن
 وإذا جَلَّت الذنوبُ وهالتُ
 أشرق النورُ في العوالمَ لَمَّا
 باليتيم الأميِّ ، والبشرِ المو
 قُوَّةُ الله إن تولَّتْ ضعيفاً
 أشرفُ المرسلين ، آتته النط
 لم يَفِّقه بالنوايغ العُرَّ حتى
 وأتته العقولُ مُنقادةً اللد
 جاء للناس ، والسرائرُ فوضى
 وحِمى الله مستباحً ، وشرعُ الد
 فليجبريلَ جَبِيَّةً ، ورواحُ
 يُحسبُ الأفقُ في جناحيه نورُ
 تلك آيُ الفرقانِ ، أرسلها الد
 نَسَخَتْ سَنَةَ النبيين والرسد
 وحماها عُرٌّ ، كرامٌ ، أشدَّا
 أمةً ينتهي البيانُ إليها
 جازت النجمَ ، واطمأنتُ بأفق
 كلما حثَّت الركابَ لأرضي
 وعلا الحقُّ بينهم ، وسما الفضد
 تحملُ النجمَ ، والوسيلةَ ، والميد
 وتُنبِلُ الوجودَ منه نظاماً
 يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما

شَقِيَّتْ بِالْغِبَاوَةِ الْأَغْيَاءُ
 فَمَنْ الْعَدْلُ أَنْ يَهْوَلَ الْجَزَاءُ
 بِشَرِّهَا بِأَحْمَدِ الْأَنْبَاءِ
 حَتَّى إِلَيْهِ الْعُلُومُ وَالْأَسْمَاءُ
 تَعَبْتُ فِي مِرَاسِهِ الْأَقْوِيَاءُ
 قُ مُمِيناً ، وَقَوْمُهُ الْفَصَحَاءُ
 سَبَقَ الْخَلْقَ نَحْوَهُ الْبَلْغَاءُ
 بٌ ، وَلَتَى الْأَعْوَانُ وَالنَّصْرَاءُ
 لَمْ يُوَلَّفْ شَتَائَهُنَّ لَوَاءُ
 ه ، وَالْحَقُّ ، وَالصَّوَابُ وَرَاءُ
 وَهَبُوطٌ إِلَى الثَّرَى ، وَارْتِقَاءُ
 سَلْبَتُهُ النُّجُومُ وَالْجُوزَاءُ
 هُ ضِيَاءُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
 لِي ، كَمَا يَنْسَخُ الضِّيَاءُ الضِّيَاءُ
 ةً عَلَى الْخِصَمِ ، بَيْنَهُمْ رُحَمَاءُ
 وَتَوَوَّلَ الْعُلُومُ وَالْعِلْمَاءُ
 مَطْمَئِنٌّ بِهِ السَّنَى وَالسَّنَاءُ
 جَاوَرَ الرُّشْدُ أَهْلَهَا وَالذِّكَاةُ
 لٌ ، وَنَالَتْ حَقُوقَهَا الضَّعْفَاءُ
 زَانَ مِنْ دِينِهَا إِلَى مَنْ تَشَاءُ
 هُوَ طِبُّ الْوُجُودِ ، وَهُوَ الدَّوَاءُ
 سَنٌ ، وَالْجَاهِدُونَ ، وَالْأَعْدَاءُ

فيه ما تشتهي العزائم إن هـ
فلمن حاول النعيم نعيم
أَبْرَى الْعُجْمُ مِنْ بَنِي الظِّلِّ وَالْمَا
وَتُثِيرُ الْحَيَامُ آسَادَ هَيْجَا
ما أَنَاثُ عَلَى السَّوَاعِدِ حَتَّى الـ
تَشْهَدُ الصِّينُ ، وَالْبَحَارُ ، وَبَغْدَا
مَنْ كَعَمَرُوا الْبِلَادُ ، وَالضَّادُ مِمَّا
شَادَ لِلْمُسْلِمِينَ رَكْنًا جَسَامًا
طَالَمَا قَامَتِ الْخِلَافَةُ فِيهِ
وَانْتَهَى الدِّينُ بِالرَّجَاءِ إِلَيْهِ
مَنْ يَصْنُهُ يَصْنُ بَقِيَّةَ عِزِّ
فَابِكْ عَمْرًا إِنْ كُنْتَ مُنْصِفَ عَمْرٍو
جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ ، وَالنِّدِ
فَهِيَ تَعْلُو شَأْنًا إِذَا حُرِّرَ النَّيْدِ

م ذُووَهَا وَيَشْتَهِي الْأَذْكِيَاءُ
وَلَمَنْ آثَرَ الشَّقَاءَ شَمَاءُ
عَجِيْبًا أَنْ تُنْجِبَ الْبَيْدَاءُ
تَرَاهَا أَسَادَهَا الْهَيْجَاءُ
أَرْضُ طُرَّا فِي أَسْرِهَا وَالْفَضَاءُ
دُ ، وَمَصْرُ ، وَالْغَرْبُ . وَالْحَمْرَاءُ
شَادَ فِيهَا ، وَالْمِلَّةُ الْغَرَاءُ ؟
ضَافِي الظِّلِّ . دَابُّهُ الْإِبْوَاءُ
فَاطْمَأْنَنْتُ . وَقَامَتِ الْخُلَفَاءُ
وَبَنُو الدِّينِ إِذْ هُمْ ضَعْفَاءُ
عَبَّضَ التَّرْكُ صَفْوَهُ وَالنَّوَاءُ
إِنْ عَمْرًا لَنْيَرُ وَضَاءُ
لِ لِمَنْ يَقْتَنِيهِ أَفْرِيقَاءُ
لُ ، وَفِي رِقَّةٍ لَهَا إِزْرَاءُ

* * *

واذكر العرَّ آلَ أيوبَ ، وَاَمْدَحْ
هم حِمَاةَ الْإِسْلَامِ ، وَالنَّفَرَ الْبِيدِ
كُلَّ يَوْمٍ بِالصَّالِحِيَّةِ حَصْنُ
وَبِمَصْرِ الْعِلْمِ دَارُ ، وَلِلضَّيْفِ
وَلِأَعْدَاءِ آلِ أَيُوبَ قَتْلُ

فَنِ الْمَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ
خُسُ ، الْمُلُوكُ ، الْأَعَزَّةُ ، الصُّلَحَاءُ
وَبِئْلَبَيْسَ قَلْعَةً شَمَاءُ
إِنْ نَارُ عَظِيمَةٍ حَمْرَاءُ
وَلِأَسْرَاهُمْ قِرَى وَنَرَاءُ

١ الحمرء : قصر مشهور بالأندلس .

٢ يشير إلى الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي ، وحكت مصر من سنة ١١٧١ إلى سنة ١٢٥٠ م .

يعرف الدين مَنْ صلاحٌ ؟ ويدري
إنه حصنه الذي كان حصناً
يوم سار الصليب والحاملوه
بنفوس تجول في الأمان
يضمرون الدمار للحق . والنار
ويهدون بالتلاوة والصل
فتلقَّتهم عزائم صدق
مرقت جمعهم على كل أرض
وسبت أمرد المولود . فردت
ولو أن المليك تيبَّ أذاه
نكذا المسجون . والعرب الخا
وبهم في الزمان لنا الليالي
يس للذل حيلة في نفوس

من هو المسجدان والإسراء ؟
وحاه الذي به الاحتماء
ومشى الغرب : قومه . والنساء
وقلوب تثار فيها الدماء
س . ودين الذين بالحق جاءوا
بان ما شاد بالقنا البئاء
نصَّ للدين : بينهن خباء
مثلاً مرق الظلام الضياء
ه . وما فـ للرعاب رجاء
لم يُخلَّصه من أذاها الفداء
نون . لا ما يقوله الأعداء
وبهم في الوري لنا أنباء
يستوي الموت عندها والبقاء

وذكر الترك . إنهم لم يُطاعوا
حكمت دولة الجراكس عنهم
واستبدت بالأمر عنهم . ف « با
يأخذ المال من مواعيد ما كا
ويسومونه الرضا بأمور

فيرى الناس أحسنوا أم أساءوا
وهي في الدهر دولة عسراء^٢
شاه الترك في مصر آله صماء
نوا لها مُنجزين . فهي هباء
ليس يرضى أقلهن الرضاء

١ سبي العدو : أسره ، وأمرد الملوك لويس التاسع ملك فرنسا وكان من أبطال الصليبيين . أسره توران شاه في موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقيته أهله وعساكره بمبلغ ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك .

٢ الجراكس : المالك .

فِيْدَارِي لِيَعَصِمَ الْغَدَ مِنْهُمْ وَالْمَدَارَةُ حِكْمَةُ وَدِهَاءِ
وَأَتَى التَّسْرُ يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهْبًا حَوْلَهُ قَوْمُهُ ، النَّسُورُ ظِمَاءُ
يَشْتَهِي النَّيْلَ أَنْ يَشْنِيدَ عَلَيْهِ دَوْلَةً عَرْضُهَا الثَّرَى وَالسَّمَاءُ
حَلَمْتُ رُومَةً بِهَا فِي اللَّيَالِي وَرَأَاهَا الْقِيَاصُ الْأَقْوِيَاءُ
فَأَتَتْ مِصْرَ رُسُلُهُمْ تَتَوَالَى وَتَرَامَتْ سُدُودَانِهَا الْعُلَمَاءُ
وَلَوْ اسْتَشْهَدَ الْفَرَنْسِيْسُ رُومًا لِأَتَتْهُمْ مِنْ رُومَةِ الْأَنْبَاءِ
عَلِمْتُ كُلَّ دَوْلَةٍ قَدْ تَوَلَّتْ أَنَا سَمُّهَا ، وَأَنَا الْوَبَاءُ
قَاهِرُ الْعَصْرِ وَالْمَالِكِ ، نَابِلْدُ يُونُ وَلَتْ قَوَادُهُ الْكِبَرَاءُ
جَاءَ طِيْشًا ، وَرَاحَ طِيْشًا ، وَمَنْ قَبْدُ لُ أَطَاشَتْ أَنْاسُهَا الْعُلِيَاءُ
سَكَنْتَ عَنْهُ يَوْمَ غَيْرِهَا الْأَهْدُ حَرَامُ ، لَكِنْ سَكُونُهَا اسْتِهْزَاءُ
فَهْنِي تُوحِي إِلَيْهِ أَنْ تَلْكَ وَاتِرْ لَوْ فَأَيْنَ الْجِيُوشُ أَيْنَ اللُّوَاءُ؟
وَأَتَى الْمُتَسَمِّي لَأَمَّةِ عَثْمَا نَ عَلِيٍّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَحْيَاءُ
مَلِكُ الْحِلْمِ وَالْعَزَائِمِ إِنْ عُدَّ تَ مَلُوكُ الزَّمَانِ وَالْأُمَرَاءُ
رَامَ بِالرِّيفِ وَالصَّعِيدِ أُمُورًا لَمْ تَنْلُ كِنَّةَ غُورِهَا الْأَغْيَاءُ
رَامَ تَاجِيْهُمَا وَعَرْشَ الْمَعَالِي وَيُرُومُ الْعِظَائِمَ الْعِظَمَاءُ
أَمْلٌ أَيْضُ الْخِلَالِ رَفِيعُ صَغَرَتْهُ الْأَذَلَةُ الْأَشْقِيَاءُ
فَكَفَاهُ أَنْ جَاءَ مَيِّتًا فَأَحْيَا وَكَفَى مِصْرَ ذَلِكَ الْإِحْيَاءُ

* * *

- ١ النسْر : نابليون بوناپرت .
- ٢ واترلو (في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الانكليزي الشهير فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسي وكان من نتائج هزيمة نابليون في هذه الموقعة أسره ونفيه إلى جزيرة (سنت هيلانة) حيث قضى البقية من حياته .
- ٣ علي : أي محمد علي باشا .
- ٤ الغور : العمق .

واذكر العادل الكريم سعيداً إن قوماً له اتَمَمُوا سُعداءُ
 المهيبُ اللواءُ والسيْفُ في السدِّ هم، المفدَّى فما له أعداءُ
 عَرَبِيٌّ زمانه عُمَرِيٌّ عهده فيه رحمةٌ ووفاءُ
 مثلما شاءت الأرامِلُ والأَيُّ تامٌ والبائسون والضعفاءُ
 جمع الزاخرين كَرَّهاً فلا كا نا ولا كان ذلك الالتقاءُ^١
 أحرَّ عند أبيض للبرايا حصَّةُ القطرِ منهما سوداءُ^٢
 وغزير الهدى من الحمد والتو فيق صيغت لذاته الأسماءُ
 بثَّتِ العدلَ راحتاهُ وعزَّت في حِماه العلوم والعلماءُ
 إن أتاها فليس فيها بياذ أو جناها فذا الورى شركاءُ^٣
 أخطأ الأقربون موضعها الدا ني وفازت بِنَيْلِه البعداءُ
 لا يَلُمُ بعضكم على الخطب بعضاً أيها القومُ كلُّكم أبرياءُ
 ضَلَّةُ زانها الشقاء لمصر ومن الذنب ما يحيى الشقاءُ^٤
 وقضى الله للعزير بنصرٍ فأتى نصره وكان القضاءُ

* * *

يا عزيزَ الأنام والعصر سَمْعاً فلقد شاق منطقِي الإصغاءُ
 إن عصراً مولاي فيه المرجى أنا فيه القريضُ والشعراءُ

١ يريد بالزاخرين : البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، والإشارة إلى قناة السويس .

٢ أحر : أي البحر الأحمر . وأبيض : أي البحر الأبيض المتوسط .

٣ يشير إلى احتلال الجنود الانجليزية لمصر في عهد توفيق باشا بعد الثورة العربية .

٤ أجا فلاتاً : اضطره .

هذه حكمتي وهذا بياني لي به نحو راحتك ارتقاء^١
ألثم السدة التي إن أنلها تهوَّ فيها وتسجدُ الجوزاء^٢
سائلاً أن تعيش مصر، ويبقى لك منها ومن بنيتها الولاء
كيف تشقى بحب «حلمي» بلاد نحن أسيافها و«حلمي» المضاء

١ الراحة : الكف .

٢ السدة : باب الدار ، أو المظلة فوقه .

الهمزية النبوية

وُلد الهدى ، فالكائناتُ ضياءُ
الروحُ والملاُ الملائكُ حَوْلُهُ
والعرشُ يزهو . والحظيرةُ تَزْدهي
وحديقةُ الفرقانِ ضاحكةُ الربى
والوحيُّ يقطرُ سَلْسَلًا من سلسلِ
نُظِمَتْ أَسامي الرُّسلِ فهي صحيفة
اسمُ الجلالةِ في بديعِ حروفهِ
وَقَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمُ وثناءُ
للدينِ والدنيا به بُشْراءُ^١
والمتهى . والسَّدْرَةُ العصماءُ^٢
بالترجانِ ، شَدِيدَةٌ ، غَناءُ
واللوحُ والقلمُ البديعُ رِواءُ^٣
في اللوحِ ، واسمُ محمدٍ طُغْراءُ^٤
أَلِفٌ هنالك . واسمُ طه الباءُ

* * *

يا خير من جاء الوجودَ . تحية
بيت النبيين الذي لا يلتقي
خيرُ الأبوةِ حازَهم لَكَ آدَمُ
هم أدركوا عِزَّ النبوةِ وانتهت .
خَلَقْتَ لِنَبِيِّكَ . وهو مخلوقٌ لها
من مُرسَلين إلى الهدى بك جاؤوا
إلا الحنائف فيه والحنفاءُ^٥
دونَ الأنامِ . وأحرزتُ حِوَاءُ
فيها إِلَيْكَ العِزَّةُ القعساءُ^٦
إن العِظائِمَ كفوها العِظماءُ

- ١ الروح الأمين : لقب جبريل . والملاُ : الأشراف . والملائك : الملائكة . وبشراء : جمع بشير .
- ٢ سدرة المنتهى : يقال انها شجرة نبق على يمين العرش .
- ٣ الرواء : ماء الوجه وحسن المنظر .
- ٤ الطغراء : ما يسميه العامة « طرة » وأصلها طغرى بالقصر .
- ٥ الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام ، والجمع حنفاء .
- ٦ القعساء : المنيعه الثابتة .

بك بَشَّرَ اللهُ السَّمَاءَ فَرُيِّنَتْ
 وبدا مُحْيَاكَ الَّذِي قَسَمَائِهِ
 وعليه من نورِ الثُّبُوةِ رَوْنُقُ
 أثنى المسيحُ عليه خلف سَمَائِهِ
 يومَ نَبِيهِ على الزمانِ صَبَاحُهُ
 الحقُّ عالي الركنِ فيه ، مُظَفَّرُ
 دُعِرَتْ عَرُوشُ الظَّالِمِينَ ، فَرُزِلَتْ
 والنَّارُ خَاوِيَةُ الجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ
 والآيُ تَتَرَى ، وَالْحَوَارِقُ جَمَّةُ
 نِعَمَ الْيَتِيمِ بَدَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ
 في المهدِ يُسْتَسْقَى الحَيَا بِرَجَائِهِ
 بِسُوى الأمانةِ في الصَّبَا والصدقِ لم
 يا مَنْ لَهُ الأخلاقُ ما تَهْوَى العَلا
 لو لم تُقِمِ دِيناً ؛ لَقَامَتْ وَحْدَهَا
 زَانَتُكَ فِي الخَلْقِ العَظِيمِ شَمَائِلُ
 أما الجِلالُ ؛ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ
 والحَسَنُ من كَرَمِ الوجوهِ ، وَخَيْرُهُ
 فَإِذَا سَخَوْتَ بَلِغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى
 وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا ، وَمَقْدَرًا

وتَضَوَّعَتْ مَسْكَاً بِكَ الْغَبْرَاءُ
 حق ، وَعَرَّتُهُ هُدًى وَحْيَاءُ^١
 ومن الخليلِ وَهْدِيهِ سِيمَاءُ^٢
 وَتَهَلَّلَتْ وَاهْتَرَّتِ الْعَذْرَاءُ^٣
 وَمَسَاوُهُ بِمَحْمَدٍ وَضَاءُ
 فِي الْمُلْكِ ، لَا يعلو عليه لَوَاءُ
 وَعَلَتْ عَلَى تَيْجَانِهِمْ أَصْدَاءُ
 خَمَدَتْ ذَوَائِبُهَا ، وَغَاضَ الْمَاءُ
 جَبْرِيلُ رَوَّاحَ بِهَا عَدَاءُ
 وَالْيَتِيمُ رَزَقَ بَعْضُهُ وَذَكَاءُ
 وَبِقَصْدِهِ تُسْتَدْفَعُ الْبُأْسَاءُ
 يَعْرِفُهُ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمْنَاءُ
 مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكِبْرَاءُ
 دِيناً تُضِيءُ بِنُورِهِ الْآثَاءُ
 يُغْرِى بِهِنَّ وَيُولَعُ الْكِرْمَاءُ
 وَمَلَا حَقَّ الصَّدِيقِ مِنْكَ أَيَّامُهُ
 مَا أُوتِيَ الْقَوَادُ وَالزَّعْمَاءُ
 وَفَعَلَتْ مَا لَا تَفْعَلُ الْإِنْوَاءُ
 لَا يَسْتَهِنُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ

١ القسمة ما بين الوجنتين والأنف .

٢ الخليل : إبراهيم عليه السلام .

٣ العذراء : السيدة مريم .

٤ النوائب : جمع ذؤابة ، وهي أعلى كل شيء والمراد بالنوائب هنا ألسنة اللهب .

٥ آباء الشمس وأبائنا : نورها وحسنا .

وإذا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ ، أو أَبٌ
 وإذا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ
 وإذا رَضِيتَ فذاك في مرضاته
 وإذا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هَزَّةٌ
 وإذا قَضَيْتَ فَلَا ارْتِيَابَ ، كَأَنَّمَا
 وإذا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ ، وَلَوْ
 وإذا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ ، لَمْ
 وإذا مَلَكَتِ النَّفْسَ قُتِمَتْ بِرَّهَا
 وإذا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجٍ عِشْرَةٌ
 وإذا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا
 وإذا أَخَذْتَ الْعَهْدَ ، أَوْ أَعْطَيْتَهُ
 وإذا مَشَيْتَ إِلَى الْعَدَا فَعَضَنُفَرٌ
 وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلْسَفِيهِ مُدَارِيًا
 فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ
 وَالرَّأْيُ لَمْ يُنْصَرَ الْمُهْنَدُ دُونَهُ

هذان في الدنيا هما الرَّحْمَاءُ
 في الحق ، لا ضِغْنٌ ولا بغضاء
 وَرِضَى الْكَثِيرِ تَحْلُمٌ وَرِيَاءُ
 تَعْرِو النَّدِيَّ ، وَلِلْقُلُوبِ بَكَاءُ
 جَاءَ الْخَصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قَضَاءُ
 أَنْ الْقِيَاصِرَ وَالْمُلُوكَ ظِمَاءُ
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ عَدَاءُ
 وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ
 وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدُونُكَ الْآبَاءُ
 فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ
 فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ
 وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النِّكَاءُ^١
 حَتَّى يَضِيقَ بِعَرَضِكَ السَّفَهَاءُ
 وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
 كَالسِّيفِ لَمْ تَضْرِبْ بِهِ الْآرَاءُ^٢

* * *

يَأْتِيهَا الْأُمِّيُّ ، حَسْبُكَ رَتَبَةٌ
 الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكِبْرَى الَّتِي
 صَدَّرَ الْبَيَانَ لَهُ إِذَا تَفَقَّتِ اللَّغَى

فِي الْعِلْمِ أَنْ دَانَتْ بِكَ الْعُلَمَاءُ
 فِيهَا لِبَاغِي الْمَعْجَزَاتِ غَنَاءُ
 وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفَصَحَاءُ

١ بنى بأهله : زف إليهم . وابتنى : صار له بنون .

٢ النكباء : ربيع بين ربيعين .

٣ نضا السيف من غمده : سلّه .

٤ دان به : اتخذّه ديناً .

نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ
لَمَّا تَمَشَّى فِي الْحِجَازِ حَكِيمُهُ
أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وَبَيَانِهِمْ
حَسَدُوا ، فَقَالُوا : أَوْسَاحِرٌ ،
قَدْنَالٌ بِالْهَادِي الْكَرِيمِ وَبِالْهَدَى
أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جَلَالِكَ أُمَّةٌ
يُوحَى إِلَيْكَ الْفَوْزُ فِي ظِلْمَاتِهِ
دِينٌ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ
الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ ، وَكَيْفَ لَا
أَمَّا حَدِيثُكَ فِي الْعُقُولِ فَمَشْرَعٌ
هُوَ صِبْغَةُ الْفِرْقَانِ ، نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ
جَرَتْ الْفَصَاحَةُ مِنْ بِنَايِيعِ الثُّهَى
فِي بَحْرِهِ لِلْسَّاجِدِينَ بِهِ عَلَيَّ
أَتَتْ الدُّهُورَ عَلَى سُلَافَتِهِ ، وَلَمْ

بَكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ
بَيِّنَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ
وَجَدَ الرُّعَافَ مِنَ السُّمُومِ لِأَجْلِهَا
وَمَشَى عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ بِنُورِهَا
إِيزِيسُ ذَاتُ الْمَلِكِ حِينَ تَوَحَّدَتْ

وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ ذِكَاةٌ^١
فُضِّتْ عُكَاظُ بِهِ . وَقَامَ جِرَاءُ^٢
وَحْيٌ يُقَصِّرُ دُونَهُ الْبَلْغَاءُ
وَمِنْ الْحَسُودِ يَكُونُ الْاسْتِهْزَاءُ
مَا لَمْ تَتَلَّ مِنْ سُودَدِ سِينَاءَ
وَكُنْهُ مِنْ أَنْسِيَةِ بَيْدَاءَ
مُتَتَابِعًا ، تُجَلِّي بِهِ الظُّلُمَاءُ
لِبَنَائِهِ السُّورَاتُ . الْأَضْوَاءُ
وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْبَيِّنَاءُ ؟
وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمُ الْغَوَالِي الْمَاءُ
وَالسَّيْنُ مِنْ سُورَاتِهِ . وَالرَّاءُ
مِنْ دَوَّحِهِ . وَتَفَجَّى الْإِنْشَاءُ
أَدَبُ الْحَيَاةِ وَعِلْمُهَا إِسَاءُ
تَقَنَّ السُّلَافُ ، وَلَا سَلَا الثُّدَمَاءُ^٣

* * *

- ١ ذِكَاةٌ : مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ .
- ٢ جِرَاءُ : الْغَارُ الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِيهِ الْوَحْيُ .
- ٣ السُّلَافُ وَالسَّلَاقَةُ : أَفْضَلُ الْخَمْرِ .
- ٤ السَّمْحَةُ : الْمَلَّةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا ضَيْقٌ .
- ٥ إِيزِيسُ : مِنْ آلِهَةِ الْمَصْرِيِّينَ الْقَدَمَاءِ .

لما دعوتَ الناسَ لئى عاقلُ
أَبَوِ الخُروجِ إِلَيْكَ مِنْ أُوهاْمِهِمْ
وَمِنَ العقولِ جَدَاوِلُ وَجَلَامِدُ
دَاءِ الجِماعَةِ مِنْ أَرسطاليسِ لَمْ
فَرَسَمَتْ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ حُكُومَةً
اللهُ فَوْقَ الخَلْقِ فِيهَا وَحْدَهُ
وَالدِّينُ بُسْرٌ ، وَالخِلاَفَةُ بَيْعَةٌ
الْإِشْتِرَاكِيونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ
دَاوَيْتَ مُتَّبِداً ، وَدَاوُوا طَفْرَةً
الْحَرْبُ فِي حَقِّ لَدَيْكَ شَرِيعَةٌ
وَالْبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ ، وَفَرِيضَةٌ
جَاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةَ سَبِيلَهُ
أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى
فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَحَيَّرَ مِلَّةً

* * *

يَأْيِهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرْفاً إِلَى
بِتَسَاءِلُونَ - وَأَنْتَ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ
بِهَا سَمَوْتُ مُطَهَّرَيْنِ . كَلَاهِمَا
فَضْلٌ عَلَيْكَ الَّذِي الْجَلالِ وَمِثَّةٌ
تَغْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ . كَلِمًا
فِي كُلِّ مِنتَقَةٍ حَوَاشِي نَوْرِهَا
أَنْتَ الْجَمالُ بِهَا . وَأَنْتَ الْمُجْتَلَى
اللهُ هَيَّا مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ
الْعَرْشُ تَحْتِكَ سُدَّةٌ وَقَوَائِمًا

مَا لَا تَنالُ الشَّمْسُ وَالْجُوزاءُ
بِالْروحِ أَوْ بِالْهَيْكَلِ الْإِسْراءُ ؟
نُورٌ . وَرِيحَانِيَّةٌ . وَبِهَاءُ
وَاللهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى وَيَشَاءُ
طَوَيْتَ سَمَاءَ قَلْدَتْكَ سَمَاءُ
نُونٌ . وَأَنْتَ النُّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ
وَالْكَفُّ . وَالْمِرْآةُ . وَالْحَسَنَاءُ
نَزْلاً لَذَاتِكَ لَمْ يَجْزُهُ عِلَاءُ
وَمَنَّاكِبُ الرُّوحِ الْأَمِينِ وَطَاءُ

والرُّسُلُ دون العرش لم يُؤدَّنْ لهم حاشا لغيرك موعدٌ ولقاء

* * *

الخيْلُ تأبى غيرَ أحمدَ حامياً شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانه
وإذا تصدَّى للظبي فمُهَنَّدٌ وإذا رمى عن قوسه فيمينه
من كل داعي الحق همة سيفه ساقى الجريح ومطعمُ الأسرى ، ومن
إنَّ الشجاعةَ في الرجال غلاظة والحرب من شرف الشعوب ، فإن بَعَوْا
والحربُ يبعثها القويُّ نجيراً كم من غزاةٍ للرسولِ كريمةٍ
كانت لجند الله فيها شدةٌ ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبت بها
دَعَمُوا على الحرب السلام ، وطالما

* * *

الحقُّ عرضُ الله ، كلُّ أبيَّةٍ هل كان حولَ محمدٍ من قومه
فدعا ، فلبى في القبائلِ عُصبةٌ ردُّوا بياس العزم عنه من الأذى
بين النفوسِ حمى له ووقاءً إلا صبيٌّ واحد ونساء ؟
مُسْتَضْعَقُونَ ، قلائلُ أنضاءٍ ما لا تُرَدُّ الصخرةُ الصماء

١ الظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .

٢ النضو : المهزول من الإبل وغيرها .

والحقُّ والإيمانُ إن صُبَّا على
 نسفوا بناء الشُّرك ، فهو خرائبُ
 يمَشون تُغْضِي الأرضُ منهم هَيْبَةً
 حتى إذا قُتِحَتْ لهم أطرافُها
 يا مَنْ لَهُ عِزُّ الشِّفَاعَةِ وَحُدَّةُ
 عرشِ الْقِيَامَةِ أَنْتَ تَحْتَ لَوَائِهِ
 تروِي وتَسْقِي الصَّالِحِينَ ثَوَابَهُمْ
 أُمْلِ هذا ذُقْتَ في الدُّنْيَا الطَّوَى
 لي في مَدِيحِكَ يَا رَسُولُ عَرَائِسُ
 هُنَّ الْحَسَنَاتُ ، فَإِنْ قَبِلْتَ تَكْرُمًا
 أَنْتَ الَّذِي نَظَّمْتَ الْبِرَّةَ دِينَهُ
 الْمُصْلِحُونَ أَصَابِعُ جُمِعَتْ يَدًا
 مَا جِئْتُ بِأَبْكَ مَادِحًا ، بَلْ دَاعِيًا
 أَدْعُوكَ عَنْ قَوْمِي الضَّعَافِ لِأَزْمَةٍ
 أَدْرِي رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ نَفُوسَهُمْ
 رَقَدُوا ، وَغَرَّهُمْ نَعِيمٌ بَاطِلٌ

برِد ففِيهِ كَثِيرَةٌ خَرَسَاءُ
 وَاسْتَأْصَلُوا الْأَصْنَامَ ، فَهِيَ هَبَاءُ
 وَبِهِمْ حِيَالٌ نَعِيمِهَا إِغْضَاءُ
 لَمْ يُطْغِيهِمْ تَرْفٌ وَلَا نَعْمَاءُ
 وَهُوَ الْمَتَرَةُ ، مَا لَهُ شَفْعَاءُ
 وَالْخَوْضُ أَنْتَ حِيَالُهُ السَّقَاءُ
 وَالصَّالِحَاتُ ذَخَائِرُ وَجْزَاءُ
 وَانْشَقَّ مِنْ خَلْقِي عَلَيْكَ رِدَاءُ ؟
 تُبَيِّنُ فَيْكَ ، وَشَاقِهِنَّ جَلَاءُ
 فَمُهِورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسَنَاءُ
 مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُمُ الشُّعْرَاءُ ؟
 هِيَ أَنْتَ ، بَلْ أَنْتَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
 وَمَنْ الْمَدِيحُ تَضَرَّعٌ وَدُعَاءُ
 فِي مِثْلِهَا يُلْقَى عَلَيْكَ رَجَاءُ
 ثِقَّةٌ ، وَلَا جَمْعُ الْقُلُوبِ صَفَاءُ
 وَنَعِيمٌ قَوْمٍ فِي الْقَيُودِ بَلَاءُ

* * *

ظَلَمُوا شَرِيعَتَكَ الَّتِي نَلْنَا بِهَا
 مَشَتْ الْحَضَارَةُ فِي سَنَاهَا ، وَاهْتَدَى
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَحِبَ الدُّجَى
 وَاسْتَقْبَلَ الرُّضْوَانَ فِي عُرْفَاتِهِمْ
 خَيْرُ الْوَسَائِلِ ، مَنْ يَقَعُ مِنْهُمْ عَلَى

مَا لَمْ يَنْلُ فِي رُومَةِ الْفَقْهَاءِ
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهَا السَّعْدَاءُ
 حَادٍ ، وَحَتَّتْ بِالْقَلَا وَجَنَاءُ
 بِجَنَانِ عَدْنٍ أَلَّكَ السُّمَحَاءُ
 سَبَبُ إِلَيْكَ فَحَسْبِيَ الزَّهْرَاءُ

صدى الحرب *

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب
وما السيف إلا آية الملك في الورى
فأدب به القوم الطغاة ؛ فإنه
وداؤ به الدُّولات من كلِّ دائها
تنامُ خُطوبُ الملك إن بات ساهراً
أمةً الليالي أن نراعِ بحدث
ومملكة اليونان محولة العرى
هددت أمير المؤمنين كيائها
وما زال فجراً سيفُ عثمان صادقاً
إذا ما صدعت الحادثات بحده
وهاب العدا فيه خلافتك التي
ويُنصر دين الله أيان تُضرب
ولا الأمر إلا للذي يتغلب
لِنِعَم المربي للطغاة المؤدب
فنعم الحسامُ الطبُّ والمُتطبِّب
وإن هو نام استيقظت تنالِب
وأرمينيا ثكلى ، وهوران أشيب
رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب
بأسطع مثل الصبح لا يتكذب^١
يُساربه من عالي ذكائك كوكب^٢
تكشفت داجي الخطب ، وانجابه غيب
لهم مأرب فيها والله مأرب

* * *

أبوة أمير المؤمنين

سما بك يا عبد الحميد أبوة^١ ثلاثون ، حُضَّارُ الجلالة غيب
قياصر أحياناً ، خلائف تارة خواقين طوراً ، والفَخار المقلب

* في وصف الوقائع العثمانية اليونانية .

١ الخطاب للسلطان عبد الحميد .

٢ معناه : لكل فجر كوكب يناره ويصعبه ، وفجر هذا السيف رأيك الوضاء ، وما منحت من نادر الذكاء .

نجومُ سعودِ الملك ، أقمارُ زهوي
تواصوا به عصراً فعصراً ، فزاده
همُ الشمسُ ، لم تبرح سِماواتِ عَزَّها
لو أن النجومَ الزَّهرَ يجمعُها أب
مُعَمَّمُهم من هَيْبَةٍ والمُعَصَّبُ^١
وفينا ضحاها والشعاعُ المحبِّ

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعَرْشٍ ينهض الدهرُ دونه
مَكِينٍ على متن الوجود ، مُؤَيَّدٍ
تَرَقَّتْ له الأسواءُ ، حتَّى أرتقيته
فكنتَ كعين ، ذاتِ جُري ، كمينِ
موكَّلةً بالأرض ، تنسابُ في الثرى
فأحييتَ ميثاقاً ، دارسَ الرسم ، غابراً
وشدَّتْ مناراً للخلافةِ في الوري
سهرتَ ، ونام المسلمون بغبطةٍ
فنبَّهنا الفتحُ الذي ما بفجرو
خشوعاً ، وتخشاه الليالي وترهبُ
بشمسٍ استواءٍ ماها الدهرُ مغرب
فقتتَ بها في بعض ما تتكَبُّ
تفيض على مرِّ الزمانِ وتغلبُ
فيحيا ، وتجري في البلاد فتخصبُ
كأنك فيما جئتَ عيسى المقرب^١
تشرقُ فيهم شمسُهُ ، وتغربُ
وما يزعجُ النومَ والساهرُ الأب ؟
ولا بك - يا فجرَ السلام - مُكذَّبُ

حلم عظيم ويطش أعظم

خُسامُك من سقراطٍ في الخطبِ أخطَبُ
وعودُك من عُودِ المنابرِ أصْلَبُ
وعزْمُك من هوميَرٍ أمضى بذيَّةٍ
وأجلى بياناً في القلوبِ ، وأعذبُ^٢

١ معممهم : ذو العمامة منهم ، وكذا المعصب ، هو أيضاً المتوج ، والعمامة والمعصبة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان .

٢ الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار ، ودوس : أي بلي وعفا .

٣ هوميَر أكبر شعراء اليونان الأقدمين .

وإن يذكروا إسكندراً وفتوحه
وملكك أرقى بالدليل حكومة
ظهرت أمير المؤمنين على العدا
سل العصر، والأيام، والناس: هل نبا
هم ملأوا الدنيا جهاماً، وراءه
فلما استللت السيف أخلب برقهم
أخذتهم، لا مالكين لحوضهم
ولم يتكلف قومك الأسد أهبه
كذا الناس: بالأخلاق يبقى صلاحهم
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها

فعهدك بالفتح المحجل^١ أقرب
وأنفذ سهماً في الأمور، وأصوب
ظهوراً يسوء الخاسدين ويتعب
لرأيك فيهم، أو لسيفك مضرب
جهام من الأعوان أهذى وأكذب^٢
وما كنت - يا برق المنيّة - تخلب^٣
من الذود إلا ما أطلوا وأسهبوا
ولكن خلقاً في السباع التأهب
ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب
حسام مئزر، أو يراع مهذب

معجزات الجنود على الحدود

ملك سبيلهم: ففي الشرق مضرب
ثمانون ألفاً أسد غاب، ضراغم
إذا حلت فالشتر وشنان حالم
فيالق أفشى في البلاد من الصبحي
وتصبح تلقاهم، وتوسي تصدّهم
تلوح لهم في كل أفق، وتعتلي
وتقدم إقدام الليوث، وتنثني

لجيشك ممدود، وفي الغرب مضرب
ها مختلب فيهم، وللמות مخلب
وإن غضبت فالشر يقظان مغضب
وأبعد من شمس النهار وأقرب
وتظهر في جد القتال وتلعب
وتطلع فيهم من مكان، وتغرب
وتدبر علماً بالوعى، وتعقب^٤

١ المحجل: المضيء المشرق.

٢ الجهام: السحاب العظيم الذي لا ماء فيه. وهذى في الكلام: أكثر منه في خطأ.

٣ أخلب برقهم: بطل وعيدهم وتخلب، أي تخدع.

٤ أدبر: ولى. وتعقب: أي تعود.

وتملك أطرافَ الشعاب ، وتلتقي
وتغشى آياتِ المعازل والدُّرا
يقودُ سراياها ، ويحمي لواءها
يجيءُ بها حيناً ، ويرجعُ مرةً
ويرمى بها كالبحر من كلِّ جانبٍ
ويُنفضُّها من كلِّ شعب ، فتلتقي
ويجعلُ ميقاناً لها تنبئُ له
فظلت عيونُ الحربِ حيرى لما ترى
تبالغ بالرامي ، وتزهو بما رمى
وتثني على مُزجي الجيوش بيلدز
وما الملك إلا الجيشُ شأنًا ومظهرًا

وتأخذُ عفواً كلَّ عالٍ ، وتغصبُ
فنيهِنَّ البكرُ ، والبكرُ نيبٌ^١
سديدُ المزايا في الحروب ، مُجربُ
كما تدفعُ اللجَّ البحارُ وتُجذبُ
فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضربُ^٢
كما يتلاقى العارضُ المتشعبُ
كما دارٌ يلقى عقربَ السَّيرِ عقربُ^٣
نواظرُ ما تأتي الليوثُ وتُغربُ^٤
وتعجبُ بالقواد ، والجندُ أعجبُ
ومُلهمها فيما تنال وتكسبُ^٥
ولا الجيشُ إلا ربُّه حين يُنسبُ

زينب بنت عثمان

تُحذِّرني من قومها التركِ زَيْبُ
وتُكثِرُ ذكْرَ الباسلين ، وتنثي
وتسحبُ ذيلَ الكبرياء ، وهكذا
وزينبُ إن تاهت ، وإن هي فآخرت
يؤلَّفُ إيلاؤُ الحوادثِ بيننا

وتُعجِمُ في وصفِ الليوثِ وتُعربُ
بعزُّ على عزِّ الجلال ، وتُعجبُ
يَتَبُّهُ ويختالُ القويُّ المقلبُ
فما قومُها إلا العَشِيرُ المحبُّ
ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهبُ

١ الثيب : نقيض البكر .

٢ الخميس : الجيش .

٣ انبرى له : اعترض .

٤ أغرب الرجل : أتى بشيء غريب .

٥ أزجى الجيش : ساقه .

نَمَا الْوُدُّ حَتَّى مَهَّدَ السَّبْلَ لِلْهُوَى فَمَا فِي سَبِيلِ الْوَصْلِ مَا يُتَصَعَّبُ
وَدَانِي الْهُوَى مَا شَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا قَلَمَ يَبْقَى إِلَّا الْأَرْضُ ، وَالْأَرْضُ تُقْرَبُ

الحالة في بحر الروم

رَكِبْتُ إِلَيْهَا الْبَحْرَ ، وَهُوَ مَصِيدَةٌ تُمَدُّ بِهَا سَفْنُ الْحَدِيدِ ، وَتُنْصَبُ
تَرْوَحُ الْمَنَائَا الرُّزْقُ فِيهِ : وَتَغْتَدِي وَمَا هِيَ إِلَّا الْمَوْجُ بِأُتَى ، وَيَذْهَبُ
وَتَبْدُو عَلَيْهِ الْفَلَكَ شَيْءٌ ، كَأَنَّهَا بُوُزٌ تَرَاغِيهَا عَلَى الْبَدَنِ أَعْقَبُ^١
حَوَامِلُ أَعْلَامِ الْقِيَاصِرِ ، حُضُرٌ عَلَيْهَا سَلَاطِينُ الْبَرِّيَّةِ ، عُيْبُ
تُجَارِي خُطَاهَا الْحَادِثَاتِ ، وَتَقْتَنِي وَتَطْفُو حَوَالِيهَا الْخُطُوبُ ، وَتَرْشَبُ
وَيُوشِكُ يَجْرِي الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا دَمًا إِذَا جَمَعَتْ أَثْقَالَهَا تَتَقَرَّبُ
فَقُلْتُ : أَأَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ مَا أَرَى أَمْ الْحَرْبُ أَدْنَى مِنْ وَرِيدٍ وَأَقْرَبُ^٢
أَمَانًا أَمَانًا لُجَّةَ الرُّومِ لِلرُّومِ لَوْ أَنَّ أَمَانًا عِنْدَ دَأْمَاءٍ يُطْلَبُ^٣
كَأَنِّي بِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ مُلَمَّةٌ وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا حَوْضُكَ الْمَتَضَرِّبُ
فَأَزْعَجَ مَغْبُوطٌ ، وَرُوعَ آمِنٌ وَغَالَ سَلَامُ الْعَالَمِينَ التَّعَصُّبُ
فَقَالَتْ : أَطَلْتَ الْهَمَّ ، لِلخَلْقِ مَلْجَأٌ أَبْرُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَحْدَبُ
سَلَامٌ الْبَرَايَا فِي كَلَاءَةِ فَرْقَدٍ يَبْلُدُ لَا يَغْفُو ، وَلَا يَتَغَيَّبُ^٤
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَوَابِلُ مِنْ الْغَوْتِ ، مُنْهَلٌ عَلَى الْخَلْقِ ، صَيَّبُ
رَأَى الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى ، فَوَالِي انْهَالِهِ فَبَادَتْ ، وَكَانَتْ جَمْرَةً تَتْلَهَّبُ

١ بُوُزٌ : جمع باز وأعقب جمع عقاب ، وكلاهما من جوارح الطير .

٢ الأشراف : جمع شرط ، وهو العلامة .

٣ لجة الروم : بحر الروم .

٤ كلاءة : أي حفظ .

منعة السواحل العثمانية

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمَّتها
أخوض الليالي من غبابٍ ، ومن دُجى
إلى مُلكِ عثمانَ الذي دونَ حوضه
فلاح يباغي النجمَ صرَّحَ مُثقبُ
بروجُ أغارتها المَنونُ عيونها
رواسي ابتداعٍ في رواسي طبيعةٍ
فقتُ أجيلُ الطرفِ حيرانَ قائلاً :
فقتلَ بناءَ التركِ لم يَبْنِ مشرقُ
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارجِ دونهُ
إذا طاش بين الماء والصخر سهمُها
يُسدِّده عزريلُ في زيِّ قاذفٍ
قدائفُ تخشى مُهَجَّةَ الشمسِ كلَّما
إذا صُبَّ حامياها على السفنِ انثنت
سلِ الرُّومَ : هل فيهنَّ لِلْفلكِ حيلةُ
تذبذبُ أسطولاها مُمَّ فدعتها
فلا الشرقُ في أسطوله مُتَيِّ الحِمى

وقد تُركِبُ الحاجاتُ ما ليس يُركَّبُ
إلى أفقٍ فيه الخليفةُ كوكبُ
بناء العوالي المشمخِرُ المُطَّبُ
على الماء ، قد حاذاه صرَّحُ مُثقبُ
لها في الجواري نظرةٌ لا تُحِيبُ
تكادُ ذراها في السحابِ تغيبُ
أهلدي ثغورُ التركِ أم أنا أحسبُ ؟
ومثلَ بناءِ التركِ لم يَبْنِ مغربُ
حوائرُ ، ما يدرين ماذا تحوَّبُ ؟
أناها حديدُ ما يطيشُ ، وأسربُ^١
وأيدي المنايا ، والقضاءُ المُكْرَبُ
عَلَّتْ مُضْعِداتُ ، أنها لا تُصَوَّبُ^٢
وغانمُها الناجي ، فكيف المحيَّبُ ؟
وهل عاصِمُ منهنَّ إلا التَنكِبُ^٣ ؟
إلى الرُّشدِ نارٌ نَمَّ لا تَتَذَبذبُ
ولا الغربُ في أسطوله مُهَيَّبُ

١ الأسرب : الرصاص .

٢ معناه : إذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطيء هدفها وأن تسمر صاعدة فتصيب مهجتها .

٣ الضمير في « فيهن » ومنهن راجع للقنابل . والتنكب : العدول والتجنب .

زينب المتطوعة في موقعة

وما راعني إلا لواء مُحَضَّبٌ هنالك يحميه بنانٌ مُحَضَّبٌ^١
 فقلتُ : من الحامي ؟ أليثُ غَضَنَفَرٌ من الترك ضار ، أم غزال مُرَبِّبٌ ؟
 أم الملكُ الغازي المجاهدُ قد بدا أم النجمُ في الآراد ، أم أنت زَيْنَبُ ؟
 رفعتُ بناتِ الترك ، قالت : وهل بنا بناتِ الضواري أن نصول نَعَجَبُ ؟
 إذا ما الديار استصرختُ بدرتُ لها كرائمُ منها بالقنا تنقُبُ
 تقربُ ربَّاتُ البعولِ بعولَها فإن لم يكنْ بعْلٌ فنفساً تُقَرِّبُ
 ولاحتُ بأفاقِ العدوِّ سرِّيَّةُ فوارسُ تبدُّو تارةً ، وتَحَجَّبُ
 نواهضُ في حزنٍ كما تنهضُ القطا رواكضُ في سهلٍ كما انساب ثُغْلُبُ^٢
 قليلون من بُعدٍ ، كثيرون إن دنوا لهم سَكَنٌ آناً ، وآناً تُهَيَّبُ
 فقالت : شهدتُ الحربَ أو أنتَ مُوشِكُ فَصِفْنَا ، فأنتَ الباسلُ المتأدِّبُ
 ونادت ، قلِّ الخيلُ من كل جانبٍ ولبى عليها القَسُورُ المترقِّبُ
 خيفافاً إلى الداعي ، سِراعاً ، كأنها من الحربِ داعٍ للصلاة مُتَوِّبُ
 مُنِيفين من حول اللواء ، كأنهم له معقِلٌ فوق المعازلِ أغْلِبُ
 وما هي إلا دعوةٌ وإجابةٌ ان التَحَمَّتْ ، والحربُ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ^٣
 فأبصرتُ ما لم تُبصرَ من مشاهدٍ ولا شهدتُ يوماً معدًُّ وَيَعْرَبُ

١ اللواء المحضَّب : هو الراية الثمانية الحمراء . ويحميه بنان محضَّب : أي أنثى خضوبة البنان .

٢ الحزن : ما غلظ من الأرض .

٣ بكر وتغلب : قيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبه المقاتلين بها جيد .

مضيق ملونا

جبالَ ملونا ، لا تخوري وتجزعي
 فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركباً
 علّوا فوقَ علياءِ العدوِّ ، ودونه
 فكان صراطُ الحشرِ ، ما ثمَّ ريةٌ
 يمرُّونَ مرَّ البرقِ تحتَ دُجَيْتِهِ
 حثيثين من فوقِ الجبالِ وتحتها
 تُبِيدُهُمْ قُدَّافُهُمْ ورُمَائُهُمْ
 تُذَرِّي بها شُمَّ الدُّرِّ حينَ تعثي
 تُسَمِّرُ في رأسِ القِلاعِ كُرَائِهَا
 فلما دجى داجي العَوانِ وأطبقت
 ورُدَّتْ على أعقابها الرومُ ، بعد ما
 جناحين في شبه الشباكين من قنا
 على قُللِ الأَجبالِ حَيَّرَى جموعَهُمْ
 إذا صعدت ؛ فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ
 تطوَّعَ أسراً منهمُ ذلك الذي
 وتمَّ لنا النصرَ المينَ على العدا
 فجئتُ فتاةَ التركِ أجزِي دِفاعَها

إذا مال رأسٌ ، أو تضعضع منكب
 وما كان يستعصي على التركِ مركب
 مَضِيقٌ كحلقِ الليثِ ، أو هو أصعب
 وكانوا فريقَ الله ، ما ثمَّ مُذنب
 دُخَاناً ، به أشباحُهُم تتجلبب
 كما انهارَ طُودٌ ، أو كما انهارَ مِذْنَبٌ^١
 ينارُ كثيرانِ البراكينِ تدأب
 ويسفحُ منها السفحُ إذ تتصبب
 ويسكن أعجازَ الحصونِ المِذْنَبُ^٢
 تبُلُجُ والنصرُ الهلالُ المحجَّبُ
 تنائرُ منها الجيشُ ، أو كاد يذهب
 وقلباً على حرِّ الوغى يتقلَّبُ
 شواخصُ ، ما إن تهتدي أين تذهب^٣
 وإن نزلت ؛ فالنارُ حمراءُ تلهب
 تطوَّعَ حرباً ، والزمانُ تقلَّبُ
 وفتحُ المعالي ، والنهارُ المذهبُ
 عن المُلْكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجب

١ المذنب : مسيل الماء إلى الأرض .

٢ المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة .

٣ القلة : أعلى الرأس .

فَقَبَلْتُ كَفًّا كَانَ بِالسِّيفِ ضَارِبًا وَقَبَلْتُ سِيفًا كَانَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ
وَقَلْتُ : أَفِي الدُّنْيَا لِقَوْمِكَ غَالِبٌ وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحِجْرِ رُبُّوْا وَهَذَّبُوا ؟
رَوَيْدًا بَنِي عَثْمَانَ فِي طَلَبِ الْعَلَا وَهِيَهَاتَ ، لَمْ يَسْتَبِقْ شَيْءٌ فَيُطْلَبُ
أَفِي كُلِّ آتٍ تَغْرِسُونَ ، وَنَجْنِي وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَفْتَحُونَ ، وَنَكْتُبُ ؟
وَمَا زِلْتُمْ يَسْقِيكُمْ النُّصْرُ خَمْرَهُ وَتَسْقُونَهُ ، وَالْكَلُّ نَشْوَانُ مَصَابِ
إِلَى أَنْ أَحَلَّ السُّكْرُ مَنْ لَا يُحِلُّهُ وَمَدَّ بِسَاطِ الشُّرْبِ مَنْ لَيْسَ يَشْرَبُ

الحاج عبد الأزل باشا

وَأَشْمَطَ سَوَاسِ الْفَوَارِسِ أَشِيبُ يَسِيرُ بِهِ فِي الشَّعْبِ أَشْمَطُ أَشِيبُ^١
رَفِيقًا ذَهَابٍ فِي الْحُرُوبِ وَجِيئَةً قَدْ اصْطَحَبَا ، وَالْحَرُّ لِلْحَرِّ يَصْحَبُ
إِذَا شَهِدَاهَا جَدَا هِزَّةَ الصَّبَا كَمَا يَتَصَاوَى ذُو ثَمَانِينَ يَطْرَبُ
فِيهِزُّ هَذَا كَالْحَسَامِ ، وَيَنْثِي وَيَنْفِرُ هَذَا كَالْفِرَالِ ، وَيَلْعَبُ
تَوَالِي رِصَاصُ الْمَطْلِقِينَ عَلَيْهَا يُخْضَلُ مِنْ شَيْبَهَا وَيُخْضَبُ
فَقِيلَ : أُنْزِلْ أَقْدَامَكَ الْأَرْضَ ، إِنَّهَا أَبْرُ جَوَادًا إِنْ فَعَلْتَ وَأَنْجَبُ
فَقَالَ : أَيْرِضَى وَاهِبُ النُّصْرِ أَنَا نَمُوتُ كَمُوتِ الْغَانِيَاتِ وَنَعْطَبُ ؟
ذُرُونِي وَشَأْنِي وَالْوَعَى ، لَا مَبَالِيَا إِلَى الْمَوْتِ أَمْشِي ، أَمْ إِلَى الْمَوْتِ أَرْكَبُ ؟
أَيَحْمِلَنِي عُمْرًا ، وَيَحْمِي شَيْبَتِي وَأَخْذُلُهُ فِي وَهْنِهِ وَأُخَيِّبُ^٢
إِذَا نَحْنُ مَتْنَا فَادَفَنُونَا بِيَقَعَةٍ يَظَلُّ بِذِكْرَانَا ثَرَاهَا يُطَيَّبُ

١ المصاب : من شرب حتى ارتوى .

٢ الأشمط : الذي يخالط بياض رأسه سواد ، والمراد بالأول : الفارس وبالتالي : قرسه .

٣ الرهن : الضعف ، والمعنى : ليس من الوفاء ، ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه مني في شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبي منه الصبر على الأهوال ، والمعاونة على القتال .

ولا تعجبوا أن تبسل الخيل ، إنها
فاتا أمام الله موتاً بسالة
وما شهداء الحرب إلا عماؤها
مداد سجل النصر فيها دماؤهم
فهل من ملونا موقفاً ومسامع
فأسأل حصنيها العجيين في الوري
وأستشهد الأطواد شماء . والنرا
هل البأس إلا بأسهم وثباتهم ؟
أو الدين إلا ما رأت من جهادهم ؟
وأني فضاء في الوغى لم يُصَيِّقوا ؟
وهل قبلهم من عانق النار راغباً
وهل نال ما نالوا من الفخر حاضر ؟
سلاماً ملونا . واحتفاظاً . وعصمة
وضي بـعظم في ثراك مُعظم

ها - مثل ما للناس - في الموت مشرب
كأنها فيه مثال منصب
وإن شيد الأحياء فيها وطبوا
وبالتبر من غالي ثراهم يترب
ومن جليها منبر لي فأخطب ؟
ومدخلها الأعصى الذي هو أعجب ؟
بواذخ ، ثلوي بالنجوم وتجذب ؟
أو العزم إلا عزمهم والتلب ؟
أو الملك إلا ما أعزوا وهبوا ؟
وأني مضيق في الوري لم يُرحبوا ؟
ولو أنه عبأها المترهب ؟
وهل حبي الخالون منه الذي حبوا ؟
لمن بات في عالي الرضى يتقلب
يقربه الرحمن فيما يُقرب

هزيمة طرناو

وطرناو إذ طار الدهول بجيشها
عشيّة ضاقت أرضها وسماؤها

وبالشعب فوضى في المذاهب يذهب
وضاق فضاء بين ذاك مُرحب

١ الشماء : المرتفعة .

٢ التلب : من تلب الرجل للحرب : تحزم وتشم لها .

٣ حباه الشيء : أعطاه إياه .

خَلَّتْ مِنْ بَنِي الْجَيْشِ الْحَصُونُ ، وَأَقْفَرَتْ
وَنَادَى مَنَادٌ لِلْهَزِيمَةِ فِي الْمَلَا
فَأَعْرَضَ عَنْ قُوَادِهِ الْجُنْدُ شَارِدًا
وَطَارَ الْأَهَالِي ، نَاقِرِينَ إِلَى الْفَلَا
نَجَّوْا بِالنَّفُوسِ الذَّاهِلَاتِ ، وَمَا نَجَّوْا
وَطَالَتْ يَدٌ لِلْجَمْعِ فِي الْجَمْعِ بِالْحَتَا
يَسِيرُ عَلَى أَشْلَاءٍ وَالِدُهُ الْفَتَى
وَتَغْضِي الْمَرَايَا وَاطِّاتٍ بِخَيْلِهَا
فَمِنْ رَاحِلٍ تَهْوِي السُّنُونُ بِرِجْلِهِ
وَمَاضٍ بِمَالٍ قَدْ مَضَى عَنْهُ مَالُهُ
يَكَادُونَ مِنْ ذُعْرِ تَقَرُّ دِيَارِهِمْ
يَكَادُ الثَّرَى مِنْ تَحْتِهِمْ يَلْجُ الثَّرَى
تَكَادُ خُطَاهُمْ تَسْبِقُ الْبَرْقَ سُرْعَةً
تَكَادُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ تَقْطَعُ الْمَدَى
تَكَادُ تَعْسُ الْأَرْضَ مَسًّا تَعَالَهُمْ
هَزِيمَةً مِنْ لَا هَازِمٌ يَسْتَحِثُّهُ
قَعْدَنَا ، فَلَمْ يَعْدَمْ فَتَى الرُّومِ قَيْلَقًا
ظَفَرْنَا بِهِ وَجْهًا ، فَظَنَ تَعَقُّبًا
فَوَلَّى ، وَمَا وَلَّى نِظَامُ جُنُودِهِ
يَسُوقُ وَيَخْلُو لِلنَّجَاةِ كِتَابِيًا
مَنْظُمَةً مِنْ حَوْلِهِ ، يَبْدُ أَنَّهَا

مَسَاكِنُ أَهْلِهَا ، وَعَمَّ التَّخْرُبُ
وَإِنَّ مُنَادِي التُّرْكِ يَدْنُو وَيَقْرُبُ
وَعَلَّمَهُ قُوَادُهُ كَيْفَ يَهْرُبُ
مُتَيْنٌ ، وَالْأَفَا تَهَيَّمُ وَتَسْرُبُ
بَغِيرَ يَدٍ صِفَرٌ ، وَأُخْرَى تَقْلُبُ
وَبِالسَّلْبِ ، لَمْ يَمْدُدْ بِهَا فِيهِ أَجْتَبُ
وَيَتَسَّى هُنَاكَ الْمَرْصَعُ الْأُمُّ وَالْأَبُ
أَرَامِلَ تَبْكِي ، أَوْ ثَوَاكِلَ تَنْدُبُ
وَمِنْ فَارِسٍ تَمْشِي النِّسَاءُ ، وَيَرْكَبُ
وَمُزْجٍ أَثَاثًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ يُنْهَبُ
وَتَنْجُو الرُّوَاسِي لَوْ حَوَاهُنَّ مَشْعَبُ^١
وَيَقْضِمُ بَعْضُ الْأَرْضِ بَعْضًا وَيَقْضِبُ
وَتَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ أَيَّانَ تَذْهَبُ
وَتَنْفِذُ مَرْمَاهَا الْبَعِيدَ وَتَحْجُبُ
وَلَوْ وَجَدُوا سُبُلًا إِلَى الْجَوِ نَكَبُوا
وَلَا طَارِدٌ يَدْعُو لَذَاكَ وَيُوجِبُ
مِنْ الرِّعْبِ يَغْزُوهُ ، وَآخِرَ يَسْلُبُ
وَمَاذَا يَزِيدُ الظَّافِرِينَ التَّعَقُّبُ ؟
وَيَا شَوْمَ جَيْشٍ لِلْفِرَارِ يَرْتُبُ
لَهُ مُوَكَّبٌ مِنْهَا ، وَلِلْعَارِ مُوَكَّبُ
تَوَدُّ لَوْ انْشَقَّ الثَّرَى فَتُعْيَبُ

١ معناه تعدى بعضهم على بعض بالقمحش والسب . والأجنب الأجنبي ، والمراد : الترك .

٢ الرواسي : الجبال .

مؤزرة بالرعب ، ملدوغة به
تري الخيل من كل الجهات تحيلاً
فمن خلفها طوراً ، وحيناً أمامها
فوارس في طول الجبال وعرضها
فهما تهم يسبح لها ذو مهئد
وتثزل عليها من سماء خيالها
رؤى إن تكن حقاً يكن من ورائها

ففي كل ثوبٍ عقرب منه تلسب^١
فيأخذ منها وهمها والتهيب
وآونة من كل أوبٍ تألب
إذا غاب منهم مقنب لاج مقنب
ويخرج لها من باطن الأرض محرب^٢
صواعق فيهن الردى المتصبب
ملائكة الله الذي ليس يغلب^٣

التلاقي على سهل فرسالا

وفرسأل إذ باتوا وبتنا أعادياً
وقام فتاناً الليل يحمي لواءه
توسد هذا قائم السيف يتي
وهل يستوي القرنان : هذا منعم
حمينا كلانا أرض فرسالا والسماء
ورحنا يهب الشرفينا وفيهم
كأنا أسود رابضات ، كأنهم
كأن خيام الجيش في السهل أبتق
كان السرايا ساكنات مواجاً

على السهل لداً ، يرقبون ، ونرقب
وقام فتاهم ليله يتلعب
وهذا على أحلامه يتحسب
عريز ، وهذا ذو تجارب قلب ؟
فكل سبيل بين ذلك معطب
وتشمل أرواح القتال وتجنب
قطع بأقصى السهل ، حيران ، مذنب
نواشز ، فوضى ، في دجى الليل شرب^٤
قطائع ، تعطى الأمن طوراً ، وتسلم

- ١ أزره : غطاء وقواه . وتلسب : أي تلدغ .
- ٢ المحرب : الشجاع الشديد في الحرب .
- ٣ الرؤى : جمع رؤيا ، وهي المنام .
- ٤ الأبتق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة .

كَانَ الْقَنَا دُونَ الْخِيَامِ نَوَازِلًا
 كَانَ الدُّجَى بِحَرِّهِ إِلَى النَّجْمِ صَاعِدًا
 كَانَ الْمَنَابِإُ فِي ضَمِيرِ ظِلَامِهِ
 كَانَ صَهِيلُ الْخَيْلِ نَاعٍ مَبْشُرًا
 كَانَ وَجْهُ الْخَيْلِ عُرٌّ وَسِيمَةً
 كَانَ أَنْوْفُ الْخَيْلِ حَرَّى مِنَ الْوُغَى
 كَانَ صُدُورُ الْخَيْلِ عُذْرٌ عَلَى الدُّجَى
 كَانَ سَنَى الْأَبْوَاقِ فِي اللَّيْلِ بَرْقُهُ
 كَانَ نَدَاءُ الْجَيْشِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 كَانَ عَيُونُ الْجَيْشِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ
 كَانَ الْوُغَى نَارًا ، كَانَ جُنُودُنَا
 كَانَ الْوُغَى نَارًا ، كَانَ الرَّدَى قَرَى
 كَانَ الْوُغَى نَارًا ، كَانَ بَنِي الْوُغَى
 وَثَبْنَا يَضِيقُ السَّهْلَ عَنْ وَثَبَاتِنَا
 مَشَتْ فِي سَرَايَاهُمْ ، فَحَلَّتْ نِظَامَهَا
 جَدَاوِلُ ، يُجْرِهَا الظَّلَامُ . وَيَسْكَبُ
 كَانَ السَّرَايَا مَوْجَهُ الْمُتَضَرَّبُ
 هُمُومٌ بِهَا فَاضَ الضَّمِيرُ الْمُخْجَبُ
 تَرَاهُنَ فِيهَا ضُحُكًا وَهِيَ نُحْبُأ
 دَرَارِيٌّ لَيْلٍ طُلُعَ فِيهِ نُقْبُ
 بِحَامِرٌ فِي الظُّلُمَاءِ تَهْدَا وَتَلْهَبُ
 كَانَ بَقَايَا النُّضْجِ فِيهِنَّ طُحْلُبُ
 كَانَ صَدَاهَا الرِّعْدُ لِلْبَرْقِ يَصْحَبُ
 دَوِيٌّ رِيَّاحٍ فِي الدُّجَى تَتَذَابُ^١
 مِنَ السَّهْلِ جَنُّ جَوْلٍ فِيهِ جُوبُ^٢
 بِمُجُوسٍ إِذَا مَا يَمَّمُوا النَّارَ قَرَّبُوا^٣
 كَانَ وَرَاءَ النَّارِ حَاتِمٌ يَأْدِبُ^٤
 قَرَّاشٌ . لَهُ فِي مَلَمَسِ النَّارِ مَأْرَبُ
 وَتَقْدُمُنَا نَارٌ إِلَى الرُّومِ أَوْثَبُ
 فَلَمَّا مَشِينَا أَدْبَرْتُ ، لَا تُعْقَبُ

غضب دوموقور

رَأَى السَّهْلُ مِنْهُمْ مَا رَأَى الْوَعْرُ قَبْلَهُ فَيَا قَوْمَ ، حَتَّى السَّهْلُ فِي الْحَرْبِ يَصْعَبُ؟

-
- ١ نَحْبُ : أَيُّ مَتَحَبَاتٍ بَاكِاتٍ .
 - ٢ تَتَذَابُ الرِّيحُ : نَجْمَةٌ مَرَّةً كَذَا وَمَرَّةً كَذَا .
 - ٣ عَيُونُ الْجَيْشِ : أَرْصَادُهُ وَجَوَاسِيْسُهُ .
 - ٤ قَرَّبُوا اللَّهَ : قَدَّمُوا لَهُ الْقَرْبَانَ .
 - ٥ الْقَرَى : مَا قَرَى بِهِ الضَّيْفُ ، أَيُّ قَدَمٍ لَهُ . وَحَاتِمٌ : هُوَ حَاتِمُ الطَّالِي الْمَضْرُوبِ بِهِ التَّلُّ فِي الْجُودِ .

وحصن تسامي من دموق ، كأنه
أشم على طود أشم . كلاهما
تكاد تفاد الغاديات لربّه
حمته ليوث من حديد تركزت
تنور وتستأني ، وتناى وتدني
تأبى ، فظنّ العالمون استحالة
فما في القوى أن السماوات تُرتقى
سموتم إليه . والقنابل دونه
فكتم يواقيت الحروب كرامة
صعدتم ، وما غير القنا ثم مصعد
كما ازدحمت بيزان جو بمورد
فما زلتم حتى نزلتم بروجه
هنالك غالي في الأماديح مشرق
وزيد حمى الإهلام عزاً ومنعة
رفعنا إلى النجم الرؤوس بنصركم
ومن كان منسوباً إلى دولة القنا

مُعَشَّش نَسِير ، أو بهذا يلقب
مَنون المُفَاجِي ، والحِجَامُ المَرَحِبُ
فَيَزِجِي ، وتُزَمُّ الرِيَّاحُ فَيَرَكِبُ^١
على عَجَل ، واستجمعت ترقب
وتغدو بما تغدي ، وترمي وتنشب^٢
وأعيا على أوهامهم ، فترَيُّوا
بجيش ، وأن النجم يُعْشَى فيُغْضِبُ
وشهب المنايا ، والرصاص المَصُوبُ
على النار ، أو أتم أشد وأصلب^٣
ولا سَلَمٌ إلا الحديد المذرب^٤
أو ارتفعت تلقى الفريسة أعقب
ولم تحتضر شمس النهار فتغرب
وبالغ فيكم آل عثمان مغرب
ورُدَّ جِجَاحُ العصر ، فالعصر هيب
وكنا بحكم الحادثات نصوب
فليس إلى شيء سوى العز يُنسب

أحلام اليونان

فيا قوم . أين الجيش فيما زعمتم ؟ وأين الجوّاري . والدفاع المركب ؟

١ الغاديات : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة .

٢ استأني : انتظر . وأدنى : اقترب .

٣ يقال : إن الياقوت لا يحترق بالنار .

٤ الحديد المذرب : المسوم ، وذرب السيف : حده .

وأين أمير البأس والعزم والحجى ؟
 وأين نخوم تستيحون دوسها ؟
 وأين الذي قالت لنا الصحف عنكم
 وما قد روى برق من القول كاذب
 وما شيدتم من دولة عرضها الثرى
 لها علم فوق الهلال ، وسدّة
 أهذا هو الذود الذي تدعونه
 أهذا الذي للملك والعرض عندكم
 أهذا سلاح الفتح ، والنصر والعلا ؟
 أهذا الذي للذكر خلّب معشر
 أسأتم ، وكان السوء منكم إليكم
 إلى ذي انتقام ، لا ينال غريمه
 شقيتم بها من حيلة مستحيلة
 فلولاً سيوف الترك جرب غيركم
 وأين رجاء في الأمير مخيب ؟
 وأين عصابات لكم تتوثب ؟
 وأسند أهلوها إليكم فأطنبوا ؟
 وآخر من فعل المحبين أكذب
 يدين لها الجنسان : ترك وصقلب
 تنص على هام النجوم ، وتنصب
 ونصر «كريد» ، والولا ، والتحب ؟
 وللجار إن أعيأ على الجار مطلب ؟
 أهذا مطايا من إلى المجد يركب ؟
 على ذكرهم يأتي الزمان ويذهب ؟
 إلى خير جار عنده الخير يطلب
 ولو أنه شخص المنام المحجب
 وأين من المحتال عنقاء مغرب ؟
 ولكن من الأشياء ما لا يجرب

عفو القادر

فعفواً - أمير المؤمنين - لأمة
 ضربت على آمالها ، ومالها
 إذا خان عبد السوء مولاه معتقاً
 دعّت قادراً ، ما زال في العفو يرعب
 وأنت على استقلالها اليوم تضرب
 فما يفعل المولى الكريم المهذب ؟

١ التخوم : الحدود .

٢ عنقاء مغرب : طائر من طيور الأساطير .

ولا تضررنَ بالرأي مُنحلَّ ملكهم
لقد فنيَت أرزاقهم ، ورجالهم
فإن يجدوا للنفس بالعودِ راحةً
وإن همَّ بالعمو الكرمِ رجاؤهم
فما زلتَ جارَ البرِّ ، والسيدَ الذي
يُلاقى بعيدُ الأهلِ عندك أهلهُ
فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذبُ ؟
وليس بفانٍ طيشُهم ، والتقلبُ
فقد يشتهي الموتَ المريضُ المعذبُ
فمن كرمِ الأخلاقِ أن لا يُحيَّوا
إلى فضله من عدله الجارُ يهرب
ويمرحُ في أوطانه المتغرب

التماس القبول

أمولاي غنَّتك السيوفُ فأطربت
فغندي - كما عند الطُّبا - لك نعمةٌ
أعربَ ما تُنشئُ علاك ، وإنه
مدحتك والدنيا لسانُ ، وأهلها
أناولُ من شعر الخلافةِ ربُّها
وهل أنت إلا الشمسُ في كل أمةٍ ؟
فإن لم يلقَ شعري لبابك مدحةً
وإني لطيرُ النيلِ ، لا طيرُ غيره
إذا قلتُ شعراً فالقوافي حواضر
ولم أعدم الظلَّ الخصبَ ، وإنما
فلازلتُ كهفَ الدينِ ، والهاديَ الذي
فهل ليراعي أن يُغني فيُطرب
ويختلفُ الأنغامُ للأنس أجلب^١
لني لطفه ما لا ينال المعربُ
جميعاً لسانُ ، يمليان ، وأكتب
وأكسو القوافي ما يدوم فيقشب^٢
فكلُّ لسانٍ في مديحك طيبُ
فمُرْ يفتح بابٌ من العذرِ أرحبُ
وما النيلُ إلا من رياضك يُحسبُ
وبغدادُ بغدادُ ، ويثربُ يثربُ
أجاذبك الظلَّ الذي هو أخصبُ
إلى الله بالرفقى له نتقربُ

١ الطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف أو السنان .

٢ يقشب الشيء : يجمله جديداً .

انتصار الأتراك في الحرب والسياسة

الله أكبر ، كم في الفتح من عَجَب
 صلحٌ عزيزٌ على حربٍ مُظفَّرةٍ
 يا حُسنَ أُمِّيَّةٍ في السيفِ ما كذَّبتْ
 خطاك في الحقِّ كانت كُلُّها كَرَمًا
 حذوتَ حربَ الصلاحيين في زَمَنٍ
 لم يأت سيفُك فحشاءً ، ولا هتكتْ
 سُئِلتَ سِلماً على نصرٍ ، فجُدتَ بها
 مَشِيئَةً قَبْلَتْهَا الخيلُ عاتبةً
 أتيتَ ما يشبه التقوى وإن خُلِقتْ
 ولا أزيدُك بالإسلامِ معرفةً
 مَنَحْتَهُمْ هُدًى من سيفك التَّمِسَّتْ
 أتاَهُمُ منك في «لوزان» داهيةً
 أصمٌ ، يسمعُ سرَّ الكائدين له
 لم تَفترقْ شهواتُ القومِ في أَرَبٍ
 تدرَعَتُ للقاءِ السِّلَمِ «أنقرة»
 فقل لبانٍ بقولٍ رُكنَ مملكةٍ

يا خالدَ التُّركِ جَدُّ خالدِ العَرَبِ^١
 فالسيفُ في غمديه . والحقُّ في الثُّصْبِ
 وطيبه أُمِّيَّةٌ في الرأي لم تَخِبْ
 وأنتَ أكرمُ في حقِّ الدِّمِ السَّرِبِ
 فيه القتالُ بلا شرعٍ . ولا أدب
 قناك من حُرمةِ الرُّهبانِ والصُّنْبِ
 ولو سُئِلتَ بغيرِ النصرِ لم تُجِبْ^٢
 وأذنَ السيفُ مَطوياً على عَضْبِ
 سيوفِ قومِكَ لا ترتاحُ للقُرْبِ
 كلُّ المروءةِ في الإسلامِ والحسبِ
 فهبْ لهم هُدًى من رأيك الصُّرْبِ
 جاءت به الحربُ من حَيَّاتها الرُّقْبِ^٣
 ولا يضيقُ بجَهْرِ المُحتقِ الصَّخْبِ
 إلا قضى وَطراً من ذلك الأَرَبِ
 ومهدَّ السيفُ في لوزانِ للخطْبِ
 على الكتائبِ يُبْنَى المُلْكُ ، لا الكتُبِ

١ خالد الترك : يراد به الغازي مصطفى باشا كمال ، وخالد العرب : هو خالد بن الوليد وله في الحروب الإسلامية صوت بعيد .

٢ الضمير في « بها » : للسلم بالكسر والفتح مؤنثة : بمعنى الصلح والسلام .

٣ الرقب : جمع رقيب ، وهي الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك في مؤتمر (لوزان) ، والمشهور عنه أن في سمعه ضعفاً ، لا تصل إليه إلا الأصوات العالية .

لا تَلْتَمِسْ عِلْبًا لِلْحَقِّ فِي أَمْرٍ
 لا خَيْرَ فِي مَبِيرٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ
 وَمَا السِّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلِّ عُدَّتِهِمْ
 لَوْ كَانَ فِي النَّابِ دُونَ الْخُلُقِ مَنَبَهَةٌ
 لَمْ يُغْنِ عَنْ قَادَةِ الْيُونَانِ مَا حَشَدُوا
 وَتَرَكُّهُمْ «آسِيَا الصَّغْرَى» مُدْجِجَةً
 لِلتَّرْكِ سَاعَاتٍ صَبْرٍ يَوْمَ نَكَبَتْهُمْ
 مَغَارِمٌ ، وَضَحَايَا مَا صَرَخْنَ ، وَلَا
 بِالْفَعْلَى وَالْأَثَرِ الْحَمُودَ تَعْرِفَهَا
 جُمِعْنَ فِي اثْنَيْنِ : مِنْ دِينٍ وَمِنْ وَطَنِ
 فِيهَا حَيَاةٌ لَشُعْبٍ لَمْ يَمُتْ خُلُقًا
 لَمْ يَطْعَمِ الْغَمُضَ جَفْنُ الْمُسْلِمِينَ لَهَا
 كُنَّ الرِّجَاءُ ، وَكُنَّ الْيَأْسُ ، ثُمَّ مَحَا
 تَلَمَّسَ التَّرْكُ أَسْبَابًا ، فَمَا وَجَدُوا
 خَاضُوا الْعَوَانَ رَجَاءً أَنْ تُبَلِّغَهُمْ
 سَفِينَةُ اللَّهِ لَمْ تُقَهِّرْ عَلَى دُسْرٍ
 قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بِجَرَاهَا . وَأَبْدَلَهَا
 وَاخْتَارَ رُبَّانَهَا مِنْ أَهْلِهَا . فَجَنَّتْ
 مَا كَانَ مَاءُ «سَقَارِيَا» سَوَى سَقَرٍ
 لَمَّا انْبَرَّتْ نَارُهَا تَبْغِيهِمْ حَطَبًا

الْحَقُّ عِنْدَهُمْ مَعْنَى مِنَ الْقَلْبِ
 عَوْدٌ مِنَ السُّرْرِ ، أَوْ عَوْدٌ مِنَ الْقُضْبِ^١
 حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَهْبِ
 تَسَاوَتْ الْأَسْدُ وَالذُّيَّانُ فِي الرُّتَبِ
 مِنَ السِّلَاحِ ، وَمَا سَاقُوا مِنَ الْعُصْبِ
 كَثُكُنَةُ النَّحْلِ ، أَوْ كَالْقُنْفُذِ الْحَشْبِ
 كَثَبْنَ فِي صَحْفِ الْأَخْلَاقِ بِالذَّهَبِ
 كَذَرْنَ بِالْمَنْ ، أَوْ أَفْسَدْنَ بِالْكَذِبِ
 وَلَسْتَ تَعْرِفَهَا بِاسْمٍ وَلَا لَقَبِ
 جَمَعَ الذَّبَائِحَ فِي اسْمِ اللَّهِ وَالْقُرْبِ^٢
 وَمَطْمَحٌ لِقَبِيلٍ نَاهَضِي أَرْبَ
 حَتَّى انْجَلَى لَيْلُهَا عَنْ صُبْحِهِ الشَّيْبِ
 نُورُ الْيَقِينِ ظِلَامَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 كَالسَّيْفِ مِنْ سُلْمٍ لِلْعَزِّ ، أَوْ سَبَبِ
 عَبْرَ النِّجَاحِ ، فَكَانَتْ صَخْرَةُ الْعَطَبِ^٣
 فِي الْعَاصِفَاتِ ، وَلَمْ تُغْلَبْ عَلَى خَشْبِ
 بِحَسَنِ عَاقِبَةٍ مِنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
 مِنْ كَيْدِ حَامٍ ، وَمِنْ تَضْلِيلِ مُتَتَدَبِ
 طَغَتْ ، فَأَغْرَقَتْ الْإِغْرِيقَ فِي اللَّهَبِ
 كَانَتْ قِيَادَتُهُمْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ

١ السمر : الرماح ، والقضب : السيوف .

٢ القرب : جمع قرية ، وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من أعمال البر والطاعة .

٣ الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى . وعبر الوادي (بالفتح والكسر) : شاطئه .

سَعَتْ بِهِمْ نَحْوَكُ الْآجَالُ يَوْمئِذٍ
 مَلُّوا الْجُسُورَ ، فَحَلَّ اللَّهُ مَا عَقَدُوا
 كَرْبُ تَغْشَاهُمْ مِنْ رَأْيِ سَاسَتِهِمْ
 هُمْ حَسَنُوا لِلْسَوَادِ الْبُلَّةِ مَمْلَكَةً
 وَأَنْشَأُوا نَزْهَةً لِلْجَيْشِ قَاتِلَةً
 ضَلَّ الْأَمِيرُ ، كَمَا ضَلَّ الْوَزِيرُ بِهِمْ
 تَجَاذَبَاهُمْ كَمَا شَاءَ بِمُخْتَلَفٍ
 وَكَيْفَ تَلْقَى نَجَاحًا أُمَةً ذَهَبَتْ
 زَحَفَتْ زَحَفَ أَتْنٍ غَيْرِ ذِي شَقِّقٍ
 قَذَفَتْهُمْ بِالرِّيَّاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً
 هَبَّتْ عَلَيْهِمْ ، فَذَابُوا عَنْ مَعَاقِلِهِمْ
 لَمَّا صَدَعَتْ جَنَاحَتِهِمْ وَقَلْبُهُمْ
 جَدَّ الْفِرَارُ ، فَأَلْقَى كُلُّ مَعْتَقِلٍ
 يَاحْسَنَ مَا انْسَحَبُوا فِي مَنْطِقِ عَجَبٍ
 لَمْ يَذَرِ قَائِدُهُمْ لَمَّا أَحْطَتْ بِهِ
 أَخَذَتْهُ وَهُوَ فِي تَدْبِيرِ خُطَّتِهِ
 تَلَّكَ الْفَرَاسِخُ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ
 خَبِلُ الرِّسُولِ مِنَ الْفُؤَادِ مَعْدُنُهَا
 أَفَى لِيَالِ نَجُوبِ الرَّاسِيَاتِ بِهَا
 سَلَ الظَّلَامُ بِهَا : أَيُّ الْمَاعِقِلِ لَمْ

يَاضِلُ سَاعِدَ بَدَاعِي الْحَيْنِ مُنْجَذِبٍ
 إِلَّا مَسَالِكَ فِرْعَوْنِيَّةِ السَّرْبِ
 وَأَشَامُ الرَّأْيِ مَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ
 مِنْ لُبْدَةِ اللَّيْثِ أَوْ مِنْ غِيلَةِ الْأَشْبِ ١
 وَمَنْ تَنَزَّهَ فِي الْآجَامِ لَمْ يُؤَبِّ
 كَلَا السَّرَائِينَ أَظْلَاهُمْ ، وَلَمْ يَضُبِّ
 مِنْ الْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ مُخْتَلِبٍ
 حَزَيْنَيْنِ ضِدَيْنِ عِنْدَ الْحَادِثِ الْحَزْبِ ؟
 عَلَى الْوَهَادِ وَلَا رَفَقٍ عَلَى الْهَضْبِ
 يَحْمِلُنْ أَسَدَ الشَّرِّ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ ٢
 وَالتَّلْجُ فِي قَلَلِ الْأَجْبَالِ لَمْ يَذُبِّ
 طَارُوا بِأَجْنَحَةٍ شَتَى مِنَ الرُّعْبِ
 قَنَائُهُ ، وَتَحْلَى كُلُّ مُحْتَقِبٍ ٣
 تُدْعَى الْمَزْمَعَةُ فِيهِ حُسْنٌ مُنْسَجَبٍ
 هَبَطَتْ مِنْ صُعْدِ أَمِّ جَنَّتْ مِنْ صَبَبٍ ؟
 فَلَمْ تَتَمَّ ، وَكَانَتْ خُطَّةُ الْهَرَبِ
 قَرِيبَتْ مَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ مُقْتَرَبِ
 وَسَاثِرِ الْخَيْلِ مِنَ الْحِمِّ وَمِنْ عَصَبِ
 وَتَقَطَّعَ الْأَرْضَ مِنْ قَهْلٍ إِلَى قُطْبٍ ؟
 تَطْفِيرُ ، وَأَيُّ حِصُونِ الرُّومِ لَمْ تَيْبُ ؟

- ١ اللبدة : شعيرة الليث ، ويضرب بها المثل في المنعة ، فيقال : أمنع من لبدة الأسد .
 ٢ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات .
 ٣ المحقب : المدخر ، ويقال : احتقب فلان الشيء : ادخره أو احتمله خلفه .
 ٤ الصبب : ما انحدر من الأرض .

آلَت لئن لم تَرِدْ «أزمير» لانزلت
والصبر فيها وفي فرسانها خلُق
كما وُلِدْتُمْ على أعرافها وُلِدَت
حتى طلعت على «أزمير» في فلك
في موكبٍ وقف التاريخ يعرضه
يوم «كيدر» ، فخيْلُ الحق راقصةٌ
عُرٌّ ، تظللها غراء ، وارفَةٌ
نشوى من الظفر العالي ، مُرْنَحَةٌ
تذكر الأرض ما لم تنس من زبدٍ
حتى تعالى أذانُ الفتح ، فاثَّأَدَتْ

* * *

نَحِيَّةٌ - أَيُّهَا الغازي - وَهَنَةٌ
وَقِيماً من ثناء ، لا كِفَاءَ لَهُ
الصابرين إذا حلَّ البلاء بهم
والجاعلين سيوفَ الهند ألسنتهم
لا الصعبُ عندهم بالصعبِ مركبُهُ
ولا المصائبُ إذ يرمي الرجالُ بها
قُودَ معركةٍ ، ورَّادُ مهلكةٍ
بلوتهم ، فتحدَّث : كم شَدَّدَتْ بهم
وكم ثَلَمَتْ بهم من مَعْقِلٍ أَشِيبِ ؟
وكم بنيتَ بهم مجداً فما نَبَسُوا ؟

بَايَةَ الفتح تَبَيَّ آيَةُ الحَقِّ
إِلَّا التَّعَجُّبُ من أصحابك التَّجُّبُ
كَاللَّيْثِ عَضَّ على نَائِيهِ فِي الثُّوبِ
وَالكَاتِبِينَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ
وَلَا الْمُحَالُ بِمُسْتَعَصٍ عَلَى الطَّلَبِ
بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ
أَوْتَادُ مَمْلَكَةٍ ، آسَادُ مُحَرَّبٍ
مِنْ مُضْمَحِلٍّ ؟ وَكَمْ عَمَّرَتْ مِنْ خَرَبٍ ؟
وَكَمْ هَزَمَتْ بِهِمْ مِنْ جَحْفَلٍ لَجِبٍ ؟
فِي الْهَدْمِ مَا لَيْسَ فِي الْبِنَانِ مِنْ صَخَبِ

١ الأعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس .

٢ السكب : فرس من أفراس النبي .

مِنْ قُلٍّ جَيْشٍ ، وَمِنْ أَنْقَاضِ مَمْلَكَةٍ
أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْ فَشَلٍ
لَمَّا أَتَيْتَ بَيْدَرَ مِنْ مَطَالِعِهَا
وَهَشَّتِ الرُّوضَةُ الْفِيحَاءُ ضَاحِكَةً
وَمَسَّتِ الدَّارُ أَزْكَى طَيْبِهَا ، وَأَتَتْ
وَأَرْجَ الْفَتْحِ أَرْجَاءَ الْحِجَازِ ، وَكَمْ
وَأَزَيْنَتْ أُمَمَاتُ الشَّرْقِ ، وَاسْتَبَقَتْ
هَزَّتْ دِمَشْقُ بَنِي أَيُّوبَ ، فَانْتَبَهُوا
وَمَسْلَمُوا الْهِنْدَ وَالْهِنْدُوسُ فِي جَذَلٍ
مَمَالِكُ ضَمَّتْهَا الْإِسْلَامُ فِي رَحِمٍ
مِنْ كُلِّ ضَاحِيَةٍ تَرْمِي بِمَكْتَحِلٍ
تَقُولُ : لَوْلَا الْفَتَى التَّرْكِيُّ حُلْ بَنَا

وَمِنْ بَقِيَةِ قَوْمٍ جِئْتَ بِالْعَجَبِ
شُعْبًا وَرَاءَ الْعَوَالِي غَيْرَ مُشْتَعِبِ
تَلَقَّتْ الْبَيْتُ فِي الْأَسْتَارِ وَالْحَجَبِ
إِنْ الْمُنَوَّرَةُ الْمَسْكِيَّةُ التُّرْبِ
بَابَ الرُّسُولِ . فَسَّتْ أَشْرَفَ الْعُتْبِ
قَضَى اللَّيَالِي لَمْ يَنْعَمَ . وَلَمْ يَطِبْ
مَهَارِجُ الْفَتْحِ فِي الْمَوْشِيَةِ الْقَشْبِ
يَهْتُونَ بَنِي حَمْدَانَ فِي حَلْبِ
وَمَسْلَمُوا مِصْرَ وَالْأَقْبَاطُ فِي طَرْبِ
وَشَيْجَةٍ ، وَحَوَاهَا الشَّرْقُ فِي نَسْبِ
إِلَى مَكَانِكَ . أَوْ تَرْمِي بِمَخْتَضِبِ
يَوْمٌ كَيَوْمِ يَهُوْ كَانَ عَنْ كُتْبِ

بعد المنفى *

أُنَادِي الرِّسْمَ لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعي لو أُنَابَا
وَقَلَّ لِحَقَّةِ العِبْرَاتُ تجري وإن كانت سَوَادَ القلب ذابا
سَبَقَنَ مُقْبَلَاتِ التُّرْبِ عني وأدبَنَ التَّحِيَّةَ والخطايا
نَثَرَتِ الدَّمْعَ فِي الدَّمَنِ البوالي كَنَظْمِي فِي كَوَاعِبِ الشُّبَابَا
وَقَفْتُ بِهَا كَمَا شَاءَتْ وَشَاءُوا وَقَوْفًا عَلَّمَ الصَّبْرَ الدَّهَابَا
لَهَا حَقٌّ ، وللأحبابِ حَقٌّ رَشَفْتُ وَصَالَهُم فِيهَا حَبَابَا
وَمَنْ شَكَرَ الْمُنَاجِمَ مُحْسِنَاتِ إِذَا التَّيْرُ انْجَلَى ، شَكَرَ التُّرَابَا
وَبَيْنَ جَوَانِحِي وَافٍ ، أَلُوفٌ إِذَا لَمَحَ الدِّيَارَ مَضَى ، وَثَابَا
رَأَى مِثْلَ الزَّمَانِ بِهَا ، فَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ صَحْبَتُهُ عَتَابَا

* * *

وداعاً أرضَ أُنْدَلُسٍ ، وهذا ثنائي إن رَضِيتَ به ثوابا
وما أَثْنَيْتُ إِلَّا بعد علمٍ وكم من جاهلٍ أَثْنَى فَعَابَا
تَخِذْتُكَ مَوْثَلًا ، فَحَلَلْتُ أُنْدَى ذَرًّا مِنْ وَائِلٍ ، وَأَعَزَّ غَابَا

* كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد أشاد فيها
بذكر تلك البلاد شكراً لها وعرفاناً بجميلها ، ثم انتقل إلى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة
الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التي كانت حينئذٍ شغل البلاد الشاغل وقد أنشدت هذه
القصيدة في اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠) .

١ الدمن : آثار الديار . والكواعب من الجوارى : ناهدات الثدي .

٢ وأل : طلب النجدة . والموئل : الملجأ . ووائل : جبل . وسميت به قبيلة من العرب .

مُغْرَبُ آدَمٍ مِنْ دَارِ عَدْنٍ قضاها في حِمَاكِ لِيْ اغْتَرَاباً
شَكَرْتُ الْفُلْكَ يَوْمَ حَوَيْتَ رَحْلِيْ فِيا لِمُفَارِقِ شَكَرَ الْغُرَابُ !
فَأَنْتِ أَرْحَمْتِي مِنْ كُلِّ أَنْفٍ كَأَنْفِ الْمَيْتِ فِي التَّرْعِ انْتِصَاباً
وَمَنْظَرِ كُلِّ بَخْوَانٍ ، يَرَانِي بوجه كَالْبَغْيِ رَمَى الثَّقَابُ
وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بَنِيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَاباً

أَحَقُّ كَيْتٍ لِلزَّهْرَاءِ سَاحاً وَكُنْتُ لِسَاكِنِ الزَّاهِي رَحَاباً ؟
وَلَمْ تَكْ جَوْراً أَبْهَى مِنْكَ وَرْداً وَلَمْ تَكْ بَابِلُ أَشْهَى شَرَاباً ؟
وَأَنْ الْمَجْدَ فِي الدُّنْيَا زَحِيقُ إِذَا طَالَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ طَاباً ؟
أُولَئِكَ أُمَّةٌ ضَرَبُوا الْمَعَالِي بِمَشْرِقِهَا وَمَغْرِبِهَا قِيبَاباً
جَرَى كِدراً لَهُمْ صَفْوُ اللَّيَالِي وَغَايَةُ كُلِّ صَفْوٍ أَنْ يُشَاباً
مُشِيَّةُ الْقُرُونِ أُدْبِلَ مِنْهَا أَلَمْ تَرَوْهَا فِي الْجَوْ شَاباً ؟
مُعَلَّقَةٌ تَنْظُرُ صَوْلَجَاناً يَحْمُرُ عَنِ السَّمَاءِ بِهَا لِعَاباً
تُعَدُّ بِهَا عَلَى الْأُمَمِ اللَّيَالِي وَمَا تَدْرِي الْمُنِينَ وَلَا الْحَسَاباً

وَيَا وَطَنِي ، لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَ
وَكُلُّ مَسَافِرٍ سَيُؤُوبٌ يَوْمًا إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَ
وَلَوْ أَنِّي دُعِيتُ لَكُنْتُ دِينِي عَلَيْهِ أَقَابِلُ الْحَتَمِ الْمُجَابَ
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي إِذَا فَهَتْ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَ
وَقَدْ سَبَقَتْ رِكَائِبِي الْقَوافي مُقْلَدَةً أَرَمَّتْهَا ، طَرَابَ

١ إن الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض مثواه .
٢ أدال الله فلاناً من فلان : نزع الدولة من الثاني وحولها إلى الأول ، والكلام على الشمس .

تجوبُ الدهرَ نحوكَ ، والقبافي وتفتحُ الليالي . لا العُبابا
وتُهديكُ الشاءَ الحرَّ تاجاً على تاجِكَ مُوتلقاً عُجابا

* * *

هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ وقد غشى المنارُ البحرَ نوراً
وقيل : الثغرُ ، فأتأت ، فأرست فصفحاً للزمانِ لصبحِ يومٍ
وحياً اللهَ فتیاناً سباحاً ملائكةَ إذا حقُّوكَ يوماً
وإن حملتكَ أيديهم بحوراً تَلَقَّوني بكلِّ أغرٍّ زاهٍ
ترى الإيمانَ مُوتلقاً عليه وتلمحُ من وضاعةِ صفحتيه
وما أدبي لما أسدَّوه أهلُ شبابِ النيلِ ، إن لكم لصوتاً
فهزُّوا العرشَ بالدعواتِ حتى أمِنَ حربِ البسوسِ ، إلى غلاءٍ
وهل في القومِ يوسفُ يتقيها عبادك - رب - قد جاعوا بمصرَ
حنانك ، وأهدِ للحسنَى تجارتاً ورققْ للفقيرِ بها قلوباً
أمنَ أكلَ اليتيمَ له عقابُ أُصيبَ من التجارِ بكلِّ ضارٍ
كما تهدي المنورةَ الركابا كنارِ الطُّورِ جَلَّتِ الشُّعابا
فكانت من ثراكِ الطُّهرِ قابا به أضحي الزمانُ إليّ تابا
كسَّوا عِظْفِي من فخرِ ثيابا أحبك كلُّ من تلقى ، وهابا
بلغت على أكفِّهم السحابا كأن على أسيرته شهابا
ونورَ العلمِ ، والكرمِ اللُّبابا مُجِياً مصرَ رائعةً كعابا
ولكن مَنْ أَحَبَّ الشَّيْءَ حابى مُلَبِّياً حين يُرفعُ ، مُستجابا
يخفِّفَ عن كُنائِهِ العذابا يكادُ يُعيدها سبعا صِعبا ؟
ويُحسنُ حِسبَةً ، ويرى صوابا ؟ أنيلاً سَقَتْ فيهم ، أم سَرابا ؟
بها ملِكوا المرافقَ والرقابا مُحجَّرةً ، وأكباداً صلابا
ومن أكلَ الفقيرَ فلا عقابا ؟ أشدُّ من الزمانِ عليه نابا

يكاد إذا عذاه ، أو كساه .
وتسمعُ رحمةً في كل نادٍ
أكلُ في كتاب الله إلا
إذا ما الطامعون شكوا وضجوا
فما يكون من تُكَلِّ ، ولكن
ولم أر مثل سوقٍ الخير كسباً
ولا كأولئك البؤساء شاء
ولولا البرُّ لم يُبعث رسولٌ
ينازعه الحشاشة والإهاباً^١
ولست تحسُّ للبرِّ انتداباً
زكاةً المال ليست فيه باباً^٢
فدعهم ، واسمع الغرثى السغباً^٢
كما تصفُ المعددة المصاباً
ولا كتجارة السوء اكتساباً
إذا جوعتها انتشرت ذئاباً
ولم يحلُ إلى قومٍ كتاباً

١ الحشاشة : بقية الروح في المريض ، والاهاب : الجلد .

٢ الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع .

ذكرى المولد

سلّوا قلبي غداة سلا وتابا لعلّ على الجمال له عتابا
 ويُسأل في الحوادث ذو صوابٍ فهل ترك الجمال له صوابا ؟
 وكنت إذا سألت القلب يوماً تولّى الدمع عن قلبي الجوابا
 ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهي الذي ثكل الشبابا
 تسرب في الدموع ، فقلت : ولي وصفق في الضلوع ، فقلت : تابا
 ولو خلقت قلوباً من حديد لما حملت كما حمل العذابا
 وأحبابٍ سقيتُ بهم سُلَافاً وكان الوصل من قصير حبابا
 ونادمتُ الشباب على بساطٍ من اللذات مختلف شرابا
 وكلُّ بساطٍ عيشٍ سوف يُطوى وإن طال الزمان به وطابا
 كأن القلب بعدهم غريبٌ إذا عادته ذكرى الأهل ذابا
 ولا يُنيك عن خلقي الليلي كمن فقد الأحيّة والصحابا
 أنا الدنيا ، أرى دنياك أفعى تُبدل كل آونة إهابا
 وأن الرقط أيقظ هاجعاتٍ وأترع في ظلال السلم نابا^١
 ومن عجب تُشيب عاشيقها وتُفنيهم ، وما برحت كعابا^٢
 فمن يغترّ بالدنيا فلني لستُ بها فأبليتُ الشيابا
 لها ضحكُ القيان إلى غبي ولي ضحكُ اللبيب إذا تغابى^٣
 جنيتُ برؤسها ورداً ، وشوكاً وذقتُ بكأسها شهداً ، وصابا

١ الواهي : الضيف . وثكل الشباب : فقد . وللقصود بالدم واللحم هنا القلب .

٢ الرقط : جمع رقطاء ، وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالياض .

٣ الكعاب : الجارية الناهد .

٤ القيان : جمع قبة ، وهي الأمة المغنية .

فلم أَر غيرَ حكمِ الله حكماً
 ولا عَظُمْتُ في الأشياءِ إلّا
 ولا كَرُمْتُ إلّا وجهَ حرٍّ
 ولم أَر مثلَ جمعِ المالِ داءً
 فلا تفتلكَ شهوته ، وزنها
 وخذْ لبنيكِ والأيامِ ذخراً
 فلو طالعتَ أحداثَ الليالي
 وأن البرَّ خيرٌ في حياةٍ
 وأن الشرَّ يصدعُ فاعليه
 فرفقاً بالبنينِ إذا الليالي
 ولم يتقلدوا شكرَ اليتامى
 عجبْتُ لمعشرٍ صلُّوا وصاموا
 وتلفَّهم حيالُ المالِ صمّاً
 لقد كنتموا نصيبَ الله منه
 ومن يَعدِلُ بحبِّ الله شيئاً
 أراد الله بالفقراءِ برّاً
 فربُّ صغيرِ قومٍ علّموه
 وكان لقومه نفعاً وفخراً
 فعَلِمَ ما استطعت ، لعلَّ جيلاً
 ولا تُرهقَ شبابَ الحيِّ يأساً
 يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكاً

ولم أَر دونَ بابِ الله باباً
 صحيحَ العلم ، والأدبَ اللُّبابا
 يُقلّد قومه المِنَنَ الرِّغابا
 ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
 كما ترنُ الطعامَ أو الشرابا
 وأعطِ الله حصَّته احتساباً
 وجدتَ الفقرَ أقربها انقبابا
 وأبقى بعد صاحبه ثوابا
 ولم أَر خيراً بالشرِّ آبا
 على الأعقابِ أوقعَت العقابا
 ولا ادَّرعوا الدعاءَ المستجابا
 ظواهرٌ ، خشيةٌ وثقى كذابا
 إذا داعي الزكاةَ بهم أهابا
 كأن الله لم يُخصِ النَّصابا
 كحبِّ المالِ ، ضلَّ هوى وخابا
 وبالأيتامِ حُبّاً وارتباباً^١
 سماً وحِمى المُسوِّمة العرابا
 ولو تركوه كان أذى وعاباً^٢
 سيأتي يُحدِثُ العَجَبُ العُجابا
 فإن اليأسَ يخرمُ الشبابا
 وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى

١ احتسب عند الله أمراً : قلته .

٢ ارتب الصبي ارتباباً : رباه حتى أدرك .

٣ حاباه : اختصه ومال إليه .

فما حَرَمَ المجدُّ جَنَى يديه
ولولا البخلُ لم يَهْلِكْ فريقٌ
تعبتُ بأهله لَوْماً ، وقبلي
ولو أني خطبتُ على جادٍ
ألم تَرِ للهواءِ جري فأفضى
وأن الشمسَ في الآفاقِ تَغشى
وأن الماءَ تروي الأُسْدُ منه
وسوى الله بينكم المنايا
وأرسلَ عائلاً منكم يتيماً
نبيُّ البرِّ ، يَبْنِي سبيلاً
تفرقَ بعدَ عيسى الناسُ فيه
وشافي النفسِ من تَرَغَاتِ شرٍّ
وكان يباهُ للهدى سُبُلاً
وعَلَّمنا بناءَ المجدِّ ، حتى
وما نيلُ المطالبِ بالتمني
وما استعصى على قومٍ مَنالٌ

* * *

تَجَلَّى مولدُ الهادي ، وعَمَّتْ
وأسَدَتْ للبريةِ بنتُ وَهْبٍ
لقد وضعته وهاجاً ، منيراً
بشائره البوادي والقِصَابا^١
بدأً يضاء ، طَوَّقَتِ الرقابا^٢
كما تَلدُّ السَماواتُ الشهابا

١ التَرَغَات : الوسواس .

٢ القِصَابا : جمع قِصبة ، وهي المدينة .

٣ بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم .

فقام على سماء البيت نوراً
 وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً
 أبا الزهراء ، قد جاوزت قدري
 فما عرف البلاغة ذو بيان
 مدحت المالكين ، فردت قدراً
 سألت الله في أبناء ديني
 وما للمسلمين سواك حصن
 كأن النحاس حين جرى عليهم
 ولو حفظوا سبيلك كان نوراً
 بنيت لهم من الأخلاق ركناً
 وكان جنابهم فيها مهيباً
 فلولاها لساوى اللبث ذنباً
 فإن قرنت مكارمها بعلم
 وفي هذا الزمان مسيح علم
 يضيء جبال مكة والنقبا
 وفاح القاع أرجاء وطابا^١
 بمدحك ، بيد أن لي انتسابا
 إذا لم يتخذك له كتابا
 فحين مدحتك اقتدت السحبا
 فإن تكن الوسيلة لي أجابا
 إذا ما الضر مسهم ونابا
 أطار بكل مملكة غرابا
 وكان من النحوس لهم حجابا
 فخانوا الركن ، فانهدم اضطرابا
 وللأخلاق أجدر أن تُهابا
 وساوى الصارم الماضي قرابا^٢
 تذلت العلا بها صعبا
 يرد على بني الأمم الشبابا

١ ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

٢ الصارم : السيف . والقراب : الغمد .

مشروع ملنر *

إثني عنان القلب ، واسلم به
ومن تشي الغيد عن بانه
ظباؤه المنكسرات الطبا
بيض ، رفاق الحسن في لمح
ذوابل الترجس في أصله
زن على الأرض سماء الدجى
يمشين أسراباً ، على هيئة
من كل وسان بغير الكرى
جفن تلقى ملكا بابل
يا ظبية الرمل ، وقيت الهوى
ولا ذرفت الدمع يوماً ، وإن
هذي الشواكي الثحل صذن امرأ
صياد آرام ، رماه الهوى

من ربيب الرمل ، ومن سربه
مرتجة الأرداف عن كنهه
يعلن ذا اللب على لبه
من ناعم الدر ، ومن رطبه
يوانع الورد على قضيه
وزدن في الحسن على شهبه
مشي القطا الآمن في سربه
تنبه الآجال من هذبه
غرائب السحر على غربه
وإن سعت عينك في جله
أسرفت في الدمع ، وفي سكه
ملقى الصبا ، أعزل من غربه
بشادن لا برء من حبه

• في سنة ١٩١٩ ثارت البلاد في طلب استقلالها ، وسافر الوفد المصري لعرض قضية البلاد في مؤتمر السلام في «فرساي» ، وتلقى هناك دعوة من لورد «ملنر» وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك ، ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها ، فتمخضت المحادثات بينها عن مشروع قدمه لورد ملنر ، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزم الحيدة ، فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة إلى أن المشروع يصلح أساساً للمفاوضة ببعض تعديلات .

١ الفيد : جمع غيداء ، وهي المرأة اللينة الأعطاف .

٢ الهيئة (بالكسر) : السكينة والوقار .

٣ هاروت وماروت : الملكان اللذان أنزل عليهما السحر . وغرب العين : مقدمها أو مؤخرها .

٤ آرام : جمع رثم ، وهو الظبي الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية .

شاب ، وفي أضلعه صاحب
 واهٍ يجني ، خافق ، كلما
 لا تشي الآرام عن قاعه
 حملته في الحب ما لم يكن
 ما حَفَّ إلا للهوى والعلا
 أربعة تجمعهم همة
 قطارهم كالقطر هزّ الثرى
 لولا استلام الخلق ألسانه
 كلهم أغبر من وائل
 لو قدروا جاءوكم بالثرى
 وما اعتراض الخطّ دون المني
 وليس بالفاضل في نفسه
 ما بال قومي اختلفوا بينهم
 كأنهم أسرى ، أحاديثهم
 يا قوم ، هذا زمن قد رمى
 لو أن قيدا جاءه من عل
 وهذه الضجة من ناسيه
 من يخلع الثير يعش برهة
 يا نشأ الحمي ، شباب الحمي
 بني الأولى أصبح إحسانهم
 موسى وعيسى نشأ بينهم

خلّو من الشيب ، ومن خطبه
 قلت : تناهى ، لجّ في وثيه
 ولا بنات الشوق عن شعبه
 ليحمل الحب على قلبه
 أو لجلال الوفد في ركه
 ينقلها الجبل إلى عقبه
 وزاده خصباً على خصبه
 شب ، فقال الشمس من عجبه
 على حاه ، وعلى شعبه
 من قطبه ملكا إلى قطبه
 من هفوة المحسن أو ذنبه
 من ينكر الفضل على ربه
 في مدحة المشروع أو ثلّبه ؟
 في كين القيد ، وفي صلبه
 بالقيّد ، واستكبر عن سحبه
 خشيت أن يأبى على ربه
 جنازة الرق إلى ثربه
 في أثر الثير ، وفي ندبه
 سلالة المشرق من نجبه
 دارت رحي الفن على قطبه
 في سعة الفكر وفي رجه

- ١ يريد بالأربعة : الأعضاء المتدوين لمرض المشروع . والعقب : الولد ، وولد الولد .
- ٢ النير : الأخشاب المفترضة في عتق الثورين بأدائها .
- ٣ النجب : جمع نجيب . وهو الكريم الحبيب .

وعالجا أولَ ما علجا
ما نَسِيتَ مصرُ لكم يرَّها
مرَّقتُم الوهمَ ، وألَّفتُم
حتى بنيتُم هرمًا رابعًا
يومَ لكم يَبْقَى كبدٍ على
قد صارتِ الحالُ إلى جدِّها
اللَّيْثُ ، والعالمُ من شرقه
قضى بأن نبيِّ على نابه
ونبلُغَ المجدَّ على عينه
ونصلَ النازلَ في سلمه
ونصرفَ النيلَ إلى رأيه
يُبيحُ أو يَحْمِي على قُدْرَةِ
أمرُ عليكم أو لكم في غد
لا تستقلُّوه ، فما دهرُكم
نسمعُ بالحقِّ ، ولم نطلعُ
ينال باللين الفتى بعضَ ما
فإن أنستم فليكن أنسُكم
وفي احتشام الأسدِ دون القُدَى
قد أسقط الطَّفَرَةَ في ملكه
يا رَبِّ قيدٍ لا تُحبِّونه

من عللِ العالمِ أو طبَّه^١
في حازِبِ الأمرِ وفي صعبه
أهلَّةَ الله على صُلْبِه
من فِتْنَةِ الحقِّ ومن حزبه
أنصارِ سعيدٍ ، وعلى صحبه^٢
وانتبه الغافلُ من لعبه
في هِيَةِ اللَّيْثِ إلى غربه^٣
مُلْكَ بَيْنَا ، وعلى خَلْبِه
وندخل العَصْرَ إلى جَنْبِه
ونقطع الداخلَ في حربِه
يَقْسِمُهُ بالعدلِ في شَرِيه
حقَّ القُرَى والناسِ في عذبه
ما ساء أو ما سرَّ من غِبِّه
بخاتم الجودِ ولا كعبه^٤
على قَنَا الحقِّ ، ولا قُضِيه
يعجز بالشدَّة عن غضبه
في الصبرِ للدهرِ ، وفي عَتْبِه
إذا هي اضطُرَّت إلى شَرِيه
من ليس بالعاجز عن قلبه
زمانُكم لم يتقيَّد به

١ الطب : الشهوة ، وهو أيضاً علاج الجسم والنفس .

٢ بدر : أكبر وقعة انتصر فيها الإسلام على أعدائه .

٣ اللَّيْث : الأسد البريطاني وهنا يبدأ الشاعر في سرد نقاط المشروع الهامة .

٤ حاتم طي ، وكعب بن مامة : من أجياد العرب .

ومطلب في الظن مستبعد كالصبح للناظر في قربه
والياس لا يحمل من مؤمن ما دام هذا الغيب في حُجبه

مشروع ٢٨ فبراير

أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً وفاز بالحق من لم ياله طلباً^١
وما قضت مصر من كل لبانتها حتى تجر ذبول الغبطة القشياً^٢
في الأمر ما فيه من جد ، فلا تقفوا من واقع جزعاً ، أو طائر طرباً
لا تثبت العين شيئاً ، أو تحققه إذا تحير فيها الدمع واضطرباً
والصبح يظلم في عينيك ناصعاً إذا سدلّت عليك الشك والريباً^٣
إذا طلبت عظيماً فاصبرن له أو فاحشدن رماح الخط والقضباً^٤
ولا تبدن صغيرات الأمور له إن الصغائر ليست للعلا أهلاً
ولن ترى صحبة تُرضى عواقبها كالحق والصبر في أمر إذا اضطجبا

- ١ لم يأل : لم يقصر . قال تعالى (لا يألونكم خبالاً) وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكُم وراء الضعف من قوة .
- ٢ اللبانة : الحاجة . والقشب جمع قشيب : الجديد . وفي هذا البيت استغزاز للهمم وبيان لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع .
- ٣ الريب : جمع ريبة ، مثل سدره وسدر : الظن . وكُم من رجل تمد أمامه كوى الحياة وتضيئ عليه الأرض بما رحبت ولا سبب لهذا إلا الشكوك والأوهام .
- ٤ الخط : موضع بالجماعة ينسب إليه على لفظه ، فيقال : رماح خطية والرماح لا تثبت به ولكنه ساحل للسفن التي تحمل القنا إليه وتعمل به . وقال الخليل : إذا جعلت النسبة اسماً لازماً قلت : خطية ، بكسر الخاء . ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) فإذا جعلوه اسماً حذفوا الثياب وقالوا قبطياً (بالضم) ، فرقا بين الأسم والنسبة ، وما أحسن أن تنشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها .

إن الرجالَ إذا ما أُلجئوا لَجَأُوا إلى التعاونِ فيما جَلَّ أو خَزَا

* * *

لا ريبَ أن خطأ الآمالِ واسعةٌ وأن في راحتيِ مصرٍ وصاحبها قد فَتَحَ اللهُ أبواباً ، لعل لنا لولا يدُ اللهِ لم ندفع مناكبها لا تعدُّ المهمةُ الكبرى جوائزها وكلُّ سَعْيٍ سيجزي اللهُ ساعيةً لم يُرِمِ الأمرُ حتى يستبينَ لكم نلتُم جليلاً ، ولا تُعطونَ خردلةً تمهدتُ عقباتُ غيرُ هينةٍ وأقبلتُ عقباتُ لا يذلُّها له غداً رأيُه فيها وحِكمتهُ كم صعبَ اليومُ من سهلٍ هيمتَ به مسدَّ الجهودُ ، وخلوها منكراً أفي الوغى ورخى الهيجاءُ دائرةً خلَّوا الأكاليلَ للتاريخِ ، إن له أمرُ الرجالِ إليه ، لا إلى نفرٍ أُملى عليه الهوى والحقُّ . فاندفعت إذا رأيتَ الهوى في أُمَّةٍ حكماً وأن ليلَ سُراها صُبْحُهُ اقتربا عهداً وعقداً بحقٍّ كان مغتصبا وراءها فُسِحَ الآمالُ والرحبا ولم نعالج على مصراعها الأربا سيَّانٍ من غَلَبِ الأيامِ أو غلبا هَبَّاتٍ يذهبُ سعيُ المحسنينَ هَباً أساء عاقبةً ، أم سرُّ مُتقلباً ؟ إلا الذي دفع الدستورُ أو جلبا تلتني ركابُ السرى من مثلها نصبا في موقفِ الفصلِ إلا الشعبُ مُتخَباً إذا تمهلَ فوق الشوكِ أو وثبا وسهلَ الغدُّ في الأشياءِ ما صعباً لا تملأوا الشَّدقُ من تعريفها عجا تُحصون من مات أو تُحصون ما سلباً ؟ يداً تُولِّفها دُرّاً ومُخشَلِبا من بينكم سَبَقُ الأنباءِ والكتبا يدها ترتجلانِ الماءَ واللهبا فاحكمُ هنالك أن العقلَ قد ذهباً

١ السرى : جمع سرية بضم السين وفتحها . يقال : سرينا سرية من الليل . وكان الشاعر أراد حفز المهمل وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

قالوا : الحمايَةُ زالت ، قلتُ : لا عجبُ
 رأسُ الحمايَةِ مقطوعٌ ، فلا عِدِمَتْ
 لو تسألون أَلَنِي يومَ جَنَدَکَها :
 أبالذي يجرُّ يومَ السَّلمِ مُتَّشِحاً
 أم بالتَّكاثُفِ حولِ الحقِّ في بلد
 يا فاتحَ القُدسِ ، خلَّ السيفُ ناحيَةً
 إذا نظرتُ إلى أين انتهت يَدُهُ
 علمت أن وراء الضعف مقدرةً

بل كان باطلها فيكم هو العجبا
 كنانةُ الله حَزْماً يقطع الذنبا
 بأيِّ سيفٍ على يافوخها ضرباً^١ ؟
 أم بالذي هَزَّ يومَ الحربِ مُخْتَضِياً ؟
 من أربعين ينادي الويلَ والحربا ؟
 ليس الصليبُ حديدًا كان ، بل خشيًا
 وكيف جاوز في سلطانه القُطبا
 وأنَّ للحقِّ - لا للقوة - الغلبا

* * *

يا بنَ السَّنى عالياً ، والعزُّ مُمْتَنِعاً
 قياصير النيل من أعلاه مُنفَجراً
 والقاهرين على الروميِّ ما تركتُ
 قد جَلَّلَ التركَ أحياناً لواوَهُمُ
 إنَّ الجلالةَ في ناديك سائلةٌ
 بُردُ الجلالةِ جلَّ اللهُ ناسجُهُ
 ما زال قبلك إسماعيلُ يَنْشُرُهُ

والباسُ مُحْتَدِماً ، والعرفُ مُنْسَكَباً^٢
 إلى مَطارِحِهِ في الملحِ مُنْسرِباً^٣
 سفينُهُم تَبَجاً فيه ولا عِيباً
 وما تَلَفَّتْ حتى ظَلَّلَ العَرَبَا
 ألم تكنْ لك حتى رُمَتْها لَقَباً^٤
 لبستَه نسباً في المهدِ أو حَسَباً
 حتى طَوَى في ثَنَى أذْيالِه الشُّهُباً^٥

١ جنلها : أَرادها ، واليافوخ : مقدم الرأس .

٢ السنى : مقصور ، ضوء البرق ، والسناء ، من الرفعة ، ممدود . والعرف : العطاء .

٣ طرح الشيء وبالشئ : رماه ، وبابه قطع .

٤ الرومي : بحر الروم ، وهو البحر الأبيض المتوسط . وثبج كل شيء : وسطه . وعيب (بضمتين) : المياه المتدفقة .

٥ يشير إلى وقائع إبراهيم وما كان للأسرة الحمديدية العلوية من الفتوح في حصون الأتراك ، وكذا ما كان لهم مع العرب الوهابيين .

٦ الثنى : الأثناء .

بإِءِ الملوك بهذا التاج إنَّ له في جوهر الشمس لا في الماس مُتَسَبِّباً
وَتَهْ عَلَيْهِم بِعَرْشٍ غَيْرِ ذِي لِدَةٍ من عهدِ خوفو على الماء استوى عَجَباً
لو استَطَعْنَا لَزَدْنَا فِيهِ قَائِمَةً ولاتَخَذْنَا لَهُ أُمَّ السُّهَى عَتَباً

* * *

أَتَى لَكَ الْمَلِكُ مَنْظُورَ الزَّمَانِ تَرَى على جوانبه آذَارَ أَوْ رَجَباً
فَامْلَأْ بِجِلْمِكَ مِنْ صَفْوِ لِيَالِيَةٍ واجعلْ حواشيَ دُنْيَاهُ هِيَ الرَّعْبُ
وَاحْلُ نَوَائِبَ قَوْمٍ أَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَسَيِّدُ الْقَوْمِ أَقْضَاهُمْ لَمَّا وَجَبَا
لَقَدْ بَدَأْتَ فَاتِمِمِ غَيْرَ مُدْخِرٍ جُهْداً وَلَا هِمَّةَ لَا تَعْرِفُ التَّعَبَا
هَذِي الْفَتْوحُ كِتَابٌ أَنْتَ حَلِيتُهُ جهودُ آلِكَ فِيهِ فُصِّلَتْ ذَهَبَا
أُمْنِيَّةٌ دَابَّتْ مِصْرَ لَتُدْرِكَهَا والله والناسُ فِي إِنْصَافٍ مِنْ دَابَا
وَلَمْ تَرَ الشَّعْبَ مَجْمُوعاً وَمُفْتَرِقاً إلَّا على جانبيها انْضَمَّ وَانْشَعَبَا
يَا رَبُّ مَنْ مَاتَ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ بِهَا وَمَنْ قَضَى دُونَهَا جَوْعَانٌ مُغْتَرِبَا
وَصَائِرٍ تَلْهَجُ الدُّنْيَا بِنَكِيَّتِهِ تَخَالُهُ مِنْ جَمِيلِ الصَّبْرِ مَا نُكِبَا
وَهَمَّةٌ كَيِّتْ بِالتَّبَرِّ مِنْ نَشْأٍ قَدْ وُورِيَ السَّجْنُ أَوْ قَدْ وُورِيَ التُّرْبَا

* * *

- ١ اللبنة : التربة ، وهو الذي يولد مع الإنسان . وخوفو : هو صاحب الهرم الأكبر ومؤسس الأسرة الرابعة المصرية . والمراد بالماء هنا : النيل .
- ٢ السها : كوكب خفي من بنات نعل الصغرى ، ويضرب به المثل في تنامي الارتفاع .
- ٣ المنظور : الذي صير ناضراً . وآذار : مبدأ الربيع في الشهور العبرية .
- ٤ الرغبة : المرغوب النهج .
- ٥ النشأ : جمع ناشيء ، وهو الذي جاوز حدَّ الصغر . والترب : جمع تربة ، وهي المقبرة .

فؤادٌ ، حَلَّيْتَ جِيدَ النِيلِ مَأْثَرَةً
 ما زِلْتَ فِي السِّلْمِ تَغْزُو كُلَّ مُغْضِلَةٍ
 وإنَّ لِلْمَجْدِ آفَاتٍ إِذَا جُمِعَتْ
 إن سَرَكَ الْمَلِكُ تَبْنِيهِ عَلَى أُسُسٍ
 وارْفَعْ لَهُ مِنْ حِجَالِ الْحَقِّ قَاعِدَةً
 حَدَوْتَ فِي صَوْغِهَا آبَاءَكَ النَّجْبَا
 بِالْحِلْمِ حَتَّى اقْتَحَمْتَ الْمَعْقِلَ الْأَشْيَا
 وَجَدْتَهُنَّ اثْنَتَيْنِ : الْحَقْدَ وَالْغَضْبَا
 فَاسْتَنْهَضِ الْبَائِسَيْنِ : الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا
 وَمُدَّ مِنْ سَبَبِ الشُّورَى لَهُ طُنْبَا

* * *

قُلْ لِلْكِنَانَةِ قَوْلَ الصَّدَقِ مِنْ مَلِكٍ
 دَارُ النِّيَابَةِ قَدْ صُفِّتْ أَرَائِكُهَا
 الْيَوْمَ يَا قَوْمُ إِذْ تَبْنُونَ مَجْلِسَكُمْ
 فَمَا هُوَ الْفَرْدُ إِنْ شِئْتُمْ سَمًا صَعْدًا
 وَإِنْ رَضِيتُمْ عَمَرْتُمْ رَكْنَهُ ثَقَّةً
 وَإِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ يُدَانُ لَهُ
 يَقُولُ عَنْكُمْ وَيَقْضِي غَيْرَ مُتَّهَمٍ
 مَوَيْدٍ بِالْهُدَى لَا يَنْطِقُ الْكَنْيَا
 لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْأَحْجَارَ وَالْخُشْبَا
 تَبْنُونَ لِلْعَقَبِ الْأَيَّامَ وَالْحِقَبَا^١
 إِلَى الثَّرَيَّا وَإِنْ شِئْتُمْ هَوَى صَبِيَا
 وَإِنْ غَضِيتُمْ تَرْكُمُ رَكْنَهُ خَرَبَا
 إِذَا تَكْفَّلَ بِالْأَعْيَاءِ وَانْتَدَبَا
 الْعَهْدُ مَا قَالَ وَالْمِيثَاقُ مَا كَتَبَا

١ المعقل : الحصن .

٢ الطنب : الوتد ، أو الخبل الذي يشد به سرادق البيت .

٣ العقب : الولد وولد الولد . والحقب : جمع حقة ، وهي مئة من الدهر لا حد لها ، وقد تطلق على السنة .

٤ الصبب : تصبب نهر أو طريق يكون في حدود .

الله والعلم *

لمن ذلك الملك الذي عَزَّ جانبه ؟
أَمْلِكُكَ يَا ادواردُ ، والملكُ الذي
أراد به أمراً ، فجَلَّتْ صُدُورُهُ
رمى ، واستردَّ السهمَ ، والخلقُ غافلُ
أبطلَ عيدُ الدهرِ من أجل دُمَلْ
ويرجع بالقلب الكسير وفودُهُ
وتسمو يد الدهر ارتجالاً بيأسها
ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه
ويُحجبُ ربُّ العيد ساعةَ عيدِهِ
ألا هكذا الدنيا ، وذلك ودُّها
أعدَّ لها إدوردُ أعيادَ تاجِهِ
مشتَ في الثرى أنباؤها ، فتساءلت
وكاثر في البرِّ الحصى مَنْ يَجُوبُهُ

لقد وعظ الأملاك والناسَ صاحِبُهُ
يَغَارُ عليه ، والذي هو واهبه ١؟
فأتبعه لُطْفاً ، فجَلَّتْ عواقبه
فهل يَتَّقِيه خلقه أو يُراقبه ٢؟
وتخبو بحاليه ، وتُطوى مواكبه ؟
وفيه مَصايحُ الوري وكواكبه ؟
إلى طُئِبِ الأَقْوَاسِ ، والنصرُ ضاربه ؟
ويجمع من ذيل المخيلة ساحبه ؟
وتنقص من أطرافهن مآربه ؟
فهلَّا تَأَيَّ في الأمانِي خاطبه ٣؟
وما في حساب الله ما هو حاسبه
مشاركه عن أمرها ، ومغاربه ٤
وكاثر مَوْجَ البحر في البحر راكبه

٥. نظمت هذه القصيدة بمناسبة تبريع الملك ادوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة جلالة

بدمل وذلك في سنة ١٩٠٢ .

١ الملك الذي يغار عليه والذي هو واهبه : هو الله تعالى .

٢ استرد السهم : رده وأرجعه إليه .

٣ الود : هو المودة .

٤ الثرى : التراب والمراد الأرض .

إلى موكب لم تُخرج الأرض مثله
إذا سار فيه سارت الناس خلفه
تحيط به كالتمل في البر حيله
نظام المجالي وللواكب حله
فبيننا سبيل القوم أمن إلى المنى
إذا جاءت الأعياد في كل مسمع
رجاء فلم يلبث ، فحوق فلم يدم
فيا ليت شعري : أين كانت جنوده ؟
وردت على أعقابهن سفينه
وكيف أفاتته الحوادث طلبة
لك الملك يامن خص بالعرّ ذاته
فلا عرش إلا أنت وارث عزه
وآمنت بالعلم الذي أنت نوره
ثوامن من خوف به كلّ غالب
سلوا صاحب الملّكين هل ملك القوى
وهل رفع الداء العضال وزيره ؟
وهل قدّمت إلا دعاة شعوبه
هنالك كان العلم يُبلي بلاءه

ولن يتهادى فوقها ما يقاربه^١
وشدّت مغاوير الملوك ركائبه^٢
وتملأ آفاق البحار مراكبه
زمان وشيك زيه وتوائبه
إذا هو خوف في الظنون مذاهبه
تجوب الثرى شرقاً وغرباً جوائبه
سل الدهر : أيّ الحادّين عجائبه ؟
وكيف تراخت في الفداء قواضيه ؟
وما ردّها في البحر يوماً مُحاربه ؟
وما عودته أن تفوت رغائبه ؟
ومن فوق آراب الملوك مآربه^٣
ولا تاج إلا أنت بالحق كاسبه
ومنك آياديه ، ومنك مناقبه
على أمره في الأرض ، والداء غالبه
وأسدّ الشرى تغو له وتحاربه ؟
وهل حجب الباب المنع حاجبه ؟
وساعف إلا بالصلاة أقاربه ؟
وكان سلاح النفس تغني تجاربه

* * *

- ١ يتهادى : يمشي مشياً غير قوي متابلاً . وما يقاربه : أي ما يدانيه .
- ٢ شد الشيء : أوثقه ، ومنه شد الرحال .
- ٣ خصه بالشيء : جعله له دون سواه . والآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة .

كريمُ الطُّبَا ، لا يقرب الشرُّ حَدَّهُ
 إذا مرَّ نحوَ المرءِ كانَ حيَّاهُ
 وأيسرُ من جُرحِ الصَّدودِ فعَّالُهُ
 عجيبُ !! يُرَجِّي «مِشرطاً» أو يهابه
 فلو تُفتدى بالبيضِ والسُّمْرِ فِدْيَةُ
 ولو أن فوقَ العلمِ تاجاً لتوجوا
 فأمنتُ بالله الذي عَزَّ شأنُهُ
 وفي غيره شرُّ الورى ومَعاطبه^١
 كأصبعِ عيسى نحوَ مَيِّتٍ يخاطبه
 وأسهلُ من سيفِ اللَّحَاطِ مَضاربه
 مَن الغُربُ راجيه ، مَن الشرقُ هائبه^٢
 لَأَلَقْتُ قَنَاقَا فِي البِلَادِ كَتَابِهِ
 طبيباً له بالأُمنِ كانَ يصاحبه
 وآمنتُ بالعلمِ الذي عَزَّ طَالِبِهِ

١ كريم الطُّبَا : من إضافة الصفة للموصوف : أي الطُّبَا الكريمة ، والطُّبَى : جمع طَبْة ، وهي
 حد السيف أو السنان أو نحو ذلك .
 ٢ المِشرط : المِبضع الذي يفتح به الطيب الجراحات .

ذكري كانارفون

في الموت ما أعيأ وفي أسبابه
أسدٌ لَعَمْرُكَ ، من يموتُ بظُفْرِهِ
إن نام عنك ؛ فكلُّ طبٍّ نافعٌ
داءُ النفوس ، وكلُّ داءٍ قبلَهُ
النفْسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها
تَسعُ الحياةَ على طويلٍ . بلائها
هو منزلُ الساري ، وراحةُ رائعٍ
وشفاءُ هُذي الروحِ من آلامها
من سرِّه ألا يموتَ ؛ فبالعلا
ما مات من حاز الثرى آثاره
قل للمُدِلِّ بماله وبجأه
هذا الأديمُ يَصْدُ عن حُصَّارِهِ
إلا فَنَى يَمْشِي عليه مُجَدِّداً
كل امرئٌ رهنٌ بطيٍّ كتابه
عند اللقاء ، كمن يموتُ بِنابِه¹
أو لم ينم ، فالطبُّ من أذنبه
هَمٌّ نَسِينٌ مَجِيئُهُ بِذَهَابِهِ
أنتِ الحياةُ وشغلُها من بابِه
وتضيُّقُ عنه على قصيرِ عذابِه²
كثُرَ النهارُ عليه في إيتابه
ودواءُ هذا الجسمِ من أوصابِه³
خَلَدَ الرجالُ ، وبالفعلِ النَّابِه⁴
واستولت الدنيا على آدابه
وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابِه
وينامُ مِلءُ الجفنِ عن عُيَّابِه⁵
ديباجَتَيْهِ ، مُعَمِّراً لخرابِه⁶

- ١ لعمرك : يقول النحاة : أنه قسم ، اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف .
- ٢ بلاء الحياة : ما فيها من ألم وهم . أي أن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي ، وتضييق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير .
- ٣ وشفاء هذه الروح ، إلى آخر البيت : متصل بالبيت الذي قبله . والأوصاب : الأوجاع . جمع وصب .
- ٤ الفعل الناب : الفعل الشريف المذكور .
- ٥ الأديم : الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الأرض .
- ٦ الديباجتان : الحدان .

صادت بقارعة الصعيد بعوضة
وأصاب خرطوم الذبابة صفحة
طارت بخافية القضاء ، ورأرات
لأسمعن لعصبة الأرواح ما
الروح للرحمن جل جلاله
غلبوا على أعصابهم ، فتوهّموا
في الجوّ صائد بازه وعقابه
خلقت لسيف الهند أو لذبابه
بكرمته ، ولامت بلعابه
قالوا بياطل علمهم وكذابه
هي من ضنائن علمه وغياه
أوهام مغلوب على أعصابه

* * *

ما آب جبار القرون ، وإنا
فدروه في بلد العجائب مُعمداً
المشتبداً يطاق في ناووسه
والفرْد يؤمن شره في قبره
هل كان توتّخ قمص روحه
أو كان يجزيك الردى عن ضجة
تالله لو أهدي لك الهرمين من
أنت البشير به ، وقيم قصره
أعلمت أقوام الزمان مكانه
لولا بنائك في طلاسيم ثربه
يوم الحساب يكون يوم إياه^١
لا تشهروه كأمس فوق رقبته^٢
لا تحت تاجيه وفوق وثابه
كالسيف نام الشر خلف قوابه
قمص البعوض ومُستخس إياه^٣
وهو القديم وفاؤه لصحابه ؟
ذهب ، لكان أقل ما تُجزي به
ومُقَدّم النبلاء من حُجابه^٤
وحشدتهم في ساحه ورحابه
ما زاد في شرف على أترابه^٥

* * *

- ١ العصبه من الرجال : ما بين المشرة إلى الأربعين ، والمراد هنا الجماعة بغير عدد .
- ٢ آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون ، يوم الحساب : اليوم الآخر .
- ٣ ذروه : أتركوه . بلد العجائب : الأقصر ، لما فيها من عجائب الآثار . مُعمداً : أي باقياً في قبره كما يبقى السيف في غمده . لا تشهروه ، من شهر السيف إذا سلّه .
- ٤ البشير : المبشر بالخير ، قيم القصر : سائس أمره . النبلاء : جمع نبيل ، وهو الذكي النجيب .
- ٥ البنان : أطراف الأصابع ، مفردها : بنانة .

أَخْنَى الْحِجَامُ عَلَى ابْنِ هِمَّةٍ نَفْسِهِ فِي الْمَجْدِ ، وَالْبَانِي عَلَى أَحْسَابِهِ^١
الْجَانِبَ الصَّخْرَ الْعَتِيدَ بِحَاجِرِ
لَوْ زَايِلَ الْمَوْتِ مُحَاجِرَهُمْ بِهِ دَبَّ الزَّمَانُ وَشَبَّ فِي أَسْرَابِهِ
لَمْ يَأْلَهُ صَبْرًا ، وَلَمْ يَنْ هِمَّةً وَتَلَفَّتُوا ؛ لِتَحْيِرُوا كَضْبَابِهِ
أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهُ حَتَّى انْتَنَى بِكَتَوِزِهِ وَرِغَابِهِ
وَطَوَى الْقُرُونِ الْقَهْقَرَى ، حَتَّى أَتَى وَحَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مَحْرَابِهِ
الْمُنْدَلُ الْفَيَاحُ عَوْدُ سَرِيرِهِ فَرَعُونَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشْرَابِهِ
وَكَانَ رَاحَ الْقَاطِفِينَ فَرَعْنَ مِنْ وَاللُّؤْلُؤَ اللَّمَّاحُ وَشَيْ ثِيَابِهِ^٢
جَدْتُ حَوَى مَا ضَاقَ عُجْدَانُ بِهِ أَثْمَارَهُ صُبْحًا وَمِنْ أَرْطَابِهِ
بَنِيَانُ عُجْرَانٍ ، وَصَرَحُ حَضَارَةٍ مِنْ هَالَةِ الْمُلْكِ الْجَسِيمِ وَغَابِهِ^٣
فَتَرَى الزَّمَانَ هُنَاكَ قَبْلَ مَثْيَبِهِ فِي الْقَبْرِ يَلْتَقِيَانِ فِي أَطْنَابِهِ
وَتَحْسُ ثُمَّ الْعِلْمَ عِنْدَ عُجَابِهِ مِثْلَ الزَّمَانِ الْيَوْمَ بَعْدَ شَبَابِهِ
تَحْتَ الثَّرَى وَالْفَنِّ عِنْدَ عَجَابِهِ

* * *

يَا صَاحِبَ الْآخِرَى ، بَلَغْتَ مَحَلَّةً هِيَ مِنْ أُنْحَى الدُّنْيَا مُنَاحُ رِكَابِهِ
تُرْلُ أَفَاقَ بَجَانِبِهِ مِنَ الْهَوَى مَنْ لَا يُفِيْقُ ، وَجَدَ مِنْ تَلْعَابِهِ
نَامَ الْعَدُوُّ لَدَيْهِ عَنْ أَحْقَادِهِ وَسَلَا الصَّدِيقُ بِهِ هَوَى أَحْبَابِهِ

- ١ أَخْنَى عَلَيْهِ : أَمْلَكَهُ . الْحِجَامُ : الْمَوْتُ . الْأَحْسَابُ : جَمْعُ حَسَبٍ ، وَهُوَ مَا لِلرَّجُلِ مِنْ مَفَاخِرِ الْآبَاءِ ، أَوْ هُوَ دِينَ الرَّجُلِ أَوْ مَالِهِ .
- ٢ الْمُنْدَلُ : الْعَوْدُ الْمَعْرُوفُ بِطَبِيبِ رَأْسِهِ . الْفَيَاحُ : الْفَيَاضُ بِنَشْرِهِ ، وَطَبِيبُ اللَّحَاحِ : الشَّدِيدُ اللَّحْمَانِ ، وَشَيْ الثَّوْبِ : نَقْشُهُ وَتَحْسِينُهُ . وَالضَّمِيرُ فِي « سَرِيرِهِ » وَ « ثِيَابِهِ » لِفَرَعُونَ .
- ٣ الْجَدْتُ : الْقَبْرِ . حَوَى الشَّيْءِ : أَحْرَزَهُ . عُجْدَانُ : قَصْرٌ كَانَ مَشْهُورًا . يَرْجَحُونَ أَنْ يَشْرَحَ بَيْنَ الْحَارِثِ بْنِ صَنْيَعٍ وَبَيْنَ سَبَا جَدِّ بَلْقَيْسَ مَلِكَةِ الْيَمَنِ ، هُوَ الَّذِي بَنَاهُ وَجَعَلَ لَهُ أَرْبَعَةَ وُجُوهِ : أَحْمَرَ ، وَأَبْيَضَ ، وَأَصْفَرَ ، وَأَخْضَرَ ، وَبَنَى دَاخِلَهُ قَصْرًا بِسَبْعَةِ سَقُوفٍ ، بَيْنَ كُلِّ سَقْفَيْنِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَقِيلَ : كَانَ ارْتِفَاعُ السَّقْفِ مِائَتِي ذِرَاعٍ . الْهَالَةُ : دَارَةُ الْقَمَرِ .

الراحة الكبرى ملاك أديمه والسلوة الطولى قوام تراه

* * *

وادي الملوك بكت عليك عيونه
ألقى بياض الغيم عن أعطافه
يأس على حرباء شمس نهاره
ويود لو ألبست من برديه
نوهت في الدنيا به ، ورفعته
أخرجت من قبر كتاب حضارة
فصلته ، فالبرق في إيجازه
طلعا على لوزان والدنيا بها
جئت الشعوب المحسنين بشافع
رفعت زكناً للقضية ، لم يكن
بمرفق كالزئ في تسكابه^١
حزناً ، وأقبل في سواد سحابه
ونزيل قيعته ، وجار سراه^٢
بردين ، ثم دفنت بين شعابه
فوق الأديم ، بطاحه ، وهضابه
الفن والإعجاز من أبوابه
يبنى البريد عليه في إطنابه
وعلى المحيط وما وراء عبابه^٣
من مثل متقن فتهم ولبابه
سحبان يرفعه بسحر خطابه

١ دمع مرفق ، أي دائر في حلق العين .

٢ الحرباء : اسم للذكر ، والأنثى حرباء ، وهي حيوان اسمه أم حيين . يستقبل الشمس ويلور معها كيف دارت ويتلون بحرها ألواناً مختلفة ، وهو يضرب مثلاً في الثقل . السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالأرض .

٣ طلعا : أي البريد والبرق ، لوزان مدينة في سويسرا ، كان بها مجلس الدول الذي تم فيه الصلح بين تركيا واليونان ١٩٢٢ ، وإلى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها) .

أيها العمال

أيها العمال ، أفنوا الـ
واعمروا الأرض ، فلولا
إن لي نصحاً إليكم
في زمان غيبي لنا
أين أتم من جدود
قللوه الأثر الممعد
وكسوه أبد الدهر
أقنوا الصنعة ، حتى
إن للمتقين عند
أقنوا ، يُخَبِّكُمُ اللـ
أرضيتم أن تُرى مصـ
بعد ما كانت سماء

عمر كدًا واكتسابا
سعيكم أمتت يبابا
إن أذننكم وعتابا
صح فيه ، أو تغاي
خلدوا هذا الترابا ؟
جزر ، والفن العجبا
ر من الفخر ثابا
أخذوا الخلد اغتصابا
الله والناس ثوابا
ه ، ويرفعكم جنابا
ر من الفن خرابا ؟
للصناعات وغابا ؟

* * *

أيها الجمع ، لقد صر
فكن الحر اختياراً
إن للقوم لعبناً
فتوقع أن يقولوا :
ليس بالأمر جديراً
أو سخا بالمال ، أو قد

ت من المجلس قابا
وكن الحر انتخابا
ليس تألوك ارتقابا
من عن المال نابا ؟
كل من ألقى خطابا
م جاهلاً وانتسابا

أو رأى أُمِّيَّةً ، فاخذ
فتخَيَّرَ كُلَّ مَنْ شَدَّ
واذكِرِ الْأَنْصَارَ بِالْأَمْرِ
أَيُّهَا الْغَادُونَ كَالنَّحْرِ
فِي بَكُورِ الطَّيْرِ لِلرَّزَقِ
اطْلُبُوا الْحَقَّ بِرَفَقٍ
وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللَّهُ
أَهْجُرُوا الْخَمْرَ تَطِيعُوا اللَّهَ
إِنَّمَا رَجَسٌ ، فَطُوبَى
تُرْعِشُ الْأَيْدِي ، وَمَنْ يَرِ
إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ يَحْذَرُ
فَاذْكُرُوا يَوْمَ مَشْيِبِ
إِنْ لَلْسَنُ لَهْمًا
فاجعلوا من مالكم
واذكروا فِي الصَّحَةِ الدَّاءِ
واجمعوا الْمَالَ لِيَوْمِ
قَدْ دَعَاكُمْ ذَنْبُ الْهَيْدِ
هِيَ طَاوُوسٌ ، وَهَلْ أَحَدٌ

تَلَبَّ الْجَهْلَ اخْتِلَابَا
بَاءً عَلَى الصَّدَقِ وَشَابَا
مَسْ ، وَلَا تُنْسَ الصَّحَابَا
لِي ارْتِيَادًا وَطَلَابَا
قِي مَجِيئًا وَذَهَابَا
واجعلوا الْوَاجِبَ دَابَا
هَ لَكُمْ بَابًا فَبَابَا
هَ ، أَوْ تُرْضُوا الْكِتَابَا
لَامْرِي كَفَّ وَتَابَا
عَشْ مِنْ الصَّنَاعِ خَابَا
عَلَّ لِلدَّهْرِ حَسَابَا
فِيهِ تَبْكُونُ الشَّبَابَا
حِينَ تَعْلُو وَعَذَابَا
لِلشَّيْبِ وَالضَّعْفِ نَصَابَا
هَ إِذَا مَا السُّقْمُ نَابَا
فِيهِ تَلْقَوْنَ اغْتِصَابَا
سُوءَ دَاعٍ فَأَصَابَا
سُوءُهُ إِلَّا الذُّنَابِي ؟

١ أي دأبا ، وخفت للضرورة .

* نِجَاة *

هَينئاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّا
هَينئاً لَطَهَ ، وَالْكِتَابِ ، وَأُمَةٍ
أَخَذَتْ عَلَى الْأَقْدَارِ عَهْداً وَمَوْثِقاً
وَمَنْ يَكُ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ وَثَوْبِهِ
يَكَادُ يَسِيرُ الْبَيْتُ شُكْراً لِرَبِّهِ
وَتَسْتَوْبِ الْمَسَاجِدُ خُشُوعاً
وَتَسْتَغْفِرُ الْأَرْضُ الْخَصِيبُ وَمَاجِنَتْ
وُثْنِي مِنَ الْجَرْحِ عَلَيْكَ جِرَاحُهُمْ
ضَحَكَتْ مِنَ الْأَهْوَالِ ، ثُمَّ بِكَيْتِهِمْ
ثَنَابٌ بِغَالِيهِ ، وَتُجْزَى بِطَهْرِهِ
وَمَا كُنْتُ تُحْيِيهِمْ ، فَكُلَّهُمْ لِرَبِّهِمْ
رَمْتَهُمْ بِسَهْمِ الْغَدْرِ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ
تَبَرَّأَ عَيْسَى مِنْهُمْ وَصِاحِبُهُ

نَجَائِكَ لِلدِّينِ الْخَفِيفِ نِجَاةُ
بِقَاؤِكَ إِبْقَاءُهَا وَحَيَاةُ
فَلَسْتُ الَّذِي تُرْفِي إِلَيْهِ أَذَاةُ
تَجْزُهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الرَّمِيَّاتُ^٢
إِلَيْكَ ، وَيَسْعَى هَاتِفاً عِرْفَاتُ^٣
وَتَبْسُطُ رَاحَ التَّوْبَةِ الْجَمْعَاتُ
وَلَكِنْ سَقَاهَا قَاتِلُونَ جُنَاةُ
وَتَأْتِي مِنَ الْقَتْلِ لَكَ الدَّعَوَاتُ
بَدَمْعُ جَرَتْ فِي إِثْرِهِ الرِّجَامَاتُ
إِلَى الْبَعْثِ أَشْلَاءُ لَهُمْ وَرُفَاتُ
فَمَا مَاتَ قَوْمٌ فِي سَبِيلِكَ مَاتُوا^٤
عَصَابَةُ شَرٍّ لِلصَّلَاةِ عِدَاةُ
الْأَتْبَاعِ عَيْسَى ذِي الْخَنَانِ جُفَاءُ ؟

- أَلْقَيْتُ عَلَى جِلَالَةِ الْخَلِيفَةِ قَدِيفَةً فِي سِبْتِمْبَرِ ١٩٠٥ ، ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ النِّجَاةَ مِنْ شَرِّهَا ، فَكَتَبَ الشَّاعِرُ بَيْتَهُ .
- ١ طه : مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الْكِتَابُ : الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ . وَالْأُمَةُ : الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً .
- ٢ الْبُرْدُ : ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ .
- ٣ الْبَيْتُ : الْكَعْبَةُ . عِرْفَاتُ : مَكَانٌ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ مَكَّةَ ، الْوُقُوفُ بِهِ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ .
- ٤ كُلُّهُمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ وَكَلِ إِلَيْهِ الْأَمْرُ : أَيُّ تَرْكِهِ لَهُ وَفَوْضِهِ إِلَيْهِ .

يُعادون ديناً ، لا يُعادون دولةً
ولا خيرَ في الدنيا ، ولا في حقوقها
بأيِّ قوادٍ تلتقي الهولَ ثابتاً
إذا زلزلت من حولك الأرضُ ، رادها
وإن خرجت نارٌ فكانت جهنماً
وترتجُ منها لُجَّةٌ ، ومدينةٌ
تمشيتُ في بُردِ الخليل ، فخصتها
وسرتَ وِملءِ الأرضِ حولك أدراعُ
ضحوكاً ، وأصنافِ المنايا عواسبُ
يحوطك إن خان الحِمة انتباههم
تشير بوجهِ أحمدِي ، مُنَوِّر
يحيي الرعايا ، والقضاءُ مُهلِّل
نجائكِ نُعمى لئله سنيَّة
فصيرَ أميرَ المؤمنين ثناءها
إذا لم يُفتنا من وجودك فائت
بلوناك يقظانِ الصوارمِ والقنا
سهرتَ ، ولذَّ النومُ - وهو منيَّة -
فلولاك مُلكُ المسلمين مُضَيِّعُ
لقد ذهبت رايائهم غير رايةٍ
تُظل على الأيام غراء ، حرَّة

لقد كذبت دعوى لهم وشكاة
إذا قيل : طُلابُ الحقوق بُغاة
وما لِقلوبِ العالمين بُبات ؟
وقارُك حتى تسكنَ الجنَّبات^١
تُغذِّي بأجسادِ الورى وثقات
وتُصلي نواحِ حرَّها ، وجهات
سلاماً وبرداً حولك الغمرات
ودرعُك قلبُ خاشعٍ وصلاةُ
وقوراً ، وأنواعِ الخُوفِ طُغاة
ملائكُ من عند الإله حِمة
عيونُ البرايا فيه منحسرات^٢
يحييه ، والأقدارُ معتذرات
لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاة
مآثرُ تُحيي الأرضَ وهي موات
فليس لآمالِ النفوسِ فوات
إذا ضَيَّعَ الصَّيْدَ الملوكُ سُبَات
رعايا تولَّاهَا الهوى ورُعاةُ
ولولاك شملُ المسلمين شتات
لها النصرُ وسُمُّ والفتوحُ شِيَات
محجَّلةٌ في ظلها الغزوات

١ زلزلت الأرض : أُرجفت . راد الأرض : تفقدها ليرى هل تصلح للزول بها . الوقار :
الحلم والرزاة . والجنَّبات : النواحي ، جمع جنبة .
٢ وجه أحمدِي : منسوب إلى أحمد . وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، نسبة تشريف وتبعية .

حَنِيفِيَّةٌ ، قد عَزَّهَا ، وأَعَزَّهَا ،
 حَاجَهَا ، وأسأَهَا على الدهر منهم
 غَائِمٌ في مَحَلِّ السنين ، هواطُلُ
 تهادت سلاماً في ذَرَاكَ مطيْفَةٌ
 تَمَوْتُ سِبَاعُ الجَوِّ عَرَّتِي حَيَالَهَا
 سَنَنْتَ اعتدَالَ الدهر في أمر أهله
 فَأَنْتَ غَائِمٌ ، والزمانُ خَمِيلَةٌ
 وَأَنْتَ مِلَاكُ السلمِ إن مَادَ رُكْنُهُ
 أَكَانَ لهذا الأمرِ غيرك صَالِحُ
 وَمَنْ يَسُوسُ الدنيا ثَلَاثِينَ حِجَّةً
 مَلَكْتَ - أميرَ المؤمنين - ابنَ هَانِي
 وما زِلْتُ حَسَنَ المَقَامِ ، ولم تَزَلْ
 زَهَدْتُ الذي في راحتيك ، وشَاقِي
 وَمَنْ كَانَ مثلي أَحْمَدَ الوَقْتِ ؛ لم تَجْزُ
 ولي دُرُّ الأخلاقِ في المدح والهوى
 نَجَتْ أُمَّةٌ لما نَجَوْتُ ، ودُورَكَتْ
 وَصِيْنَ جَلَالُ المَلِكِ ، وامتدَّ عَزُّهُ
 وَأُْمِنَ في شرقِ البلادِ وغربها
 سلاميَ عن هذا المَقَامِ مُقَصِّرُ

ثَلَاثُونَ مَلَكاً ، فَاتِحُونَ ، عَزَّاهُ^١
 مَلُوكٌ على أَمْلَاكِهِ سَرَّوَاتِ
 مَصَابِيحُ في لَيْلِ الشُّكُوكِ ، هُدَاةُ
 لَهَا رَغْبَاتُ الخَلْقِ ، والرَّهْبَاتِ
 وَتَحْيَا نَفُوسُ الخَلْقِ والمُهْجَاتِ^٢
 فَبَاتَ رَضِيئاً في ذَرَاكَ ، وَبَاتُوا
 وَأَنْتَ سَيْنَانُ ، والزمانُ قَنَاةُ
 وَأَشْفَقَ قَوَامٌ عَلَيْهِ ثَقَاتِ
 وَقَدْ هَوَّيْتَهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتِ ؟
 تُعِنُّهُ عَلَيْهَا حَكْمَةٌ ، وَأَنَاةُ
 بِفَضْلِهِ ، لَهُ الأَلْبَابُ مُمْتَلِكَاتُ
 تَلِينِي ، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النَفَحَاتُ^٣
 جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ^٤
 عَلَيْهِ - وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ - الصَّدَقَاتُ
 وَلِلْمُتَنَبِّيِ دُرَّةٌ ، وَحَصَاةُ
 بِلَادُ ، وَطَالَتْ لِلسَّرِيرِ حَيَاةُ
 وَدَامَ عَلَيْهِ الحَسَنُ والحَسَنَاتِ
 يَتَامَى على أَقْوَاتِهِمْ ، وَعُفَاةُ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ والْبَرَكَاتِ

- ١ الحنيفية : المائلة إلى الإسلام الثابتة عليه . وهو وصف للراية أيضاً . عَزَّهَا : قَوَّاهَا . أَعَزَّهَا : أَجْلَاهَا . مَلَكاً : لَغَةً فِي مَلِكٍ .
- ٢ السباع : جَمْعُ سَبْعٍ ، وَهُوَ الْمُفْتَرَسُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مُطْلَقاً وَالْمُرَادُ بِسِبَاعِ الْجَوِّ سِبَاعُ الطَّيْرِ .
- ٣ مَا زِلْتُ حَسَنَ الْمَقَامِ : أَيُّ مَا زِلْتُ قَائِماً مِنْكَ مَقَامَ حَسَنِ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ بْنِ ثَابِتِ الشَّاعِرِ وَالصَّحَابِيِّ .
- ٤ زَهَدْتُ الشَّيْءَ : تَرَكْتُهُ وَرَغِبْتُ عَنْهُ .

إلى عرفات

إلى عرفاتِ الله يا بن محمد
ويومَ نُؤلَّى وجهَةَ البيتِ ناضراً
على كلِّ أَقْبَى بالحجاز ملائكة
إذا حَدِيثُ عَيْسَى الملوكُ ، فإنهم
لدى البابِ جبريلُ الأمينُ ، براحِهِ
وفي الكعبةِ الغراءِ ركنٌ مُرَحَّبٌ
وما سكب الميزابُ ماءً ، وإنما
وزمزمُ تجري بين عينيكِ أعتاباً
ويرمون إبليسَ الرجيمَ ، فيصطلي
بُحْيِكَ طَه في مضاجع طهره
ويُثني عليك الراشدون بضالِحِ
لك الدينُ يا ربَّ الحَجِيجِ ، جمعَتهم
أرى الناسَ أصنافاً ، ومن كل بقعةٍ

عليك سلامُ الله في عرفاتِ^١
وسيمَ مجالي البشرِ والقسماتِ
تَرْفُ تحايا الله والبركاتِ
لِعَيْسَى في البيداءِ خيرُ حُداة
رسائلُ رحمانيةِ التُّفَحَاتِ
بكعبةِ قُصَادٍ ، وَرُكْنِ عَفَاة
أفاض عليك الأجرَ والرَّحَاتِ
من الكُوثرِ المعسولِ مُنْفَجِرَاتِ^٢
وشانِيكَ نيراناً من الجَمَرَاتِ
ويعلم ما عاجلتَ من عَقَبَاتِ^٣
وَرُبَّ ثناءٍ من لسانِ رُفَاتِ^٤
ليبتَ طُهورِ السَّاحِ والعَرَصَاتِ
إليكِ انتهوا من غربةٍ وشتاتِ

- ١ عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة ، وهو اسم واحد في صورة الجمع .
- ٢ زمزم : بئر عند الكعبة ، والكوثر : نهر في الجنة ، والكثير من الماء ، والمعسول : الحلو .
- ٣ يحْييك : من حياه إذا قال له : حياك الله ، أي أطال عمرك . وطه : اسم النبي عليه الصلاة والسلام .
- ٤ يثني عليك الراشدون : يذكرونك بخير ، والراشدون : الخلفاء الأربعة بعد النبي ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي . والرفات : ما بقي من جسم الإنسان بعد موته .

تساووا ، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات
عَنَّتْ لك في الثُّرْبِ المقدَّسِ جهةٌ يَدِينُ لها العاني من الجبهات
مُتَوَرِّدٌ كالبدر ، شَمَاءُ كَالسَّهَاءِ وَخَفَضَ في حَقِّ ، وعند صلاة
دعاني إِلَيْكَ الصَّالِحُ ابنُ محمد فكان جوابي صالِحَ الدعوات^١
وخيَّرني في سابع أو نجبية إِلَيْكَ فلم أُختر سوى العبرات^٢
وقدَّمْتُ أَعْذارِي وذُلِّي وخَشيتِي وَجِئْتُ بضعفي شافعاً وشكاتي^٣
رُكَّابُ عَبَّاسِ الْعَلَا كِسْرِيَّةً وَلَكِنْ الَّذِي سِيفِ رَبِّ قَنَاقَةٍ^٤
وفي رَاحَتِي ماضٍ إذا ما هَزَزْتَهُ تَرَكْتُ عَدُوَّ اللَّهِ في السَّكَراتِ^٥
أَتَيْتُ بِهِ يا رب نور وحكمة ونزَهْتَهُ عن رِيَّةٍ وَأَذَاةٍ^٦

- ١ الصالح ابن محمد ، يريد الخديو عباس حلمي . والصالح : صفة من الصلاح . صالح الدعوات ، أي الدعوات الصالحة .
- ٢ خيَّرني : جعل لي الخيار . السابح هنا : سفينة البحر . النجبية : مؤنث النجب ، وهو الكريم من الإنسان والحيوان . والمراد : مطية نجبية . العبرات : الدموع .
- ٣ الأعذار : جمع عذر . الذل : ضدّ العز . الخشية : الخوف . الضعف : ضدّ القوة . الشافع : الشفيع . الشكاة : الشكوى . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إن الخديو دعاه إلى الحج معه وخيره في أن يركب سفينة البحر أو مطية البر ، فأجابهُ بأن دعا له دعاء صالحاً ، واختار التخلف مع البكاء وقدّم أعذاراً مقبولة وبسط ذلَّهُ وخشيته منه واستشفع عنده تعالى بما به من ضعف وما له من شكوى .
- ٤ رُكَّاب : جمع ركوبة ، وهو الدابة المعينة للركوب . عباس : اسم الخديو . العلا : الرفعة والشرف . كسروية : منسوبة إلى كسرى ، وهو اسم ملك من الفرس . والمعنى أنها رُكَّاب ملك . رب قنّاة : صاحب رح .
- ٥ الراحة : الكف . الماضي : السيف . هزّزته : حركته . السكرات : جمع سكرة ، وهي غشية الموت واختلاط العقل لشدّته . والمراد بهذا الماضي الذي في راحته : القلم .
- ٦ أتيت به ، الضمير «للماضي» في البيت المتقدّم . والمعنى : أعطيتني . نزّهته : نجّيته وباعدته . الأذّة : المكروه .

ويا ربِّ ، لو سَخَرْتَ نَاقَةً صالِحِ
ويا ربِّ ، هل سِيارَةٌ أو مِطارَةٌ
ويا ربِّ ، هل تُغني عن العبد حَاجةً
وتشهد ما آذيتُ نفساً ، ولم أضِرْ
ولا غلبتني شِيقَةٌ أو سِعادةٌ
ولا جال إلا الخَيْرُ بين سرائري
ولا بَتُّ إلا كَابِنُ مريم ، مشفقاً
ولا حُمِلَتْ نفسٌ هوىً لبلادها
وإني - ولا مَنْ عليك بطاعة -
أُبلغُ فيها وهي عدل ورحمة
وأنت وَلِيّ العفو ، فامحُ بِناصِعِ
ومَنْ تضحك الدنيا إليه فيغترر

لعبدك ، ما كانت من السِّلِسات
فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَّوات ؟
وفي العمر ما فيه من الهفوات ؟
ولم أنْغِرْ في جَهري ، ولا خطراتي
على حكمةٍ آتيتني وأناة
لدى سُدَّةٍ خيريَّةِ الرغبات
على حُسْدي ، مستغفراً لعدائي^١
كنفسي ، في فِعلي ، وفي نفثاتي
أُجلُّ ، وأُغلى في الفروض زكاتي^٢
ويتركها التُّسَّاءُ في الخلوات
من الصفح ما سَوَدَتْ من صفحاتي
يَمْتُ كقتيل الغيد بالبسمات^٣

* * *

وركب كإقبال الزمان ، مُحجَّل
يسيرُ بأرضٍ أخرجتُ خيرَ أُمَّةٍ
يُفيض عليها اليَمَنُ في غدواته

كريم الحواشي ، كابر الخطوات
وتحت سماء الوحي والسورات^٤
ويُضفي عليها الأمنَ في الرُّوحات

- ١ ابن مريم : عيسى عليه السلام . ومشفقاً على حسدي : حريصاً على صلاحهم .
- ٢ الفروض : ما فرضه الله من العبادات الخمس ، والزكاة أحد هذه الفروض .
- ٣ الغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الطويلة العنق ، والتي تنثي لبناً ، والتي لظفت بشرتها وكملَّ حسننها .
- ٤ يسير بأرض : يريد أرض الحجاز ، ويريد بغير أمة العرب خاصة والمسلمين عامة . والوحي : أصله كل ما ألقى به إلى غيرك ، ثم غلب على ما يلقى للأنبياء من عند الله . والسورات : هي سورات القرآن : جمع سورة .

مشى الأروغ العباس فيه يحفه
تكاؤ تضي الأرض تحت ظلاله
ومن يمش في أرض الإمام محمد
وأُم أمير النيل في الركب هالة
أقلت علاها في خباء من القنا
تجل نساء المؤمنين ثناءها
أخذن بتقواها وسرن بهديها
ومنهما علمن البر والصدقات

- ١ الأروغ من الرجال : من يعجبك بشجاعته أو بحسنه وجهارة منظره . العباس : اسم الخديو الأخير . يحفه : يحقق به . الخميستان : تشية خميس ، وهو الجيش . السروات : جمع سري ، وهو سيد القوم ورئيسهم . وضيمر «مشى الأروغ العباس فيه» يرجع إلى الركب .
- ٢ الظلال : جمع ظل : العقيان : الذهب الخالص .
- ٣ الإمام محمد ، يريد محمد رشاد أو محمداً الخامس ، وهو الخليفة يومئذ . الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك مطلقاً ؛ وقيل : من ملوك اليمن ؛ وقيل : هو الرئيس دون الملك . الولاة : جمع وال ، وهو حاكم البلد المتسلط عليه .
- ٤ أم أمير النيل ، والدة الممدوح وقد كانت معه في الحج . الهالة : دائرة القمر . الأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد مع الإنسان في زمن واحد . يقال : فلانة ترب فلانة . الخفريات : جمع خفرة ، وهي الشديدة الحياء .
- ٥ أقلت : حملت . العلا : الرفعة والشرف . الخباء في أصله : بيت من الوبر أو الصوف . القنا : الرماح . الهودج : جمع هودج ، وهو محمل تركب فيه النساء له قبة ويستر بالثياب . الإيوان : بيت عظيم يبنى طولاً . الشرفات ، بفتح الراء : مثلثات متقاربة تبنى في القصر ؛ واحدها : شرفة ؛ وبضمها : جمع شرفة ، وهي ما أشرف من بناء القصر .
- ٦ تجل ، من الإجلال ، وهو الإعظام . ثناءها : أي الثناء عليها . الراح : جمع راحة ، وهي الكف . مبتهلات : داعيات بإخلاص ، من الابتهاال ، وهو أن يدعو الله بتضرع وإخلاص واجتهاد .
- ٧ أخذن بتقواها : أي عملن مثلها أعمال التقوى والصلاح . الهدى : الطريقة والسيرة .

مواكبُ لم تُعهد لغير زُبَيْدَةٍ ببغدادَ في الأعيادِ والجُمُعاتِ^١
أعادت حديثَ الخيزُرانِ وعَزمَها وما أَغدقتُ من أنعمٍ وهياتِ^٢
تريكَ القرى آثارَ جدِّيكَ عندها وما أسلفا من حِجَّةٍ وغَزاةٍ^٣
هما أَمْنَا البيتَ الحرامَ وأنقذا ربوعَ الهدى من مُفسِدين عُصاةٍ^٤
تدولُ أحاديثُ الرجالِ وتنقضي ويبقى حديثُ الفضلِ والحِسانِ^٥

- ١ . مواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركباً ومشاة ؛ وقيل : ركب الإبل للزينة : زبيدة : امرأة هارون الرشيد الخليفة العباسي ، وأم ابنه الأمين الذي استخلفه بعده ، وبنت جعفر ابن الخليفة المنصور العباسي . فهي أم ملك وزوجة ملك وحفيدة ملك ، وفي هذه الصفات تشاركها والدة الخديو عباس . وقد كانت زبيدة ذات خير وفضل . ولها في هذا الباب حديث طويل . بغداد : حاضرة العراق وكانت مقر ملك العباسيين . الأعياد : جمع عيد . الجمعات ، صلوات الجمعة .
- ٢ . حديث الخيزران : خبرها ، أمي سارت بسيرتها فأعادت بذلك حديث الناس فيها . والخيزران ، ابنة عطاء ، هي زوجة المهدي الخليفة العباسي ، وأم الهادي ، وكان خليفة ، وهارون الرشيد ، وكان خليفة أيضاً . وكانت المواكب لا تنصرف عن بابها لكثرة ما تقضيه من حاجات الناس . أغدقت : أكثرت . الأنعم : قيل جمع نعمة ، وقيل : لجمع نعماء ، ومعناها واحد ، وهو الصنيعة واليد الصالحة أو ما ينعم به على المرء . الهبات : جمع هبة ، وهي العطية .
- ٣ . القرى : جمع قرية . الآثار : جمع أثر ، وهو ما بقي من رسم الشيء : جدِّيك : الخطاب للخديو . والمراد بجديّه : جدّه محمد علي الكبير وجدّه إبراهيم بن محمد علي ، فإن الأول أرسل الثاني على رأس جيش إلى الحجاز لقتال الوهابيين فكان له النصر عليهم في مواقع يطلب خبرها في موطنه . ما أسلفا : أي ما قدما . الحجة : المرة من الحج : الغزاة : اسم من الغزو ، وهو السير إلى قتال الأعداء في ديارهم .
- ٤ . أَمْنَا البيت الحرام ، أي جعلناه آمناً . والبيت الحرام : الكعبة . ربوع : جمع ربع ، وهو الدار . مفسدين : جمع مفسد ، عصاة : جمع عاص .
- ٥ . تدول : تنقلب من حال إلى حال . أحاديث الرجال : أخبارهم .

وجادا لطفه بالأساطيل دُمِّرَتْ وما بخلاً بالجيش ذي الهَبَوات^١
ومن عجبِ التاريخ ترقى إليهما أقاويلُ قومٍ بالنميرِ مُشاة^٢
وسيانٍ عندي من أحبٍّ ومن قلى إذا أُخِذَ الأحبابُ بالشُّبهاتِ^٣

* * *

إذا زرتَ يا مولاي قبرَ محمدٍ وقيلتَ مثوى الأعظمِ العطراتِ^٤
وفاضت مع الدمعِ العيونُ مهابةً لأحمدَ بين السُّرِّ والحُجراتِ
وأشرق نورٌ تحت كلِّ نَبْتَةٍ وضاع أريجٌ تحت كلِّ حَصاةٍ
لمُظهرِ دينِ الله فوق ثُؤفَةٍ وباني صروحِ المجدِ فوق فلاةٍ
فقل لرسولِ الله : ياخَيْرَ مُرْسَلٍ أبئك ما تدري من الحسراتِ
شعوبك في شرقِ البلادِ وغربها كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُبَاتِ
بأيمانهم نوران : ذكرٌ ، وسنةٌ فإِياهم في حالِكِ الظلماتِ ؟
وذلك ماضي مجدِهِم وفخارِهِم فا ضرَّهُم لو يعملون لآتي ؟
وهذا زمانٌ ، أرضه ، وسماؤه بحالٍ لمقدمِ كبيرِ حياةٍ
مشى فيه قومٌ في السماء ، وأنشأوا بوارجٍ في الأبراجِ ممتنعاتِ
فقل : ربِّ وَفَّقْ للعظامِ أمتي وزَيِّنْ لها الأفعالَ والعزماتِ

-
- ١ جادا : تكريماً . طه : اسم النبي ﷺ . الأساطيل : جمع أسطول ، وهو الطائفة من السفن . الهبوات : جمع هبوة ، وهي الغيرة .
 - ٢ ترقى : ترتفع . والمراد تُقال فيهما . الأقاويل : جمع أقوال ، فهي جمع الجمع . النمير : اسم من النمر . وهو السعي بالحديث لإيقاع فتنة ووحشة .
 - ٣ سيان : مثلان ، وأحدهما سيء ، وهو المثل . قلى : أبغض . الشبهات : جمع شبهة ، وهي ما يكون ظاهراً في الرجل من مأخذ في حاله والتباس في أمره .
 - ٤ إذا زرت يا مولاي : الخطاب للخبديو . والمثوى : المقام .

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات *

قُمْ حَيٍّ هَذِي النَّيَّاتِ	حَيٍّ الْحَسَانَ الْحَيَّاتِ
وَأَخْفِضْ جَيْبَكَ هَيْئَةً	لِلْحُرْدِ الْمُتَخَفِّراتِ ^١
زَيْنِ الْمَقَاصِرِ وَالْحِجَا	لِ ، وَزَيْنِ مَحْرَابِ الصَّلَاةِ
هَذَا مَقَامُ الْأُمَمَا	تِ ، فَهَلْ قَدَرْتَ الْأُمَمَاتِ ؟
لَا تَلُغْ فِيهِ ، وَلَا تَقُلْ	غَيْرَ الْفَوَاصِلِ مُحْكَمَاتِ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلَا تَكُنْ	خَطْبًا عَلَى مِصْرَ الْفَتَاةِ
اذْكُرْ لَهَا الْيَابَانَ ، لَا	أُمَمَ الْهُوَى الْمُتَهَيِّكَاتِ
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْحُضَا	رَةِ يَا أُخِيَّ الثَّرَهَاتِ
لَمْ تَلَقْ غَيْرَ الرِّقِّ مِنْ	عُسْرِ عَلَى الشَّرْقِيِّ عَاتِ
خُذْ بِالْكِتَابِ ، وَبِالْحَدِيدِ	سِ ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الثَّقَاتِ
وَارْجِعْ إِلَى سَنَنِ الْخَلِيدِ	فَقَةٍ ، وَأَتَّبِعْ نُظْمَ الْحَيَاةِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، لَمْ	يُنْقُصْ حَقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
الْعِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً	لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ
رُضْنِ التَّجَارَةِ ، وَالسِّبَا	سَةِ ، وَالشُّؤُونََ الْأُخْرِيَاتِ
وَلَقَدْ عَلَتْ بِنَاتِهِ	لُجَجُ الْعُلُومِ الزَّاخِرَاتِ
كَانَتْ (سَكِينَةُ) تَمَلُّ الدُّنْيَا	لَ ، وَتَهْرَأُ بِالرُّوَاةِ ^٢

• أَلْقَيْتَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي جَمْعٍ حَافِلٍ مِنَ السِّدَاتِ الْمِصْرِيَّاتِ بِمَسْرَحِ حَدِيقَةِ الْأَزْبَكِيَّةِ .

١ الحُرْدُ : الْعَذَارَى ، وَالتَّخَفُّرَاتُ : الْمُسْتَحْيَاتُ .

٢ سَكِينَةُ : هِيَ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَحَفِيدَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

روت الحديث ، وفست آي الكتاب البينات
وحضارة الإسلام تند طق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالمات ، ومتر المتأذبات^١
ودمشق تحت أمية أم الجواري النابتات^٢
ورياض أندلس نمى من الهاتفات الشاعرات^٣

* * *

أدع الرجال لينظروا كيف اتحاد الغايات ؟
والنفع كيف أخذن في أسبابه متعاونات ؟
لما رأين ندى الرجا ل تفاخراً ، أوجب ذات ؟
ورأين عندهم الصنائع والقنون مضيعات
والبر عند الأغنيا من الشؤون المهملات
أقبلن يمين المناثر للنجاح موفقات

* * *

للصالحات عقائل الـ حوادي هو في الصالحات
الله أنهن في طاعاته خير النبات
فاتين أطيب ما أتى زهر المناقب والصفات
لم يكف أن أحسن ، حتى زدن حصص المحصنات ؟
يمشين في سوق الثواب ، ملزمات ، راجحات

١ بغداد : مقر ملك العباسيين بالعراق . والمتأذبات : المتعلمات الأدب .

٢ دمشق : مقر الأمويين في الشام .

٣ أندلس : بلاد في غرب أوروبا . هي الآن مملكة اسبانيا أو بعضها ، وكانت قديماً مقر ملك إسلامي عظيم ، أول من دخلها ونقل إليها حضارة الإسلام ، وأنشأ بها ذلك الملك ، هو عبد الرحمن الداخل الأموي المسمى صقر قريش .

يَلْبَسُنْ ذُلَّ السَّائِلَا	تِ ، وما ذَكَرْنَ البَائِسَاتِ
فَوَجُوهُهُنَّ وَمَاؤُهَا	سَيَّرُ عَلَى التَّجَمُّلَاتِ
مَصْرُ تُجَدَّدُ بِجَدِّهَا	بِنِسَائِهَا التَّجَدُّدَاتِ
الْنافِرَاتِ مِنَ الْجُمُوعِ	د ، كَأَنَّهُ شَبَّحُ الْمَاتِ
هَلْ بَيْنَهُنَّ جَوَامِدًا	فَرَقٌ وَبَيْنَ الْمُؤْمِيَاتِ ١٤
لَمَّا حَضَنَّا لَنَا الْقَضَا	يَّةَ كُنْ خَيْرَ الْحَاضِنَاتِ
غَذَّيْنَاهَا فِي مَهْدِهَا	بِلَبَانِهِنَّ الطَّاهِرَاتِ
وَسَبَقُنْ فِيهَا الْمُعَلِّمِ	نَ إِلَى الْكَرْبَةِ مُعَلِّمَاتِ
يَتَّقُنْ فِي الْفَتَيَانِ مِنْ	رُوحِ الشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ
يَهْوَيْنَ تَقْيِيلَ الْمُهْدِ	نَدَا ، أَوْ مُعَانَقَةَ الْقَنَاةِ
وَيَرَيْنَ حَتَّى فِي الْكَرَى	قُبْلَ الرِّجَالِ مُحَرَّمَاتِ

١ المؤميات : واحدها مومياء : وهي يونانية ، معناها حافظ الأجسام ، وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة .

خلافة الاسلام *

عادت أغاني العرس رَجَعَ نوح
 كُفِّنَتْ في ليل الزفاف بثوبه
 شُيِّعَتْ من هَلَعٍ بَعْتَرَةٍ ضاحكٍ
 ضَجَّتْ عليك مآذِنٌ ، ومنايِرُ
 الهندُ والهةٌ ، ومصرُ حزينَةٌ
 والشامُ تسألُ ، والعراقُ ، وفارسُ
 وأنت لك الجُمُوعُ الجلائِلُ مَأْتَمًا
 يا لِلرَّجالِ لَحْرَةً مَوءُودة
 إنَّ الذين أَسَتْ جِراحَكَ حُرْبُهُم
 هتَكُوا بأيديهم مُلأَةً فخرهم
 نزعوا عن الأعناق خَيْرَ قِلادة
 حَسَبُ أَتى طولُ الليالي دُونَهُ
 وعَلاقةٌ فُصِّمَتْ عُرَى أسبابها
 ونُعِيتْ بين معالم الأفراح
 ودُفِنَتْ عند تَبْلُجِ الإِصباح
 في كُلِّ ناحيةٍ ، وسكرةٍ صاح
 وبكت عليك ممالكُ ، ونواح
 تبكي عليك بمدمعٍ سَحَّاحٍ^١
 أمحا من الأرض الخلافةَ ماح ؟
 فقعدن فيه مقاعدَ الأنواح^٢
 قُتِلَتْ بغير جريرةٍ وجُنَّاح
 قَتَلَتْك سلمُهُم بغير جِراح
 مَوْشِيَةً بمواهب الفِتاح
 ونَضُّوا عن الأعطاف خير وشاح
 قد طاح بين عشيةٍ وصباح
 كانت أبرَّ علائقِ الأرواح

• ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة ، ذلك النصر الحاسم ، الذي كان حديث الدنيا ، والذي تمَّ على يد مصطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣ ، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة ، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة ، يرثي فيها الخلافة ، وينبه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازي ، لعله يبي ما هدم ، وينصف من ظلم .

١ الواهة : الحزينة ، أو التي ذهب عقلها حزناً .

٢ الجمع : واحدتها جمعة ، وهي الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والأنواح : النائحات .

جَمَعَتْ عَلَى الْبِرِّ الْحُضُورَ ، وَرَبَّمَا
نَظَّمَتْ صَفُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَخَطَّوْهُمْ
بَكَتِ الصَّلَاةُ ، وَتِلْكَ فِتْنَةٌ عَابَتْ
أَفْتَى خُرْعِبَلَةً ، وَقَالَ ضَلَالَةٌ
إِنَّ الَّذِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ فَقْهُهُ
إِنْ حَدَّثُوا نَطَقُوا بِخُرْسٍ كَتَّابٍ
أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ ، لَسْتُ بِجَاهِدٍ
مَالِي أَطَوَّقُهُ الْمَلَامَ وَطَلَمَا
هُوَ رَكْنُ مَمْلَكَةٍ ، وَحَائِطُ دَوْلَةٍ
أَقُولُ مَنْ أَحْيَا الْجَمَاعَةَ مُلْحِدٌ
الْحَقُّ أَوَّلَى مِنْ وَلِيِّكَ حَرَمَةٌ
فَامْدَحْ عَلَى الْحَقِّ الرِّجَالَ وَلُئِمُوهُمْ
وَمِنْ الرِّجَالِ إِذَا انْبَرَيْتَ لِهَدْمِهِمْ
فَإِذَا قَذَفْتَ الْحَقَّ فِي أَجْلَادِهِ
أَدُّوا إِلَى الْغَازِيِ النَّصِيحَةَ يَنْتَضِحُ
إِنْ الْغُرُورُ سَقَى الرَّئِيسَ بِرَاحِهِ
نَقَلَ الشَّرَائِعَ ، وَالْعَقَائِدَ ، وَالْقُرَى
تَرَكْتُهُ كَالشَّيْخِ الْمَوْلَى أُمَّةٌ
هُمْ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمُو
غَرَّتْهُ طَاعَاتُ الْجُمُوعِ ، وَدَوْلَةٌ

جَمَعَتْ عَلَيْهِ سَرَايِرَ النَّزَاحِ
فِي كُلِّ غُدُوَّةٍ جُمُعَةٌ وَرَوَاحِ
بِالشَّرْعِ ، عَرَبِيدِ الْقَضَاءِ ، وَقَاحُ^١
وَأَتَى بِكَفَرٍ فِي الْبِلَادِ بِرَاحُ^٢
خَلَقُوا لِفَقْهِهِ كَتِيبَةً وَسِلَاحَ
أَوْ خَوَطَبُوا سَمِعُوا بِضُمِّ رِمَاحِ
مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ وَالْأَحْيِ
قَلْدَتْهُ الْمَأْثُورُ مِنْ أَمْدَاحِي ؟
وَقَرِيعُ شَهَابٍ ، وَكَبِشُ نِطَاحِ
وَأَقُولُ مَنْ رَدَّ الْحَقُّوقَ إِبَاحِي ؟
وَأَحَقُّ مِنْكَ بِنَصْرَةٍ وَكِفَاحِ
أَوْ خَلَّ عَنْكَ مَوَاقِفَ النَّصَاحِ
هَرَمٌ غَلِيطٌ مَنَاكِبِ الصُّفَاحِ
تَرَكَ الصَّرَاعَ مُضْعَضَعِ الْأُلُوحِ
إِنْ الْجَوَادَ يَثُوبُ بَعْدَ جِجَاحِ^٣
كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي صَرِيحِ الرَّاحِ ؟
وَالنَّاسَ نَقَلَ كَتَّابٍ فِي السَّاحِ
لَمْ تَسْلُ بَعْدُ عِبَادَةَ الْأَشْبَاحِ
حَتَّى تَتَاوَلَ كُلٌّ غَيْرَ مَبَاحِ
وَجَدَ السَّوَادُ لَهَا هَوَى الْمُرْتَاحِ

- ١ العرْبِيدُ : الشَّرِيرُ ، وَالكَثِيرُ الْعَرْبِدَةُ ، وَهِيَ سُوءُ الْخَلْقِ مِنَ السُّكْرِ :
٢ الْخُرْعِبَلَةُ : الْفَكَاهَةُ ، وَالْمَزَاحُ ، أَمَّا الْبَاطِلُ : فَهُوَ الْخُرْعِيلُ وَالْخُرْعِيلُ . وَيُقَالُ جَاءَ بِالْكَفَرِ
بِرَاحاً : أَيِّ بَيْناً ، وَقِيلَ : جَهَاراً .
٣ الْغَازِي : مُصْطَفَى كَالِ ، وَهُوَ أَيْضاً الْمَرَادُ بِالرَّئِيسِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

وإذا أخذتَ المجدَ من أُمِّيَّةٍ
 من قاتِلٍ للمسلمين مقالةً
 عهدُ الخِلافةِ فيَّ أولُ ذائِدٍ
 حبُّ لذاتِ الله كان ، ولم يزل
 إني أنا المصباحُ ، لست بضائعٍ
 غزواتُ (أدهم) كلَّتْ بذوايلٍ
 ولتُ سيوفُها ، وبان قناها
 لا تَبْدُلُوا بُرْدَ النبي لعاجزٍ
 بالأمس أوهى المسلمين جراحةً
 فلتَسْمَعَنَّ بكل أرضٍ داعياً
 ولتَشْهَدَنَّ بكل أرضٍ فتنةً
 يُقَتَّى على ذهبِ المعزِّ وسيفه
 لم تُعْطَ غيرَ سَرابِهِ اللَّمَّاحِ
 لم يوحها غيرَ النصيحة واح ؟
 عن حوضها براءة نصّاح
 وهوى لذاتِ الحقِّ والإصلاح
 حتى أكونَ فراشةَ المصباح
 وفتحُ أنورَ فُصِّلَتْ بِصفاحٍ
 وشبا براعي غيرَ ذاتِ بَراحٍ
 عَزُلِ ، يدافعُ دونه بالراح
 واليوم مدَّ لهم يدَ الجراحِ
 يدعو إلى الكذابِ أو لسجّاح
 فيها يباعُ الدينُ بيعَ سَمَّاح
 وهوى النفوس ، وحِقْدُها المِلْحاح

١ بالأمس أوهى ... الخ : الموصوف بهذا العمل هو حسين بن علي أيضاً ، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم في الحرب الكبرى .

محمد علي باشا الكبير

عَلِمَ أَنْتَ فِي الْمَشَارِقِ مَفْرَدٌ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مُخَلَّدٌ^١
 حِذَا دَوْلَةٍ وَمَلِكٌ كَبِيرٌ أَنْتَ بَانِي رُكْنَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ
 وَلَوَاءَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يُعْطَى مَظْهَرُ الشَّمْسِ فِي الْوُجُودِ وَأَزِيدُ
 تُدْخِلُ الْأَرْضَ فِيهِ قُطْرًا فَقُطْرًا مُدْخَلَ النَّاسِ فِي شَرِيعَةِ أَحْمَدُ
 تَمَلُّا الْأَرْضَ صَافِنَاتٍ وَتُجْرَى لَكَ فِي الْبَحْرِ كُلِّ بُرْجٍ مُشِيدٌ^٢
 هَكَذَا فَلَيْلُ سَمَاءٍ مُعَالِي مِنْ سَعَى فِي الْوَرَى لِمَجْدٍ وَسُودِدُ
 هِمَّةٌ تَبْتَنِي لِمَمَالِكٍ شَمَا ، وَرَأْيٍ يَسُوسُهُنَّ مُسَدَّدٌ^٣
 وَثَبَاتٌ فِي الْحَادِثَاتِ وَعِزٌّ مِثْلُ رَيْبِ الزَّمَانِ لَا يَتَرَدَّدُ
 تَضَعُ السَّيْفَ مَوْضِعًا يَرْضَاهُ وَمَنْ الْبَأْسُ مَا يُذَمُّ وَيُحْمَدُ
 وَتَصُونُ النَّوَالَ عَنْ حَسَنِ صُنْعٍ لَكَ يُنْسَى وَنِعْمَةٌ لَكَ تُجْحَدُ^٤
 لَا تُبَالِي بِحَاسِدٍ وَعَدُوٍّ آيَةُ الْفَضْلِ أَنْ تُعَادَى وَتُحْسَدُ
 هِمَّةُ الْفَاتِحِينَ حَكْمٌ وَقَهْرٌ وَلَكَ الْهِمَّةُ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ
 لَيْسَ مَنْ يَفْتَحُ الْبِلَادَ لَتَشْقَى مِثْلَ مَنْ يَفْتَحُ الْبِلَادَ لَتَسْعَدُ
 عَلِمْتَ مِصْرَ وَالْحِجَازَ وَأَرْضُ النَّدَى حُبَّ وَالشَّامُ أَنْ عَهْدَكَ عَسَجَدُ^٥

١ العلم : سيد القوم . المخلد : الدائم الباقي .

٢ الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . البرج : الحصن ، والمراد سفينة الحرب .

٣ انشاء : العالية ، وهي وصف الهمة . المسدد : المقوم .

٤ النوال : العطاء .

٥ المسجد : الذهب ؛ وقيل الجواهر كله ، كالدر والياقوت .

أَنْتِ إِنْ أَحْصَيْتِ النُّوْبِغَ فِي الْمَدِّ لَكَ كَرِيمٌ الثَّنَا عَلَى الدَّهْرِ أَوْحَدُ
أَيْدِيهِمْ قَرَابَةً وَقَبِيلَ وَأَرَى اللَّهَ وَحْدَهُ لَكَ أَيْدٍ
فَتَوْلَاكَ وَاللَّيَالِي حُبَالَى وَتَوَلَّاكَ وَالْحَوَادِثُ تَوْلَدُ
وَرَمَى عَنْكَ وَالْمُلُوكُ رِمَاةُ نَصْفُهُمْ وَاجِدُونَ وَالنَّصْفُ حُسْدُ
رُكْنَ مِصْرَ أَقَمْتَ بَعْدَ انْقِضَاضِ أُمَّةٍ جُمِعَتْ وَأَمْرٌ تَوْحِدُ

* * *

يَا مُدِيمَ الرِّقَادِ فِي خَيْرِ مَرَقَدٍ قُمْ فَمَا خَلَّ قَبْلَكَ الْأَرْضَ فَرَقَدُ
وَانْظُرِ الشَّرْقَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَهُوَى وَانْظُرِ الْغَرْبَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَصْعَدُ
وَتَأْمَلِ مَمْلَكَا وَبِلَادَا لِمَسَ الدَّهْرُ عِقْدَهَا فَتَبَدَّدُ
كَتَبْتَ تَحْمِيهِ وَالسِّيُوفُ عَوَارٍ مِنْ لَهُ الْيَوْمَ بِالْحِسَامِ الْمَجْرَدُ؟
يَنْشُرُ النُّورَ وَالْحَضَارَةَ فِيهِ كَلَّمَا زُوِّدَ الشُّعُوبُ تَزُودُ
وَتَرَى الْأَمْرَ بَيْنَ قَلْبٍ ذَكِيٍّ فِي يَدَيْهِ وَيَيْنَ جَنْفٍ مُسَهَّدٍ
يَا عِصَامَ الْمُلُوكِ هَلْ كُنْتَ تَسْلُو عَنْ عُرُوشِ الْمُلُوكِ أَوْ كُنْتَ تَزْهَدُ
صَغُرَ الْجَاهِلُونَ بِالنَّفْسِ مَسْعَا كَ وَعُذْرُ النَّفُوسِ فِيهِ مَمْهَدُ
مَا سَمِعْنَا بَفَاتِحِ سَلٍّ سَيْفَا يَأْخُذُ الْمَلِكُ حُدَّةً ثُمَّ أَعْمَدُ
حَالَةَ سَامِهَا الْأَمِينِ أَخُوهُ وَأُمُورٌ بِهَا أُمِيَّةٌ يَشْهَدُ

١ واجدون : غاضبون .

٢ الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .

٣ يريد بالحسام المجرد : صاحبه ، أو يريد أن محمد علي هو ذلك الحسام الذي يتمناه لحماية الشرق من جديد .

٤ عصام : مضرب المثل في علو الفرد بنفسه لا بنسبه .

٥ سامه الشيء : أراده عليه . الأمين : الخليفة العباسي ابن هرون الرشيد . وأميه ، جد الأمويين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه .

ثَبَّتَ فِي فِتْنَةِ الْحِجَازِ إِلَيْهِمْ حِينَ أَحْمَدَتْهَا وَلَمْ تَكْ تَحْمَدُ^١
وَأَتَاهُمْ بِعُذْرِهِ لَكَ بَيْتٌ كُلَّمَا جَنَدُوا إِلَى الْحَرْبِ جَنَدُ^٢
يَحْفَظُ الْمَلِكُ مَلِكَ مِصْرَ عَلَيْهِمْ جَوْهَرًا فَوْقَ تَاجِهِمْ يَتَوَقَّدُ^٣
زَعَمُوا الشَّرْقَ مِنْ فِعَالِكَ قَلَقًا وَأَرَى الشَّرْقَ فِي يَمِينِكَ أَقْعَدُ^٤
جِئْتَهُ بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ وَالتَّمَدُّدِ لَدَيْنِ وَالرَّأْيِ وَالْقَنَاءِ وَالْمُهَنْدِ^٥
كَانَ يَنْ الْوَرَى بِرُكْنٍ فَعَزَّزَ تَ بَثَانٍ وَالرُّكْنَ بِالرُّكْنِ يَشْتَدُ^٦

* * *

شَرَفًا فِي الزَّمَانِ آلَ عَلِيٍّ جَدُّكُمْ سَيِّدُ الْمُلُوكِ الْمَسُودِ^١
ارْجِعُوا فِي الْعُلَا إِلَيْهِ وَرُومُوا نَهَجُهُ ، نَهَجُهُ الَّذِي كَانَ أَقْصَدُ^٢
أَلْبَسُوهُ كَمَا كَسَاكُمْ فَخَارًا كُلَّمَا رَأَيْتَ الثِّيَابُ تَجَدَّدُ^٣
وَامْلَأُوا مَسْمَعَ الزَّمَانِ حَدِيثًا كَدَوِيَّ الْخِصْمِ أُرْغَى وَأَزِيدُ^٤
إِنَّمَا النَّاسُ أُمَّةٌ لَا يَمُوتُونَ نَ وَأُخْرَى تَمُرُّ مَرًّا وَتَنْفَدُ^٥
وَأَرَى جَدُّكُمْ عَلَى الدَّهْرِ حَيًّا خَالِدَ الذِّكْرِ وَالنَّشَاءِ الْمُرْدَدُ^٦
كُلَّمَا مَرَّ مِنْ مَسَاعِيهِ قَرْنٌ مَرَّ يَزْهَدُ بِعَقْدِهِنَّ الْمُنْضَدُ^٧

-
- ١ ثبت : أي رجعت . فتنة الحجاز : هي الحرب التي أثارها الوهابيون على الدولة التركية في الحجاز فلم يهزمهم فيها إلا جيش مصري أرسله محمد علي وجعله تحت قيادة ابنه إبراهيم .
 - ٢ يريد أن هذا البيت الذي طالما نصر الأتراك أتاهم بعذره حينما انقلب عليهم .
 - ٣ أقعد ، أي أمكن وأثبت .
 - ٤ عززت بثنان ، أي عززته .
 - ٥ النهج : الطريق . أقصد : أقوم .
 - ٦ الخضم : البحر .
 - ٧ القرن من الزمان : مائة سنة . المنضد : المنسحق بعضه إلى بعض .

مُشرقاً من ثنائه مُستَضِيئاً	من بنيه بكلّ أبلجٍ أصدأ ^١
يتحداه في فخارٍ ويسرى	في منارٍ على طريقٍ معبدٍ ^٢
يا كريمَ الجدودِ عش لبلادٍ	عيشُها في ذرىِ جدودك أرغد ^٣
ذاقتَ الأمنَ في ظلال عليٍّ	حين لا أمنَ في المشارق يُورد
مائة أحصيت على حكمه فيـ	ها وآثاره بها لا تعدد
فلهُ معهدٌ على كلِّ أرضٍ	ولهُ آيةٌ على كلِّ معهد
ولنا في علاك منه بديل	علمٌ أنت في المشارق مفرد

- ١ الأبلج : المشرق المنير . أصدأ : أكثر صعوداً وارتقاء .
٢ طريق معبد : مذلّل .
٣ الذرى : هو الملجأ .

الخديو اسماعيل

حُلِّمَ مَدَّةَ الكَرَى لك مدا وسُدَى ترتجي لحلمك ردا^١
 وحياء ما غادرت لك في الأحـ سياء قبلاً ولم تَذَرْ لك بعداً^٢
 لم يرَ الناسُ مثلاً أيامَ نعمنا لك زماناً ولا كبؤسِكَ عهداً^٣
 كنتَ إن شئتَ بُدِّلَ السعدُ نحساً وإذا شئتَ بُدِّلَ النحسُ سعداً^٤
 قائماً بالعطاء والسلب فينا كالليالي أو أنتَ أكبرُ أيداً^٥
 يتمشى القضاء خلف نواهيـ لك حديدَ الأظفارِ يطلبُ صيدا^٦
 ويُظِلُّ السراةَ منك كريمٌ رضىيتُ رفده العنايةُ رفدا^٧

-
- ١ الحلم : ما يراه النائم في نومه . مدَّة : بسطه وأطاله . الكرى : النوم . وسدى ترتجي لحلمك رداً ، أي وترتجي عودة هذا الحلم رجاء .
 - ٢ غادرت : تركت . الأحياء : جمع حي . قبلاً ، أي أحداً قبلاً ، فهو صفة لمخدوف ، ومثله : «بعدا» في آخر البيت . والمعنى : لم تغادر أحداً متقدماً عليك ولا متأخراً عنك وله مثل صفاتك وأفعالك .
 - ٣ النعمى : الدعة واليد الصالحة . والبؤس : اشتداد الحاجة . والمعنى : لم ير الناس أيام رخاء كالأيام التي كنت فيها وادعاً سعيداً بنعمائك ، ولا عهد شدة كالعهد الذي أصابك فيه البؤس .
 - ٤ السعد : اليمن . والنحس ، ضدَّة .
 - ٥ العطاء : ما يعطى من مال ونحوه . السلب : انتزاع الشيء قهراً . الأيد : القوة .
 - ٦ النواهي : جمع ناهية ، من قولهم «ما تنهاه عنا ناهية» أي ما تكفه كافة ، ومنه أوامر الله ونواهيـ . حديد الأظفار : مشحوذها .
 - ٧ الرغد : العطاء والصلة . السراة : جمع سري ، وهو السخي في مروة .

وَمُعْزٌ يُصَيِّرُ الْقَيْدَ تَاجًا وَمُنْذُلٌ يُصَيِّرُ التَّاجَ قَيْدًا
 أَنْتَ مِنْ مِثْلِ السَّعَادَةِ لَوْ لَمْ يَكُ ذَلِكَ النِّعِيمُ أَخْذًا وَرَدًّا^١
 قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْكَ رَكْنَ الْمَعَالِي وَرَمَى طَوْدَهَا الَّذِي كَانَ طُودًا^٢
 وَأَتَى مَظْهَرَ الْبِلَادِ وَمَجْدَ الدِّ حِيلَ وَالْدَاءِ وَالِدَوَاءِ فَرْدًى^٣
 وَالْأَيْمَى الَّذِي أَيْمَى الْعَصْرِ فِي الْمَدَى لَكَ شَرِيكًا ، لَوْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى^٤
 لَمْ يَنْوُ بِالْجِبَالِ ذَنْبًا وَلَكِنْ وَدَّ مِنْهُ الْغَرِيمُ مَا لَمْ يُوَدَّ^٥
 يَا أَجَلَ الْكِرَامِ وَجْهًا وَجَاهًا وَأَبْرَ الْوَرَى حَفِيدًا وَجَدًّا^٦
 وَكَبِيرَ الْحَيَاةِ فِي الْعَصْرِ وَالْعَا لِي فِيهِ فَمَا أَرَى لَكَ نِدًّا^٧
 أَيْنَ كَسْرَى وَأَيْنَ قَيْصَرُ مِمَّا نَلْتَ بِالْمَجْدِ أَوْ بَلَغْتَ مُجْدًا^٨
 لَيْسَ الشَّرْقُ مِنْ لِقَائِكَ تَاجًا وَتَلَقَّى أَعْوَامَ رُشْدِكَ عِقْدًا^٩

-
- ١ تَمَثَّلُ السَّعَادَةُ : أَيْهَا تَصَوَّرَهَا لِلنَّاسِ حَتَّى كَانَتْهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا . النِّعِيمُ : الدَّعَةُ وَالْمَالُ .
 ٢ رَكْنُ الْمَعَالِي : جَانِبُهَا الْأَعْوَى . الْمَعَالِي : جَمْعُ مَعْلَةٍ ، وَهِيَ الرِّفْعَةُ وَالشَّرَفُ . الطُّودُ : الْجَبَلُ الْعَظِيمُ .
 ٣ الْمَظْهَرُ : مَكَانُ الظُّهُورِ فِي عُلُوِّ . الْمَجْدُ : الْعِزُّ وَالرِّفْعَةُ . فَرْدًى ، مِنْ رَدَاهُ : أَيْ أَسْقَطَهُ .
 ٤ الْأَيْمَى : الَّذِي لَا يَرْضَى الدُّنْيَةَ كِبَرًا وَامْتِنَاعًا . أَيْ لَمْ يَرْضَهُ . أَجْدَى : أَنْفَعُ .
 ٥ لَمْ يَنْوُ بِالْجِبَالِ دِينَ ، أَيْ لَمْ يَجِدْ جَهْدًا وَلَا مَشَقَّةً فِي النَّهْوِضِ بِالْدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ ثَقِيلًا كَالْجِبَالِ ، وَلَكِنْ الْغَرَمَاءُ طَلَبُوا مِنْهُ مَا يَمْجِزُ الْقَادِرِينَ . الْغَرِيمُ : صَاحِبُ الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ عَلَيْهِ الدِّينُ ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ .
 ٦ أَجَلَ الْكِرَامِ : أَعْظَمَهُمْ . الْجَاهُ : الْقُدْرَةُ وَالْمَنْزِلَةُ . أَبْرَ الْوَرَى : أَكْثَرَهُمْ بَرًّا . الْحَفِيدُ : وَلَدُ الْوَلَدِ .
 ٧ الْعَالِي : الْمُرْتَفِعُ . النَّدُ : الْمَثَلُ .
 ٨ كَسْرَى : لَقَبُ كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ . قَيْصَرُ : لَقَبُ كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ . نَلْتَ : أَدْرَكْتُ وَأَصَبْتُ . مُجْدًا : أَيْ مُحَقَّقًا مَا أَرَدْتَهُ وَمَحْكَمًا لَهُ .
 ٩ الرُّشْدُ : الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ . الْعَقْدُ : الْقِلَادَةُ .

وجرت فيه بالسعود جوار لك منين مصر ملكاً ومجداً^١
 ومليكاً كما تشاء معاليها خفيف الخطأ يحاول قصداً^٢
 كل يوم صرح يشيد للعد وطل يمّد في مصر مداً^٣
 ولواء وعدة وعديد ونظام نرى به الشهب جندا^٤
 وغزاة في البيض والسود تبغي مصر فيها مجدداً مسترداً^٥
 ويريد لها تسيل به القصد وبثان بالبرق أجرى وأهدى^٦
 وخطوط بها التثاني تدان ويخار به الأقاليم تندى^٧

- ١ جرت فيه ، أي في الشرق . السعود : جمع سعد ، وهو اليمن . جوار : جمع جارية ، وتطلق على السفينة والشمس أيضاً . منين مصر ملكاً ومجداً ، أي جعلن الملك والمجد أمنية لها .
- ٢ ومليكاً ، أي ومنيتها مليكاً . الخطأ : جمع خطوة ، وهي ما بين القدمين . القصد ، إما قصد الطريق ، وهو استقامتها ، وإما ضد الإفراط والتوغل .
- ٣ الصرح : القصر وكل بناء عالٍ . يشيد : يطول ويرفع ، أو يطل بالشيد ، وهو الجص . يمدّ في مصر : يسط فيها .
- ٤ اللواء : العلم ، وهو دون الراية . العدة : الاستعداد وما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح . العديد : اسم من العدّ . الشهب : جمع شهاب ، وهو الكوكب مطلقاً .
- ٥ الغزاة : اسم من الغزو . تبغي : تطلب . مجدداً ومسترداً ، صفتان لموصوف محذوف ، أي تبغي مجدداً مجدداً مسترداً .
- ٦ البريد : أصله الرسول ثم استعمل في المسافة التي يقطعها ، وتوسع في استعماله على مقتضى الحاجة ، فسمي به النظام الذي تنقل به الرسائل وهو ما يسمى «بوسته» . والقضب : جمع قضيب ، ومن معانيه : الفصن المقطوع ، وهو أقربها إلى المعنى المراد هنا ؛ فإنه يريد قضبان الحديد التي تمدّ فوق الأرض تسير فوقها القطر البخارية ، فهي تشبه الأغصان . وثنان ، يعني وشيء ثان هو أشدّ جرياً وأكثر اعتداء من البريد ، وذلك هو التلغراف .
- ٧ وخطوط ، أي خطوط السكة الحديدية . التثاني : التباعدي . التثاني : التقارب . البخار : ما يرتفع من الماء كالدخان ، وهو الذي يدفع قطر السكة الحديدية في سيرها . الأقاليم : جمع إقليم ، وهو قسم من الأرض يختص باسم يتميز به عن غيره . تندى : يصيبها الندى .

وبيوت^١ لله تُرفعُ فيها وقصور^٢ تُشادُ للحُكم شيدا^٣
ورجال^٤ تشب^٥ في خدمة البا ب كما شبت الأهلَة مُردا^٦
وأماي^٧ للرعية تُوفى وحقوق^٨ في كل يوم تُؤدى^٩
وفود^{١٠} إلى الممالك تزجى^{١١} وثمان^{١٢} إلى الخواقين يُهدى^{١٣}
وثناء^{١٤} تسمو له صحفُ العَصِ ر وذكر يسير مسكاً ونذا^{١٥}
وبناء^{١٦} بالمأثرات جسام يورث الدهر والأحاديث وجداً^{١٧}
من رآه يقول أخلق^{١٨} باسم عيل أن يستوي على العصر فرداً^{١٩}
يا كبير الفؤاد^{٢٠} والهَمُّ والآ راب مهلاً مهلاً ، رويداً رويداً^{٢١}

١ بيوت الله : المساجد . ترفع فيها ، في مصر . قصور : جمع قصر . تشاد : ترفع وتطول .

٢ تشب في خدمة الباب ، أي يدركهم الشباب وهم مُرد قائمون في خدمته . والمراد : أنها شبت كذلك في خدمته ولا تزال تخدمه . ويريد بالباب : باب المدوح . الأهلَة : جمع هلال ، وهو القمر في الليلة الأولى إلى الثالثة . المرء : جمع مُرد ، وهو الشاب طر شارب ولم ينبت .

٣ الأماي : جمع أمانة ، وهي البغية وما يتمنى أيضاً . توفي : تنجز وتتم . تؤدي : تقضي .
٤ وفود : جمع وافتد ، وهو الرسول القادم ، أو جمع : وفد ، وهو قوم يفدون على الملك ، أي يأتون إليه . تزجى : تساق . الثمين : المرتفع الثمن . الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من الترك . يهدى ، أي يعث إليهم إكراماً .

٥ الثناء : الحمد . تسمو له : ترفع له . المسك : هو طيب . الند : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر .

٦ المآثرات : جمع مآثرة ؛ وهي المكربة المتوارثة . الجسام : العظيم الضخم ، وهو وصف لبناء . الوجد : من معانيه الغنى والسعة ، وهو المراد هنا .

٧ من رآه ، أي هذا البناء . أخلق به ، أي ما أخلقه وأجدره . يستوي : يستقر أو يستوي . فرداً : أي منفرداً .

٨ الهَم : ما يحيل الرجل فكره فيه ليفعله ويقوم به . الآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة . مهلاً مهلاً : أي افعل ما تريد في سكونة ورفق . رويداً رويداً .

لم تكن حقبة أساءت علياً في جنى عُمره لتحفظ ودا^١
 خذلت منه واحد الترك والعُر ب وسامت سيف المشارق غمدا^٢
 لا غراماً بحاسديه ولكن رهباً أن يبلّغ الشرق قصدا^٣
 ولأنت ابنه الذكي فهلا جئت بالطلبة الطريق الأسداء^٤
 فتأيت والتأني فلاح وهو يا ثاقب النهى بك أجدى^٥
 وحيث الأيدي العواتي أن تدنو وأن تعلى وأن تتصدى^٦
 بالغت بعد لينها لك في العسر وصار الوعيد ما كان وعدا^٧
 وإذا العسر والملوك خصوم لك والناس والمحبون أعداء^٨
 فتركت السرير مضطرب الأحوال من نأي ربّه ليس يهدى^٩

- ١ الحقبة من الدهر : مدة لا وقت لها ، وهي السنة أيضاً . أساءت علياً : أصابته بسوء . ويريد بعلي : محمد علي ، جدّ الخديو إسماعيل . والمراد أن الزمن الذي أساء إلى جدّك ولم يكرمه لأعماله العظيمة لا يبقى لك على ودّ ولا محاسبة .
- ٢ خذلت واحد الترك ... الخ : تركت نصره ولم تعنه . سمت سيف المشارق غمداً ، أي أرادته على أن يبقى في غمده .
- ٣ الغرام بالشيء : الولوج به . الرهب : الخوف . القصد ، يريد به المقصود .
- ٤ الذكي : السريع الفطنة . الطلبة هي ما طلبته من شيء . الأسد : المستقيم .
- ٥ تأيت : ترفقت وتنظرت . النهى : العقل . يقال : عقل ثاقب ، أي حازم . أجدى : أي أنفع .
- ٦ حيث الأيدي : منعتها . العواتي : جمع عاتية ، من العتو ، وهو الاستكبار وتجاوز الحدّ . تدنو : تقرب . تعلى : من اعلى الشيء : أطلقه وغلبه . تتصدى : تعترض .
- ٧ بالغت : من بالغ في الأمر ، اجتهد فيه ولم يقصر . العسر : ضيق ذات اليد . الوعيد : التهديد .
- ٨ العسر : الدهر . الخصوم : جمع خصم ، من المخاصمة ، وهي المنازعة والمجادلة . أعداء ، أي أعداء ، جمع عدوّ .
- ٩ السرير : تخت الملك . النأي : البعد . ره : صاحبه . يهدى : من هداه : أرشده .

لم تكن من جنى عليه ولكن عودته الأيام أن تستبد^١
منعت مصر أن تتوج مصر^٢ وأبى النيل أن يحرر^٣ وردا^٤
كان يرجو الزمان يا ناظم البحر حين أن تنظم الممالك عقدا^٥
صلة للأنام بات بها الو د شتاتاً وأصبح الرحب سدا^٦
إن ماء أجرت يدك لَنرجو أن سيحيي البلاد من حيث أردى^٧
ولو أنا صُنّا وصُنّت لعشنا ال دهر في العز والسيادة رغدا^٨
نهضت مصر بالزمان نزيراً وبأهليه يوم ذلك وفدا^٩
خطروا بين زاخرين ولاقوا ثالثاً من نذاك أحلى وأندى^{١٠}

- ١ لم تكن من جنى عليه ، أي من أذنب له . تستبد ، من الاستبداد ، وهو الانفراد بالشيء وعدم تركه .
- ٢ منعت ، من المنع : وهو الحرمان من الشيء والكف عنه . تتوج ، من توجه ، ألبسه التاج . أبى : لم يرض . يحمر ، أي يجعله حراً . الورد : الإشراف على الماء .
- ٣ يا ناظم البحرين ، من نظم الشيء : ألفه وضم بعضه إلى بعض . العقد : القلادة . وناظم البحرين : الخديو إسماعيل ، وذلك أنه فتح قناة السويس فوصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر .
- ٤ صلة ، مصدر وصل الشيء بالشيء ، إذا جمعهما ولاءم كليهما بالآخر . الأنام : الخلق . شتاتاً : متفرقاً . والرحب : الواسع . والمعنى أن هذه القناة التي فتحها فصارت طريقاً تصل العالم ببعضه كانت سبباً في التقاطع والبغضاء بينهم وصار بها كل رحب من الأمور مغللاً أمام غير الأقوياء منهم .
- ٥ أردى : أهلك . يقول : إنا نرجو أن تجد البلاد حياتها بهذا الماء الذي أجريته فوصلت به ذينك البحرين وكان فيه ردى البلاد . ويريد الماء الذي يجري في القناة ، أو القناة نفسها .
- ٦ أي لو أنك كنت قد حفظت القناة ولو أننا حفظناها أيضاً ولم نفرط نحن ولا أنت فيها لعشنا أهد الدهر عيشاً طيباً في عز وسعادة .
- ٧ نهضت : قامت . النزيل : الضيف . يوم ذلك : الإشارة إلى يوم افتتاح القناة . الوفد : القوم يفدون على الملك .
- ٨ خطروا ، أي الأقوام الذين جاءوا وفداً ، وهو من خطر الرجل ، إذا اهتز في مشيته وتبختر . زاخرين : أي بحرين زاخرين ، من زخر البحر ، إذا طفى وتملا . ثالثاً ، أي بحراً ثالثاً . نذاك : كرمك .

بين فُلكٍ يَجري وَآخَرَ راسٍ ولواءٍ يحدو وَآخَرَ يُحدَى^١
 وملوكٍ صيدٍ يُراخُ بهم في واسع الرِّيفِ والصَّعيدِ وَيُغدى^٢
 صورٌ لم يَكُنْ حقاً وحُلمٌ فُجِعَ الصَّبحُ فيه لما تَبَدَّى^٣
 وقناطيرُ يجفلُ الحَصْرُ عنها كل يومٍ تعدُّها مصرُ عداً^٤
 ليتَ شعري هل ضعنَ في الماء، أم هل يُضمرُ الماءُ للودائعِ رداً!^٥
 ليعينَها إلينا بوقتٍ زمنٌ طالما أعاد وأبدى^٦
 ومملكةَ السَّودانِ في الطَّولِ والعَرِ وفي شأنيهِ المعظمِ عبداً^٧
 نلتَ بالمالِ والديماً منه أرضاً بجبالِ الياقوتِ والدرِّ تُفدى^٨
 ثم نظَّمته ممالكَ كانت نارُ تَنظيماها سلاماً وبرداً^٩

١ الفلك : السفينة . وآخر راس : من رست السفينة ، إذا وقفت على الأنجر ، وهو المرساة ،
 ويتخذ من خشب يفرغ بينه الرصاص المذاب فيصير كصخرة . يحدو ويحدي ، من حدوته
 على كذا ، أي بعثه .

٢ الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك ؛ وقيل له أصيد ، لأنه يمشي فلا يلتفت من زهوه بيميناً ولا
 شمالاً . الريف : أرض ذات خصب وزرع ، ومنه ريف مصر ، وهو المعنى هنا . الصعيد :
 مصر العليا . يراخ بهم ويغدى ، أي يذهبون بهم ويحيثون .

٣ صور : جمع صورة . فجع ، من الفجعة ، وهي الرزية .

٤ قناطير : جمع قنطار . والمراد : قناطير من المال . يجفل الحصر ، أي يشرد ويفر .

٥ ليت شعري ، ليت علمي ، أي ليتني أعلم . ضعن : أي القناطر . يضمِر ، من أضمِر في
 نفسه شيئاً : عزم عليه . الودائع : جمع وديعة ، وهي ما يترك عند إنسان أمين .

٦ ليعينها ، من أعاد الشيء : أرجعه . زمن : فاعل يعينها . طالما : هي طال موصولة بها «ما»
 الكافة فأصبحت مستغنية عن الفاعل ، لأن الكلام محمول على النفي .

٧ في الطول والعرض ، أي ملكته كله .

٨ الياقوت ، من الجواهر ، الواحدة ياقوتة . الدرّ : اللؤلؤ ، الواحدة درّة . تفتدى : تستنقذ .

٩ نظمه ممالك ، أي جعله ممالك مجتمعة بعضها إلى بعض . والممالك : جمع مملكة ، وهي ما
 تحت أمر الملك من البلاد والعباد . سلاماً وبرداً ، أي سلامة وهناءة .

فَهَيْئَتُنَا بِهِ السَّعَادَةَ عَمْرًا وَأَصْبِنَا بِهِ الْمَعِينَ الْمُمِدًّا^١
وَطَرِيقَ الْبِلَادِ نَحْوَ الْمَعَالِي وَسِيَاجًا لِلْمَلِكِ مَصْرٍ وَحَدًّا^٢
لَيْتَ لَمْ تَغْشَ بَعْدَهُ فِي حَمَاهَا حَيْشَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ أَسَدًا^٣
سَلَبُوا مَصْرَ أَيِّ جَيْشٍ كَرِيمٍ كَانَ لِلْمَجْدِ وَالْفَخْرِ أُعْدَا^٤
أَنْتَ أَنْشَأْتَهُ فَلَمْ تَرَ مَصْرًا جَحْفَلًا بَعْدَهُ وَلَمْ تَرَ جُنْدًا^٥
وَتَوَلَيْتَهُ بِعَظْفِكَ وَالْبِ سَارِيًّا فِي ضِيَاثِهِ مُسْتَعِيدًا^٦
فَهَوَى جَيْشُكَ الْعَظِيمَ وَمَالَتَ زَايَةً كَانَ حَقُّهَا أَنْ تُسَيِّدًا^٧
وَنَفَضْتَ الْيَدَيْنِ يَأْسًا عَلَى الرَّغْبِ سَمَّ كَأَنَّ لَمْ تَجِدْ مِنَ الصَّبْرِ بُدًّا^٨
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّهِ عَوْنٌ فَاطْرَاحُ الْآمَالِ بِالنَّفْسِ أَبَدِيًّا^٩
مَا لِعَصْرِ رَأْيِكَ فِي الْعِزِّ لَا يُرْ سَلُّ دَمْعًا وَلَا يَلْلُ خَدًّا؟^{١٠}

- ١ فهئتنا به السعادة ، أي ذقنا به السعادة . أصبنا المعين الممدد ، أي وجدنا به العون والممدد ، من أمته ، إذا أعانته وأغاثة .
- ٢ وطريق البلاد ، أي وأصبنا به أيضاً طريق البلاد . السياج : ما يحاط به حول الشيء . الحد : الحاجز بين الشيئين .
- ٣ لم تغش : من غشي المكان أتاه . الحيش : سكان الحبشة . وفي البيت إشارة لغزو مصر للحبشة في عهد إسماعيل . وما أصاب جيشها هناك .
- ٤ الجحفل : الجيش .
- ٥ توليته بعطفك ، أي أوليته عطفك . لم تأل جهداً ، أي لم تقصر في جهدك .
- ٦ مستعيراً ، من استعار الشيء منه . طلب إعارته إياه . المثال : صفة الشيء وصورته .
- ٧ فهوى ، أي فسقط . والهوى : السقوط إلى أسفل .
- ٨ نفضت اليدين ، أي نفضت يديك من اليأس . كناية عن التسليم وترك المقاومة . كأن لم تجد من الصبر بدءاً ، أي مفراً .
- ٩ العون : الإعانة . اطراح الآمال : إبعادها . لهدى ، أي أجدر .
- ١٠ ما لعصر ... الخ ، تعجب من أن عصره الذي رأى عزه وقوة سلطانه لا ييكي لما أصابه بعد ذلك العز ، فهو يقول : أي شيء دهم العصر حتى غفل عن البكاء والأسى .

أَيْنَ وَدَّ عَهْدَتَ مِنْهُ وَعُطِفَ ١ وَوَلَاءٌ مُؤَكَّدٌ كَانَ أَبَدِيٌّ
وَمُلُوكٌ لَهُ أَتَتْكَ وَسَادَا ٢ تَ حَدَاها إِلَيْكَ وَفَدَا فَوْفَدَا؟
أَبَتِ النَّاسُ فَيْكَ لِلنَّاسِ إِلَّا ٣ أَنْ يَجَارُوا الزَّمَانَ وَصَلًا وَصِدَا
فَرَأَيْتَ الْحَمِيمَ أَوَّلَ جَافٍ ٤ وَوَجَدْتَ الْوَلِيَّ فِي الْبُؤْسِ ضِدَا
وَرَجَالًا لَوْلَاكَ لَمْ يَعْرِفُوا الْعِيَدَ ٥ شَرَّ أَبَوَا أَنْ يَقْدُمُوا لَكَ حَمْدَا
مَا رَأَوْا بِعَدَاكَ الْأُمُورَ وَلَكِنْ ٦ يُحَسِّنُونَ الْكُفْرَانَ حَلًّا وَعَقْدَا
بَانَ مَجْدُ الْبِلَادِ إِذْ بَنَتْ، وَالصَّفْ ٧ وَوُ، وَكَانَ الرِّجَاءُ حَيًّا فَأَوْدَى
وَدَهَتْكَ الْخُطُوبُ فِيهَا فَلَمْ تَد ٨ رُكَّ صَوَابًا لَنَا وَلَمْ تُبْقِ رَشْدَا
وَلَقَيْنَا مِنَ الْحَوَادِثِ مَا لَمْ ٩ يَكُ يَعْيَا بِهِ دَهَاوُكَ ذَوْدَا
فَبَكَى الْبَائِسُونَ مِنْكَ حُسَامًا ١٠ طَالَمَا قَدَّ هَامَةً الْخُطْبُ قَدَّا
وَبَصِيرًا إِذَا الْمَشُورَاتُ لَمْ تُد ١١ حَجَّ ذَوِيهَا سَاسَ الْأُمُورَ مُسِيدَا

- ١ الود : المودة . ولاء مؤكد : أي قوي ، كان أبدي : أي كان أبداه وأظهره .
- ٢ وملوك ... الخ : أي وأين ملوك العصر الذين جاءوك والسادات الذين ساقهم إليك وفوداً متعاقبين .
- ٣ أبَت الناس فيك للناس ، أي من أجل الناس . الوصل : ضدَّ المجران . والصدَّ : الإعراض .
- ٤ الحميم : الصديق والقريب الذي تهتمُّ بأمره . جاف : من الجفاء ، وهو الإعراض وقطع المودة . الولي : القريب والنصير . الضدَّ : المخالف .
- ٥ الكفران : جحود النعمة .
- ٦ بان : بعد . إذ بنت : أي وقت أن بعدت . أودى : هلك .
- ٧ دَهَتْكَ : أصابَكَ . الصواب : ضدَّ الخطأ . الرشد : ضدَّ الغي .
- ٨ يعيا به : يعجز به . ولم يطق احكامه . الدهاء : جودة الرأي . الذود : الطود .
- ٩ الحسام : السيف . قدَّ هامة الخطب : شقَّها طولاً أو قطعها مستأصلاً . الهامة : رأس كل شيء .
- ١٠ المشورات : جمع مشورة ، وهي اسم من أشار عليه بكذا . وساس الأمور : دبرها وأحسن القيام بها . مسدًا ، من أسدَّ في قوله ، إذا أصاب .

صَغَرَ الْجَهْلُ أَنْ يُشِيرَ بَنُوهُ إِنَّهُ لُقِبَ الْعَدُوُّ الْأَلَدَا^١
نَكَدَ كُلَّهُ وَإِنْ يَدَا بِيضًا تَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ لَسُودَا^٢
طَالَمَا دَمَّرَ الْمَمَالِكَ تَدْمِيَةً رَأَى وَهَذَا الْبِلَادَ وَالنَّاسَ هَذَا^٣

* * *

نَازَحَ الدَّارَ مَا لِبَيْتِكَ حَدٌّ وَلِقَرَبِ الدِّيَارِ زَادَكَ بُعْدَا؟^٤
هَكَذَا مِنْ قَضَى حَتِينًا وَشَوْقًا وَأَتَيْنَا مَعَ الظَّلَامِ وَسُهْدَا^٥
شَاكِيًا لِلْبَيْنِ وَالْأَمْرِ وَالصَّحْبَةِ وَالْجَاوِ وَالشَّيْبَةِ فَقْدَا^٦
وَمُقِيمًا عَلَى اعْتِرَالٍ بِأَرْضٍ كَانَ فِيهَا الْغَمَامَ مَهْمَا تَبَدَّى^٧
عُذَّ إِلَى مَصْرِكِ الْوَفِيَّةِ وَانْزَلْ فِي ثَرَاهَا وَاسْكُنْ مِنَ الْمَهْدِ لِحْدَا^٨
لَا تَقُلْ أَعْرَضْتَ بِلَادِي وَصَدَّتْ مَصْرُ خَيْرِ هَوَى وَأَكْرَمُ عَهْدَا^٩
وَقَبِيحٌ بِالْدَارِ أَنْ تَعْرِفَ الْبَغْضَ وَبِالْمَهْدِ أَنْ يَبَاشَرَ حَقْدَا^{١٠}
غَفَرْتَ مَصْرُ مَا مَضَى لَعَلِّي وَبَيْنِي وَلِلْحَفِيدِ الْمُفْدَى^{١١}

-
- ١ بنو الجهل : الجهلاء . لقب ، أي جعل لقبه العدو . ومرجع الضمير للجهل .
 - ٢ النكد : شدة العيش وعسره . والسودا : السوداء ، والضمير للجهل .
 - ٣ دمر الممالك : أهلكها . الهد : تكسير البناء .
 - ٤ نازح الدار : بعيدها . البين : الفراق . ولقرب الديار ، أي وما لقرب الديار ... الخ .
 - ٥ الحنين : الاشتياق . الأنين : التأوه والتصويت من الوجع . السهد : الأرق .
 - ٦ شاكيًا للبين ... الخ ، أي شاكيًا فقد هؤلاء جميعاً .
 - ٧ الاعتزال : التنحي عن الشيء . الغمام : السحاب الأبيض . تبدى : ظهر .
 - ٨ الثرى : التراب من المهدي ، أي من مهدي الذي درجت فيه . لحدًا : قبراً .
 - ٩ أعرضت وصدت ، كلاهما يؤدي معنى الآخر .
 - ١٠ البغض : ضد الحب . الحقد : الانطواء على البغضاء .
 - ١١ غفرت : عفت . علي ، المراد به : محمد علي ، جد إسماعيل . الحفيد : ولد الولد ، وهو إسماعيل .

وَلَا تَارِكُ الْجَلَائِلَ فِيهَا وَلِجَسْمٍ مِنْ نَائِيهَا خَرَّ هَذَا^١

* * *

يَا خَلِيلِي لَا تَذُمَّ لِي الْمَوْتَ فَإِنِّي مِنْ لَا يَرَى الْعَيْشَ حَمْدًا^٢
لَا أَقُولُ اسْكُنَا إِلَى هَذِهِ الدَّارِ غُرُورًا وَلَا أَقُولُ اسْتَعْدَا^٣
أَنَا مِنْ لَا يَرَى الْفَرَارَ مِنَ الْمَوْتِ وَمَنْ لَا يَرَى مِنَ الْمَوْتِ بَدْءًا^٤
أَنَا مِنْ بَلٍّ دَمَعُهُ الْمَهْدَ بِالْأَمْرِ وَلَوْلَا التَّعْلِيلُ لَمْ يَأُوْ مَهْدًا^٥
وَدَعَتْهُ النِّسَاءُ مِنْ حَيْثُ بَشَّرَتْ نَ، وَلِيَدَا جَمِّ الْحَيَاةِ مُقَدِّى^٦
وَتَوَلَّتهُ فِي الْبَدَايَةِ أَثْدَا ۖ تُدِيرُ الرَّدَى وَتَحْسَبُ شَهْدَا^٧
وَالَّذِي تُبَصِّرَانِ لِي مِنْ رِضَاءٍ حَرَمَةً لِلْحَيَاةِ عِنْدِي تُؤَدِّى^٨

- ١ وَلَا تَارِكُ الْجَلَائِلَ ، أَيِ الْعَظِيمَاتِ . النَّائِي : الْبَعْدُ . خَرَّ : سَقَطَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ ، وَمِنْ «فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ» . وَمَعْنَاهُ أَيْضًا : اتَّكَبَ عَلَى الْأَرْضِ . وَمِنْهُ خَرَّ سَاجِدًا .
- ٢ لَا تَذُمَّ ، مِنْ الذَّمِّ ، وَهُوَ ضَدُّ الْمَدْحِ .
- ٣ اسْكُنَا إِلَى هَذِهِ الدَّارِ ، مِنْ سَكَنَ إِلَى الشَّيْءِ : ارْتَاحَ لَهُ . اسْتَعْدَا : مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ ، وَهُوَ التَّهَيُّؤُ لِلْأَمْرِ .
- ٤ الْفَرَارُ : الْهَرَبُ . مَنْ لَا يَرَى مِنَ الْمَوْتِ بَدْءًا ، أَيِ مَنَاصًا .
- ٥ الْمَهْدُ : الْمَكَانُ الَّذِي يَهَيَّاءُ لِلطِّفْلِ وَيُوطَأُ لَهُ . التَّعْلِيلُ : مِنْ عَلَّلَهُ بِالشَّيْءِ ، أَيِ شَغْلَهُ بِهِ وَأَطْمَعَهُ فِيهِ .
- ٦ وَلِيَدَا : مَوْلُودًا . جَمِّ الْحَيَاةِ : كَثِيرَهَا وَقَوِيَّتَهَا . مُقَدِّى : مَنْ فَدَا ، أَيِ قَالَ لَهُ : جَعَلْتُ فِدَاكَ .
- ٧ وَتَوَلَّتهُ : عَظَفَ عَلَى «دَعْتَهُ» فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ . الْبَدَايَةِ : الْإِبْتِدَاءُ . أَثْدَا : جَمْعُ ثَدْيٍ . الرَّدَى : الْهَلَكَ . الشَّهْدُ : الْعَسَلُ مَا دَامَ لَمْ يَعْصِرْ مِنْ شَمْعِهِ .
- ٨ الْحَرَمَةُ : الذِّمَّةُ وَالْمَهَابَةُ ، أَيِ وَمَا تَبَصَّرَ أَنَّهُ مِنْ رِضَائِي لَيْسَ إِلَّا قِيَامًا بِمَا لِلْحَيَاةِ مِنْ حَرَمَةٍ عِنْدِي .

سَنَ أَهْلِي وَأَهْلُ هِنْدَ لِقَاءِ فَمَنْ الْبِرُّ أَنْ أَجَامَلَ هِنْدًا^١
وَأَسَوْقُ الْمَهْرَ الْمَسْمُومَ هُمُومًا وَعِنَاءٌ مَعَ الزَّمَانِ وَكَدًّا^٢
إِنَّمَا الْمَوْتُ مَتَّهَى كُلُّ حَيٍّ لَمْ يُصَبْ مَالِكٌ مِنَ الْمَلِكِ خُلْدًا^٣
سَنَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ وَأَمْرٌ نَاطِقٌ عَنْ بَقَائِهِ لَنْ يُرْدَا
وَالِلَّهِ تَرْجَعُ النَّفْسُ يَوْمًا صَدَقَ اللَّهُ وَالنَّبِيُّونَ وَعَدَا

-
- ١ سَنَ أَهْلِي ... الخ ، أي وضعوا لنا سنة ، وهي اللقاء . ويريد «بهند» الحياة . المجاملة : إحسان العشرة .
- ٢ المهر : ما يجعل للمرأة صداقاً من مال ونحوه . والمهر المسمي : هو الذي يذكر في مجلس العقد .
- ٣ لم يصب ، أي لم ينل . الخلد : البقاء .

تكريم *

أبني وروحي الناعمات الغيدا الباسماتِ عن اليتيمِ نضييذا
 الرانياتِ بكلُّ أحورَ فاتر يذرُ الخليَّ من القلوبِ عميدا^١
 الراوياتِ من السلافِ محاجرًا الناهلاتِ سوالفًا وخذودا
 اللاعباتِ على النسيمِ غداثًا الراتعاتِ مع النسيمِ قُودا
 أقبلن في ذهبِ الأصيلِ ووشيه ملء الغلائلِ لؤلؤًا وفريدا
 يحدجنَ بالحدقِ الحواشيدِ دُميَّةً كظباءِ وجرةٍ مُقلَّتينِ وجيدا^٢
 حوتِ الجبالِ قلو ذهبَ تزيدها في الوهمِ حُسناً ما استطعتَ مزيدا
 لو مرَّ بالولدانِ طيفُ جمالها في الخلدِ خروا رُكعًا وسُجودا
 أشهى من العودِ المرئمِ منطقًا وألذُّ من أوتارِهِ تغريدا
 لو كنتَ سعداً مُطلقَ السجناءِ ، لم تُطلقِ لساحرٍ طرفها مصفودا^٣
 ما قصَّرَ الرؤساءُ عنه ، سعى له سعدٌ ، فكان مؤفَّقًا ورشيدا
 يامصرُ ، أشبالُ العرينِ ترعرعت ومشتَ إليك من السجونِ أسودا
 قاضي السياسةِ نالهمُ بعقابه خَشِنَ الحكومةِ في الشبابِ عَتيدا

* في وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٣٤ أطلق سجناء ، كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قد أدانتهم في مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها ، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة إخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم في هذا الاحتفال ، فنظم هذه القصيدة ، مشيراً فيها إلى أهم ما كان يشغل بال الناس في ذلك العهد من الحوادث .

١ الرانيات : اللاتي يدمن النظر بطرف ساكن .

٢ وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، تسكنه الظباء والوحوش .

٣ المصفود : الموثق المغلل .

أنتِ الحوادثُ دون عقدِ قضائه
تقضي السياسةُ غيرَ مالكةٍ لِمَا
قالوا : أنظّم للشباب نحيّةً
قلتُ : الشبابُ أتمُّ عقدَ مآثرِ
قَبِلْتُ جُهودَهُم البلادُ ، وقَبِلْتُ
خرجوا ، فما مدّوا حناجرَهم ، ولا
خفيَ الأساسُ عن العيونِ تواضعاً
ما كان أفطنهم لكل خديعةٍ
لما بنى الله القضيةَ منهم
جادوا بأيام الشبابِ ، وأوشكوا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مَثُوبَةً
والله : ما دون الجلاءِ ويومه
وجَدَ السجينُ يداً تُحطِّمُ قيدهُ
ريحت من التصريح أن قيودها
أو ما تُروُن على المنابعِ عُدَّةً
يا قِتَّةَ النيلِ السعيدِ : خذوا المدى
وتنكبّوا العدوان ، واجتنبوا الأذى
الأرضُ أليقُ منزلاً بجماعةٍ
أتم غداً أهلُ الأمور ، وإنما
فأبنوا على أُسس الزمان وروحه

فانهارَ يَنَّةٌ ، وذلكَ شهيدا
حكمتُ به نقضاً ولا توكيدا
تَبَقَى على جيدِ الزمان قصيدا ؟
من أن أزيدَهُمُ الثناء عقودا
تاجاً على هاماتهم معقودا
مُتَوّاً على أوطانهم مجهودا
من بعد ما رفع البناءَ مَشِيدا
ولكلُّ شرٍّ بالبلاد أريدَا
قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا
يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
لم يطلبوا أجرَ الجهادِ زهيدا
يومٌ تُسميه الكِنانةُ عيدا
من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا ؟
قد صِرْنَ من ذهبٍ ، وكُنَّ حديدًا
لا تنجلي ، وعلى الصّفافِ عديدا ؟
واستأنفوا نَفْسَ الجهادِ مَديدا
وقفوا بمصرَ الموقفِ المحمودا
يغيثون أسبابَ السماءِ قُعودا
كُنّا عليكم في الأمورِ وُقُودا
رُكُنَ الحضارةِ باذخاً وشديدا

١ القضية : السياسة المصرية .

٢ يريد بالجلاء جلاء الجنود الانجليزية المحتلة عن أرض البلاد .

٣ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

٤ منابع النيل .

الهدمُ أجملُ من بناية مُصلح
وجهُ الكنانةِ ليس يُغضبُ ربكم
ولُوا إليه في الدُّروسِ وجوهكم
إنَّ الذي قسمَ البلادَ حباكم
قد كان - والدنيا لُحودُ كُلِّها -
يُتَبني على الأسسِ العتاقِ جديدا
أن تجعلوه كوجهه معبودا
وإذا فرغتم ، واعبدوه هُجودا
بلداً كأوطانِ النجومِ مَجيدا
للعبقريَّةِ والفنونِ مُهودا

* * *

مجدُ الأمورِ زواله في زَلَّةٍ
الفردُ بالشورى ، وباسمِ نَدِيَّها
خلعتهُ دونَ المسلمينَ عصابةُ
يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ
جعلوا مشيئتهُ الغيَّةَ سلماً
إني نظرتُ إلى الشعوبِ فلم أجذُ
الجهلُ لا يلدُ الحياةَ موأتهُ
لم يخلُ من صُورِ الحياةِ ، وإنما
وإذا سى الفردُ المُسلطُ مجلساً
ورأيت في صدرِ التَّديِّ مُنوماً
الحقُّ سهمٌ ، لا ترشهُ بباطلٍ
والعبُّ بغيرِ سلاحه ، فلربَّما
لا تُرجُ لاسمكُ بالأمورِ خلودا
لُفِظَ الخليفةُ في الظلامِ شريدا
لم يجعلوا للمسلمينَ وجودا
خَلِقَ السَّوادُ مُضِلَّلاً وَمَسوداً^١
نحو الأمورِ لَمَن أراد صعودا
كالجهلِ داءُ للشعوبِ مُبيدا
إلا كما تَلدُ الرِّمامُ الدودا^٢
أخطاهُ عُصرُها ، فمات وليدا
ألفيتُ أحرارَ الرجالِ عبيدا
في عُصبةٍ يتحرَّكون رُقودا
ما كان سهمُ المُبطلين سديدا^٣
قتلَ الرجالَ سلاحُه مردودا

١ سواد الناس : عامتهم .

٢ موات الجهل : الخراب الذي يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ، وهي العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة .

٣ راس السهم يريشه : ألصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذاً .

على سفح الأهرام *

قف ناجِ أهرامَ الجلالِ ، ونادِ : هل من بُنائِكَ مجلسٌ أو نادي؟
نشكو ، ونفرعُ فيه بين عيونهم إن الأبوّة مفزعُ الأولاد
ونبئهم عبثَ الهوى بثرائهم من كل مُلتي للهوى بقياد
ونبينُ كيف تفرّق الإخوانُ في وقتِ البلاء تفرّقَ الأضداد^١
إن المغالطَ في الحقيقةِ نفسه باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عاد

* * *

قل للأعاجيبِ الثلاثِ مقالةً من هاتفٍ بمكانهن وشاد^٢
لله أنتِ ، فما رأيتُ على الصفا هذا الجلالَ ولا على الأوتاد
لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيةٌ وعليكِ روحانيةُ العباد
أسستِ من أحلامهم بقواعد ورُفعتِ من أخلاقهم بعماد

* * *

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةً من نعمةٍ ، وساحةٍ ، ورماد^٣
إن نحن أكرمنا التزيلَ حيالها فالضيفُ عندك موضعُ الإرفاد
هذا الأمينُ بجائطيكِ مطوّفاً متقدّمَ الحجاجِ والوفاد ؟
إن يعدّه منك الخلودُ ؛ فشعره باقٍ ، وليس بيانه لنفاد

* أمين أفندي الريحاني أدب من أدباء لبنان ، وفد إلى مصر فأقام له بعض الأدباء حفلاً على سفح الأهرام ، شاطروهم لياه صاحب الديوان .

١ نين : مضارع أبان الشيء : أوضحه . والبلاء : الغم يبلي الجسم .

٢ الأعاجيب الثلاث : يريد بها الأهرام الثلاثة .

٣ الساحة : موافقة الرجل على ما يراود منه .

إليه أمينٌ ، لمستَ كلَّ مُحجَّبٍ في الحسن من أثر العقول وبادي
 قم قَبْلَ الأحجارِ والأيدي التي أخذتْ لها عهداً من الآباد^١
 وخُذْ النبوغَ عن الكِنانة ، إنها مهْدُ الشُّموسِ ، وَمَسْقَطُ الآرادِ
 أُمُّ القُرَى - إن لم تكن أُمُّ القُرَى - ومثابةُ الأعيان والأفراد^٢
 ما زال يَغشى الشرقَ من لحاتها في كل مُظْلِمَةٍ شُعاعٌ هادي
 كم من جَلالٍ أنعمَ لمحمدٍ بل كم لإسماعيلَ بيضُ أيادي^٣
 لولا اِهتمامُهما لظلَّ الشرقُ في وادٍ وأبناء الزمان بوادي^٤

* * *

رفعوا لكَ الرِّيحانَ كاسمك طيباً إن السَّحارَ تحيةُ الأجدادِ
 وتَحَيَّرُوا لِلْمِهْرِجَانِ مكانه وجعلتْ موضعَ الاحتفاءِ قَوادي^٥
 سلفَ الزمانِ على المودَّةِ بيننا سنواتٌ صحوٍ بل سنواتٌ رقادِ
 وإذا جمعتَ الطَّيِّباتِ رددتها لعتيقِ خمرٍ أو قديمٍ ودادِ
 يا نَجْمَ سورِيَّا - ولست بأولٍ - ماذا نَمَتَ من نِيرٍ وقاد ؟
 اطلَّعْ على يَمَنِ يُمْنِكَ في غدٍ وتجلَّ بعد غدٍ على بغدادِ
 وأجلُ خيالكَ في طُلُولِ ممالكٍ مما تجوبُ ، وفي رُسُومِ بلادِ

١ الآباد : جمع أبد ، وهو الدهر .

٢ القرى : الضيافة ، أو ما قرى به الضيف ، والقرى : جمع قرية .

٣ أنعم : جمع نعماء ، وهي اليد البيضاء الصالحة . محمد : هو محمد علي مؤسس بيت الملك في مصر . اسماعيل : هو الخديو اسماعيل . بيض آباد ، أي آباد بيض ، من إضافة الصفة للموصوف .

٤ لولا اهتمامهما ، أي اهتمام محمد علي واسماعيل . في وادٍ : المراد في ناحية ، وأبناء الزمان ، أي أبناء العصر من غير أهل الشرق في ناحية أخرى . والمعنى أن عناية اسماعيل وجده محمد علي هي التي أشركت الشرق في علوم الغرب ومعارفه ووسائل رقيه .

٥ المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق أول الشتاء ، ثم صار في الحريف .

وسل القبور - ولا أقول سل القرى - هل من ربيعة حاضر أو بادي
سترى الديار من اختلافِ أمورِها نطقَ البعيرِ بها ، وعيَّ الحادي

* * *

قُصِّيتَ أيامَ الشباب بعالم لبس السنين قشيبَةَ الأبراد^١
ولَدَ البدائعَ والروائعَ كلها وَعَدَّتهُ أَنْ يَلْدَ البيانَ عوادي
لم يَخْتَرعَ شيطانَ حسان ، ولم تُخْرِجَ مِصَانَعُهُ لِسَانَ زِيَاد^٢
اللهُ كَرَّمَ بِالْبَيَانِ عَصَابَةَ فِي الْعَالَمِينَ عَزِيزَةَ الْمِيلَادِ
هُومِيرُ أَحْدَثُ مِنْ قُرُونٍ بَعْدَهُ شِعْرًا ، وَإِنْ لَمْ تَخْلُ مِنْ آحَادِ^٣
وَالشَّعْرُ فِي حَيْثِ النَّفُوسُ تَلَدُّهُ لَا فِي الْجَدِيدِ ، وَلَا الْقَدِيمِ الْعَادِي
حَقُّ الْعَشِيرَةِ فِي نَبْوَغِكَ أَوَّلُ فَانْظُرْ ، لَعَلَّكَ بِالْعَشِيرَةِ بَادِي
لَمْ يَكْفِهِمْ شَطْرُ النَّبْوَغِ ، فَرَدَّهُمْ إِنْ كُنْتَ بِالشُّطْرَيْنِ غَيْرَ جَوَادِ
أَوْ دَعِ لِسَانَكَ وَاللِّغَاتِ ، فَرَبِّمَا غَنَى الْأَصِيلُ بِمَنْطِقِ الْأَجْدَادِ
إِنْ الَّذِي مَلَأَ اللِّغَاتِ عَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ^٤

- ١ قصيت : خطاب للريحاني ، والعالم الذي قضى به أيام شبابه هو أمريكا التي قام بها .
- ٢ لم يخترع . . . الخ : يريد أنه عالم لم يرتق في اختراعه إلى حيث يتتبع البلاغة اللسانية التي كرم الله بها العرب . وحسان : الشاعر الصحابي المعروف . وزیاد : هو زياد بن أبي سفيان ، كان من أخطب العرب .
- ٣ هومير : شاعر يوناني قديم ، كان شعره قصصاً يضمّن وصف الأبطال والإشادة بذكورهم ، وهو صاحب الإلياذة ، يريد أن شعره - على أنه قديم - أجود من شعر الذين جاءوا بعده ، وإن كانت أيامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم .
- ٤ الضاد : اللغة العربية ، وإنما سميت كذلك لأن الضاد لا توجد في لغة سواها ، ولا يقوي أهل اللغات الأخرى على النطق بها .

المطرية تتكلم *

يا ناشِرَ العلم بهذي البلاد
باني صَروحِ المجدِ ، أنتَ الذي
بالعلم سادَ الناسُ في عصرهم
أطلب المجدَ ويبغي العلا
نَقَادُ أعمالك مُغَلِّ لها
ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه
سمعاً لشكاوي ، فإن لم تجد
عدلاً على ما كان من فضلهم
أسمعُ أحياناً ، وحيناً أرى
قَدَمَتَ قبلي مدناً أو قُرى
أنا التي كنت سريراً لمن
قد وحدَ الخالقَ في هيكلي
وهذب الهندُ دياناتهم
ومن تلاميذي موسى الذي
وأرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى
وَقُتتَ ، نشرَ العلم مثلُ الجهاد
تبنى بيوتَ العلم في كل ناد
واخترقوا السبعَ الطباقَ الشَّداد
قومٌ لسوقِ العلم فيهم كساد ؟
إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد
وأسهلَ القولَ على من أراد
منك قبولاً ؛ فالشكاوي تُعاد
فالفضلُ إن وُزِعَ بالعدلِ زاد
مدرسةً في كلِّ حيٍّ تُشاد
كنتُ أنا السيفَ ، وكنَّ النِجاد
ساد كإِدْوَرْدَ زماناً وشاداً
من قبل سقواطَ ومن قبل عاد
بكل خافٍ من رموزي وباد
أُوحِيَ مِنْ بعدُ إليه فهاداً
أبامَ تُربِّي مهدهُ والوساداً

• وأحسن صاحب الديوان أيام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد إلى مدرسة تهذب أبنائه ،
فناشد وزير المعارف يومئذ (سعد زغلول باشا) على لسان المطرية أن يقوم بإنشاء هذا الأثر
الجليل .

١ ادورد : ملك الانجليز .

٢ موسى : النبي عليه السلام . وأوحى إليه : أنزل الله عليه الوحي .

٣ عيسى : ابن مريم عليه السلام .

مدرستي كانت حياضَ التَّهَى قرارةَ العرفان ، دارَ الرشاد^١
 مشايخُ اليونان يأتونها يُلْقون في العلم إليها القياد
 كنا نُسميهم بصبيانهِ وصِيتي بالشيب أهل السداد

* * *

ذلك أمسي ، ما به ريةٌ ويومي القبة ذات العباد
 أصبحتُ كالفرديوس في ظلها من مصرَ للخنكا لِظلي امتداد
 لولا جَلَى زيتوني التَّضَرُّرِ ، ما أقسمَ بالزيتونِ ربُّ العباد^٢
 الواحةُ الزَّهراء ذات الغنى تُربي التي ما مثلها في البلاد
 تُريك بالصبح وجُنجح الدُّجى بدورَ حسن ، وشموسَ انتقاد

* * *

بَنِيَّ - يا سعدُ - كَرُغِبِ القَطَا لا نَقُصُ اللهَ لهم من عِداد
 إن فاتكَ النسلُ فَأَكْرِمِ بهم ورُبُّ نَسْلِ بالندی يُستفاد
 أخشى عليهم من أذى رائحِ يجمعهم في الفجر والعصر غاد
 صفيْرُهُ يَسْلُبني راحتي ويمنعُ الجفنَ للذيدَ الرقاد
 يعقوبُ من ذئب بكى مُشْفِقاً فكيفَ أنيابُ الحديدِ الحِداد^٣
 فانظرْ - رعاكَ اللهُ - في حاجهم فنظرةٌ منك تُنيلُ المراد
 قد بسطوا الكفَّ على أنهم في كرم الراح كصوبِ العِهاد
 إن طُلبَ القسطُ فما منهمُ إلا جوادٌ عن أيهِ الجواد

- ١ مدرسة المطرية القديمة : إحدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها .
- ٢ الزيتون : شجر مشر معروف ، وثمره يسمّى زيتوناً أيضاً ، وتسمّى به ضاحية أخرى من ضواحي القاهرة مجاورة للقبة .
- ٣ يعقوب : النبيّ أبو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع إليه أبناءه أخوة يوسف ، فأخبروه أن الذئب أكله ، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبسّطة في كتب التاريخ الديني .

الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

سَلْ «يَلْدِزَا» ذاتَ القصورِ هل جاءها نبأُ البدورِ ١؟
لو تَسْتَطِيعُ إجابةً لبكتك بالدَّمعِ الغزيرِ
أخني عليها ما أنا خ على الحَوْرَتِ والسُّديرِ ٢
ودها الجزيرةَ بعدَ إسـ إسماعيلَ والمَلِكِ الكبيرِ ٣
ذهبَ الجميعُ ، فلا القصورِ رُ تُرى ، ولا أهلُ القصورِ
فلكَ يدورُ سعوده ونحوهُ بيدَ المديرِ
أين الأوانسُ في ذُرَا ها من ملائكةِ وحورِ ٤؟
المرَعَاتُ من النعيمِ حم ، الراوياتُ من السرورِ
العائراتُ من الدلا لي ، الناهضاتُ من الغرورِ
الآمَراتُ على الولا ق ، الناهياتُ على الصدورِ
الناعماتُ ، الطيبا ت العَرَفِ ، أمثالُ الزهورِ
الذاهلاتُ عن الزما نِ بنشوةِ العيشِ النضيرِ
المشرفاتُ - وما انتقل ن - على الممالكِ والبحورِ

- ١ يلدز - في لغة الترك : اسم نجم ، وقد سمي به قصر عظيم في الآستانة ، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه .
- ٢ الحورنق : قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة أيضاً للمنادرة .
- ٣ الجزيرة : هي جزيرة الروضة في النيل شرقي القاهرة ، وكان بها قصر عظيم من قصور الخديو إسماعيل .
- ٤ الأوانس : جمع آنسة ، وهي الطيبة النفس . والحور : جمع حورية ، وهي المرأة البيضاء الناعمة .

من كل بلقيس على كرسى عزتها الوثيرا
 أمضى نفوذاً من زبيدة في الإمارة والأمير^٢
 بين الرّفارف ، والمشا رف ، والزخارف ، والحرير
 والروض في حجم الدنا والبحر في حجم الغدير
 والدرّ مؤتلق السنا والمسك فياح العبير
 في مسكن فوق السما لك ، وفوق غارات المغير
 بين المعازل ، والقنا والخيل ، والجمل الغفير
 سموه يلدز ، والأفول نهاية النجم المغير

* * *

دارت عليهن الدوا ثر في المخادع والحدود
 أمسين في رق العبيد مل وثن في أسر العشير
 ما يتبين من الصلا ق ضراعة ومن النذور
 يطلبن نصرة ربهن وربهن بلا نصير^٣
 صبح السواد حبيرهن وكان من يقي الحبور
 أنا إن عجزت فإن في بردي أشعر من جرير
 خطب الإمام على التظي سم يعز شراً والشير
 عظة الملوك ، وعبرة الـ أيام في الزمن الأخير
 شيخ الملوك وإن تضع ضع في الفؤاد وفي الضمير
 نستغفر المولى له والله يعفو عن كثير
 ونراه عند مصابه أولى بباك أو عذير

١ بلقيس : ملكة سبا من أرض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسطة في كتب التاريخ الديني .

٢ زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد .

٣ ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد .

ونصونه ، ونُجِّلُه
 عبدَ الحميد ، حسابُ مث
 سُدَّتْ الثلاثينَ الطوا
 تهى وتأمر ما بدا
 لا تستشيرُ وفي الحمى
 كم سَبَّحوا لك في الروا
 ورأيَهم لك سجداً
 خفضوا الرؤوسَ ووتروا
 ماذا دهاك من الأمور
 ما كنتَ إن حدثتَ وجلتُ
 أين الرُّؤيةُ ، والأنا
 إنَّ القضاء إذا رمى
 دخلوا السرير عليك يح
 أعظمَ بهم من آسريد
 أسدٌ هَـصُورٌ أنشَبَ الـ
 قالوا : اعتزل . قلتُ : اعتزل
 صبروا لدولتكَ السنيـ
 أوديتَ من دُستورهم
 وغضبتَ كالمنصورِ أو
 ضُئوا بِضائعِ حقِّهم
 هلا احتفظتَ به احتفا

بين الشماعة والنكير
 لِكَ في يدِ الملكِ الغفور
 لَ ، ولَسَنَ بالحُكمِ القصير
 لك في الكبير وفي الصغير
 عددُ الكواكب من مُشير
 ح ، وألْهُوكَ لدى البُكور
 كسجود موسى في الحضور
 بالذل أقواسَ الظهور
 ر وكنتَ داهيةَ الأمور ؟
 بالجزوع ولا العُشور
 ة ، وحكمةُ الشيخ الخبير ؟
 دك القواعد من بُير^٢
 تكون في ربِّ السرير
 نَ وبالخليفة من أسير
 لأظفار في أسدٍ هَـصُور
 ت . الحكمُ لله القدير
 ن ، وما صبرتَ سوى شهـ
 وحننتَ للحكم العسير
 هارون في خالي العصور^٣
 وضنتَ بالدنيا الغرور
 ظَ مُرْحَبٍ فِرِحٍ قرير ؟

١ كسجود موسى في الحضور : أي حضوره حين تجلَّى له الله فكلمه .

٢ بُير : جبل معروف .

٣ أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد : من الخلفاء العباسيين .

هو حليّة الملك الرشيد ، وعِصْمَةُ الملك الغرير
وبه يُبارَك في الممالك والملوك على الدهور

* * *

يأبها الجيش الذي لا بالدّعيّ ، ولا الفَخْوَ
يخفي ، فإن ربيع الحمى لفت البريّة بالظهور
كاللث ، يسرف في الفعا ل ، وليس يُسرف في الزئير
الخطاب العلّيا بالأرواح غالبة المهور
عند المهيمن ما جرى في الحق من دَمِكَ الطهور
يتلو الزمان صحيفة عراً مُذهّبة السطور
في مدح أنورك الجري ، وفي نيازيك الجسور
يا شوكت الإسلام ، يا فاتح البلد العسير
وابن الأكارم من بني عُمر الكريم على البشير^١
القابضين على الصليب بل كجدّهم ، وعلى الصّير
هل كان جدك في ردا ثك يوم زحفك والكرور ؟
فكنصت صياد الأسو د ، وصدت قناص النور
وأخذت يلدز عنة ومَلكت عنقاء الثغور^٢

* * *

١ أنور ، ونيازي ، وشوكت : كانوا من كباد القواد في الجيش العثماني ، وكانوا على رأس الحركة التي قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركية .

٢ عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب ، كان شوكت باشا من سلالة . والبشير : من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ أخذ الشيء عنة : أي قهراً . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم ، يضرب مثلاً لكل عزيز ممتنع ، والمراد أنه ملك ثغر الاستانة الذي يشبه العنقاء في عزته وامتناعه .

المؤمنون بمصر يُهد	مدون السلام إلى الأمير
ويُبايعونك يا محمد	حدُّ في الضمائر والصدور ^١
قد أمّلوا لهما لهم	حظُّ الأهلّة في المسير
فابلغ به أوج الكما	ل بقوة الله النصير
أنت الكبير ، يُقلّدو	نك سيف عثمان الكبير
شيخ العزاة الفاتح	ن ؛ حُسامه شيخ الذكور
يمضي ويغمد بالهدى	فكانه سيف النذير ^٢
بشرى الإمام محمد	بخلافة الله القدير
بشرى الخلافة بالإما	م العادل التره الجدير
الباعث الدستور في ال	إسلام من حفر القبور
أودى «معاوية» به	وبعثته قبل التُشور ^٣
فعلى الخلافة منكما	نور تلاً فوق نور

١ محمد : هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد .

٢ النذير : من أسماء النبي .

٣ معاوية ابن أبي سفيان : أول ملوك الدولة الأموية ، وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهي معنى حكم الدستور ، فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه .

تهنئة*

الدهرُ جاءك باسط الأعذار فاقبلْ فأمرُ الدهرِ للأقدار
 هل كنتَ تدفعُ حاضراً أو غائباً عن مصر حكمَ الواحدِ القهار؟
 ذَاقَتْ نَوَاكَ ورُوِّعَتْ بثلاثةٍ بالداءِ بعد المحلِّ بعد النار^١
 ودهى الرعيةَ ما دهمي فتساءلوا في كلِّ نادٍ، أينَ ربُّ الدار؟^٢
 ذكروكَ والتفتُّوا لعلك مُسعدٌ ذكَّرَ الصغيرُ أباهُ في الأخطار^٣
 فأسى جراحهمُ وبلَّ صدامهمُ طيبُ الرسائلِ منك والأخبارُ^٤
 لهني على مُهَجٍ غوالٍ غالها خافي الديبِ محجَّبُ الأظفار^٥
 خمسونَ ألفاً في المدائنِ صادمهم شركُ الردى في ليلةٍ ونهار^٦

٥ . أصابت (الكوليرا) بلدًا من بلاد الصعيد في غيبة أمير البلاد يومئذ . فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة يهنئه فيها بسلامة العودة ورحمة الله التي زاملتها فأدركت هذا البلد وحمته شر المغيب من هذا الوباء .

١ نواك : بعدك . المحل : الجذب ، يشير بالداء والمحل والنار ، إلى ما حدث في صيف تلك السنة من ظهور مرض الكوليرا في بعض جهات الصعيد ، ومن شرق الزرع لقلعة ماء النيل ، ومن شبوب النار في جهات كثيرة من ريف البلاد .

٢ . دهمي الرعية ما دهمي ، أي أصابها ما أصابها .

٣ مسعد : معين . الأخطار : جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك .

٤ أسى جراحهم : دواها . الصدى : العطش .

٥ اللهف : الحزن . الغوالي : جمع غالية ، الثمنية . غالها : أهلكها وأخذها من حيث لا تدري .

الديب : المشي على هيئة كمشي الطفل والنملة .

٦ المدائن : جمع مدينة . الشرك : حبال الصيد .

ذَهَبُوا فَلَيْتَ ذَهَابِهِمْ لِعَظِيمَةٍ مَرْمُوقَةٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ لِفَخَارٍ
فَالْمَوْتُ عِنْدَ ظِلَالٍ مُوشَا رَائِعٍ كَالْمَوْتُ فِي ظِلِّ الْقَنَا الْخَطَّارِ^٢

* * *

أَهْلًا بِلَطْفِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَائِهِ سَكَنَ الْقَضَاءُ بِهِ فَلَيْسَ يَجَارِي
لَمَّا التَّمَسُّنَاهُ تَمَثَّلَ فَانْجَلَى قَمَرًا بِرَأْسِ التِّينِ لِلنُّظَارِ^٣
عَادَ الْأَمَانُ وَعَدْتَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ وَالبَدْرُ يَجْمَلُ عِنْدَ أَمْنِ السَّارِي^٤
إِنْ شَعْتَ فَانْزِلْ فِي الْقُلُوبِ كَرَامَةً أَوْ شَعْتَ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
رَحُبْتَ لِمَصْرَ بَكَ السَّلَامَةَ وَانْقَضَى مَا لِلْحَوَادِثِ عِنْدَهَا مِنْ ثَارٍ^٥
فَاسْتَقْبِلَا صَفْوَ اللَّيَالِي وَاسْحَبَا ذِيلاً عَلَى الْأَسْوَءِ وَالْأَكْدَارِ^٦
وَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظْرَةً عُلُويَّةً يَدْنُو بِهَا الْقَاصِي مِنَ الْأَوْطَارِ^٧
إِنَّ الْحُكُومَةَ مِنْ يَمِينِكَ فِي يَدِ مَأْمُونَةٍ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ
وَالْأَمْرُ يَجْرِي فِي الصَّلَاحِ لَغَايَةِ بَيْنِ الْمَرَاثِي مِنْكَ وَالْأَنْظَارِ^٨

- ١ مرموقة : من رفقه ، لحظه لحظاً خفيفاً أو أطال النظر إليه .
٢ ظلال : جمع ظل . موشا : قرية من أعمال الصعيد فتكت الكوليرا بأهلها في تلك السنة فتكاً شديداً . الرائع : المفزع . القنا الخطار : الرماح المضطربة .
٣ التمسناه : طلبناه . تمثَّل ، من قولهم : تمثَّل الشيء لفلان ، إذا حضرت صورته في ذهنه . انجلى : ظهر ووضح . رأس التين : قصر في الإسكندرية على روة لسان من الأرض محمد في البحر الأبيض ، وهو مقرَّ صاحب العرش في الصيف . النظار : جمع ناظر .
٤ ابن محمد : الخديو عباس . الساري : من يمشي عامة الليل .
٥ رحبت : اتسعت .
٦ فاستقبلا : أي أتت ومصر . الأسواء : جمع سوء . الأكدار : جمع كدر .
٧ علوية : منسوبة إلى علي جدّه . الأوطار : جمع وطر ، وهو الغرض .
٨ المراثي : جمع مرآة . الأنظار : جمع نظر .

فانصُرْ بِهَيْمَتِكَ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا إِنَّ الْعُلُومَ قَلِيلَةٌ الْأَنْصَارُ
 لَا يُظْهَرُ الْكِبَرَاءُ آيَةً عَزَّهِمْ حَتَّى يُعْزَوْا آيَةَ الْأَفْكَارِ
 فَتَ النُّجُومَ الزَّهَرَ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَنَزَلَتْ فَوْقَ مَنَازِلِ الْأَقْمَارِ
 وَظَهَرَتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا كَالشَّمْسِ مَظْهَرٌ رَفْعَةٍ وَوَقَارِ
 وَالْأَرْضُ مِنْ أَنْوَارِ ذَاتِكَ أَشْرَقَتْ لَا تُخْلِهَا أَبَدًا مِنَ الْأَنْوَارِ
 هَزَّتْ مَنَاقِبُهَا بِأَعْظَمِ مُسْلِمٍ فِي النَّاسِ بَعْدَ خَلِيفَةِ الْمُخْتَارِ^١
 مِنْ مَبْلَغِ دَارِ السَّعَادَةِ أَنَّهَا سَعِدَتْ بِعَالٍ فِي الْمُلُوكِ مَنَارِ^٢
 أَسْنَى وَفَادَتَهُ بِهَا وَأَجَلَّهُ حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ^٣
 بَرْدُ الْخِلَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ جَذْوَةٌ وَحَمٍ سَى الْخِلَافَةِ وَالسِّيَوفُ عَوَارِي^٤
 لَكَ عِنْدَهُ مَا شِئْتَ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ عَطْفٍ وَمِنْ نَصْرِ وَمِنْ إِكْبَارِ
 عَرْشٌ عَلَى الْبُوسْفُورِ مَعْتَزٌّ بِهِ عَرْشٌ قَوَائِمُهُ عَلَى الْأَنْهَارِ^٥

- ١ النجوم الزهر : المنيرة ، جمع أزهر . المنازل : جمع منزلة ، وهي موضع النزول .
- ٢ مناكبها ، أي الأرض ، وهي المواضع المرتفعة فيها .
- ٣ دار السعادة : الآستانة ، وكان الخديو قد زارها في تلك السنة . المنار : العلم يجعل في الطريق للاهتداء .
- ٤ أسنى وفادته : رفعها . والوفادة : القيدوم . حامي الحقيقة : هو من يدفع عما يلزم الدفاع عنه ، والمراد السلطان عبد الحميد .
- ٥ برد الخلافة ، صفة لحامي الحقيقة ، والبرد : ضد الحر . الجذوة : الجمرة الملتهبة . الحمى : ما لا يجترأ عليه .
- ٦ عرش على البسفور ، المراد عرش الخلافة . والبسفور : اسم أحد بوغازي الآستانة ، وهو يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود . والمراد بالعرش الثاني : عرش مصر .

لك في كتاب الدهر يا بن محمد طغرى مذهبة من الأشعار^١
ود الرشيد لو انها لزمانه في جملة الحسنات والآثار^٢
ويود قيصر لو تكون لعصره سمة يتيه بها على الأعصار^٣
لا أقنع الحساد، أين مكانها أمري إلى حكم من الأدهار

- ١ لك في كتاب الدهر ، الخطاب للخدوي . الطغرى : كلمة تنرية ، وهي علامة كانوا يكتبونها بالقلم الغليظ في طرف كتب الأوامر فتقوم مقام السلطان . والمراد بها هنا : شعر صاحب الديوان .
- ٢ الرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي .
- ٣ قيصر : ملك الروم .

انتحار الطلبة *

ناشئة في الورد من أيامه حسبته الله ، أبا الورد عشر ؟
سدّد السهم إلى صدر الصبا ورماه في حواشيه الغرر
بيد لا تعرف الشر ، ولا صلحت إلا لتلهو بالأكر
بسطت للسّم والحبل ، وما بسطت للكأس يوماً والوتر
غفر الله له ، ما ضرّه لو قضى من لذّة العيش الوطر ؟
لم يُمتّع من صبا أيامه ولياليه أصيلٌ وسحرا
يتمنى الشيخ منه ساعة بحجاب السمع ، أو نور البصر
ليس في الجنة ما يشبهه خفة في الظلّ ، أو طيب قصر
فصبا الخلد كثير دائم وصبا الدنيا عزيزٌ مُحْتَصِر

* * *

كل يوم خبر عن حدّث سمّ العيش ، ومن يسأم يذر
عاف بالدنيا بناءً بعد ما خطب الدنيا ، وأهدى ، ومهر
حلّ يوم العرس منها نفسه رجم الله العروس المحتصر
ضاق بالعيشة ذرعاً ، فهو عن شقا اليأس ، وبئس المنحدر
راحلاً في مثل أعمار المنى ذاهباً في مثل آجال الزهر

- رأى صاحب الديوان ذلك المفرع الوبي ، الذي يفرع إليه صغار الطلبة في مصر بعد سقوطهم في الامتحانات ، فنظم لهم هذه القصيدة .
- ١ الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب .

هارباً من ساحة العيش ، وما
لا أرى الأيام إلا مَعْرَكاً
ربّ واهي الجأش فيه قَصَفٌ
شارَفَ العَمْرَةَ منها والغُدرُ
وأرى الصَّنْدِيدَ فيه من صَبْرٍ
مات بالجن ، وأودى بالحدَرِ

* * *

لامه الناس ، وما أظلمهم
ولقد أبلأك عذراً حسناً
قال ناسٌ : صَرَعَةٌ من قدر
ويقول الطبُّ : بل من جئتُ
ويقولون : جفاء راعه
وامتحان صَعْبَتُهُ وَطَأَةٌ
لا أرى إلا نظاماً فاسداً
مِنْ ضَحَاياه - وما أكثرها ! -
ما رأى في العيش شيئاً سرّه
نزل العيش ، فلم يتزل سوى
ونهاى ليس فيه غبطةٌ
ودروسٍ لم يُدَلِّلْ قطفها
ولقد تُنْهَكُ نَهَكَ الصَّنَى
ويلاقي نَصَباً مما انطوى
إخوةٌ ما جَمَعْتَهُمْ رَجِمٌ
لم يرفرف مَلِكُ الحبِّ على

وَقَلِيلٌ مِنْ تَغَاضَى أَوْ عَذَرٍ
مُرْتَدِي الْأَكْفَانِ مُلْقَى فِي الْخُفْرِ
وَقَدِيمًا ظَلَمَ النَّاسَ الْقَدَرُ
وَرَأَيْتُ الْعَقْلَ فِي النَّاسِ نَذَرَ
مِنْ أَبٍ أَغْلَظَ قَلْبًا مِنْ حَجَرٍ
شَدَّهَا فِي الْعِلْمِ أُسْتَاذٌ نَكِرَ
فَكَّكَ الْغَلَمَ ، وَأودى بِالْأَسْرِ ؟
ذَلِكَ الْكَارَةُ فِي غَضِّ الْعُمُرِ
وَأَخْفُ الْعِيشِ مَا سَاءَ وَسَرٍ
شَعْبَةُ الْهَمِّ ، وَيَبْدَأُ الْفِكْرُ
وَلِبَالٍ لَيْسَ فِيهِنَّ سَمَرُ
عَالَمٌ إِنْ نَطَقَ الدَّرْسُ سَحَرُ
ضَرَّةٌ مَنْظَرُهَا سَقَمٌ وَضَرُ
فِي بَنِي الْعَلَاتِ مِنْ ضِغْنٍ وَشَرٍ^١
بَعْضُهُمْ يَمْشُونَ لِلْبَعْضِ الْخَمَرُ
أَبْوَهُمْ أَوْ يُبَارِكُ فِي الشَّرِّ

١ الصنديد : السيد الشجاع .

٢ الواهي : الضعيف المتداعي إلى السقوط .

٣ بنو العلات بفتح العين : هم بنو أمهات شتى من رجل واحد .

خَلَقَ اللهُ مِنَ الْحُبِّ الْوَرَى وَبَنَى الْمُلْكَ عَلَيْهِ وَعَمَرَ

* * *

نَشَأَ الْخَيْرَ ، رَوِيداً ، قَتَلَكُمْ	فِي الصَّبَا النَّفْسَ ضَلَالٌ وَخُسْرًا
لَوْ عَصَيْتُمْ كَاذِبَ الْيَأْسِ ، فَا	فِي صِبَاهَا يَنْحَرُ النَّفْسَ الضُّجْرَ
تُضْمِرُ الْيَأْسَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا	عِنْدَهَا عَنْ حَادِثِ الدُّنْيَا خَيْرَ
فِيمَ تَجْنُونَ عَلَى آيَاتِكُمْ	أَلَمْ تَكُنْ شَدِيداً فِي الْكِبَرِ ؟
وَتَعْقُونَ بِلَاداً لَمْ تَزَلْ	بَيْنَ إِشْفَاقٍ عَلَيْكُمْ وَحَذَرِ ؟
فَصَابُ الْمُلْكَ فِي شَبَابِهِ	كَمْ صَابُ الْأَرْضِ فِي الزَّرْعِ النَّصْرِ
لَيْسَ يَدْرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَا	كَانَ يُعْطَى لَوْ تَأْتَى وَانْتَظِرْ
رُبُّ طِفْلِ بَرِّحِ الْبُؤْسُ بِهِ	مُطِيرَ الْخَيْرِ فَتِيًّا وَمَطَرِ
وَصَبِيٍّ أَزْرَتْ الدُّنْيَا بِهِ	شَبٌّ بَيْنَ الْعَزِّ فِيهَا وَالْخَطَرِ
وَرَفِيعٍ لَمْ يُسَوِّدْهُ أَب	مَنْ أَبْوَ الشَّمْسِ ، وَمَنْ جَدُّ الْقَمَرِ ؟
فَلَكٌ جَارٍ ، وَدُنْيَا لَمْ يَدْمِ	عِنْدَهَا السَّعْدُ ، وَلَا النَّحْسُ اسْتَمَرَّ
رَوْحُوا الْقَلْبَ بِلَذَاتِ الصَّبَا	فَكَفَى الشَّيْبُ مَجَالاً لِلْكَدْرِ ٢
عَالِجُوا الْحِكْمَةَ ، وَاسْتَشْفُوا بِهَا	وَانْشَدُوا مَا ضَلَّ مِنْهَا فِي السَّيْرِ
وَاقْرَأُوا آدَابَ مَنْ قَبْلَكُمْ	رَبِّمَا عَلَّمَ حَيًّا مَنْ غَبَرَ ٣
وَاعْنَمُوا مَا سَخَّرَ اللهُ لَكُمْ	مِنْ جَمَالٍ فِي الْمَعَانِي وَالصُّوَرِ
وَاطْلُبُوا الْعِلْمَ لِنَاثِ الْعِلْمِ ، لَا	لشَّهَادَاتٍ وَآرَابٍ أَخَرِ
كَمْ غُلَامٍ خَامِلٍ فِي دَرَسِهِ	صَارَ بِحَرِّ الْعِلْمِ ، أَسْتَاذَ الْعُصْرِ
وَمُجِدِّ فِيهِ أَمْسَى خَامِلاً	لَيْسَ فِيمَنْ غَابَ أَوْ فِيمَنْ حَضَرَ

* * *

- ١ نشأ الخير : أي يا نشأ الخير والنشأ : بفتح الشين : جمع نشء ، يسكونها ، وهو التمثل .
- ٢ روحوا القلب : أي أنعموه وطيبوه .
- ٣ من غبر : من مضى .

• • شوقر ١

قاتلُ النفس - ولو كانت له - أسخطَ الله ، ولم يُرضِ البشر
ساحةُ العيش إلى الله الذي جعلَ الوِزْدَ بإذنِ والصَّدْرَ
لا تموتُ النفسُ إلا باسمه قامَ بالموتِ عليها وقهرَ
إنما يسمَحُ بالروحِ الفَتَى ساعةَ الرَّوعِ إذا الجمْعُ اشتجرَ
فهناك الأجرُ والفخرُ معاً مَنْ يَعِشْ يُحْمَدُ ، ومن ماتَ أُجِرَ

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءهم وتعسفوا هل للنساء بمصر من أنصار ؟
يا معشرَ الكتاب ، أين بلاؤكم أين البيانُ وصائبُ الأفكار ؟
أيهمكم عبثٌ ، وليس يهكمكم بنيانُ أخلاقٍ بغير جدار ؟
عندي على ضيم الحرائر بينكم نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحرار
مما رأيتُ وما علمتُ مسافراً والعلمُ بعضُ فوائِدِ الأسفار
فيه مجالٌ للكلام ، ومذهب ليراعِ «باحثة» و«ست الدار»^١

* * *

كثرت على دارِ السعادة زُمرةٌ من مصر ، أهلُ مزارعٍ ويسار
يتزوجون على نساءٍ تحبهم لا صاحباتِ بُقى ، ولا بشرار^٢
شاطرنهم نِعَمَ الصُّبا ، وسقينهم دهرأً بكأسٍ للسُرورِ عَقار
الوالداتُ بَنِيهم وبناتِهم الحائطاتُ العِرضَ كالأسوار
الصابراتُ لضرّةٍ ومضرّةٍ المحيياتُ الليلَ بالأذكار

* * *

- ١ تعسفوا : ظلموا أو لم ينصفوا .
- ٢ باحثة : هي المرحومة ملك ناصف ، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم «باحثة البادية» تذييل به مقالات كانت تذيبها بواسطة الصحف في شؤون اجتماعية ونسوية . وست الدار : اسم كانت تذييل به مقالات في الصحف أيضاً.
- ٣ البنى والبغاء ، مقصور وممدود : الزنى .

مِنْ كُلِّ ذِي سَبْعِينَ ، يَكْتُمُ شَيْبَهُ
 يَأْتِي لَهُ فِي الشَّيْبِ غَيْرَ سَفَاهَةٍ
 مَا حَلَّهُ عَطْفٌ ، وَلَا رِفْقٌ ، وَلَا
 كَمْ نَاهِدٍ فِي اللَّاعِبَاتِ صَغِيرَةٍ
 مِمَّا غَدَا أَوْ رَاحَ فِي جَوْلَانِهِ
 شُغْلُ الْمَشَايخِ بِالْمَتَابِ ، وَشُغْلُهُ
 فِي كُلِّ عَامٍ هُمٌّ فِي طِفْلَةٍ
 يَرِشُو عَلَيْهَا الْوَالِدَيْنِ ثَلَاثَةَ
 الْمَالِ حُلٌّ كُلِّ غَيْرٍ مُحَلٍّ
 سَحَرُ الْقُلُوبِ ، قُرْبٌ أُمَّ قَلْبِهَا
 دَفَعَتْ بُنْيَمًا لِأَشَامٍ مُضْجِعٍ
 وَتَعَلَّلَتْ بِالْشَّرْعِ ، قُلْتُ : كَذِبَتِهِ
 مَا زُوِّجَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ ، وَإِنَّمَا
 بَعْضُ الزَّوْجِ مَذْمُومٌ ، مَا بِالزَّوْجِ
 فَتَشْتُ لَمْ أَرِ فِي الزَّوْجِ كِفَاءَةً

* * *

أَسْنِي عَلَى تِلْكَ الْحَاسَنِ كَلِمًا
 إِنَّ الْحِجَابَ عَلَى فُرُوقِ جَنَّةٍ
 وَعَلَى وَجْهِهِ كَالْأَهْلَةِ ، زُوِّعَتْ
 وَعَلَى النَّوَائِبِ وَهِيَ مَسْلُوكٌ خَوْلَطَتْ

نُقِلَتْ مِنَ الْبَالِ إِلَى الدَّوَارِ
 وَحِجَابُ مَصْرَ وَرَيْفِهَا مِنْ نَارِ
 بَعْدَ السَّفُورِ يَبْرُقُ وَخِجَارِ
 عِنْدَ الْعِنَاقِ بِمِثْلِ ذَوْبِ الْقَارِ

- ١ الفردان : ثنية فود ، وهو معظم الرأس مما يلي الأذن ، وقيل : هو ناصية الرأس .
- ٢ الخاطبة : من توسط في تزويج الرجال من النساء .
- ٣ أشام مضجع : أي أشد المضاجع شؤماً ، والإسار : الأسر .

وعلى الشفاه المَحِييات ، أمانتها
وعلى المجالس فوق كل خَمِيلَةٍ
تدنو الزوارق منه ، تُتَرَلُّ جُودَرًا
يرفُلن في أَزْرِ الحرير تنوَعَتْ
الطاهراتُ اللَّحِظُ ، أمثال المها
الدهرُ قَرَقَ شملهن ، فمُر به
ريحُ الشيوخ تهبُّ في الأسحار
بين الجبالِ وشاطئِ محبار
بقلادة ، أو شاذِنًا بسوارٍ
ألوانه ، كالزهر في آذار
الناطقاتُ الجرس كالأوتار
يا ربِّ تجمعه يدُ المقدار

- ١ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية .
٢ المها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية . والجرس : الصوت .

أبو الهول *

أبا الهول ، طالَ عليكَ العُصْرُ وَبُلُغْتَ في الأرضِ أقصى العُمُرِ
فِيالِدَةَ الدَّهْرِ ، لا الدَّهْرُ شَدَّ بَبَّ ، ولا أنتَ جاوزتَ حدَّ الصَّغَرِ
إِلَامَ رَكوبُكَ مَتَنَ الرِّمَا لِي لَطِيَّ الْأَصِيلِ وَجَوَّبِ السَّحَرِ ؟
تُسَافِرُ مُنْتَقِلًا في القُرُو نِ ، فَأَيَّانَ تُلْقِي عُبَارَ السَّفَرِ ؟
أَبِينِكَ عَهْدُ وَبَيْنَ الْجَبَا لِي ، تَزُولَانِ في الموعدِ المُنْتَظَرِ ؟

* * *

أبا الهول ، ماذا وراءَ البقا * - إذا ما تطاول - غيرُ الضَّجَرِ ؟
عَجِبْتَ لِلْقَهَانِ في حِرْصِهِ على بُدِّ والنُّسُورِ الأُخْرِ ؟
وَشَكْوَى لِبَدٍ لَطُولِ الحَيَاةِ قَ ، ولو لم تُطْلُ لَتَشْكَى القِصَرِ ؟

١. رفع الستار في مسرح حديقة الأزيكية يوم افتتاحه عن تمثال أبي الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة .

٢. مبالغة الدهر : فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توأمان .

٣. ندأ وراء البقاء . يقول : ما وراء البقاء المتطاول غير السأم . قال زهير بن أبي سلمى :

سَمْتُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

٤. لقمان : هو لقمان بن عاديا ، وتزعم العرب أنه الذي بعثته عاد في وفدٍها إلى الحرم ليستسقي لها ، فلما أهلكوا ، خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر ، من أطب عفر ، في جبل وعر ، لا بمسها القطر . أو بقاء سبعة أنسر ، كلما أهلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحق الأبقار وآثر النسر ، فلما لم يبق غير السابغ قال ابن أخ له : يا عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا ، فقال لقمان : هذا لبد ، ولبد - بلسانهم : الدهر . قالوا : وكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله في حوبة في الجبل الذي هو في أصله ، فيعيش الفرخ خمسين سنة أو أقل أو أكثر ، فإذا مات أخذ آخر مكانه ، حتى هلك كلهم إلا السابغ ، أخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبدًا ، وكان أطولها عمراً ، فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد .

٥. وشكوى لبد : أي وعجبت لشكوى لبد لطول الحياة . . . الخ ، وهو لبيد بن ربيعة ، الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم ، صاحب المعلقة المشهورة التي أولها :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بَعْنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

ولو وُجِدَتْ فِيكَ يَا بْنَ الصَّفَا قَدْ لَحَقَتْ بِصَانِعِكَ الْمَقْتَدِرُ
فَإِنَّ الْحَيَاةَ تَفُلُّ الْحَدِيدَ إِذَا لَبِسْتُهُ ، وَتُبْلَى الْحَجَرُ

* * *

أَبَا الْهَوْلَ ، مَا أَنْتَ فِي الْمُعْضِلَا ت؟ لَقَدْ ضَلَّتِ السُّبُلَ فِيكَ الْفِكْرُ !
تَحَيَّرْتَ الْبَدُوْ مَاذَا تَكُوْ ن؟ وَضَلَّتْ بِوَادِي الظُّنُونِ الْحَضَرُ
فَكُنْتَ لَهُمْ صُورَةَ الْعُقُوفَا ن ، وَكُنْتَ مِثَالِ الْحَجِيِّ وَالْبَصْرِ
وَسِرِّكَ فِي حُجْبِهِ كَلِمَا أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الظُّنُونُ اسْتَرُ
وَمَا زَاعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرَّجَا لِي عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظُّفْرِ
وَلَوْ صُوِّرُوا مِنْ نَوَاحِي الطَّبَا ع تَوَالَوْا عَلَيْكَ سِيَاحَ الصُّوْرِ
فِيَا رَبُّ وَجْهِ كَصَافِي التَّمِيْرِ بِرِ تَشَابَهَ حَامِلُهُ وَالتَّمِيْرِ

* * *

أَبَا الْهَوْلَ وَيَحْكُ لَا يُسْتَقْد لٌ مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يُحْتَقَرُ
تَهَزَّتْ دَهْرًا بِدِيكَ الصَّبَا ح فَنَقَرُ عَيْنِيكَ فِيمَا نَقَرُ
أَسَالُ الْبِيَاضَ وَسَلَّ السَّوَادَ وَأَوْغَلَ مِثْقَالَهُ فِي الْحَفْرِ
فَعُدْتُ كَأَنَّكَ ذُو الْمَحْشِيْ نِ ، قَطِيعَ الْقِيَامِ ، سَلِيْبَ الْبَصْرِ
كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبِيْ لِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشْرِ

- ١ «ووجدت» أي الحياة . «يا ابن الصفا» . الصفاة : الحجر الصلد الذي لا يثبت شيئاً ، وفي المثل : فلان ما تندی صفاته ، وفي الحديث : لا تفرغ لهم صفاة ، أي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة ، لأنه من الحجر .
- ٢ التميز : الماء الناجع في الري ، أو النامي ، أو الكثير . والتمر : هو ذلك الحيوان المعروف بمكره ، وخبثه ، وشراسته .
- ٣ ديك الصباح : يريد الزمن ، والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وأنه لتخيل شعري جميل ، ومن بارع حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما ، هو هزء أبي الهول به ، وسخريته منه ، وعدم اكترائه له ، ثم تميزه عن الدهر بديك الصباح . هذا ، وللمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : أنه ورد في بعض الآثار : لا تسبوا الديكة فإنها تدعرك إلى الصلاة .

كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْفَضَا عَلَى الْأَرْضِ ، أَوْ دَيْدَبَانُ الْقَدَرِ^١
كَأَنَّكَ صَاحِبُ رَمْلٍ يَرَى خَبَايَا الْغُيُوبِ خِلَالَ السَّطَرِ

* * *

أَبَا الْهَوَلِ ، أَنْتَ نَدِيمُ الزَّمَا نِ ، نَجِيُّ الْأَوَانِ ، سَمِيرُ الْعُصْرِ^٢
بَسَطْتَ ذِرَاعَيْكَ مِنْ آدَمِ وَوَلَّيْتَ وَجْهَكَ شَطْرَ الزَّمَرِ
تُطِلُّ عَلَى عَالَمٍ يَسْتَهْلِكُ لُ وَتُوفِّي عَلَى عَالَمٍ يُحْتَضِرُ
فَعَيْنٌ إِلَى مَنْ بَدَأَ لِلْوُجُو دِ ، وَأُخْرَى مَشِيعَةٌ مِنْ غَيْرِ
فَحَدَّثَ ، فَقَدْ يُهْتَدَى بِالْحَدِيدِ ثِ ، وَخَيْرٌ ، فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبَرِ
أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَرِيًا وَالْقَمَرِ ؟
ظَلِيلَ الْحَضَارَةِ فِي الْأَوَّلِ نَ ، رَفِيعَ الْبِنَاءِ ، جَلِيلَ الْأَثَرِ
يُؤَسِّسُ فِي الْأَرْضِ لِلْغَابِرِ نَ ، وَيَغْرِسُ لِلْآخِرِينَ الشَّرِ
وَرَاعَكَ مَا رَاعَ مِنْ خَيْلٍ قَمِيهِ زَ ، تَرْمِي سَنَابِكُهَا بِالشَّرَرِ^٣

١ ديدبان : فارسية ، معربة ، أصلها ذيدبان ، ومعنى ذيد : العين ، وبان : أي ذو ، أي الرقيب والعين ، ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة .

٢ نجى الألوان : النجى يوزن فعيل : الذي تساره ، وفي الحديث : اللهم بمحمد/نيك وبموسى/نجيك ، وهو الناجي المحدث للإنسان .

٣ « قبيز » : هو ابن كورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ، ومعلوم أن الفرس من الدول التي غزت مصر ، واستولت عليها حيناً من الدهر ، قال المؤرخون : أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين ، وذلك حين ولي الملك « أبسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الأسرة ، فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة ، وجاء ملكهم « قبيز » بجيش جرار ، لفتح البلاد التي طالما تآقت نفس أبيه كورش إلى إخضاعها ، وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة . يقول مؤرخو الإغريق : أن أحد الجنود اليونانية ، هو الذي خان مصر والمصريين ، ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد . فهوجمت مدينة « بلوز » (القراما) بحراً ، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برّاً ، وبعد مقاومة عنيفة من جهتي بلوز ومنفت ، سقطت البلاد ، وأخذ قبيز أبسمتيك أسيراً ، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ، ثم سار قبيز أول أيامه سيرة حسنة ، وعامل المصريين معاملة طيبة ، يحترم دياناتهم وتقاليدهم ، ولكنه بعد ذلك ليس لهم جلد الثمر ، وحقن عرق البلاد ومن فيها ، ففكر على المعابد والمياكل ، فهدمها ، وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ، وخذل عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق.م .

جوارفُ بالنارِ تغزو البلا
وأبصرتُ إسكندراً في الملا
تبَلَّجَ في مِصرَ إكليله
وشاهدتُ قِصرَ ، كيف استب
وكيف تجبَّر أعوانه
وكيف ابتلوا بقليل العدي
رَمَى تاجَ قِصرَ رَمَى الرُّجا
فدع كلَّ طاغية للزما
رأيتُ الدِّياناتِ في نظمِها
تُشاد البيوتُ لها كالبرو
تلاقى أساساً وشُمَّ الجبا
وليزيسُ خلفَ مقاصيرِها
تضيء على صفحات السما
وآيسُ في نِيرِه العالو
تُساس به مُغضلاتُ الأمو
ولا يشعُر القومُ إلا به
يَقِلُّ أبو المسكِ عبداً له
وأتستَ موسى وتابوته

د ، وآونةً بالقنا المشتجر
قَشِيبَ العلا في الشباب النَّصير
فلم يَغْدُ في الملكِ عُمَرُ الزَّهر
د ، وكيف أذلَّ بمِصرَ القِصر ؟
وساقوا الخلائقَ سوقَ الحُمُر ؟
د من الفاتحين كرم النَّفَر ؟
ج ، وَقَلَّ الجموعُ ، وَثَلَّ السُّرر
ن ، فإن الزمانَ يُقيم الصُّعرا
وحينَ وَهَى سِلْكُها وانتثر
ج ، إذا أَخَذَ الطَّرْفُ فيها انحسر
ل ، كما تتلاقى أصولُ الشجر
تُخْطِى الملوكة إليها السُّرر
ه ، وتُشْرِقُ في الأرض منها الحُجر
ن ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عسير
ر ، ويُرجي النعيمُ ، وتُخشى سقر
ولو أخذته المُلدي ما شعر
وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرر
ونورَ العصا ، والوصايا القُرر

- ١ العصر : ميل في العتق وانقلاب في الوجه .
- ٢ وآيس : هو العجل آيس ، روي أن تيفون إله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله ، فتقسمت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الحصب والتوليد الخلق .
- ٣ أبو المسك : كافور الأختيدي « وأحمد » : أبو الطيب المتنبي .
- ٤ التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل ، وعصا موسى وما كان منها من الآيات ، والوصايا العشر .

وعيسى يَلُمُّ رداء الحيا
وعمره يسوق بمصر الصحا
فكيف رأيت الهدى ، والضلا
ونبذ المقوقس عهد الفجو
وتبدله ظلمات الضلا
وتألفه القبط والمسلم
أبا الهول ، لو لم تكن آية
أطلت على الهرمين الوقو
تُرجي لبانيها عودة
تجوس بعين خلال الدنيا
تروم بمنفيس بيض الظبا
ومهد العلوم الخطير الجلا
فلا تستبين سوى قرية
تكاد لإغراقها في الجمو
فهل من يبلغ عنا الأصو
وأنا خطبنا حسان العلا
وأنا ركبنا غمار الأمو
بكل مبین شديد اللدا
تطالب بالحق في أمة
ولم تفتخر بأساطيلها
فلم يبق غيرك من لم يخف

، ومرم تجمع ذيل الخفر
ب ، ويُزجي الكتاب ، ويحدو السور
ل ، ودنيا الملوك ، وأخرى عمر ؟
ر ، وأخذ المقوقس عهد الفجر
ل ، بصبح الهداية لما سفر
ن كما ألفت بالولاء الأسر
لكان وفاؤك إحدى العير
ف ، كذا كلة لا ترم الحفر
وكيف يعود الرمي الثخر ؟
ر ، وترمي بأخرى فضاء النهر
وسمر القنا ، والخميس الدثر
ل ، وعهد الفنون الجليل الخطر
أجد محاسنها ما اندثر
د إذا الأرض دارت بها لم تدثر
ل بأن الفروع اقتدت بالسير ؟
وسقنا لها الغالي المدخر
ر ، وأنا نزلنا إلى المؤتمر
د ، وكل أريب بعيد النظر
جرى دمه دونه وانتشر
ولكن بدستورها تفتخر
ولم يبق غيرك من لم يطر

١ « المقوقس » : هوسيروس ، بطريق الطائفة المكانية بالإسكندرية ، والحاكم الإداري بمصر من قبل الرومان ، والذي فتح عمرو بن العاص مصر في عهده .

تَحْرُكُ أبا الهول ، هذا الزما نُ تحرك ما فيه ، حتى الحجر

* * *

«فلما أتمها أجابه آخر كان يجثني وراء التمثال وينطق بلسانه» :

نجيُّ أبي الهول: آن الآوا ن ، ودان الزمان ، ولان القدر
خبأت لقومك ما يستقو ن ، ولا يخبأ العذب مثلُ الحجر
فعندي الملوك بأعينها وعند التوايت منها الأثر
عما ظلمة اليأس صبحُ الرجا ، وهذا هو القلقُ المنتظر
ثم انشق صدرُ أبي الهول عن فتى وفتاة ، مثلاً أمامه ، وأنشدا هذا
النشيد :

اليوم نسود بوادينا	ونعيد بحاسن ماضينا
ويشيد العز بأيدينا	وطنٌ نقديه ويقدينا
وطنٌ بالحق تؤيدُهُ	وبعين الله نشيده
ونحسُّهُ ، ونزيُّهُ	بمآثرنا ومساعينا
سرُّ التاريخ ، وعنصرهُ	وسريرُ الدهر ومنبرهُ
وجنانُ الخلد ، وكوثرهُ	وكفى الآباء رياحينا
نتخذُ الشمسَ له تاجا	وضحاها عرشاً وهاجا
وسماء السؤدد أبراجا	وكذلك كان أولينا
العصرُ يراكم ، والأمم	والكرنك يلمحظ ، والهرم
أبني الأوطان ألا همم	كبناء الأول بيننا ؟
سعيأ أبدأ ، سعيأ سعيأ	لأئيل المجد وللعليا
ولنجعل مصرَ هي الدنيا	ولنجعل مصرَ هي الدنيا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدْبِرَةٌ	بامراةٍ مُؤَمَّرَةٍ
تَحْمِلُ في العمال	والصناع عبء السيطرَة
فأعجب لعمال يُؤ	لُون عليهم قَيْصَرَه
تَحْكُمهم رَاهِبَةٌ	ذِكَّارَةٌ مُغْبِرَةٌ
عاقدةٌ زُنَّارَها	عن ساقها مُشْمِرَه
تَلْثَمَت بالأرجوا	نِ ، وارتدته مِثْرَه
وارتفعت كأنها	شرارةٌ مُطِيرَه
ووقعت لم تَخْتَلِج	كأنها مُسْمِرَه

* * *

مخلوقةٌ ضَعِيفَةٌ	من خُلِقَ مُصَوَّرَه
يا ما أَقْلٌ مَلِكُها	وما أَجْلٌ خَطَرَه
قف سائل النحلَ به	بأيِّ عقلٍ دَبَّرَه ؟
يُجِبُكَ بالأخلاقِ وهـ	سي كالعقولِ جَوهرَه
تَغْنِي قَوِي الأخلاقِ ما	تَغْنِي القَوِي المَفْكَرَه
ويرفعُ اللهُ بها	مَنْ شاء ، حتَّى الحِشْرَه

* * *

أليس في مملكة النحل لقوم تبصيره ؟

١ التغير :، ترديد الصوت بالقراءة .

مُلْكٌ بَنَاهُ أَهْلُهُ	بِهْمَةٍ وَمَجْدَرَهُ
لَوْ التَّمَسْتُ فِيهِ بَطًّا	لَ الْيَدَيْنِ ؛ لَمْ تَرَهُ
تُقْتَلُ ، أَوْ تَنْفَى الْكُؤْسَا	لَى فِيهِ غَيْرَ مُثْنَرَهُ
تَحْكُمُ فِيهِ قَيْصَرَةٌ	فِي قَوْمِهَا مَوْقَرَهُ
مِنْ الرِّجَالِ وَقِيَوِ	دِ حُكْمِهِمْ مُحَرَّرَهُ
لَا تَوْرَثُ الْقَوْمَ وَلَوْ	كَانُوا الْبَيْنَ الْبَرَرَهُ
الْمَلِكُ لِلْأَنَافِ فِي الدِّ	سْتَوْر ؛ لَا لِلذِّكْرِ
نَبْرَةٍ تَنْزَلُ عَنْ	هَالَتِهَا لَنْبِرَةٍ
فَهَلْ تُرَى تَخْشَى الطَّمَا	عَ فِي الرِّجَالِ وَالشَّرَّهَ ؟
فَطَالَمَا تَلَاغَبُوا	بِالْهَمَجِ الْمَصِيرَهُ
وَعَبَرُوا غَفْلَتَهَا	إِلَى الظُّهُورِ قَنْطَرَهُ
وَفِي الرِّجَالِ كَرَمٌ	الضَّعْفِ ، وَلَوْ الْمُقْدَرَهُ
وَفَتْنَةُ الرَّأْيِ ، وَمَا	وَرَاءَهَا مِنْ أَثَرِهِ
أُنْتَى ، وَلَكِنْ فِي جَنَّا	حَيْثُهَا لَبَاءٌ مُخْدِرَهُ ١
ذَائِدَةٌ عَنْ حَوْضِهَا	طَارِدَةٌ مِنْ كَلْدَرِهِ
تَقَلَّدَتْ إِبْرَتَهَا	وَأَذْرَعَتْ بِالْحَبْرَهُ
كَأَنَّهَا تُرْكِيَّةٌ	قَدْ رَابَطَتْ بِأَنْقَرِهِ
كَأَنَّهَا جَانْدَرُكَ فِي	كَتِيبَةٍ مُعْسِكِرِهِ
تَلْقَى الْمُغِيرَ بِالْجَنُو	دِ الْحُشْنِ الْمَنْعَرَهُ
السَّابِغِينَ شِكَّةً	الْبَالِغِينَ جَسْرَهُ ٢
قَدْ تَثَرَّتْهُمْ جُعْبَةٌ	وَنَفَضَتْهُمْ مِثْبَرَهُ ٣

١ اللبابة : اللبوة .

٢ الشكة : السلاح .

٣ المثيرة : بيت الإبرة .

مَنْ يَنْ مُلْكَ أَوْ يَذُّدَ فَبِالْقَنَّا المجرّره
 إِنْ الْأُمُورَ هِمَّةً ليس الأمورُ ثمرته
 مَا الْمَلِكُ إِلَّا فِي ذَرَى الْ أَلْوِيَةِ المنشّرة
 عَرِيئُهُ مُذْ كَانَ لَا يحمله إلا قَسُورُهُ^١
 رَبُّ النِّيَابِ الرُّزْقِ، وَالْ مخالبِ المذكّره

* * *

مَالِكَةٌ ، عَامِلَةٌ مُصْلِحَةٌ ، مُعَمَّرَةٌ
 الْمَالُ فِي أَتْبَاعِهَا لَا تَسْتِينُ أثره
 لَا يَعْرِفُونَ بَيْنَهُمْ أصلاً له من ثمره
 لَوْ عَرَفُوهُ عَرَفُوا من البلاء أكثره
 وَاتَّخَذُوا نَقَابَةً لَأَمْرِهِمْ مسيّره
 سَبْحَانَ مَنْ نَزَّهَ عِنْدَ هُ ملكهم وطهره
 وَسَاسَهُ بِحُورَةٍ عَامِلَةٍ ، مسخره
 صَاعِدَةٍ فِي مَعْمَلٍ من معملٍ مُنْحَدِرِهِ
 وَارِدَةٍ دَسَكْرَةٍ صادرةً عن دسكـه^٢
 بَاكِرَةٍ ، تَسْتَنْهَضُ الْ حصائبِ المبكره
 السَّامِعِينَ ، الطَّائِعِينَ نَ ، المحسنين المهره
 مِنْ كُلِّ مَنْ خَطَّ الْبِنَا ، أو أقام أسطره
 أَوْ شَدَّ أَصْلَ عَقْدِهِ أو سدّه ، أو قوره
 أَوْ طَافَ بِالْمَاءِ عَلَى جدرانـه المجدره

* * *

١ القسورة : الأمد .

٢ الدسكرة : القرية .

وتذهب النحلُ خِفا	فأ ، وتحيي مؤقره
حوالبَ الشمع من الـ	سخائل المنوره
حوالب الماذي من	زهر الرياض الشيره ^١
مشدودة جيوئها	على الجنى مزرره
وكل خرطوم أدا	ة العسل المقطره
وكل أنف قاني	فيه من الشهد بره ^٢
حتى إذا جاءت به	جاست خلال الأدوره ^٣
وغيبته كالسلا	ف في الدنان المحضره ^٤
فهل رأيت النجل عن	أمانة مقصره ^٥
ما اقترضت من بقله	أو استعارت زهره
أدت إلى الناس به	سكرة بسكره

-
- ١ الماذي : العسل . والشيره : الجميلة الحسنة .
٢ البره : الحلقة في الأنف .
٣ الأدوره : الديار ، يراد بها الخلايا هنا .
٤ السلاف : أفضل الخمر .

في سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ ، هللُ في السماء ، وكبرِ
 سلُ للفقيرِ على تكريمِ الغنى
 وادع الذي جعلَ الهلالَ شعارَه
 وتولَّ في الهيجا جندَ محمد
 يا مهرجانَ البرِّ ، أنت تحيةُ
 هم زينوك بكلُّ أزهر في الدجى
 حُسنُ وجوهك في العيون وأشرقتْ
 كثرتْ عليك أكفهم في صونها
 لو يعلمون السوقَ ما حسناؤها ؟
 جبريلُ يعرضُ ، والملائكُ باعةُ
 ومجاهدين هناك عند مُعسكرِ
 مؤفين للأوطان بين حياضِها
 عربٌ على دينِ الأبوة في الوغى
 ألفوا مصاحبةَ السيوفِ ، وعودوا
 يمشون من تحت القذائفِ نحوها
 في أعينِ الباري ، وفوق يمينه
 من كلِّ ميمونِ الصَّمدِ ، كأنما

واكتبُ ثوابَ المحسنينَ وسطرِ
 واطلب مزيداً في الرخاء لموسرِ
 يفتحُ على أُممِ الهلالِ وينصر
 واقعدُ بهم في ذلك المستطرِ
 لله من ملاكٍ كريمٍ خيرُ
 والله زانك بالقبول الأنور
 من كلِّ أبلج في الأكارم أزهر
 فكأنها قطعُ الغمامِ المُمطرِ
 يبيع الحصى في السوقِ يَبِعُ الجواهر
 أين المساومُ في الثوابِ المشتري ؟
 ومن المهابة بين ألفِ معسكر
 لا يسمحون بها وبين الكوثر
 لا يطعنون القرن ما لم يُنذر
 أخذَ المعازل بالقنا المتشجرِ
 لا يسألون عن السعيرِ المطرِ
 جرحى نُجلُّهم ، كجرحى خيبر
 دمُ أهل بدرٍ فيه ، أو دمُ حيدرٍ

جدلان ، هبته عليه جراحه . وجراحه في قلب كل غضنفر
 ضمدت بأهداب الجفون ، وطالما ضمدت بأعراف الجياد الضمر
 عواده يتمسحون برؤنه كالوفد مسح بالحطيم الأطهر
 وتكاد من نور الإله حياله تبيض أثناء الهلال الأحمر

* * *

يا بنت إلهامي دعاء معظم لسماء عزك في البرية مكبر
 توفيق مصر وأنت، أصل في الندى وفتاكما الفرع الكريم العنصر
 أنتم جمال الشرق زين ملوكه لا زال يتكم جمال الأعصر
 لكم الندى، آثاره وحديثه شغل السميع ونور عين البصير
 النيل فجر مشرعين وعيلما وتفجرت يمينك خمسة أبحر
 أحيت في فضل الملوك وعزهم ما مات من أم الخليفة جعفر
 إن الذي قد ردها وأعادها في بردتك أعاد في البحري
 فنظمت ما نثرت يمينك شاكرأ لا يحسن الإحسان ما لم يشكر
 إني رأيت على الرجال مظاهراً فعلمت أن الفضل كل المظهر
 وعلمت أن من النساء ذخيرة غير الشاء لنفسها لم تذخر
 لما توليت الهلال رفعته بين السها شرفاً وبين المشتري
 ولكم دعوت نساء مصر لصالح فنهضن فيه يقلن عائشة أوامري
 فكانهن عقائل من هاشم وكانك الزهراء فوق المنبر

١ بنت إلهامي : هي صاحبة السمو أم الحسين والدة الخديو عباس الثاني .

٢ توفيق : يقصد به الخديو توفيق . وفتاكما : الخديو عباس .

٣. المشرع : المورد ، ويراد به هنا فرع النيل . والبحر والمراد بالأبحر الخمسة : أصابعها الخمسة .

الأزهر *

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَا وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا
 واجعل مكان الدرر - إن فصلته في مدحه - خرز السماء النيرا
 واذكره بعد المسجدين ، مُعْظَمًا لمساجد الله الثلاثة مُكْبِرًا
 واخشع مَلِيًّا ، واقضِ حقَّ أَمَّةٍ طلّعوا به زُهرًا ، وماجوا أبحرًا
 كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالَةً وأعزَّ سلطانًا ، وأفخمَ مظهرًا
 زمنُ المخاوفِ كان فيه جنابهم حرَّم الأمان ، وكان ظلُّهم الذُّرَا
 من كلِّ بحرٍ في الشريعة زاخرٍ وبُريكتُ الخلقِ العظيمُ غضنفرًا
 لا تَحْذُو حَذُوَ عِصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يجدون كل قديم شيءٍ منكرا
 ولو استطاعوا في الجامع أنكروا من مات من آبائهم أو عُمرًا
 من كلِّ ماضي في القديم وهُدْمِهِ وإذا تقدَّم للبناء قَصْرًا
 وأتى الحضارة بالصناعة رَنَّةً والعلم نَزْرًا ، والبيان مُثْرَثًا

* * *

يا معهداً أفنى القرونَ جدَّاه وطوى الليالي رَكْنُهُ والأغصُرَا
 ومشى على يَبَسِ المشارِقِ نُورُهُ وأضاء أبيضَ لُجْهَها والأحمرَا
 وأتى الزمانُ عليه بحمي سُنَّةٍ ويذودُ عن نُسُكٍ ، ويمنع مشعرًا^٣

٥. قيلت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه في سنة ١٩٢٤ .

١. المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

٢. التزر : القليل . والمثرثر : المخلط .

٣. النسك : العبادة . والمشر : موضع من مناسك الحج .

في الفاطميين انتمى ينبوعه
عين من الفرقان فاض نعيمها
ما ضرني أن ليس أفتك مطلعي
لا والذي وكل البيان إليك ، لم
لما جرى الإصلاح قت مهنتاً
نبأ سرى ، فكسا المنارة حبرة
وسما بأزوقه الهدى ، فأحلها
ومشى إلى الحلقات ، فانفرجت له
حتى ظننا الشافعي ، ومالكاً
إن الذي جعل العتيق مثابة
العلم فيه مناهلاً ومجانياً

عذب الأصول كجدهم متفجراً^١
وحياً من الفصحى جرى وتحدراً^٢
وعلى كواكبه تعلمت السرى
ألك دون غايات البيان مقصراً
باسم الحنفية بالمزيد مبشراً^٣
وزها المصلى ، واستخف المنبراً^٤
فرغ الثريا ، وهي في أصل الثرى
حلقاً كهالات السماء متوراً
وأبا حنيفة ، وابن جنبل حصراً
جعل الكنانى المبارك كوثراً^٥
يأتي له النزاع يغون القرى

* * *

الله أكبر يا بن اسماعيل لم
بالأمر تنهض مصر في دستورها
مين على الوادي السعيد، تقلبت
حركن فيه النيل قبل وفائه
الأزهر المعمور قلد حرة
أرعته عين العناية مصلحاً

ترك لصناع المائر مفخراً
واليوم تنهض للسماك الأزهر
أعطافه في وشيهن منشراً
فوقى، وهيجن الربيع فبكراً
لك في الهبات حريّة أن تشكراً
وأجلت فيه يد البناء معمرأ

-
- ١ جد الفاطميين : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد كان مضرب المثل في التبحر في العلوم .
 - ٢ الفرقان : القرآن . والحيا : المطر . والفصحى : اللغة العربية .
 - ٣ الحنفية : الشريعة .
 - ٤ المنارة : المئذنة .
 - ٥ العتيق : المسجد الحرام .

وَعَدَتْ لَهُ، بِوَادِرُ صِدْقِهِ كَالْبَرْقِ لَمْ يَقْتَرِ حَتَّى أَمْطَرَا
وَبَلَّغَتْ بِالْمَعْرُوفِ غَايَةَ صَفْوِهِ أَيْكُونُ مَعْرُوفُ الْمُلُوكِ مَكْدَرًا؟
لَمْ تَبْغِ بِالضَعْفَاءِ عُدُونًا وَلَمْ تَقْذِفْ عَلَى حَرَمِ الشَّرِيعَةِ عَسْكَرًا

* * *

نَظَرًا وَإِحْسَانًا إِلَى عُيَايَاهِ وَكُنِ الْمَسِيحَ مُدَاوِيًا وَمُجْبِرًا
وَاللَّهُ مَا تَدْرِي: لَعَلَّ كَفَيْفَهُمْ يَوْمًا يَكُونُ أَبَا الْعَلَاءِ الْمُبْصِرَا
لَوْ تَشْتَرِيهِ بِنَصْفِ مُلْكِكَ لَمْ تَجِدْ غُبْنًا، وَجَلَّ الْمُشْتَرِي وَالْمُشْتَرَا
إِنْ فَاتَهُمْ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ فَائَتْ لَمْ يَعْدَمُوا لَوْجُوهُ بَرِّكَ مَنْظَرَا
لَمَسُوا نَدَاكَ كَمَنْ يَشَاهِدُ مُرْنَةً وَيَدُ الضَّرِيرِ وَرَاءَهَا عَيْنٌ تَرَى
زِدْهُمْ أَبَا الْفَارُوقِ إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ خَيْرٍ وَلَكَ الْكَرِيمُ الْخَيْرَا

* * *

يَا فِتْيَةَ الْمَعْمُورِ ، سَارِ حَدِيثَكُمْ نَدًّا بِأَفْوَاهِ الرِّكَابِ وَعَنْبَرَا
الْمَعْهَدُ الْقُدْسِيُّ كَانَ نَدِيَّهُ قُطْبًا لِدَائِرَةِ الْبِلَادِ وَمِخُورَا
وُلِدَتْ قَضِيَّتُهَا عَلَى مَحْرَابِهِ وَحَبَّتْ بِهِ طِفْلًا ، وَشَبَّتْ مُعْصِرَا
وَتَقَدَّمَتْ تُزْجِي الصَّفُوفَ ، كَأَنَّهَا جَانَدْرُكَ فِي يَدِهَا الْلَوَاءُ مُظْفَرَا

* * *

هَؤُلَاءِ الْقَرَى مِنْ كَهْفِهَا وَرَقِيمِهَا أَنْتُمْ - لَعَمْرُ اللَّهِ - أَعْصَابُ الْقَرَى
الْغَافِلُ الْأُمِّيُّ يَنْطَلِقُ عِنْدَكُمْ كَالْبَيْغَاءِ ، مُرْدَدًّا ، وَمُكْرَرَا

يُسمي ويصبحُ في أوامر دينهِ
لو قلتُ : اخترَ للنيابة جاهلاً
دُكرَ الرجالُ له ، فأله عصبه
آباؤكم قرأوا عليه ، ورثلوا
حتى تلفتَ عن محاجر رومة
ودعا مخلوق ، وآله زائلاً
وتقيّوا الدستورَ تحت ظلالهِ
لا تجعلوه هوى ، وخلقاً بينكم
اليوم صرّحتِ الأمورُ ، فأظهرتْ
قد كان وجهُ الرأي أن نبي يداً
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرة
غضبتُ ، ففضّ الطرفَ كلُّ مكابرٍ
لم تلقَ إصلاحاً يهابُ ، ولم تجد
حظَّ رجونا الخيرَ من إقبالهِ
دار النيابة هيئت درجائها
الصارخون إذا أسيء إلى الحمى
لا الجاهلون العاجزون ، ولا الألى

وأمر دنياه بكم مُستبصراً
أو للخطابة باقلاً ، لنخيراً
منهم ، وفسق آخرين ، وكفراً
بالأمس تاريخ الرجال مُزوّداً
فرأى عرابي في المواكب قيصراً
وارتدّ في ظلم العصور القهقري
كنفاً أهشّ من الرياض وأنصرا
ومجرّ دنيا للنفوس ، ومتجراً
ما كان من خدع السياسة مُضمرأ
ونرى وراء جنودها إنكلترا
جننا بصف واحدٍ لن يُكسراً
يلقاك بالحدّ اللطيم مُصعراً
من كتلة ما كان أعياء ملنزاً
عاث المُفرقُ فيه حتى أدبرا
فليرق في الدرّج الذوائبُ والدرا
والزائرون إذ أُغبر على الشرى
يمشون في ذهب القيود تبخّثراً

- ١ باقل : عربي يضرب به المثل في العي والفهامة .
٢ اللورد ملنر : هو أحد الوزراء الانجليز ، وكان قدم إلى مصر في جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا
غائبها وآمالها ، فقاطعتهم البلاد وأحالتهم على الوفد المصري الذي كانت وكلته في الدفاع عن حقها
آنذاك .

الجامعة*

يا بارك الله في عباس من مَلِك
ولا يَزَلْ بَيْتُ إِسْمَاعِيلَ مرتفعاً
وبارك الله في آساس جامعة
يا عمة التاج ما بالنيل من كرم
لم تسكُب التبر يُمناه ولا قذفت
ولا بنى الدار بالعرفان زاهية
كانت على الأوس أدراساً معالمها
كسوتها وهي أهلٌ للذي لَبِست
شمائلٌ كان إِسْمَاعِيلُ معدنها
ما الخيزرانُ وما ابناها وما وهبا؟
سكينة العلم في الفردوس ضاحكة
تقول: مصرٌ من الزهراء مُشرقة
فما كصنعك صنعٌ في محاسنه

وبارك الله في عمت عباس
فرعٌ أشمٌ وأصلٌ ثابتٌ راس
لولا الأميرة لم تُصبح بآساس
إن قيسَ بحرُكم الطامي بمقياس
كرائم الدرّ والياقوتِ والماس
زهو السماء بمصباحٍ ونبراس
واليوم تبدو قياماً غيرَ أدراس^١
كما كسا جناتِ الكعبة الكاسي
قد يخرُجُ الفرعُ شبه الأصل للناس
وما زبيدة بنتُ الجود والباس^٢
إليك تخطرُ بين الورد والآس
كأن أيامها أيامُ أعراس
ولا لفضلِك في الأجيال من ناس

* * *

- أُلقيت هذه الأبيات في دار الجامعة المصرية يوم الاحتفال بافتتاحها . وقد كان الفضل في إنشائها لصاحبة السمو المرحومة الأميرة فاطمة إِسْمَاعِيل .
- ١ الأدراس : البالية .
- ٢ أي ماذا يكون هؤلاء إذا قيسوا إليكم في الكرم والجود .

يا باني المجدي وابن المولعين به
وألقي في أرض منفي أسّ جامعة
وانفضّ عن الشرق يأساً كاد يقتله
ترك النفوس بلا علم ولا أدب
ملوك مصر كرام الدهر إن جمّعوا
سبحان من تبعث الدّولات قدرته
أنشر ضياء الهدى من طيّ أرماس^١
من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
فلا حياة لأقوام مع الياس
ترك المريض بلا طب ولا آس
رأس، وبيتكم تاج على الرأس
بغداد مصر، وأنتم آل عباس

١ الخطاب ، للخديو عباس . والأرماس : القبور .

وداع فروق وتهنئة العيد

تجلد^١ للرحيل ، فما استطاعا
 عسى الأيام تجمعني ، فلني
 ألا ليت البلاد لها قلوب^٢
 وليت لدى فروق بعض بئي
 أما والله ، لو علمت مكاني
 حوت رق القواضب والعوالي
 سألت القلب عن تلك الليالي
 فقال القلب : بل مرت عجالاً
 أدار محمد وتراث عيسى
 فهل نبذ التعصب فيك قوم^٣
 أرى الرحمن حصن مسجديه
 فكنت لبيته المحجوج ركناً
 هواؤك والعيون مفعجرات
 وشمسك كلما طلعت بأفقي^٤

وداعاً جنة الدنيا وداعاً^٥
 أرى العيش اقترافاً واجتماعاً
 - كما للناس - تنفطر التباعا
 وما فعل الفراق غداة راعا
 لأنطقت المآذن والقلاعا
 فلما ضفتها حوت الزراعا^٦
 أكن ليالياً أم كن ساعاً ؟
 كدقاتي لذكراها سراعاً
 لقد رضىاك بينهما مشاعاً^٧
 يمد الجهل بينهم الزراعا ؟
 بأطول حائط منك امتناعاً
 وكنت لبيته الأقصى سطاوعاً^٨
 كفى بها من الدنيا متاعاً^٩
 تحطرت الحياة به شعا

١ تجلد : تكلف الجلد وأظهره . والجلد : قوة الصبر .

٢ القواضب : السيوف القاطعة ، مفردهما : قاضب .

٣ المشاع (يفتح الميم وضمها) : المشترك غير المقسوم .

٤ السطاوع : عمود البيت .

٥ العيون : هي عيون الماء .

وغيذك ، من فوق الأرض حورٌ أوانسٌ ، لا نقابَ ولا قناعا
حوالي لُجَّةٍ من لازوردٍ تعالى الله خلقاً وابتداعا
بروح لُجَّيْتها الجاري ويغدو على الفردوس آكاماً وقاعاً^١

* * *

ودارٍ للأمير على جبوقلى كهمة علواً وارتفاعاً^٢
بناها مستهامٌ بالمعالي وبالحسَنات ينيها تبا
ركبنا الكهْرُبَاء لها فسارت تسابقُ في السماوات السَّباعا
رأيتُ بها بساطَ الرِّيح يجري وكنتُ أجِلُّ آيته سَماعا
أجالِسُ مثلَ مُجرِه مقاماً وحظاً في الممالك واتساعا
أرى عزَّ الرشيد وكيف يُبنى وكيف يحوزُ في الشُّهب الضَّياعاً^٣
بلغنا ذِرْوَةً في الأفقِ طالتُ فما تَرَكْتُ لأنْجِية طَماعاً^٤
نظرتُ على السَّماء مكانَ عيسى فلم أرَ بيننا إلا ذِراعاً
وشارفتُ الأديمَ الطهرَ حولي أرى أثرَ البراقِ زكاً وضاعاً^٥
ويجرِ كالمكارمِ من أميرٍ إذا رفعَ العفأة لها شِراعاً^٦
ركبنا متنَ زاخرٍ نوافي خِصْماً زاخراً ملكاً مُطاعاً^٧

- ١ لجيئها : أي اللجة . واللجين : الفضة . والآكام : التلال . والقاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام .
- ٢ الأمير ، هو الخديو عباس . جبوقلى : ناحية في الآستانة .
- ٣ الضياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المغلة .
- ٤ الذروة : أعلى الشيء . الطماع (بفتح الطاء) : الحرص على الشيء .
- ٥ شارفت الأديم ... الخ : قاربت وذنوت منه . البراق : دابة كان يركبها الأنبياء : زكا : نما وصلىح . ضاع ، من قولهم : ضاع العطر ، أي تحرك وانتشرت رائحته .
- ٦ العفأة : جمع عاف ، وهو بكل طالب فضل أو رزق .
- ٧ المتن : الظاهر . الزاخر : الطامي المتعلّى . الخضم : البحر .

كهارون الرشيد ندى وبأساً وكالمؤمن في جَلَلٍ زَماعاً^١
 أبا القمرين عرشك في قلوب تجاوز في الولاء المستطاعاً
 ترى فيه الصيَّان لحق مصر فلولا العرش يعصمه لضعاً^٢
 يود سواك لو تهذى إليه ولن تُشرى القلوب ولن تُباع
 أذاع حسود مجديك كل سوء فمجتة النفوس وما أذاعاً^٣
 أمثلك يمنع الأوطان خيراً وأنت خلقت من خير طباعاً
 شجاعاً كنت في يوم عصيب توفيتها الحجة والنفاع
 جتحت إلى السلام فكان حليماً وقدماً زين الحلم الشجاعاً
 ومن صحب الحياة بغير عقل تورط في حوادثها اندفاعاً^٤
 عروس الشرق مصر ولا أبالي لقد شئت وما بلغ الرضا
 أخذت بشوروي الحكم فيها وما تألو مناهجه أتباعاً^٥
 تدرجها على ذللي سماح من الأحكام سناً واشتراعاً^٦
 وأنت منيلها ما تبتغيه وأكرم من يروم لها النفاعاً^٧

- ١ في جلال ، أي في أمر جلال ، وهو العظيم ، الزماع (يفتح الزاي) : المضاء في الأمر والعزم عليه .
 ٢ الصيَّان : الحفظ . والضمير في «يعصمه» لحق مصر .
 ٣ وما أذاع ، أي ومجت ما أذاع .
 ٤ تورط في الشيء : وقع منه في مشكلة .
 ٥ أخذت ، الخطاب لأبي القمرين . ويريد به الخديو عباس أيضاً . شوروي الحكم : أي الحكم القائم على الشورى المستبطن منها .
 ٦ تدرجها ، أي تدنيها شيئاً فشيئاً . الذلل : جمع ذلول ، وهو السهل الموطن . سماح : جمع سمح ، وهو من الأحكام ما لا ضيق فيه . الاشتراع : مصدر اشترع الأحكام .
 ٧ النفاع (يفتح النون) : اسم من النفع .

أَلَيْسَ إِلَيْكَ تَاجَاهَا وَعَرْشُ يُظِلُّ بِقَاعَ ثِيَّةٍ وَالرِّقَاعَا¹
أُعِذْ بِالْعِلْمِ سُودَدَهَا فَإِنِّي وَجَدْتُ الْعَصْرَ عِلْمًا وَاخْتِرَاعَا
نَزَلَتْ لَدَى الْخَلِيفَةِ فِي مَحَلٍّ تَطِيرُ قُلُوبُ حُسْدِهِ شِعَاعَا²
حَلَلَتْ مَكَانَ عِزِّ الدِّينِ مِنْهُ وَمِثْلُكَ مِنْ يُجَلُّ وَمَنْ يُرَاعَى³
أَلَسْتَ سَلِيلَ مَنْ بَعَثَ السَّرَايَا إِلَى الْجُوزَاءِ تَأْخُذُهَا افْتِرَاعَا⁴
وَرَدَّ عَلَى الْمُهَيْمِنِ مَلِكَ مِصْرٍ وَأَمَّنْ مَسْجِدِيهِ وَالْبِقَاعَا⁵

* * *

لِيَالِي الشَّهْرِ يَا مَوْلَايَ وَلَّتْ كَعُفْرِ الْحَاسِدِ الشَّانِي سَرَا
وَجَاءَ الْعِيدُ بِالْأَمَالِ تَتَرَى كَفَرْتُكَ ائْتِلَافًا وَالتَّمَاعَا
أُخُوهُ بِالْحِجَازِ يَذُوبُ شَوْقًا وَيَسْأَلُ عَنْكَ مَكَّةَ وَالرِّبَاعَا

-
- ١ تاجاها ، أي تاجا قطريها ، وهما قطر مصر والسودان .
 - ٢ تطير شعاعاً ، أي تتبدد من الخوف ونحوه . والضمير في «حسده» للمحل .
 - ٣ عز الدين : هو الأمير يوسف عز الدين ، كان ولي العهد في خلافة السلطان محمد رشاد الخامس ، ومات قبل أن ينتقل إليه الأمر .
 - ٤ السليل : الولد . السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش . الجوزاء : برج في السماء . الافتراع ، مصدر افترع البكر : أزال بكارتها .
 - ٥ المهيمن : اسم من أسماء الله ، ولعله يريد أنه رد ملك مصر إلى خلافة المسلمين فكأنه رده إلى الله تعالى . والمسجدان : المسجد الحرام في الحجاز والمسجد الأقصى في الشام . وهو يشير في هذين البيتين إلى ما فعله محمد علي الكبير مع الوهابيين من حرب وقتال .

رحالة الشرق *

أقدم ، فليس على الإقدام مُنتنع
لنّاس في كلّ يومٍ من عجائبه
هل كان في ألهم أن الطير يُخلّفها
وأن أدراجها في الجوّ يسلكها
أعياء العقاب مداهم في السماء ، وما
قل للشباب بمصر : عَصُرْكم بطلُ
أُسُ المالك فيه هِمّةٌ وحِجَى
يُعطي الشعوب على مقدار ما نبغوا
ماذا تُعدّون بعد البرلمان له
البرّ ليس لكم في طولهِ لُجُمُ
هل تنهضون عساكم تلحقون به ؟
لا يُعجبكم ساعٍ بفرقةٍ
قد أشهدوكم من الماضي وما نبشت
ما للشباب وللماضي تمرُّ بهم
إنّ الشباب غدٌ ، فليهدم لغدٍ

واصنع به المجد ، فهو البارِعُ الصَّنْعُ
ما لم يكن لامرئ في خاطر يقع
على السماء لطيفُ الصَّنْع ، مُخْتَرَع ؟
جن ، جُنُودُ سليمان لها تَبِع ؟
راموا من القُبّة الكبرى ، وما فَرَعوا
بكل غايّة إقدام له وَلَع
لا الترهات لها أُسُ ، ولا الخدع
وليس يبخسهم شيئاً إذا برعوا
إذا خيأركم بالدولة اضطلعوا ؟
والبحر ليس لكم في عرضه شرع
فليس يلحق أهلَ السير مُضْطَجِع
إنّ المِقْصَصُ خفيفٌ حين يقطع
منه الضغائنُ ما لم تشهد الضُّبُعُ
فيه على الجيف الأحزابُ والشَّيْع ؟
وللمسالك فيه الناصحُ الورع

- بعد رحلة طويلة شاقة في صحراء ليبيا ، استطاع الرحالة المصري الكبير أحمد حسنين ، أن يسدي إلى العلم يداً بيضاء ، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البلاد ، فلما عاد قابله البلاد بالحناء والترحاب ، واحتفل به القوم احتفالاً فخماً أقيمت فيه هذه القصيدة .
- ١ اضطلعوا : أي نهضوا بها .

لا يَمْنَعُكُمْ بُرُّ الأَبَوَةِ أن
لا يُعْجِبَنَّكُمْ الجَاهُ الذي بلغوا
ما الجَاهُ والمالُ في الدنيا وإن حَسُنَا
عَلَيْكُمْ بِخَيَالِ المجد ، فَأَتْلَفُوا
وَأَجْمَلُوا الصبرَ في جِدِّ وفي عمل
وإن نَبَغْتُمْ في علم ، وفي أدب
وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على
شريف مكة حُرٌّ في ممالكه

يكون صُنْعُكُمْ غيرَ الذي صنعوا
من الولاية ، والمالُ الذي جمعوا
إِلَّا عَوَارِيَّ حِطِّ ثُمَّ تُرْجَعُ
حَيَالُهُ ، وعلى تِمَثَالِهِ اجتمعوا
فَالصبرُ يَنْفَعُ ما لا يَنْفَعُ الجَزَعُ
وفي صناعات عصرٍ ناسُهُ صُنِعُ
دعائمِ العصرِ من رُكْنِيهِ ؛ مُنْصَدِعُ
فهل تُرى القومُ بالحريَّةِ انتفعوا ؟

* * *

كم في الحياة من الصحراء من شَبَّهِ
وراء كلِّ سبيلٍ فيها قَدَرٌ
فلست تدري - وإن كنتَ الحريصَ - متى
ولست تأمنُ عند الصحو فاجئةً
ولست تدري - وإن قَدَّرْتَ مجتهداً -
ولست تملكُ من أمرِ الدليلِ سوى
وما الحياة إذا أَظْمَتْ ، وإن خَدَعَتْ

كلتاها في مُفاجأةِ الفنى شَرَعَ
لا تعلمُ النفسُ ما يأتي وما يَدَعُ
تَهْبُ رِيحَاهَا ، أو يَطْلُعُ السَّجْعُ ؟
من العواصف ، فيها الخوفُ والهَلَعُ
متى تحطُّ رحالاً ، أو متى تُضَعُ ؟
أنَّ الدليلَ - وإن أرداك - مُتَّبِعُ
إِلَّا سَرَابٌ على صحراء يلتمع

* * *

أكبرُ من حَسَنِ هِمَّةٍ طَمَحَتْ
وما البطولةُ إِلَّا النفسُ تدفعها
ولا يُبالي لها أهلٌ إذا وصلوا
رَحالةَ الشرق ، إن البید قد علمتْ

تَرومُّ ما لا يرومُّ الفِتْنَةُ القَتْعُ
فيما يُلْغِيهَا حَمْدًا ، فتندفع
طاحوا على جنباتِ الحمدِ أم رجَّعوا
بأنك الليثُ لم يُخْلَقْ له الفَرَعُ

١ العواري : جمع عارية ، وهي العطية بلا عوض .

ماذا لقيتَ من الدُّوِّ السَّحيقِ ، ومن
 وهل مررتَ بأقوامٍ كَفِطَرَتَهُمْ
 ومن عَجِيبٍ لغيرِ الله ما سجدوا
 كيف اهتدى لهمُ الإسلامُ ، وانتقلتُ
 جَزْئَكَ مصرُ ثناءً أنتَ موضِعُهُ
 ولو جَزْئَكَ الصحاري جِئْنَا مَلِكاً
 قَفَرٍ يَصِيقُ على الساري ، ويتسع ١؟
 من عهد آدمَ لا خُبْتُ ولا طَبَعُ ؟
 على الفَلا ، ولغيرِ الله ما رَكَعوا
 إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجمُوعُ ؟
 فلا تَذُبُ من حياهِ حينَ تَستَمِعُ
 من الملوكِ ، عليك الريشُ والودَعُ ٢

١ الدو : المفازة .

٢ الريش والودع : عنوان العظمة في أواسط افريقيا .

براءة *

الناسُ للدينِ نَجَّعَ ولمنْ تُحالفُه شيعُ
لا تهجُنْ إلى الزمانِ ، فقد يُنبّه من هجمِ
وارباً بجلْمِكَ في النوا زلِ أن يُلمَّ به الجزعِ
لا تخلُ من أملٍ ، إذا ذهب الزمانُ فكَمْ رجِعِ
وانفع بوسعِكَ كلُّهُ إن الموفقَ منْ نفعِ

* * *

مصر بنت لقضاءها ركناً على النجمِ ارتفع
فيه احتفى استقلالها وبه تحصّن وامتنع
فليهنها ، وليهننا أن القضاء به اضطلع
اللهُ صان رجائه مما يُدنسُ أو يضع
ساروا بسيرة منذرٍ وأبي حنيفة في الورعِ
وكان أيام القضاء وجميعها بهم الجُمعِ
قل للمبرؤ مرقصٍ : أنت النقيُّ من الطبعِ
هذا القضاء رماك بال يُمْنى ، وباليسرى نزعِ
هذا قضاء الله مُد تثلُّ الحكومة ، مُتبعِ

- * حرم الأستاذ مرقص فهمي حيناً من الاشتغال بالحاماة ، ثم برأه القضاء من تلك التهمة التي عزيت إليه ، فاحتفل بعودته إلى الحاماة احتفالاً ألقى فيه هذه القصيدة .
- ١ المهجوع : النوم .

عُدْ للمحاماة الشريد - فة عَوَدَ مشتاقٍ وَلَع
والبسُ رِداءكُ طاهراً كِرداءِ مرقصٍ في البِيعِ^١
وادفع عن المظلوم وال - محروم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسدٍ نعمةٍ بالأمسِ نالك أو وقع
ما في الحياة لأن تعا - تَبَ أو تُحاسِبَ ؛ مُتَّسَع

١ البِيع : جمع بَيْعة ، وهي متعبد للنصارى .

* الصحافة *

<p>لـكـلّ زـمـانٍ مـضـى آيـةٌ لـسـانُ البـلـادِ ، ونبـضُ العـبـادِ تـسـيرُ مـسـيرِ الضـحـى فـي البـلـادِ وتمـشـي ثـعـلـمٌ فـي أـمـةٍ فـيـا فـتـيـة الصـحـف ، صـبـراً إـذا فـانَّ السـعـادـةَ غـيـرُ الظـهـو ولـكـنـها فـي نـواحـي الضـمـير خـلـوا القـصـدَ ، واقتـنـعـوا بـالكـفـافِ ورومـوا النـبـوغَ ، فـن نـالـه ومـا الرـزـقُ مـجـتـنـبٌ حـِرَفةً إـذا آخـتِ الجـوهـريُّ الحـظـوظِ وإن أـعـرـضـت عـنـه لـم يـحـلُ فـي</p>	<p>وآيـةٌ هـذا الزـمـانِ الصُّحُفُ وكهـفُ الحـقـوق ، وحرـبُ الجـنـفِ إـذا العـلـمُ مـزَّقٌ فـيـها السـدُفُ كـثـيـرةٌ مَن لا يـحـطُّ الألفُ ! نـبـا الرـزـقُ فـيـها بـكـم واخـتـلـف رِ ، وغيـرُ الثـراءِ ، وغيـرُ التـرفِ إـذا هـو بالـلـؤـم لـم يُكـتـفِ وخلـوا الفـضـولَ يـغـلـها السـرُفُ تـلقـى مـن الحـظِّ أـسـنى التـحـفِ إـذا الحـظُّ لـم يـهـجـر المـحـتـرفِ كـفـلنَ الـيـتـيمَ لـه فـي الصـدُفِ عـيـونَ الخـرائـد غـيـرُ الخـزفِ</p>
---	--

* * *

* ألف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم ، وقد ألفت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشائها .

١ الجنف : الحيف .

٢ السدف : الظلام .

٣ اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير .

٤ الخرائد : العذارى .

رعى الله ليلتكم ، إنها
لقد طلع البدرُ من جُئحها
جلوتم حواشيها بالفنون
فإن تسألوا : ما مكانُ الفنون ؟
أريكةٌ موليرَ فيما مضى
وعودُ ابن ساعدةٍ في عكاظَ
فلا يرقين فيه إلا فتى
تُعلمُ حكته الحاضرين

* * *

حمدنا بلاءكم في النضال
ومن نسي الفضلَ للسابقين
أليس إليهم صلاح البناء
فهل تأذنون لذي خلة
فأين اللواء ، وربُّ اللواء
وأين الذي بينكم شبله
ولا بد للغرس من نقله
فلا تجحدن يد الغارسين
أولئك مروا كدود الحرير

وأمس حمدنا بلاء السلف
فما عرف الفضلَ فيما عرف
إذا ما الأساس سما بالغرف ؟
يفضُّ الرياحين فوق الجيف ؟
إمامُ الشباب ، مثالُ الشرف ؟
على غاية الحق نعم الخلف ؟
إلى من تعهد ، أو من قطف
وهذا الجنى في يديك اعترف
شجهاها التفاع وفيه التلف

١ عود ابن ساعدة : أي منبر قس بن ساعدة ، وهو أخطب خطباء الجاهلية .

٢ رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء .

عيد الفداء *

أما العتابُ ، فبالأحبة أخلقُ
يا من أحبُّ ، ومن أجلُّ ، وحسبه
البُعدُ أدناني إليك ، فهل تُرى
في جاءِ حسنِكَ ذلَّتِي وضراعتي
والحبُّ يصلحُ بالعتاب ويصدقُ
في الغيدِ منزلةً يُجلُّ ويُعشقُ
تقسو وتنفّر ، أم تلين وترفق ؟
فاعطف ، فذاك بجاءِ حُسنِكَ أليق !

* * *

خلّقَ الشباب ، ولا أزال أصوئه
صاحبه عشرين غيرَ ذميمةٍ
قلبي ، اذكرتَ اليوم غيرَ مُوفِّ
فخففتَ من ذكرى الشباب وعهده
وأنا الوفيُّ ، مودّتي لا تخلقُ
حالي به حالٍ ، وعيشي مُوقٍ
أيامَ أنتَ مع الشبابِ موفِّ
لهي عليك ! لكل ذكرى تخفقُ
أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرّقُ
ما تسترقُّ من الظباءِ وتعتقُ
واليومَ كلُّ حبالَةٍ لا تعلقُ
صفوً يحيطُ به ، وأنسَ يُحديق ؟
كم ذُبتَ من حُرْقِ الجوى ، واليوم من
كنتَ الشبَّالَ ، وكان صيداً في الصبا
خدعتُ حباتلك الملاحَ هنيةً
هل دون أيامِ الشبية للفتى

* * *

كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضجة هائلة ، ولعلها استمدت معظمها من تلك الأبيات التي تنطق فيها ذكرى الشباب ، والتي قلما وفق إلى مثلها شاعر ، ولقد نظمت هذه القصيدة معارضة لأخرى من رويها للمرحوم إسماعيل صبري باشا .

مولاي حُكْمُكَ فِي الرُّقَابِ مُقَيَّدٌ سَمَحَ، فَأَمَّا فِي الْقُلُوبِ فَمُطْلَقُ
 أَنِّي اتَّجَهْتُ تَوَجَّهْتُ مَشْغُوفَةٌ هَذَا الْجَلَالُ زِمَامُهَا وَالرُّونُقُ
 الْعِيدُ مِنْ رُسُلِ الْعَنَاءِ، فَاعْتَبِطُ بِصَنُوفِ مَا حَمَلَ الرَّسُولُ الشَّقِيقُ
 النَّاسُ تَنَحَّرُوا وَالصَّلَاةُ مُقَامَةٌ وَعِدَاكَ يُنَحَّرُ جَمْعُهُمْ وَيُحْزَقُ
 بِكَرِّ الْأَذَانِ مُحْيِيًّا وَمَهْنَتًا وَدَعَا لَكَ النَّاقُوسُ فِيمَا يَنْطَقُ
 أَنِّي الْخُطِيبُ عَلَيْكَ قَبْلَ صَلَاتِهِ وَأَجَلُ ذِكْرِكَ فِي الصَّلَاةِ الْبَطْرُقُ

* * *

تُرْجِي الْفَيَالِقَ، وَالْقُلُوبُ خَوَافِقُ فَوْقَ الْجُنُودِ، فَكُلُّ قَلْبٍ فَيْلَقُ
 فِي مَوْكِبٍ لَفَتَ الزَّمَانَ جَلَالُهُ يَزْهَوُ بِأَلَاءِ الْعَزِيزِ وَيُشْرِقُ
 وَالْأَرْضُ حَالِيَّةُ الْوَجْهِ بَنُورِهِ وَالشَّمْسُ غَيْرَى تَجْتَلِيهِ وَتَرْمُقُ
 وَالرُّوحُ يَكْلَأُ، وَالْمَلَائِكُ حُرَّسُ وَعَنَاءُ اللَّهِ الْخَفِيطُ تُحَلِّقُ
 حَتَّى حَلَلْتَ بِعَابِدِينَ فَحَلَّهَا سَعْدُ الدِّيَارِ وَبَدْرُهَا الْمُتَالِقُ
 فِي كُلِّ إِيوَانٍ وَكُلِّ خَمِيلَةٍ سَاحَ مُيَمَّمَةٌ وَبَابٌ يُطْرَقُ
 خَلَقْتَ عَلَى قَدَمِ الْمَهَابَةِ مَائِلٌ فِي سُدَّةِ الْعِزِّ الْمُنِيعَةِ مُطْرَقُ
 حَتَّى إِذَا رُفِعَ الْحِجَابُ تَدَفَّقُوا يَتَشَرَّفُونَ بِرَاحَةِ تَدَفَّقُ
 وَتَعَارَضَتْ فِيكَ الْقَرَائِحُ وَانْبَرَى لِأَبِي نَوَاسِ الْبُحْتَرِيِّ الْمَفِزُ
 عِلْمَانِ، فِي يَدِكَ الْكَرِيمَةِ مِنْهُمَا وَيَدَيَّ أَيْكَ أَيْيَ الْمَكَارِمِ مَوْثِقُ
 لَمَّا عَفُوتُ وَكَانَ ذَلِكَ شَيْمَةً طَرِبَا وَهَزَمَا السَّجِينُ الْمَطْلُقُ
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحَفْظِهِ أَمَلٌ بِعَرْشِكَ لِلْبِلَادِ مُعَلَّقُ

١ . يريد بأبي نواس : اسماعيل صبري باشا . وبالبحري : نفسه .

نكبة بيروت *

يا ربّ ، أمرُك في الممالك نافذٌ
 إن شئت أهرقهُ ، وإن شئت احمِهِ
 واحكم بعديك ، إن عدلَكَ لم يكن
 لأجل آجال دنيت وتهيأت
 ما كان يحميه ، ولا يُحمي به
 هُذي بجانبها الكسير غريقةٌ
 والحكمُ حكمُك في الدم المسفوكِ
 هو لم يكن لسواك بالملوكِ
 بالمُستري فيه . ولا المشكوكِ
 قدّرتَ ضربَ الشاطئ المتروكِ ؟
 فُلكان أنعمَ من بواخر «كوك»
 تهوى ، وتلك بركنها المدكوكِ

* * *

بيروتُ ، مات الأسدُ حتفَ أنوفهم
 سبعون ليثاً أحرّقوا ، أو أغرقوا
 كلُّ بصيد اللبث وهو مقيدٌ
 يا مضربَ الحِجَمِ المنيقة للقرى
 ما كنت يوماً للقنابل موضعاً
 بيروتُ ، يا راح التريل ، وأنسَهُ
 الحسنُ لفظُ في المدائن كلها
 نادمتُ يوماً في ظلالكِ فنيةٌ
 يُنسَوْنَ حسناً عصابة جَلَّتْ
 لم يُشهرُوا سيفاً ، ولم يحموكِ
 يا ليتهم قُتلوا على «طبروك»
 ويعزُّ صيد الصَّيغِ المفكوكِ
 ما أنصف العُجمُ الألى ضربوكِ
 ولو أنها من عسجد مسبوكِ
 يمضي الزمانُ عليّ لا أسلكِ
 ووجدته لفظاً ومعنى فيك
 وسَمُوا الملائك في جلالِ ملوكِ
 حتى يكاد يجلق يفديك

* قيلت على أثر ضرب الأسطول الإيطالي مدينة بيروت .

١ حسان بن ثابت : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . وعصابة جلق : هم ملوك غسان . وجلق :
 هي دمشق . وكان حسان بن ثابت كثيراً ما يفد على آل غسان ، ويملحهم ، وينال منحهم .

تالله ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً
أنتِ التي يحمي ويمنع عرضها
إن يجهلوك ؛ فإنّ أمك سوريا
والسابقين إلى المفاخر والعلا
سالت دماء فيك حول مساجد
كنا نؤمل أن يمتد بقاؤها
لك في رُبى النيل المبارك جيرة
يكفيك برءا للجراح ومرهماً
لو يستطيع كرام مصر كرامة
هو في ابتناء المجد صورة جدّه

حتى تُراعِي ، أو يُراعَ بنوك
سيف الشريف ، وخنجر الصُّلوك
والأبلق الفرد الأشم أبوك
بلّة المكارم والندى أهلوك
وكنائس ، ومدارس و «بنوك»
حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك
لو يقدرُون بدمعهم غسلوك
أن الأمير «محمدًا» يأسوك
«محمدٍ» بقلوبهم ضمدوك
أذكرتِ «إبراهيم» في ناديك؟

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قُمْ نَادِ أَنْقَرَةَ وَقُلْ : يَهْنِكَ
 أَعْطَيْتَهُ ذُوْدَ اللَّبَاةِ عَنِ الشَّرَى
 وَأَقَمْتَ بِالْدَّمِ جَانِبِيهِ ، وَلَمْ تَزَلْ
 فَعَقَدْتَ تَاَجَكَ مِنْ طَبْئِي مَسْلُولَةً
 تَاَجٌ تَرَى فِيهِ إِذَا قَلْبُهُ
 وَتَرَى الضَّحَايَا مِنْ مَعَاقِدِ غَارِهِ
 وَتَرَاهُ فِي صَحْبِ الْحَوَادِثِ صَامِتًا
 خَرَزَائِهِ دَمٌ أُمَّةٍ مَهْضُومَةٍ
 بِالْوَاِجِبِ التَّمَسُّ الْحَقُوقَ ، وَخَابَ مَنْ
 لَا الْفِرْدُ مَسٌّ جَبِيْنَتِكَ الْعَالِي ، وَلَا
 لَمَّا نَفَرْتَ إِلَى الْقِتَالِ جَمَاعَةً
 هَدَرُوا دِمَاءَ الْأَسَدِ فِي آجَامِهَا
 يَابَنْتَ طُورُوسَ الْمَرْدِ ، طَاطَأَتْ
 أُمْعَتُهُمَا فِي الْعَزِّ ، وَاسْتَعْصَمَتْهُمَا
 نَحْتَ الشُّعُوبُ مِنَ الْجِبَالِ دِيَارَهُمْ

مُلْكُ بَنِيْتٍ عَلَى سِيُوفِ بَيْنِكَ
 فَأَخَذَتْهُ حُرًّا بِغَيْرِ شَرِيكَ
 بُنِيَ الْمَالِكُ بِالْدَّمِ الْمَسْفُوكِ
 وَحَلَّتْ عَرْشَكَ مِنْ قَنَاءِ مَشْبُوكِ
 جَهْدَ الشَّرِيفِ ، وَهِمَةَ الصُّعْلُوكِ
 وَعَلَى جَوَانِبِ يَثْرِهِ الْمَسْبُوكِ
 كَالصَّخْرِ فِي عَصْفِ الرِّيَّاحِ الثُّوْكَ
 وَجَهْدُ شَعْبٍ مُجْهَدٍ مِنْهُوْكَ
 طَلَبَ الْحَقُوقَ بِوَاِجِبِ مَتْرُوكِ
 أَعْوَانُهُ بِأَكْفُهُمْ لِمَسُوكِ
 أَصْلُوكِ نَارَ تَلَصُّصٍ وَفُتُوكِ
 وَالْأَسْدُ شَارِعَةُ الْقَنَاءِ تَحْمِيْكَ^١
 شَمُّ الْجِبَالِ رُؤُوسَهَا لِأَبِيْكَ^٢
 هُوَ فِي السَّحَابِ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِيْكَ
 وَالْقَوْمُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ نَحْتُوكِ

- ١ الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها أجم بفتح الجيم ، وجمع الجمع آجام وهو الوارد في البيت . وهو يشير إلى فتوى شرعية كانت حكومة الآستانة قد أذاعتها في أول أمر الفاتحين في الأناضول ، تحلل بها قتالهم .
- ٢ طوروس : جبل عظيم في آسيا الصغرى .

فلو أَنَّ أخلاقَ الرجالِ تَصَوَّرَتْ
 إِنَّ الذينَ بَتَّوكَ أَشْبَهُ نِيَّةٍ
 حَلَفُوا على الميثاقِ ؛ لا طَعَمُوا الكرى
 زَعَمُوا الفرنسيَّ المَحْجَلَّ صورةً
 النسرُ سَلَّ السيفَ يَبْنِي نفسه
 والنسرُ مملوكٌ لسلطانِ الهوى
 يادولةَ الخلقِ التي تاهت على
 بيني وبينك مَلَّةٌ وكتابُها
 قد ظنني اللاحي نطقت عن الهوى
 لم يُقَدِّرِ الإسلامُ أو يرفعْ له
 رَدُّوا الخيالَ حقيقةً ، وتطلعوا
 لم أَكْذِبُ التاريخَ حينَ جعلتهم
 لم تَرْضَنِي ذَنْباً لِنَجْمِكَ هَمَّتِي
 قلبي - وإن جهل الغيُّ مكانه -
 ظفرتُ بيونانَ القديمةَ حكمتي

لرأيتِ صخرتها أساساً فيك
 بشبابٍ خيبرَ ، أو كهولِ تَبُوكِ^١
 حتى تذوقِ النصرَ ، هل نصروك ؟
 في حَلْبَةِ الفرسانِ من حاميك^٢
 وفتاكِ سَلَّ حسامه يَبْنِيكَ
 ووجدتُ نسرَكَ ليس بالملك
 ركنَ السماءِ بركنِها المسموك
 والشرقَ يَبْنِيكَ كما يَبْنِيكَ
 وركبتُ متنَ الجهلِ إذ أطريك
 رأساً سوى النفرِ الألى رفعوك
 كالخقِ حَصْحَصَ من وراءِ شكوك
 رُهبانَ نَسْكَ ، لا عَجُولَ نَسِيكَ^٣
 إن البيانَ بنجمه يُبْنِيكَ
 أبقى على الأحقابِ من ماضيك^٤
 وغزا الحديثةَ ظافراً غازيك

* * *

مني لَعَهْدِكَ يا فروقُ نَحْيَةٍ
 أو كالنسيمِ غداً عليك ، وراح من
 كعيونِ مائك ، أو رُبَى واديك
 قُوفِ الرياضِ ، ووَشْيِها المحبوك^٥

١ خير : اسم مكان كان به سبعة حصون ، غزاه النبي - صلى الله عليه وسلم - وتبوك : أرض بين المدينة والشام نسبت إليها غزوة من غزوات النبي أيضاً .

٢ الفرنسي : نابليون بوناپرت .

٣ النسيك : الذهب والفضة .

٤ الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، قيل : هو ثمانون عاماً ، وقيل : هو الدهر .

٥ قوف الرياض : زهرها ، تشبيهاً لها بقوف الثياب ، وهي نوع من برود اليمن . والوشى : نمنمة الثوب وتحسينه .

أو كالأصيل جرى عليك عقيقه
تلك الخماثل والعيون ، اختارها
قد أفرغت فيك الطبيعة سحرها
خلعت عليك جمالها ، وتأملت
تالله ما قَنَ العيون ولذها
عن جيدك الحالي تلفت الرُبى
إن أنس لا أنس الشيبه ، والهوى
ولباليا لم ندر أين عشاؤها
وصُبحنا من بَندلار وشَرشر
لو أن سلطانَ الجمال مَخَلدُ
خلعوك من سلطانهم ، فسلهم
لا يَحزُنْكَ من حَمَاتِكَ خطه
أيقال : فتان الحمى بك قصروا
وهم الخفاف إليك ، كالأنصار إذ
المشرك بمالهم ، ودمائهم
هدروا دماء الذائدين عن الحمى
شربوا على سر العدو ، وغردوا
لو كنت مَكَّةَ عندهم لرأيتهم

أو سال من عقيانه شاطيك
لك من رُبى جَنَاتِهِ باريك^١
من ذا الذي من سحرها يَرقيق ؟
فلذا جبالك فوق ما تكسوك
كقلائد الخُلجان في هاديك
واستضكحت حور الجنان بفيك
وسوالف اللذات في ناديك
من فجرها لولا صباح الديك
وغبقنا بترابيا ويوك^٢
للمليحة ، لعذلت من عدلوك
أمن القلوب ومُلكها خلعوك ؟
كانت هي المثلى ، وإن ساءوك
أم ضيعوا الحرمات ، أو خانوك ؟
قل التصير ، وعز من يفديك
حين الشيوخ بجبهه باعوك
بلسان مفتي النار ، لا مُفتيك
كالبوم خلف جدارك المدكوك
كمحمدٍ ورفيقه هجروك

* * *

يا راكب الطامي يحوبُ لجاحه من كل نيرة وذات حلوك

١ الخماثل : جمع خملة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

٢ الصبح : شراب الصباح . والغيق : شراب العشي . وبندلار ، وترابيا ، ويوك : أسماء أمكنة في الأستانة .

إن جثت مرمرةً تحتَ الفُلْكِ في
 وأتيت قرن التبر ثم تحفهُ
 فأطلع على دار السعادة ، وابتهل
 قل للخلافة قول بالك شمسها
 يا جذوة التوحيد ، هل لك مطفى
 خلت القرون ، وأنت حرب ممالك
 يرميك بالأمر الزمان ، وتارة
 عودي إلى ما كنت في فجر الهدى
 إن الذين توارثوك على الهوى
 لم يلبسوا برد النبي ، وإنما
 إني أعيدك أن تُرَي جبارة
 أو أن تُرَف لك الورثة فاسقاً
 فُصِّي ثوب الفرد ، ثم خذي به
 لا فرق بين مُسلطٍ متوج
 إني أرى الشورى التي اعتصموا بها

بهج ، كآفاق النعيم ، ضحكوك^١
 تُحف الضحى من جوهر وسلوك^٢
 في بابها العالي ، وأد ألوكي
 بالأمس لما آذنت بدلوك
 والله جلّ جلاله مُذكّيك ؟
 لم يغف ضدك ، أو يتم شأنك
 بالفرد واستبداده يرميك
 عمر يسوسك ، والعتيق يليك
 بعد ابن هند طالما كذبوك^٣
 لبسوا طقوس الروم إذ لبسوك
 كالبابوية في يدي رُديك
 كيزيد ، أو كالحاكم المأفوك^٤
 في أيّ نويته به جاؤوك
 ومُسلط في غير ثوب ملك
 هي حبل ربك ، أو زمام نبيك

- ١ مرمرة : هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل ، ويصله بالبحر الأسود مضيق البوسفور .
- ٢ قرن التبر : هو القرن الذهبي ، وهو جزء من البوسفور .
- ٣ ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء من بني أمية .
- ٤ يزيد : هو يزيد بن الوليد ، من ملوك بني أمية ، كان من أصحاب الدعارة والفسوق .
والحاكم : هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين في مصر ، كان فاسقاً مختبلاً وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسراً .

عيد الدهر وليلة القدر *

الملكُ بين يديكَ في إقباله عَوِذْتُ مُلْكَكَ بالنبي وآله^١
 حرٌّ ، وأنت الحرُّ في تاريخه سمحٌ ، وأنت السمحُ في أقباله
 فيضاً على الأوطانِ من حُرِّيةٍ فكلاكما المفتكُ من أغلاله
 سعدتَ بعهدكما المباركِ أمةٌ رَقَّتْ لحالكِ حقبةٌ ، ولحاله
 يَفدِيكَ نصرانيُّه بصليبه والمنتمي لمحمدٍ بهلاله
 وفى الدروزِ على الحُزونِ بشيخه والموسويُّ على السهولِ بماله^٢
 صدقوا الخليفةَ طاعةً ومحبةً وتمسكوا بالطُّهرِ من أذباله
 يجدون دولتك التي سَعِدُوا بها من رحمةِ المولى ، ومن أفضاله
 جدّدت عهد الراشدين بسيرةٍ نسجَ الرِشادُ لها على مِنواله
 بُنيت على الشورى كصالح حكهم وعلى حياةِ الرأْيِ واستقلاله
 حقٌّ أعزَّ بك المهيمُنُ نصره والحقُّ منصورٌ على خُدَّاله
 شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ في الملكِ أقوامٌ عِدَادُ رماله
 مُلْكٌ تُشاطرُهُ ميامنُ حاله وترى بإذن الله حُسْنَ مآله
 أخذتُ حكومتك الأمانَ لظيهِ في مُقفرات البيدِ من رِثباله
 مكنتَ للدستور فيه ، وحزنته تاجاً لوجهك فوق تاج جلاله

• «قلت في احتفال بالمولد النبوي الشريف» .

١ الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس .

٢ الحزون : جمع حزن ، بفتح الحاء ، ما غلظ من الأرض .

فكَأَنَّكَ الْفَارُوقُ فِي كَرْسِيهِ
أَوْ أَنْتَ مِثْلُ أَبِي تَرَابٍ ، يُتَّقَى
عَهْدُ النَّبِيِّ هُوَ السَّاحَةُ وَالرَّضَى
بِالْحَقِّ يَحْمِلُهُ الْإِمَامُ ، وَبِالْهَدَى
يَا بْنَ الْخَوَاقِينِ الثَّلَاثِينَ الْأَلَى
الْمُبْلَغِينَ الَّذِينَ ذُرُوءَ سَعْدِهِ
الْمَوْطِنِينَ مِنَ الْمَالِكِ خَيْلِهِمْ
فِي عَدْلِ فَاتَحِهِمْ وَقَانُونِيهِمْ
أَمَّا الْخَلَاقَةُ فَهِيَ حَائِطٌ بَيْنَكُمْ
أُخِذَتْ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيِّ ، وَحَازَهَا
لَا تَسْمَعُوا لِلْمُرْجِفِينَ وَجَهْلِهِمْ
طَمَعُ الْقَرِيبِ أَوْ الْبَعِيدِ بَيْنَهَا
مَا الذَّنْبُ مُجْتَرِئًا عَلَى لَيْثِ الشَّرِّ
بِأَصْلٍ عَقْلًا - وَهِيَ فِي أَيْمَانِكُمْ -

* * *

رَضِيَ الْمُهِيمُنُ ، وَالْمَسِيحُ ، وَأَحْمَدُ
الْهَازِئِينَ مِنَ الثَّرَى بِسَهْوِهِ
الْقَاتِلِينَ عَدُوَّهُمْ فِي حَصْنِهِ
الْآخِذِينَ الْحَصْنَ عَزَّ سَبِيلُهُ
عَنْ جَيْشِكَ الْفَادِي ، وَعَنْ أَبْطَالِهِ
الدَّائِسِينَ عَلَى رُؤُوسِ جِبَالِهِ
بِالرَّأْيِ وَالتَّدْيِيرِ قَبْلَ قِتَالِهِ
مِثْلَ السَّهَاءِ أَوْ فِي امْتِنَاعِ مَنَالِهِ

١ الفاروق : لقب عمر بن الخطاب .

٢ أبو تراب : كنية على ابن أبي طالب .

٣ الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك .

٤ إسكندر : هو المقدوني الفاتح العظيم .

٥ الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

المعرضين - ولو بساحة يَلْدَز -
القارئين على علي علمها
الملك زُلْزَلَ في فروق ساعة
لولا انتظام قلوبهم كصفوفهم
والمرء ليس بصادق في قوله
والشعب إن رام الحياة كبيرة
شكر الممالك للسخي بروحه
إيه فروق الحسن نجوى هائم
أخرجت للعرب الفصح بيانه
لم تُكثر الحمراء من نظرائه
جعل الإله خياله قيس الهوى
في كل عام أنت نزهة روحه
يعشاك قد حثت إليك مطيه
أفراحه لما رآك طليقة
وسروره بك من قيودك حرة
الله صاعك جنتين لخلقه
لو أن الله اتخذ خميلة
فكانما الصفتان في حسنيها
وكانما البوسفور حوض محمد

في الحرب عن عرض العدو وماله
وعلى الغزاة المتقين رجاله
كانوا له الأوتاد في زلزاله
لثرت دمي اليوم في أطلاله
حتى يؤيد قوله بفعله
خاص الغمار دماً إلى آماله
لا السخي بقبله أو قاله
يسمو إليك بجده وبخاله
قبساً يُضيء الشرق مثل كماله
نسلاً ، ولا بغداداً من أمثاله^١
وجعلت ليلى فتنة لخياله^٢
وتعيم مهجته ، وراحة باله
ويؤوب ، والأشواق ملء رحاله
أفراح يوسف يوم حل عقاله
كسرور قيس بانفلات غزاله
محفوفتين بأنعم ليعياله
ما اختار غيرك روضة لجلاله
ديباجتنا خد يتيه بخاله
وسط الجنان وهن في إجلاله^٣

- ١ الغار : بضم الغين وفتحها ، لقيف. الناس .
- ٢ الحمراء : هي مدينة غرناطة بالأندلس . وبغداد : حاضرة العراق .
- ٣ قيس : هو ابن الملوح ، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالجنون ولى هي محبوبته التي جن بها .
- ٤ حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد هو النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان شاهقة القصور حياه
وكان عيدك عيدها لما مشى
تتهي بعيدك في المالك ، واسلمي
واستقبلي عهد الرشاد جملاً
دار السعادة أنت ، ذلك بابها

حُجراتُ ظه في الجنان وآله
فيها البشيرُ يبشره وجماله
في السلم للآلاف من أمثاله
بمحاسن الدستور في استهلاله
شلت يدٌ مُدّت إلى إقفاله

وداع اللورد كرومر*

أيامكم ، أم عهد إسماعيل ؟ أم أنتِ فرعونُ يسوسُ النيل ؟
 أم حاكم في أرض مصر بأمره لا سائلاً أبداً ولا مسؤولاً ؟
 يا مالكاً رِقِّ الرقاب بيبأسه هلّا اتَّخذتِ إلى القلوب سبيلاً ؟
 لما رحلتَ عن البلادِ تشهّدت فكأنك الداءُ العيأُ رحيلاً
 أوسعتنا يومَ الوداعِ إهانةً أدبٌ لعمرِكَ لا يُصيبُ مثيلاً
 هلّا بدا لك أن تجاملَ بعد ما ضاغ الرئيسُ لك الثنا إكليلاً ؟
 انظر إلى أدب الرئيس ولطفه تجد الرئيسَ مُهذّباً ، ونيلاً

* * *

في ملعبٍ للمُضحكات مُشيدٍ مثلتَ فيه المُبكياتِ فصولاً
 شهد الحسينُ عليه لعنَ أصوله ويصدّرُ الأعمى به تطفيلاً^١
 جبنٌ أقلُّ وخطٌّ من قدرِهما والمرءُ إن يجبنَ يعيشَ مرذولاً
 لما ذكرتَ به البلادَ وأهلها مثلتَ دورَ مماتها تمثيلاً^٢
 أنذرتنا رِقاً يدوم ، وذلةً تبقى ، وحالاً لا تَرى تحويلاً

١ من قصيدة قالها في اللورد كرومر العميد الانكليزي بمصر بعد أن خلع عن منصبه سنة ١٩٠٧ .
 وكان رئيس الوزارة مصطفى فهمي باشا أقام له حفلة وداع في ملعب الأوبرا ، وودعه بخطبة
 لطيفة مثناً عليه . فخطب اللورد بعده مندداً بالخدوي إسماعيل وبالأمة المصرية .

٢ الحسين : هو السلطان حسين كامل . والأعمى : هو الشيخ عبد الكريم سلمان ، وكان قد ضعف
 بصره وكاد يكف .

٣ لما ذكرتَ به : أي بذلك الملعب .

أَحْسَبْتُ أَنَّ اللَّهَ دُونَكَ قُدْرَةً ؟ لَا يَمْلِكُ التَّغْيِيرَ وَالتَّبْدِيلَ ؟
 اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمُلُوكِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَوْلٌ تَنَازَعُهُ الْقُوَى لَتَدُولاً^١
 فِرْعَوْنُ قَبْلَكَ كَانَ أَعْظَمَ سَطْوَةً وَأَعَزَّ بَيْنَ الْعَالَمِينَ قَبِيلًا
 الْيَوْمَ أَخْلَفْتَ الْوَعْدَ حَكُومَةً كُنَّا نَنْظُرُ عَهْدَهَا الْإِنْجِيلَ
 دَخَلْتَ عَلَى حَكْمِ الْوِدَادِ وَشَرَعِهِ مِصْرًا ، فَكَانَتْ كَالسُّلَالِ دُخُولاً^٢
 هَدَمْتَ مَعَالِمَهَا ، وَهَدَّتْ رُكْنَهَا وَأَضَاعْتَ اسْتِقْلَالَهَا الْمَأْمُولَ^٣
 قَالُوا : جَلِبَتْ لَنَا الرِّفَاقَةُ وَالْغَنَى جَحَدُوا الْإِلَهَ ، وَصُنْعَهُ ، وَالنِّيلَ
 وَحَيَاةَ مِصْرَ عَلَى زَمَانِ مُحَمَّدٍ وَنَهَوْضَهَا مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ
 وَمَدَارِسًا بَيْنِي الْبِلَادَ حَوَافِلًا حَظُّ الْفَقِيرِ بَيْنَ كَانَ جَزِيلًا^٤
 وَمَعَاقِلًا لَا تُمَحِّي آثَارَهَا وَجِيوشَ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَسْطُولَ^٥
 وَجَدَاوِلًا بَيْنَ الضِّيَاعِ جَوَارِيًا تَذُرُ الْيَبَابَ مَزَارِعًا وَحَقُولًا^٦
 وَمَدَائِنًا قَدْ خُطِّطَتْ وَطَرَائِقًا كَانَتْ حُزُونًا فَاسْتَحَانَ سُهُولًا^٧
 وَالْقَطْنَ مَزْرُوعًا بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ فِي مِصْرٍ مَحْلُوجًا بِهَا مَغْزُولًا^٨
 قَدْ مَدَّ إِسْمَاعِيلُ قَبْلَكَ لِلوَرَى ظَلَّ الْحَضَارَةُ فِي الْبِلَادِ ظَلِيلًا
 إِنْ قِيسَ فِي جُودٍ وَفِي سَرْفٍ إِلَى مَا تُنْفِقُونَ الْيَوْمَ عَدًّا بِخِيلًا

-
- ١ لتدول : لتظهر على غيرها وبخالفها إقبال الحظ .
 - ٢ السلال ، بضم السين : هو داء السل .
 - ٣ المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشيء الذي يظن الناس فيه وجوده .
 - ٤ حوافل : جمع حافلة ، ممتلئة .
 - ٥ المعاقل : جمع معقل ، وهو الملجأ .
 - ٦ الجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . الضياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المغلة ،
 اليباب : الأرض الخراب . الحقول : جمع حقل ، وهو الأرض الصالحة للزرع والغرس .
 - ٧ الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .
 - ٨ بفضل محمد ، هو محمد علي ، لأنه جاء بالقطن فزرعه في مصر وأنشأ له محالج ومنازل .

أو كان قد صرع المفتش مرة
لا تذكر الكراج في أيامه
وامدح قصوراً شاذهنّ بواذخاً
لو أنه لم ينيها لتخذتم
كم منّة موهومة أتبعنها
في كلّ تقرير ، تقول : خلقتكم
هل من نذاك على المدارس أنها
أم من صيانتك القضاء بمصر أن
أم هل يعدّ لك الإصاعة منّة
انظر إلى فتياه ، ما شأنهم ؟
حرّمهم أن يبلغوا رتب العلاء
فإذا تطلعت الجيوش ، وأمّلت
من بعد ما زفوا لا دورد العلاء

فلکم صرعت بدنشواي قتيلا^١
من بعد ما أنبت فيه ذيولا^٢
قد أصبحت مأوى لكم ومقيلا^٣
منها المضارب والخيام بدिला^٤
منا على الفطن الخير ثقيلا
أفهل ترى تقريرك التزيلا ؟
تذر العلوم ، وتأخذ الفوتبولا ؟^٥
تأتي بقاضي دنشواي وكيلا ؟^٦
جيش كجيش الهند ، بات ذليلا ؟
أوليس شأننا في الجيوش ضيلا ؟
ورفعت قومك فوقهم تفضيلا
مستقبلاً ؛ لم يملكوا التأميلا
فتحاً عريضاً في البلاد ، طويلا^٧

* * *

- ١ المفتش ، هو إسماعيل باشا مفتش الأقاليم . ودنشواي : قرية من أعمال إقليم المتوفية وأهلها عناية بتربية الحمام .
- ٢ من بعد ما أنبت فيه ذيولاً ، أي جعلت للكراج شعباً في طرفه تشبه الذبول ، مبالغة في الإيلاام بالضرب به .
- ٣ البواذخ : جمع باذخ ، وهو الطويل المرتفع . المقيلا : موضع القيلولة .
- ٤ المضارب : جمع مضرب ، بكسر الميم ، وهو بيت عظيم من الشعر .
- ٥ الندى : الكرم . تذر : ترك .
- ٦ قاضي دنشواي : هو أحمد فتحي زغلول باشا .
- ٧ يشير إلى فتح السودان ، وأن الجيش المصري هو الذي قام بعبه كله ، ولم يكن لجنود الإنكليز فيه من أثر يذكر . وإدوارد : هو ملك الإنكليز .

لو كنتُ من حُمْرِ الثيابِ ؛ عبدْتُكم
أو كنتُ بعضَ الإنكليزِ ؛ قبلْتُكم
أو كنتُ عضواً في الكلوب ؛ ملائته
أو كنتُ قسيساً يهيمُ مُبشراً
أو كنتُ صرافاً بلندن دائماً
أو كنتُ تيمسكُم ؛ ملأتُ صحائفي
أو كنتُ في مصرٍ نزيلاً جاهداً
أو كنتُ سريوناً ، حلفتُ بأنكم
ما كان من عقباتِها ، وصعابِها
عهدُ الفرنج - وأنت تعلم عهدَهم -
فارحل بحفظِ الله جل صنيعُه
واحمل بساقتك ربطة في لندن
أو شاطر الملكَ العظيمَ بلاده
إنا تمنينا على الله المنى
من سب دين محمد ، فحمد

من دونِ عيسى ، مُحسناً ، ومُنيلاً
مَلِكاً ، أَقْطَعُ كَفَّهُ تَقِيلاً
أَسْفاً لفرقتكم ، بُكاً ، وعويلاً
رثلتُ آيةَ مَدْحِكُم تَرْتِيلاً^١
أَعْطَيْتُكُم عن طيبةِ تحويلاً
مدحاً ، يُرَدِّدُ في الوري موصولاً^٢
سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
أَتَمَّ حَيَوْتُكُمْ بِالقنَاةِ الجيلاً
ذَلَّلْتُموه بعزمكم تَذَلُّيلاً
لا يَبْخُسُونَ المحسنين فَتِيلاً
مُسْتَعْفِياً إِنْ شَتَّ ، أَوْ مَعْزولاً
وَاخْلَفَ هُنَاكَ غِرَايَ أَوْ كَمِيلاً^٣
وَسُسِ المَالِكُ ، عَرْضَهَا والطولُ
وَاللَّهُ كَانَ بَنِيْلَهُنَّ كَفِيلاً
مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الإِلَهِ رَسولاً^٤

- ١ الكلوب : دار ندوة في القاهرة ، يشترك في الإنفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الإنكليز .
- ٢ ذلك لأن اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية في مصر ، ويحمي القسوس القاطنين به .
- ٣ أو كنت تيمسك : أي لو كنت جريدة التامس الخاصة بكم .
- ٤ المسو دي سريون : مدير شركة قناة السويس .
- ٥ غراي وكميل : وزيران من وزراء الإنكليز .
- ٦ كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الإسلامي في تقريره سنة ١٩٠٦ ، فزعم أنه دين لا يصلح لهذا العصر ، فشاعرنا يشير إلى ذلك بقوله : من سب دين محمد ... الخ .

السلطان حسين كامل

الملكُ فيكم آلَ إسماعيلِ لا زالَ يبتكُم يُظِلُّ النُّيلا
 لطفَ القضاء فلم يُعِلْ لوليكم ركباً، ولم يَشْفِ الحسودُ غليلاً^١
 هذي أصولُكم وتلك فروغُكم جاء الصميمُ من الصميمِ بديلاً^٢
 الملكُ بين قصوركم وفي دارِهِ من ذا يريدُ عن الديارِ رَحِيلاً؟
 عابدينُ شَرَّفَ بابنِ رافعِ رُكنه عزاً على النجمِ الرفيعِ وطولاً^٣
 ما دام مغناكم فليس بسائلِ أحوى فروغاً أم أقلَّ أصولاً^٤
 أنتم بنو المجدِ المؤثِّلِ والنَّدَى لَكُمْ السيادةُ صبيةً وكُهولاً^٥
 النيلُ إن أحصى لكم حسناتِكم ملأَ الزمانَ محاسناً والجِلا^٦
 أحياءُ أبوكم شاطِئِهِ وابتنى مجدداً لمصرَ على الزمانِ أثيلاً^٦
 نشر الحضارةَ فوق مصرَ وسوريا وامتدَّ ظلاً للحجازِ ظليلاً

-
- ١ فلم يمل ، بضم الياء وكسر الميم ، من أمال الشيء ، جعله مائلاً . الغليل : الحقد والحسد .
 - ٢ الصميم : الخالص الأصيل ؛ يقال : هو من صميم القوم ، أي من أصلهم وخالصهم .
 - ٣ عابدين : اسم القصر الذي يتوج فيه أمراء مصر وملوكها ويتخذونه مقراً لهم حين رعاية شؤون الدولة . والمراد بابن رافع ركنه : الأمير حسين كامل . ورافع ركنه : هو الخديو إسماعيل .
 - ٤ المغنى : المنزل .
 - ٥ المؤثِّل : أي الأصيل .
 - ٦ الأثيل : الأصيل أيضاً .

وأعاد للعرب الكرام^١ بيانهم^٢ وحمى إلى البيت الحرام سبيلاً^٣

* * *

حَفِظَ إِيَّالَهُ عَلَى الْكَثَنَةِ عَرْشَهَا وَأَدَامَ مِنْكُمْ لِلْهَلَالِ كَفِيلًا^٤
بَنِيانُ عَمْرٍو أُمَّتَهُ عَنَانِيَّةً مِنْ أَنْ يُزْعَزَعَ رُكْنُهُ وَيَمِيلًا^٥
وَتَدَارَكَ الْبَارِي لَوَاءَ مُحَمَّدٍ فَرَعَى لَهُ غُرْرًا وَصَانَ حُجُولًا^٦
فِي بَرَهَةٍ يَذُرُ الْأَسْرَةَ نَحْسُهَا مِثْلَ النُّجُومِ طَوَالِعًا وَأَفُولًا^٧
اللَّهُ أَدْرَكَهُ بِكُمْ وَبِأَمَةٍ كَالْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ عُقُولًا^٨
حَلْفَاؤُنَا الْأَحْرَارُ إِلَّا أَنَّهُمْ أَرْقَى الشُّعُوبِ عَوَاطِفًا وَمِيُولًا^٩
أَعْلَى مِنَ الرُّومَانِ ذِكْرًا فِي الْوَرَى وَأَعَزُّ سُلْطَانًا وَأَمْنَعُ غِيَلًا^{١٠}
لَمَّا خَلَا وَجْهُ الْبِلَادِ لَسَيْفِهِمْ سَارُوا سِمَاحًا فِي الْبِلَادِ عُدُولًا^{١١}
وَأَتَوْا بِكَابِرِهَا وَشَيْخِ مُلُوكِهَا مِلْكًا عَلَيْهَا صَالِحًا مَأْمُولًا^{١٢}
تَاجَانِ زَانَهُمَا الْمَشِيبُ بِثَالِثٍ وَجَدَ الْهُدَى وَالْحَقُّ فِيهِ مَقِيلًا^{١٣}

* * *

- ١ يشير في هذين البيتين إلى ما فعله محمد علي الكبير من فتح الشام ومحاربة الوهابيين في الحجاز .
٢ الكنانة ، هي مصر .
٣ عمرو ، هو القائد الإسلامي عمرو بن العاص ، فاتح مصر لعهد الخليفة عمر بن الخطاب .
٤ محمد ، هو محمد علي الكبير . الفرر : جمع غرة ، وهي بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم .
الحجول : جمع حجل ، وهو بياض في قوائم الفرس .
٥ البرهة : قطعة من الزمن طويلة . يذر : يترك . الطوالع : جمع طلعة . والأفول : جمع آفل .
٦ دولة الرومان ، من الدول القديمة في أوربة اتسع ملكها فتناول أقطاراً كثيرة من الشرق .
الغيل : موضع الأسد .
٧ كابرها وشيخ ملوكها ، المراد به الأمير حسين كامل .
٨ تاجان ، هما تاج مصر وتاج السودان .

سبحان من لا عزَّ إلا عزُّه يبقى ولم يكُ ملكه ليزولا
لا تستطيعُ النفسُ في ملكوته إلا رضى لقضائه وقبولا^١
الخيرُ فيما اختاره لعباده لا يظلمُ الله العبادَ فتىلاً^٢
يا ليتَ شعري هل يُحطمُ سيفُه للبغي سيفاً في الورى مسلولا^٣
سلبَ البريةَ سلمها وهناءها ورمى النفوسَ بألفِ عزرائيلا^٤
زال الشبابُ عن الديارِ وخلفوا للباقياتِ الشكلِ والترمىلا^٥
طاحوا فطاحَ العلمُ تحتَ لوائهم وغدا التفوقُ والنبوغُ قىلاً^٦
اللهُ يشهدُ ما كُفرتُ صنيعه في ذا المقامِ ولا جحدتُ جَميلاً^٧
وهو العليمُ بأنَّ قلبي موجدٌ وجعاً كداءِ الثاكلاتِ دَخِيلاً^٨
ما أصابَ الخلقَ في أبنائهم ودها الهلالَ ممالكاً وقَيْلاً^٩
أأخونُ إسماعيلَ في أبنائه ولقدْ وُلدتُ ببابِ إسماعيلِ؟^{١٠}
ولبستُ نعمته ونعمة بيتِه فلبستُ جزلاً وارترديتُ جَميلاً^{١١}
ووجدتُ آبائي على صدقِ الهوى وكفى بآباءِ الرجالِ دليلاً^{١٢}
روياً (علي) يا (حسين) تأولت ما أصدقَ الأحلامَ والتأويلاً^{١٣}

١ الملوكوت : العز ، والسلطان والملك العظيم .

٢ الفتيل : القشرة التي في شق النواة .

٣ طاحوا : هلكوا أو أشرقوا على الهلاك . التفوق : الترفع . النبوغ : الظهور في شيء وإجادة .

٤ الصنعة : الإحسان . جحدت : أنكرت .

٥ ودها الهلال ، أو دولة الهلال ، وهي الدولة العثمانية . القبيل : الجماعة من أصل واحد .

٦ الجزل : الكثير من الشيء .

٧ علي ، هو محمد علي الكبير . وحسين ، هو السلطان حسين كامل . والرويا ، هي أن محمد

علي كان يحلم دائماً بإنشاء مملكة مصرية منفصلة عن الدولة العثمانية ، فهو يقول : إن هذا

الحلم حققه بتولية السلطان حسين التي زالت بها عن مصر السيادة التركية .

وإذا بناءً المجدي راموا خُطَّةً جعلوا الزمانَ محققاً ومُنِيلاً
 القومُ حينَ دها القضاء عَقولهم كسروا بأيديهم لمصرَ غُلُولاً^١
 هَدَمُوا بَوَادِي النِيلِ ركنَ سِيَادَةِ هُم كَرَكَنَ العَنكَبُوتِ ضَمِيلاً
 إِرْقاً سَرِيرَ أُبَيْكَ وَالْبَسَ تَاجَهُ وَأَكْرَمَ عَلَى القَصْرِ المَشِيدِ نَزِيلاً
 مَرَّتْ أُوَيْقَاتٌ عَلَيْهِ مُوحِشاً كَالرُّمَسِ لَا خُلُوءاً وَلَا مَأْهولاً^٢
 لَيْسَتْ مَعَالِي الأَمْرِ شَيْئاً غَائِباً عَنْكُمْ، وَلَيْسَ مَكَائِكُمْ مَجْهولاً
 كَمْ سُسْتَمَوْهُ فِي الشَّيْبَةِ مُضْلِعاً وَحَمَلْتُمُوهُ فِي المَشْيِبِ ثَقِيلاً^٣
 وَحَمَيْتُمْ زَرْعَ البِلَادِ وَضَرَعَهَا وَهَزَزْتُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ بَخِيلاً^٤
 يَا أَكْرَمَ الأَعْمَامِ حُسْبُكَ أَنْ تَرَى لِلْعَبْرَتَيْنِ بوجْتِيكَ مَسِيلاً^٥
 مِنْ عَثْرَةِ ابْنِ أُخَيْكَ تَبْكِي رَحْمَةً وَمِنْ الخُشُوعِ لِمَنْ حَبَاكَ جَزِيلاً^٦
 وَلَوْ اسْتَطَعْتَ إِقَالَةَ لَعَاثِرِهِ مِنْ صَدْمَةِ الأَقْدَارِ كُنْتَ مُقِيلاً^٧

* * *

يَأْهَلْ مِصْرَ كُلُّو الأُمُورَ لِرَبِّكُمْ فَاللهُ خَيْرٌ مَوْتِلاًً وَوَكِيلاً^٨

-
- ١ يريد بالقوم : الأتراك ، أي أنهم لما دخلوا الحرب ضد انكلترا وحلفائها أدى ذلك إلى أن تعلن انكلترا زوال السيادة التركية ، فكانهم هم الذين أزالوها بأيديهم . الغلول : جمع غل ، يضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق .
 - ٢ الموحش : المنزل الذي ذهب الناس عنه . الرمس : القبر . المأهول : المكان فيه أهله .
 - ٣ الشبيبة : قُوَّة الشباب . المضلع : الحمل الثقيل يعجز صاحبه عن حمله .
 - ٤ الضرع ، لكل ذات ظلف أو خف : مدرّ اللبِن ؛ ويطلق مجازاً على هذه الحيوانات نفسها .
 - ٥ المسيل : مكان السيل .
 - ٦ العثرة : الزلة . ابن أخيك ، هو الخديو عباس . الخشوع : الخضوع . حباك : أعطاك .
 - ٧ إقالة العثار : أن ترفع العاثر من سقطته .
 - ٨ الموتل : المدجأ .

جرت الأمور مع القضاء لغاية
أخذت عينا منه غير عيناها
هل كان ذاك العهد إلا موقفاً
يعتز كل ذليل أقوام به
دفعت بنا فيه الحوادث وانقضت
وانفض ملعبه وشاهدته على
فأدتم الشحاء فيما بينكم
كل يؤيد حزبه وفريقه
حتى انطوت تلك السنون كملعب
وإذا أراد الله أمراً لم تجذ
وأقرها من يملك التحويلا
سبحانه متصرفاً ومديلاً
للسلطين والبلاد وببلا
وعزكم يلقي القيادة ذليلاً^٢
إلا نتائج بعدها وذويلا
أن الرواية لم تتم فصولا
ولبثتم في المضحكات طويلا
ويرى وجود الآخرين فضولا^٣
وفرغتم من أهلها تمثيلا
لقضائه رداً ولا تبديلا

.....

- ١ العنان : اللجام تمسك به الدابة .
- ٢ ذاك العهد ، هو عهد الحكم في مصر قبل تولية السلطان حسين . والسلطان ، هما السلطة الشرعية التي كان يملكها صاحب عرش البلاد والسلطة الفعلية التي اغتصبها عميد انكلترا في مصر .
- ٣ القيادة : جبل يقاد به ، والمراد أنه يخضع ويطيع .
- ٤ الفضول : الزيادة .

بين الحجاب والسفور

صَدَّاحُ ، يَا مَلِكَ الْكَنَّا رِ ، وَيَا أَمِيرَ الْبَلْبَلِ
 قَدْ فَزْتُ مِنْكَ بِمَعْبِد وَرُزِقْتُ قَرَبَ الْمُوصِلِي^١
 وَأُتِيحَ لِي دَاوُدُ مِز مَارَأَ ، وَحَسَنَ تَرْثُلِ^٢
 فَوْقَ الْأَسْرِ وَالْمَنَا بَرِ قَطُّ لَمْ تَتَرَجَّلِ
 تَهْتَزُ كَالدِّينَارِ فِي مُرْتَجِّ لَحْظِ الْأَحْوَلِ
 وَإِذَا خَطَرْتَ عَلَى الْمَلَا عِبِ ، لَمْ تَدْعَ لِمُثَّلِ
 وَلَكَ ابْتِدَاءَاتُ الْفَرْزِ دَقِ ، فِي مَقَاطِعِ جِرْوَلِ^٣
 وَلَقَدْ تَخَذْتَ مِنَ الصُّحَى صُفَرَ الْغَلَّائِلِ وَالْحَلِي
 وَرَوَيْتَ فِي بَيْضِ الْقَلَا نَسِي عَنْ عِذَارِي الْمَيْكَلِ

* * *

يَالْبِتَ شَعْرِي يَا أَسِيد رُ، شَجِّ فَوَادِكُ ، أَمْ خَلِي؟
 وَحَلِيفُ سَهْدٍ ، أَمْ تَنَا مُ اللَّيْلِ حَتَّى يَنْجَلِي؟
 بِالرَّغْمِ مِنِّي مَا تُعَا لَجُ فِي النَّحَاسِ الْمُقْفَلِ
 حَرَصِي عَلَيْكَ هَوًى ، وَمَنْ يُخْرِزُ ثَمِينًا يَبْخَلِ

- ١ معبد : مفعن مشهور ، كان أيام الدولة الأموية . والموصلي : يطلق على اسحاق الموصلي وابنه إبراهيم ، وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وأدب .
- ٢ داود : النبي . ومزاميره : ما كان يترنم به من الادعية والأناشيد .
- ٣ الفرزدق : لقب همام بن صمصمة الشاعر المشهور ، كان في صدر الدولة الأموية ، وجروول : اسم الخطيئة ، وهو شاعر أدرك الحاهلية والإسلام .

والشحُّ تُحدثه الضرو أنا إن جعلتك في نُضا
ولففته في سوسنٍ وحرقتُ أزكي العودِ حو
وحملته فوقَ العيو ودعوتُ كلَّ أغرٍّ في
فأنتك بين مطارحٍ وأمرتُ بابني فالتقا
بيمينه فالودجُ وزجاجةٌ من فضةٍ
ما كنتُ يا صدّاحُ عندَ شهْدُ الحياةِ مشوبةً
والقيدُ لو كان الجما ياطيرُ ، لولا أن يقو
اسمع ، فربُّ مُفصِّل صبراً لما تشقى به
أنت ابنُ رأيٍ للطيب أبدأً مروعٌ بالإسا
إن طرت عن كني وقع رةٌ في الجوادِ المُجَرَّل
ر بالحريرِ مُجَلَّل وحففته بقرنفل
لئه ، وأغلي الصنَدل ن ، وفوق رأس الجدول
ملك الطيورِ محجَّل ومحبذٍ ، ومدلّل
ك بوجهه المتهلّل لم يُهدَ للمتوكّل^١
مملوءةٌ من سلسل^٢ ذلك بالكرمِ المُفصل
بالرق ، مثلُ الحنظل ن منظماً لم يُحمل
لوا : جُنَّ ، قلتُ : تعقل لك ، لم يفدك كمجمل
أو ما بدا لك فافعل حة فيك غيرِ مُبدّل
ر ، مهدّدٌ بالمقتل ستَ على السورِ الجُهَل

* * *

يا طيرُ ، والأمثالُ تضرع ربُّ لليب الأمل

١ الفالودج : حلواء من دقيق وعسل وماء ، والمتوكّل أحد الخلفاء العباسيين .

٢ السلسل : الخمر البينة .

دنياك من عاداتها	ألا تكون لأعزل
أو للغي ، وإن تعدَّ	ل بالزمان المقبل
جُعِلَتْ لِحَرْ يُبْتَلَى	في ذي الحياة وَيَبْتَلَى
يَرْمَى ، وَيُرْمَى في جها	د العيش غير مغفل
مُستجمع كاللبيث ، إن	يُجهل عليه يجهل
أسمعت بالحكمين في الـ	إسلام يوم الجندل ١
في الفتنة الكبرى ، ولو	لا حكمة لم تُشعل
رُحِي الصحابة يوم ذ	لك بالكتاب المنزل ٢
وهم المصاييح ، الروا	ة عن النبي المرسل
قالوا : الكتاب ، وقام كـ	ل مفسر وموؤل
حتى إذا وسعت معا	وية ، وضاق بها علي ٣
رجعوا لظلم كالطبا	ثع في النفوس مؤصل
نزلوا على حكم القو	ي ، وعند رأي الأحيل
صدأح ، حق ما أقو	ل ، حفلت ، أم لم تحفل
جاورت أندى روضة	وحللت أكرم منزل
بين الحفاوة من حُسي	ن ، والرعاية من علي

- ١ الحكمان : هما أبو موسى الأشعري ، ارتضاه الإمام علي حكماً له ، وعمرو بن العاص ، اختاره معاوية حكماً له ، وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجندل : وهو أحد أيام الحرب بين علي ومعاوية . والجندل : اسم مكان .
- ٢ رضى الصحابة . . الخ : ذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم ، رفعوا المصاحف على أطراف الأستة ، ونادوا علياً وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله ، فأمر على أصحابه أن يكفوا عن الحرب .
- ٣ حتى إذا وسعت معاوية : أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب أن الحيلة التي فعلها عمرو بن العاص جازت على أبي موسى الأشعري رجعوا لظلم . . إلى آخر ما في البيتين التالين .

وحنانٍ آمِنَةٍ كَأُمٍّ	لك في صباحك الأول
صَحٍّ بِالصَّبَاحِ ، وبِشْرٍ	أبناءً بالمستقبل
واسأل لمصرَ عنايةً	تأتي وتهبطُ من علي
قل : ربنا افتح رحمةً	والخير منك فأرسل
أدرك كنانتك الكريم	حمة - ربنا - وتقبل

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم*

قَمِّ لِلْمُعَلِّمِ وَقْفَهُ التَّجِيلَا
 أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ ، أَوْ أَجْلَ مِنْ الَّذِي
 سَبَّحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ
 أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
 وَطَبَعْتَهُ بِيَدِ الْمَعْلَمِ تَارَةً
 أَرْسَلْتَ بِالْثَوْرَةِ مُوسَى مُرْشِدًا
 وَفَجَّرْتَ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ مُحَمَّدًا
 عَلَّمْتَ يُونَانًا وَمِصْرَ ، فَزَالَتَا
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحْنَا بِحَالِ طُفُولَةٍ
 مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ الشَّمْسُ تُظَاهَرُ
 يَا أَرْضُ ، مُدَّ فَقَدَ الْمَعْلَمُ نَفْسَهُ
 ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ
 فِي عَالَمٍ صَحِبَ الْحَيَاةَ مُقِيدًا
 صَرَعَتْهُ دُنْيَا الْمُسْتَبِدِّ ، كَمَا هَوَتْ
 سُقْرَاطُ أَعْطَى الْكَأْسَ وَهِيَ مَيْيَةٌ
 عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ وَهِيَ غِبَاوَةٌ

كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
 يَبْنِي ، وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا ؟
 عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
 وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينَ سَبِيلًا
 صَدِئَ الْحَدِيدُ ، وَتَارَةً مُصْقُولًا
 وَابْنَ الْبَتُولِ فَعَلَّمَ الْإِنْجِيلَا
 فَسَقَى الْحَدِيثَ ، وَنَاوَلَ التَّزْيِيلَا^٢
 عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولًا
 فِي الْعِلْمِ ، تَلْتَمِسَانِهِ تَطْفِيلًا
 مَا بَالُ مَغْرِبِهَا عَلَيْهِ أَدِيلَا ؟
 بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ شَرْقِكَ حِيلَا
 وَاسْتَعَذَّبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَيِيلَا
 بِالْفَرْدِ ، مَخْزُومًا بِهِ ، مَغْلُولَا
 مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرُّؤُوسُ ذُهِلَا
 شَفَقَنِي مَجِبٌ يَشْتَهِي التَّقْيِيلَا
 فَأَلَمِي ، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلَا

* أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي حِفْلِ قَامَ بِهِ نَادِي مَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمِينَ الْعُلِيَا .

١ البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام .

٢ التزويل : القرآن .

إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذي خلق الحقيقةَ عُلَمَاءَ ولمّا قتل الغرامُ رجالها
لم يُخل من أهل الحقيقةِ جيلا أوكلُ مَنْ حامى عن الحقِّ اقتنى
قُتل الغرامُ ، كم استباحَ قتيلا لو كنتُ أعتقدُ الصليبَ وخطبه
عند السوادِ ضغائناً وذُحولا ؟ لاقتُ من صلبِ المسيحِ دليلا

* * *

أُعلِّمي الوادي ، وساسةَ نشئه والطحابينَ شبابه المأمولا
والحاملينَ - إذا دُعوا لِيُعلِّموا - عبء الأمانةِ فادحاً مسؤولا
وَيَتَّ خطا التعليم بعد محمدٍ ومشي الهويّنا بعد إسماعيل
كانتُ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ ورِمَتْ بدنلوبٍ فكان الفيلا
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبعا في العلم ، إن مشى المالك ميلا
تلك الكفورُ - وَحَشَوْهَا أُمِيَّةٌ - من عهد «خوفو» لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلّة» جدّهم لا يُحسنون للإبرة تشكيلا
ويُدلّلون إذا أُريدَ قيادهم كالبهم تأنسُ إذ ترى التدليلا
يتلو الرجالُ عليهم شهواتهم فالناجحون ألّذهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ كيف الحياةُ على يديّ عزريلا ؟
واللهِ لولا السنُّ وقرائحُ دارت على فطنِ الشباب شمولا
وتعهّدتُ من أربعين نفوسهم تغزو القنوط ، وتغرسُ التأميلا
عرفتُ مواضعَ جدبهم ، فتتابعُ كالعينِ فيضاً ، والغمامِ مسيلا
تُسدي الجميلَ إلى البلاد ، وتستحي من أن تكافأَ بالثناء جميلا

١ الفيل : ورم يهيب الساق ، ودنلوب : مستشار إنكليزي منيت به نظارة المعارف المصرية ،
فأساء إلى العلم والتعليم .

ما كان دنلوب ، ولا تعليمه عند الشدائد ؛ يُغنيان فتىلا

* * *

تجدوهم كهفَ الحقوق كهولا	رَبُّوا على الإنصافِ فتیانَ الحِمَى
وهو الذي يبيئ النفوسَ غدولا	فهو الذي يبيئ الطباعَ قومةً
ويُريه رأيا في الأمور أصيلا	ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ
روحُ العدالةِ في الشباب ضئيلا	وإذا المعلمُ لم يكن عدلا ؛ مشى
جاءت على يده البصائرُ حولا	وإذا المعلمُ ساء لحظَ بصيرةٍ
ومن الغرورِ ؛ فسمه التضييلا	وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى
فأقم عليهم مأتما وعويلا	وإذا أُصيب القومُ في أخلاقهم
من بين أعباء الرجال ثقيلا	إني لأعذرُكم وأحسبُ عيْنتكم
في مصرَ عونَ الأمهاتِ جليلا	وجد المساعدَ غيرُكم ، وحرمتُكم
رَضَعَ الرجالُ جهالةً وخمولا	وإذا النساءُ نشأن في أمية
هم الحياةُ ، وخلفاه ذليلا	ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من
وبحسن تربيةِ الزمان بدिला !	فأصاب بالدنيا الحكيمه منها
أما تحلَّتْ ، أو أبا مشغولا	إنَّ اليتيمَ هو الذي تلقى له

* * *

لم تلقَ للسببِ العظيم مثيلا ^١	مصرٌ إذا ما راجعتْ أيامها
ظلاً على الوادي السعيدِ ظليلا	البرلمانُ غداً يُمدُّ رواقه
ألا يكون على البلاد بخيلا	نرجو إذا التعليم حركَ شجوه
دنت القطفُ ، ودللتْ تذليلا	قل للشباب : اليومَ بُورك غرسُكم

١ السبت : ١٥ مارس ١٩٢٤ ، وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول ، وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال .

حيوا من الشهداء كلَّ معيَّب
ليكون حظُّ الحيِّ من شكرانكم
لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحه
ناشدنكم تلك الدماء زكيةً
فليسألنَّ عن الأرائكِ سائلٌ
إنَّ أنتَ أطلعتَ المثلَّ ناقصاً
فادعوا لها أهلَ الأمانة ، واجعلوا
إن المقصَّر قد يحُولُ ، ولن ترى
فلربَّ قولٍ في الرجالِ سمعتمُ
ولكم نصرتم بالكرامة والهوى
كرمٌ وصفحٌ في الشباب ، وطالما
قوموا اجمعوا شعبَ الأبوة ، وارفعوا
أدُّوا إلى العرشِ التَّحيةَ واجعلوا
ما أبعدَ الغاياتِ !! إلا أني
فكِلوا إلى اللهِ النجاحَ ، وثابروا

وضعوا على أحجاره إكليلاً
جمّاً ، وحظُّ الميتِ منه جزيلاً
حتى يرى جنديَّ المجهولاً
لا تبعثوا للبرلمان جهولاً
أحملنَ فضلاً ، أم حملنَ فضولاً ؟
لم تلقِ عند كماله التمثيلاً
لأولى البصائرِ منهم التفضيلاً
لجهالةِ الطبعِ الغبيِّ محيلاً
ثم انقضى ، فكأنه ما قبلاً
مَن كان عندكم هو المخذولاً
كرمَ الشبابِ شمائلًا وميولاً
صوتَ الشبابِ مُحبباً مقبولاً
للخالقِ التكبيرَ والتهليلاً
أجدُ الثباتَ لكم بهنَّ كفيلاً
فالله خيرُ كافلاً ووكيلاً ،

١ يريد بالجندي المجهول : من يعمل في غير جلبة ، ولا ضوضاء ، وفي غير انتظار مكافأة ، أو جزاء .

بنك مصر*

قَفْ بِالْمَالِكِ ، وانظر دولة المال
وانقل ركاب القوافي في جوانبها
ما هيكل الهرم الجيزي من ذهب
علا بها الحرص أركاناً ، وأخرجها
فيها الشقاء لقوم ، والنعيم لهم
والمال - مُذْكَان - تمثال يطاف به
إذا جفا الدور ، فأنع النازلين بها
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً
بالعلم والمال بيني الناس مُلْكُهُمْ
سراة مصر ، عهدناكم إذا بُسِطَتْ
تبيين الصدق من بين الأمور لكم
لا يذهب الدهر بين الثَّراهات بكم
هاتوا الرجال وهاتوا المال ، واحتشدوا
هذا هو الحجرُ الدريُّ بينكم
دارٌ إذا نزلت فيها ودائعكم
آمالُ مصر إليها طالما طمحت
فابنوا على بركات الله ، واغتنموا

واذكرُ رجالاً أدالوها بإجمال
لا في جوانب رسم المتزل البالي
في العين ؛ أزين من بُنيانها الحالي
على مثال من الدنيا ، ومينوال
وبؤس ساع ، ونعمى قاعد سالي
والناس - مذْ خُلِقُوا - عبَادُ تَمثال
أو الممالك ؛ فاندبها كأطلال
خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
لم يبين ملكٌ على جهل وإقلال
يدُ الدعاء سراعاً غير بُخَال
فامضوا إلى الماء ، لا تُلُؤُوا على الآل
وبين زهر من الأحلام قتال
رأياً لرأي ، ومثقالاً لمثقال
فابنوا بناء قريش بيتها العالي
أودعتم الحب أرضاً ذات إغلال
هل تبخلون على مصر بآمال ؟
ما هيأ الله من حظ وإقبال

* قيلت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار (الأوبرا) الملكية .

١ الآل : البراب .

مرحباً بالهلال

العامُ أقبَلَ ، قُمْ نُحْيِ هلالاً
طُعِرَى كتابِ الكائناتِ لقاري
مَلَكَ السماءَ ، فكان في كُرْسِيِّه
تتنافسُ الآمالُ فيه ، كأنه
والشمسُ تُزلفُ عيدَها ، وتزفُّه
عيدُ المسيح ، وعيدُ أحمد ؛ أقبلا
ميلادُ إحسانٍ ، وهجرةُ سُودِدٍ
كالنَّاجِ في هامِ الوجودِ جلالاً
يزنُ الكلامَ ، ويقدِّرُ الأقوالاً
بين الملائكِ والملوكِ مثلاً
نغرُ العنايةِ ضاحكُ الآمالِ
بشرى بمطلعهِ السعيدِ ، وفالاً^١
يتباريان وضاءةً وجالاً
قد غيَّرا وجهَ البسيطةِ حالاً

* * *

قُمْ للهلالِ قيامَ مُحْتَفِلٍ به
نورُ السبيلِ هَدَى ، لكلِّ فضيلةٍ
ما بينَ مولده وبين بلوغه
متواضعٌ ، واللهُ شَرَفَ قدره
متودِّدٌ عند الكمالِ ، تخالُه
وافِ لجارِ بَيْتِهِ ، يرعى لها
عَوْنُ السَّراةِ على تصاريِفِ النوى
أثنى ، وبالغ في الثناء ، وغالى
يَهْدِي الحَكِيمُ لها ، وسَنَ خِلالاً
ملاً الحياةَ مآثراً وفعالاً
بالشمسِ نِدْماً ، والكواكبِ آلاً^٢
في راحتيكَ ، وعزُّ ذاك مَنالاً
عهدَ السَّمَوِلِ ، عُرْوَةً ، وجبالاً
أَمِنُوا عليه وحُشَّةً وضلالاً^٣

* قيلت هذه القصيدة في رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية .

١ ترلفه : أي تقربه .

٢ الند : النظر . والآل : الأهل .

٣ السراة : السائرون ليلاً .

وَيُصَانُ مِنْ سَرِّ الصَّبَابَةِ عِنْدَهُ
وَيُشْكُ فِيهِ ، فَلَا يَكْلَفُ نَفْسَهُ
سَاءتْ ظَنُونُ النَّاسِ حَتَّى أَحْدَثُوا
وَالظَّنُّ يَأْخُذُ فِي ضَمِيرِكَ مَأْخِذًا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ عِنْدَ قِمَّةِ مَجْدِهِ
يَطْوِي إِلَى الْأَوْجِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
وَيَقْلُ مِنْ هُوجِ الرِّيحِ عَزَائِمًا
وَيُضِيءُ أَثْنَاءَ الْحَمَائِلِ وَالرَّبَى
وَيَجُولُ فِي زَهْرِ الرِّيَاضِ ، كَأَنَّهُ

مَا بَاتَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ مُذَلًّا
غَيْرَ التَّرَفُّعِ وَالْوَقَارِ نِضَالًا
لِلشُّكِّ فِي النُّورِ الْمُبِينِ جَلَالًا
حَتَّى يُرِيكَ الْمُسْتَقِيمَ مَحَالًا
رَامَ الْمَزِيدَ ، فَجَدَّ فِيهِ ، غَنَالًا
وَيَشْدُ فِي طَلَبِ الْكَمَالِ رِحَالًا
وَيَذُكُّ مِنْ مَوْجِ الْبَحَارِ جَبَالًا
حَتَّى تَرَى أَسْحَارَهَا آصَالًا
صَيَّبَ الرِّيحَ ، مَشَى بَيْنَ ، وَجَالًا

* * *

أَمَّ الْهَلَالَ ، مِقَالَةً مِنْ صَادِقٍ
مُتَلَطِّفٍ فِي النَّصْحِ ، غَيْرِ مُجَادِلٍ
مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا
ظَلَمْتَهُ أَلْسِنَةُ تَوَاخُذُهُ بِكُمْ
هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفُلَ بِالْهُدَى
سَرَّتِ الْخِصْرَةَ حَقَبَةً فِي ضَوْئِهِ
وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً
رَفَعُوا لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ دَعَائِمًا
اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِلِسَانِهِمْ
وَتَحْيَرِ الْأَخْلَاقِ أَحْسَنَهَا لَهُمْ
كَالرُّسْلِ عَزَمًا ، وَالْمَلَائِكِ رَحْمَةً
عَدَلُوا ، فَكَانُوا الْغَيْثَ وَقَعًا ، كَلِمًا
وَالْعَدْلُ فِي الدُّوَلَاتِ أَسُّ ثَابِتٌ

وَالصَّدَقُ أَلْبِقُ بِالرِّجَالِ مَقَالًا
وَالنَّصْحُ أَضْيَعُ مَا يَكُونُ جَدَالًا
وَيَسْوَدُ الْمَقْدَامَ وَالْفَعْلَا
وَوَظَلَمْتُمُوهُ مُقَرِّطِينَ ، كَسَالًا
هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالًا ؟
وَمَشَى الزَّمَانُ بِنُورِهِ مَحْتَالًا
كَالشَّمْسِ عَرْشًا ، وَالنَّجْمِ رِجَالًا
مِنْ عِلْمِهِمْ وَمِنْ الْبَيَانِ ، طَوَالًا
خَلَقَ الْبَيَانَ وَعَلَّمَ الْأَمْثَالَ
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ مِنْهُ تَعَالَى
وَالْأُسْدُ بِأَسَا ، وَالْغَيْوُثُ نَوَالًا
ذَهَبُوا يَمِينًا فِي الْوَرَى ، وَشِمَالًا
يُفْنِي الزَّمَانَ ، وَيُنْفِدُ الْأَجْيَالَ

أَيَّامَ كَانَ النَّاسُ فِي جَهْلَاتِهِمْ	مِثْلَ الْبَهَائِمِ ، أُرْسِلَتْ إِرسَالًا
مَنْ جَهْلِهِمْ بِالْدينِ وَالْدينِ مَعًا	عَبَدُوا الْأَصْمَ ، وَالْهَوَا التَّمَنَّا
ضَلُّوا عَقُولًا بَعْدَ عِرْفَانِ الْهُدَى	وَالْعَقْلُ إِنْ هُوَ ضَلَّ كَانَ عِقَالًا
حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوُّضَ مَلِكِهِمْ	وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ التَّعَاوُنُ زَالَا
لَوْ أَنَّ أَبْطَالَ الْحُرُوبِ تَفَرَّقُوا	غَلَبَ الْجَبَانُ عَلَى الْقَنَا الْأَبْطَالَا

١ العقال : في الأصل يشد به البعير ، وهنا بمعنى القيد .

يا شباب الديار *

غالٍ في قيمة ابن بَطْرُسَ غالٍ
 نخنفي بالأدب ، والحق يقضي
 أدبُ الأكثرين قولٌ ، وهذا
 يُظهر المدح رُتقَ الرجل الما
 رَبُّ مدحٍ أذاع في الناس فضلاً
 وثناءً على فتى عمَّ قوماً
 إنما يقدِّر الكرام كريمٌ
 وإذا عَظَّمَ البلادَ بنوها
 توجتْ هامهم كما توجوها
 إنما واصلتْ بناءً من الأخ
 ونجيبٌ ، مهذبٌ ، من نجيبٍ
 واهبُ المالِ والشبابِ لما يند
 ومذيقُ العقولِ في الغربِ مما
 في كتابِ حوى المحاسنِ في الشد
 من صفاتٍ ، كأنها العينُ صدقاً
 ونسيب ، تحاذِرُ الغيْدُ منه

علم الله ليس في الحقِّ غالٍ
 وجلالُ الأخلاقِ والأعمالِ
 أدبٌ في النفوسِ والأفعالِ
 جدٌ ، كالسيفِ يزدهي بالصِّقالِ
 وأتاهم بقُدوةٍ ومِثالِ
 قيمة العِقدِ حُسْنُ بعضِ الآلي
 ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجالِ
 أنزلتهم منازلَ الإجلالِ
 بكرمٍ من الثناءِ وغالي
 ملاقي ، في دولةِ المشارقِ عالي
 هذبته تجاربُ الأحوالِ
 نفع ، لا للهوى ، ولا للضلالِ
 عَصَرَ العُربُ في السنينِ الخوالي
 حر ، وأوعى جوائرِ الأمثالِ
 في أداءِ الوجوهِ والأشكالِ
 شركَ الحسنِ أو شباكَ الدلالِ

• قيلت هذه القصيدة في تكريم واصف غالٍ باشا سنة ١٩٠٦ .

١ صقل السيف صقلاً : جلاه .

٢ يشير إلى كتاب فرنسي ألفه واصف باشا وكان موضع تكريمه .

ونظام ، كأنه فَلَكَ اللب
وبيان ، كما تجلى على الرُس
ما عَلِمْنَا لغيرهم من لسان
بليت هاشم ، وبادت نزار
كلما هم مجده بزوال
ل إذا لاح وهو بالزهر حالي
ل تجلى على رعا الضال^١
زال أهله ، وهو في إقبال
واللسان المين ليس ببالي
قام فحل ، فحال دون الزوال

* * *

يا بني مصر ، لم أقل أمة ال
واحتيال على خيال من الج
إنما نحن مسلمين وقبطاً
سبق النيل بالأبوة فينا
نحن من طينة الكريم على
مر ما مر من قرون علينا
وانقضى الدهر ، بين زغردة العر
ما تحلى بكم يسوع ، ولا كذ
وتضاع البلاد بالنوم عنها
يا شباب الديار ، مصر إليكم
كلما رُوعت بشبهة بأس
هيئوها لما يليق بمنف
هيئوها لما أراد علي
وانهضوا نهضة الشعوب لدنيا
وإلى الله من مشى بصليب
قبط ، فهذا تشبث بحال
د ، ودعوى من العراض الطوال
أمة وُحِدَتْ على الأجيال
فهو أصل ، وآدم الجد تالي
الله ، ومن مائه القراح الزلال^٢
رُسفاً في القيود والأغلال
س ، وحنو التراب ، والإعوال
ل لطفه ودينه بجمال
وتضاع الأمور بالإهمال
ولواء العرين للأشبال
جعلتكم معاقِل الآمال
وكريم الآثار والأطلال
وتمنى على الظبي والعوالي
وحياة كبيرة الأشغال
في يديه ، ومن مشى بهلال

١ الضال : نوع من الشجر .

٢ الماء القراح : الصافي .

على يد الله*

ما للقرى بين تكبيرٍ وإهلال
وللرُبى تنظيم الأعلام زاهية
وللقباب على أطناها نهضت
وللعيون إلى الآفاق ناظرة
وللسماء جلت كالأرض زيتها
تلك الركائب لا رميس بلُغها
سيارة في بنات العصر قد حملت
وللمدائن هزت عطفَ مختال^١
زهو القلائد في جيد الضحى الحالى^٢
وزُينت كعروسٍ أو كتمثال
تسمو وتطرق من شوقٍ وإجلال
فجاءتا بالضحى والموكب العالى^٣
ولا خطرٌ على هارون في بال^٤
سيارٍ حميدٍ ومعروفٍ وإفضال^٥

* * *

يا قيصر المشرق الأدنى وواحدَه
وابن الذين أقاموا ركن دولته
كثانة الله ركن أنت مانعه
أبان حكمك للأجيال منهجها
إذا تباهى بأملكٍ وأقبال^١
على بقية أنقاضٍ وأطلال^٢
إذا رمت ركنها الجلى بزلزال^٣
وربَّ حكم غدا نوراً لأجيال^٤

٥ قيلت هذه القصيدة في زيارة من زيارات سمو الخديو السابق عباس الثاني لمدينة طنطا .

١ الحالى : المزين . وهنا بأشعة الشمس .

٢ رميس : فرعون من فراعنة مصر .

٣ السيار : الكوكب . وإفضال : الإحسان .

٤ الأقبال : الملوك .

٥ الجلى : الخطب العظيم .

سيعلمون إذا اشتدت سواعدهم
 ما المجد زخرف أقوال لطالبه
 ليست تاجين تلقى الشعب تحتها
 طلعت والنيل من بين القرى، فجرى
 جرى فبشر، واستأنى مسيرة
 بالأمس قصر في واديه عن كرم
 ما الفرق في غرر الأخلاق بينكما
 وأنت قيمه يجري فتقسمه

أن الحياة بآمال وأعمال
 لا يدرك المجد إلا كل فعال
 من عز مصر ومن رضوانها الغالي
 بحران من ذهب فيها وسلسال^١
 نعم البشير، ونعم التابع التالي^٢
 واليوم تاب فقابله بإقبال
 إذا تنزه عن نقص وإخلال؟
 قسم النبي كريم الفيء والمال^٣

* * *

تود طنطدة لو أنها عبق
 إن لاحظت عيون الجند في بلد
 الله يشهد والقطب المكين بها
 أنظر إلى كل عال من معاهدها
 فجرت فيها عيون العلم فابتدرت^٤

من الرياحيد حياكم به الوالي^٥
 حُرس فيها بأقطاب وأبدال^٦
 والناس أنك محيي رسيها البالي
 تنظر طيطة في عصرها الخالي^٧
 رياء من المال لا رياء من الآل^٨

١ السلسال : الماء الصافي .

٢ استأنى : انتظر .

٣ الفيء : الغنيمة .

٤ طنطدة ، أي طنطا .

٥ الأبدال : جمع يدل .

٦ طليطلة : من مدن الأندلس أيام ازدهارها .

٧ ابتدر إلى الشيء : أسرع إليه ، والضمير للمعاهد ، في البيت السابق . الآل : السراب .

بالعلم تُمْتَلِكُ الدنيا ونَضَرْتَهَا ولا نصيبَ من الدنيا لجُهَالِ
والعلمُ يعتَصِمُ الملكُ الكبيرُ به كالغابِ ما بين آسَادِ وأشبالِ

* * *

لما طلعتَ عليها قال سيِّدها على يدِ اللهِ في حلٍّ وترحالٍ
مُلاحِظاً بعيونِ اللهِ من كَتَبِ مؤيِّداً برسولِ اللهِ والآلِ



نهج البردة

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعْنِي جُودَرِ أَسْدًا
لَمَّا رَنَا حَدَّثَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً
جَحَدْتُهَا ، وَكُنْتُ السَّهْمَ فِي كِبْدِي
رَزَقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ
يَا لَائِمِي فِي هَوَاهُ - وَاهْوَى قَدْرُ -
لَقَدْ أَنْتَلْتُكَ أَذْنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ
يَانَاعَسِ الطَّرْفِ ؛ لِأَذَقْتَ الْهَوَى أَبَدًا
أَفْدَيْكَ أَلْفًا ، وَلَا آلُو الْخِيَالَ فِدَى
سَرَى ، فَصَادَفَ جُرْحًا دَامِيًا ، فَأَسَا
مَنْ الْمَوَائِسُ بَانًا بِالرُّبَى وَقَنَّا
السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبُدُورِ ضُحَى
الْقَاتِلَاتُ بِأَجْفَانٍ بِهَا سَقَمُ
الْعَاثِرَاتُ بِالْبَابِ الرِّجَالِ ، وَمَا
الْمُضْرَمَاتُ خُدُودًا ، أَسْفَرَتْ ، وَجَلَتْ

أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ^١
يَا سَاكِنَ الْقَاعِ ، أَدْرِكْ سَاكِنَ الْأَجَمِ^٢
يَا وَنِجَ جَنْبِكَ ، بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جُرْحُ الْأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ
إِذَا رُزِقْتَ التَّمَّاسَ الْعَذْرُ فِي الشُّبْمِ^٣
لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلَمْ^٤
وَرُبَّ مُتَنَصِّتٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمِّ
أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حَفْظِ الْهَوَى ، فَنَمَّ^٥
أَغْرَاكَ بِالْبَخْلِ مَنْ أَغْرَاهُ بِالكَرَمِ
وَرُبَّ فَضْلٍ عَلَى الْعِشَاقِ لِلْحُلُمِ
اللَّاعِبَاتُ بِرُوحِي ، السَّافِحَاتُ دَمِي ؟
يُغْرِزْنَ شَمْسَ الضُّحَى بِالْحَلِيِّ وَالْعِصَمِ
وَلِلْمَنِيَةِ أَسْبَابٌ مِنَ السَّقَمِ
أَقْلَنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ
عَنْ فِتْنَةٍ ، تُسَلِّمُ الْأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ

١ الرِّيمُ (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الزَّطْبِيُّ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ .

٢ الْجُودَرُ : وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ .

٣ الشُّبْمُ : جَمْعُ شَيْمَةٍ ، وَهِيَ الْخَلْقُ وَالطَّبِيعَةُ .

٤ شَفَّهُ الْوَجْدُ : أَهْزَلَهُ وَأَنْخَلَّ جِسْمُهُ .

٥ النَّاعَسُ : الْوَسْوَاسُ .

الحاملات لواء الحسن مختلفاً
من كل بيضاء أو سمراء زينتاً
يرغن للبصر السامي ، ومن عجب
وضعتُ خدّي ، وقسمتُ الفؤادُ ربّي
يابنت ذي اللبد المحمي جانيه
ما كنتُ أعلم حتى عن مسكنه
من أنبت الغصن من صمصامة ذكر؟
بيني وبينك من سمر القنا حجب
لم أغش معتك إلا في غصون كرى
يا نفس ، دنياك تُخني كل مبيكة
فُضي بتقواك فاهاً كلما ضحكت
مخطوبة - منذ كان الناس - خاطبة
يقنى الزمان ، ويبقى من إساءتها
لا تخفي بجناها ، أو جنايتها
كم نائم لا يراها ، وهي ساهرة
طوراً تمدك في نغمى وعافية
كم ضللتك ، ومن تُحجب بصيرته
يا ويلتاه لنفسي ! راعها ودها
ركضتها في مريع المعصيات ، وما
هامت على أثر اللذات تطلبها

أشكاله ، وهو فردٌ غير منقسم
للعين ، والحسن في الآرام كالعصم
إذا أشرن أشرن الليث بالغم
يرتنن في كُسن منه وفي أكم
ألقاك في الغاب ، أم ألقاك في الأطم؟^١
أن المني والمنايا مضرب الخيم
وأخرج الريم من ضرغامه قرم ؟
ومثلها عفة عذرية العصم^٢
معناك أبعد للمشتاق من إرم
وإن بدا لك منها حسن مُبتسم
كما يُفصُّ أذى الرقشاء بالثرم^٣
من أول الدهر لم تُرمل ، ولم تم
جرح بآدم يكي منه في الأدم
الموت بالثرم مثل الموت بالقحم
لولا الأمانى والأحلام لم ينم
وتارة في قرار البؤس والوصم
إن يلق صابا يرد ، أو علقما يسُم
مُسودة الصُحف في مبيضة اللَم
أخذت من حمية الطاعات للتحم
والنفس إن يدعها داعي الصبا تهم

- ١ اللبد : جمع لبد ، وهي الشعر المتراكب بين كفي الأسد .
- ٢ العفة العذرية : نسبة لقبيلة بني عذرة ، اشتهر شبابها بالمشق والعفاف ، والعصم : جمع عصمة وهي المنع والحفظ .
- ٣ الرقشاء من الحيات : المنقطة بالسواد والبياض .

صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجعُهُ فقوم النفس بالأخلاقِ تستقم
 والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ والنفسُ من شرِّها في مَرْتَعٍ وَخِمِ
 تطغي إذا مُكِّنْتَ من لذَّةٍ وهوى طغى الجياد إذا عَصَتْ على الشُّكْمِ
 إنَّ جَلَّ ذَنْبِي عن الغُفرانِ لي أملٌ في الله يجعلني في خيرٍ مُعْتَصِمِ
 ألقِ رجائي إذا عَزَّ المُجِيرُ على مُفَرِّجِ الكربِ في الدارينِ والغَمِّ
 إذا خَفَضْتُ جَنَاحَ الدُّلِّ أسأله عِزَّ الشِّفاعةِ ؛ لم أسأل سوى أَمِّ
 وإن تَقَدَّمَ ذو تقوى بصاحبةٍ قَدِمْتُ بين يديه عِبرةَ النَّدَمِ
 لَرِمْتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ ، وَمَنْ يُنْسِلِكْ بِمِفْتَاحِ بابِ اللهِ يَغْتَنِمَ
 فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارقةٍ ما بين مستلمٍ منه ومُلتَمِ
 علقتُ من مدحِهِ حبلاً أعزُّ به في يومٍ لا عِزَّ بالأنسابِ واللَّحَمِ
 يُرْزِي قَرِيبِي زُهَيْراً حينَ أمدحُه ولا يقاسُ إلى جودي لدى هَرَمِ
 محمداً صفوةَ الباري ، ورحمته وبغيةَ الله من خلقي ومن نَسَمِ
 وصاحبُ الخوضِ يومَ الرُّسُلِ سائلةً متى الورودُ ؟ وجبريلُ الأمينُ ظَمِي
 سناؤه وسناه الشمسُ طالعةً فالجِرمُ في فلكٍ ، والضوءُ في عَلمِ
 قد أخطأ النجمُ ما نالت أبوئهُ من سَوْدٍ باذخٍ في مظهرِ سَيَمِ
 نُموًا إليه ، فزادوا في الورى شرفاً ورُبُّ أصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نَمِي
 حَوَاهِ في سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم نورانٍ قاما مقامِ الصُّلبِ والرَّجِمِ
 لما رآه بحيرا قال : نَعْرِفُهُ بما حفظنا من الأسماءِ والسِّمِّ

- ١ الغم : جمع غمة ، وهي المم والحزن . والمجير هنا : المُنقذ . إذا عز الجير ، أي يوم القيامة . ومفرج الكرب في الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه ، لأنه أخرج الناس في الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية . وهو في الآخرة صاحب الشفاعة العظمى .
- ٢ أمير الأنبياء : هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه : كناية عن الالتجاء إلى كرمه ، وعدم الانحراف عن التوسل به في قضاء الطلبات .
- ٣ السبحات بضمين : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره .
- ٤ بحيرا : بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصراني المشهور .

سائلُ حراء ، وروح القدس : هل علما
كم جيئةٍ وذهابٍ شُرُفتَ بها
ووحشةٍ لابنِ عبد الله بينهما
يُسامرُ الوحيَ فيها قبلَ مهبطه
لما دعا الصَّحْبُ يستسقونَ من ظمإٍ
وظلَّتهُ ، فصارت تستظلُّ به
حجةٌ لرسولِ الله أُشْرِبَها
إِنَّ الشَّائِلَ إِنْ رَقَّتْ يكادُ بها
ونودي : اقرأُ تعالى الله قائلُها
هناك أَدْنَى للرحمن ، فامتلات
فلا تسلُ عن قريشٍ كيف حَيَّرَها ؟
تساءلوا عن عظيمٍ قد أَلَمَّ بهم
يا جاهلين على الهادي ودعوته
لَقَبْتُمُوهُ أَمِينَ القومِ في صِغَرٍ
فاقَ البدورَ ، وفاقَ الأنبياء ، فكم
جاء النبيون بالآيات ، فانصرفت
آيائُه كَلِّمًا طَالَ المَدَى جُدُّ
يكاد في لفظَةٍ منه مشرَّفٌ
يا أَفْصَحَ الناطقين الضادَ قاطبةً

مَصُونٌ سِرٌّ عَنِ الإِدْرَاكِ مُتَكَيِّمٌ ؟
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الإِصْبَاحِ وَالْعَسَمِ
أَشْهَى مِنَ الأَنْسِ بِالْأَحْبَابِ وَالْحَشَمِ
وَمَنْ يَبْشُرُ بِسِمَى الخَيْرِ يَتَّسِمِ
فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنِمِ
غَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدَّيَمِ
قَعَائِدُ الدَّيْرِ ، وَالرَّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ
يُعْرَى الْجَمَادُ ، وَيُعْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِقَمِ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَةِ النِّعَمِ
وَكَيْفَ تُفَرِّقُهَا فِي السَّهْلِ وَالْعِلْمِ ؟
رَمَى المَشَايِخَ وَالْوِلْدَانَ بِاللِّعَمِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ ؟
وَمَا الأَمِينُ عَلَى قَوْلٍ بِمَتَّعِهِمِ
بِالْخُلُقِ وَالْخَلْقِ مِنْ حَسَنٍ وَمِنْ عِظَمِ
وَجِئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرَمٍ^١
يَزِيهُنَّ جَلَالَ الْعِتَى وَالْقِدَمِ
يُوصِيكَ بِالْحَقِّ ، وَالتَّقْوَى ، وَبِالرَّحِمِ
حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ

- ١ حراء : جبل بمكة فيه غار كان يشعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام .
- ٢ ابن عبد الله : هو النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٣ انصرفت : انقطعت . منصرم : منقطع . الحكيم : القرآن ، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه .

حَلَيْتَ مِنْ عَطَلٍ جِيدَ الْبَيَانِ بِهِ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
سَرَتْ بِشَائِرُ الْهَادِي وَمَوْلَدِهِ
تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطَّاغِينَ مِنْ عَرَبِ
رَبِيعَتِهَا شُرَفُ الْإِيوَانِ ، فَاَنْصَدَعَتْ
أَتَيْتَ وَالنَّاسُ قَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا ، مُسَخَّرَةٌ
مُسَيِّطِرُ الْفَرَسِ يَبْغِي فِي رِعْيَتِهِ
يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبِّهِ
وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأُضْعَفِهِمْ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا ، إِذْ مَلَائِكُهُ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّقْوَا بِسَيِّدِهِمْ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
رَكُوبَةٌ لَكَ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
مَشِيئَتُهُ الْخَالِقُ الْبَارِي ، وَصَنَعَتُهُ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءٌ لَا يُطَارُّ لَهَا
وَقِيلَ : كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتِهِ
خَطَطَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا عُلُومَهَا

فِي كُلِّ مُتَبَيِّنٍ فِي حَسَنِ مُنْتَظِمٍ
تُخَيِّ الْقُلُوبَ ، وَتُخَيِّ مَيِّتَ الْهَيْمِ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ
وَطَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْبَاغِينَ مِنْ عَجْمٍ
مِنْ صَدْمَةِ الْحَقِّ ، لَا مِنْ صَدْمَةِ الْقَدَمِ
إِلَّا عَلَى صَنْمٍ ، قَدْ هَامَ فِي صَنْمِ
لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمِ
وَقِصْرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصْمٍ عَمِ
وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْقَتَمِ
كَاللَّيْلِ بِالْبَهْمِ ، أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ^١
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ^٢
كَالشَّهْبِ بِالْبَدْرِ ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ بِأَتَمِّ
عَلَى مَنْوَرَةٍ ذُرِّيَّةِ اللَّجْمِ
لَا فِي الْجِيَادِ ، وَلَا فِي الْأَيْتِقِ الرَّسْمِ^٣
وَقَدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشُّكِّ وَالْثَّهْمِ
عَلَى جَنَاحٍ ، وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمِ
وَيَا مُحَمَّدُ ، هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
يَا قَارِيَّ اللُّوحِ ، بَلْ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ^٤

- ١ مهج : جمع مهجة ، وهي داء القلب .
- ٢ البهم : جمع بهمة ، وهي ولد الضأن . والمعز .
- ٣ المسجد الأقصى : بيت المقدس .
- ٤ « من » في قوله « من عز ومن شرف » : للتعليل ، أي لأجل عزك وشرفك . والأيتق الرسم : النوق الشديدة الوطء بقوتها .
- ٥ خطه علوم الدين والدنيا : كناية عن تعليمها الناس .

أَحْطَتْ بَيْنَهَا بِالسِّرِّ ، وَانْكَشَفَتْ
 وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِدَتْ مِنْ مِثْنٍ
 سَلَّ عَصْبَةُ الشُّرَكِ حَوْلَ الْغَارِسَائِمَةِ
 هَلْ أَبْصَرُوا الْأَثَرَ الْوَضَاءَ ، أَمْ سَمِعُوا
 وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسِجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ
 فَأَدْبَرُوا ، وَوَجْهَةُ الْأَرْضِ تَلْعُثُهُمْ
 لَوْلَا يَدُ اللَّهِ بِالْجَارَيْنِ مَا سَلِمَا
 تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللَّهِ ، وَاسْتَرَا
 يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ ، لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
 الْمَادْحُونَ وَأَرْيَابُ الْهَوَى تَبِعُ
 مَدِيحُهُ فَيْكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوَى
 اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أَعَارِضُهُ
 وَإِنَّا أَنَا بَعْضُ الْغَاطِطِينَ ، وَمَنْ
 هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ
 الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حَسَنِ وَفِي شَرَفٍ
 شَمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
 وَاللَّيْثُ دُونَكَ بِأَسَأَ عِنْدَ وَثِيَّتِهِ
 تَهْفُو إِلَيْكَ - وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَهَا

لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ ، وَمِنْ حِكْمٍ^١
 بِلَا عِدَادٍ ، وَمَا طَوَّقَتْ مِنْ نِعَمٍ
 لَوْلَا مَطَارِدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمَّ
 هَمْسُ التَّمَايُحِ وَالْقُرْآنُ مِنْ أُمِّ ؟
 كَالْغَابِ ، وَالْحَائِمَاتُ الرُّغْبُ كَالرَّخَمِ ؟
 كِبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مِنْهَزِمٍ
 وَعَيْنُهُ حَوْلَ رَكْنِ الدِّينِ ؛ لَمْ يَقُمْ^٢
 وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحُ اللَّهِ لَا يُضْمُ
 وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي ؟^٣
 لَصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
 وَصَادِقُ الْحَبِّ يُعْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ
 مِنْ ذَا يَعَارِضُ صُوبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ ؟
 يَغِيظُ وَلَيْكَ لَا يُذَمِّمُ ، وَلَا يُلَمُّ
 تَرْمِي مَهَابَتُهُ سَحْبَانَ بِالْبَكَمِ^٤
 وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ
 وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسِمِ
 إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السَّلَاحِ كَمِي^٥
 فِي الْحَرْبِ - أَفْنَدَةُ الْأَبْطَالِ وَالْبُهِمِ

١ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « علمني ربي ليلة الإسراء علوماً شتى علم أخذ على كتابته ، وعلم خيرني فيه ، وعلم أمرني بتبليغه » .

٢ الجاران : الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه . والمراد باليد : النعمة وعينه : عنايته .

٣ من أمائه صلى الله عليه وسلم : أحمد . وقد سمي الشاعر به تيمناً باسم الرسول الأكرم

٤ سحبان : هو سحبان وائل من بني باهلة . كان يضرب بفصاحته المثل .

٥ الكمي : لابس السلاح .

حبة الله ألقاها ، وهيئته
 كأن وجهك تحت النقع بدر دُجى
 بدر تطلع في بدر فقرته
 ذُكرت باليتم في القرآن تكرمة
 الله قسم بين الناس رزقهم
 إن قلت في الأمر «لا» ، أو قلت فيه «نعم»
 أخوك عيسى دعا ميتاً ، فقام له
 والجهل موت ، فإن أوتيت معجزة
 قالوا : غزوت ، ورسّل الله ما بعثوا
 جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
 لما أتى لك عفواً كل ذي حسب
 والشر إن تلقه بالخير ضقت به
 سل المسيحية الغراء : كم شربت
 طريدة الشرك ، يؤذيها ، ويوسعها
 لولا حياء لها هبوا لنصرتها
 لولا مكان لعيسى عند مرسله
 لسمر البدن الطهر الشريف على
 جل المسيح ، وذاق الصلب شائته

على ابن آمنة في كل مُصطدم
 بضىء ملتئماً أو غير ملتئم^١
 كخرة النصر ، تجلو داجي الظلم^٢
 وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليم
 وأنت خيّرت في الأرزاق والقسم^٣
 فخيرة الله في «لا» منك أو «نعم»
 وأنت أحييت أجيالاً من الرم
 فابعث من الجهل ، أو فابعث من الرجم
 لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
 فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
 تكفل السيف بالجهال والعَم
 ذرعاً ، وإن تلقه بالشر ينحس
 بالصناب من شهوات الظالم القلم
 في كل حين قتالاً ساطع الحدم^٤
 بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم
 وحرمة وجبت للروح في القدم
 لوحيين ، لم يخش مؤذيه ، ولم يجم
 إن العقاب بقدر الذنب والجرم^٥

- ١ النقع : غبار الحرب .
- ٢ بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التي دمع فيها الشرك وأعر الإسلام .
- ٣ روى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً » .
- ٤ الحدم (بالتحريك) : شدة احتراق النار .
- ٥ جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل ، وعما زعموا من أنهم صلبوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

أخو النبي ، وروح الله في نزل
علمتهم كل شيء يجهلون به
دعوتهم لجهاد فيه سوددتهم
لولا لم نر للدولت في زمن
تلك الشواهد تترى كل آونة
بالأمس مالت عروش ، واعتلت سرر
أشياء عيسى أعدوا كل قاصمة
مها دُعيت إلى الهيجا قمت لها
على لوائك منهم كل منتقم
مُسبح للقاء الله ، مضطرم
لو صادف الدهريغي نقلة ، فرمى
بيض ، مقليل من فعل الحروب بهم
كم في التراب إذا قُتشت عن رجل
لولا مواهب في بعض الأنام لما
شريعة لك فجرت العقول بها
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
غراء ، حامت عليها أنفس ، ونهى

فوق السماء ودون العرش مُحترَم
حتى القتال وما فيه من الذمم^١
والحرب أس نظام الكون والأمم
ما طال من عمد ، أو قر من دعم
في الأعصر الغر ، لا في الأعصر اللثم
لولا القذائف لم تَلَم ، ولم تصم
ولم نُعد سوى حالات مُتقِصم
ترمي بأسد ، ويرمي الله بالرجم
الله ، مُستقتل في الله ، مُعترَم
شوقاً ، على سابغ كالبرق مضطرم^٢
بعزيمه في رجال الدهر لم يرم
من أسيف الله ، لا الهنديه الحُدم^٣
من مات بالعهد ، أو من مات بالقسم
تفاوت الناس في الأقدار والقيم^٤
عن زاخِر بصنوف العلم ملتطم
كالخلي للسيف أو كالوشى للعلم^٥
ومن يجد سلسلاً من حكمة يحم

- ١ الذمم : جمع ذمة ، وهي العهد والأمان ، والحق .
- ٢ الاضطرام : توقد النار وتأججها . سابغ : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وجولاتهم فيه باضطرام النار : وهو توقدها ، وتأججها .
- ٣ مقليل : القليل التلم في السيف .
- ٤ أشار في هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، من القوز والعبادة ، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى ، إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل ، والبلاء في نصره الدين ، وتعرضهم للقتل والظعن في سبيل الله تعالى ، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ، ولا عدت درجاتهم منزلة غيرهم من العالمين
- ٥ الوشى : النقش .

نور السبيل يساس العالمون بها
يجري الزمان وأحكام الزمان على
لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت
وعلمت أمة بالقفر نازلة
كم شيد المصلحون العاملون بها
للعلم ، والعدل ، والتدين ما عزموا
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم
ساروا عليها هداة الناس ، فهي بهم
لا يهدم الدهر زكناً شاد عدلهم
نالوا السعادة في الدارين ، واجتمعوا
دع عنك روما ، وأثينا ، وما حوتا
وخل كسرى ، وإيواناً يدل به
واثر رعمسيس ، إن الملك مظهره
دار الشرائع روما كلما ذكرت
ما ضارعتها بياناً عند ملئام
ولا احتوت في طراز من قياصرها
من الذين إذا سارت كتابهم
ويجلسون إلى علم ومعرفة

تكفلت بشباب الدهر والهزم
حكم لها ، نافذ في الخلق ، مرتسيم
مشت ممالكه في نورها التسم
رعي القياصر بعد الشاء والتعم
في الشرق والغرب ملكاً باذخ العظم
من الأمور ، وما شدوا من الحزم
وأهلوا الناس من سلسالها الشيم
إلى الفلاح طريق واضح العظم
وحائط البني إن تلمسه يهدم
على عيم من الرضوان مقتسم
كل اليواقيت في بغداد والثوم
هوى على أثر النيران والأيم
في نهضة العدل ، لا في نهضة الهرم
دار السلام لها ألفت يد السلم
ولا حكمت قضاء عند مختصم
على رشيد ، ومأمون ، ومعتصم
تصرفوا بحدود الأرض والتحم
فلا يدانون في عقل ولا فهم

- ١ روما : هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم ، قاعدة لمملكة إيطاليا ، وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة . وأثينا : قاعدة لمملكة اليونان الآن ، وكانت من أكبر مدن الأمة اليونانية في العصور السابقة وبغداد : قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس ، والثوم : جمع تومة ، وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .
- ٢ كسرى : لقب لكل من يلي ملك فارس .
- ٣ الهرم : الأهرام في مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة ، وأكبرها وأشهرها وأعجبا .
- ٤ دار السلام : بغداد .

يُطَاطِئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسُوا
وَيُمَاطِرُونَ ، فَمَا بِالْأَرْضِ مِنْ مَحَلٍّ
خَلَّاتُفُ اللَّهُ جُلُوءًا عَنْ مَوَازِنَةٍ
مَنْ فِي الْبَرِيَةِ كَالْفَارُوقِ مَعْدَلَةٌ ؟
وَكَالِإِمَامٍ إِذَا مَا فَضَّ مَزْدَحِمًا
الزَّاهِرِ الْعَذْبِ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ
أَوْ كَابِنِ عَفَانَ وَالْقِرْآنُ فِي يَدِهِ
وَيَجْمَعُ الْآيَ تَرْتِيبًا وَيَنْظُمُهَا
جُرْحَانٍ فِي كِبِدِ الْإِسْلَامِ مَا التَّامَا
وَمَا بِلَاءُ أَبِي بَكْرٍ بِمَتَّهِمْ
بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ حَاطَ الدِّينِ فِي مَحْنٍ
وَجِدْنٍ بِالرَّاشِدِ الْفَارُوقِ عَنْ رَشْدٍ
يَجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلًا مَهْلَدَهُ

مِنْ هِيَةِ الْعِلْمِ ، لَا مِنْ هِيَةِ الْحُكْمِ
وَلَا بَيْنَ بَاتٍ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ عُدْمٍ^١
فَلَا تَقْيِسُنَّ أَمْلَاكَ الْوَرَى بِهِمْ
وَكَابِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَاشِعِ الْحُشْمِ ؟
بَعْدَمِمْ فِي مَائِي الْقَوْمِ مَزْدَحِمٍ^٢
وَالنَّاصِرِ الثَّدْبِ فِي حَرْبٍ وَفِي سَلَمٍ ؟
يَحْنُو عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْفُطُمِ^٣
عَقْدًا بِجِدِّ اللَّيَالِي غَيْرِ مَنْفَصِمٍ ؟
جُرْحُ الشَّهِيدِ ، وَجَرَحُ الْكِتَابِ دَمِي
بَعْدَ الْجَلَّاتِلِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْخِدْمِ
أَضَلَّتْ الْحِلْمَ مِنْ كَهْلٍ وَمَحْتَلَمٍ^٤
فِي الْمَوْتِ ، وَهُوَ يَقِينٌ غَيْرِ مِنْبِهِمْ^٥
فِي أَعْظَمِ الرِّسْلِ قَدْرًا ، كَيْفَ لَمْ يَدَمْ ؟^٦

- ١ . الخلل : الجذب . والعدم : فقدان المال .
- ٢ . الإمام : هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ٣ . ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .
- ٤ . يشير إلى حروب الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتصاره على المرتدين .
- ٥ . يقول : ما ظنك بتلك المحن التي تنحرف بعمر رضي الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ، ووفور العقل ، وصدق اليقين ، وتذله عن إدراك أمر من أظهر البدييات لديه ، هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٦ . وذلك أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الناس مات رسول الله ، أسرع عمر إلى سيفه وتوعد من يقول ذلك ، وقال إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم ، فلما حضر أبو بكر ، وأخبر الخبر ، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجعل الله عليه موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد منها ، ثم خرج إلى الناس ، وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

لا تعذلوه إذا طاف الدهولُ به مات الحبيبُ ، فضل الصَّبِّ عن رَعَمِ

* * *

يا ربِّ صَلِّ وسلِّم ما أردتَ على نزيل عرشك خير الرسل كلِّهم
مُحيي الليالي صلاةً ، لا يقطعُها إلَّا بدمع من الإشفاق مُنسجم
مُسبحاً لك جُنع الليل ، محتلاً ضراً من السُّهد ، أو ضراً من الورم
رضيةً نفسه ، لا تشتكي ساماً وما مع الحبِّ إن أخلصت من سأم
وصلِّ ربِّي على آلٍ لهُ نُحِبُّ جعلت فيهم لواء البيت والحرم
بيضُ الوجوه ، ووجه الدهر ذو حلكِ شَمُّ الأنوف ، وأنفُ الحادثات حمي
وأهد خير صلاةٍ منك أربعةً في الصَّحب ، صُحبَتهم مَرِعةُ الحُرَمِ
الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم ما هال من جَلَلٍ ، واشتد من عَمَمِ
الصَّابرين ونفسُ الأرض واجفةً الضَّاحكين إلى الأخطار والقُحَمِ
يا ربِّ ، هبتْ شعوبٌ من منيَّها واستيقظت أُممٌ من رقدة العدم
سعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالِكُه تُدبِلُ مِنْ نَعَمٍ فيه ، ومِنْ نَقَمِ
رأى قضاؤك فينا رأيَ حَكَمَتِه أَكْرَمَ بوجهك من قاضٍ ومستقمِ
فالطُّفُ لأجلِ رسولِ العالمين بنا ولا تزدُ قومَه خسفاً ، ولا تُسمِ
يا ربِّ ، أحسنتَ بدءَ المسلمين به فتممَّ الفضلَ ، وأمنحْ حُسْنَ مُحَيَّتَمِ

خاتمة رياض*

كبير السابقين من الكرام
مقامك فوق ما زعموا ، ولكن
لقد وجدوك مفتوناً ، فقالوا
وقال البعض : كيدك غير خاف
وقيل : شططت في الكفران ، حتى
غمرت القوم إطراء ، وحمداً
رأوا بالأمس أنفك في الثريا
أما والله ما علموك إلا
إذا ما لم تكن للقول أهلاً
خطبت ، فكنت خطباً - لا خطيباً -
لَهَجْتَ بالاحتلال وما أتاه
وما أغناه عن قال فيه
أحبك البلاد طویل دهر
حقرت لها زماماً كنت فيه

برغمي أن أنالك باللام^١
رأيت الحق فوقك والمقام
خرجت من الوقار والاحتشام
وقالوا : رمية من غير رام^٢
أردت المنعمين بالانتقام
وهم غمروك بالثعم الجسام
فكيف اليوم أصبح في الرغام ؟
صغيراً في ولائك ، والخصام
فما لك في المواقف والكلام ؟
أضيف إلى مصائبنا العظام
وجرحك منه - لو أخسست - دامي
وما أغناك عن هذا الترامي
وذا ثمن الولاء والاحترام
لغوباً بالحكومة والذمام

* قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا في مدرسة محمد علي الصناعية في ٨ يونيو سنة ١٩٠٤ .
١ الخطاب في هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب في افتتاح مدرسة محمد علي الصناعية ، التي أنشأتها في الإسكندرية جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤ . وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضراً هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام ، كفر به نعمة مصر وأصحاب عرشها .

٢ الكيد : المكر والخبث وإرادة ضرر الغير خفية .

محاسنه غراسك والمساوي
فهلّا قلت للشبان قولاً
يُثِّتُ تجاربَ الأيامِ فيهم
خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ
ولولا أن للأوطان حبّاً
جنيتَ على قلوبِ الجمعِ بأساً
أراعكَ مقتلٌ من مصرَ باقي
وهل تركتَ لك السبعون عقلاً
ألا أنيكَ عن زمنٍ تولى
سل «الحلمية» الفيحاء عنه
وسل من كان حولك عبدَ جاهٍ
رأوا إرثاً سيذهب بعد حينٍ
ونالوا السمعَ من أذنٍ كريمٍ
هُم حزبٌ ، وسائرُ مصرَ حزبٌ
وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ
إذا الأحلامُ في قومٍ تولّتْ
فيا تلك الليالي ، لا تعودِي
أحبكِ مصرُ ، من أعماقِ قلبي
سيجمعني بكِ التاريخُ يوماً
لأجلكِ رحتُ بالدنيا شقيّاً
وأنظرُ جنةً جمعتُ ذئاباً

لك الثمران : من حمدي ، ودام
يليقُ بحافل الماضي الهام ؟
ويدعو الرابضين إلى القيام
بأنك من مشيك في منام
يُصمُّ عن الوشاية كالغرام
كأنك بينهم داعي الحجام
فقتت تزيّدُ سهماً في السهام ؟
لعرفانِ الحلالِ من الحرام ؟
فتذكّره ودمعك في انسجام ؟
وسل داراً على «نور الظلام»^١
يُريك الحبَّ ، أو باغي حُطام
فكانوا عُصبةً في الانقسام
فنالوا منه أنواعَ المرام
وأنت أصمُّ عن داعي الوثام
سرايهمُ عواملُ الانقسام^٢
أنى الكبراء أفعالَ الطغام
ويا زمنَ النفاقِ ، بلا سلام
وحبك في صميم القلبِ نام
إذا ظهر الكرامُ على اللثام
أصدُّ الوجهة ، والدنيا أمامي
فيصرفني الإباء عن الزحام^٣

١ الحلمية : حي من أحياء القاهرة . ونور الظلام : اسم شارع بهذا الحي فيه دار رياض .
٢ السراة : جمع سري ، وهو السيد الشريف السخي .
٣ الإباء : الكبر والنخوة .

وهبتك - غير هباب - يراعاً
سيكتبُ عنك فوق ثرى رياضٍ
أفي السبعين ، والدنيا تولت
تكون - وأنت أنت رياض مصر -
أشدُّ على العدو من الحسام
وفي التاريخ صفحة الاتهام
ولا يُرجى سوى حسن الختام
عراي اليوم في نظر الأنام ؟

ضجيج الحجيج*

ضجَّ الحجازُ ، وضجَّ البيتُ والحرمُ
 قد مسها في حاك الضرُّ ، فاقض لها
 لك الربوعُ التي ريع الحجيجُ بها
 أهينَ فيها ضيوفُ الله ، واضطهدوا
 أفي الضحى - وعيونُ الجندِ ناظرةٌ -
 ويسفكُ الدمُ في أرضٍ مقدسةٍ
 يدُ الشريفِ على أيدي الولاةِ علتُ
 «نيرون» إن قيس في باب الطغاة به
 أدبه أدبٌ - أميرُ المؤمنين - فما
 لا ترجُ فيه وقاراً للرسول ، فما
 ابنُ الرسولِ فتى فيه شمائله
 ما كان طه لرهطِ الفاسقين أباً
 خليفة الله ، شكوى المسلمين رقت
 الحجُّ ركنٌ من الإسلامِ نُكبره

واستصرخت ربُّها في مكة الأممُ
 خليفة الله ، أنت السيدُ الحكم
 للشريفِ عليها أم لك العلم ؟
 إن أنت لم تنتقم فالله مُنتقم
 تُسبى النساءُ ، ويؤذى الأهلُ والحشم ؟
 وتستباحُ بها الأعراضُ والحرم ؟
 ونَعْلُه - دون رُكنِ البيت - تُستلم
 مبالغ فيه ، و «الحجاج» مُتهم
 في العفو عن فاسقٍ فضلٌ ولا كرم
 بين البُغاة وبين المصطفى رَحم
 وفيه نخوته ، والعهد ، والشمم
 آل النبي بأعلام الهدى خُتموا
 لسُدَّةِ الله هل ترقى لك الكلم ؟
 واليومَ يوشك هذا الركنُ ينهدم

- ٥ . رفعت إلى السلطان عبد الحميد استصراحاً من الشريف وأعوانه في ١٤ ابريل سنة ١٩٠٤ .
- ١ الحرم : جمع حرمة ، وهي ما لا يحل انتهاكه .
- ٢ نيرون : طاغية روماني قديم . والحجاج : طاغية عربي كان والياً على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين .
- ٣ طه : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم .

من الشريف ومن أعوانه فعلت
عزَّ السبيلُ إلى طَه وتربيته
محمدٌ رُوِّعت في القبر أعظمه
وخان «عون الرفيق» العهد في بلدٍ
قد سال بالدم من ذبحٍ ومن بشرٍ
وقرَّعت في الخدور الساعات له
آبت نكالي أيامي بعدما أخذت
حرْمَنَ أنوار خير الخلق من كشب
أيُّ الصغائر في الإسلام فاشية
يجيشُ صدري ، ولا يجري بها قلبي
أغضيتُ ضئاً بعرضي أن ألمَّ به
موه على الناس ، أو غالطهم عبثاً
من الزيادة في البلوى وإن عَظمت
كلُّ الجراح بالآلام ، فما لمست
والموتُ أهونُ منها وهي داميةٌ

نُعْمَى الزيادة ما لا تفعل النقم
فمن أراد سبيلاً فالطريقُ دم
وبات مستأمناً في قومه الصنم^١
منه العهودُ أتت للناس والذمم
واحمرَّ فيه الحمى والأشهرُ الحرم^٢
الداعياتُ وقرب الله مُعْتَمِ
من حَوْلِهِنَّ التَّوَى والأَيْتُ الرُّسْمُ^٣
قدمعهنَّ من الحرمان منسجم
تودى بأيسرها الدولات والأُمم
ولو جرى لبكى واستضحك القلم
وقد يروق العنى للحرِّ والصمم
فليس تكتمهم ما ليس ينكتمُ
أن يعلم الشامتون اليوم ما علموا
يدُّ العدو فتمَّ الجرحُ والألم
إذا أسأها لسانٌ للعدى وفم

* * *

ربَّ الجزيرة ، أدركها ، فقد عَبَّتْ بها الذئابُ ، وضلَّ الراعي الغنمُ

- ١ الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ما عبد من دون الله .
- ٢ الأشهر الحرم ، أربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراماً : ما عدا بني خثعم وطى .
- ٣ النكالي : جمع نكلى : وهي من فقدت ولدها ، والأيامي : جمع أيام ، وهي من لا زوج لها . والنوى : البعد .
- ٤ موه على الناس : أي زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم .
- ٥ رب الجزيرة : أي صاحب الجزيرة ، وهي جزيرة العرب .

إن الذين تولّوا أمرها ظلّموا
في كلّ يومٍ فتالٌ تقشعُرُ له
أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريفِ بها
لا تجزهم منك حلماً ، وأجزهم عتّاً
كفى الجزيرة ما جرّوا لها سفهاً
تلك الثغورُ عليها - وهي زيتها -
في كلّ لجٍّ حوالئها لهم سفنٌ
والاهمُّ أمراءُ السوء ، واتفقوا
فجرّد السيف في وقتٍ يُفِيد به

والظلمُ تصحبه الأهوالُ والظلمُ
وفتنةٌ في ربوع الله تضطرب
وقسموها كإرثِ الميتِ ، وانقسموا
في الحلم ما يسمُ الأفعالُ أو يصمُ
وما يحاولُ من أطرافها العجم
مناهلٌ عذبت للقوم ، فأزدحموا
وفوق كلّ مكانٍ يابسٍ قدم
مع العداة عليها ، فالعداة همُ
فإن للسيف يوماً ، ثم ينصرم^٢

١ . العنت : الشدة والهلاك .

٢ . جرّد السيف : سلّه . وينصرم : يمضي .

استقبال

يا راكبَ الرِّيحِ ، حيَّ النِّيلَ والهِرْمَا
وقف على أثرِ مرِّ الزَّمانِ به
واخفض جناحك في الأرض التي حَمَلَتْ
وأخرجت حكمةَ الأجيالِ خالدةً
وشرَّفت بملوكِ طالما اتخذوا
هذا فضاءً تُلمُّ الرِّيحُ خاشعةً
فرحباً بكما من طالعَيْنِ به
وعظُمَ السَّفْحُ من سِباءٍ ، والحرما
فكان أثبتَ من أطواده قِما
وموسى رضيعاً ، وعيسى الطهر منقطاً
وبيئت للعبادِ السِّيفَ والقلم
مطيَّهم من ملوكِ الأرض والخدم
به ، وعشي عليه الدهرُ محتشماً
على سوي الطائر الميمونِ ما قديماً^١

* * *

عاد الزَّمانُ ، فأعطى بعدما حرَّما
فيا رعى الله وفداً بين أعيننا
هم أقسموا لتدين السماء لهم
والناسُ باني بناءٍ ، أو مُتَمِّمُهُ
تعاونُ لا يحلُّ الموتُ عُرْوَتَهُ
وتاب في أذنِ المحزونِ ، فابتسما
ويرحم الله ذاك الوفد ما رَحِمَا^٢
واليوم قد صدَّقوا في قبرهم قسماً
وثالث يتلافى منه ما انهدما
ولا يرى بيدِ الأرزاءِ منقصما^٣

* * *

- ١ على الطائر الميمون : مأخوذ من قولهم في الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون .
- ٢ كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنتين من ضباطها الطيارين ، فسقطت طيارتهما في الطريق وماتا . فندبت الدولة غيرهما ، فوصلتا سالمين وإلى هذا يشير بالوفدين في البيت .
- ٣ العروة : كل ما يوثق به .

يا صاحبي أدرميد^١ ، حسبها شرفاً
 وأنها جاوزت في القدس منطقة^٢
 مشت على أفقٍ مرَّ البراقُ به
 ومسحت بالمُصلَّى ، فاكست شرفاً
 وكلما شاقها حادٍ على أفقٍ
 جشمتها من الأهوالِ أربعة^٣
 حتى حوتها سماء النبل فأنحدرت
 أن الرياح إليها ألقت اللجأ^١
 جرى البساط فلم يجتز لها حرماً^٢
 فقبلت أثراً للحفِّ مُرسماً^٣
 وبالمغار المعلى ، فاكست عظاماً
 كانت مزامير داود هي النغم
 الرعد ، والبرق ، والإعصار ، والظلم
 كالنسر أعيا ، فوافى الوكر ، فاعتصم

يا آلَ عثمان أبناء العمومة ، هل
 إذا حزتكم حزناً في القلوب لكم
 وكم نظرونا بكم نُعمي فجسمها
 ونبدل المال لم نُحمل عليه ، كما
 صبراً على الدهر إن جلت مصائبه
 إذا المقاتل من أخلاقهم سلمت
 وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
 نتم على كلِّ ثارٍ لا قرار له
 فنال من سيفكم من كان ساقبه
 قال العذولُ : خرجنا في محبتكم
 تشكون جرحاً ولا تشكو له ألماً ؟
 كالأم تحمل من هم ابنها سقماً
 لنا السرور ، فكانت عندنا نعيماً
 يقضي الكريم حقوق الأهل والذما
 إن المصائب مما يُوقظ الأمما
 فكلُّ شيء على آثارها سلماً
 فإن تَوَلَّت مضوا في إثرها قدماً
 وهل ينأى مُصيبٌ في الشعوبِ دماً ؟
 كما تنالُ المُدامُ الباسلَ القَدماً
 من الوقار ، فيا صدق الذي زعماً

١ أدرميد : اسم الطيارة التي ركبها إلى مصر .

٢ القدس : مدينة بيت المقدس في الشام . والبساط : هو بساط سليمان . وفي التاريخ الديني : أنه كان يتخذ مع الريح بساطاً يحريه حيث يشاء .

٣ البراق في اللغة البدنية : دابة كان يركبها الأنبياء ، وقد ركبها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه من مكة إلى بيت المقدس .

فما على المرء في الأخلاق من حرج
ولو وهبتم لنا عُلَيَّا سيادتكم
نحنو عليكم ، ولا ننسى لنا وطناً
هذي كرائمُ أشياء الشعوب ، فإن
إذا رعى صِلَةً في الله ، أو رحماً
ما زادنا الفضلُ في إخلاصنا قدماً
ولا سريراً ، ولا تاجاً ، ولا علماً
ماتت فكلُّ وجود يشبه العدم

أرسططاليس وترجمانه*

علمتَ بالقلمِ الحكيم	وهديتَ بالتَّجَمِّمِ الكريم
وأُتيتَ من محرابه	بأرسططاليسَ العظيم
ملكِ العقولِ ، وإنها	لنهاية الملكِ الجسم
شيخ ابن رشد ، وابن سيد	نا ، وابن بَرَقِينِ الحكيم ^١
من كان في هَدْيِ المسير	ح ، وكان في رُشْدِ الكلِّم
وغدا وراح موحِّداً	قبل البَيِّنَةِ والحَطِّم ^٢
صوت الحقيقة بين رء	دِ الجاهلية والهزيم
ما بين عادية السَّوَا	م وبين طُغْيَانِ المسم
يبني الشرائعَ للعصو	ر بناء جَبَّارِ رجم
ويفضِّلُ الأخلاقَ للـ	أجيال تفصيلِ اليتيم
في واضح لخبِ الطريد	ق من المذاهبِ مستقيم
ورسائلٍ مثلِ السُّلَا	ف إذا تَمَشَّتْ في النديم
قدسيةِ التفحاتِ ، تُسـ	كير بالمذاقِ ، وبالشَّمِّم

* * *

يا لطفٍ ، أنت هو الصُّدى من ذلك الصوت الرخيم

ترجم الأستاذ أحمد لطفي باشا السيد كتاب أرسططاليس في علم الأخلاق إلى العربية ، فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة .
برقين : بلدة المترجم لطفي باشا السيد .
البنية : الكلمة .

أرجُ الرياضِ نقلته ونسخته نَسَخَ النسيم
وسريتَ من شِعْبِ الأَلَمِ سبَّ به إلى وادي الصَّريم^١
فتجارتِ اللغتان لل غايات في الحَسِبِ الصميم
لغةً من الإغريق قِيَّ حمةً ، وأخرى من تميم
وأتَيْتَنَا بِمُفَصَّلٍ بالتبر ، علويُّ الرقيم
هو ضِنَّةُ المَثْرَى من ال أخلاق ، أو مالُ العديم

* * *

مَشَاءَ هذا العصر ، قفْ حَدَّثَ عن العُصْرِ القديم^٢
مَثَلٌ لَنَا اليونانِ بيبَ نَ العلم والخُلُقِ القويم
أخلاقها نور السيبِ لي ، وعِلْمُها نور الأديم
وشبائبها يتعلمو ن على الفراقِدِ والنجوم
لمسوا الحقيقةَ في الفنو ن ، وأدركوها في العلوم
حلَّتْ مكاناً عندهم فوق المعلم والزعيم
والجهلُ حظُّك إن أخذ تَ العلم من غير العليم
ولربَّ تعليمٍ سرى بالنشءِ كالمرضِ المُنيم
يتلبَّسُ الحُلُمُ اللدبِ لَدُ عليه بالحُلُمِ الأليم
ومدارس لا تُنْهَضُ إل أخلاقَ دارِسةِ الرُسوم
يمشي الفسادُ بنبْها مشيَ الشرارةِ بالهشم

* * *

لما رأيتُ سوادَ قو مي في دُجَى ليلٍ بهم
يُسْقَوْنَ من أُمِّيَّةٍ هي عُصَّةُ الوطنِ الكظيم

١ الألب : جبل من جبال اليونان . والصريم : واد من أودية العرب .
٢ المشاؤون : تلاميذ أرسططاليس .

وسرائهم في مُقعد	من مطلب الدنيا مُقيم
يسعون للجاه العظيم	م ، وليس للحق العظيم
وبصرتُ بالدستور يُز	هق وهو في عُمر الفطيم
لم ينج من كيد العدو	له ، ومن عبث الحميم
أيقنت أن الجهل عد	ة كل مجتمع سقيم
وأيت - يا رب الشيد	ر - بما تحب من النظيم
أجز اجتهدك في جني	الثمرات للشيا النهم
من روضة العلم الصحيح	ح ، وربوة الأدب السليم
العاشقين العلم ، لا	يألونه طلب الغريم
المعرضين عن الصفا	ثر ، والسعاية - والنميم

* * *

قسماً بمذهبك الجميد	لم ، ووجه ضحبتك القسم
وقديم عهد ، لا ضيد	لم في الوداد ، ولا ذميم
ما كنت يوماً للكنا	نة بالعدو ولا الخصيم
لما تلاحي الناس لم	تنزل إلى المرعى الوخيم ^١
كم شاتم قابله	بترفع الأسد الشميم
وشغلت نفسك بالخصيد	ب من الجهود عن العقيم
فخدمت بالعلم البلا	د ، ولم تزل أوفى خديم
والعلم بناء المآ	ثر والمالك من قديم
كسروا به نير الهوا	ن ، وحطموا ذل الشكيم

١ التيم : الذي لا يشع .

٢ تلاحي الناس : تلاعنوا .

شهيد الحق*

إِلَامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمْ ؟ إِلَامَا ؟
 وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
 وَأَيْنَ الْفَوْزُ ؟ لَا مَصْرُ اسْتَقَرَّتْ
 وَأَيْنَ ذَهَبْتُمْ بِالْحَقِّ لِمَا
 لَقَدْ صَارَتْ لَكُمْ حَكْمًا وَعُثْمًا
 وَثَقْتُمْ وَاتَهَمْتُمْ فِي اللَّيَالِي
 شَبِيتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقَطْرِ نَارًا
 إِذَا مَا رَاضَهَا بِالْعَقْلِ قَوْمٌ
 تَرَامَيْتُمْ ، فَقَالَ النَّاسُ : قَوْمٌ
 وَكَانَتْ مَصْرُ أُولَ مِنْ أَصْبَتُمْ
 إِذَا كَانَ الرِّمَاءُ رِمَاءَ سُوءٍ
 أَبْعَدَ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَصَفَّ
 تَبَاغَيْتُمْ كَأَنْكُمْ خَلَايَا
 وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكَبْرَى عَلَامَا ؟
 وَتُبْدُونَ الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَا ؟
 عَلَى حَالٍ ، وَلَا السُّودَانُ دَامَا ؟
 رَكِبْتُمْ فِي قَضِيَّتِهِ الظَّلَامَا ؟
 وَكَانَ شِعَارُهَا الْمَوْتُ الرَّؤْمَا
 فَلَا ثِقَّةَ أَدْمَنَ ، وَلَا اتِّهَمَا
 عَلَى مُحْتَلَّةٍ كَانَتْ سَلَامَا
 أَجَدُّ لَهَا هَوَى قَوْمٍ ضِرَامَا
 إِلَى الْخَذْلَانِ أَمْرُهُمْ تَرَامَى
 فَلَمْ تُحْصِ الْجِرَاحَ وَلَا الْكِلَامَا
 أَحَلُّوا غَيْرَ مَرْمَاهَا السِّهَامَا
 كَأَنْيَابِ الْغُضُنْفَرِ لَنْ يُرَامَا
 مِنَ السَّرَطَانِ لَا تَجِدُ الضَّمَامَا ؟

* نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد في سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ، وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله ، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه ، واستطرد من ذلك إلى البحث فيما تحتاج إليه البلاد من وسائل الإصلاح .

١ الكلام بكسر الكاف : الجروح .

أرى طيَّارَهم أوفى علينا وحلَّق فوق أُرُوسنا وحاما
 وأنظرُ جِيعَهم من نصف قرنٍ على أبصارنا ضَرْب الخياما
 فلا أَمناؤنا نقصوه رَحماً ولا خَوَّاننا زادوا حَساما
 وتُلقي الجَوَّ صاعقةً ورعداً إذا قصرُ الدِّبارُ فيه غاما
 إذا انفجرتْ علينا الخيلُ منه ركبنا الصمتَ ، أو قُدنا الكلاما
 فأُبنا بالتخاذل والتلاحي وآب مما ابتغى مَنَّا وراما

* * *

ملكنا مارنَ الدنيا بوقتٍ فلم نُحسن على الدنيا القياما !
 طلعنا - وفي مقبلةً - أسوداً ورحنا - وفي مدبرةً - نعاما
 ولينا الأمرَ حرباً بعد حربٍ فلم نَكُ مصلحين ولا كراما
 جعلنا الحُكمَ توليةً وعزلاً ولم نَعُدَّ الجزاءَ والانتقاما
 وسُسنا الأمرَ حين خلا إلينا بأهواء النفوس ، فما استقاما
 إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ فلمْ جُنَّ الرجالُ به غراما ؟
 وكيف يكون في أيدي حلالاً وفي أخرى من الأيدي حراما ؟
 وما أدري غداةً سقيتموه أنزيافاً سقيتم ، أم سيّاماً ؟^٢

* * *

شهِدَ الحقُّ ، قُمْ تَرَهُ يَتِيماً بأرضٍ ضُبِعَتْ فيها اليَتامى
 أقام على الشفاه بها غريباً ومَرَّ على القلوب ، فما أقاما
 سَقِمَتْ ، فلمْ ثَبَتْ نفسٌ بخيرٍ كأنْ بمهجَةٍ الوطن السقاما
 ولم أرَ مثلاً نعشِكَ إذ تهادى فغطَّى الأرضَ ، وانتظم الأناما
 تحمَلُ هِمَّةً ، وأقلُّ ديناً وضمَّ مروءةً ، وحوى زماما

١ المارن : الأنف أو ما لان منه ، والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلامها .

٢ الترياق : ما يدفع السموم من الدواء .

وما أنساكَ في العشرين لما
 يشار إليك في النادي وثرمى
 إذا جئت المنابر كنت قساً
 وأنت ألدُّ للحق اهتزازاً
 وتحمل من أديم الحق وجهاً
 طلعت حيالها - قرأ تماماً
 بعيني من أحبٍّ ومن تعامى
 إذا هو في عكاظ علا السنما^١
 والطف حين تنطقه ابتساما
 صراحاً ، ليس يتخذ اللثاما

* * *

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً
 مهأز الحق بغضنا إليهم
 لوأوك كان يسقيهم بحمام
 من الوطنية استبقوا رحيقاً
 غرسنا كرمها ، فزكا أصولاً
 جمعهم على نبرات صوت
 لك الخطب التي غص الأعادي
 فكانت في مرارتها زثيراً
 بك الوطنية اعتدلت ، وكانت
 بنيت قضية الأوطان منها
 هرزت بني الزمان به صيياً
 سهرنا عن معلمهم وناما ؟
 شكيم القيصرية واللجاما
 وكان الشعر بين يديّ جاما^٢
 فضضنا عن معتقها الختام
 بكل قرار ، وزكا مداما
 كنفخ الصور حرّكت الرجاما^٣
 بسورتها ، وساعت للندامى
 وكانت في حلاوتها بغام
 حديثاً من خرافة أو مناماً
 وصيرت الجلاء لها دعاما
 ورعت به بني الدنيا غلاما

١ قس : هو قس بن ساعدة الأيادي : ويضرب به المثل في بلاغة الخطباء ، ويروى عنه أنه كان يخطب الناس في عكاظ وهو على ظهر بعير .

٢ الجام : إناء من فضة .

٣ الرجام : القبور .

٤ خرافة : رجل عنري اختطفته الجن فيما زعموا ، ثم رجع إلى قومه ، وأخبر بما رأى منها ، فكذبوه ، وأصبح حديثه مثلاً لكل حدث باطل .

وعندك للملوكِ بني علي
جمعت الناسَ حول العرشِ علماً
إذا طافوا ببيتِ الملكِ يوماً
تُضائلُ شخصك الضاحي وقاراً
وكان العرشُ هامةً كلُّ قوم
هو العلمُ الذي تفديه مصرُ
منازلُ في الكرامة لا تُسامي
بأن لمصر في العرشِ اعتصاما
سبقتهم إلى الركنِ استلاماً
وتخفيضُ رأسك العالي احتشاماً
وإن كانوا أجلَّ الناسِ هاماً
ونحنُ الجندُ في العلمِ انتظاماً

* * *

أبا الفاروقِ أدركها جراحاً
فإنك أنت ميرهمُ كل جرح
فكم شرُّ حسمتَ وكم بلاء
ويابن الغيث، بالوادي غليلُ
أرى وطناً تحير ناشئوه
فلا أسس التجارة فيه قرَّتْ
مدارسُ لم تهَيَّئهمُ لكسبِ
هلم، مثالَ إسماعيلِ وانسجِ
كبارُ المصلحين بمصرَ عُدُّوا
فخذ ما شئتَ في الإصلاحِ عنهم
وأنت أعزُّ بالدستورِ شأناً
فمرُّ بالنشءِ أن يتعلَّموه
أبتِ إلا على يدك الشاما
وإن بلغ المفاصلِ والعظاما
وكنا لا نرى لهما انحساما
إلى الإصلاحِ فامنحه الغماما
فما يجدون من عملٍ قواما
ولا رُكنُ الصناعة فيه قاما
ولم تبني الحياة ولا النظاما
على منواله المننِ الجسماما
فلم يعدوا أبوتك العظاما
تجدُ في كل مأثرة إماما
وأرفعُ خلف هالته مقاما
وخلُّ الدهرِ يقرئه الطَّغاما

١ ضاعل شخصه : صغره تواضعاً . والضاحي : البارز .

٢ الهامة : الرأس ، جمعها هام .

تحية للترك

الدهرُ يَقْظَانُ ، والأحداثُ لم تنمِ
لعلكم من مراسِ الحرب في نَصَبِ
لقد فتحتم فأعرضتم على شِيعِ
هَبُوا بكم وبنا للمجدِ في زمنِ
هذا الزمانُ تنادىكم حوادثُه
فالسيفُ يهدمُ بفجراً ما بنى سَحْراً
قد مات في السلمِ مَنْ لا رَأْيَ يَعِصْهُ
وأصبح العلمُ ركنَ الآخِذِينَ به
الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغنى مرحاً
يا فتيةَ التركِ . حيا الله طلعتكم
أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ ، لا يرحا
تُجْلِكُمْ مصرُ منها في ضمايرها
فنحن - إن بعدتْ دارُ وإن قربتْ -
ناهيك بالسببِ الشرقيِّ من نسبِ
شملُ اللغاتِ لدى الأقوامِ ملتئمُ
فقرّبوا بيننا فيها وبينكمُ

فما رقادكم يا أشرف الأممِ ؟
وهذه ضِجْعةُ الآسادِ في الأجمِ
والفتحُ يعترضُ الدولاتِ بالثُخْمِ
من لم يكن فيه ذنباً كان في الغنمِ
يا دولةَ السيفِ ، كوني دولةَ القلمِ
وكلُّ بنيانٍ علمٍ غيرُ منهدمِ
وسوّتِ الحربُ بينَ البَهِيمِ والبَهِيمِ
من لا يُقِمُّ ركنه العرفانُ لم يَقُمْ
ونحن نلبسُ عنه ضيقةَ العُدْمِ
وصانكم ، وهذاكم صادقُ الخِدمِ
منكم بخيرِ غدي في المجدِ مبتسمِ
وتعلن الحبَّ جمّاً غيرَ مَتَّهِمِ
جاران في الضادِ ، أوفي البيتِ والحرمِ
وحبذا سببُ الإسلامِ من رَجِمِ
والضَّادِ فينا بشملٍ غيرِ ملتئمِ
فإنها أوثقُ الأسبابِ والذَّمِ

١ مراسِ الحرب : مزاولتها .

٢ الضاد : تطلق إسمًا للغة العربية ، وذلك أن حرف الضاد لا يوجد في لغة سواها ولا يقوى عليه إلا أهلها .

وكلّنا إن أخذنا بالفلاح يدُ وسعيّنا قدم فيه إلى قدم
فلا تكوننَّ «تركيا الفتاة» ، ولا تلك العجوزَ ، وكونوا تركيا القدم
فسيفها سيفها في كل معترك وعدلها طوق الإسلام بالتعم

الأسطول العثماني*

هَزَّ اللّوَاءُ بِعَزِّكَ الْإِسْلَامُ وَعَنَّتْ لِقَائِهِ سَيْفِكَ الْإِيَّامُ
وَانْقَادَتْ الدُّنْيَا إِلَيْكَ ، فَحَسْبُهَا عِذْرًا قِيَادُ أَسْلَسْتَ وَزِمَامُ
وَمَشَى الزَّيْمَانُ إِلَى سَرِيرِكَ تَائِبًا خِجْلًا ، عَلَيْهِ الذُّلُّ وَالْإِرْغَامُ
عَرْشُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ جَنَّبَاتُهُ نُورٌ ، وَرَفْرَفُهُ الطَّهْوَرُ غَمَامُ
لَمَّا جَلَسْتَ سَمَا وَعَزَّ ، كَأَنَّمَا هَارُونُ وَابْنَاهُ عَلَيْهِ قِيَامُ
الْبَحْرُ مَحْشُودُ الْبَوَارِجِ دُونَهُ وَالْبِرُّ تَحْتَ ظِلَالِهِ آجَامُ
نَعَمَ الرِّعْيَةُ فِي ذَرَاكَ ، وَنَضَّرَتْ أَيَّامُهُمْ فِي ظِلِّكَ الْأَحْكَامُ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَكُلِّ قَبِيلَةٍ عَدْلٌ ، وَأَمْنٌ مُؤَرِفٌ ، وَوِثَامُ
حَمَلُ الصَّلِيبِ إِلَيْكَ مِنْ فِتْيَانِهِ جُنْدًا ، وَقَاتِلَ دُونَكَ الْحَاخَامُ
وَالدِّينُ لَيْسَ بِرَافِعٍ مُلْكًا إِذَا لَمْ يَتَّذِرْ لِلدُّنْيَا عَلَيْهِ نِظَامُ
بِاللّهِ قَدْ دَانَ الْجَمِيعُ ، وَشَأْنُهُمْ بِاللّهِ ثُمَّ بِعَرْشِكَ ، اسْتِعْصَامُ^١

* * *

يَا ابْنَ الدِّينِ إِذَا الْحُرُوبُ تَتَابَعَتْ صَلَّوْا عَلَى حَدِّ السِّيُوفِ ، وَصَامُوا
الْمُظْهِرِينَ لِنُورِ «بَدْرِ» بَعْدَ مَا خِيفَ الْحَقُّ عَلَيْهِ وَالْإِظْلَامُ^٢

كان صاحب الديوان في الأستانة وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من ألمانيا فأخذته هزة الطرب وعز عليه أن يرى المسلمين في أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الدولة فجري لسانه بهذه القصيدة.

- ١ سما : ارتفع . وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي . وابناه : هما الأمين ، والمأمون .
- ٢ بالله قد دَانَ الجميع : أي أمِنُوا بِهِ . والاستِعْصَامُ : الاستمسك .
- ٣ بلر : اسم الغزوة المشهورة في صدر الإسلام ، سميت باسم المكان الذي وقعت فيه . والحاق (مثل الميم) : قيل : هو آخر الشهر حيث يمحى نور القمر ، وقيل : هو ثلاث ليالٍ من آخره .

عشرون خاقاناً نَمَوْكَ وَعَشْرَةٌ
نسبٌ إذا ذُكِرَ المَلُوكُ فإنه
لا تحفلن من الجراح بقية
جرت النحوس لغاية فتبدلت
تعبت بأمتك الخطوب فأقصرت
لبثت تشوشهم الحوادث حقة
ولقد يُداس الذئب في فلولاته
زدهم أمير المؤمنين من القوى
الملك والدُّولات ما يَبْنِي القنا
والحق ليس - وإن علا - بمؤيدٍ
خطَّ النبي براحتيه خندقاً

عُرِّ الفُتُوحُ خلائِفُ أعلامٍ
لِرَفِيعِ أنسابِ الملوِكِ سَنامٍ
إن البقية في غدٍ تلتام
ولكل شيء غاية وتمام
والدهر يُقصر والخطوب تنام
وتصدُّها الأخلاق والأحلام
ويُهَابُ بين قبوده الضرغام
إن القوى عُرِّ لهم وقوام
والعلم ، لا ما ترفع الأحلام
حتى يُحَوِّطَ جانبيه حسام
ومشى يُحيط به قنا وسهام

* * *

يا بربروس ، على ثراك تحية
أعلمت ما أهدى إليك عصاة
نشروا حديثك في البرية بعد ما
خضوك من أسطولهم بدعامة
شما في عرض الخضم ، كأنها
كانت كبعض البارجات ، فحفها
ما مات من نبل الرجال وفضلهم
يمضي ويُنسى العالمون ، وإنما

وعلى سميك في البحار سلام^١
عُرِّ المآثر من بنيك كرام^٢
همت بطي حديثك الأيام
يُبنى عليها ركنه ويقام
برج بذات الرجوع ليس يرام
لما تحلت باسمك الإِعظام
يحيا لدى التاريخ وهو عظام
تبقى السيوف ، وتخلد الأعلام

١ الخاقان : هو كل ملك من الأتراك .

٢ بربروس : هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علماً لبارجة
هي الأولى في الأسطول العثماني .

٣ عصاة غر المآثر : هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس .

وتلاك طرغودُ كما قد كُتِبَا
أرسي على بابِ الإمامِ كأنه
جمعتكما الأيامُ بعد تفرُّق
سيشدُّ أزرَكَ والشدائدُ جُمَّةُ
ما السفنُ في عددِ الحصَى بنوافع
لما لَحُتْكما سَكَبْتُ مدامعي
وسألتُ: هل من لؤلؤ أو طارقٍ
جَنِباً لجنبِ والْعُبابُ ضِرَامُ
للفلَكِ من فرطِ الجلالِ إمام
ما للقاءِ وللِفراقِ دوام
ويعزُّ نصرَكَ والخطوبُ جِسام
حتى يهزَّ لواءها مِقدام
فرحاً ، وطال تشوُّفٌ وقيام
في البحرِ تحفُّقٌ فوقه الأعلام ؟

* * *

يا معشرَ الإسلامِ ، في أسطولكم
جودوا عليه بمالككم ، واقتضوا له
لا الهندُ قد كُرمَتْ ، ولا مصرُ سَخَتْ
سيلُ الممالكِ جارِفٌ من شدَّةِ
حبِّ السيادةِ في شمائلِ دينكم
والعلمُ من آياته الكبرى إذا
لو تُقرِّئون صِغارَكم تاريخه
كم واثقٍ بالنفسِ ، نهاضٍ بها
عزُّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلام
ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام
والغربُ قَصْرٌ عن ندَى ، والشام
وقوى ، وأنتم في الطريقِ نيام
والجدُّ روحٌ منه والإقدام
رجعت إلى آياته الأقوام
عرف البنون المجدَّ كيف يُرام
ساد البرية فيه وهو عصامُ

- ١ طرغود : هو من أبطال البحر العثماني ، جعلت الحكومة التركية اسمه كذلك علماً لبارجة أخرى .
- ٢ وهو عصام : أي كعصام ، وهو رجل شرف بنفسه وعمله ، فضرب به المثل في ذلك .

الأندلس الجديدة

يا أختَ أندلسٍ ، عليكِ سلامٌ هَوَتْ الخِلافةُ عنكِ ، والإسلامُ^١
 نزل الهلالُ عن السماء ، فليتها طُوِيَتْ ، وعمَّ العالمين ظلام
 أزرى به ، وأزاله عن أوجهِ قَدَرٌ يَحُطُّ البدرُ وهو تمام
 جُرحانٍ تمضي الأمان عليهما هذا يسيل ، وذاك لا يلتام^٢
 بكما أُصِيبَ المسلمون ، وفيكما دُفِنَ اليراعُ ، وعُيِّبَ الصَّمصام
 لم يُطَوَّ مَأْتَمُها ، وهذا مَأْتَمٌ لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا
 ما بينَ مَصْرِعِها ومَصْرِعِكَ انقضت فيما نُحِبُّ ونكره الأيام
 خلت القرونُ كليلَةً ، وتصرَّمت دولُ الفتوحِ كأنها أحلام
 والدهرُ لا يَأْلُو الممالكَ منذراً فإذا غفلنَ فما عليه ملام

* * *

مقدونيا - والمسلمون عشيرة - كيف الخُثُولَةُ فيكِ والأعمام ؟
 أترئُّنهم هانوا ، وكان بعزهم وعلوهم يتخايلُ الإسلام ؟
 إذ أنتِ نابُ الليثِ ، كل كتيبة طلعت عليكِ فريسةٌ وطعام
 ما زالت الأيامُ حتى بُدِّلَتْ وتغيَّرَ الساقى ، وحالَ اجام

- ١ يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة ، وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية ، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنبياء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٢ .
 ٢ جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم ، والأمان : هما العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

أرأيت كيف أُدبِلَ من أَسَدِ الشَّرِّى
 زعموك هَمًّا للخِلافةِ ناصباً
 ويقول قومٌ : كنتِ أشأمَ مؤرِدِ
 ويرالكِ داءُ المُلكِ ناسُ جَهالةِ
 لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشهم
 وهم يُقَيِّدُ بعضهم بعضاً به
 صورُ العُنى شئى ، وأقبحها إذا
 ولقد يُقامُ من السيوفِ ، وليس من
 وشهدتِ كيف أُيحتِ الآجامُ ١
 وهل المالكُ راحةً ومنام ؟
 وأراكِ سائغةً عليكِ زحام
 بالمُلكِ منهم علةٌ وسقام
 رُكناً على هامِ النجومِ يُقام
 وقبوءُ هذا العالمِ الأوهام
 نظرتُ بغيرِ عيونهنَّ الهام
 عثرتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

* * *

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلتُ : لعله
 تركَ الفريقانِ القتالَ ، وهذه
 ينعي إلينا الملكُ ناعٍ لم يطأ
 برقِ جوائبه صواعقُ كُلِّها
 إن كان شرٌّ ، زار غيرَ مفارقِ
 بالأمسَ أفريقيا تَوَلَّتْ ، وانقضى
 نظمَ الهلالِ بهِ ممالكَ أربعاً
 من فتحِ هاشمٍ أو أمية ، لم يُضِعْ
 واليومَ حكمُ الله في مقدونيا
 كانت من الغربِ البقية ، فانقضت
 خيرٌ ، عسى أن تصدقَ الأحلام
 سَلِمَ أمرٌ من القتالِ عَقَام
 أرضاً ، ولا انتقلت به أقدام
 ومن البروقِ صواعقُ وغمام
 أو كان خيرٌ ، فالمرارُ لِهَام
 مُلكٌ على جيدِ الخِصمِ جسام
 أصبحنَ ليس لعقدِهِنَّ نظام
 أساسها تَتَرَّ ولا أعجام
 لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام
 فعلى بَنِي عِثانَ فيه سلام !

* * *

- ١ الشرى : مكان تكثر فيه الأسود .
- ٢ الجوائب : الأخبار الطارئة . جمع جائبة .
- ٣ ممالك أربعاً ، هن : مصر ، وطرابلس ، وتونس والجزائر .
- ٤ من فتح هاشم أو أمية : أي هذه الممالك الأربع مما فتحه بنو هاشم وبنو أمية في عصر الإسلام الأول .

أَخَذَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى بِخَنَاقِهَا
 غَطَّتْ بِهِ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ وَجُوهَهَا
 تَمْشِي الْمَنَاكِرُ بَيْنَ أَيْدِي خَيْلِهِ
 وَيَحْتَهُ بِاسْمِ الْكِتَابِ أَقْسَةُ
 وَمُسَبِّطُونَ عَلَى الْمَمَالِكِ ، سَحَرَتْ
 مِنْ كُلِّ جَزَارٍ يَوْمَ الصَّدْرِ فِي
 سِكِّينِهِ ، وَبَيْئُهُ ، وَحِزَامِهِ
 جَيْشٌ مِنَ الْمُتَحَالِفِينَ لَهُمْ^١
 وَكَسَتْ مَنَاكِبَهَا بِهِ الْأَكَامُ
 أَنَّى مَشَى ، وَالْبَغْيُ ، وَالْإِجْرَامُ
 نَشَطُوا لِمَا هُوَ فِي الْكِتَابِ حَرَامُ
 لَهُمُ الشُّعُوبُ ، كَأَنَّهَا أَنْعَامُ
 نَادِيَ الْمُلُوكِ ، وَجَدُّهُ غَنَامُ
 وَالصُّوُلِحَانُ ، جَمِيعُهَا آثَامُ^٢

* * *

«عِيسَى» ، سَبِيلُكَ رَحْمَةً ، وَتَحَبُّةً
 مَا كُنْتَ سَفَاكَ الدَّمَاءِ ، وَلَا أَمْرًا
 يَأْخُذُ بِالْآلَامِ عَنْ هَذَا الْوَرَى
 أَنْتَ الَّذِي جَعَلَ الْعِبَادَ جَمِيعَهُمْ
 أَنْتَ الْقِيَامَةُ فِي وَلايَةِ يَوْسُفَ
 كَمْ هَاجَهُ صَيْدُ الْمُلُوكِ وَهَاجَهُمُ
 الْبَغْيُ فِي دِينِ الْجَمِيعِ دَنِيَّةً
 وَالْيَوْمَ يَهْتَفُ بِالصَّلِيبِ عَصَائِبُ
 خَلَطُوا صَلِيلَكَ وَالْخَنَاجَرَ وَالْمُدَى
 أَوْ مَا تَرَاهُمْ ذَبَّحُوا جِيرَانَهُمْ
 كَمْ مُرْضِعٍ فِي حِجَرٍ نَعْمَتُهُ غَدَاً
 فِي الْعَالَمِينَ ، وَعَصْمَةٌ ، وَسَلَامُ
 هَانَ الضَّعَافُ عَلَيْهِ وَالْأَيْتَامُ
 كَثُرَتْ عَلَيْهِ بِاسْمِكَ الْآلَامُ
 رَحِمًا ، وَبِاسْمِكَ تُقَطِّعُ الْأَرْحَامُ
 وَالْيَوْمَ بِاسْمِكَ مَرَّتَيْنِ تَقَامُ^٣
 وَتُكَافَأُ الْفُرْسَانُ وَالْأَعْلَامُ
 وَالسَّلَامُ عَهْدٌ ، وَالْقِتَالُ زِمَامُ
 هُمْ لِلْإِلَهِ وَرُوحِهِ ظَلَامُ
 كُلُّ أَدَاةٍ لِلْأَذَى وَحَامُ
 بَيْنَ الثِّيُوتِ كَأَنَّهُمْ أَغْنَامُ ؟
 وَلَهُ عَلَى حَدِّ السِّيفِ فِطَامُ

١ المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا ، والبلغار ، والصرب ، تحالفوا على حرب الدولة التركية .

٢ الصولحان : المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس .

٣ يوسف : هو السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي ، قامت في أيامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم .

وصيبي هتكت خميلة طهرها
وأخي ثمانين استبيح وقاره
وجريح حرب ظامي وأدوه ، لم
ومهاجرين تنكرت أوطانهم
السيف إن ركبوا الفرار سبلهم
يتلفتون مودعين ديارهم
وتناثرت عن نوره الأكام
لم يُغن عنه الضعف والأعوام
يعطفهم جرح دم وأوام
ضلوا السيل من الذهول وهاموا
والنطح إن طلبوا القرار مقام^١
واللحظ ماء ، والديار ضرام

* * *

يا أمة بفروق فرق بينهم
فيم التخاذل بينكم ووراءكم
الله يشهد لم أكن متحزباً ،
وإذا دعوت إلى الوثام فشاعر^٢
من يضجر البلوى فغاية جهده
لا يأخذن على العواقب بعضكم
تقضي على المرء الليالي ، أو له
من عادة التاريخ ملء قضائه
ما ليس يدفعه المهتد مصلاً^٣
إن الألى فتحوا الفتوح جلائلاً
هذا جناه عليكم آباؤكم
رفعوا على السيف البناء ، فلم يدم
قدّر تطيش إذا أتى الأحلام^٤
أم تضاع حقوقها وتضام ؟
في الرزء لا شيع ولا أحزام^٣
أقصى مناء محبة ووثام
رجعى إلى الأقدار واستسلام
بعضاً ، فقدماً جارت الأحكام
فالحمد من سلطانها ، والذام
عدل وملء كينانته سهام^٤
لا الكتب تدفعه ، ولا الأقلام
دخلوا على الأسد الغياض وناموا
صبراً وصفحاً ، فالجناة كرام
ما للبناء على السيوف دوام

١ النظم : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه .

٢ فروق : الاستانة .

٣ الرزء : المصيبة .

٤ الكناتان : تنية كنانة ، وهي جعبة السهام ، من الجلد أو من الخشب .

أَبْقَى الْمَالِكُ مَا الْمَعَارِفُ أَسُهُ
فَإِذَا جَرَى رَشْدًا وَبِمَنَّا أَمْرُكُمْ
وَدَعُوا التَّفَاخَرَ بِالثَّرَاتِ وَإِنْ غَلَا
إِنَّ الْغُرُورَ إِذَا تَمَلَّكَ أُمَّةً
لَا يَعْدِلُنَ الْمَلِكُ فِي شَهَوَاتِكُمْ
وَمَنَاصِبَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، كَمَا
الْمَلِكُ مَرْتَبَةُ الشُّعُوبِ ، فَإِنْ يَفْتُ
وَمِنْ الْبَهَائِمِ مَشْبَعٌ وَمُدْلَلٌ
وَقَفَ الزَّمَانُ بِكُمْ كَمَوْقِفِ «طَارِق»
الصَّبْرِ وَالْإِقْدَامُ فِيهِ إِذَا هُمَا
يُحْصِي الدَّلِيلُ مَدَى مَطَالِبِهِ ، وَلَا
هَذِي الْبَقِيَّةُ - لَوْ حَرَصْتُمْ - دَوْلَةٌ
قَسَمَ الْأُمَمَةَ وَالْخَلَائِفَ قَبْلَكُمْ
سَرَتِ النَّبِيُّ فِي طَهْوَرِ فُضَائِهِ
وَتَدْفَقُ النِّهْرَانُ فِيهِ ، وَأَزْهَرَتْ
أَثَرَتْ سَوَاحِلُهُ ، وَطَابَتْ أَرْضُهُ

وَالْعَدْلُ فِيهِ حَاطَظٌ وَدِعَامُ
فَامَشَوْا بِنُورِ الْعِلْمِ ، فَهُوَ زِمَامُ
فَالْجَدُّ كَسْبٌ ، وَالزَّمَانُ عِصَامُ
كَالزَّهْرِ يُخْفِي الْمَوْتَ وَهُوَ زَوَامُ
عَرَضٌ مِنَ الدُّنْيَا بَدَأَ وَحُطَامُ
حَلَّتْ مَحَلَّ الْقُدْوَةِ الْأَصْنَامُ
عَرْ السِّيَادَةِ فَالشُّعُوبُ سَوَامُ
وَمِنْ الْحَرِيرِ شَكِيمَةٌ وَلِجَامُ
الْيَأْسُ خَلْفٌ ، وَالرَّجَاءُ أَمَامُ
قَتْلًا فَأَقْتُلْ مِنْهَا الْإِحْجَامُ
يُحْصِي مَدَى الْمُسْتَقْبَلِ الْمِقْدَامُ
صَالِ الرِّشِيدِ بِهَا ، وَطَالَ هِشَامُ
فِي الْأَرْضِ لَمْ تُعْدَلْ بِهِ الْأَقْسَامُ
وَمَشَى عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
بَغْدَادُ تَحْتَ ظِلَالِهِ ، وَالشَّامُ
فَالدَّرُّ لُجٌّ ، وَالنُّصَارُ رَغَامُ

* * *

شَرَفًا أَدْرَنَةُ ! هَكَذَا يَقِفُ الْحَمَى
وَتُرْدُّ بِالْدَمِ بَقْعَةً أَخَذَتْ بِهِ
لِلْغَاصِبِينَ ، وَتَثَبُّتُ الْأَقْدَامُ
وَيَمُوتُ دُونَ عَرِينِهِ الضَّرْغَامُ

- ١ كالزهر يخفي الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء في الأمكنة الضيقة ، فيحدث الاختناق .
- ٢ طارق : هو طارق بن زياد بطل الأندلس المشهور ، يروي بعض المؤرخين أنه لما عبر بجيشه البحر ليقاوم الأعداء ، أمر فأحرق السفائن ، ثم خطب في الجيش : ان البحر وراءه والعدو أمامه . فإذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منها غير الملاك .
- ٣ النهران : دجلة والفرات ، وبغداد : حاضرة العراق .

والملك يؤخذ ، أو يُرَدُّ ، ولم يزل
 عرضُ الخلافةِ ذاد عنه مجاهدٌ
 تستعصم الأوطانُ خلفَ طبائمه
 عثمان في بُردته يمنعُ جيشه
 عليمُ الزمانُ مكانَ شكري ، وانتهى
 يرثُ الحسامُ على البلادِ حسام
 في الله ، غازٍ في الرسول ، همام
 وتعرُّ حولَ قناته الأعلام
 وابنُ الوليد على الحمى قوامٌ
 شكرُ الزمانِ إليه والإعظام

* * *

صبراً أدركته ! كلُّ ملكٍ زائلٌ
 خفتَ الأذانُ ، فما عليكِ مُوَحَّدٌ
 وخبثُ مساجدُكن نوراً جامعاً
 يدرجنَ في حرمِ الصلاةِ قوائناً
 وعفتَ قبورُ الفاتحين ، وفُضَّ عن
 نُبشتِ على قعساءِ عزتها ، كما
 في ذمَّةِ التاريخِ خمسةُ أشهرٍ
 السيفُ عارٌ ، والوباءُ مُسلطٌ
 والجوعُ فتاكٌ ، وفيه صحابةٌ
 ضنوا بعرضك أن يُباعَ ويشترى
 ضاق الحصارُ كأنما حلقائه
 ورمى العدى ، ورميتهم بجهمٍ
 بغتِ العدوُّ بكلِّ شبرٍ مهجة
 ما زال بينك في الحصارِ وبينه
 حتى حواكٍ مقابراً ، وحويته
 يوماً ، ويبقى المالكُ العلام
 يسعى ، ولا الجُمُعُ الحِسانُ تُقام
 تمشي إليه الأسدُ والآرام
 يبيضُ الإزارُ ، كأنهن حِمام
 حفرَ الخلافُ جُندلٌ ورجام
 نُبشتِ على استعلائها الأهرام
 طالت عليكِ ، فكلُّ يومٍ عام
 والسيْلُ خوفٌ ، والثلوجُ رُكامٌ
 لو لم يجوعوا في الجهادِ لصاموا
 عرضُ الحرائرِ ليس فيه سُوام
 فلكٌ ، ومقذوفاتها أجرامٌ
 مما يصبُّ الله لا الأقوام
 وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام
 شُمُ الحصونِ ، ومثلهن عظام
 جُثثاً ، فلا عَيْنٌ ولا استِنام

- ١ ابن الوليد : هو خالد بن الوليد ، قائد عظيم من الصحابة .
- ٢ شكري : هو بطل أدركته ، وقائد حاميتها الذي تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار .
- ٣ السيف عار : أي مجرد من غمده كما يتجرد الإنسان من ثيابه .
- ٤ الفلك : مدار النجوم ، والأجرام ، هي الأجسام التي في الفلك .

ضيف أمير المؤمنين*

رضي المسلمون والإسلام
 كيف نحصي على غلاك ثناء ؟
 هل كلام العباد في الشمس إلا
 ومكان الإمام أعلى ، ولكن
 إيه «عبد الحميد» ، جلّ زمان
 ما رأيت مثل ذا الذي تبني الأفق
 دولة شاد ركنها ألف عام
 وأساس من عهد عثمان يُبَدِّ
 حكمة حال كل هذا التجلي
 يسأل الناس عندها الناس : هل في
 أم من الناس - بعد - من قوله وح
 صدق الخلق ؛ أنت هذا ، وهذا
 شرف باذخ ، وملك كبير
 عمر أنت ، بيد أنك ظل
 ما تتوجت بالخلافة حتى
 وسرى الخصب والماء ، ووافي ال

قرع عثمان ، دُم ، فذاك الدوام
 لك منك الثناء والإكرام
 أنها الشمس ليس فيها كلام ؟
 بأحاديثه يتبى الأنام
 أنت فيه خليفة وإمام
 حوام مجداً ، ولن يرى الأقوام
 ومثالث ، تعيدها أعوام
 في ثمان ومثلهن يُقام
 دونها أن تنالها الأفهام
 الناس ذو المقلة التي لا تنام ؟
 حي كريم ، وفعله إلهام ؟
 يا عظيماً ما جازه إعظام
 ويمين بسط ، وأمر جسم
 للبرايا ، وعصمة ، وسلام
 تُوج البائسون والأيتام
 بشر ، والظل ، والجنى ، والغمام

* نزل صاحب الديوان بالاستانة ، فبلغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما أقام بها .

١ قرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

٢ الخصب : رغد العيش . والجنى : ما يجني من الشجر .

وتلقَى الهلالَ منك جبينٌ
فسلامٌ عليهم وعليه
وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَدُوِّهِ
يهرعُ العرشُ ، والملوكُ إليه
هكذا الدهرُ : حالةٌ ، ثم ضدُّ
ولأت الذي رعيتهُ الأسدُ
أمةُ التركِ ، والعراقُ ، وأهلُو
عالمٍ لم يكن ليُنظَمَ ، لولا
هذْبتهُ السيوفُ في الدهرِ ، واليو
أيقولون : سكرةٌ لن تجلَى
ليذوقنَّ للمُهلهلِ صَخْوَ
وضع الشرقُ في يديك يديه
بالولاء الذي تُريد الأيادي
غير غاوٍ ، أو خائنٍ ، أو حسود
كيف تُهدى لما تشيد عيونُ
مُقل عانت الظلامَ طويلاً
قد تعيش النفوسُ في الضيمِ حتى
أيها النافرون ، عودوا إلينا
غرضٌ أنتم ، وفي الدهر سهمٌ

فيه حسنٌ ، وبالعفاة غرام
يومَ حيتهمُ به الأيام
حيالكُ في الذروة التي لا تُرام
وبنو العصر ، والولاةُ الفخام
ما لحالي مع الزمان دوام
دُ ، ومَسْرَى ظلالها الآجام
ه ، ولبنانُ ، والربى ، والخيام
أنك السِّلْمُ وَسَطُهُ والوثام
مَ أتمتْ تهذيبه الأقسام
وقعودٌ مع الهوى ، وقيام ؟
تشرُف الكأسُ عنده والمدام
وأنت من حُماته الأقسام^١
والولاء الذي يريد المقام
برئت من أولئك الأحلام
في الثرى ملؤها حصى ورغام^٢
فعماها في أن يزولَ الظلامُ
لترى الضيمَ أنها لا تضام
ولجؤا البابَ ؛ إنه الإسلام
يومَ لا تدفعُ السهامَ السهام

- ١ المهلهل بكسر الهاء الثانية : هو عدي بن ربيعة ، أخو كليب ابن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء في الجاهلية ، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور في أيام العرب وحروبهم .
- ٢ الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع .
- ٣ لما تشيد : لما تبنى . والثرى : التراب ، وكذلك الرغام .
- ٤ مقل : جمع مقلة ، وهي العين .

نِمْتُمْ ، ثم تطلبون المعالي
شُرَّ عيش الرجال ما كان حُلماً
وبسبت الزمان أندلسياً
والمعالي على النيام حرام
قد تسبغ المنية الأحلام
ثم يُضحى وناسه أعجام

* * *

عالي الباب ، هُزَّ بأبكٍ مثلاً
وتجليت ، فاستلمنا ، كما للند
نستميحُ الإمام نصراً لمصر
فلمصر - وأنت بالحب أدرى -
يشهدُ الله للنفوس بهذا
وإلى السيد الخليفة نشكو
وعدوها لنا وعوداً كباراً
فللنا ، ولم يكُ الداء يحمي
يمنعُ القيدُ أن تقوم ، فهل تا
فارفع الصوت : إنها هي مصرُ
وارع مصرُ ولم تزل خير راعٍ
إن جهد الوفاء ما أنت آتٍ
وليصولوا بمن له الدهر عبدُ
فاللواء الذي تلقوا رفيعُ
من يُرد حقه فالحق أنصا
لا تروقنْ نومة الحق للبا
إن للوحش - والعظام منها -
فسعينا ، وفي النفوس مرام
ناس بالركن ذي الجلال استلام
مثلاً ينصرُ الحسام الحسام
بك - يا حامي الحمى - استعصام
وكفانا أن يشهد العلام
جور دهر ، أحراره ظلام
هل رأيت القرى علاها الجهام ؟
أن تملُّ الأرواح والأجسام
ج ؟ فبالتاج للبلاد قيام
وارفع الصوت : إنها الأهرام
فلها بالذي أرتك زمام
فليقم في وقائك الخدام
وله السعد تابع و غلام
والأمور التي تولوا عظام
ر كثير ، وفي الزمان كرام
غي ، فالحق هبة وانتقام
لننايا أسبابهن العظام

١ أندلسياً : أي كزمان الأندلس أيام عز العرب والإسلام فيها .

٢ تجليت : ظهرت . والركن : ركن الكعبة . والاستلام ، اللبس إما بالقبلة أو باليد .

رافع الضاد للسُّها ، هل قبولٌ
 قامت الضادُ في في لك حُبًّا
 إن في «يلدز» الهوى لَخلالا
 قد تجلَّت لخير بدرٍ أقلَّت
 فالزم التَّم أيها البدرُ دوما
 فيباهي النجومَ هذا النظام ؟^١
 فَهني فيه تحيةً وابتسام
 أنا صبٌّ بلطفها ، مُستَهام^٢
 في كمالٍ بدت له أعلام
 فالزم البدرَ أيهذا العمام

١ . السها : كوكب خفي من بنات نعل الصغرى .

٢ . يلدز : قصر السلطان عبد الحميد في الاستانة .

ذكرى دنشواي*

يا دنشواي ، على ربّك سلامٌ
شهداء حُكمك في البلاد تفرّقوا
مرت عليهم في اللحد أهلةٌ
كيف الأرملة فيك بعد رجالها ؟
عشرون بيتاً أفقرت ، وانتابها
ياليت شعري : في البروج حائمٌ
«نيرون» ، لو أدركت عهد «كرومر»
لعرفت كيف تُنفذ الأحكام !

* * *

نوحى حائم دنشواي ، ورّوعي
إن نامت الأحياء خالت بينه
متوجّع ، يتمثل اليوم الذي
السوط يعمل ، والمشائق أربع
والمستشار إلى الفظائع ناظرٌ
في كل ناحية وكلّ محلة
وعلى وجوه الثاكين كآبةٌ
شعباً بوادي النيل ليس ينام
سحراً وبين فراشه الأحلام
ضجّت لشدة هوله الأقدام
متوحّجات والجنود قيام
تندمى جلود حوله وعظام
جزعاً من الملا الأسيف زحام
وعلى وجوه الثاكلات رغام

* قلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضية في سبيل طلب العفو عن سجنائها .

الهلل الأهر *

يا قوم عثمان - والدنيا مداولة -
كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به
أمسى السبيل لغير المحسنين دماً
البر من شعب الإيمان أفضلها
هل ترحمون - لعل الله يرحمكم -
في ذمة الله - أوفى ذمة - نفر
إن سال جرحاهم من غربة ووغي
هذا يحن إلى البسفور محتضراً
يودعون على بعد ديارهم
أذنبهم عند هذا الدهر أنهم
ماتوا ، وعرضهم الموفور بعدهم
قومي - وجلت وجوه القوم - مصر بكم
لا تسألون عن الأعوان إن قعدوا
أكلما هزكم داع لصالحه
لو صور الشرق إنساناً أها كرم

تعاونوا بينكم يا قوم عثمان
فالله قد جعل الإسلام بنيانا
فشأنكم وسيلاً نوره بانا
لا يقبل الله دون البر إيماناً
بالبعد أهلاً ، وبالصحراء جيراناً ؟
على طرائس يقضون شجعاناً
باتوا على الجمر أرواحاً وأبداناً
وذاك يبكي الغضا ، والشبح ، والبانا
وينشدون بُنَيَاتٍ وصياناً
يحمون أرضاً لهم ديس وأوطاناً ؟
والعرض لا عز في الدنيا إذا هانا
ألقى على كرماء الدهر نسياناً
وتنهضون إلى الملهوف أعواناً
فتم كهولاً إلى الداعي وفتياناً ؟
لكنتم الروح ، والأقوام جئاناً

* كانت جماعة الهلال الأحمر المصرية قد أحييت ليلة تجمع بها التبرعات ، لإعانة المقاتلين في طرابلس الغرب من الجيش العثماني ، حين أغارت إيطاليا عليها ، فقال في ذلك هذه القصيدة .
أكلما : الهمة للإستفهام .

إذا هُرِزْتُمْ تَلَقَى السِّيفُ مَنْصِلَتَا^١ والريحُ مُرْسَلَةً ، والغَيْثُ هَتَّانَا^٢
إذا المكارمُ في الدنيا أُشِيدَ بها كانت كتاباً ، وكنا نحن عُنوانا
إنَّ الحَيَاةَ نَهَارٌ أو سَحَابَةٌ فَعِشْ نَهَارَكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانَا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ ولا أرى لبخيلِ القومِ وجداناً^٣

■ * *

هذا الهلالُ الذي تُحْيُونَ ليلته أبهى الأهلَّةِ عند الله ألواناً^٤
أراه من بين أعلامِ الوَعْيِ مَلَكاً وما سواه من الأعلامِ شيطاناً
فإنَّ ، ففيه من الجَرْحِ مُشَاكَلَةً حتى إذا قِيلَ ماتوا اخضُرَّ رَيْحَانَا
لخامليه جلالٌ منه مَقْتَبَسٌ كأنما رفعوا للناسِ قُرْآنَا
كان ما احمر منه حول عُرْتِهِ دمُ البريء ذِكْيُ الشَّيْبِ عُثْمَانَا^٥
كان ما ابيضَّ في أثناء حُمْرته نورُ الشهيد الذي قد مات ظمآنَا
كانه شفقٌ تسمو العيون له قد قَلَدَ الأفقَ ياقوتاً ومَرَجَانَا
كانه من دم العُشاقِ مَخْتَضَبٌ يُثِيرُ حيثُ بدا وجداً وأشجانَا
كانه من جبالِ رائِعٍ وهْدَى خدودُ يوسفَ لما عَفَّ وَلَهَانَا
كانه وردةٌ حمراءُ زاهيةٌ في الحُلْدِ قد قُتِحَتْ في كَفِّ رِضْوَانَا

١ السيف المنصلت : المجرد من غمده .

٢ الوجدان والعاطفة : من استعمالات المولدين ، يراد بها الشعور القلبي .

٣ الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهي حمراء اللون في وسطها رسم الهلال ببلون أبيض .

٤ الغرة : يياض في جبهة الفرس قدر الدرهم .

٥ رضوان : من الملائكة ، وهو - كما يقول رجال الدين - موكل بأبواب الجنة .

رومة*

صديقي المحترم :

صدرت^١ عن باريس وكأنها بابل ذات البرج والجسر وهي في دولتها ، أو طيبة^٢ في الزمن الأول ، إلا أنها مدينة الشمس ، وباريس مدينة النور ، أو رومة^٣ مقر القياصر ، ومزدحم الأجناس والعناصر ، وهي في رفعة ملكيها الفاخر ، تموج بالأهم كالبحر الزاخر ، أو الإسكندرية^٣ ذات المسلة - والمسلة في باريس - وهي في ذروة سعتها ، وأوج كمالها ، تُغيّر الشمس في سرير مجدها بجلاها وجالها ، أو « بغداد » في إبان إقبالها ، وسلطان أقبالها ، وأمين أمرها ، وأسعد حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى « مدينة المعرض » الأسماء كلها ، وجلت قدرته ، بعث المدائن في واحدة .

رحلت عنها في اليوم الذي أسفر صباحه عن ليلة الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ، وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون ، كلهم من مشهوري الصنّاع ، وكبار المخترعين ، شيعوا في ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه ، وكأنه نهار مرّ ، أو ليلة تقضت بالسمر ، ثم انقلبنا ننفض الأنامل

* نظم صاحب الديوان هذه القصيدة ، وقدمها بكتاب إلى صديقه المؤرخ الأستاذ إسماعيل بك رأفت .

١ صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر في آسيا الصغرى .

٢ طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك في بعض الأزمنة ، وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس .

٣ الاسكندرية : المدينة الثانية في الدولة المصرية ، مشهورة في التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة ، والمسلة التي في باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

من تراه ، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغرر والتحجيل ، يذكره التاريخُ
 بالتعظيم والتبجيل ، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان ورُفعت الحجب بين الحقائق
 والإنسان ، ضُربت له أطولُ سماءٍ من ضروب العرفان ، واستمد من القادر^١ مبالغ
 الإمكان ، فاقْتاد البرّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة ، وفرّق^٢ الأرض وبلغ الجبال ،
 وأوشك أن يمدّ إلى السماء بجبال ، ونفَذَ على النجم المدى ، ووجد على القطب
 هدى ، وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواء ، وكسر شرّة الداء
 وقتل قتّاله وراض العياء ، ودخل بصره على الجسم الأحشاء ، وأنطق الآلة
 الصماء ، ونقل الحديث من فضاء إلى فضاء ، على انقطاع الصلّة بين النطق
 والإصغاء ، وحرك الصُّورَ وهي هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء ، ونال
 سرائرَ الحُبوباء ، وخاض في الطبائع والأهواء ، فأنكشف له الغطاء وبرح الخفاء ،
 ونثر فكاد يوحى إليه في الإنشاء ، ونظم فلم يدع من آية في الأرض ولا في
 السماء .

كل هذا أيها الأستاذ عرضته (باريس) للناس في خير معرضٍ أخرج لهم ،
 فوهاً له من سوقٍ ثم ينفضّ ، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينفض .
 برحمتها وهي تجر الذيلَ على المدائن الكُبرى ، وتزري بالحضارات ما حضر منها
 وما غبر ، وقصدت إلى رومةَ لعلّي أرد النفسَ إلى الخشوع ، وأداوي الفؤادَ من
 نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم ، وحجر كان لكرامته
 يُستلم^٣ ، فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدارَ وأنشد ذلك القصر وتلك الدار ، إلى
 أن ثار الشعر - والشعر ابن أبوين : « التاريخ ، والطبيعة » - فنظمت ، وكأني
 بها في يدك تقرأ .

١ القادر : اسم من أسماء الله تعالى .

٢ فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وابان مسالكها .

٣ استلم الحجر : لمسه بالقبلة أو باليد .

أحبُّ التوفيقَ إليَّ - أيها الأستاذ - إكرام العالم ، وإجلال الصديق ، وأنت لي - بحمد الله - هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر؟

* * *

قِفْ بروما ، وشاهد الأمر ، واشهد
دولةً في الثرى ، وأنقاضُ مُلكٍ
مَزَقَتْ تاجَه الخطوبُ ، وألقت
طللُ ، عند دِمْنَةٍ ، عند رسمٍ
وتماثيلُ كالحقائقِ ، تردا
من رآها يقولُ : هَذي ملوكُ
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ
عبثَ الدهرُ بالحواريِّ فيها
وجرت ها هنا أمورٌ كبارٌ
راح دينٌ ، وجاء دينٌ ، وولّى
والذي حصَلَ المجدون إهرا
ليتَ شعري . إلَامَ يقتل النّا
بلدٌ كان للنصارى قتاداً
وشعوبٌ يمحون آيةَ عيسى
ويُهينون صاحبَ الروح ميتاً
عالمٌ قَلْبٌ ، وأحلامُ خَلَقِ

أَنْ لِلْمُلْكِ مالِكاً سَبْحَانَهُ
هَدَمَ الدهرُ في العُلا بنيانه¹
في الترابِ الذي أرى صولجانه
ككتابٍ مَجَا البلى عُنوانه
دُ وضوحاً على المدى وإبانه
الدهرُ ، هذا وقارهم والرزانه
بين أخذِ البلى ودفعِ المتانه
و «يوليوس» لم يَهَبْ أرجوانه²
واصل الدهرُ بعدها جَريانه
ملكٌ قومٍ ، وحلَّ ملكٌ مكانه
قُ دماءُ خَلِيقَةٍ بالصيانة
سُ على ذي الدِّيَةِ الفتانه³
صار ملكُ القُسوسِ ، عرش الديانه⁴
ثم يُعلون في البريّةِ شانه
وَيُعِزُّون بعده أكفانه
تتبارى غباوةً وفطانه

١ الثرى : التراب .

٢ يوليوس : هو يوليوس قيصر أحد قياصرة الرومان الأقدمين .

٣ الدنية الفتانة : هي الدنيا .

٤ القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

رومة الزهو في الشرائع ، والحكم
 والتناهي ، فما تعدى عزيزاً
 ما لحي لم يُنس منك قبيل
 يصبحُ الناسُ فيك مولى وعبداً
 أين مُلكٌ في الشرق والغربِ عالٍ
 قادرٌ ، يمسحُ الممالكَ أعما
 أين مالٌ جَبَّته ، ورعايا
 أين أشرافك الذين طَعَوْا في الدهر
 أين قاضيك ؟ ما أناخ عليه ؟
 قد رأينا عليك آثارَ حزنٍ
 اقصري ، واسألِي عن الدهر مصراً
 إنَّ من قرَّق العبادَ شعوباً
 هبَّكَ أفنيت بالحدادِ الليلي

حمة في الحُكم ، والهوى ، والمجانة
 فيك عِزٌّ ، ولا مَهِيناً مهانه
 أو بلادٌ يُعدها أوطانه
 ويرى عبدك الورى غِلمانه
 تحسُدُ الشمسُ في الضحى سلطانه ؟
 لأ ، ويعطي وَسِيعَها أعوانه
 كلَّهم خازنٌ ، وأنتِ الخزانة ؟
 بر حتى أذاقهم طغيانه ؟
 أين ناديك ؟ ما دهَى شيخانه ؟
 ومن الدُّور ما ترى أحزانَه
 هل قضتْ مرَّتَيْنِ منه اللَّبانة ؟
 جعل القِسطَ بينها ميزانه
 لن تُردِّي على الورى رومانه

١ أين ناديك : المراد به دار ندوة الرومان ، وكانت هي ما نسميه الآن في النظم الدستورية مجلس الشيوخ .

على قبر نابليون

قَفِهَ على كثر بباريسَ دفينُ
وافْتَقَدَ جوهرةً من شرف
قد توارَتْ في الثرى ، حتى إذا
غَرَبَتْ حتى إذا ما استبأست
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتها
لا تلوموها ، أليست حرّة
غَيَّبَتْ باريسُ ذخراً ، ومضى
نزلَ الأرضَ ، ولكن بعد ما
أعْظُمُ الليثُ تلقاها الثرى
وحوى الغمدُ بقايا صارمٍ
شَدَّ الناسُ عليه ، وبنوا
لست تُحصي حوله ألوية
نامَ عنها وهي في سُدَّتِهِ
وكأيُّ من عدوٍّ كاشحٍ
ووليٍّ كان يسقيك الهوى
فإذا استكرمتَ وُدّاً فأنهم

من فريد في المعاني وثمان
صَدَفُ الدهرِ يترتها ضنين
قَدُمُ العهدِ توارت في السنين
دنت الدارُ ، ولكن لات حين
وأذابته تباريحُ الحنين
وهوى الأوطانِ للأحرار دين ؟
تُرْبُها القِيمُ بالحِزْرِ الحصين
نزلَ التاريخُ قَبْرَ التابِغين
ورفاتُ النسرِ حازته الوكون
لم تُقَلِّبْ مثله أيدي القُيون
حائطُ الشكِّ على أَسِّ اليقين
أُسِرَتْ أَمْسٍ ، وراياتُ سُبُين
ديدَبَانُ ساهرُ الجَفْنِ أمين
لك بالأمس هو اليومَ خَدِين
عسلاً قد بات يسقيك الوزين
جوهْرُ الود - وإن صحَّ - ظنين

* * *

١ الحرز : الموضع الحصين .

مَرَمَرٌ أَضْجَعٌ فِي مَسْنُونِهِ
 جَلَّلَتْهُ هَيْبَةُ الثَّائِي بِهِ
 هَلْ دَرَى الْمَرَمَرُ مَاذَا تَحْتَهُ
 أَيُّهَا الْغَالُونَ فِي أَجْدَاثِهِمْ
 يَمْحِي الْمَيْتُ ، وَيَبْلَى رَمْسُهُ
 حَصَّنُوا مَا شَتَّمُ مَوْتَاكُمْ !
 لَيْسَ فِي قَبْرِ - وَإِنْ نَالَ السَّهْمَا -
 فَانْزِلِ التَّارِيخَ قَبْرًا ، أَوْ فَنَمُ
 وَاخْذَعِ الْأَحْيَاءَ مَا شَتَّ ، فَلَنْ

حَجَرُ الْأَرْضِ وَضِرْغَامُ الْعَرِينِ^١
 رَوْعَةُ الْحِكْمَةِ فِي الشَّعْرِ الرَّصِينِ^٢
 مِنْ قُوَى نَفْسٍ ، وَمَنْ خَلَقَ مَتْنٍ ؟
 ابْحَثُوا فِي الْأَرْضِ : هَلْ عَيْسَى دَفِينٌ ؟
 وَيَقُولُ الرَّبِيعُ مَا غَالَ الْقَطِينُ
 هَلْ وَزَاءُ الْمَوْتِ مِنْ حَصْنٍ حَصِينٍ ؟
 مَا يَزِيدُ الْمَيْتَ وَزَنًا وَيَزِينُ
 فِي الثَّرَى عُقْلًا كَبَعْضِ الْهَامِدِينَ
 تَجِدُ التَّارِيخَ فِي الْمُنْخَدَعِينَ !

* * *

يَا عَصَامِيَا حَوَى الْمَجْدَ سَوَى
 أُمِّكَ النَّفْسُ قَدِيمًا أَكْرَمَتْ
 نَسَبُ الْبَدْرِ أَوْ الشَّمْسِ - إِذَا
 وَأَصُولُ الْخَمْرِ مَا أَزْكَى عَلَى
 لَا يَقُولَنَّ امْرَأٌ : أَضْلِي ، فَمَا
 قَدْ تَوَجَّعَتْ ، فَقَالَتْ أُمِّم :
 وَتَزَوَّجَتْ ، فَقَالُوا : مَا لَهُ
 قَسَمًا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا

فَضْلَةٌ قَدْ قُسِّمَتْ فِي الْمُعْرِقِينَ
 وَأَبُوكَ الْفَضْلُ خَيْرُ الْمُنْجِينَ
 جِيءَ بِالْآبَاءِ - مَغْمُورٌ رَهِينُ
 خَبَثٌ مَا قَدْ فَعَلْتَ بِالْشَّارِينَ
 أَصْلُهُ مَسْكٌ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينُ
 وَلَكِنَّ الثَّوْرَةَ عَقٌّ الثَّائِرِينَ
 وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَلِكِ عَيْنٌ ؟^٣
 لَا يَعِفُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ

* * *

١ المرمز المسنون : المصقول . وحجر الأرض : كناية عن محورها والمراد به نابليون . والضرغام الأسد .

٢ الثاوي : المقيم .

٣ يشير إلى زواجه من ماري لويز ابنة امبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمَّةً
يصلحُ الملكُ على طائفةٍ
ملأوا الدنيا ، على قَتْلِهِمْ
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلَعُوا
قد أقاموا قدوةً صالحةً
إنما الأسوةُ - والدنيا أَسَى -
يا صريحَ الموتِ ندمانَ البلى
كِدْتَ من قتلِ المنايا خبرةً
يا مبيدَ الأسدِ في آجامِها
يا عزيزَ السجنِ بالبابِ ، إلى
ربِّ يومٍ لك جَلَى واثنى
أحرزَ الغايةَ نصراً غالباً
قيصراً الأنسابِ فيه نازلاً
مُجْلِسَ التاجِ على مفرقه
حولَ أوسترلتر كان المتلقي
وُضِعَ الشطرنجُ ، فاستقبلته
فإذا المَلَكُان : هذا خاضعُ

لم ينالوا حظَّهم في النابغين ؟
هم جبالُ الأرض حيناً بعد حين
وقديماً مُلِئَتْ بالمرسلين
وبهم يزدادُ حسناً آفلين^١
ومضوا أمثلةً للمحتدين
سببُ العُمران ، نظمُ العالمين
كلُّ حيٍّ بالذي ذُقت رهين
تعلمُ الآجالَ أيَّانَ تحين^٢ ؟
هل أبادت خيلك الدودَ المهين ؟
كم تردَّى في الثرى ذلُّ السجين ؟
سائلَ العرَّةِ ممسوحَ الجبين
لفرنسا ، وحوى الفتحةَ اللين
قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين^٣
بيديه لا بأيدي المُجْلِسِينَ^٤
واصطدامُ التَّسْرِ بالمستسمرين^٥
ببينانٍ عابثٍ باللاعبين
لك في الجمعِ ، وهذا مُستكين

- ١ أقول النجم : غروبه ، والمراد به هنا الموت .
- ٢ يشير إلى قول نابليون : « إن الرصاصة التي تحرق هذا الصدر لم تخلق بعد » يقول : إنك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال .
- ٣ يريد بقيصري الأنساب : ملكي روسيا والتمسا ، وقد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون ، وهو الذي سود نفسه ولم تسوده الأنساب .
- ٤ الإشارة إلى نابليون ، يشير إلى أنه هو الذي توج نفسه بيده يوم قدم إليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقاً في هذا العمل .
- ٥ أسترلتر : موقعة من المواقع التي انتصر فيها نابليون .

صِدَّتْ شَاهَ الرُّوسِ وَالْمَسَا مَعاً مِنْ رَأَى شَاهَتَيْنِ صِيدَا فِي كَمِينِ ؟

* * *

يَا مُلَقًى النَّصْرِ فِي أَحْلَامِهِ	أَيْنَ مِنْ وَادِي الْكُرَى (سَنْتْ هَلِين) ؟ ^١
يَا مُنِيلَ التَّاجِ فِي الْمَهْدِ ابْنَهُ	مَا الَّذِي غَرَّكَ بِالْغَيْبِ الْجَنِينِ ؟ ^٢
أَتَيْدُ فِي أُمَةٍ أَرْهَقَتْهَا	إِنَّمَا كَالنَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ
أَتَعَبَ الرِّيحَ مَدَى مَا سَلَكَتْ	مِنْ سُهُولٍ وَأَجَازَتْ مِنْ حُزُونِ
مَنْ أَدِيمَ يَهْرَأُ الدَّبَّ ، إِلَى	فَلَوَاتٍ تُنْضِجُ الْقَصَبَ الْكَنِينِ
لَكَ فِي كُلِّ مُغَارٍ غَارَةٌ	وَعَلَيْهَا الدَّمْعُ فِيهِ وَالْأَنِينِ
وَمَنْ الْمَكْرِ تَغْنِيكَ بِهَا	هَلْ يُزَكِّي الذَّبْحَ غَيْرَ الذَّابِحِينَ ؟
سُحَّرَ النَّاسُ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا	لِقَوِي ، أَوْ غَنِي ، أَوْ مُبِينِ
وَالْجَمَاعَاتُ ثَنَايَا الْمُرْتَقَى	فِي الْمَعَالِي ، وَجُسُورُ الْعَابِرِينَ

* * *

يَا خَطِيبَ الدَّهْرِ ، هَلْ مَالُ الْبَلَى	بِلِسَانٍ كَانَ مِيزَانُ الشُّثُونِ ؟
تُرْجَعُ السَّلْمُ إِذَا حَرَّكَتَهُ	كِفَّةً ، أَوْ تُرْجَعُ الْحَرْبُ الرُّيُونِ
خُطْبُ لَا صَوْتٍ إِلَّا دَوْنَهَا	فِي صَدَاهَا الْخَيْلُ نَجْرِي وَالسِّنِينَ
مَنْ قَصِيرَ اللَّفْظِ ، فِي مَكْرِ الثَّهْمَى	وَطَوِيلِ الرُّمَحِ ، فِي كَيْدِ الْوَتِينِ
غَيْرَ وَضَّاعٍ ، وَلَا وَاشٍ ، وَلَا	مُنْكَرِ الْقَوْلِ ، وَلَا لَغْوِ الْيَمِينِ
سِرْنٍ أَمْثَالاً ، فَلَوْ لَمْ يُحْيِهِ	سَيْفُهُ أَحْيَيْتَهُ فِي الْغَابِرِينَ

* * *

قُمْ إِلَى الْأَهْرَامِ ، وَاخْشَعْ ، وَاطْرَحْ خَيْلَةَ الصَّيْدِ ، وَزَهْوَ الْفَاتِحِينَ^٣

١ سانت هيلين : الجزيرة التي نفي إليها نابليون .

٢ يشير إلى قول نابليون يوم بشر بولي عهده أو كما سماه « ملك روما » .

٣ الصيد : الملوك .

وتمهل ، إنما تمشي إلى
هو كالصخرة عند القبط ، أو
وتسّم منبراً من حجر
واذعُ أجيالاً تولّت يسمعوا
وأعدها كلماتٍ أربعاً
أهبت خيلاً ، وحضت فيلقاً
قد عرّضت الدهر والجيش معاً
ما علمنا قائداً في موطن
فترى الأحياء في معترك
عظّة قومي بها أولى وإن
هذه الأهرام تاريخهم
يا كثير الصّيد للصّيد العلاء
قم ترّ الدنيا كما غادرتها
وترّ الحقّ عزيزاً في القنا
وترّ الأمر يداً فوق يدي
وترّ العزّ لسيف نزيق
سنن كانت ، ونظم لم يزل

حرم الدهر ومحارب القرون
كالحطيم الطهر عند المسلمين
لم يكن قبلك حظّ الخاطبين
لك ، وابتعث في الأوالي حاشرين
قد أحاطت بالقرون الأربعين
وأحالت عسلاً صاب المنون
غاية قصر عنها الفاتحون
صفح الدهر ، وصف الدارعين
وترى الموتى عليهم مشرفين
بعد العهد ، فهل يعتبرون ؟
كيف من تاريخهم لا يستحون ؟
قم تأمل : كيف صادك المنون ؟
منزل الغدر وماء الخادعين
هيناً في العزل المستضعفين
وترّ الناس ذئاباً وضيئين
في بناء الملك ، أو رأي ززين
وفساد فوق باع المصلحين

١ يشير إلى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « أيها الجنود : إن أربعين قرناً تنظر إليكم من قمة الأهرام » .

دمعة وابتسامة*

إرفعي السُّرَّ وحيً بالجين^١ وأرينا فلقَ الصبحِ المين^٢
 وقفي الهودجَ فينا ساعةً^٣ نقتبسُ من نورِ أمِّ الحسين^٤
 واتركي فضلَ زماميه لنا^٥ تتناوبُ نحنُ والروحُ الأمين^٦
 قد سقنا بمُحَيَّاكِ الحيا^٧ ولقينا حَوْلَ يُمْنَاكِ اليمين^٨
 مَقْدَمَ قد قُرْنَ الخيرُ به^٩ ربَّ خيرٍ في وجوهِ القادمين^{١٠}
 قَسماً ما الخيرُ إلا وجهٌ^{١١} هي هذا الوجهُ للمستقبلين^{١٢}
 أَمْسَكَ النِّيلُ، فلما بُشِّرَتْ^{١٣} بكِ مصرٌ عادَ فياضَ اليمين^{١٤}
 أترع الوادي كما أترعته^{١٥} وتبارى التبرُّ والماءُ المعين^{١٦}
 بَرِيءُ الرِّفْقُ من السيفِ الذي^{١٧} منعَ الأمُّ ملاقاةَ البنين^{١٨}
 حَجَبَ النعمةَ حتى وَجَدَتْ^{١٩} بينها سداً وبين الشاكرين^{٢٠}

٥. عادت صاحبة السمو أم الحسين والددة الخديو السابق عباس الثاني بعد غيبة طويلة في تركيا وسبقها إلى العودة رفقات حفيدتها المرحوم الأمير عبد القادر وفي هذه القصيدة تهنئة لها بعودتها ، وتعزية عن الأمير الفقيد ، وإشارة إلى قطعة من تاريخ تركيا الحديث .

١ فلق الصبح : أوله .

٢ الهودج : محمل له قبة يركب فيه النساء .

٣ الروح الأمين : جبريل .

٤ الحيا : المطر . اليمين : الخير والبركة .

٥ أترع الوادي : ملأه . المعين : الجاري .

٦ يريد بالسيف : القوة التي حالت بينها وبين العودة إلى البلاد .

قَهَرَ الْأَيْتَامَ فِي عِيدِ النَّدَى مِهْرَجَانِ الْبَرِّ عُرْسُ الْبَائِسِينَ
 قَدْ مَشِينَا بَيْنَ حَدَّيْهِ إِلَى رَكْبِكَ الْمَحْرُوسِ بِاللَّهِ الْمُعِينُ
 خَطَرَ السُّرِّ فَكَبَّرْنَا كَمَا خَطَرَ الْمَصْحَفُ بَيْنَ التَّابِعِينَ
 وَحَدَوْنَاهُ إِلَى مُحْرَابِهِ وَأَنْخَنَاهُ لَدَى الْخَذَرِ الْكَتِينِ^١
 وَإِذَا الْقَصْرُ سَنَاءٌ وَسَنَى وَإِذَا هَالَاتُهُ عِزٌّ مَكِينٌ^٢
 وَإِذَا الدُّنْيَا عَلَيْهِ سَمْحَةٌ تُسْفِرُ الْأَمَالَ عَنْهَا وَتَيْنٌ^٣
 فَأُطْفِئْنَا بِالنَّدَى وَاسْتَلَمْتُ سُدَّةَ الْمَعْرُوفِ أَيْدِي اللَّائِذِينَ^٤

* * *

يَا مَثَلًا لِلْعَقِيلَاتِ الْعُلَا وَكِلَالًا لِنِسَاءِ الْعَالَمِينَ^٥
 وَجَمَالًا نَزَلْتُ آيَتُهُ مِنْ حِجَابِ اللَّهِ وَالْحَصْنِ الْحَصِينِ
 مَلَكَتُ نَفْسُكَ حَتَّى سَمِعْتُ ضَجَّةَ الْمَلِكِ وَهُمْ الْمَالِكِينَ
 دَوْلَةً مُهَذَّتٍ فِي كُرْسِيِّهَا وَحَمَلَتِ التَّاجَ فِيهَا أَرْبَعِينَ^٦
 رَبُّ يَوْمٍ عَدَّتْ فِيهِ مِنْ مَنَى وَمِنْ الْخَيْفِ وَمِنْ دَارِ الْأَمِينِ^٧
 مَنْ دَنَا مِنْ رَكْبِكَ الْعَالِي بِهِ آبَ فِي الْقَرْيَةِ مَعْدُومِ الْقَرِينِ

١ . حدا الإبل وحدا بها : ساقها وغنى لها . أناخ الجمل : أركبه . الكتين : المصون .

٢ . السناء : الرفعة . والسنى : الضوء . الحالة : دارة القمر .

٣ . تسفر ، أي تشرق . تين ، أي تظهر .

٤ . السدة : الباب أو الظلة فوقه .

٥ . العقيلات : جمع عقيلة ، وهي المرأة الكريمة المخدرة .

٦ . مهد له منزلة سنية : هيأها له .

٧ . منى : موضع بمكة . والخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود خلف أبي قبيس بمنى ، وبها

سمي مسجد الخيف . ودار الأمين : المدينة المنورة .

نُسِيتَ رَوْعَتُهُ فِي بَلَدٍ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ يُنْسَى بَعْدَ حِينٍ
لَا تَرُومِي غَيْرَ شِعْرِي مُوكِبًا إِنَّ شِعْرِي دَرَجَاتُ الْخَالِدِينَ
كُلُّ حَمْدٍ لَمْ أَصْغُهُ زَائِلٌ مُحَالِدُ الْحَمْدِ بِمَا صُغَتْ رَهِينُ
أَقْبِلِي أَحْسَنَ دُنْيَا أَقْبَلْتُ لِيَبْنِيَ الْأَمَالِ فِي أَحْسَنِ دِينِ
أَقْبِلِي صَبِيحًا لَأَنْقِضَ السُّرَى وَسَمَاءٌ لِلْعِجَافِ الْمُسْتَتِينَ^١
أَقْبِلِي كَالشَّمْسِ لَمْ تَجْعَلْ لَهَا مُوكِبًا أَوْ تَتَّخِذْ مِنْ حَاشِرِينَ^٢
أَقْبِلِي فِي بَحْرِكَ الطَّامِي إِذَا عَثَّ السِّيفُ بِمَوْجِ الْمُحْتَفِينَ
أَقْبِلِي كَالشَّمْسِ رَاقَتْ فِي الضُّحَى ثُمَّ رَاعَتْ فِي الْأَصِيلِ النَّاطِرِينَ
حَرَقَ الدَّهْرُ يَدَيْهِ، وَانْجَلَّتْ مِخْنَةُ النَّبْرِ عَنِ الْعِرْقِ الْمَتِينِ^٣
آبَ مِنْ قِيَمَتِكَ الدَّهْرُ كَمَا رَجَعَ النِّقْدُ مِنَ الشَّعْرِ الرَّصِينِ^٤

* * *

جَارَةُ الْإِسْلَامِ فِي مَحْنَتِهِ عَلَّمِي الْجَارَاتِ مِمَّا تَعْلَمِينَ
ذَكَرِيهِنَّ فَرُوقًا وَصِفِي طَلْعَةَ الْخَيْلِ عَلَيْهَا وَالسَّفِينِ^٥

-
- ١ الأنضاء : المهازيل : والسرى : السير ليلاً . السماء : المطر . والعجاف : المهازيل .
والمستتين : المجدين .
 - ٢ حشر الناس : جمعهم .
 - ٣ النبير : الذهب في تراب مئذنه . والعرق المتين : الذهب الخالص . ومحنة النبير : وضعه في النار
لاستخلاص المعدن من التراب . المعنى أن آلام الغربة زادتك جلالاً وأتت الدهر راغم ، كما
أكسبت النار النبير صفاء .
 - ٤ آب : رجع . والرصين : الكامل المتقن .
 - ٥ فروق : الآستانة .

وَوَلِيًّا لِلطَّوَاعِثِ بِهَا كَانَ يُدْعَى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^١
أَبَسَ الْإِسْلَامَ ذُلًّا وَكَسَا خُلَفَاءَ اللَّهِ أَثْوَابَ الْقُطَيْنِ^٢
كَانَ كَالصَّيَادِ فِي دَوْلَتِهِ دَوْلَةُ الْوَهْمِ وَمُلْكُ الْحَالِمِينَ^٣
أَمْرُهُ فِي السَّجَنِ غَايَ رَائِحَ وَهُوَ كَالغَادَةِ فِي الْقَصْرِ سَحِينِ
حَمَلَ الْأَعْبَاءَ عَنْهُ عَصَبَةٌ مَثَلُوا فِي الْمَلْعَبِ الْمُسْتَوْزِينَ^٤
قَدْ أَبَاحُوا دَمَ آسَادِ الشَّرَى فَازْدَرَاهُمْ وَجَرَى يَحْمِي الْعَرِينِ^٥
سَالَ دُونَ الْمُلْكِ حَتَّى انْتَأَشَ مِنْ إِمَامِ السُّوءِ وَالرَّهْطِ الْمَهِينِ^٦
مَحَقَّ الْفَرْدَ وَالْعَى حُكْمَهُ إِنْ حُكِمَ الْفَرْدُ مَرْدُولَ لَعِينِ^٧
قَدْ تَرَكْتَ التُّرْكَ فِي آجَامِهِمْ طُلُقَاءَ بَعْدَ رَقٍّ ظَافِرِينَ^٨
أَخَذُوا دَوْلَتَهُمْ مِنْ دِمِهِمْ بَدَلُوا الْغَالِي فَابُوا بِالثَّمِينِ
لَمْ يُوهِنَهُمْ وَلَمْ يَقْعُدْ بِهِمْ أَنْ يَكُونُوا عَشْرَاتٍ أَوْ مِثْنِ^٩
بَسَطُوا الْأَيْدِيَ إِلَى مِيثَاقِهِمْ وَإِلَى الْمَوْتِ عَلَيْهِ مُقْسِمِينَ^{١٠}
وَتَحَدَّوْا هَازِنًا يَنْعُتُهُمْ بِالْخَيَالِيِّينَ أَوْ بِالْهَازِنِينَ^{١١}

* * *

-
- ١ الطَّوَاعِثِ : جمع طاغوت ، وهو الشيطان . ويقصد بأمر المؤمنين السلطان وحيد الدين الذي ملاً أعداء بلاده فكان جزاؤه أن أنزل عن عرشه وطرد من البلاد .
 - ٢ القطين : الخدم .
 - ٣ يشير إلى قصة خليفة الصياد في كتاب ألف ليلة وليلة .
 - ٤ الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، والمقصود بالآساد هنا : الكماليون .
 - ٥ انتأش : تناول .
 - ٦ يشير إلى الانقلاب التركي الحديث وقيام الجمهورية على أنقاض الملكية .
 - ٧ لم يوهنهم : أي لم يضعفهم .
 - ٨ تحدّاه : نازعه الغلبة .

«أُمَّ عَبَّاسٍ» عَزَاءُ اللَّهِ إِنَّ عَيَّ بِالرَّزَّةِ عَزَاءُ الْمُخْلِصِينَ^١
غَيْرَ هَذَا الْجُرْحِ دَاوَى قَلَمِي هُوَ جُرْحِي وَهُوَ مُسْتَعَصِرُ كَمِينِ
وَأَنَا الْأَسَى جَرَاحَاتِ الْأَسَى وَإِنْ أَمْتَدَّتْ إِلَى أَصْلِ الْوَتِينِ^٢
غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ سَنُوا سُنَّةً وَأَنْ الْمَرْءَ بِمَا سَنُوا يَدِينِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا شَجَوْنَ تَلْتَقِي وَحَزِينٌ يَتَأَسَّى بِحَزِينِ^٣
ضَحِكُ الدُّنْيَا احْتِشَادٌ لِلْبَكَاءِ وَأَغَانِيهَا مُعِدَاتُ الْأُنِينِ
سَرَّنِي أَنْ قَرَّبَ اللَّهُ النَّوَى وَشَجَانِي فِي غَدٍ مِنْ تَدْفِينِ
قَمَرٌ حَيْفَ عَلَيْهِ فَانْتَحَى مَنَزِلًا يَنْ الْأَصُولِ الْآفِلِينَ^٤
شَقُّهُ الْأَيْكُ حَنِينًا فَقَضَى وَكِرَامُ الطَّيْرِ يُرْدِيهَا الْحَنِينِ^٥
فَأَخَذْنَا قِسْطَنَا مِنْ تُلْكِهِ عَلَّنَا نَحْمَلُ عَنْكُمْ أَوْ نُعِينِ
وَرَفَعْنَا فِي الضُّحَايَا ذِكْرَهُ وَأَذَعْنَا يَوْمَهُ فِي الْآخِرِينَ
وَوَجَدْنَا عِنْدَ ذِكْرِي ذِمَّةً طَيْبَ أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ الطَّاهِرِينَ
وَكُنَّا النَّاسَ فِي مَوْكِهِ لَجَلَالِ الْمَوْكِبِ الْآخِرِ دِينِ^٦
وَكُنَّا الْآلَ فِيهِ هَاشِمٌ وَكَانَ الْمَيِّتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ
جَلَّ فِي الْأَعْنَاقِ حَتَّى خِلَتْهُ مَنَّةٌ فِيهَا لَأُمُّ الْمُتَنَعِمِينَ

١ عَيَّ بِهِ : عَجَزَ .

٢ الْأَسَى : الْمَوَاسِي . وَالْوَتِينُ : عِرْقٌ فِي الْقَلْبِ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ .

٣ يَتَأَسَّى : يَتَصَبَّرُ .

٤ حَيْفَ عَلَيْهِ ، أَيِ ظَلَمَ .

٥ شَقُّهُ : أَضْنَاهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْحُسَيْنَ إِلَى بِلَادِهِ أَضْنَاهُ فَمَاتَ .

٦ دِينٌ ، أَيِ خَاضِعُونَ .

أَوْ يَدًا فِي كَاهِلِ الْعِلْمِ لَهَا أَوْ صَنِيعًا فِي رِقَابِ الصَّانِعِينَ^١
لَقَدْ اسْتَأْنَفَ فِي الْخُلْدِ الصَّبَا بَيْنَ حَوْرٍ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ عَيْنِ
حَلًّا بِالقَاسِمِ مَصْبَاحِ الْهُدَى وَيَا إِبْرَاهِيمَ نُورِ الْمُتَّقِينَ^٢
لَيْسَ مِنْ قَدَرِي وَقَدَّرَ الشُّعْرُ أَنْ نَذْكُرَ الصَّبْرَ لِأُمِّ الصَّابِرِينَ
الَّتِي حَجَّتْ وَزَارَتْ وَرَأَتْ تَحْتَ هَذَا التُّرْبِ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ
حَكَمْتُ فِيهِ الْمَنَآيَا مَرَّةً وَجَرَى الْحَقُّ عَلَيْهِ وَالْيَقِينَ^٣

١ اليد : النعمة والإحسان .

٢ القاسم وإبراهيم ، من أولاد النبي ﷺ ، وقد ماتا في روعة الشباب .

٣ الحق واليقين : الموت .

تكريم*

وطنٌ يرفُّ هوى إلى شُبَّانِهِ هم نَظْمُ حِلْيَتِهِ ، وجَوْهرُ عِقْدِهِ
 والعقدُ قِيميتهُ يَتِيَمُ جُمانِهِ يرجو الربيعَ بهم ويأملُ دولةً
 من غاب منهم لم يغب عن سَمْعِهِ وإذا أتاه مبشِّرٌ بقُدومِهِم
 ولقد يَحْصُ النافعِينَ بعَظَمِهِ هيئاتَ يَنسى بذَلِهِم أرواحَهُم
 وقفوا له دونَ الزمانِ ورَيبِهِ وفي شدَّةٍ نُقِلَتْ أناةٌ كُهوْلُهُ
 كالرَّوضِ رِقَّتُهُ على رِيحانِهِ فمن القَميصِ ومن شذى أُرْدانِهِ
 كالشَّيخِ خَصَّ نَجِيهَهُ بِحَنانِهِ ومشتَ حَدائِثُهُم على حَدِثانِهِ^١
 فيها ، وحكْمُهُم إلى فُتيانِهِ^٢

* * *

قم ياخطيبَ الجمعِ ، هات من الحلي ما كنتَ تنشرُهُ على آذانه
 فلفظاً أبدى الحنينَ لِقَسِّهِ واهتزَّ أشواقاً إلى سَحبانِهِ^٣
 نادِ الشبابَ ، فلم يزلْ لك نادياً والمرءُ ذو أثرٍ على أُخْدانِهِ

١ نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية في احتفال تكريمي أقيم للأستاذة : عبد الملك حمزة ، وإسماعيل كامل ، وعوض البجراوي ، في فندق شبرد .

٢ الحدائق (بفتح الدال) : نوايب الدهر .

٣ الأناة : الحلم والوقار .

٤ قس بن ساعدة : خطيب عربي من نجران يضرب المثل ببلاغته . وسجبان كذلك ، وهو من وائل .

أَمَدُّ حُدَاكِ فِي التَّجَائِبِ تَنْصَرَفُ
أَلْقِ النَّصِيحَةَ غَيْرَ هَائِبٍ وَقَعِهَا
قُلْ لِلشَّبَابِ : زَمَانُكُمْ مُتَحَرِّكٌ
قُمِ عَلَى الْأَحْلَامِ تَلْتَزِمُونَهَا
وَتَنَازِعُونَ الْحَيَّ فَضْلَ ثِيَابِهِ
وَلَقَدْ صَدَقْتُمْ هَذِهِ الْأَرْضَ الْهَوَى
أَمْلٌ بِذَلِكُمْ كُلٌّ غَالٍ دُونَهُ
الْلَيْثُ يَذْفَعُكُمْ بِشِدَّةٍ بِأَسِهِ
وَيُرِيدُ هَذَا الطَّيْرَ حَرًّا مَطْلَقًا

يَهْوَى أَعْنِيهَا إِلَى تَحْنَانِهِ
لَيْسَ الشَّجَاعُ الرَّأْيُ مِثْلَ جَبَانِهِ
هَلْ تَأْخُذُونَ الْقِسْطَ مِنْ دَوْرَانِهِ ؟
كَالْعَالَمِ الْخَالِي عَلَى أَوْثَانِهِ
وَالْمَيْتِ مَا قَدْ رَثَ مِنْ أَكْفَانِهِ
وَالْحَرُّ يَصْدُقُ فِي هَوَى أَوْطَانِهِ
وَفَقَدْتُمْ مَا عَزَّ فِي وَجْدَانِهِ
عَنْهُ ، وَيَطْعِمُكُمْ بِفَرْطِ لِيَانِهِ
لَكِنْ بِأَعْيُنِهِ وَفِي بُسْتَانِهِ

* * *

أَوْفَدْتُمْ وَفَدَاً ، وَأَوْفَدَ رَبُّكُمْ
العَصْرُ حَرٌّ ، وَالشُّعُوبُ طَلِيقَةٌ
فَاضَ الزَّمَانُ مِنَ التَّبَوُّغِ ، فَهَلْ فَتَى
أَيْنَ التَّجَارَةِ وَهِيَ مَضْمَارُ الْغَنَى ؟
أَيْنَ الْجَوَادِ عَلَى الْعُلُومِ بِمَالِهِ ؟
أَيْنَ الزَّرَاعَةِ فِي جَنَانِ تَحْتِكُمْ
أَإِذَا أَصَابَ الْقَطْنَ كَاسِدُ سَوْقِهِ
يَا مَنْ لَشَعْبٍ رَزْوُهُ فِي مَالِهِ
الْمَلِكُ كَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَطْنٌ ، فَلَمْ
الْفَاطِمِيَّةُ شَيَّدَتْ مِنْ عَزِّهِ

مَعَهُ الْعَنَاءُ ، فَهَيَّ مِنْ أَعْوَانِهِ
مَا لَمْ يَجْزُهَا الْجَهْلُ فِي أَرْسَانِهِ
غَمَرَ الزَّمَانُ بَعْلَمَهُ وَبَيَانِهِ ؟
أَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَهِيَ وَجْهٌ عَنَانِهِ ؟
أَيْنَ الْمِشَارِكِ مَصْرَ فِي فِدَانِهِ ؟
كَخِثَالِ الْفَرْدُوسِ أَوْ كَجَنَانِهِ ؟
قَمْنَا عَلَى سَاقٍ إِلَى أَمَانِهِ ؟
أَنْسَاهُ ذَكَرَ مَصَابِيهِ بِكِيَانِهِ ؟
يُغْلِبُ أَبُوُنَّا عَلَى عُمْرَانِهِ
وَبَنَى بَنُو أَيُّوبَ مِنْ سُلْطَانِهِ^٢

١ الحداة : الغناء للإبل لتنشط في مسيرها .

٢ الفاطمية : أي الخلفاء الفاطميون ، أو الدولة الفاطمية ، وهي إحدى الدول التي قامت في مصر بعد الإسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو أيوب أيضاً : مؤسسو الدولة الأيوبية ، وكان أعظمهم شأنًا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي .

بالقطن لم يرفع قواعد مملكه
 لكن بأول زارع نقض الثرى
 وبكل مُحسنِ صنعةٍ في دهره
 وهمةٍ في كلِّ نفسٍ خلقت
 ملكٌ من الأخلاقِ كان بناؤه
 فأتوا الهياكلَ إن بنيتُمْ ، واقبسوا
 فرعونُ ، والهرمانُ من بنيانه
 بذكائه ، وأثاره بينانه
 تتعجبُ الأجيالُ من إتقانه
 في الجو ، وارتفعت على كيوانه^١
 من نحت أولكم ومن صَوَّاه
 من عرشه فيها ، ومن ييجانه^٢

١ كيوان : اسم زحل بالفارسية .
 ٢ النضوان - بفتح الصاد وتشديد الواو : ضرب من الحجارة الشديدة .

اعتداء*

نجا وَثَائِلَ رُبَّانِهَا ودقَّ البشائرَ رُكبانِهَا
وهلَّلَ في الجو قِيدومُهَا وكَبَّرَ في الماءِ سُكَّانِهَا^١
تحوَّلَ عنها الأذى ، وانثنى عُبَابُ الخطوبِ وطوفانِهَا
نجا نوحُهَا من يدِ المعتدي وضلَّ المقاتلُ عُذْوَانِهَا
يدُّ للعناية ، لا ينقضي - وإن نَفَدَ العمرُ - شُكْرَانِهَا
وفي الأرضِ شرُّ مقاديرِهِ لطيفُ السماءِ وَرَحْمَانِهَا
ونجَّى الكنانةَ من فتنةٍ تهددتِ النيلَ نيرانِهَا
يسيلُ على قرنِ شيطانِهَا عقيقُ الدماءِ وعِقيانِهَا^٢
فيا سعدُ ، جُرْحُك ساءَ الرجالَ فلا جُرْحَتُ فيك أوطانِهَا
وقَتُّكَ العنايةَ بالراحتينِ وطَوَّقَ جِيبَكَ إحسانِهَا
منايا أُمى الله إذ ساورتكَ فلم يلقَ نايه ثُعبانِهَا
حَوَتْ دَمَكَ الأرضُ في أنفِهَا^٣ زَكَاةً ، كَأَنَّكَ عثمانِهَا^٤

١ . اعترَم سعد زغلول السفر إلى إنجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ ، فترصد له شاب وأطلق عليه النار ، ولكن الله أنجى حياته ، ووقى البلاد شرَّ فتنة كادت تعصف بين الأحزاب ، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له ، ونصيحة لأهل الترقى والطيش من الشبان ، وحضاً على الإصلاح العملي ، وتذكيراً بمنزلة السودان وقناة السويس ، اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد .

١ هَلال : قال لا إله إلا الله .

٢ العقيان : الذهب . أي الدماء التي تشبه في حمزتها العقيق والعقيان .

٣ عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل وهو جالس يتلو القرآن وفي حجره المصحف .

ورقت لآثاره في القميص كأن قميصك قرآنها
وريعت كما ريعت الأرض فيك نواحي السماء وأعنانها
ولو زلت غيب عثرو الأمور وأخلى المنابر سحبانها

* * *

رماك على غرق يافع^١ مُشار السريرة غضبانها^٢
وقدماً أحاطت بأهل الأمور ميول النفوس وأضعفانها
تلمس نفسك بين الصفوف ومن دون نفسك إيمانها
يريد الأمور كما شاءها وتأبى الأمور وسلطانها
وعند الذي قهر القيصرين^٣ مصير الأمور وأحيانها^٤
ولو لم يسبق دروس الحياة لبصره الرشيد لقمانها^٥
فإن الليالي عليها يحول شعور النفوس ووجدانها
ويختلف الدهر حتى يبين رعاة العهود وخوانها

* * *

أرى مصر يلهو بحد السلاح ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقول يُجِيل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلاد ولا همة القول عمرانها
ولا الحكم أن تنقضي دولة وثقيل أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعلم تشتت أركانها
فأين النبوغ ؟ وأين العلوم ؟ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخلق حظ البلاد إذا قتل الشيب شبانها ؟

١ اليافع : من راحق للعشرين ، أو من ترعرع وناهر البلوغ .

٢ القيصران : ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الإسلامي .

٣ لقمان ، أي من هو كلقمان ، وهو يضرب به المثل .

وَأَيْنَ مِنَ الرَّبِّحِ قَسَطُ الرِّجَالِ إِذَا كَانَ فِي الْخُلُقِ خَسْرَانَهَا ؟
وَأَيْنَ الْمُعَلِّمُ ؟ مَا خَطْبُهُ ؟ وَأَيْنَ الْمَدَارِسُ ؟ مَا شَأْنُهَا ؟
لَقَدْ عَيْشَتْ بِالنِّيَاقِ الْحِدَاةُ وَنَامَ عَنِ الْإِبِلِ رُعْيَانَهَا
إِلَى الْخُلُقِ أَنْظَرُ فِيمَا أَقُولُ وَتَأْخُذُ نَفْسِي أَشْجَانَهَا

* * *

وَيَا سَعْدُ ، أَنْتَ أَمِينُ الْبِلَادِ قَدْ امْتَلَأْتَ مِنْكَ أَهْمَانَهَا
وَلَنْ تَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاةُ وَيُتَرَّ مِنْ مِصْرَ سَوْدَانَهَا
وَحُجَّتُنَا فِيهَا كَالصَّبَاحِ وَلَيْسَ بِمُعْيِيكَ تَبِيَانَهَا
فَقَصِّرِ الرِّيَاضُ ، وَسَوْدَانُهَا عَيُونَ الرِّيَاضِ وَخُلُجَانَهَا
وَمَا هُوَ مَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشِرْيَانَهَا
تَمَّمْ مِصْرَ يَنَابِيعِهِ كَمَا تَمَّمَّ الْعَيْنَ إِنْسَانَهَا
وَأَهْلُوهُ مِنْذُ جَرَى عَذْبُهُ عَشِيرَةُ مِصْرَ وَجِيرَانَهَا
وَأَمَّا الشَّرِيكُ فَعِلَاتُهُ هِيَ الشَّرَكَاتُ وَأَقْطَانَهَا
وَحَرْبٌ مَضَتْ نَحْنُ أَوْزَارُهَا وَخَيْلٌ خَلَّتْ نَحْنُ فِرْسَانَهَا
وَكَمْ مَنْ أَتَاكَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، الْحَقُّ عَنَانُهَا
فَأَيْنَ مِنَ الْمَنْشِ بِحَرِّ الْغَزَالِ وَفِيضِ نِيَانِزَا وَتَهْتَانَهَا ؟
وَأَيْنَ الْعَمَاسِيحُ مِنْ لُجَّةِ يَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ حَيَاتَانَهَا !
وَلَكِنْ رُؤُوسٌ لِأَمْوَالِهِمْ يَحْرُكُ قَرْنَيْهِ شَيْطَانَانَهَا
وَدَعَا الْقَوِيَّ كَدَعَا السَّبَاعِ مِنَ النَّابِ وَالظَّفْرِ بَرَهَانَهَا

١ الوريد : عرق في العنق من الأوردة التي ترتبط بها الحياة .
٢ المنش : بحري الشمال الغربي لأوروبا ، بين إنجلترا شمالاً وفرنسا جنوباً . وبحر الغزال : أخذ فروع النيل الأبيض في السودان . ونيانزا : إحدى البحيرات الثلاث التي يخرج منها النيل .

توت عنخ آمون

قفي - يا أخت يوشع - خبرينا
وَقُصِّيْ من مصارعهم علينا
فثلك من روى الأخبار طراً
نرى لك في السماء خضيب قرن
مشيت على الشباب شواظ نار
ثعينين الموالد والمنايا
فيا لك هرة أكلت بنيا
أحاديث القرون العابرينا
ومن دُولاتهم ما تعلمينا
ومن نسب القبائل أجمعينا
ولا نُحصي على الأرض الطعينا
ودرت على المشيب رحي طحونا
وتبين الحياة وتهدميننا
وما ولدوا وتنتظر الجنينا

* * *

أُمُّ المالكين بني أمون
ولدت له المآمين الدواهي
ليهنك أنهم نزعوا أمونا
ولم تلدي له قط الأمينا^٢
فكانوا الشهب حين الأرض ليل
وحين الناس جد مصلينا

١ الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت
دجى ، فأضاء الأفق من كل موضع
وأي قد أوتيت آية يوشع

٢ إشارة للخليفين : الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون ، لأنه كان أفضل بني العباس حزمًا ، وحلمًا ، وعلمًا ، ورأيًا ، ودهاءً ، وهبةً ، وشجاعةً ، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكًا ، وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون .

مشّت بمنارهم في الأرض روما
 ملوك الدهر بالوادي أقاموا
 قرب مصفد منهم ، وكانت
 تقيد في التراب بغير قيد
 تعالى الله ، كان السحر فيهم
 غدوا يبنون ما يبقى ، وراحوا
 إذا عمدوا للأثرة أعدوا
 وليس الخلد مرتبة تلقى
 ولكن منتهى همم كبار
 وسر العبقريه حين يسري
 وآثار الرجال إذا تناهت
 وأخذك من فم الدنيا ثناء
 فغالي في بنك الصيد غالي
 شباب قمع لا خير فيهم
 فجاجهم بعرش كان صئوا
 وكان العز خليفة ، وكانت
 وتاج من فرائده ابن ستي
 علا خدًا به صعر ، وأنفا
 ولست بقائل : ظلّموا ، وجاروا
 ومن أنوارهم قبست أثينا
 على وادي الملوك مُحجّينا
 تُساق له الملوك مصفدنا
 وحلّ على جوانبه رهينا
 أليسوا للحجارة مُطّقينا ؟
 وراء الآبدات مُخلدنا
 لها الإتيان والخلق المتينا
 وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
 إذا ذهبت مصادرها بقينا
 فينتظم الصنائع والفنونا
 إلى التاريخ خير الحاكمينا
 وتركك في مسامعها طنينا
 فقد حبّ الغلو إلى بنينا
 وبورك في الشباب الطامحينا
 لعرشك في شببته سنينا
 قوائمُ الكتائب والسفينا
 ومن خرزاته خوفو ومينا^٢
 ترفع في الحوادث أن يدينا
 على الأجراء ، أو جلدوا القطينا

١ وادي الملوك : هو إلى الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراغة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها .

٢ ابن ستي ، هو رمسيس الثاني المعروف بسوسستريس ، ويلقب بالأكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة ، وطالت مدة حكمه ، وكثرت فيها الآثار المصرية ، وتزايدت العمارات ، حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه . وولي الملك صغيراً في حياة والده .

يقول الناسُ في سرِّ وجهه وما لك حيلة في المرجفينا ١ :
أمن سرق الخليفة وهو حي يَعِفُّ عن الملوك مكفئنا ؟

* * *

خليلي اهبطا الوادي ، وميلا
وسيرا في محاجرهم رويداً
وخصّصاً بالعمار وبالتحايا
وقبراً كاد من حسنٍ وطيبٍ
يُخال لروعة التاريخ قُدَّتْ
وكان نزيلةً بالملك يُدعى
وقوما هاتفين به ، ولكن
فثمَّ جلاله قَرَّتْ ورامت
جلالُ الملك أيامٌ وتمضي
وقولا للزبل قدوم سعد
سلامٌ يومَ وارثك المنايا
خرجت من القبور خروج عيسى
يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ
وأقسمُ كنتَ في لوزان شُغلاً
أتعلمُ أنهم صلفوا ، وتاهوا
ولو كنا نجر هناك سيفاً
إلى عُرف الشموس الغارينا ٢
وطُوقاً بالمضاجع خاشعينا
رفاتَ المجدِّ من توتنخينا
يضيءُ حجارةً ، ويضوعُ طينا
جنادله العلا من طورسينا ٣
فصار يُلقَّبُ الكثرُ الثمينا
كما كان الأوائلُ يهتفونا
على مرِّ القرون الأربعينا ٤
ولا يمضي جلالُ الخالدينا
وحياً الله مقدّمك اليمينا
بواديها ، ويومَ ظهرت فينا
عليك جلاله في العالمينا
ويخترقُ البخارُ به الحزونا
وكنتَ عجيبةً المتفاوضينا
وصدّوا البابَ عنا مُوصدينا ؟
وجدنا عندهم عطفاً ولبنا

١ المرجفون : من يخوضون في الأخبار السيئة .

٢ الشموس الغارين : ملوك القراعة .

٣ طورسينا : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى .

٤ القرون الأربعون : هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون .

سيقضي كرزُن بالأمر عَنّا وحاجاتُ الكنانةِ ما قُضينا¹

* * *

تعالَ اليومَ خَبَرنا : أكانت
وماذا جِبتَ من ظلماتِ ليلٍ
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت
وما تلك القبابُ ؟ وأين كانت ؟
مُمرّدة البناء ، تُخالُ برجاً
تغطّي بالآثاث فكان قصرأ
حملت العرشَ فيه : فهل تُرجي
وهل تَلقي المهيمَن فوق عرشٍ
وما بالُ الطعام يكاد يقدي
ولم تكُ أمسَ تصبرُ عنه يوماً
لقد كان الذي حَذِرَ الأولي
يحبُّ المرءَ نبشَ أخيه حيأ
سُئِلتَ من الحفائر قبل يومٍ
فإن تكُ عند بعثٍ فيه شك
ولو لم يعصموكَ لكان خيراً
يُضَرُّ أخو الحياة ، وليس شيءُ

نواكُ سِناتِ نومٍ ، أم سينا ؟
بَعِيدِ الصبح ، يُنْضِي المَدْلجينا ؟
هياكلُها ، وتبلى إن بلينا ؟
وكيف أضلَّ حافرُها القرونا ؟
بيطن الأرض محطوطاً دقينا
وبالصورِ العتاق فكان زونا
وتأملُ دولةً في الغابرينا ؟
ويلقاه الملا مُترجلينا ² ؟
كما تركته أيدي الصانعينا ؟
فكيف صبرتَ أحقاباً مثينا ³ ؟
وخافَ بنو زمانك أن يكونا
وينبشه ولو في الهالكينا
يَسْلُ من التراب الهامدينا
فإن وراءَ البعثِ اليقيننا
كفى بالموت معتصماً حصينا
بضائره إذا صحبَ المنونا

* * *

زمانُ الفرد - يا فرعون - ولّي ودالتُ دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ على حكمِ الرعيةِ نازلينا

١ كرزُن : وزير انكليزي مشهور ، كان هو مندوب انكلترا في مؤتمر لوزان . والكنانة : هي مصر .

٢ المهين : من أسماء الله تعالى .

٣ الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر .

فؤاد أجلٌ بالدستورِ دنيا^١ وأشرفُ منك بالإسلام دنيا^٢
وأهدى في بناء الملكِ جدًّا وأجودُ والدًّا في المحسنينا^٣
بنى الدارَ التي لا عزَّ إلا على جنباتها للمالكينا^٤
ولا استقلالَ إلا في ذراها لمتبوع ولا للتابعينا^٥
ترى الأحزابَ ما لم يدخلوها على جدِّ الحوادثِ لاعبينَا^٦
وإن فُقِدَتْ فأمرُ القومِ فوضى وإن وليته أيدي الراشدينَا^٧
إذا سارتَ به أيدي شمالاً أتت أيدي قبرنَ به يميننا^٨
فعجل يا ابنَ إسماعيلَ عجلِ وهاتِ النورَ واهدي الحائرينا^٩
هو المصباحُ فأتَ به وأخرج من الكهفِ السوادَ الغافلينَا^{١٠}
ملايين تجرُّ الجهلَ قيداً وتسحبُ بالقليلِ المطلقينا^{١١}
فداوٍ به البصائرَ فهو عيسى وفك يراحته المَقْعَدِينَا^{١٢}
ومن يرَ دونه حقاً فإني أراه وحدَ الحقِّ المُبِينَا^{١٣}

.....:

- ١ فؤاد ، هو جلالة ملك مصر أحمد فؤاد الأول .
- ٢ بنى الدار ... الخ ، هي دار النيابة التي يجتمع بها نواب الأمة . الجنبات : النواحي ، مفردها جنبه .
- ٣ الذرا : الملجأ .
- ٤ الراشدون ، هم الخلفاء الأربعة بعد النبي ﷺ .
- ٥ الكهف : ما ينقر في الجبل كالبيت . السواد : عامة الناس .
- ٦ وتسحب ... الخ ، يضم التاء ، أي ويسحبها أشخاص قليلون هم الذين أطلقوا من ذلك القيد .
- ٧ فداوٍ به ، أي بالدستور . البصائر ، جمع بصيرة : العقول . فهو عيسى ، أي فهو كعيسى في مداواة أصحاب العلل التي لا تبرا .
- ٨ الحق المبين : الواضح .

تحية المؤتمر الجغرافي

هل تهبط النيراتُ الأرضَ أحيانا ؟
 نزلن أولَ دارٍ في الثرى رَفَعَتْ
 تفننت قبل خلق الفن ، وانفجرت
 أبوةً لو سكتنا عن مفاخرهم
 هم قلبوا كِرَّةَ الدنيا فما وجدتُ
 وصيروا الدهرَ هزءاً يسخرون به
 لم يسلك الأرضَ قومٌ قبلهم سُبُلاً
 تقدم الناسَ منهم محسنون مضوا
 جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ
 أزمانَ لا البرُّ «بالوايور» منتهياً
 هل شيعَ النشءُ رَكِبَ العلمَ ، واكتنفوا
 وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَشِحاً
 يسيرُ تحت لواءِ العلمِ مؤتلفاً
 العلمُ يجمعُ في جنسٍ ، وفي وطنٍ
 ولم يزدك كرسى الأرضَ معرفةً

وهل تصوّرُ أفراداً وأعيانا ؟
 للشمس مَلَكاً ، وللأقمارِ سلطانا
 علماً على العُصيرِ الخالي وعرفانا
 تواضعاً نطقت صخراً وصَوَّانا
 أقوى على صولجانِ الملكِ أنيانا^١
 حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا
 ولا الزواجرَ أثباجاً وشُطَّانا
 للموت تحت لواءِ العلمِ شجعانا
 وأوغلوا في الفلا كالأسدِ وحَدانا
 ولا «البخار» لبنت الماءِ رُبَّانا
 لعبقريه أحمالاً وأطعانا ؟^٢
 عزَّ الحضارةَ أعلاماً وركبانا ؟
 ولن ترى كجنودِ العلمِ إخوانا
 شتى القبائلَ أجناساً ، وأوطانا
 بالأرض داراً ، وبالأحياء جيرانا

١ النيرات : الكواكب ، واحدها نير ، بالياء المشددة .

٢ الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد .

٣ العبقريه : أصلها نسبة إلى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن ، وقد جعله المعاصرون اسماً وأرادوا به التناهي في حذق الشيء واتقانه .

علم أبان عن الغبراء ، فأنكشفت
وقسم الأرض آكاماً ، وأودية
وبيّن الناس عادات وأمزجة
وفد الممالك ، هز النيل منكبته
غدا على الثغر غاد من مواكبكم
جرت سفيثكم فيه ، فقلّ بها
يلقاكم بسماء البحر ضاحية
ولو نزلتم به والدهر معتدل
إذ الفئار وراء البحر موتلق
أناف خلف سماء الليل متقدماً
تطوي الجواري إليه اليمّ مقبلة
نور الحضارة لا تبغي الركاب له
ياموكب العلم ، قف في أرض منف به
بكي تمانمة طفلاً بها ، ويبكي
أرض ترعرع لم يصحب بساحتها
عيسى ابن مريم فيها جرّ برده
لولا الحياء لناجتكم بحاجتها
إذا تفرقت في الغرب السنة

زرعا ، وضرعا ، وإقليما ، وسكنا
وفصل البحر أصدافاً ، ومرجانا
وميز الناس أجناساً وأديانا
لما نزلتم على واديه ضيفانا^١
فراح مبنسم الأرجاء جدلانا^٢
على الكرامة قيدوماً وسكنا
وتارة بفضاء البرّ مژدانا
نزلتم بعروس الملك عمراناً
كانه فلق من خدره باناً
يخال في شرفات الجوّ كيواناً^٣
تجري بوارج أو تنساب خلجاناً
لا بالنهار ولا بالليل برهانا
يُناج مهّداً ، ويدكر للصبا شانا^٤
ملاعباً من ربي الوادي وأحضاناً
إلا نبين قد طابوا ، وكهاناً
وجرّ فيها العصا موسى بن عمراناً
لعل منكم على الأيام أعواناً
ليشتم كل قلب لم يكن لانا

١ المنكب : هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعنق ، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه ، والمراد المعنى الأول ، كناية عن نهوضه لإكرامهم .

٢ الثغر : هو ثغر الإسكندرية .

٣ كيوان : اسم فارسي لكوكب زحل .

٤ أرض منف : هي الأرض المصرية . ومنف : مدينة مصرية قديمة ، بناها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية ، وجعلها مقر ملكه ، وبقيت مقراً للملك حتى زالت الأسرة الثامنة .

كفى بدارِ تبوأتم أرائكها من عبقرية إسماعيل غنوانا^١
مضى لها نصف قرن في مكابدة تضيء آناً ويخبو ضوءها آناً^٢
لم تخل من خادمٍ للعلم مجتهد يشرُّ بحثاً ويستوفيه تبياناً
حتى خواها فؤادٌ في عنايته وكم كريمٌ تليدٌ قبلها صاناً^٣
مجدُّ الأصول عزيزٌ ما سهرت على حفظِ الأصولِ فإن ضيعتهم هانا
فلا تقولنَّ يومَ الفخرِ كان أبي حتى يراك بنو الدنيا كما كانا
وما حذا كفؤادٍ حذو والده بالعلم يرأى ولا بالفن إحساناً^٤
ولا جمالَ لدارِ العلم في بلدي حتى يدورَ عليها الفنُّ بُستاناً
يا لليالِي لإسماعيلَ من سِنَّة طالتَ وحينَ من الأقدارِ قد حاناً^٥
قد خطَّ شعري على الشعري له جدثاً وخاطَ من لمحاتِ الشمسِ أكفاناً^٦
ولو مشت بي الليالي تحت كوكبه غادرتُ أحمدَ نسياً وابنَ حمدانَ^٧
من لا يساجل كفيه إذا همتا جوادٌ طي ولا مسماحٌ شيباناً^٨

-
- ١ الأرائك : جمع أريكة ، وهي سرير منجد مزين في قبة أو بيت . إسماعيل ، هو الخديو إسماعيل .
 - ٢ المكابدة : مقاساة الشيء وتحمل المشاق في فعله . تخبو : تنطفئ .
 - ٣ فؤاد ، هو جلالة الملك أحمد فؤاد الأول ملك مصر . التليد : المال القديم .
 - ٤ حذا حذوه : فعل فعله .
 - ٥ السَّنة ، بالكسر : الناس . الحين ، بفتح الحاء : الهلاك .
 - ٦ الشعري : كوكبان ، يقال لأحدهما الشعري اليمانية والعبور وتطلع في الجوزاء ، ويقال للثاني الشعري الفميصاء . الجدث : القبر . اللمحات : جمع لمحة ، وهي النظرة بعجلة .
 - ٧ أحمد ، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبّي الشاعر المشهور . وابن حمدان ، هو سيف الدولة أحد ملوك دولة بني حمدان .
 - ٨ من لا يساجل ، من لا يفاوض ويعارض . همتا : سألنا لا بينهما شيء . جواد طي ، هو حاتم المشهور بكرمه . ومسماح شيبان ، هو معن بن زائدة .

ومن تُنسي سماء العز غرته
ومن يُضي سناه الشرق من حلب
ذو همة كفؤاد الدهر لو نظرت
باني المآثر يُعجزن الملوك بني
مد الكنانة أطرافاً ووسعها
وفجر الماء في جناتها فسقى
ونص في ثبج الصحراء رايتها
لا تبرح الخيل بالسودان ملعبها
ولا حقيقة من ملك ومن وطن
شيطان ملك وفتح قد أتيح له
لم يمض في غارة إلا أصاب لها

شموس هاشم أو أقمار مروان^١
إلى الحجاز فبغداد فلبنانا^٢
إلى بعيد دنا أو جامع لانا^٣
بكل أرض لكسرى العلم إيوانا^٤
ملكاً وأترعها خيلاً وفرسانا^٥
ما كان بين عُيون النيل ظمأنا
كالنجم يهدي بأقصى الليل حيرانا^٦
حتى تغازل بالصومال أرسانا^٧
حتى ترى السيف دون الملك عرياناً^٨
أدهى الممالك والدول شيطاناً^٩
كيداً ينازعه الغايات يقظانا^{١٠}

- ١ شموس هاشم ، يريد بهم الخلفاء العباسيين . وأقمار مروان ، خلفاء بني أمية .
٢ سناه : نوره . حلب : مدينة في سورية . وبغداد : حاضرة العراق . ولبنان : الجبل الأهل المعروف بسورية .
٣ الجامع : الفرس يركب رأسه لا يلوي على شيء .
٤ الإيوان : الصفة العظيمة ، كالأزج الذي هو بيت بيني طولاً ، وجمعه إيوانات وأواوين .
٥ أترعها : ملأها .
٦ نص : رفع وأظهر . الثبج من كل شيء : وسطه .
٧ الأرسان : جمع رسن ، وهو جبل الدابة .
٨ الحقيقة ، ما يجب على المرء أن يحمله . والمعنى أنه لا أمن ولا اطمئنان على الملك والوطن إلا أن يكون السيف دائماً مجرداً من غمده ليحميهما .
٩ شيطان ملك وفتح ، يريد به إسماعيل ، أي أنه كان كأنه شيطان لعظم ما فعل فيهما ، أتيح له أدهى الممالك والدول فأفسدت عليه أمره ، وهي دولة الانجليز .
١٠ لم يمض في غارة ... الخ ، أي أنه كان كلما مضى في غارة للحرب وجد تلك الدولة قد كادت له لتمنعه بكيدها عن غايته .

يا للرجال «إسماعيل» في «نابلي» ولهفَ نفسي عليه في «أمرجانا»^١
خيالُ ملكٍ تلمسنا حقيقته فأخطأتنا وكانت حظُّ «يابانا»^٢
لم نصحْ من عرسِ دنياه وموكبِها حتى سحَبنا على الأحلامِ نسياناً
وقال كلُّ قليلِ العلمِ متهم مهلاً فإنَّ جبالَ التبرِ هينةٌ
هلا بكيتُم لمالٍ تشترون به من نصفِ قرنٍ مضى رقاً وإذعاناً؟
يعانُ أغنى جيوشِ العالمين به وجيشُكم عاجزٌ لم يلقَ معواناً^٣
من خانهِ الدهرُ خاتهِ صنائعه وعادَ ذنباً له ما كان إحساناً^٤
ولا ترى الناسَ إلا حربَ مضطهدٍ وجالينَ على المخدولِ خذلاناً
والحظُّ يني لك الدنيا بلا عَمَدٍ ويهدمُ الدَّعمَ الطُّولى إذا خاناً^٥

-
- ١ نابلي ، مدينة إيطالية أقام فيها الخديو إسماعيل بعد خلعهِ . وأمرجان ، اسم قصر كان له في الأستانة .
٢ تلمسنا حقيقته : تطلبناها مرة بعد أخرى ، وكانت حظ يابانا ، وذلك أن اليابان بدأت نهضتها الحديثة في الوقت الذي بدأنا فيه نهضتنا أيضاً .
٣ الإدمان : مداومة الشيء ، والضمير في «أضر بالمال» لإسماعيل .
٤ مهلاً : مصدر نائب مناب فعله ، أي امهل مهلاً . ومعناه : لا تعجل . التبر : ما كان من الذهب غير مضروب .
٥ أغنى جيوش العالمين : هو جيش الإنكليز الذي يحتلون به مصر .
٦ الصنائع : جمع صنعة ، وهو من تصطنعه لنفسك وتربيهِ وتختصه بالصنع الجميل .
٧ العمَد (بفتح الميم) : اسم جمع ، والمفرد عماد ، وهو ما يقوم عليه البيت . الدَّعم (بكسر الدال) : جمع دعمة (بالكسر أيضاً) ، وهي العماد . الطولى : العظيمة الطول .

الصليب الأحمر

سريا صليب الرّفقِ في ساح الوغى
وادخل على الموت الصفوف مؤاسياً
والمسّ جراحات البريّة شافياً
وإذا الوطيسُ رمى الشباب بناره
واجعل وسيلتك المسيح وأمه
الله جارك في عوانٍ لم تهب
وسلمت يا «حرم المعارك» من يدٍ
وانشر عليها رحمةً وحناناً
وأعِنْ على آلامه الإنساناً
ما كنت إلا للمسيح بناناً
خُصّ كالحليل إليهم النيراناً
واضرع ، وسلّ في خلقه الرّحمان
لله لا يبعأ ولا صُلباناً
هدمت لِسلم العالمين كياناً

* * *

يا أهل مصر ، رمى القضاء بلطفه
إن الذي أمرُ المالك كلّها
أبقى عليها عرشها في بُرْهةٍ
وكسا البلادَ سَكينةً من أهلها
أوما ترون الأرضَ خُربَ نصفُها
يرعى كرامتها ، ويمنعُ حوضُها
كجنود عمرو ، أينما ركزوا القنا
إن الشجاع هو الجبانُ عن الأذى
وأراد أمراً بالبلاد فكانا
بيديه ، أحدث في «الكثانة» شانا
ترمي العروش وتثرُ التيجانا
ووقى من الفتن العبادَ ، وصانا
وديارُ مصرٍ لا تزال جناناً ؟
جيشٌ يعاف البغي والعدوانا
عَفُواً يداً ، ومُهْنداً ، وسِناناً^١
وأرى الجريء على الشرور جباناً

* * *

١ الوطيس : شدة الحرب . والحليل : هو إبراهيم عليه السلام ، وقصة إلقائه في النار مشهورة .
٢ كجنود عمرو : هو عمرو بن العاص فاتح مصر ووالها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب .

أُمَمَ الحضارة ، أنتم آباؤنا
بنيانُ إسماعيلَ بعد محمدٍ
رَقَّتْ لكم منا القلوبُ ، كأنها
ومن المروءة - وهي خائضُ ديننا -
ولئن غزاكم من ذوبنا معشرٌ
حتى إذا الشحنة نامت بينهم
منكم أخذنا العلمَ والعرفانا
كانت مساعيكم له أركاننا
جرحاكم يومَ الوغى جرحانا
أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا
فلربُّ إخوان غزوا إخوانا
لم يعرفوا الأحقاد والأصغانا

تحية للترك *

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين
لقينا في عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المينا
همُّ شهرُوا أذىً ، وشهرت حربا فكنت أجل إقداماً وضربا
أخذت حدودهم شرقاً وغربا وطهرت المواقع والحصونا
وقبل الحرب حربٌ منك كانت نتائجها لنا ظهرت وبانت
أثت الحادثات بها ، فلانت وغادرت القياصر حائرنا
جمعت لنا الممالك والشعوبا وكانت في سياستها ضروبا
فلما هب جورجهم هبوا تلقت لا يصيب له معينا^١
رأى كيف السبيل إلى كريد وكيف عواقب الطيش الميزيد
وكيف تنام يا عبد الحميد وتغفل عن دماء العالمينا ؟
ولا والله والرسلي الكرام وبيتك خير بيت في الأنام
لما كانوا - وسيفك ذو انتقام - يعادل جمعهم منا جنينا
رأيت الحلم لما زاد عرا وجرأ ملكهم حتى تجرا^٢
فجاءتك الدعاوى منه تترى وجاءته جنودك مبطلينا

- قيلت في الحرب بين اليونان والأتراك سنة ١٣١٤ هجرية ، وقلاً نالت قصيدة في العالم العربي بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكم صادقاً هوى في النفوس .
- ١ جورجي : ملك اليونان يومئذ .
- ٢ تجراً : مخفف تجراً .

بجثلي في المضارب ، وفي الروابي
 وسيف لا يلين ، ولا يحايي
 وجيش من غزاة عن غزاة
 ومن كرم أذلوا كل عاني
 أبعد بلائهم في كل حرب
 تحاول صبية في زي شعب
 جنود للجراح الدهر مرهم
 فأنجد في تسالية وألهم
 أروثر ، لا تدس السم دساً
 سلب اليونان : هل ثبتت لرساً
 معاذ الله ، كلاً ، ثم كلاً
 وما أسطولهم في البحر إلا
 وكم بعثوا جيوشاً من أمان
 وما سارت سوى يومي زمان
 وكم باتوا على هرج ومرج
 وكل المال من دخل وخرج
 وكم فتحوا الثغور بلا تواني
 وللبسفور طاروا في ثواني
 وفي الآستانة انتصروا انتصاراً
 فيا للمسلمين وللنصارى

ونار في القلاع ، وفي الطوابي
 إذا الآجال رجّت منه لنا
 هم الأبطال في ماضٍ وآتي
 وذلوا في قتال المؤمنين
 وضرب في المالك أي ضرب
 وتطمع أن تدوس لهم عريناً ؟
 يدبرها البعيد الصب أدهم
 وكانت للعدا حصناً حصيناً
 ومهلاً في التهوس يا هوساً
 وهل حفظ الطريق إلى أثينا ؟
 هم البحارة الغر الأجيلا !
 شخاشخ ما يرحن وما ينجينا !
 أت دار السعادة في أمان
 فأهلاً بالغزاة الفاتحين !
 وقالوا : المال مبذول لجورجي
 ديون لا تقدرها ديونا !
 وبالأسطول جاءوا من مواني
 فأهلاً بالأوزر العاممين !
 وبطرسبرج دكوها حصاراً
 وقصر والملوك الآخرين !

١ تسالية : موقعة من مواقع هذه الحرب .

٢ لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .

٣ شخاشخ : جمع (شخشيخة) وهي لعبة معروفة للأطفال .

٤ وصف الأوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم .

ويا غليوم ، أين لك الفرار
فضاقت عن سفينهم البحار
أمورٌ تضحك الصبيانُ منها
فسل روتر ، وسل هافاس عنها
ويوم ملون إذ صحننا ، وصاحوا
ودارت بينهم بالراح راح
على الجليلين قد بتنا ، وباتوا
وقد متنا ثباتاً ، واستماتوا
خسفنا بالحصون الأرض خسفاً
بنار تنسف الأجيال نسفاً
مدافع ما تثوب بغير زاد
نصبناها لهم في كل وادي
جعلنا الأرض تحتهم دماءً
وإذ راموا من النار احتماءً
ورب مجاهد شيخ مبجل
أراد ليركب الموت المحجل
وفي لجواده ، وحننا عليه
وصاب رصاصها يُذمي يديه
تعود أن يصيب ، وأن يُصابا
وقال - وقد قضى - قولاً صواباً :
وقد زاد البسالة من وقار

إذا جورجي وعسكره أغاروا ؟
وضاق البر عنهم واجفينا !
ولا تدري لها العقلاء كُنها
فإن لديها الخبر اليقينا
ذكرنا الله من فرح ، وناحوا
ودارت راحة الإيمان فينا
وقتناهم منيهم ، وقاتوا
وما البسلاء كالمستبسلينا
تريد تأبياً فتريد قذفاً
وتلقف نارهم والمطلقينا
براكين تصوب بلا نفاذ
فكن الموت ، أو أهدى عيونا
وصيرنا الدخان لهم سماء
حمت أسافنا منهم مثينا
ترجلت الجبال وما ترجل
إلى أجداده المستشهدينا
وقد شحخت بنادقهم إليه
وأوشكت السواعد أن نخونا
فخطب في التزل ، فما أجابا
هنا فليطلب المرء المنونا
هزبر من ليوث الترك ضاري

١ ملون : موقعة ، والراح الأولى : الأكف ، والثانية : الحمر .

٢ تصوب : أي يسقط حممها كالطر .

تقدم نحو نارٍ أي نارِ
جری ، فأذلّ هاتيك الألوف
فخاض إلى مكائنها الختوف
دعا لله في وجه الأعادي
فلبّثه الفيالق والأرادي
فلما أذعنوا أنا المنايا
تفرّق جمعهم إلا بقايا
صلاة الله ربي والسلام
هم الشهداء ، حول الله خاموا
أنالوا الملك فتحاً أي فتح
وجاءوا ربهم منهم بذبح
سلاماً سفح فرسالو سلاما
وضنّ بها وإن بليت عظاما
أأذهم ، هكذا ثقنى المعالي
لقد بيّضت للملك الليالي
أخذت النصر بالجليل غصبا
حملت ، فاجت الحُمْلان رُعبا
وفي فرسال قد جئت العجبا
وقد أحصيته باباً فبابا

ليسبق نحو خالقه القرينا
وزحزح عن مواضعها الصفوفا
وما هاب الرّماة مسدّدينا
كليث زائر في بطن وادي
ودار هلال رايتنا يمينا^١
وأنا خير من قاد السرايا^٢
على قلل الجبال مُجندلينا
على قتلى بفرسالو أقاموا^٣
فأدناهم ، وكانوا الفاترينا
وشادوا للخلافة أي صرح
تقبّله ، وكان به ضينا
وكن خير المقام لمن أقاما
تطيف بها الملائك حائمينا
وثقنى بالقواضب والعوالي^٤
بسيف يفضح الفجر المينا
وكنّ الليث تخطاراً ووثبا
يظنّهم الجهول مقاتلينا
بسطت الجيش تفرّوه كتابا
وكانوا عن كتابك غافلينا

-
- ١ الأرادي : جمع أردي ، وهو الجيش .
٢ السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش .
٣ فرسالو : موقعة .
٤ القواضب : السيوف . والعوالي : الرماح .

ثَبَّتْ مُؤَمَّلًا مِنْكَ الثَّبَاتُ
وَحَوْلَكَ أَهْلُ شُورَاكَ الْثِقَاتُ
هَنَّاكَ الصَّحْفُ سَارَتْ حَاكِيَاتُ
وَحَدَّثَتْ الْمَالِكُ أَخَذَاتُ
بَنِي عَثْمَانَ ، إِنَّا قَدْ قَدَرْنَا
سَأَلْنَا اللَّهَ نَصْرًا ، فَانْتَصَرْنَا
تَوَافَيْكَ الرِّسَالُ وَالسَّعَاةُ
تَسْوِسُونَ الْجِيُوشَ مَظْفَرِينَا
وَطَيَّرْتَ الْبُرُوقُ مُحَدَّثَاتُ
عُلُومَ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَالْفَنُونَا
فَتَوَحَّكُمُ الْكِبَارُ وَقَدْ شَكَرْنَا
بِكُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَا

الدستور العثماني

بشرى البرية قاصيها ودانيها
لما رآها بلا ركنٍ تداركها
وبالأيمن من قوم أماتهم
حُتوا إليها كما حُت لهم زمناً
مُشتين على الغبراء ، تحسبهم
لا يقرب اليأس في البأساء أنفسهم

حاطَ الخلافة بالدستور حاميتها^١
بعد الخليفة بالشورى ، وناديتها
بُعدُ الديار ، وأحياءهم تدانيتها
وأوشك البيئُ يُلهم ، ويُبليها
رحالة البدو هاموا في فيافيها
والنفسُ إن قنطت فاليأس مُردبها

* * *

أسدى إلينا أمير المؤمنين يداً
بيضاء ، ما شابهها للأبرياء دمٌ
وليس مُستعظماً فضلٌ ، ولا كرمٌ
إن الندى والرضى فيه وأسرته
قومٌ على الحب والإخلاص قد ملكوا
إذا الخلائف من بيت الهدى حُمِدَتْ
خلافة الله في أحضان دولتهم
دروعها تحتمي في النابثات بهم

جلت ، كما جل في الأملاك مُسديها^٢
ولا تكدر بالآثام صافيتها
من صاحب السكة الكبرى ومُنشيتها^٣
والله للخير هاديه وهاديتها
وحسبُ نفسك إخلاصٌ يُزكِّيها
أعلى الخواقين من عثمان ماضيها
شاب الزمان ، وما شابت نواصيها
من رمح طاعنها ، أو سهم راميتها

* * *

الرأي رأيُ «أمير المؤمنين» إذا
حارت رجالٌ وضلّت في مرائها

١ حاطَ الخلافة : حفظها وتمهدها .

٢ أسدى : أحسن . وأمير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد . واليد : النعمة .

٣ السكة الكبرى : هي السكة الحديدية الحجازية ، وقد أنشأتها الدولة في أيامه .

وإنما هي شورى الله ، جاء بها
 حَقَّتْ عند مناداة الجيوش بها
 ولو منعت أريقَت للعباد دِمًا
 وَمَنْ يَسُسْ دولة قد سُسَّتْها زمناً
 أتى ثلاثون حولاً لم تدُقْ سنة
 مُسَهَّد الجفن . مكدود الفؤاد بما
 تكاد من صُحبة الدنيا وخيرتها
 كتابه الحق ، يُعليها ، ويُعليها
 دَمَ البرية إرضاءً لبارها
 وطاح من مُهَج الأجناد غاليتها
 تهنُّ عليه من الدنيا عواذها
 ولا استخفَكَ للذاتِ داعيها
 يُفني القلوب ، شجي النفس ، عانيها
 تُسيء ظنك بالدنيا وما فيها

* * *

أما ترى المُلْك في عرس وفي فرح
 لَمَّا استعدَّ لها الأقوامُ جثت بها
 فضلٌ لذاتك في أعناقنا ، ويدُ
 خلافة الله جرَّ الذيلَ حاضرها
 طارت قناها سروراً عن مراكزها
 هبَّ النسيمُ على «مقدونيا» برداً
 تفلّئ بساكنها ضيغناً وناثرة
 عاثت عصائبُ فيها كالذئاب عَدَتْ
 خلاها من رسوم الحكم دارسها
 فسامرَ الشرُّ في الأَجبالِ رائحها
 مظلومةٌ في جوار الخوف ، ظلمة
 رثتُها وبكتُ من رقة دول
 بدولة الرأي والشورى وأهلها ؟
 كالماء عند غليل النفس صاديها ؟
 عند الرعية من أسنى أياديها
 بما منحت ، وهزَّ العطف باديا
 وألقت الغمد إعجاباً مواضيها
 من بعد ما عَصَفَتْ جمرًا سوافيها
 على الصدور إذا ثارت دواعيها
 على الأفاطيع لَمَّا نام راعيها
 وغرَّها من طول الملك باليها
 وصبَّح السهل بالعدوان غاديا
 والنفس مؤذية من راح يؤذيها
 كالبوم يبكي رُبوعاً عزَّ باكيها

- ١ مسهد الجفن : من سهد . بالتشديد جعله يسهد . أي لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعبه .
 ويفني القلوب : يقللها .
- ٢ الغليل : شدة العطش .
- ٣ مقدونيا : هي إقليم البلقان . من تركية أوروبا . والبرد : حب الغمام .
- ٤ الرسم الدارس : العافي القديم .

أَعْلَامُ مَمْلَكَةٍ فِي الْغَرْبِ خَائِفَةٌ
لَا مُلْكُنَا قَنُوطًا مِنْ سَلَامَتِهَا
مِنْ كُلِّ مُسْتَسِيلٍ يَرْمِي بِمَهْجَتِهِ
كَأَنَّمَا - وَسَلَامُ الْمَلِكِ يَطْلُبُهَا -
لَاكُ عُثْمَانُ كَادَ الدَّهْرُ يَطْوِيهَا
تَوَثَّبْتُ أَسَدُ الْآجَامِ تَحْمِيهَا
فِي الْهَوْلِ إِنْ هِيَ جَاشَتْ لَا يَرَاغِبُهَا
أَمَانَةٌ عِنْدَ ذِي عَهْدٍ يُوَدِّيهَا

* * *

الدينُ اللهُ ، مِنْ شَاءِ الْإِلَهِ هَدَى
مَا كَانَ مُتَخَلِّفُ الْأَدْيَانِ دَاعِيَةً
الْكُتُبُ ، وَالرُّسُلُ ، وَالْأَدْيَانُ قَاطِبَةً
حُبَّةُ اللَّهِ أَصْلُ فِي مَرَاشِدِهَا
وَكُلُّ خَيْرٍ يَلْقَى فِي أَوَامِرِهَا
تَسَامُحُ النَّفْسُ مَعْنَى مِنْ مَرْوَةٍهَا
تَخْلُقُ الصَّفْحَ تَسْعُدُ فِي الْحَيَاةِ بِهِ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَفْسِي بِجَاهِلَةٍ
لَنْ غَدَوْتُ إِلَى الْإِحْسَانِ أَصْرَفَهَا
وَالنَّفْسُ إِنْ كَبُرَتْ رَقَّتْ لِحَاسِدِهَا
لِكُلِّ نَفْسٍ هَوَى فِي الدِّينِ دَاعِيَهَا
إِلَى اخْتِلَافِ الْبِرَايَا ، أَوْ تَعَادِيَهَا
خَزَائِنُ الْحِكْمَةِ الْكَبِيرَى لِوَاعِيَهَا
وَحَشْيَةُ اللَّهِ أَسْرُ فِي مَبَانِيهَا
وَكُلُّ شَرٍّ يَوْقَى فِي نَوَاحِيهَا
بَلِ الْمَرْوَةُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
فَالنَّفْسُ يَسْعِدُهَا خُلُقٌ وَيُسْقِيهَا
مَنْ أَهْلُ خَلْقَتِهَا مِنْ يُعَادِيهَا ؟
فَإِنْ ذَلِكَ أَجْرِي مِنْ مَعَالِيهَا
وَاسْتَغْفِرْتُ كَرَمًا مِنْهَا لَشَانِيهَا

* * *

يَا شُعْبَ عُثْمَانَ مِنْ تَرْكِ وَمِنْ عَرَبٍ
صَبِرْتَ لِلْحَقِّ حِينَ النَّفْسُ جَازِعَةٌ
نِلْتَ الَّذِي لَمْ يَنْلِهِ بِالْقَنَّا أَحَدٌ
مَابَيْنَ آمَالِكِ اللَّائِي ظَفِرَتْ بِهَا
حَيَّاكَ مَنْ يَبِيعُ الْمَوْتَى وَيُحْيِيهَا
وَاللَّهُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَقِّ مُوصِيهَا
فَاهْتَفِ لِأَنْوَرِهَا وَأَحْمَدِ نِيَازِيهَا
وَبَيْنَ حَصْرِ مَعَانِي أَنْتَ تَدْرِبُهَا

١ يريد بأسد الآجار : رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور فأذعن لهم .

٢ تخلق الصفح : أي اجعله خلقاً لك . والصفح : الإعراض عن ذنوب الغير .

٣ الحلة (بكسر الخاء) : المصادقة والإخاء .

الهلل والصليب الأحمر

جبريل ، أنت هدى السما ، وأنت برهانُ العناية^١
أُبْسُطُ جَنَاحَيْكَ اللَّذِي من هما الطهارةُ والهداية
وزِدِ الهلالَ من الكرامة ، والصليبَ من الرعاية
فهما لرَبِّكَ رايةً والحربُ للشيطان راية
لم يخلق الرحمنُ أحدَ جبر منها في البرِّ آية
الأحرارَ عن الدِّمِ الـ غالي وحرمة كناية
الغاديان لنجدة الرانحان إلى وقاية
يتألقان على الوغى رشداً تَبَيَّنَ من غوايه
يقفان في جنب الدِّمَا كالْعُذْر في جنب الجنايه
لو خيما في كربلا لم يُمنع السَّبْطُ السَّقايه^٢
أو أدركا يوم المسير ح لعاوناه على النكايه^٣
ولناولاهُ الشهد ، لا الـ يحلُّ الذي تصِفُ الروايه^٤
يُأَيِّها اللادي التي أَلَقْتَ على الجرحى حمايه^٥

- ١ جبريل : من الملائكة مختص بالوحي .
- ٢ كربلا : مدينة في العراق بها قبر للحسين بن علي رضي الله عنها . والسبط : ولد الولد . والحسين سبط النبي صلى الله عليه وسلم . يشير بذلك إلى مقتل الحسين ، وما قيل من أن قتله منعوا عنه الماء حين طلبه وهو في الترع .
- ٣ يوم المسيح : أي اليوم الذي يزعم النصارى أن المسيح صلب فيه .
- ٤ . ولناولاهُ الشهد ... الخ : وذلك أن النصارى تدعي أن المسيح طلب وقت شدة الصلب ماء فأعطوه خللاً .
- ٥ اللادي : لقب عام لزوجات لوردات الانكليز ، وهي هنا زوجة المعتمد البريطاني في مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك أنها قامت بجمع المال إعانة للصليب الأحمر ، وتدعو إلى ذلك .

أَبْلَيْتِ فِي نَزْعِ السَّهَاءِ مَ بَلَاءٍ دَهْرُكَ فِي الرَّمَايَةِ
وَمَرَرْتَ بِالْأَسْرَى ، فَكُنْ تَ نَسِيمَ وَادِيهِمْ سِرَايَةِ
وَبَنَاتُ جَنْسِكَ إِنْ بَيَّتِ نَ الْبِرِّ أَحْسَنَ الْبَنَايَةِ
بِالْأَمْسِ لَادِي لَوْثِرٍ لَمْ تَأُلْ جِيرَتَهَا عَنَايَةِ^١
أَسَدَتْ إِلَى أَهْلِ الْجَنُودِ دِيدًا ، وَغَالَتْ فِي الْحَفَايَةِ
وَمُحَجَّجَاتٍ هُنَّ أَطْ هُرَّ عِنْدَ نَائِبَةِ كَفَايَةِ
يَسْعِفْنَ رِيًّا ، أَوْ قَرَى كُنْسَاءَ طَيِّءٍ فِي الْبَدَايَةِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلَائِكُ الرِّ حَمْنُ كُنَّ هُمْ حِكَايَةِ^٢
لَبَّيْنِ دَعْوَتِكَ الْكَرِيهِ حَمَّةً ، وَاسْتَبَقْنَ الْبِرَّ غَايَةِ
الْمُحْسِنُونَ هُمْ اللَّبَاءُ بُ ، وَسَاثِرُ النَّاسِ الْغَفَايَةِ
يَا أَيُّهَا الْبَاغُونَ ، رَكَ بَ الْجَهَالَةِ وَالْعَمَايَةِ
الْبَاعِثُونَ الْحَرْبَ حُبِّ أَ لِلتَّوَسُّعِ فِي الْوَلَايَةِ
الْمُدَّعُونَ عَلَى الْوَرَى حَقَّ الْقِيَامَةِ وَالْوَصَايَةِ
الْمُتَكِلُونَ ، الْمُتَوَسِّمُونَ نَ ، الْهَادِمُونَ بَلَا نَهَايَةِ^٣
كُلُّ الْجِرَاحِ لَهَا التَّثَا مَ مِنْ عَزَائٍ أَوْ نِسَايَةِ
إِلَّا جِرَاحُ الْحَقِّ فِي عَصْرِ الْحَصَافَةِ وَالْدِرَايَةِ
سَتَظِلُّ دَامِيَةً إِلَى يَوْمِ الْخُصُومَةِ وَالشُّكَايَةِ

انتهى

- ١ لادي لوثر : انكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها .
- ٢ الملائك : جمع ملك ، بفتح اللام .
- ٣ المتكولون ، من أكلها ولدها : أماته . والمتوسمون : الذين يجعلون الأبناء يتامى بقتل آبائهم في الحرب .
- ٤ الحصافة : استحكام العقل وجودة الرأي .

١٠ شوقي ١

دیوان شوقی

الجزء الثاني

دارصادر
بيروت

باب الوصف

آية العصر في سماء مصر*

يا فرنسا ، نلت أسباب السماء
عُلب التَّسْرُ على دولته
وَأَتَتْكَ الرِّيحُ تَمْشِي أَمَّة
رُؤُوسُ بَعْدَ جِاحٍ ، وَجَرَتْ
لَكَ خَيْلٌ بِجَنَاحٍ أَشْبَهَتْ
وَبَرِيدٌ يَسْحَبُ الذَّيْلَ عَلَى
تَطْلُعِ الشَّمْسِ ، فَيَجْرِي دُونَهَا
رَحْلَةُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَا
بُسْلَاءُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِدَى
ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ ، فَاتَّخَلَّوْا
فَتِيَّةً يُمَسُونَ جِرَانَ السَّهَاءِ
حَوْمًا فَوْقَ جِبَالٍ لَمْ تَكُنْ
لِسُلَيْمَانَ بَسَاطٌ وَاحِدٌ
يَرْكَبُونَ الشُّهْبَ وَالسُّحْبَ إِلَى
يَا «نَسْرًا» هَبَطُوا «الْوَادِي» عَلَى
دَارِكُمْ مِصْرُ ، وَفِيهَا قَوْمُكُمْ

وَتَمَلَّكَتِ مَقَالِيدَ الْجَوَاءِ^١
وَتَنَحَّى لَكَ عَنْ عَرْشِ الْهَوَاءِ
لَكَ - يَا بَلْقَيْسُ - مِنْ أَوْفَى الْإِمَاءِ^٢
طَوَعَ سُلْطَانَيْنِ : عِلْمٌ ، وَذَكَاةٌ
خَيْلُ جَبْرِيلَ لِنَصْرِ الْأَنْبِيَاءِ
بُرُودٌ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِطَاءِ
فَوْقَ عُنُقِ الرِّيحِ ، أَوْ مَثَرِ الْعَمَاءِ
لَبِثْتَ غَيْرَ صَبَاحٍ وَمَسَاءِ
لِفَرِيقٍ مِنْ بَنِيكَ الْبُسْلَاءِ
فِي السَّمَوَاتِ قُبُورَ الشَّهَدَاءِ
سَمَرَاءُ النُّجُمِ فِي أَوْجِ الْعَلَاءِ^٣
لِلرِّيَّاحِ الْهُوجِ يَوْمًا يُوْطَاءُ
وَلَهُمْ أَلْفُ بَسَاطٍ فِي الْفَضَاءِ
رَفَعَةَ الذِّكْرِ ، وَعَلِيَاءُ الشَّنَاءِ
سَالِفَ الْحُبِّ ، وَمَأْثُورِ الْوَلَاءِ
مَرْحَبًا بِالْأَقْرَبِينَ الْكُرَمَاءِ

* نظمت عند قدوم (فدرين) و (يونييه) طائرين من باريس إلى مصر سنة ١٩١٤ .

١ أسباب السماء : مراقبها ، أو طرفها ، أو نواحيها ، أو أبوابها .

٢ الأمة : المملوكة . وبلقيس : صاحبة نبي الله سليمان الذي سخرت له الريح .

٣ السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

طيرتم فيها ، فطارت فرحاً
هل شجاكم في ثرى أهرامها
أين نسرٌ قد تلقى قبلكم
لو شهدتم عصره ! أضجى له
جرح الأهرام في عزتها
أخذت تاجاً بتاج ثأرها
ونمت لو حوت أعظمه

بأعز الضيف خير التزلاء
ما أرقتم من دموع ودماء ؟
عظة الأجيال من أعلى بناء ؟
عالم الأفلاك معقود اللواء
فشى للقبر مجروح الإباء
وجت من صلف بالكبرياء
بين أبناء الشمس العظماء

* * *

جل شأن الله هادي خلقه
زف من آياته الكبرى لنا
مركب لو سلف الدهر به
نصفه طير ، ونصف بشر !
رائع ، مرتفعاً أو واقعاً ،
مُسرج في كل حين ، ملجَم
كسائط الريح في القدرة ، أو
أو كحوت يرمي الموج به
راكب ما شاء من أطرافه
ملاً الجو فعلاً ، وغدا
وترى السحب به راعدة
حمل الفولاذ ريشاً ، وجرى
وجناح غير ذي قادمة

بهدي العلم ، ونور العلماء
طلبة طال بها عهد الرجاء
كان إحدى معجزات القدماء
يا لها إحدى أعاجيب القضاء !
أنفس الشجعان قبل الجناء
كامل العدة ، مرموق الرواء
هذه السيرة في صدق البلاء
سابع بين ظهور وخفاء
لا يرى من مركب ذي غدواء
عجب الغربان فيه والجداء
من حديد جمعت ، لا من رواء^١
في عنائين له : نار ، وماء
كجناح النحل مصقول سواء^٢

١ يريد به نابليون الأول .

٢ الرواء : الماء العذب .

٣ القادمة : واحدة القوام ، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش .

وَذُنَائِي ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَايَ كَوَكْباً ذَا ذَنْبٍ
فَإِذَا جَازَ الثَّرِيَّا لِلثَّرِي
يَمْلَأُ الْآفَاقَ صَوْتاً وَصَدًى
أَرْسَلَتْهُ الْأَرْضُ عَنْهَا خَبِراً

* * *

يَا شَبَابَ الْغَدِ ، وَأَبْنَاءَ الْفِدَى
هَلْ يَمُدُّ اللَّهُ لِي الْعِيشَ ، عَسَى
وَأَرَى تَاجِكُمْ فَوْقَ السُّهَا
مَنْ رَأَاكُمْ قَالَ : مَصْرُ أَسْتَرْجَعْتُ
أُمَّةٌ لِلْخَلْدِ مَا تَبْنَى ، إِذَا
تَغَصَّمُ الْأَجْسَامُ مِنْ عَادَى الْبَلَاءِ
إِنْ أَسَانَا لَكُمْ ، أَوْ لَمْ نُنْسِ
إِنَّمَا مَصْرُ إِلَيْكُمْ وَبِكُمْ
عَصْرُكُمْ حُرٌّ ، وَمُسْتَقْبَلُكُمْ
لَا تَقُولُوا : حَطَّنَا الدَّهْرُ ، فَمَا
هَلْ عَلِمْتُمْ أُمَّةً فِي جَهْلِهَا
بَاطِنُ الْأُمَّةِ مِنْ ظَاهِرِهَا
فَخَلُّوا الْعِلْمَ عَلَى أَعْلَامِهِ
وَاقْرَأُوا تَارِيخَكُمْ ، وَاحْتَفَظُوا
أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَلْسِنِهِمْ

لَكُمْ ، أَكْرِمُ ، وَأَعِزُّ بِالْفِدَاءِ
أَنْ أَرَاكُمْ فِي الْفَرِيقِ السُّعْدَاءِ ؟
وَأَرَى عَرْشَكُمْ فَوْقَ ذُكَاةٍ ١
عِزُّهَا فِي عَهْدِ «خَوْفٍ» وَ «مِنَاءٍ»
مَا بَنَى النَّاسُ جَمِيعاً لِلْعَفَاءِ ٢
وَتَقْبِي الْأَثَارَ مِنْ عَادَى الْفَنَاءِ
نَحْنُ هَلَكَى ، فَلَكُمْ طَوْلُ الْبَقَاءِ
وَحُقُوقُ الْبِرِّ أَوَّلُ بِالْقَضَاءِ
فِي يَمِينِ اللَّهِ خَيْرُ الْأَمْنَاءِ
هُوَ إِلَّا مِنْ خِيَالِ الشُّعْرَاءِ
ظَهَرْتُ فِي الْمَجْدِ حَسَنَاءُ الرَّدَاءِ ؟
إِنَّمَا السَّائِلُ مِنْ لَوْنِ الْإِنَاءِ
وَاطْلُبُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ الْحِكَمَاءِ
بِفَصِيحِ جَاءِكُمْ مِنْ فَصْحَاءِ
وَحْيِهِ فِي أَغْصُرِ الْوَحْيِ الْوِضَاءِ ٣

١ ذُكَاةٌ : اسمٌ لِلشَّمْسِ .

٢ الْعَفَاءُ : الدُّرُوسُ وَالْهَلَاكُ وَالْفَنَاءُ .

٣ الْوِضَاءُ : الْمَشْرِقَةُ الْحَسَنَةُ .

واحكموا الدنيا بسلطانٍ ، فما خُلِقَتْ نَصْرَتُهَا للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض ، فإن هي ضاقت فاطلبوه في السماء

شِيكْسِير

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا كَرَسِيهِ الْمَاءُ وَمَا دِعَامَتُهُ بِالْحَقِّ سَمَاءُ
بِاجِرَةِ الْمَنْشِ ، حَلَّاكُمْ أَبْوَتُكُمْ مَا لَمْ يُطَوَّقْ بِهِ الْأَبْنَاءُ آبَاءُ
مُلْكُ يَطَاوِلُ مَلِكَ الشَّمْسِ ، عِزُّهُ فِي الْغَرْبِ بِاذْخَةٍ ، فِي الشَّرْقِ قَعَسَاءُ^١
تَأْوِي الْحَقِيقَةَ مِنْهُ وَالْحَقُوقُ إِلَى رُكْنِ بَنَاءٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ بَنَاءُ
أَعْلَاهُ بِالنَّظَرِ الْعَالِي ، وَنَطْقُهُ بِحَائِطِ الرَّأْيِ أَشْيَاخُ أَجَلَاءُ
وَحَاطَهُ بِالْقَنَاءِ فِتْيَانُ مَمْلَكَةٍ فِي السَّلْمِ زَهْرُ رُيٍّ ، فِي الرُّوعِ أَرْزَاءُ
يُسْتَصْرَخُونَ ، وَيُرْجَى فَضْلُ نَجْدَتِهِمْ كَأَنَّهُمْ عَرَبٌ فِي الدَّهْرِ عَرَبَاءُ
وَدَوْلَةٌ لَا يَرَاهَا الظَّنُّ مِنْ سَعَةٍ وَلَا وَرَاءَ مَدَاهَا فِيهِ عَلِيَاءُ
عَصْمَاءُ ، لَا سَبَبُ الرَّحْمَنِ مُطْرَحُ فِيهَا وَلَا رَحِمُ الْإِنْسَانِ قَطْعَاءُ
تِلْكَ الْجَزَائِرُ كَانَتْ تَحْتَهُمْ رُكْنًا وَرَاءَهُنَّ لِبَاغِي الصَّيْدِ عَتَقَاءُ
وَكَانَ وَدُّهُمْ الصَّافِي وَنَصْرَتُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَرَاعِيهِمْ كَمَا شَاءُوا

* * *

دَسْتُورُهُمْ عَجَبُ الدُّنْيَا ، وَشَاعَرُهُمْ يَدٌ عَلَى خَلْقِهِ لِلَّهِ بِيضَاءُ
مَا أَتَجَبَتْ مِثْلَ شِيكْسِيرٍ حَاضِرَةٌ وَلَا نَمَتْ مِنْ كَرِيمِ الطَّيْرِ عَنَاءُ
نَالَتْ بِهِ وَحْدَهُ إِنْكَلَرَا شَرْفًا مَا لَمْ تَلْ بِالنُّجُومِ الْكَثْرَ جَوْزَاءُ^٢

١ قعساء : أي ثابتة .

٢ الجوزاء : برج في السماء .

لم تُكشَف النفسُ لولاهُ ، ولا يُلبِث
شِعْرٌ من التَّسْقِ الأَعلى ، يُؤَيِّدُهُ
من كلِّ يَتِّ كآيِ الله ، تسكُّنُهُ
وكلُّ معنًى كعيسى في محاسنِهِ
أو قِصَّة ككتابِ الدهرِ جامعةٍ
مِها تُمَثِّلُنْ ثَرَّ الدُّنيا مُمَثِّلَةٌ

* * *

يا صاحبَ العُصْرِ الخالي ، ألا خَبِرَ
أما الحِياةُ ، فأمرٌ قد وصفتَ لنا
بمن أمانتكَ قل لي : كيف جُمِجِمَةٌ
كانتْ سماءُ بيانٍ غيرِ مُقْلَعَةٍ
فأصبحتْ كَأَصْبَحٍ غيرِ مُفْتَقَدٍ
وكيف باتَ لِسَانٌ لم يدعِ غرضاً
عفا ، فأَمْسَى زُنائِي عَقْرِبَ يَلِيتْ
وما الذي صنعتْ أَيْدِي البلى يَدَ
في كلِّ أنْمَلَةٍ منها إذا أَنْبَجَسَتْ
أَمَسَتْ من الدُّودِ مِثْلَ الدُّودِ في جَدَثٍ
وَأَيْنَ تحتِ الثرى قلبٌ جَوَانِبُهُ
تُضْغِي إلى دَقِّهِ أَذُنُ البِيانِ ، كما

عن عالمِ الموتِ يَرْوِيهِ الأَلْبَاءُ ١ ؟
فهل لِمَا بَعْدُ تَمَثِيلٌ وإِدْناءُ ؟
غبراء في ظُلُمَاتِ الأرضِ جَوَفاءُ ؟
شُوبُوبُها عَسَلٌ صافٍ وَصِهابُ
جَفَّتْهُ رِيحانةٌ للشعرِ فَيَحْباءُ ٢
ولم تَقْتَهُ من الباغينِ عَوَراءُ ٣
وسُمُّها في عروقِ الظلمِ مِثْباءُ
ها إلى الغيبِ بالأقلامِ إِيْماءُ ؟
بَرْقٌ ، وَرَعْدٌ ، وَأَرْواحٌ ، وَأَنْواءُ ٤
فَقَازَها فيه حَصْبَاءُ وَبَوَغاءُ ٥
كَأَنَّهُنَّ لوادي الحَقِّ أَرْجاءُ ؟
إلى التواقيسِ للرُّهبانِ إِضْغاءُ

١ الألباء : العقلاء ، جمع ليب .

٢ الأصْبَحُ : نصفُ الجرة يزرع فيها الرياحين .

٣ العوراء : الكلمة أو القِطعة القسيحة .

٤ انبجست : أي انفجرت .

٥ الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة ، والبوغاء : ما يثور من الغبار ودقائق التراب .

لئن تَمْشَى البلى تحت التراب به لا يُؤْكَلُ اللَّيْثُ إِلَّا وَهُوَ أَشْلَاءُ

* * *

والنَّاسُ صِنْفَانِ : مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمْ
تَأْتِي الْمَوَاهِبُ ، فَالْأَحْيَاءُ بَيْنَهُمْ
يَا وَاصِفَ الدَّمِّ يَجْرِي هَهُنَا وَهُنَا
لَا مُوَكَّ فِي جَعْلِكَ الْإِنْسَانَ ذَنْبَ دَمٍ
وَقِيلَ : أَكْثَرَ ذِكْرِ الْقَتْلِ ، ثُمَّ أَنْوَا
كَانُوا الذَّنَابَ ، وَكَانَ الْجَهْلُ دَاءَهُمْ
لَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ مَشَى فِي النَّاسِ قَاطِبَةً
قُمْ أَتَيْدِ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا ، أَلَيْسَ لَهُ
وَأَيْنَ صَوْتُ تَمِيدِ الرَّاسِيَاتِ لَهُ
وَأَيْنَ مَاضِيَةٌ فِي الظُّلْمِ ، قَاضِيَةٌ ؟
أَبْرَكُ الْأَرْضِ جَانُوهَا وَلَيْسَ بِهَا
تَأْوِي إِلَيْهَا الْيَأْمَى ، فَهِيَ تَعْرِضُ
وَأَخْرُونَ بِيْطَنَ الْأَرْضِ أَحْيَاءُ
لَا يَسْتَوُونَ ، وَلَا الْأَمْوَاتُ أَكْفَاءُ
قُمْ أَنْظِرِ الدَّمَ ، فَهُوَ الْيَوْمَ دَأْمَاءُ^١
وَالْيَوْمَ تَبْدُو لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءُ
مَا لَمْ تَسْعُهُ خَيَالَاتُ وَأَنْبَاءُ
وَالْيَوْمَ عَلِمَهُمُ الرَّاقِي هُوَ الدَّاءُ
كَمَا مَشَى آدَمُ فِيهِمْ وَحَوَاءُ
كَتَبْتُ مِنْكَ تَحْتَ الْأَرْضِ خَرَسَاءُ ؟
كَمَا تَمَازِدُ يَوْمَ النَّارِ سَيْنَاءُ^٢ ؟
وَأَيْنَ نَافِذَةٌ فِي الْبَغْيِ ، نَجْلَاءُ ؟
صَحِيفَةٌ مِنْكَ فِي الْجَانِينِ سَوْدَاءُ ؟
وَيَسْتَرْحُ الْيَتَامَى ، فَهِيَ تَأْسَاءُ

١ الدأماء : البحر .

٢ يريد النار التي ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طور سيناء .

أثر البال في البال*

حَفَّ كَاسَهَا الْحَبُّ	فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ
أَوْ دَوَائِرُ دُرَّرُ	مَائِجُ بِهَا لَبُّ ^١
أَوْ فَمُ الْحَبِيبِ ، جَلَا	عَنْ جَمَانِهِ الشَّنْبُ ^٢
أَوْ يَدَاهُ ، وَبَاطِنُهَا	عَاطِلُ وَخَتِيبُ
أَوْ شَقِيقُ وَجَنَّتِهِ	حِينَ لِي بِهِ لَعِبُ ^٣
رَاحَةُ النُّفُوسِ ، وَهَلْ	عِنْدَ رَاحَةِ تَعَبِ
يَا نَدِيمُ ، خِفْتُ بِهَا	لَا كَيْتَا بِكَ الطَّرَبِ
لَا قَلِيلُ : عَوَاقِبُهَا	فَالْعَوَاقِبُ الْأَدَبِ
تَنْجَلِي وَلِي خُلُقِي	يَنْجَلِي وَيَنْسَكِبِ
يَرْقُبُ الرِّفَاقُ لَهُ	كَلِمَا سَرَى شَرِبُوا
شَاعِرُ الْعَزِيزِ ، وَمَا	بِالْقَلِيلِ ذَا اللَّقَبِ
لَيْلَةٌ لِسَيِّدِنَا	فِي الزَّمَانِ تُرْتَقَبِ
دُونَهَا الرَّشِيدُ ، وَمَا	أَخْلَدْتُ لَهُ الْكُتُبِ
يُهْرَعُ النُّزِيلُ لَهَا	وَالرَّعِيَّةُ السُّحْبُ
فَالسَّرَائِيُّ جَوْهَرَةٌ	لِلْعُقُولِ تَخْتَلِبُ
أَوْ كِبَاقَةُ زَهْرًا	لِلْعُيُونِ تَأْتِشِبُ ^٤

* قالها في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين .

١ اللب : موضع القلادة من الصدر .

٢ جلا : أي كشف . والجنان : اللؤلؤ . والشنب : علوبة الأسنان .

٣ الشقيق : واحد شقائق النعمان ، وهي أزهار حمراء فيها بقع سوداء .

٤ الزهرا : الزهراء . انتشب الشجر : التف .

الجلالُ قبَّئُهُ	والسَّنا له طُئِبُ ^١
ثابتٌ ، وذُرُوءُهُ	في الفضاءِ تضطرب
أشْرقتْ نوافِذه	فهنيَ منظرٌ عَجِبَ
وأستنارَ رُفْرُفُهُ	والسُّجُوفُ ، والحُجُبُ ^٢
تعجَّبَ العيونُ له	كيفَ تَسْكُنُ الشُّهُبُ ؟
أقبلتْ شمسٌ ضُحَى	ما هُنَّ مُنْتَقِبُ
الظلامِ رَابتُها	وهيَ جَيْشُهُ اللَّجِبُ
في هَوَاجٍ عَجَلًا	بالجِيادِ تَنسَحِبُ
قامَ دُونُها سَبَبُ ^٣	وأستحثُّها سَبَبُ ^٢
فهنيَ نَارَةٌ مَهْلٌ	وهيَ نَارَةٌ حَبِيبُ ^٤
تَرميَ بَنَ حِمَى	لَا يَجُوزُهُ رَغَبُ
بَابِهِ لِدَاخِلِهِ	جَنَّةٌ ، هيَ الْأَرْبُ
قامتِ السَّراةُ به	والمَعِيَّةُ النَجْبُ ^٥
وانبرى النساءُ له	عُجْمُهُنَّ ، والعَرَبُ
العَفافُ زِينَتُها	والجِمالُ ، والحَسَبُ
أَنجُمٌ ، مَطَالِعُهَا	عابدينُ والرَّحَبُ
سَيِّدِي لها فَلَكَ	وهيَ مِنْهُ تَقْتَرِبُ
عندَ رُكنِ حُجْرَتِهِ	بَدْرُهُ لَنَا كَثَبُ
يزدهي السَّرِيرُ به	والمَطَارِفُ القُشْبُ

١ السنا هنا مقصور من السناء : بمعنى الرفعة . والطنب : الوند .

٢ الرفرف : الرقيق من ثياب الديباج .

٣ السب : الحبل ، ويشير به أولاً إلى زمام الدابة ، وثانياً إلى سوط السائق .

٤ الحجب : سرعة علو الجياد .

٥ السراة : جمع سري ، وهو السيد الشريف في سخاء ومروءة . والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحبيب .

حَوْلَ عَرْشِهِ عَجَمٌ	حَوْلَ عَرْشِهِ عَرَبٌ
رُتَبَةُ الْجُدُودِ لَهُ	تَسْتَوِي بِهَا الرُّتَبُ
شُرُفَتْ بِهِ وَسَمًا	تَالِدٌ ، وَمُكْتَسَبٌ ^١
الليوثُ مائِلَةٌ	والطبَّاءُ تَنْسَرِبُ
الحريزُ ملبسُها	واللَّجَيْنُ ، والذهبُ
والقصورُ مَسْرُحُها	لا الرِّمَالُ ، والعُشْبُ
يَسْتَفْزُها نَعَمٌ	لا صَدَى ، ولا لَجَبُ
يُسْتَعَادُ مُرَقَّصُه	تَارَةً وَيُقْتَضَبُ
فَالْقُدُودُ بَانَ رُبِّي	بَيَدَ أَنَّها تَشِبُ ^٢
يلعبُ العِناقُ بها	وهو مُشْفِقٌ حَذِبُ
فهيَ مَرَّةٌ صُعْدُ	وهيَ مَرَّةٌ صَبَبٌ ^٣
وهيَ هُنا ، وهُنا	تَلْتَنِي ، وتَصْطَحِبُ
مِثْلما التقتُ أَسْلُ	أو تَعانقتُ قُضْبُ
الرُّؤُوسُ مائِلَةٌ	في الصِّدُورِ تَحْتَجِبُ
والثُّحُورُ قائِمَةٌ	قَاعِدُها الوَصْبُ ^٤
والثُّهُودُ هَامِدَةٌ	والخُدُودُ تَلْتَهَبُ
والخُصُورُ واهِيَةٌ	بالبنانِ تَتَجَذِبُ
سالتِ الأَكْفُ بها	فهيَ أَغْصَنُ نُهَبُ
الخِوانُ دائِرَةٌ	المَلَا لها قُطْبُ
لِلوُفُودِ مائِدَةٌ	منه أَيْنما انْقَلَبُوا

١ التالِد : القديم .

٢ البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله .

٣ الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر .

٤ الوصب : التعب .

والطريقُ مُتَّصِلٌ	نحوه ، ومُنشعب
والطعامُ حاضِرُه	والمزيدُ مُنْتَهَب
باردٌ ، ومن عَجَبٍ	يُشْتَهَى ، وَيُطَلَّب
سائِعٌ لِلَّذِي سَعَبَ	سائِعٌ ولا سَعَب
حاضرٌ لَدَى طَلَب	حاضرٌ ولا طلب
والمُدَامُ أَكْثُسُهَا	ما تَغِيضُ والعَلَبُ ^١
وهيَ بَيْنَنَا سَلَبٌ	والتَّهْيُّ لَهَا سَلَبٌ
شَرَفَتْ مَنَافِحُهَا	واعْتَلَى بِهَا الْعِنَبُ
حَوَّلَهَا الْحَوَائِمُ ، مَا	يَنْقُضِي لَهَا قَرَبٌ
يَغْتَبِطُنَ فِي حَرَمٍ	لا تَنَالُهُ الرِّيبُ
ما سِوَى الْحَدِيثِ بِهِ	يُبْتَغَى وَيُجْتَذَبُ
هَكَذَا الْكَرَامُ ، كَرَا	مُ « وَإِنْ هُوَ طَرَبَا »
لَيْلَةٌ عَلَتْ ، وَعَلَتْ	لَيْتَ فَجَرَهَا كَذِبُ
يَكْفُلُ الْأَمِيرُ لَنَا	أَنْ تَعِيدَهَا الْحَقْبُ ^٢
عَاشَ لِلنَّدَى مَلَكٌ	سَيِّدٌ لَنَا ، وَأَبُ
حَاتِمُ الْمُلُوكِ إِذَا	ضَاقَ بِالنَّدَى الثَّشْبُ ^٣
السُّرُودُ أَنْعُمُهُ	وَالْهَنَاءُ مَا يَهَبُ
وَالنَّدَى سَجِيَّتُهُ	وَالْحَنَانُ ، وَالْحَدَبُ
يَا عَزِيزُ ، دَامَ لَنَا	رَوْضُ عِزِّكَ الْأَشْبُ
هَذِهِ عَرُوسُ نُهْيٍ	فِي الْقَبُولِ تَرْتَبُ

١ العلب : نوع من الأقداح الضخمة .

٢ الحقب : جمع حقة وهي هنا بمعنى السنة .

٣ الندى : الكرم .

زَفَّهَا لَكُمْ ، وَجَلَا شاعرُ الحِمَى الأَرَبِ
 احتفى الحضورُ بها واكتفى بها العَيبُ
 أُنْتَمِ الظلالُ لنا والمنازلُ الخُصْبُ
 لو مَدَحْتَكُمْ زَمَنِي لم أَقِمَ بما يَجِبُ

مَرَقَصُ*

مَالَ واحتجبَ	وَادَّعَى الغُضْبُ
لَيْتَ هاجري	يَشْرُحُ السَّبَبُ
عَثْبُهُ رَضَى	لَيْتَهُ عَتَبُ
عَلَّ بَيْنَنَا	وَاشْيَأْ كَذِبُ
أَوْ مَفْنَدًا	يَخْلُقُ الرَّيْبُ ^١
مَنْ لِمُدْنَفٍ	دَمْعُهُ سُحْبُ ^٢ ؟
بَاتَ مَتَعَبًا	هَمُّهُ اللَّعِبُ
يَسْتَوِي خَلٍ	عِنْدَهُ وَصَبُ
ذَقْتُ صَدَّه	غَيْرَ مُحْتَسِبِ
ضَقْتُ فِيهِ بَالُ	رُؤْسِلُ وَالْكَتَبِ
كَلِمَا مَشَى	أَخْجَلُ الْقُصْبِ
بَيْنَ عَيْنِهِ	وَالْمَهَا نَسَبِ
مَاءُ خَدَّه	شَفَّ عَنْ لَهَبِ

* نظمت هذه القصيدة في وصف مرقص أقيم بسراي عابدين سنة ١٩٠٤ .

١ مفند : مكذب .

٢ المدنف : الذي أثقله المرض .

سَاقِي الطَّلَا	شُرْبُهَا وَجِب
هَاتِيهَا مَشَتْ	فَوْقَهَا الْحَقَب
بَابِلِيَّةً	تَنْفُثُ الْحَبَّ
إِنْ كَرَّمَهَا	آدَمُ الْعَيْبَ
هُذَّبْتُ فِي	ذَنْهَا الْأَدَبَ
إِسْقِيهَا فَتَى	خَيْرَ مَنْ شَرِبَ
كَلِمَا طَغَى	رَاضِيهَا الْحَسَبَ
عَابِدِينَ أَمَّ	هَالَةً عَجِبَ ؟
أُسَّهُ الْهَدَى	وَالْعَلَا طُبَّ
مُشْرِفُ الذَّرَى	مَائِجُ الرَّحَبِ
قَامَ رَبُّهُ	يَرْفَعُ الْحُجُبَ
عِنْدَ عَرْشِهِ	عَرْشٍ مُنْحَتَبِ
دُونَ عِزِّهِ	تُبْعُ الْعَلَبِ
السُّرَاةُ مِنْ	وَفْدِهِ الثُّجَبِ
حَوْلَ سُدَّةٍ	حَقَّقَهَا الرَّعَبِ
طَابَ عِنْدَهَا الـ	مُجْجَمُ وَالْعَرَبِ
وَارْتَضَى الْمَلَا	مِنْ بَنِي الصُّلْبِ
مِنْ حِسَانِهِمْ	سِرْبُ أَنْسَرَبِ
بَيْنَ كَوْكَبِ	يَسْحَبُ الذَّنَبِ
عِنْدَ جَوْدَرٍ	فَاتِنِ الشَّنَبِ
عِنْدَ شَادِنِ	حَاسِرِ اللَّبَبِ
تَذْهَبُ الْهُيَ	أَيْنَمَا ذَهَبِ

يَلْفِتُ	الملا	كلما	وثب
في غلائل	سُنْدِسٍ	قُشْبٍ ^١	
دونهنَّ	لا	يثب	الْيَلْبُ ^٢
قرَّ نهده	عِطْفُهُ	اضطرب	
خصره	ها	صدره	صب
يُرْكِضُ	الْهَى	مَشِيَّةُ	الحَبِّ
رائعاً	كما	شاء	في الكتب
آنساً	إلى	شبهه	انجذب
يستخِفُّه	أينما	انقلب	
مُطْرَبٌ	من الـ	لَحْنٍ	مَتَّخَبٍ
يَجْمَعُ	الملا	يُحْضِرُ	القَيْبِ
ما حدا	المها	قبله	طرب

* * *

يا ابنَ خير أب	يا أبا	الثُّجْبِ
أنت حاتمٌ	للقرى	انتدب
في خِوانِه	كلُّ	ما يجب
لم تقمَ	على	مِثْلِه
أنهَلَ	البرا	يا وما
أطعم	الورى	لم يقل
ما بهم	صدى	ما بهم

١ قشب : جمع قشيب وهو الحديد ، والقشيب أيضاً : الأبيض والنظيف .
 ٢ اليب : الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس . واليب : الفولاذ . واليب : خالص الحديد .

قَمِّ أبا نوا	سِ انظر النَّشْب ^١
ما الخصبُ؟ ما الـ	بِحِرْ ذُو الْعُتْبِ؟
هل عهدته	يُمِطِرُ الذهبُ؟
ذا هو الجنا	بُ الذي خصب
ظُلِّلَ الوري	روضة الأثب ^٢
خيرٌ من دعا	خيرٌ من أدب

* * *

رَبِّ مصر، عَشْ	وَأَبْلَغِ الأرب ^٣
لم تزل ليا	ليك تُرْتَقِب
مثل صفوها الـ	لِدَهْرٍ ما وهب
أحيها لنا	عِدَّةَ الشَّهْب
هاكْ مِدْحَةَ الشـ	ساعر الأرب ^٣
زَفَّها إلى	خيرٌ من خَطَب
فَارِسِيَّةً	بَزَتْ العَرَب
لم يَجِيَّ بها	شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها	تَسْمَعِ العَجَب
بِيدَ أنها	بعضُ ما وجَب

١ النشْب : المال والقار .

٢ الأثب : الملتف .

٣ الأرب : الماهر البصير .

تَحْلِيلَةُ كِتَابِ*

أنا من بدّل بالكتبِ الصّحابة
صاحبٌ - إن عيّنه أو لم تعب -
كلّما أخلقته جدّدني
صُحبةٌ لم أشك منها ربيّة
رُبّ ليلٍ لم تُقصر فيه عن
كان من همّ نهاري راحتي
إن يَجِدْنِي يتحدّث ، أو يَجِدْ
تجدُ الكتبَ على النقدِ كما
فتخبرها كما تختاره
صالحُ الإخوانِ يغيكُ الثّقي

لم أجِد لي وافيّاً إلا الكتابا
ليسَ بالواجد للصاحبِ عابا
وكساني من حلي الفضل ثيابا
وودادٌ لم يُكلّفني عتابا
سمّر طالَ على الصمت وطابا
ونداماي ، ونقلى ، والشرابا^١
مملأً يطوي الأحاديثَ اقتضابا
تجدُ الإخوانَ صدقاً وكذابا
وادّخر في الصّحب والكتب اللّبابا
ورشيدُ الكتب يغيك الصوابا

* * *

غالٍ بالتاريخ ، واجعل صُحفه
قلْب الإنجيل ، وانظر في الهدى
رُبّ من سافر في أسفاره
واطلب الخلد ، وزمه منزلاً
عاشَ خلقٌ ، ومضوا ، ما نقصوا
أخذَ التاريخُ مما تركوا
ومن الإحسان ، أو من ضده

من كتابِ الله في الإجلال قابا
تلقَ للتاريخ وزناً ، وحسابا
بليالي الدهر والأيام آبا
تجد الخلد من التاريخ بابا
رُقعة الأرض ، ولا زادوا الثّرابا
عملاً أحسن ، أو قولاً أصابا
نَجِّح الراغبُ في الذكر ، وخابا

* قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض .
١ النقل بالفتح : ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفتح ونحوهما .

مَثَلُ الْقَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ كَلْقِيطِ عَيٍّ فِي النَّاسِ انْتِسَاباً
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةِ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي انْقِضَاباً

* * *

يَا أَبَا «الْحَفَاطِ» ، قَدْ بَلَّغْتَنَا طَلِبَةً ، بَلَّغَكَ اللَّهُ الرُّغَابَا
لَكَ فِي الْفَتْحِ وَفِي أَحْدَائِهِ فَتَحَ اللَّهُ حَدِيثًا وَخِطَابَا
مَنْ يُطَالَعُهُ ، وَيَسْتَأْنِسُ بِهِ يَجِدُ الْجِدَّ ، وَلَا يَعْدَمُ دِعَابَا
صُحُفٌ أَلْفَتْهَا فِي شِدَّةٍ يَتَلَاشَى دُونَهَا الْفَكْرُ انْتِهَابَا
لُغَةٌ «الْكَامِلُ» فِي اسْتِرْسَالِهِ «وَابْنُ خَلْدُونِ» إِذَا صَحَّ وَصَابَا
إِنَّ لِلْفَصْحَى زِمَامًا وَيَدًا تَجَنَّبِ السَّهْلَ ، وَتَقْتَادُ الصَّعَابَا
لُغَةُ الذِّكْرِ ، لِسَانُ الْمُجْتَنِبِ كَيْفَ تَغْيَا بِالْمُنَادِينَ جَوَابَا ؟
كُلُّ عَصْرِ دَارُهَا إِنْ صَادَفَتْ مَتَزَلًّا رَحْبًا ، وَأَهْلًا ، وَجَنَابَا
أَنْتِ بِالْعُمَرَانِ رَوْضًا يَانِعًا وَادْعُهَا تَجْرِ يَنَابِيعَ عِذَابَا
لَا تَجْنِهَا بِالْمَتَاعِ الْمُقْتَنَى سَرَقًا مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَنَهَابَا
سَلِّ بِهَا أَنْدَلُسًا : هَلْ قَصُرَتْ دُونَ مَضَامِيرِ الْعُلَى حِينَ أَهَابَا ؟
عُرِسَتْ فِي كُلِّ ثَرْبٍ أَعْجَمٍ فَرَكْتَ أَصْلًا ، كَمَا طَابَتْ نِصَابَا
وَمَشَتْ مِشْيَتَهَا ، لَمْ تَرْكَبْ غَيْرَ رِجْلَيْهَا ، وَلَمْ تَحْمِلْ غُرَابَا^١

* * *

إِنَّ عَصْرًا قَدْ تَجَلَّوهُ لَنَا لَيْسَ الْأَيَّامَ دَجْنَا وَضَبَابَا^٢
الْمَالِيكَ تَمْشِي ظِلُّهُمْ ظُلُمَاتٍ ، كَذُجَى اللَّيْلِ حِجَابَا
كُلُّهُمْ كَافُورٌ ، أَوْ عَبْدُ الْحَتَا غَيْرَ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَ عَنْهُ خَابَا^٣

١ الجناب : القناء .

٢ لم تحمل غراباً : كناية عن أنها لم تقلد كما قلد الغراب الطاووس .

٣ الدجن : الباس الغيم الأرض .

٤ كافور : هو كافور الأخشيدي مملوح المتنبى . وعبد الحتا : أي كافور .

ولكل شِيعَةً من جنسِهِ
ظلماتٌ لا ترى في جُنْحِهَا
زِيدَتِ الأخلاق فيه حائطاً
ونرى الأعزال من أشياخِهِ
قسماً لولاه لم يبقَ بها
حَفِظَ الدينَ مَلِكاً ، ومضى
أُوذِيتْ هَيْبَتُهُ من عَجْزِهِ
لم تغادر قلماً في راحة
أَقْعَدَ الله الجبرتيَّ لها
خبّاً الشيخُ لها في رُذْنِهِ
ملكٌ لم يُغْضِ عن سَيِّئَةٍ
لا يراه الظُّلُمُ في كاهِلِهِ
صُحُفُ الشيخِ ، ويومياته
من حواشٍ كجَلِيدٍ لم يذبْ
و الجبرتيُّ على فِطْنَتِهِ
مُنْصَفٌ ما لم يُرْضَ عاطفَةٌ
وإذا الحيُّ تَوَلَّى بالهوى

إِنْ لِلشَّرِّ إِلَى الشَّرِّ انْجِذَاباً
غَيْرَ هَذَا الْأَزْهَرِ السَّنَحِ شَهَاباً^١
فاحتنى فيها رِواقاً وقباباً
صَيَّرُوهُ بِسِلَاحِ الْحَقِّ غَاباً
رَجُلٌ يَقْرَأُ أَوْ يَدْرِي الْكِتَابَ
يُنْقِذُ الدُّنْيَا ، فلم يَمَلِكْ ذَهَاباً
وَقَصَّارِي عَاجِزٌ أَنْ لَا يُهَابَ
دَوْلَةٌ مَا عَرَفَتْ إِلَّا الْحِرَابَ
قلماً عن غائب الأَقْلَامِ ناباً^٢
مِرْقاً أَدهى من الصِّلِ أنْسِيَاباً^٣
يا له من مَلَكٍ يَهْوَى السَّبَابَ
وهو يَكْوِي كاهِلَ الظُّلَمِ عِقَاباً
كَزَمَانَ الشَّيْخِ سَقَمًا واضطراباً
وفصولٍ تشبه الثَّبرَ المُدَابَّ
مَرَّةً يَغْبِي ، وحيناً يَتَغَابَى^٤
أَوْ يُعَالِجُ لَهْوَى النَّفْسِ غَلَاباً
سِيرَةَ الْحَيِّ بَغَى فِيهَا وَحَابِي

* * *

وَقَعَةُ الْأَهْرَامِ جَلَّتْ مَوْقِعاً وَتَعَالَتْ فِي الْمَغَازِي أَنْ تَرَاباً

١ الأزهر : يعني به معهد الأزهر .

٢ الجبرتي : للورخ المعروف .

٣ الشيخ يعني به الجبرتي . والردن : أصل الكم . وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير .

والمرقم : القلم . والصل : الثعبان .

٤ يتغابى : يتغافل .

عِظَةُ الْمَاضِي ، وَمُتْلَقِي دَرْسِهِ
 مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ ، إِلَّا أَنَّهَا
 وَمِنْ الْأَيَّامِ مَا يَبْقَى وَإِنْ
 هِيَ مِنْ أَيِّ سَبِيلٍ جِئْتَهَا
 أَنْظُرِ الشَّرْقَ تَجِدُهَا صَرَفَتْ
 جَلَبَتْ خَيْرًا وَشَرًّا ، وَسَقَتْ
 فِي نَصِييْنِ لِبَسْنَا حُسْنَهَا
 إِنْ سِرْبًا زَحَفَ النَّسْرُ بِهِ
 إِنْ تَرَامَتْ بِلَدًّا عِيقَانُهُ
 شَهِدَ الْجِيزِيُّ مِنْهُمْ عُصْبَةً
 كَذْنَابِ الْفَقْرِ مِنْ طُولِ الْوَغَى
 قَادَهُمُ لِلْفَتْحِ فِي الْأَرْضِ فَمَيَّ
 عَرَّتِ النَّاسَ بِهِ نَكْبَتُهُ
 بَرَزَتْ بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي لَهَا
 حُلِيِّ الْقُرْسَانِ فِيهَا جَوْهَرًا
 فِي سِلَاحِ كَحْلِيِّ الْغَيْدِ ، مَا
 طَرَحَتْ مِصْرَ ، فَكَانَتْ مُوَمِّيًا

لِعَقُولٍ تَجْعَلُ الْمَاضِي مَثَابًا^١
 تَنْشُرُ الدَّهْرَ وَتَطْوِيهِ كَعَابًا^٢
 أَمَعْنَ الْأَبْطَالُ فِي الدَّهْرِ احْتِجَابًا
 غَايَةً فِي الْمَجْدِ لَا تَدْنُو طِلَابًا
 دَوْلَةَ الشَّرْقِ اسْتَوَاءً وَانْقِلَابًا
 أُمًّا فِي مَهْدِهِمْ شُهِدًا وَصَابًا^٣
 وَعَلَى التَّلِّ لِبَسْنَاهَا مَعَابًا
 قَطَعَ الْأَرْضَ بِطَاحًا وَهَضَابًا
 خَطَفَتْ تَاجًا ، وَأَصْطَادَتْ عُقَابًا
 لَبَسُوا الْغَارَ عَلَى الْغَارِ اعْتَصَابًا^٤
 وَاخْتِلَافَ النَّقْعِ لَوْنًا وَإِهَابًا
 لَوْ تَأَنَّى حَظَّهُ قَادَ السَّحَابَا
 جَمَعَ الْجُرْحُ عَلَى اللَّيْثِ الذَّبَابَا
 فَيَلِقُ كَالزَّهْرِ حُسْنًا وَالتَّهَابَا^٥
 وَجِلَالُ الْخَيْلِ ذُرًّا وَذَهَابَا
 لَمَسَتْ طَعْنًا ، وَلَا مَسَتْ ضِرَابَا
 بَيْنَ لِصِّينَ أَرَادَاهَا جُذَابَا

١ مَثَابًا : أَي مَرَجْعًا .

٢ بَنَاتِ الدَّهْرِ : أَي شِدَائِدُهُ . وَكَعَاب : أَي وَهْي صِيَّةٍ لَمْ تَكْبُر .

٣ الصَّاب : عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ .

٤ نَصِييْنِ : أَكْبَرُ الْوَقَائِعِ وَأَشْهَرُهَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ وَبَيْنَ الْأَتْرَافِ . التَّلِّ : وَاقِعَةُ التَّلِّ الْكَبِيرِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي جَرَتْ عَلَى مِصْرَ الْإِخْلَالِ الْإِنْجِلِيزِيِّ .

٥ النَّسْر : يَهْنِي بِهِ نَابِلِيُون .

٦ الْجِيزِيُّ : يَعْنِي بِهِ هَرَمُ الْجِيزَةِ .

٧ الضَّاحِي : الْبَارِزُ . وَالزَّهْرُ : يَعْنِي بِهَا النُّجُومُ .

نالها الأعرضُ ظفراً منها من ذئاب الحرب ، والأطولُ نابا
وبنو الوادي رجالاتُ الحمى وقفوا من ساقة الجيش دُناي
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى يحرسُ الأجمال ، أو يستي مُصابا

الرَّيْعُ وَوَادِي النَّيْلِ*

آذارُ أَقبلَ ، قُمْ بنا يا صاحِ
واجمعْ نَدامى الظُّرفِ تحتِ لوائه
صفوا أتيحَ ، فخذْ لنفسِكَ قِسْطَها
واجلسْ بضاحكةِ الرياضِ مُصَفِّقاً
واستأنِسْ من السِّقَاةِ بُرْقَةً
رَقَّتْ كُندمانُ الملوكِ خلالَهُمْ
واجعلْ صَبوحَكَ في البكورِ سَلِيلَةً
مهما فضضتْ دِنَانُها فاستضحكتْ
تطفئُ ، فإنْ ذَكَرتْ كَرِيمَ أَصولِها
فرعونُ خَبَأَها ليومِ فُتوحِها
ما بينَ شادٍ في المجالسِ أَيْكُهُ
غَرِدْ على أوتارِها ، يُوحى إلى
يبيضُ القلائسُ في سوادِ جَلابِبِ

حيَ الرَّيْعَ حَديقةَ الأرواحِ
وانشُرْ بساحتهِ بساطَ الرِّاحِ
فالصفوُ ليس على المدى بِمُتاحِ
لتجاوِبِ الأوتارِ والأقداحِ
عُرٌّ ، كأمثالِ النجومِ ، صباحِ
وتجمُّلوا بِمُرُوءَةٍ وَسَاحِ
للمنجِبِينَ : الكرمِ والتفاحِ^١
مُلئى المكانُ سَنَى ، وطيبَ نُفاحِ
خلعتْ على النشوانِ حِلْيَةَ صاحي
وأعدَّ منها قُرْبَةَ لِفَتاحِ^٢
ومُحجَّباتِ الأيْكِ في الأدواحِ^٣
غَرِدْ على أغصانه ، صدَّاحِ
حُلَّينَ بالأطواقِ والأوضاعِ

* إلى هول كين الكاتب الروالي الشهير .

١ الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه .

٢ لفتاح : أحد آلهة قدماء المصريين .

٣ الأيكة : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر .

زتلن في اوراقهن ملاحنا كالراهبات صبيحة الإفصاح
يخطرن بين أرائك ومناير في هيكل من سندس قباح

* * *

مَلِكُ النبات ، فكلُّ أرضٍ دارُهُ منشورةٌ أعلامُهُ ، من أحمرٍ ليستْ لِمَقْدَمِهِ الخِثَالُ وشَبِها يغشى المنازلَ من لواحقِ نرجس ورؤوس «منشور» خَفَضْنَ لَعزَّهُ الوردُ في سُرِّ الغصونِ مُفْتَحِ صاحي المواكب في الرياض ، مُمَيِّزٌ مرَّ النسيمُ بصفحته مَقْبِلًا هتكَ الردى من حسنه وبهائه ينيك مصرعه - وكلُّ زائلٌ - ويقائقُ التَّسْرِينِ في أغصانها و «الياسمينُ» ، لَطِيفُهُ ونَقِيبُهُ مُتَالِقُ خَلَلِ الغصونِ ، كأنه و «الجُلَّتَارُ» دمٌ على أوراقهِ وكان مخزون «البنفسج» ثاكلٌ وعلى «الخواطر» رِقَّةٌ وكأبةٌ تلقاه بالأعراس والأفراح قانٍ ، وأبيضَ في الرُّبى لَمَّاح ومرحَنَ في كَنَفٍ له وجناح آناً ، وآناً من ثغور أقاح تيجانَهنَّ عواطرُ الأرواح متقابلٌ يُثْنِي على الفُتَّاح دون الزهور بشوكةٍ وسلاح مرَّ الشِفاه على حدود ملاح بالليل ما نسجت يدُ الإصباح أن الحياة كُثْدوةٌ ورَّواح كالدُّرُّ رُكْبٌ في صدور رماح كسريرة التَّنَزُّهِ المِسامح في بُلْجَةِ الأفنانِ ضوءُ صباح قاني الحروفِ ، كخائم السفاح يَلْقَى القضاءَ بخشيةٍ وصلاح كخواطر الشعراء في الأتراح

- ١ أقاح : واحدُها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء .
- ٢ يقائق : جمع يقق ، وأبيض يقق أي شديد البياض ناصعه . والتسرين : ورد أبيض عطري قوي الرائحة .
- ٣ البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر .
- ٤ الخطر : نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود يخضب به .

والسرُّو في الحِجْرِ السَّوَابِغِ كَاشِفٌ
 و«النحل» مَمشُوقُ العُلُوقِ، مُعَصَّبٌ
 كِبَنَاتِ فِرْعَوْنَ شَهِدَنَ مَوَاكِبًا
 وَتَرَى الْفَضَاءَ كَحَائِطٍ مِنْ مَرَمَرٍ
 الْقَيْمُ فِيهِ كَالْتَّعَامِ : بَدِينَةٌ
 وَالشَّمْسُ أَهْمَى مِنْ عُرُوسٍ بُرُقَعَتْ
 وَالْمَاءُ بِالْوَادِي يُخَالُ مَسَارِبَا
 بَعَثَ لَهُ شَمْسُ النَّهَارِ أَشْعَةً
 يَزْهَوُ عَلَى وَرَقِ الْغُصُونِ نَشِيرُهَا
 وَجَرَتْ سَوَاقٍ كَالْتَّوَادِبِ بِالْقُرَى
 الشَّاكِيَاتُ وَمَا عَرَفْنَ صَبَابَةً
 مِنْ كُلِّ بَادِيَةِ الضُّلُوعِ غَلِيلَةٍ
 تَبْكِي إِذَا رَتَبَتْ، وَتَضْحَكُ إِنْ هَفَّتْ
 هِيَ فِي السَّلَالِ وَالْغُلُولِ ؛ وَجَارُهَا

عَنْ سَاقِهِ كَمَلِيحَةٍ مِفْرَاحٍ
 مَتَزِينٌ بِمَنَاطِقِ وَوِشَاحٍ
 تَحْتَ الْمَرَاحِ فِي نَهَارٍ ضَاحٍ
 نُصِذَتْ عَلَيْهِ بِدَائِعِ الْأَلْوَحِ
 بَرَكْتُ ، وَأُخْرَى حَلَّقَتْ بِجَنَاحٍ
 يَوْمَ الرِّفَافِ بِعَسْجَدٍ وَضَاحٍ
 مِنْ زَيْتِي ، أَوْ مُلَقِيَاتِ صِفَاحٍ
 كَانَتْ حُلَى التَّيْلُوفِ السَّبَاحِ
 زَهْوُ الْجَوَاهِرِ فِي بَطُونِ الرِّاحِ
 رُغْنُ الشَّجِيِّ بَأَنَةٍ وَنَوَاحٍ
 الْبَاكِياتُ بِمَدَمَعِ سَحَّاحٍ
 وَالْمَاءُ فِي أَحْشَائِهَا ، مِلْوَاحٍ
 كَالْعَيْسِ بَيْنَ تَشْطُّطِ وَرْزَاحٍ
 أَعْمَى ، يَنْوُءُ بَيْنِيهِ الْفَدَاحِ

* * *

إِنِّي لِأَذْكُرُ بِالرَّبِيعِ وَحُسْنِهِ
 هَلْ كَانَ إِلَّا زَهْرَةً كَرْمُورِهِ

عَهْدَ الشَّبَابِ وَطَرَفِهِ الْمِمْرَاحِ
 عَجَلَ الْفَنَاءُ لَهَا بِغَيْرِ جُنَاحِ ؟

* * *

هَوْلُ كَيْنٍ - مَصْرُ رَوَايَةٍ لَا تَنْتَهِي
 فِيهَا مِنَ الْبَرْدِيِّ - وَالْمُزْمُورِ ، وَالْ

مِنْهَا يَدُ الْكُتَّابِ وَالشُّرَاحِ
 تَوَارِقَ ، وَالْفِرْقَانِ ، وَالْإِصْحَاحِ

١ الخبر : جمع حبرة . بالتحريك ضرب من برود اليمن .

٢ الطرف : هو الكريم من الخيل .

٣ المزمور : واحد الزمائر وهي الأناشيد والأدعية التي كان يترنم بها داود عليه السلام .

ومِنَا ، وقبَيْرُ ، إلى إسكندر
تلك الخلائقُ والدهورُ خزائنُ
أفقُ البلاد - وأنتَ بينَ ربوعها -
فالقِصْرَينِ ، فذي الجلالِ صلاح
فابعثْ خيالكَ يأتِ بالفتح
بالنجمِ مزدانُ وبالمصباحِ

مَسْجِدُ أَيَا صُوفِيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجد
كانت لعيسى حرماً ، فاتت
شيدَها الرُّومُ وأقيالُهم
نُتِبَ عن عزٍّ ، وعن صولةٍ
مَجَامِرُ الياقوتِ في صَحْنِها
ومثل ما قد أودِعَتْ من حُلَى
كانت بها العذراءُ من فَضَّةٍ
عيسى من الأمِّ لدى هالَةٍ
جَلَّاهُما فيها ، وحَلَّاهُما
وأودَعَ الجدرانَ من نقشه
فن مَلَاكٍ في الدُّجَى رائِحِ
ومن نباتِ عاش كالْبَيْغَا
فقلْ لمن شادَ ، فهذه القَوَى
كَأَنَّهُ فرعونُ لما بنى
أَعْبَدُ اللهَ بسُومِ الْوَرَى
هَدِيَّةُ السَّيِّدِ لِلْسَّيِّدِ
بُصْرَةُ الرُّوحِ إلى أَحْمَدِ
على مثالِ الهَرَمِ الْمُخَلَّدِ
وعن هوى للدين لم يَجْمَدِ
تَمَلُّؤُهُ من نَدَّها الْمُوقَدِ
لم تَتَّخَذْ داراً ولم تُحْشَدِ
وَكَانَ رُوحُ اللهِ من عَسْجَدِ
وَالْأُمُّ من عَيْسَى لَدَى فَرْقَدِ
مَصُورُ الرُّومِ الْقَدِيرُ الْبِدِ
بدائعاً من فَتْهُ الْمَفْرَدِ
عند مَلَاكٍ في الصُّحَى مَغْتَدِي
وهو على الحائطِ عَضُّ نَدِي
قَوَى الْأَجِيرِ ، الْمُتَعَبِ ، الْمُجْهَدِ
لِرَبِّهِ بَيْتاً ، فلم يَقْصِدِ :
ما لا يُسامِ الْعَيْرُ في الْمَقُودِ ؟

١ مجامر الياقوت : جمع مجمرة وهو اسم ما يجعل فيه الجمر .

كنيسة كالفَدَن المعتلي
والله عن هذا وذا في غنى
قد جاءها الفاتح في عُصبة
رمى بهم بنيانها ، مثلما
فكروا فيها ، وصلّى العدا
وما توانى الروم يقدونها
فخلتها من قيصر سعه
بفاتح ، غاز ، عفيف القنا
أجار من ألقى مقاليد
وناب عما كان من زخرف
فيا لشار بيتنا بعده
باق كثار القدس من قبله
فلا يغرنك سكون الملا
لن يترك الروم عبادتهم
هذا لهم بيت على بيتهم
فإن يُعادوا في مفاتيحه
يشيب فيه الطفل في مهده
فكن لنا اللهم في أمسنا
لولا ضلال سابق لم يقم
فكل شر بينهم أو أذى

ومسجد كالقصر من أصيد^١
لو يعقل الإنسان أو يهتدي
من الأسود الرُكع ، السُجد
يصطدم الجلمد بالجلمد^٢
واختلط المشهد بالمشهد
والسيف في المفتدي والمفتدي
وأيدت بالقيصر الأسعد
لا يحمل الحقد ، ولا يعتدي
منهم ، وأصفى الأمن للمرتدي
جلالة العبود في العبد
أقام ، لم يقرب ، ولم يبعد
لا تنتهي منه ، ولا يبتدي
فالشر حول الصّارم المغمّد
أو ينزل الترك عن السؤدد
ما أشبه المسجد بالمسجد
فيا ليوم للورى أسود
ويزعج الميت من المرقد
وكن لنا اليوم ، وكن في غد
من أجلك الخلق ولم يقعد
أنت براء منه طهر اليد

١ الفدن : القصر المشيد .

٢ الجلمد : الصخر .

غَابُ بُولُونِيَا

يا غَابَ بُولُون ، ولي	ذِمَّمْ عَلَيْكَ ، ولي عُهْودُ ^١
زَمَنٌ تَقْصَى لِلْهَوَى	ولنا بِظَلِّكَ ، هل يعود ؟
حُلُمٌ أُرِيدُ رَجوعَهُ	ورجوعُ أَحلامي بعيد
وَهَبِ الزَّمانَ أعادَها	هل لِلشَّيْءِ مَن يُعيد ؟
يا غَابَ بُولُون ، ولي	وجَدُّ مع الذِّكْرِ يَزِيدُ
خَفَقَتْ لِرؤُوتِكَ الضُّلُوعُ	ع ، وَزُلْزِلَ القَلْبُ العَمِيدُ ^٢
وَأَرَاكَ أَقْسَى ما عَهْدُ	تُ ، فَا تَمِيلُ ، ولا تَمِيدُ
كَمْ يا جَهاذُ قساوَةٍ ؟	كَمْ ؟ هكَذا أَبْداً جُحود ؟
هَلَّا ذَكَرْتَ زَمَانَ كَثًّا	وَالزَّمانُ كَما نريدُ ؟
نَطْوِي إِلَيْكَ دُجى اللَّيْلِ	لي ، وَالذِّجَى عِنا يَدُودُ
فَنَقُولُ عِندَكَ ما نَقُو	لُ ، وَليس غَيْرُكَ مَن يُعيدُ
نُطْفِئِي هَوَى وَصِبابَةً	وَحَدِيثُها وَتَرٌّ وَعُودُ
نَسْرِي ، وَنَسْرُحُ في فِضا	ثُكْ ، وَالرِّياحُ بِهِ هُجُودُ
وَالطَّيْرُ أَقْعَدَها الكَرى	وَالنَّاسُ نَامَتْ وَالوُجُودُ
فَنَبِيتُ في الإِناسِ يَغْدُ	بَطْنا بِهِ النَجْمُ الوَحِيدُ
في كُلِّ رُكْنٍ وَقْفَةٌ	وَبِكُلِّ زاوِيَةٍ قُعودُ
نَسْقِي ، وَنُسْقَى ، وَالْهَوَى	ما بَيْنَ أَعْيُننا وَلَيْدُ
فَمِنْ القُلُوبِ تَمائِمُ	وَمِنْ الجُنُوبِ لَهُ مُهْودُ

١ غاب بولونيا : ممتره مشهور في باريس .

٢ العميد : الذي هزه العشق .

والغصنُ يسجدُ في الفضا	و ، وحَبْدًا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعينه	من ما تَحُولُ ولا تحيد
حتى إذا دَعَتِ التَّوى	فتبدّد الشملُ النضيد
يتنا ، ومما بيننا	بحر ، ودون البحر بيد
للمي بمصر ، وليلها	بالغرب ، وهو بها سعيد

المرأة العُمانيّة

يا ملكاً تعبدا	مُصَلِّياً موحدا
مباركاً في يومه	والأمس ، ميموناً غدا
مُسَحَّراً لأمّة	من حقها أن تسعدا
قد جعلته تاجها	وعزّها ، والسوددا
وأعرضت حيث مشى	وأطرفت حيث بدا
ثجله في حسنه	كما ثجل الفرقدا
أنت شعاع من علي	أنزله الله هدى
كم قد أضاء منزلاً	وكم أثار مسجدا
وكم كسا الأسواق من	حُسن ، وزان البلدا
لولا التقي لقلت : لم	يخلق سواك الولدا
إن شئت كان العير ، أو	إن شئت كان الأسدا
وإن تُرد عينا عوى	أو تبغ رُشدًا رُشدًا
والبيت أنت الصوت في	ه ، وهو للصوت صدّى
كالببغا في قفص	قيل له ، فقلدا
وكالقضيب اللدن ، قد	طاوع في الشكل اليدا

يأخذ ما عودته والمرء ما تعودا
 بما انفردت في الورى بفضلها وانفردا
 وكل ليث قد رمى به الإمام في العدا
 أنت الذي جندته وسقته إلى الردى
 وقلت : كن لله ، والسـ لطان ، والترك ، فدى

الهلل

سنون تعاد ، ودهر بعيد
 أضاء لآدم هذا الهلل
 نعد عليه الزمان القريب
 على صفحته حديث القرى
 و طيبة أهله بالملوك
 يزول ببعض سناه الصفا
 ومن عجب وهو جد الليالي
 لعمرك ما في الليالي جديد
 فكيف تقول : الهلل الوليد ؟
 ويحصي علينا الزمان البعيد
 وأيام عاد ، ودنيا ثمود
 وطيبة مقيمة بالصعيد
 ويفنى ببعض سناه الحديد
 يُبد الليالي فيما يُبد !!

* * *

يقولون يا عام : قد عدت لي
 لقد كنت لي أمس ما لم أُرِدْ
 ومن صابر الدهر صبري له
 ظمئت ، ومثلي يري أحق
 تغايبت حتى صحبت الجهول
 فياليت شعري بماذا تعود ؟
 فهل أنت لي اليوم ما لا أريد ؟
 شكا في الثلاثين شكوى لبيد^٢
 كآني حسين ودهري يزيد^٣
 وداريت حتى صحبت الحسود

١ الصفاء : الصخر .

٢ لبيد : هو لبيد بن أبي ربيعة أحد المعمرين .

٣ حسين : هو الحسين بن علي بن أبي طالب . ويزيد : هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

منظر الشروق والغروب في عالم الماء من أعلى السفينة

لَمَنْ عُرَّةٌ تَنْجَلِي مِنْ بَعِيدٍ بِمَرَأَى كَمَا الْحُلْمُ ضَاحٍ سَعِيدٌ ؟
تَهْزُجُ الْوُجُودَ تَبَاشِيرُهَا كَمَا هَرٌّ مِنْ وَالِدِيهِ الْوَلِيدِ
وَيَقْشِي الدُّنَا مِنْ حُلَاهَا سَنَى أَضَاءَ لَنَا كُلَّ حَالٍ نَضِيدِ
مِنْ الْمَوْجِ مُتَمَجِّعٌ ، مِثْلًا تَحَلَّتْ نَحُورُ الدُّمَى بِالْعُقُودِ
أَتَتْنَا مِنْ الْمَاءِ مُهْتَرَّةٌ مَنْوَرَةٌ ، تَعْتَلِي لِلْوُجُودِ
وَتَضَعِدُ مِنْ غَيْرِ مَا سَلَّمَ فَيَا لِلْمَصُورِ هَذَا الصُّعُودِ !
وَهَذَا الْمَنِيرُ الْقَرِيبُ الْقَرِيبُ وَهَذَا الْمَنِيرُ الْبَعِيدُ الْبَعِيدُ
وَهَذَا الْمَنِيرُ الَّذِي لَنْ يُرَى وَهَذَا الْمَنِيرُ وَكُلُّ شَهِيدِ
وَهَذَا الْجُسَامُ الْخَفِيفُ الْخَطَا وَهَذَا الْجُسَامُ الَّذِي مَا يَمِيدُ
وَيَا لِلْمَصُورِ آثَارَهَا بِكُلِّ بَحَارٍ ، وَفِي كُلِّ يَدٍ !!
وَتَقْلِيلُهَا كُلَّ جَمٍّ السَّنَا وَتَصْغِيرُهَا كُلَّ عَالٍ مَشِيدِ
مِنْ النَّارِ ، لَكِنْ أَطْرَافُهَا تَدُورُ بِيَاقُوتَةٍ لَنْ تُبِيدِ
مِنْ النَّارِ ، لَكِنْ أَنْوَارُهَا إِلَهِيَّةٌ ، زُيِّنَتْ لِلْعَبِيدِ
هِيَ الشَّمْسُ ، كَانَتْ كَمَا شَاءَهَا مِمَّا الْقَدِيمِ ، حَيَاةُ الْجَدِيدِ
تَرَدُّ الْمَيَاةَ إِلَى حَدِّهَا وَتُبْلِي جِبَالَ الصِّفَا وَالْحَدِيدِ
وَتَطْلُعُ بِالْعَيْشِ ، أَوْ بِالرَّدَى عَلَى الزَّرْعِ : قَائِمِهِ ، وَالْحَصِيدِ
وَتَسْعَى لَذَا النَّاسِ مِمَّا سَعَتْ بِخَيْرِ الْوَعْدِ ، وَشَرِّ الْوَعِيدِ

١ السَّنَا : الضوء . وحلبت المرأة : لبست حليها أي ما تترين به .

وقد تتجلى إذا أقبلت
وقد تتولى إذا أدبرت
فما للغروب يهيج الأسي
كذا المرء ساعة ميلاده
وليس بجار ولا واقع
بُعَى الشقي ، وبؤسى السعيد
ولست بمأمونة أن تعود
وكان الشروق لنا أيَّ عيد ؟
وساعة يدعو الحمام العنيد
سوى الحق مما قضاه المرید

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِنْ سَفِينَةٍ

مَلِكَ السَّمَاءِ ، بَهَرَتْ فِي الْأَنْوَارِ
لَمَّا طَلَعَتْ عَلَى الْمِيَاهِ تُثِيرُهَا
وَزَهَتْ لِنَظَرِهَا السَّمَاءَ ، وَقَرَّمَا
وَأَهْلَ اللَّهِ السَّرَّاءَ ، وَأَزَلَفُوا
وَتَأَمَّلُوا ، فَكُلَّ جَارِحَةٍ لَهُمْ
وَالْبَدْرُ مِنْكَ عَلَى الْعَوَالِمِ يَجْتَلِي
مُتَقَدِّمٌ فِي النُّورِ ، مُحْجُوبٌ بِهِ
يَا دُرَّةَ الْفَوَاصِلِ أَخْرَجَ ظَافِرًا
مُتَهَلِّلًا فِي الْمَاءِ ، أَبَدَى نَصْفَهُ
وَافَى بِكَ الْأَفُقَ السَّمَاءِ ، فَأَسْفَرَتْ
وَنَهَضَتْ ، يَزْهُو الْكَوْنُ مِنْكَ بِمَنْظَرِ
الْمَاءِ وَالْآفَاقِ حَوْلَكَ فِضَّةً
وَالْفَلَكَ مَشْرِقَهُ الْجَوَانِبِ فِي الدُّجَى

فَفِدَاكَ كُلُّ مُتَوَجِّعٍ مِنْ سَارِي
سَكَنْتَ ، وَقَدْ كَانَتْ بِغَيْرِ قَرَارٍ
فِي الْبَحْرِ مِنْ عُبٍّ ، وَمِنْ تَيَّارٍ
لَكَ فِي الْكَمَالِ تَحِيَّةُ الْإِكْبَارِ
عَيْنُ تُسَامِرُ نَوْرَهَا وَتَسَارِي
بِشْرِ الْوُجُوهِ وَزَحْمَةِ الْأَبْصَارِ
مُوفٍ عَلَى الْآفَاقِ بِالْأَسْفَارِ
يُمْنَاهُ يَجْلُوهَا عَلَى النُّظَارِ
يَسْمُو بِهَا ، وَالنَّصْفُ كَاسٍ عَارٍ
عَنْ قُفْلِ مَاسٍ ، فِي سِوَارٍ نَضَارٍ
ضَاحٍ ، وَيَحْمِلُ مِنْكَ تَاجَ فَخَّارٍ
وَالشُّهْبُ دِينَارٌ لَدَى دِينَارٍ
يَبْدُو لَهَا ذَيْلٌ مِنَ الْأَنْوَارِ

بِنَا نَحْطُرُ فِي لُجَيْنٍ مَائِجٍ إِذْ تَشْتِي فِي عَسْجِدِ زَخَّارٍ
 وَكَأَنَّهَا وَالْمَوْجُ مُنْتَظِمٌ أَوْفَيْتَ ثُمَّ دَنُوتَ كَالْمُحْتَارِ
 غَيْدَاءَ لَاهِيَةٍ ، نَحْطُ لَأَغْيَدٍ شِعْرًا لِيَقْرَاهُ ، وَأَنْتَ الْقَارِي
 فليهن بِلَرِ الْأَرْضِ أَنْكَ صِنُوهُ وَنَظِيرُهُ قُرْبًا وَبُعْدَ مَزَارِ
 وَحَلَاكُمَا ، مَا الْبَدْرُ إِلَّا أَنْتَا وَسَوَاكُمَا قَرٌّ مِنَ الْأَقَارِ
 أَنْتَ الْكَرِيمُ عَلَى الْوُجُودِ بِوَجْهِهِ وَهِيَ الضَّئِينَةُ بِالْخَيَالِ السَّارِي
 هَيْفَاءُ أَهْوَاهَا ، وَأَعَشَقْتُ ذِكْرَهَا لَكِنْ أَدَارِي ، وَالْحَبُّ يُدَارِي
 لِي فِي الْهَوَى سِرٌّ أَبَيْتُ أَصُونَهُ وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى الْأَسْرَارِ

بَلَدَةُ الْمُؤْتَمِرِ لِنَاظِرِهَا فِي بَهْجَةِ مَنَاظِرِهَا*

لَا السُّهُدُ يُدْنِيَنِي إِلَيْهِ ، وَلَا الْكُرَى طَيْفٌ يَزُورُ بِفَضْلِهِ مَهَا سَرَى
 نَحِذَ الدُّجَى ، وَسَمَاءَهُ ، وَنَجْمَهُ سَبِيلًا إِلَى جَفْنِيكَ ، لَمْ يَرْضَ الثَّرَى
 وَأَنْتَكَ مَوْفُورَ النِّعَمِ ، نَحَالُهُ مَلَكًا تَنْمُ بِهِ السَّمَاءُ ، مُطَهَّرَا
 عِلْمِ الظَّلَامِ هَبُوطَهُ ، فَشَتَّ لَهُ أَهْدَابُهُ يَأْخُذْنَهُ مُتَحَدِّرَا
 وَحَمَى النَّسَائِمَ أَنْ تَرُوحَ وَأَنْ تَجِي حَذْرًا وَخَوْفًا أَنْ يُرَاعَ وَيُدْعَرَا
 وَرَقَدْتَ تُزْلِفُ لِلْخَيَالِ مَكَانَهُ بَيْنَ الْجَفُونِ ، وَبَيْنَ هُدَيْكَ ، وَالْكَرَى
 فَهَيْبَتُهُ مِثْلَ السَّعَادَةِ شَائِقًا مَتَصُورًا مَا شَتَّ أَنْ يَتَصُورَا
 تَطْوِي لَهُ الرِّقَابَ مَنُصُورَ الْهَوَى وَتُدُوسُ أَلْسِنَةَ الْوَشَاقِ عَظْفَرَا
 لَوْلَا اِمْتِنَانُ الْعَيْنِ يَا طَيْفَ الرِّضَا مَا سَاحَتِ أَيَّامُهَا فِيمَا جَرَى
 بَاتَتْ مُشَوِّقَةً ، وَبَاتَ سَوَادُهَا زُورًا بِتَمَثَالِ الْجَمَالِ مَنُورَا

جَنيفٌ وَضَوَاحِيهَا .

تُعْطَى الْمَنَى ، وَتَبْلِهَنَّ خَلِيقَهُ
وَتَعَانِقِ الْقَمَرَ السَّنِيَّ عَزِيزَةً
فِي لَيْلَةٍ قَدِيمِ الْوُجُودِ هَلَالُهَا
وَتَرِيهِ آثَارَ الْبَدُورِ لِيَقْتَنِي
نَاجِيَةً مِّنْ أَهْوَى ، وَنَاجَانِي بِهَا
حَيْثُ الْجِبَالُ صَغَارُهَا وَكِبَارُهَا
تَحْذِ الْغَامُ بِهَا بَيُوتًا ، فَانْجَلَتْ
وَالصَّخْرُ عَالِي ، قَامَ يَشْبَهُ قَاعِدًا
بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالسَّحَابِ ، تَرَى لَهُ
وَالسَّفْحُ مِنْ أَيِّ الْجِهَاتِ أَتَيْتَهُ
نَثَرَ الْفَضَاءَ عَلَيْهِ عِقْدَ نَجْمِهِ
وَتَنَظَّمَتْ يَبِضُّ الْبُيُوتِ ، كَأَنَّهَا
وَالنَّجْمُ يَبْعَثُ لِلْمِيَاهِ ضِيَاءَهُ
هَامَ الْفَرَاشُ بِهَا ، وَحَامَ كَتَائِبًا
خَلَقْتَ لِرَحْمَتِهِ ، فَبَاتَ نَارُهُ
وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِ الدِّيَارِ ، وَتَحْتَهَا
مُتَصَوِّبًا ، مُتَصَعِّدًا ، مُتَمَهِّلًا
وَالْأَرْضُ جِسْرٌ حَيْثُ دُرَّتْ وَمَعَبَّرٌ
وَالْقُلُوكُ فِي ظِلِّ الْبُيُوتِ مَوَاقِرًا
حَتَّى إِذَا هَدَأَ الْمَلَأَ فِي لَيْلِهِ
وَخَرَجْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَسُورِ ، لَعَلَّنِي

بِكَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي الْمَنَى وَتَوْخَّرَا
حَتَّى إِذَا وَدَعْتَ عَانَقْتَ الثَّرَى
فَدَنْتِ كَوَاكِبُهَا تُعَلِّمُهُ السَّرَى
وَيَرَى لَهُ الْمِيلَادُ أَنْ يَتَصَدَّرَا
بَيْنَ الرِّيَاضِ ، وَبَيْنَ مَاءِ سُوَيْسِرَا
مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْفَضَاءِ وَأَخْضَرَا
مُشَبَّوَةٌ الْأَجْرَامِ ، شَائِبَةُ الذَّرَى
وَأَنَافٍ مَكْشُوفِ الْجَوَانِبِ مُنْذِرَا
أُذُنًا مِنَ الْحَجَرِ الْأَصَمِّ وَمِشْفَرَا
أَلْفَيْتُهُ دَرَجًا يَمُوجُ مُدَوَّرَا
فَبَدَا زَبْرَجْدُهُ بَيْنَ مَجْوَهَرَا
أَوْكَارُ طَيْرٍ ، أَوْ خَمِيسٌ عَسْكَرَا
وَالْكَهْرِبَاءُ تَضِيءُ أَثْنَاءَ الثَّرَى
يَحْكِي حَوَالِيهَا الْغَامَ مَسِيرَا
بَرْدًا ، وَنَارَ الْعَاشِقِينَ تَسْعُرَا
وَيَخْلُلُهَا يَجْرِي ، وَمِنْ حَوْلِ الْقَرَى
مُتَسَرِّعًا ، مُتَسَلِّسِلًا ، مُتَعَثِّرَا
يَصْلَانِ جَسْرًا فِي الْمِيَاهِ وَمَعْبَرَا
تَطْوِي الْجُدَاوِلَ نَحْوَهَا وَالْأَنْهَارَا
جَاذِبَتْ لَيْلِي ثَوْبَهُ مُتَجَحِّرَا
أَسْتَقْبِلُ الْعَرْفَ الْحَبِيبَ إِذَا سَرَى

١ المشفر : الشقة من الإنسان .

٢ الخميس : الجيش .

آوِي إِلَى الشَّجَرَاتِ ، وَهِيَ تَهْرُئِي
 وَيَهْرُ مِنْهُ الْمَاءُ فِي لِمَعَانِهِ
 وَهَنَالِكَ اَزْدَهَتْ السَّمَاءُ ، وَكَانَ أَنَّ
 فَسَرَيْتُ فِي الْأَلَايَةِ ، وَإِذَا بِهِ
 حُلُمٌ أَغَارَتِي الْعَنَابِيَّةُ سَمِعَهَا
 فَرَأَيْتُ صَفْوَى جَهْرَةً ، وَأَخَذْتُ أَنْ
 وَأَشْرْتُ : هَلْ لُقِيَا ؟ فَأَوْحِي : أَنْ غَدَاً
 إِنْ أَشْرَقَتْ زَهْرَاءُ تَسْمُو لِلضَّحَى
 فَشَرَوْقُهَا مِنْهُ أَنْتُمْ مَعَانِيَاً
 تَبْدُو هُنَالِكَ لِلْوُجُودِ وَلَيْدَةً
 وَتَضِيءُ أَثْنَاءَ الْفَضَاءِ بَعْرَةً
 فَسَمْتُ ، فَكَانَتْ نَصْفَ طَارٍ ، مَا بَدَا
 يعلو العوالمَ ، مُسْتَقْلِلًا ، نَامِيَاً
 سَالَتْ بِهِ الْآفَاقُ ، لَكِنْ عَسَجِدًا
 وَاهْتَرَّ ، فَالْدُنْيَا لَهُ مُهْتَرَّةٌ
 حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّمُو كَمَا لَهُ
 فَدَنَتْ لِنَظَرِهَا ، وَدَانِ عَنَانُهَا
 وَاصْفَرَّ أَيْضُ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهَا
 وَسَمَا إِلَيْهَا الطُّودُ بِأَخْذِهَا ، وَقَدْ
 مَسَّتْهُ ، فَاشْتَعَلَتْ بِهَا جَنَابَاتُهُ
 فَكَأَنَّمَا مَدَّتْ بِهِ نِيرَانَهَا
 حَرَقَتْهُ ، وَاحْرَقَتْ بِهِ ، فَتَوَلَّى

وَقَدْ اِطْمَأَنَّ الطَّيْرُ فِيهَا بِالْكُرَى
 فَأَمِيلُ أَنْظُرَ فِيهِ ، أَطْمَعُ أَنْ أَرَى
 آتَسْتُ نُورًا مَا أَنْتُمْ وَأَبْهَرَا !!
 بَدُرٌ تَسَايِرُهُ الْكَوَاكِبُ خُطْرًا
 فِيهِ ، فَمَا اسْتَمْتْتُ حَتَّى فُسِّرَا
 حَسَى يَقْظَةً ، وَمُنَايَ لَبْتُ حُضْرَا
 بِالطُّودِ أَيْضُ مِنْ جِبَالِ (سُونَسِرَا)
 وَإِذَا هُوَتْ حَمْرَاءُ فِي تِلْكَ الدُّرَى
 وَغُرُوبُهَا أَجْلَى وَأَكْمَلُ مَنْظَرَا
 تَهْنَأُ بِهَا الدُّنْيَا ، وَيَغْتَبِطُ الثَّرَى
 لَاحَتْ بِرَأْسِ الطُّودِ تَاجًا أَزْهَرَا
 حَتَّى أَنْفَ ، فَالْحَاطَرُ أَكْبَرَا
 مُسْتَعْصِيَاً بِمَكَانِهِ أَنْ يُتَقَرَا
 وَتَغَطَّتِ الْأَشْبَاحُ ، لَكِنْ جَوْهَرَا
 وَأَثَارُ ، فَانْكَشَفَ الْوُجُودُ مَنْوَرَا
 أَذْنَتْ لِدَاعِي النِّقْصِ تَهْوَى الْقَهْقَرَى
 وَتَبَدَّلَ الْمُسْتَعْظَمُ الْمُسْتَصْفَرَا
 وَاحْمَرَّ بِرُقْعَتِهَا وَكَانَ الْأَصْفَرَا
 جَعَلَتْ أَعَالِيَهُ شَرِيطًا أَحْمَرَا
 وَبَدَتْ ذُرَاهُ الشَّمْسُ تَحْمِلُ مِجْمَرَا
 شَرَكَاً لِنَتِصَادِ النَّهَارِ الْمَذْبَرَا
 وَأَتَى طُلُوعُهَا الظَّلَامُ فَعَسَكَرَا

فشروقهـا الأملُ الحبيبُ لمن رأى
خَطْبَانِ قاما بالغناء على الصفا
تتغير الأشياءُ مها عاودا
أنهارنا تحت السليف ، وفوقه
رَجَلاً ، وَرُكْبَاناً ، وَزَحْلَقَةً على
في مركبِ مُستأنسٍ ، سالت به
ينساب ما بين الصخور تمهلاً
وإذا اعتلى بالكهرباء لندوة
لما نزلنا عنه في أمِّ الدُّرى
أَرْضٌ تَمُوجُ بها المناظرُ جَمَّةٌ
وَقُرَى ضَرَبْنَ على المدائن هالَةً
ومزارعُ للمناظرين روائعُ
والماءُ عُذْرٌ ما أرقَّ وأعزَّرا !!
فحشون أَفْوَاهِ السهولِ سبائِكاً
قد صَعَّرَ البعدُ الوجودَ لنا ، فيا

وغروبها الأجلُ البغيضُ لمن درى
ما كان بينها الصفاءُ ليعمرأ
والله عزَّ وجلَّ لن يتغيرا
ولدى جوانبه ، وما بين الدُّرى
عَجَلٌ هنالك كهربائيُّ السرى
قُصْبُ الحديدِ ، تعرجاً وتحدراً
ويخفُّ بين الهوَّتين تَخْطُراً
عصماءُ ، همَّ معانقاً متسوراً
قننا على فرع السليف لننظرا
وعوالمُ نِعَمَ الكتابُ لمن قرا
ومدائنُ حَلَيْنَ أجيادِ القُرَى
لَيْسَ الفصاءُ بها طرازاً أخضرا
وجداولُ هنَّ اللُّجَيْنُ وقد جرى
وملأْنَ أقبالَ الرواسخِ جوهرأ
لله ما أحلى الوجودَ مصعراً !!

وقال يصف مشاهد الطبيعة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا

تلك الطبيعة ، قِف بنا يا ساري
الأرضُ حولك والسماءُ أهترتا
من كلِّ ناطقةِ الجلال ، كأنها

حتى أريك بديعِ صنْعِ الباري
لروائع الآياتِ والآثارِ
أُمُّ الكتابِ على لسانِ المقاري^١

١ أقبال الجبال : أي وجوها .

٢ أم الكتاب : فاتحته .

دَلَّتْ عَلَى مَلِكِ الْمَلُوكِ ، فَلَمْ تَدْعُ :
لَأَدَلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْأَحْبَارِ^١
مَنْ شَكَّ فِيهِ فَنظَرَةٌ فِي صُنْعِهِ
تَمَحُّوْ أَيْمِ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ

* * *

كَشَفَ الْغِطَاءَ عَنِ الطُّرُولِ وَأَشْرَقَتْ
مِنْهُ الطَّبِيعَةُ غَيْرَ ذَاتِ سِتَارٍ
شَبَّهَتْهَا بِلَقِيْسَ فَوْقَ سَرِيرِهَا
فِي نَضْرَةٍ ، وَمَوَاكِبِ ، وَجَوَارِي
أَوْ بَابِنِ دَاوُدَ وَوَاسِعَ مُلْكِهِ
وَمَعَالِمِ اللَّعْرِ فِيهِ كِبَارُ^٢
هُوجِ الرِّيحِ خَوَاشِعُ فِي بَابِهِ
وَالطَّيْرِ فِيهِ نَوَاصِصُ الْمِنْقَارِ^٣

* * *

قَامَتْ عَلَى ضَاحِي الْجَنَانِ كَأَنَّهَا
رَضْوَانُ يُرْجَى الْخُلْدُ لِلْأَبْرَارِ^٤
كَمْ فِي الْحَمَائِلِ وَهِيَ بَعْضُ إِمَائِهَا
مِنْ ذَاتِ خُلْخَالٍ ، وَذَاتِ سَوَارٍ
وَحَسِيرَةٍ عَنْهَا الثَّيَابُ ، وَبَضَّةٍ
فِي التَّعَمَّاتِ تَجْرُ فَضْلَ إِزَارِ^٥
وَضَحُوكِ بَيْنَ تَمَلُّ الدُّنْيَا سَنَى
وَعَرِيقَةٍ فِي دَمْعِهَا الْمِدْرَارِ
وَوَحِيدَةٍ بِالنَّجْدِ تَشْكُو وَحْشَةَ
وَكثِيرَةِ الْأَتْرَابِ بِالْأَغْوَارِ

* * *

وَلَقَدْ تَمَرَّ عَلَى الْغَدِيرِ تَحَالَهُ
وَالثَّبَّتْ مَرَاةَ زَهْتٍ بِإِطَارٍ
حَلَوُ التَّسْلُسِ مَوْجُهُ وَجَرِيرُهُ
كَأَنَّا نَمْلُ مَرَّتَ عَلَى أَوْتَارٍ
مَدَّتْ سَوَاعِدَ مَائِهِ وَتَأَلَّقَتْ
فِيهَا الْجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجَارٍ
يَنْسَابُ فِي مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَّةٍ
مَنْسُوجَةٍ مِنْ سُندُسٍ وَنُضَارٍ^٦
زَهْرَاءُ عَوْنِ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى
مَخْتَارَةِ الشُّعْرَاءِ فِي آذَارٍ
قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ ، كَأَنَّهُ
دَمَعُ الصَّبَابَةِ بَلَّ غَضْنَ عَذَارٍ

- ١ الأَحْبَارُ : جَمْعُ حَبْرٍ وَهُوَ الْعَالَمُ وَقِيلَ الصَّالِحُ مِنَ الْعُلَمَاءِ .
- ٢ الْعَالَمُ : جَمْعُ مَعْلَمٍ وَهُوَ مَا يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ أَثَرٍ وَتَحْوِهِ .
- ٣ هُوجٌ : جَمْعُ هَوْجَاءٍ ، وَالرِّيحُ الْهَوْجَاءُ الَّتِي تَسْتَوِي فِي هَبِّهَا وَتَقْلَعُ الْبُيُوتَ .
- ٤ الضَّاحِي : الْمَكَانُ الْبَارِزُ .
- ٥ الْإِزَارُ : الْمَلْحَقَةُ وَكُلُّ مَا سَتَرَ .
- ٦ النُّضَارُ : الذَّهَبُ .

وترى السماء ضحىً وفي جنح الدجى
في كل ناحية سلكت ومذهب
من كل منهر الجوانب والذرى
عقد الضريب له عمامة فارغ
ومكذب بالجن ريع لصوتها
ملأ الفضاء على المسامع ضجة
وكأنما طوفان نوح ما نرى
يجري على مثل الصراط ، وتارة

* * *

جاء المالك حزنها وسهولها
حتى رمى برحالتنا ورجائنا
ملك بمفرقه إذا استقبلته
سكن الثريا مستقر جلاله
فالشرق يسقى ديمة يمينه
ومدائن البرين في إعظامه
الله أيده بأساد الشرى
الصاعدين إلى العدو على الطنبى
المشترين الله بالأبناء ، وال
القائمين على لواء نبيه

* * *

- ١ الخيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .
- ٢ الضريب : الثلج . والفارغ : المرتفع الهيبى الحسن .
- ٣ الحرن : ما غلظ من الأرض .
- ٤ الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
- ٥ الخطار : للضطرب .

يا عرشَ قسطنطينَ ، نلت مكانةً
شرفتَ بالصّدّيقِ ، والقاروقِ ، بل
حامي الخلافةِ مجدّها وكيانها
لم تُعطها في سالف الأعصار
بالأقربِ الأدنى من المُختار
بالرأيِ آونةً وبالبِتّار^١

* * *

تاهت فروقُ على العواصم ، وزدهت
(جَمَّ الجلالِ ، كأنما كرسيه
أخذت على البوسفور زُخرفها دُجى
فالبدرُ ينظر من نوافذِ منزل
وكواكبُ الجوزاءِ تخطر في الرّوى
واسم الخليفة في الجهاتِ منور
كتبوه في شرفِ القصور ، وطالما
بجلوسِ أضيّد باذخ المقدار^٢
جزءٌ من الكرسي ذي الأنوار)
وتلاّلاتِ كمنازلِ الأمار
والشمسُ ثمّ مُطلّةٌ من دار
والنّسرُ مطلعُه من الأشجار
تبدو السبيلُ ، به ويهدى السّاري
كتبوه في الأسماح والأبصار

* * *

يا واحدَ الإسلامِ غيرِ مُدافعٍ
لي في ثنائِكَ - وهو باقٍ خالدٌ -
أخلصتُ حبي في الإمامِ ديانةً
لم ألتَمِسَ عَرَضَ الحياةِ ، وإنما
إن الصّنيعةَ لا تكونُ كريمةً
والحبُّ ليس بصادقٍ ما لم تكن
والشعرُ إنجيلٌ إذا استعملته
وثبتتَ عن كدَرِ الحيّاضِ عِناهُ
عند العواهلِ من سياسةِ دهرهم
أنا في زمانك واحدُ الأشعار
شعراً على... الشعريّ المنيعِ زاري^٣
وجعلته حتى الماتِ شعاري
أقرضتُهُ في الله والمُختار
حتى تُقلّدها كريمَ نِجار
حَسَنَ التَّكْرُمِ فيه والإيثار
في نَشْرِ مَكْرَمَةٍ وسرِّ عَوار
إنّ الأديبَ مُسامحٌ ومُداري
سرٌّ ، وعندك سائرُ الأسرار

١ البتار : السيف القاطع .

٢ الأضيّد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يميناً وشمالاً .

٣ الشعري : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر . وزرى عليه فعله : عابه .

(هذا مقام أنت فيه محمدٌ أعداء ذاتك فِرقةٌ في النار)
 (إن الهلال - وأنت وحدك كهفه - بين المعاقِل منك والأسوار)
 لم يبقَ غيرك مَنْ يقول : أصونه صُنّه بحول الواحدِ القهار

البُسفورُ كأنك تراه

على أيّ الجنانِ بنا ثمرٌ ؟ وفي أيّ الحقائق تستقرُّ ؟
 رويداً أيها الفلكُ الأبرُّ بلغت بنا الربوعَ ، فأنت حرٌّ ؟^١

* * *

سهرتَ ولم تم للركبِ عَيْنُ . كأن لَمْ يَضَوْهم صَجَرٌ وأَيْنُ^٢
 يَحُثُّ خُطَاكَ لُجْ ، بل لُجَيْنُ بل الإبريزُ ، بل أفقٌ أغرُّ

* * *

على شبه السهول من المياه تُحيط بك الجزائرُ كالشِّبَاهِ
 وأنتَ لهنَّ راعٍ ذو انتباه تَكُرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنِيفُ البدرُ فوقك بالهباءِ رفيعاً في السموِّ بلا انتهاء^٣
 تَخَالِكُما العيونُ إلى التقاءِ ودون الملتقى كَوْنٌ ودهرُ

* * *

إلى أن قيل : هذا الدردنيلُ فسرتَ إليه ، والفجرُ الدليلُ
 يُجيزُكَ ، والأمانُ به سبيلُ إذا هو لم يُجزَ فالماءُ خمرُ

* * *

١ الفلك : السفينة . يؤنث ويذكر .

٢ الأين : الإعياء .

٣ الهباء : الغبار أو ما يشبه الدخان .

تَمَرُّ من المعاقِلِ والجبالِ بعالي ، فوقَ عالي ، خلفَ عالي
إذا أومأَنَ وَقَفَتِ الليالي وتحمي الحادِثاتِ ، فلا تَمَرُّ

* * *

مدافعُ ، بعضها متقابلاتُ ومنها الصاعِداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِراتُ وأخرياتُ تَوَارِي في الصخورِ وتستمرُّ

* * *

فلو أَنَّ البحارَ جرتُ مِثْنَا وكان اللُّجُ أجمَعُهُ سَفِينَا
لَتَلَقَى منفذاً ، للقيَنَ حِينَا ولَمَّا يَمْسَسُ البوغازَ ضُرُّ

* * *

وبَعَدَ الأرخييلَ وما يليه وتَبِهَ في العِالمِ أَيُّ تَبِهٍ^١
بدا ضوءُ الصباحِ فسِرَتَ فيه إلى البسفورِ واقتربَ المَقَرُّ

* * *

تُسَايِرُكَ المدائنُ والأناسي وفُلكُ بين جَوَالِ وِراسي^٢
وتحضُنك الجزائرُ والرَّواسي وتجرِي رِقَّةً لك وهي صخر

* * *

تسير من الفضاءِ إلى المَصِيقِ فأنَّا أَنْتَ في بحرِ طَلِيقِ
وأَوْنَةُ لدى مَجْرَى سَحِيقِ كما الشلالُ قامَ لديه نهر

* * *

وتأني الأُفقَ تطويه سِجَلًا لآخرَ كالسَّرابِ إذا أَصَلَا
إذا قلنا : المنازلُ ، قيل : كَلَّا فدُونِ بلوغها ظَهَرُ وعَصْرُ

* * *

١ العِالم : جمع عِلم وهو البحر .

٢ الأناسي : جمع أنسي .

إلى أن حلّ في الأوج النهار وللرّائي تبَيَّنَت الدِّيارُ
فقلنا : الشمسُ فيها أم نُضار وياقوتُ ، ومرجانُ ، ودُرُّ ؟

* * *

ودِدنا لو مَشَيْتَ بنا الهُويَنا وأين لنا الخلودُ لديك ؟ أينا ؟
لِنَهَجِ خاطراً ونَقَرُ عينا بأحسنِ ما رأى في البحرِ سَفَرُ

* * *

بلُوحِ جامعِ الصُّورِ العَوالِي وديوانِ تفرّدِ بالخيالِ
ومِرآةِ المناظرِ والمجالي تمرُّ بها الطَّبيعةُ ما تمرُّ

* * *

فضاءٌ مُثَلَّ الفِرْدوسُ فيه ومرأى في البحارِ بلا شبيهِ
فإيه - يا بناتِ الشَّعرِ - إيه فما لكِ في عَقوقِ الشَّعرِ عُذْرُ

* * *

لأَجلكِ سِرْتُ في برٍّ وبحرٍ وأنتِ الدهرُ أنتِ بكلِّ قُطرٍ
حَنَنْتِ إلى الطَّبيعةِ دونَ مصرٍ وقُلْتَ لدى الطَّبيعةِ : أينَ مصرُ ؟

* * *

فهَلَا هَزَكِ التَّيْبُ المَذابُ وهذا اللُّوحُ ، والقلمُ العُجابُ
وما بيني وبينها حجابُ ولا دوني على الآياتِ سترُ ؟

* * *

جَهاثُ ، أمَ عذارى حالياتُ ؟ وماءُ ، أمَ سماءُ ، أمَ نباتُ ؟
وتلكِ جزائرُ ، أمَ نِيراتُ ؟ وكيف طلوعُها والوقتُ ظَهْرُ ؟

* * *

جلاها الأفقُ صُفْراً وهي خُضْرُ كزهرٍ دونَه في الروضِ زهرُ

لوى بحرٌ بها ، والتفَّ بحرٌ كما ملكتِ جهاتِ الدُّوحِ عُذْرُ^١

* * *

تلوح بها المساجدُ باذخاتٍ وتتصل المعازلُ شامحات
طباقاً في العلى ، متفاوتاتٍ سما يُرُّ بها ، وانحطَّ بُرُّ

* * *

وكم أرضٌ هنالك فوق أرضٍ وروضٍ ، فوق روضٍ ، فوق روضٍ
ودورٌ بعضها من فوق بعضٍ كسطرٍ في الكتابِ علاه سطر

* * *

سُطورٌ لا يحيطُ بهنَّ رَسَمٌ ولا يُحصي معانيهنَّ عِلْمٌ
إذا قُرئتُ جميعاً فهي نَظْمٌ وإن قُرئتْ فُرادي فهي نثر

* * *

تأرَّجُ كلماً اقتربت وتزكو ويجمعها من الآفاق سِلْكُ^٢
تشاكل ما به ، فالقصرُ فلكٌ على بُعدٍ لنا ، والفلكُ قصرُ

* * *

ونونٌ دونها في البحرِ نونٌ من البسفورِ نَقَطُها السِّفِينُ
كَأَنَّ السُّبُلَ فيه لنا عيونٌ وإنسانُ السفينة لا يَبْرُ

* * *

هنالك حَقَّتِ الثُّغْمَى خُطَانَا وحاطتنا السلامةُ في حمانا
فألقينا المراسيَ ، واحتوانا بناءً للخلافةِ مُشْمَخِرُ

* * *

فيا مَنْ يطلبُ المرأيَ البديعا ويعشقه شهيداً أو سميعا
رأيت محاسنَ الدنيا جميعا : فهنَّ الواوُ ، والبسفورُ عمرو

١ الدوح : جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي شجر كانت .

٢ تأرَّج : أي قاح .

الرَّحْلَةُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ

لما وضعت الحربُ الشُّومى أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك
إزارها ، ورمَّ لهم ربوعَ السلم ، وجدَّد مزارها^١ ؛ أصبحت وإذا العوادي^٢
مُقصرة ! والدواعي غير مقصرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق
زيارته أطلب ؛ فقصده من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجتد ، والبخار
المشتد ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من
هذا البسيط^٣ ، فبلغت النفس بمرآه الأرب ، واكتحلت العين في ثراه آثار
العرب ، وإنها لشتى المواقع ، متفرقة المطالع ، في ذلك الفلك الجامع ، يسري
زائرها من حرم إلى حرم ، كمن يُمسي بالكرنك ويصبح بالهرم ، فلا تقارب
غير العتق والكرم : طَلِيْطَلَةٌ تُطِلُّ على جسرِها البالي ، وأشبيلية تُشِيلُ على
قصرها الخالي ، وقرطبة متنبذة ناحيةً بالبيعة الغراء ، وغرناطة بعيدة مزار
الحمرء . وكان « البحري » رحمه الله رفيق في هذا الترحال ، وسميري في
الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أبلغ من حَلَى
الأثر ، وحيًا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشر العبر ، ومن قام في مأثم على الدول
الكُبر ، والملوك البهاليل الثُمر ، عطف على الجعفري حين تحمل عنه الملا ،
وعطل من الحلى ، ووكل بعد المتوكل لليلي فرفع قواعده في السير ، وبني
رُكنه في الخبر ، وجمع معاملة في الفكر ، حتى عاد كقصور الخلد امتلأت منها

١ المزار : الزيارة .

٢ العوادي : العوائق .

٣ البسيط : الأرض الواسعة .

٤ أشبل عليه : أي عطف والمرأة تشبل على أولادها : أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج .

البصيرة وإن خلا البصر وتكفل بعد ذلك لكسرى إيوانه ، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه . وسينته المشهورة في وصفه ؛ ليست دونه وهو تحت كسرى في رصنه ورصفه^١ ، وهي ثريك حسن قيام الشعر على الآثار ، وكيف تتجدد الديار في بيوته بعد الاندثار . قال صاحب الفتح القسي في الفتح القدسي بعد كلام : « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينية البحري في وصفه ، تجدوا الإيوان قد خرت شعقاته ، وعُثرت شرفاته ، وتجدوا سينية البحري قد بقي بها كسرى في ديوانه ، أضعاف ما بقي شخصه في إيوانه » .

وهذه السينية هي التي يقول في مطلعها :

صنت نفسي عما يُدّس نفسي وترفعت عن ندى كل جيس
والتي اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله :
والمنايا موائل وأنو شر وان يُزجى الجيوش تحت الدرفس
فكنت كلما وقفتُ بحجر ، أو أطفُتُ بأثر ، تمثلتُ بأبياتها ، واسترحتُ من
موائل العبر إلى آياتها ، وأنشدتُ فيما بيني وبين نفسي :
وعظ البحريّ إيوان كسرى وشفتي القصور من عبد شمس
ثم جعلتُ أروض القول على هذا الروي ، وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه
القافية المهلهلة ، وأتممت هذه الكلمة الرّيضة . وأنا أعرضها على القراء راجياً أن
يلحظوها بعين الرضاء ، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإغضاء ، وهذه هي :
اختلافُ النهار والليل يُنسى اذكرا لي الصّبا ، وأيام أنسي
وصفا لي مُلاوة من شباب صوّرت من تصورات ومَس^٢

١ رصف الحجارة رصفاً : ضم بعضها إلى بعض .

٢ الملاوة : البرهة من الدهر .

عصفت كالصبا اللعوب ومرت
وسلا مصر: هل سلا القلب عنها
كلما مرت الليالي عليه
مُستطار إذا البواجر رنت
راهب في الضلوع للسفن فطن
يا أبنه اليم ، ما أبوك بخيل
أحرام على بلبله الدو
كل دار أحيى بالأهل ، إلا
نفسى مرجل ، وقلبي شراع
واجعلي وجهك القنار ، ومجرا
وطني لو شغلت بالخلد عنه
وهفا بالفؤاد في سلسيل
شهد الله . لم يغيب عن جفوني
يُصبح الفكر و المسئلة ناد
وكأنى أرى الجزيرة أيكأ
هي بلقيس في الخائل صرح

سنة خلوة ، ولذة خلس^١
أو أسا جرحه الزمان المؤسي^٢
رق ، والعهد في الليالي تقسي^٣
أول الليل ، أو عوت بعد جرس^٤
كلما تزن شاعهن بيقس^٥
ما له مولعا بمنع وحس ؟
ح ، حلال للطير من كل جنس ؟
في خبيث من المذاهب رجس^٦
بها في الدموع سيرى وأرسي^٧
لكيد الثغرين رمل و مكس
نازعني إليه في الخلد نفسي
ظما للسواد من عين شمس^٨
شخصه ساعة ، ولم يخل جسي
يه ، و بالسرحة الزكية يمسي
نعمت طيره بأرخم جرس
من عباب ، وصاحب غير نكس^٩

١ الصبا : ربح مهبا من مطلع الثريا إلى بنات نعرش . السنة : النعاس .

٢ أسا الجرح : داواه .

٣ قساه تقسية : أي صبره قاسياً .

٤ مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر . رن : أي صاح ورفع صوته بالبكاء .

٥ الراهب : هو من تبتل لله ، واعتزل عن الناس إلى الدير ، طلباً للعبادة ، ويشبه به القلب .

فطن للشيء : أي خلق به . النفس : ضرب النواقيس .

٦ الرجس : المأثم .

٧ المرجل : القلر من الحجارة والنحاس .

٨ هفا : أي أسرع . السواد : ما حول البلدة من القرى .

٩ النكس : الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .

حَسْبُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّيْلِ عِرْسًا قَبْلَهَا لَمْ يُجَنَّ يَوْمًا بَعْرَسَ
لَبَسَتْ بِالْأَصِيلِ حُلَّةً وَشِيَّ بَيْنَ صَنْعَاءَ فِي الثِّيَابِ وَقَسَّ^١
قَدَّهَا النَّيْلُ ، فَاسْتَحَتْ ، فَتَوَارَتْ مِنْهُ بِالْجَسْرِ بَيْنَ عَرِّيٍّ وَلَيْسَ
وَأَرَى النَّيْلَ كَالْعَقِيقِ بِوَادِيٍّ هـ وَإِنْ كَانَ كَوَثَرُ الْمُتَحَسِّيِّ^٢
ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ذُو الْمَوَكِبِ الْفَخْمِ الَّذِي يَحْسُرُ الْعَيُونَ وَيُخْسِي^٣
لَا تَرَى فِي رِكَابِهِ غَيْرَ مُثْنٍ بِخَمِيلٍ ، وَشَاكِرٍ فَضْلَ عَرَسِ
وَأَرَى الْجِيزَةَ الْحَزِينَةَ تُكَلِّى لَمْ تُفَقِّ بَعْدُ مِنْ مَنَاحَةِ رَمْسِي^٤
أَكْثَرْتُ ضَنْجَةَ السُّوَاقي عَلَيْهِ وَسُؤَالَ الْبِرَاعِ عَنْهُ بِهِمْسِهِ
وَقِيَامَ النَّخِيلِ ضَفَرْنَ شِعْرًا وَتَجَرَّدْنَ غَيْرَ طَوَقٍ^٥ وَسَلَسِ^٦
وَكَأَنَّ الْأَهْرَامَ مِيزَانُ فِرْعَوِ نَ يَوْمٍ عَلَى الْجَبَابِرِ نَخَسِ
أَوْ قَنَاطِيرُهُ تَأْتَقُ فِيهَا أَلْفُ جَابٍ وَأَلْفُ صَاحِبِ مَكْسِ^٧
رَوْعَةٌ فِي الضُّحَى ، مَلَاعِبُ جِنٍّ حِينَ يَغْشَى الدَّجَى حِمَاهَا وَيُغْسِي^٨
وَرَهِينُ الرَّمَالِ أَفْطَسُ ، إِلَّا أَنَّهُ صُنْعُ جِنَّةٍ غَيْرِ فُطْسِ^٩
تَتَجَلَّى حَقِيقَةُ النَّاسِ فِيهِ سَمِعُ الْخَلْقِ فِي أَسَارِيرِ إِنْسِي

١ صَنْعَاءُ : قَصَبَةُ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَقرية بِيَابِ دِمَشْقِ .

ثَوْبٌ قَمِيٌّ وَتَكْسَرُ قَافُهُ : مَنَسُوبٌ إِلَى قَسٍّ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْعَرِيشِ وَالْفَرْمَا ، مِنْ أَرْضِ مِصْرَ .

٢ الْعَقِيقُ : كُلُّ مَا شَقَقَهُ مَاءُ السَّيْلِ فَأَنْهَرَهُ وَوَسَعَهُ ، وَيَعْنِي بِالْعَقِيقِ هُنَا عَقِيقُ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ مَعْرُوفُ الْمُتَحَسِّيِّ : أَيِ الشَّارِبِ .

٣ يُخْسِي : مِنْ خَسَأَ الْبَصَرَ ، كُلُّ وَأَعْيَا .

٤ رَمْسِي : أَيِ رَمْسِيْسَ .

٥ الْبِرَاعُ : الْقَصَبُ .

٦ سَلَسَلَتِ النَّخْلَةَ سَلَسًا : ذَهَبَ كَرِيهًا .

٧ جَابٍ : الْجَابِي الَّذِي يَجْمَعُ الْخِرَاجَ .

الْمَكْسُ : دِرَاهِمٌ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْ بَاثِمِي السِّلَعِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

٨ يَغْسِي : يَظْلِمُ .

٩ فُطْسُ الرَّجْلِ : تَطَاوَلَتْ قِصَّةُ أَنْفِهِ وَاتَّشَرَّتْ فِي وَجْهِهِ ، فَهُوَ أَفْطَسُ ، وَاجْمَعُ فُطْسَ .

لَعِبَ الدَّهْرُ فِي ثَرَاهِ صَبِيًّا وَاللَّيَالِي كَوَاعِبًا غَيْرَ عُنْسٍ^١
رَكِبَتْ صَيْدُ الْمَقَادِيرِ عَيْنِهِ لَتَقْدِرَ ، وَمَحَلَّتِيهِ لَقَرْسٌ^٢
فَأَصَابَتْ بِهِ الْمَالِكُ : كَسْرَى وَهَرَقْلًا ، وَالْعَبْقَرِيَّ الْفَرَنْسِيَّ
يَا قَوَادِي ، لِكُلِّ أَمْرٍ قَرَارٌ فِيهِ يَبْدُو وَيَنْجَلِي بَعْدَ لَبْسٍ
عَقَلْتُ لُجَّةُ الْأُمُورِ عَقُولًا طَالَتْ الْحَوْتَ طُولَ سَبَحٍ وَعَسٍ^٣
غَرَقْتُ حَيْثُ لَا يُصَاحُ بِطَافٍ أَوْ غَرِيقٍ ، وَلَا يُصَاحُ لِجِسٍّ
فَلَكُ يَكْسِفُ الشَّمْسُ نَهَارًا وَيَسُومُ الْبُدُورَ لَيْلَةً وَكُسٍ
وَمَوَاقِبُ لِلْأُمُورِ ، إِذَا مَا بَلَغَتْهَا الْأُمُورُ صَارَتْ لِعَكْسٍ
دَوَّلُ كَالرَّجَالِ ، مَرْتَهَنَاتٌ بَقِيَامٍ مِنْ الْجُدُودِ وَتَعَسٍ
وَلَيَالٍ مِنْ كُلِّ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتْ كُلَّ رَبٍّ رُومٍ وَقُرْسٍ
سَدَدَتْ بِالْهَلَالِ قَوْسًا ، وَسَلَتْ خُنْجَرًا يَتَقَذَّانِ مِنْ كُلِّ ثُرْسٍ
حَكَمَتْ فِي الْقُرُونِ خَوْفُ وَدَارَا وَعَفَتْ وَائِلًا وَالْوَتَّ بَعْسٍ^٤
أَيْنَ مَرَوَانُ : فِي الْمَشَارِقِ عَرْشُ أَمْوِيٍّ ، وَفِي الْمَغَارِبِ كَرْسِيٌّ^٥
سَقَمَتْ شَمْسُهُمْ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا نَوْرَهَا كُلُّ ثَاقِبِ الرَّأْيِ نَطْسٍ^٦
ثُمَّ غَابَتْ ، وَكُلُّ شَمْسٍ سِوَى هَاتِيهِ لَكَ تَبَلَّى ، وَتَنْطَوِي تَحْتَ رَمْسٍ^٧
وَعَظُ الْبَحْتَرِيِّ إِيوَانُ كَسْرَى وَشَقَنِي الْقَصُورُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ^٨

- ١ عنس : جمع عنس ، وهي الجارية التي طال مكثها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .
٢ صيد : واحدها صائد .
٣ القرس : الافتراس .
٤ عقلت : قيدت .
٥ عنس في البلاد غسًا : دخل فيها ومضى قدمًا .
٦ ليلة الوكس : أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس .
٧ عفت : درست وبحث .
٨ كرسى : أي عرش .
٩ نطس : أي عالم .
١٠ الرمس : القبر .
١١ شقني : أي وعظني هي أيضاً وعظاً شافياً .

رُبَّ لَيْلٍ سَرَيْتُ وَالْبَرْقُ طَرْفِي
أَنْظِمُ الشَّرْقَ فِي الْجَزِيرَةِ بِالْغُرِ
فِي دِيَارٍ مِنَ الْخَلَائِفِ دَرَسِ
وَرُبِّي كَالْجَنَانِ ، فِي كَنْفِ الزَّيْتُونِ
لَمْ يَرْغَبْ سِوَى ثَرَى قَرْطُبِي
يَا وَفَى اللَّهِ مَا أَصْبَحُ مِنْهُ
قَرْيَةً لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ ، كَانَتْ
عَشِيَّتُ سَاحِلِ الْمَحِيطِ ، وَغَطَّتْ
رَكِبَ الدَّهْرُ خَاطِرِي فِي ثَرَاهَا
فَتَجَلَّتْ لِي الْقُصُورُ وَمِنْ فِيهَا
مَا ضَفْتُ قَطُّ فِي الْمُلُوكِ عَلَى نَذْرٍ
وَكَأَنِّي بَلَغْتُ لِلْعِلْمِ بَيْتًا
قُدْسًا فِي الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا
وَعَلَى الْجَمْعَةِ الْجَلَالَةُ ، وَ النَّا
يُتَزَلُّ التَّاجُ عَنْ مَفَارِقِ دُونِ
سِتَّةٍ مِنْ كَرَى ، وَطِيفُ أَمَانِ

وَبَسَاطِطِ طَوَيْتُ وَالرَّيْحُ عَنِّي^١
بِ ، وَأَطْوَى الْبِلَادَ حَزَنًا لِدَهْسِ^٢
وَمَنَارٍ مِنَ الطَّوَائِفِ طَمَسِ^٣
نِ خُضْرٍ ، وَفِي ذُرَا الْكَرْمِ طُلَسِ^٤
لَمَسْتُ فِيهِ عَيْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي
وَسَقَى صَفْوَةَ الْحَيَا مَا أُمْسَى
تُمَسِكُ الْأَرْضُ أَنْ تَمِيدَ وَتُرْسِي
لُجَّةَ الرُّومِ مِنْ شَرَاخٍ وَقُلَسِ^٥
فَأَتَى ذَلِكَ الْحِمَى بَعْدَ حَدَسِ^٦
لَهَا مِنَ الْعَزِّ فِي مَنَازِلِ قُعَسِ^٧
لِ الْمَعَالِي ، وَلَا تَرَدَّتْ بَنَجَسِ^٨
فِيهِ مَا لِلْعُقُولِ مِنْ كُلِّ دَرَسِ
حَاجَّةُ الْقَوْمِ مِنْ فُقَيْهِ وَقَسِ^٩
صَرُّ نَوْرِ الْخَمِيسِ تَحْتَ الدَّرَفَسِ^{١٠}
وَيُحَلِّي بِهِ جَبِينَ الْبَرَنْسِ
وَصَحَا الْقَلْبُ مِنْ ضَلَالٍ وَهَجَسِ^{١١}

١ العنس : الناقة :

٢ الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

٣ المنار : العلم يجعل للطريق .

٤ طلس : واحدها أطلس ، وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة .

٥ القلس : جبل السفينة .

٦ الحدس : السير على غير هداية .

٧ القعس : العز الثابت .

٨ ضفت : من ضفا : سبغ واتسع .

٩ الخميس : الجيش ، والدرفس : العلم الكبير .

١٠ الهجس : كل ما وقع في خلد الإنسان .

وإذا الدار ما بها من أنيس
 ورقيق من البيوت عتيق
 أكر من محمد ، وراث^١
 بلغ النجم ذروة ، وتناهى
 مرمز تسبح النواظر فيه
 وسوار كأنها في استواء
 فترة الدهر قد كست سطرها
 ويحها ! كم ترئت لعليم
 وكان الرفيف في مسرح العيد
 وكان الآيات في جانيه
 منبر تحت مندر من جلال
 ومكان الكتاب يُغريك ريًا
 صبعة الداخل المبارك في الغر
 وإذا القوم ما لهم من محس^١
 جاوز الألف غير مذموم حرس^٢
 صار للروح ذي الولاء الأمس^٣
 بين مهلان في الأساس و قدس^٤
 ويطول المدى عليها فترسي
 ألقات الوزير في عرض طرس^٥
 ما اكتسى الهدب من فتور ونعس
 واجد الدهر ، واستعدت لخمس^٦
 من ملاء مدثرات الدمقس^٧
 يتزلن في معارج قدس^٨
 لم يرك يكتسيه ، أو تحت قس^٩
 وزده غائباً ، فتدنو للشمس
 ب ، وآل له ميامين شمس^{١٠}

* * *

- ١ محس : أي حاس بهم .
- ٢ الحرس : الدهر .
- ٣ الأمس : الأقرب .
- ٤ مهلان : جبل بالعالية .
- ٥ قدس : جبل عظيم بنجد .
- ٦ السواري : واحدها سارية ، وهي الأسطوانة العمود .
- ٧ الوزير : يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط .
- ٨ ويحها كم ترئت لعليم أي للمدرس عالم ، واستعدت لإقامة الصلوات الخمس .
- ٩ الرفيف : السقف .
- ١٠ المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد .
- ١١ مندر : هو قاضي الأندلس مندر ابن سعيد المعروف بالعدل والزهد .
- ١٢ الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس .

مَنْ لَحْمَاءَ جُلَّتْ بَعْبَارِ الْ
 كَسْنَا الْبَرْقِ ، لَوْحَا الضَّوْءِ لَحْظًا
 حِصْنُ غِرْنَاطَةِ ، وَدَارُ بَنِي الْأَحْ
 جَلَّ الثَّلْجُ دُونَهَا رَأْسَ شِيرِي
 سَرْمَدُ شَيْبِهِ ، وَلَمْ أَرِ شَيْئًا
 مَشَتْ الْحَادِثَاتُ فِي عُرْفِ الْحَمْدِ
 هَتَكَتْ عِزَّةَ الْحِجَابِ ، وَفَضَّتْ
 عَرَصَاتُ تَحَلَّتْ الْخَيْلُ عَنْهَا
 وَمَعَانٍ عَلَى اللَّيَالِي وَضَاءُ
 لَا تَرَى غَيْرَ وَافِدِينَ عَلَى التَّاءِ
 تَقْلُوا الطَّرْفَ فِي نَضَارَةِ آسِ
 وَقِيَابٍ مِنْ لَأَزُودٍ وَتَبْرِ
 وَخُطُوطٍ تَكْفَلْتُ لِلْمَعَانِي
 وَتَرَى مَجْلَسَ السَّبَاعِ خَلَاءُ
 لَا الثَّرِيَّا ، وَلَا جَوَارِي الثَّرِيَا
 مَرْمَرٌ قَامَتِ الْأَسْوَدُ عَلَيْهِ
 تَثَرُ الْمَاءُ فِي الْحِيَاضِ جُمَانًا
 آخَرَ الْعَهْدِ بِالْجَزِيرَةِ كَانَتْ
 قَتَرَاهَا ، تَقُولُ : رَايَةُ جَيْشٍ
 وَمِفَاتِيحُهَا مَقَالِيدُ مُلْكٍ

١ النَّدَسُ : الْفَهْمُ .
 ٢ عَصَائِبُ بَرَسَ : أَيُّ بِيضٍ كَالْقَطَنِ .
 ٣ الْفُرْسُ : مِنْ فُرْسِ الزَّمَانِ الْقَوْمُ : اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ .
 ٤ الْحَسَ : الْقَتْلُ .

خرج القومُ في كتابَ صُمِّ^١
 ركبوا بالبحار نَعْشاً ، وكانت
 رَبٌّ بَانٍ لِهَادِمٍ ، وَجَمُوعٍ
 إِمْرَةُ النَّاسِ هِمَّةٌ ، لَا تَأْتِي
 وَإِذَا مَا أَصَابَ بَنِيَّانَ قَوْمٍ
 يَا دِيَاراً نَزَلْتُ كَالْحُلْدِ ظِلًّا
 مُحْسِنَاتِ الْفُصُولِ ، لَا نَاجِرُ فِيهِ
 لَا نَحِشُ الْعَيُونَ فَوْقَ رُبَاهَا
 كَسَيْتُ أَفْرَخِي بِظُلْكَ رِيشاً
 هُم بَنُو مَصْرَ ، لَا الْجَمِيلُ لَدَيْهِمْ
 مِنْ لِسَانٍ عَلَى ثَنَائِكَ وَقَفُ
 حَسَبُهُمْ هَذِهِ الطُّلُولُ عِظَاتٍ
 وَإِذَا فَاتَكَ التَّفَاتُ إِلَى الْمَا

عن حفاظ ، كموكب الدفن خُرس^١
 تحت آبائهم هي العرش أَمْس
 لَمْشِتٌ ، وَمُحْسِنٌ لِمُخِسٍ
 لَجْبَانٍ ، وَلَا تَسْتِي لَجْبَسٍ^٢
 وَهِيَ خُلْقِي ، فَإِنَّهُ وَهِيَ أَسْ
 وَجَتِي دَانِيَا ، وَسَلْسَالِ أُنْسٍ
 بِهَا يَقِيطُ ، وَلَا جَادِي بِقَرَسٍ^٣
 غَيْرَ حُورٍ حَوِّ المَرَاشِفِ ، لُعْسُ
 وَرَبَا فِي رُبَاكِ وَاشْتَدَّ عَرْسِي
 بِمُضَاعٍ ، وَلَا الصَّنِيعُ بِمَنْسِي
 وَجَنَانٍ عَلَى وَلَائِكَ حَبْسٍ
 مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الدَّهْوَرِ وَدَرَسٍ
 ضِي فَقَدْ غَابَ عَنْكَ وَجْهُ النَّاسِي

١ الحفاظ : الذب عن المحارم .

٢ الجبس : الجبان .

شهر رجب ، أو صفر ، أو شهر من شهور الصيف .

٣ بقرس : يبارد .

٤ حو المَرَاشِف : أي سمر الشفاه ، وهو مستلح من النساء .

اللُعْس : سواد مستحسن في الشفة .

كوك صو

نجمة شاعر يا ماء جكسو
 فدتك مياه دجلة وهي سعد
 وجاءك ماء زمزم وهو طهر
 وكان النيل يعرس كل عام
 وقد زعموه للغادات رمسا
 وردنك كوثرًا ، وسقرن خورًا
 فقل للجناحين إلى حجاب
 إذا لم يسر الأدب الغواني
 تأمل . هل ترى إلا جلالاً
 كأن الخود مريم في سفور
 تبيها الرجال ، فلا ضمير
 غشيتك والأصيل يفيض تبرا
 وتنهب في الخليج له وتأتي
 وفي جيد الحميلة منه عقد
 ولألأت الجبال فضاء سفح
 على فلك تسير بنا الهويني
 فليس سواك للأرواح أنس
 ولا جعلت فداءك وهي نحس
 وأمواه على الأرذن قدس
 وأنت على المدى فرح وعرس
 وأنت لهمهن الدهر رمس
 وهل بالخور إن أسفرن بأس ؟
 أتحجب عن صنيع الله نفس ؟
 فلا يغني الحرير ، ولا الدمقس
 تحس النفس منه ما تحس ؟
 ورائها حوارِي وقس
 بهم بها ، ولا عين تحس
 وينسج للربي خللاً ويكسو
 أنامل تثر العقيان خمس
 وفي آذانها قرط وسلس
 يسر الناظرين ، ونار رأس
 ومن شعري نديم لي وجلس

• قال يصف كوك صو وهو موقع جميل في الاساتنة العلية . ومعنى اللفظين اللذين سمي بهما ماء السماء .

١ الخود : جمع خودة وهي المرأة الشابة .

٢ الحميلة : الموضع الكثير للشجر .

السلس : الحيط الذي ينظم به الخرز الأبيض تلبسه الاماء ، وقيل القرط من الخلي .

تَنَازَعْنَا الْمَذَاهِبَ حَيْثُ مِلْنَا زَوَارِقُ حَوْلَنَا تَجْرِي وَتَرْسُو
لَهَا فِي الْمَاءِ مُنْسَابٌ كَطِير تُسِفُّ عَلَيْهِ أحياناً وَتُحْسُوا
صَغَارُ الْحَجْمِ ، مَرَهْفَةٌ الْحَوَاشِي لَهَا عُرْفٌ إِذَا خَطَرَتْ وَجَرَسُ^٢
إِذَا الْمِجْدَافُ حَرَّكَهَا اطْمَأَنَّتْ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُحَرِّكْ فَهِيَ رَعَسُ
وَإِنْ هَوَّجَدَ فِي الْمَاءِ انْسِيَابَا فَكُلُّ طَرِيقَةٍ وَتَرٌّ وَقَوْسُ
حَمَلْنَ اللَّوْلُوَ الْمَشُورَ عَيْنَا كَمَا حَمَلَتْ حَبَابَ الرَّاحِ كَأْسُ^٣
كَأَنَّ سَوَافِرَ الْغَادَاتِ فِيهَا مَلَأَتْكُمْ هُمُهَا نَظَرٌ وَهَمْسُ
كَأَنَّ بَرِاقِعَ الْغَادَاتِ تَهْفُو عَلَى وَجَنَاتِهَا عَيْمٌ وَشَمْسُ
كَأَنَّ مَازَرَ الْعَيْنِ انْتِسَابَا زَهْوٌ لَا تُشْمُ ، وَلَا تُمَسُّ^٤
إِذَا تُشِيرَتْ ، فَرِيحَانٌ وَوَرْدٌ وَإِنْ طُوبَتْ ، فَتَسْرِينٌ وَوَرَسُ
عَجِبْتُ لَهْنٍ يَجْمَعُهُنَّ حَسَنٌ وَلَكِنْ لَيْسَ يَجْمَعُهُنَّ لُبْسُ
فَكَانَ لَنَا بِظُلُوكِ خَيْرٌ وَقْتُ وَخَيْرُ الْوَقْتِ مَا لَكَ فِيهِ أُنْسُ
نَمْتَعُ مِنْكَ يَا جَكْسُو نَفُوساً بِهَا مِنْ دَهْرِهَا هَمٌّ وَبُؤْسُ
إِلَى أَنْ بَانَ سِرُّكَ فَانْتَبَيْنَا وَقَدْ طُويَ النَّهَارُ ، وَمَاتَ أَمْسُ

وَقَالَ فِي كَلَابِ الْأَسْتَانَةِ وَكَانَ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثْلَ فِي الْكَثْرَةِ وَالْقُدْرَةِ :

قَالُوا فَرُوقُ الْمَلِكِ دَائِرُ مَخَافٍ لَا يَنْقُضِي لَتَزِيلُهَا وَسْوَاسُ^١
وَكَلَابُهَا فِي مَأْمَنِ ، فَاعْجَبْ لَهَا أَمِينَ الْكَلَابُ بِهَا ، وَخَافَ النَّاسُ^٢

١ أَسَفُ الطَّائِرِ : طَارَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

٢ الْعَرَفُ : لَحْمَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ فِي أَعْلَى رَأْسِ الدَّبِكَ .

٣ الْعَيْنُ : جَمْعُ عَيْنَاهُ ، وَهِيَ الْمَرَّةُ الَّتِي عَظُمَ سَوَادُ عَيْنِهَا فِي سَعَةٍ .

٤ سَوَافِرُ : جَمْعُ سَافِرَةٍ ، وَهِيَ الْمَرَّةُ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا .

٥ مَازَرُ : جَمْعُ إِزَارٍ ، وَهُوَ الْمُلْحَفَةُ .

أَنْسُ الْوَجُودِ*

أَتَأْذَنُ لِرَجُلٍ تَعَوَّدُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ الْمَوْظِفِ كُلَّمَا عَرَضَتْ حَالُ يَخْدُمِ الْوِطْنَ فِيهَا الرِّجَالُ يَرْفَعُ لَشَعْرِهِ ذِكْرَهُ ، وَيَشْرَفُ قَدْرَهُ ، مَهْدِيًا إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي لُغَةِ الضَّادِ ، وَهِيَ بِمَا قَلْتُ فِي أَنْسِ الْوُجُودِ ذَلِكَ الْأَثَرُ الْمُحْتَضَرُ ، الَّذِي جَمَعَ الْعَبْرَ ، وَمَحَاهِ الدَّهْرِ أَوْ كَادَ وَكَانَ إِحْدَى آيَاتِهِ الْكَبِيرُ ، هِيَ كُلُّ « لَفْرَعُونَ » وَ « بَطْلِيمُوس » ، تَوَارِثَهَا عَنْ « الْكَهَنَةِ » « الْقُسُوسِ » ، وَصَارَتْ « لِلْمَسِيحِ » وَكَانَتْ « لِهَوْرُوس » ، ثُمَّ ظَهَرَ « الْأَذَانُ » فِيهَا عَلَى « النَّاقُوسِ » ، ثُمَّ لَا تَكُونُ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا حَتَّى يَهْوِيَ فِي الْمَاءِ كُلُّ حَجَرٍ كَانَ يُقْبَلُ كَالْأَسْوَدِ ^١ ، وَكُلُّ رَكْنٍ كَانَ يُسْتَلَمُ « كَالْحَطِيمِ » ^٢ شَهِدْتُ عَلَى « أَنْسِ الْوُجُودِ » مَا يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ - وَلَوْ أَنَّهُ رَوَّزَفَلْتُ عُلَمَاءَ وَحِكْمَةً وَأَدَبًا - كَيْفَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا وَيُحْتَرَمُ الدِّينَ جَمِيعًا .

دَخَلَتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ « الدُّوقُ أَوْفُ كُونُوت » لَدَيْهِ يَتَمَشَّى فِي ظِلَالِهِ وَيَتَنَقَّلُ بَيْنَ رَسُومِهِ وَأَطْلَالِهِ ، عَيْنَاهُ وَنَفْسُهُ فِي إِكْبَارِهِ وَإِجْلَالِهِ ، فَكَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَتْ « فَلَّاحًا » أَقْبَلَ ثُمَّ أَلْقَى عِبَادَتَهُ وَتَوَجَّهَ بِصَلْبِي « الْعَصْر » غَيْرَ مُلْقٍ بِالْأُ « لَفْرَعُونَ » كَيْفَ كَانَ يَعْْبُدُ وَيُعْبَدُ ، وَلَا « لَبْطِيلُمُوس » كَيْفَ كَانَ يُعْظَمُ وَيُمَجَّدُ ، وَلَا لِلْمَسِيحِيَّةِ السَّمْحَةِ كَيْفَ دَخَلَتْ عَلَى « الْوَثْنِيَّةِ » الْمَعْبُودِ ، وَلَا « لِلْمَلِكِ إِدْوَارْد » الَّذِي تَحْتَلُّ جُنُودُهُ الْآنَ مِصْرَ وَهُوَ فِي ثِيَابِ أَخِيهِ « الدُّوقِ » يَرْفَعُ الْبَصَرَ وَيُسَدِّلُهُ مِمْتَلئًا مِنْ آيَاتِ الدَّهْرِ مَهَابَةٍ وَإِعْجَابًا ، مُشْتَغِلًا بِالتَّارِيخِ الْقَائِمِ الْمَجْهَمِ ، يَقْرُؤُهُ كِتَابًا

• إِلَى الْمُسْتَرِ رَوَّزَفَلْتُ الرَّئِيسَ الْأَسْبَقَ لِلْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ .

١ الْأَسْوَدُ : هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ الَّذِي بِمَكَّةَ .

٢ الْحَطِيمُ : جِدَارُ حَجَرِ الْكَعْبَةِ ، وَقِيلَ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَزَمْزَمَ وَالْمَقَامِ .

كتاباً . دين سهل سَمَحَ يَسَّرَ ، وإله واحد يُعَبَّد حيث وجد العابدة ، على العراء كما في الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ - أيها الضيفُ العظيم - غابر متجدد ، قديمه منوال ، وحاضره مثال ، والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمشي فوق مهد الأعصر الأول ، ولحد قواهر الدول ، أرض اتخذها « الإسكندر » عريناً ، وملأها على أهلها « قيصر » سفيناً ، وخلف « ابن العاص » فيها لساناً وجنساً وديناً ، فكان أعظم المستعمرين حقيقة وأكبرهم يقيناً ، وهو الذي لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدم ، أو نهى ، أو أمر ، إلا بين الرجاء والحذر ، من عدل « عمر » ، الذي تبيك عنه السَّير .

قَتَ - أيها الضيف العظيم - في السودان خطيئاً فأُنصت العصر ، والتفت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساعطون : « كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهي تدب ، في هذا الشعب ؟! ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية ، على صحراء أو بادية ، كما طاردت السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية » .

المصريُّ - أيها الضيف العظيم - سمح كريم التجاوز ، فقد ظفرت بمن مهد عذرك ، ونفى الظن عن كرمك ، وادخر ودك الذي تخطبه الأمم المستضعفة ، والشعوب المتلهفة ، المنشوقة ؛ إذ قيل : إنمَّا أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقّه أن يمدح بكل لسان ، وفي كل مكان ، فكيف به في بعض معاهده في السودان ؟! وأراد كذلك أن يحذّر من الفتنة في الجيوش . وينهي عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته ، ويدعو هذه الأمة التي حركتها المستقبل في السكون ، إلى العمل في ظلّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبل بمشيئة الله مأمون ، وقديماً فاز بالصبر الصابرون .

فإن كان ذلك - أيها الضيف العظيم - وهو ما لا نعتقد غيره - فثلك من نصيحٍ للأُمم ، وبعث الغرائمَ والهمم . وعلم باللسان والقلم :
 على أننا نرجو أن سذكركنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعاً أهله ،
 وأن ستعطينا عهدك ، وتصفينَا ودَّك ، وعملاً من أجمل الظنون وأحسنها بردك ،
 يوم تهل السفينة عظمتك ومجلك ، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدك .
 على يد الله تجري إن هي اندفعت وفي حِمى الله - لا في الماء - تحتجب

* * *

أيها المنتحي بأسوان داراً	كالثريا تريد أن تنقصاً
اخلع النعل واخفِض الطرف ، واخشع	لا تحاول من آية الدهر عَصاً
قف بتلك القصور في اليم غرقى	ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً
كعدارى أخفين في الماء بقصاً	ساجحات به ، وأبدئين بقصاً
مُشرفات على الزوال ، وكانت	مشرفات على الكواكب نهضاً
شباب من حولها الزمان وشابت	وشبابُ الفنون ما زال غصاً
رُبَّ «نقش» كأنما نفض الصا	نعُ منه اليدنين بالأمس نفضاً
و «دهان» كلامع الزيت ، مرت	أعصرُ بالسراج والزيت وُصاً
و «خطوط» كأنها هذب رم	حسنتُ صنعةً ، وطولاً ، وعرضاً
و «ضحايا» تكاد تمشي وترعى	لو أصابت من قدرة الله نبضاً
و «محاريب» كالبروج ، بنتها	عزيمات من عزمة الجن أمضى
شيدت بعضها الفراعين زُلْفَى	وبنى البعض أجنب يترضى

١ البض : الرخص الجسد .

٢ وضا : وضاء .

٣ ريم : غزال .

٤ أمضى : أهد .

٥ زلنى : تقرّباً .

يترضى : يطلب الرضا .

و «مقاصير» أُبْدِلَتْ بَقَاتِ ال
حَظُّهَا الْيَوْمَ هَذَّةٌ ، وَقَدِيمًا
سَقَتْ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْدِ
صَنَعَةُ تَلْهَشُ الْعُقُولَ ، وَفَنٌ
حَسَكِ ثُرْبًا ، وَبِالْيَوَاقِيتِ قَضَا^١
صُرِّفَتْ فِي الْخَطُوطِ ، رَفْعًا وَخَفَضًا
س ، إِلَى أَنْ تَعَاظَتْ النُّحُسَ مَحْضًا^٢
كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرْضًا

* * *

يَا قُصُورًا نَظَرْتُهَا وَهِيَ تَقْضِي
أَنْتِ سَطْرٌ ، وَمَجْدُ مِصْرَ كِتَابٌ
وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مِصْرٍ
رُبُّ سِرٍّ بِجَانِيكَ مُزَالٍ
قَلَّ لَهَا فِي الدَّعَاءِ لَوْ كَانَ يَجْدِي
حَارَ «فِيكَ» الْمُهَنْدِسُونَ عَقُولًا
أَيْنَ مَلِكٌ حَيَالُهَا وَفَرِيدٌ
أَيْنَ «فِرْعَوْنُ» فِي الْمَوَاقِبِ تَتَرَى
سَاقَ لِلْفَتْحِ فِي الْمَالِكِ عَرْضًا
أَيْنَ «إِلِيزِس» تَحْتَهَا النَّيْلُ يَجْرِي
أَسْدَلُ الطَّرَفِ كَاهِنٌ وَمَلِيكَ
يُعْرَضُ الْمَالِكُونَ أَسْرَى عَلَيْهَا
مَا لَهَا أَصْبَحَتْ بِغَيْرِ مُجِيرٍ
فَسَكَبْتُ الدَّمُوعَ ، وَالْحَقُّ يُقْضَى^٣
كَيْفَ سَامَ إِلَيَّ كِتَابُكَ فُضًا ؟
مَنْ يَصْنُ مَجْدُ قَوْمِهِ صَانَ عَرْضًا
كَانَ حَتَّى عَلَى «الْفَرَاعِينَ» غَمَضًا
يَا سِمَاءَ الْجَلَالِ ، لَا صِرْتُ أَرْضًا
وَتَوَلَّتْ عِزَائِمُ الْعِلْمِ مَرْضَى
مَنْ نِظَامُ النِّعَمِ أَصْبَحَ فُضًا ؟
يَرْكُضُ الْمَالِكِينَ كَالْخَيْلِ رَكْضًا ؟
وَجَلَّ لِلْفَخَارِ فِي السَّلَامِ عَرْضًا
حَكَمْتَ فِيهِ شَاطِئِينَ وَعَرْضًا ؟
فِي ثَرَاهَا ، وَأَرْسَلَ الرَّأْسَ خَفَضًا
فِي قِيُودِ الْهَوَانِ ، عَائِينَ ، جَرَضَى^٤
تَشْتَكِي مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ عَضًا ؟

١ قضا : حصي .

٢ محضاً : خالصاً .

٣ تقضي : تنفي .

٤ قضا : مفضوضاً .

٥ جرضى : مغمومين .

هي في الأسر بين صخرٍ وبحرٍ
 أين «هوروس» بين سيفٍ ونطعٍ ؟
 ليت شعري : قضى شهيداً غرامٍ
 رُبَّ ضَرْبٍ من سَوْطِ فرعونَ مَضٍّ^١
 وهلاكٍ بسيفه وهو قانٍ
 قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ ؟

يا إمامَ الشعوبِ بالأمس واليو
 مصرَ بالنازِلين من ساحٍ معني
 كن ظهيراً لأهلها ونصيراً
 قل لقومٍ على الولاياتِ أيقا
 شيمَةُ النيلِ أن يني ، وعجيب
 حاشه الماء ، فهو صيدٌ كريمٌ
 شيد والمال والعلوم قليل

م ، سَتُعْطَى من الثناء ، فترضى
 وحيى الجود حاتم الجود أفضى^٢
 وابذل النصح بعد ذلك محضاً^٣
 ظ إذا ذاقَت البريئة غمضاً
 أخرجوه ، فضيغ العهد نقضاً
 ليت بالنيل يوم يسقط غيضاً^٤
 أنقلوه بالمال والعلم نقضاً^٥

١ حضوضى : جبل في البحر .

٢ مض : موج .

٣ ينضى : يسلم .

٤ معني : هو معني بن زائدة أحد كرماء العرب .

٥ ظهيراً : نصيراً .

٦ حاشه : من حاش الصيد : أخرجته في كل مكان .

غيضاً : من غاض الماء غيضاً : نقص أو غار فذهب في الأرض .

٧ نقضاً : ما انتقض من البناء ، أي انتكث .

النفس

قال الرئيس ابن سينا :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تُعزِّز وتُنع
محبوبة عن كل مُقلِّد عارف	وهي التي سَفَرَتْ ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك ، وربما	كرهت فراقك وهي ذات تُفجع
ألفت وما سكنت ، فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تنقع
حتى إذا اتصلت بها هبوطها	عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل ، فأصبحت	بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهداً بالحمى	بمدامع نهبي ، ولما نُقلع
..... الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف في الشاعرين بعد كلام طويل : « والاثنان جريا مجرى أفلاطون ، في حَسْبَان النفس روحاً كانت عند الخالق ، ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورهما فرساً مجنحة ، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح ، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشيء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه ، ويجازيهم الشعراء في التصور ، ويفوقونهم في الوصف .

* * *

صُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ أَوْ اِرْقَعِي هَذِي الْحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِتُرْقِعِ !

١ الخطاب للنفس ، مخاطبها كما يخاطبها فيلسوف ، علم بدائعها ، وبحث عن حقيقتها ، فأجابها تريد غموضاً كلما زاد بحثاً ، مع أنها أقرب ما يكون إليه .

الضاحيات ، الضاحكات ، ودونها
 يا دُمِيَّة لا يُستزاد جلالها
 ماذا على سلطانِه من وقفة
 بل ما يضرك لو سمحت بجلوة ؟
 ليس الحجاب لمن يعزُّ مناله
 أنت التي اتخذ الجلال لعزه
 وهو الصَّنَاع ، يصوغ كلَّ دَقِيقَةٍ
 لمستك راحته ، ومستك روحه
 الله في الأحبار : من مُتْهالكِ
 من كلِّ غاوٍ في طَوِيَّةٍ راشِدٍ
 يتوهجون ويطفأون ، كأنهم
 علموا ، فضاقت بهم وشقَّ طريقهم
 ذهب ابنُ سينا ، لم يقربك ساعة
 هذا مقامٌ ؛ كلُّ عزٍّ دونه
 فحمدك لك و المسيحُ ترَجَّلا
 ما بالُ أحمدَ عَيَّ عنك بيانه ؟
 ولسانُ موسى انحَلَّ ، إلا عقدة
 لما حلَّتْ بآدم حلَّ الحَبِي

سِتْرُ الجلالِ ، وبُعْدُ شَأو المَطْلَعِ
 زِيْدِيهِ حُسْنُ الْمُحْسِنِ المتبرِّعِ
 لِلصَّارِعِينَ ، وَعَظْفَةِ اللُّحْشَعِ ؟
 إِنَّ العُرُوسَ كَثِيرَةُ المتطَلِّعِ
 إِنَّ الحِجَابَ لِهَيِّنٍ لم يمنع
 مِنْ مَظْهَرٍ ، وَلِسِرِّهِ مِنْ مَوْضِعِ
 وَأَدَقُّ مِنْكَ بَنَانُهُ لم تَصْنَعِ
 فَأَتَى البَدِيعُ على مِثَالِ المُبْدِعِ
 نَضُو ، وَمَهْتُوكِ المُسَوِّحِ مُصْرَعِ
 عاصي الظواهرِ في سريرة طَبِيعِ
 سُرُجٌ بِمُعْتَرِكِ الرِّيحِ الأَرَبِ
 والجاهلون على الطريق المَهْيَعِ
 وتَوَلَّتْ الحِكْمَاءُ ، لم تَتَمَتَّعِ
 شمسُ النهارِ بمثلِه لم تَطْمَعِ
 وترجَّلتُ شمسُ النهارِ يُوشِعِ
 بل ما لعيسى لم يَقُلْ أَوْ يَدَّعِ ؟
 مِنْ جَانِيكِ ، عِلَاجُهَا لم يَنْجِعِ ؟
 ومشى على المَلَأِ السُّجُودِ الرَّكْعِ

١ الضاحيات : الطاهرات البارزات ، وصف بها محاسن النفس ، وقال : إنها مع ذلك ، مظلَّمة بعيد وجلالها مستور .

٢ نصب اسم الجلالة على الاستغاثَةِ ، والكلام في الآيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس ، فشقَّ طريقهم كلما زادوا بحثاً ، أما الجاهلون في راحة سائرهم في المهيِّع ، أي الطريق الواسع البين .

٣ الضمير في ذلك يرجع إلى النفس ، أراد بها الجوهر الإلهي .

٤ حل الحيا : نهض ، والمقصود هنا تقييد الروح العالي الذي نفخ الله في آدم .

وأرى النبوة في ذراكٍ تَكَرَّمَتْ
وسَقَتْ قريشَ على لسان محمد
ومَشَتْ بموسى في الظلام مُشَرِّدًا
حتى إذا طَوَيْتَ وَرِثْتَ خِلَالَهَا
قَسِمْتَ مَنَازِلَكَ الحُظُوظُ : فَنَزَلًا
وخلِيَّةً بالنحل منك عَمِيرَةً
وحَظِيرَةً قد أودِعتْ غُرَرَ الدُّمَى
نظرَ الرئيسُ إلى كمالكِ نظرةً
فراهَ مترلةً تعرَّضَ دُونَهَا
لولا كمالكِ في الرئيسِ ومثله
اللهُ ثَبَّتَ أرضه بدعائم
لو أن كلَّ أخِي يراعُ بالغِ
ذهب الكمالُ سُدى ، وضاع محلّه

في يوسف ، وتكلّمت في المَرَضِعِ^١
بالبابلي من البيان المُمنِعِ^٢
وحدّته في قُللِ الجبالِ اللُّمَعِ^٣
رُفِعَ الرَّحِيقُ وَسِرُّهُ لم يُرْفَعِ
أَتَرَعْنَ منك ، ومنزلًا لم تُثَرِّعِ
وخلِيَّةً مَعْمُورَةً بالثَّبَعِ^٤
وحَظِيرَةً محرومةً لم تودِعِ^٥
لم تُخلُ من بَصَرِ اللَّيْبِ الأَرُوعِ
قَصْرُ الحَيَاةِ ، وحالُ وَشَكِّ المَضَرِّعِ
لم تُخَسِّنِ الدنيا ، ولم تُثَرِّعِ^٦
هم حائطُ الدنيا ، وركنُ الجمعِ
شأوَ الرئيسِ وكلِّ صاحبِ مَبَضِّعِ
في العالمِ المتفاوتِ المتنوعِ

يانفسُ ، مثلُ الشمسِ أنتِ : أشعةُ * * * في عامرٍ ، وأشعةُ في بَلَقَعِ

- ١ أراد يوسف : يوسف للصديق ، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عفا ، وأراد بالمرضع : السيد المسيح .
- ٢ أراد بالبَابِلِي : السحر إشارة إلى قوله : « أن من البيان لسحراً » .
- ٣ إشارة إلى العليقة الملتبّة .
- ٤ فاعل طويّت يعود إلى النبوة . والخلال : الصفات والمزايا التي يبقى أثرها كما يبقى أثر الخمر بعد ما تزول .
- ٥ التبع : يحسوب النحل الأعظم ، وهو ما يسمونه الملكة .
- ٦ الدُمَى : الصور ، أو التماثيل الجميلة ، أشار بها في الأبيات الثلاثة المتقدمة إلى تفاوت النفوس في الناس .
- ٧ أي لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام ، والمقصود من الكمال هنا : بلوغ النفس الكمال في النبوة ، أو ما يقرب من الكمال في بعض العبقريين من الناس ، والرئيس منهم .

فإذا طوى الله النهارَ تراجعتْ
لما نُعيتِ إلى المنازلِ عُودِرتْ
ضجَّتْ عليكِ معالماً ومعاهداً
آذنتها بنوى ، فقالت : لَيْتَ لَمْ
ورداءِ جُئَانِ لِبَسْتِ مُرْقَمٍ
كم بَنَتْ فِيهِ ، وكم خَفَيْتِ ، كأنه
أَسْمَتِ مِنْ دِيْبَاجِهِ ، فترعته ؟
فِرَعَتْ وما خَفَيْتِ عليها غَايَةً
ضَرَعَتْ بِأَدْمُعِهَا إِلَيْكَ ، وما دَرَتْ
أَنْتِ الْوَقِيَّةُ ، لا الدَّمَامُ لَدَيْكَ مَذًى
أَزْمَعَتْ ، فانهَلَتْ دموعُكِ رَقَّةً
بانَ الْأَجْبَةُ يَوْمَ بَيْنِكَ كُلَّهُمْ

شَتَّى الْأَشْعَةَ ، فالتَقَتْ فِي الْمَرْجِعِ
ذَكَاً ، ومثلُكِ فِي الْمَنَازِلِ مَا نُعِي
وبَكَتْ فِرَاقُكِ بِالْدموعِ الْهَمْعُ^١
تَصِلُ الْحِبَالُ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تَقْطَعْ
بِيَدِ الشَّبَابِ عَلَى الْمَشِيبِ مُرْقَعٍ
ثوبُ الْمِثْلِ ، أَوْ لِبَاسُ الْمَرْفَعِ^٢ ؟
وَالْحَزُّ أَكْفَانُ إِذَا لَمْ يُتْرَعْ
لَكِنَّ مَنْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ يَفْزَعُ^٣
أَنَّ السَّفِينَةَ أَقْلَعَتْ فِي الْأَدْمَعِ
مَوْمٌ ، وَلَا عَهْدُ الْهَوَى بِمَضِيعٍ
وَلَوْ اسْتَطَعْتَ إِقَامَةً لَمْ تُزْمِعِي
وَذَهَبَ بِالْمَاضِي وَبِالْمُتَوَقِّعِ

مَيْدَانُ الْكُونْكَورد*

أَمِيدَانُ الْوَفَاقِ ، وَكُنْتَ تُدْعَى
أَتَدْرِي : أَيُّ ذَنْبٍ أَنْتَ جَانٍ ؟
هَوَى فِيكَ السَّرِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ
أَصَابُوا ، وَاسْتَرَحَ لُويسُ مِنْهُمْ

بِمَيْدَانِ الْعِدَاوَةِ وَالشَّقَاقِ
وَأَيُّ دَمٍ ذَهَبَ بِهِ مُرَاقٍ ؟
وَمَاتَ الثَّائِرُونَ ، وَأَنْتَ بَاقٍ
لِذَا سُمِّيتَ مَيْدَانُ الْوَفَاقِ

١ فاعل ضجت عائد إلى المنازل أي الأجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز ، أراد بالمعالم : ذوي النفوس الصغيرة ، وبالمعاهد : ذوي النفوس الكبيرة .

٢ المرفع : الكرنفال الذي يلبس الناس فيه ثياباً مزوقة .

٣ فرعت : تاهيت أو استجارت ، والضمير عائد إلى أجسام وأراد بالقيامة : ساعة الموت .

• ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريس ، وهو الذي أعدم فيه الملك لويس السادس عشر في أيام الثورة الفرنسية .

أَيُّهَا النَّيْلُ*

أيها الأستاذ الكريم :

تذكرتُ «أثينا» مدينةَ الحكمة في الدهور الخالية ، وأياماً غنمناها على رسومها العافية ، وأطلالها البالية ، فكأنني أنظر إلى المؤتمر ، علماؤه الهالة ، وأنت القمر ، أو زُمُر الحجيجِ وأنت حادي الزُمُر ، وأرى الملوك في الحفر ، بُنيانهم مصلوعُ الجُدر ، وبيانهم نور البشر ، نزلنا بهم فإذا الدولُ خبر ، وإذا الممالك أثر ، والطولُ شغلُ القوادِ والبصر ، مَنَّا العبرات ومنها العبر ، صَمَتَ الإنسان ونطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر القاهر فوق عباده بالقدر . كان ذلك والحوادث أجنة ، والأمور في أحسن الأعنة ، والأرض بالسلم مطمئنة ، مغتبطة بسلامة الشباب ، منبسطة بتلاقي الأحباب ، والصَّفوفُ في الدار والأكدارُ بالباب ، ثم أخذ الله الأممَ بذنوبهم فرماهم بعوانٍ في الماء ، ضروس في الأرض والسماء ، منهومة بالأموال مُدمنةٌ للدماء ، نزلتُ بالبريةِ فعصفتُ بأحسن شبابها ونباتها ، ونقضت موفورَ أمنها وأقواتها ، وهتكتُ في الثرى مَصونَ رُفَاتِها ، وخلطتُ في الخنادقِ أحياءها بأمواتها ، وعدتُ على الوحشِ في فلواتها ، وعلى الطيرِ في وكناتِها ، وعلى الرياحِ في مخترقاتها ، وعلى بَلَمَ البحارِ وأخواتها ، وهوامُ القِفار وحشراتِها ، وعلى بيوت الله في ستراتِها ، والنواقيس في قبابِها ، والمآذن في سماواتِها ، فسبحان الملك الأكبر ، الذي يَقهر ولا يُقهر ، وَيُعَيِّر ولا يَتَغَيَّر ، والذي يقيم القيامة في ميقاتِها .

الشعر كالأحلام ؛ تدخل على المسرور الكرى ، وتكثر على المحزون في

* إلى الأستاذ مرجيوت مدرس اللغة العربية في جامعة أكسفورد .

المُرى . وقرحة الشاعر كعين صاحب الأيام ، عندها للحزن عبرة ، وللسرور عبرة ، وهذه أيها - الأستاذ الكريم - كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، والدموع متبارية ، وذئاب البشر يقتتلون على الفانية ، نظمها تَغْيياً بمحاسن الماضي ، وتقييداً لمآثر الآباء ، وقضاءً لحق « النيل » الأسعد الأجد . ونسبها إليك ، عرفاناً لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها ، ونشر آدابها ، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ، في أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك . فتتذكر على النوى تلك الأيام ، وتتادم من بعد على بساط الأدب والكلام . ونسأل الله أن يحقن الدماء ، ويقيم جدار السلام .

* * *

من أي عهدٍ في القرى تدفق ؟ وبأي كفٍ في المدائن تغدق ؟
ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جدولاً تترقق ؟
وبأي عَيْنٍ ، أم بآية مُزنة أم أي طوفانٍ تفيض وتفهق ؟
وبأي نولٍ أنت ناسجٌ بُردة للصفين ، جديدها لا يخلق ؟
تسود ديباجاً إذا فارقتها فإذا حضرت اخضوضر الاستريق ؟
في كل آونة تبدل صبغة عجباً ، وأنت الصابغ المتأنق
أنت الدهور عليك ، مهلك مترع وحياضك الشرق الشهية دقق

١ المزة : هي هنا السحابة الممطرة .

تفهق : فهق الاناء أي امتلأ حتى صار يتصب .

٢ النول : خشبة الحائك ينسج عليها .

يخلق : يبل .

٣ الاستريق : الحرير .

٤ مترع : ممتلئ .

الشرق : الغرقى .

تَسْقَى وَتُطْعِمُ ، لا إِنْأَوْكَ ضَائِقُ
والماء تَسْكِبُهُ فُسْبَكُ عَسْجَدًا
ثُعْبِي مَنَابِعُكَ الْعُقُولَ ، وَيَسْتَوِي
أَخْلَقْتَ رَاوُوقَ الدَّهْوَرِ ، وَلَمْ تَزَلْ
حَمْرَاءُ فِي الْأَحْوَاضِ ، إِلَّا أَنَّهَا
دِينُ الْأَوَائِلِ فَيْكَ دِينُ مُرُوءَةٍ
لَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا يُؤَلِّهُ لَمْ تَكُنْ
جَعَلُوا الْهُوَى لَكَ ، وَالْوَقَارَ عِبَادَةً
دَانُوا بِبَحْرِ الْمَكَارِمِ زَاخِرٍ
مُتَقَيِّدٍ بِعَهْدِهِ وَوُعُودِهِ
يَتَقَبَّلُ الْوَادِي الْحَيَاةَ كَرِيمَةً
مَتَقَلِّبُ الْجَنِينِ فِي نَعْمَانِهِ
فَيْسَتْ خِصْبًا فِي ثَرَاهِ وَنِعْمَةٍ
وإِلَيْكَ - بَعْدَ اللَّهِ - يَرْجِعُ تَحْتَهُ

بِالْوَارِدِينَ ، وَلَا خَوَانُكَ يَنْفُقُ^١
وَالْأَرْضُ تُغْرِقُهَا فِيحْيَا الْمَغْرَقُ^٢
مُتَخَبِّطُ فِي عِلْمِهَا وَمُحَقِّقُ
بِكَ حَمَاءُ كَالْمَسْكِ ، لَا تَتَرَوَّقُ^٣
بِيضَاءُ فِي عُنُقِ الثَّرَى تَتَأَلَّقُ
لِمَ لَا يُؤَلِّهُ مَنْ يَقُوتُ وَيَرْزُقُ ؟
لِسَوَاكَ مَرْتَبَةُ الْأُلُوهَةِ تَخْلُقُ
إِنَّ الْعِبَادَةَ خَشْيَةٌ وَتَعْلُقُ
عَذَابِ الْمَشَارِعِ ، مَدَّةُ لَا يُلْحَقُ
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَصْدُقُ^٤
مَنْ رَاحَتِكَ عَمِيمَةً تَتَدَقُّ
يَعْرِى وَيُصْبِغُ فِي نَدَاكَ فَيُورِقُ
وَيَعْمُهُ مَاءُ الْحَيَاةِ الْمَوْسِقُ^٥
مَا جَفَّ ، أَوْ مَا مَاتَ ، أَوْ مَا يَنْفُقُ^٦

* * *

- ١ تنفق : يغني ويقل .
- ٢ العسجد : الذهب .
- ٣ الراووق : المصفاة .
- الحمأة : الطين الأسود .
- تتروق : من روق الشراب : صفاه .
- ٤ تخلق : أي تكون خليفة وجديرة .
- ٥ السنن : النج .
- ٦ الموسق : اسم فاعل من أوسق ، والهمزة فيه للتعدية ، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقت ، أو من وسقت الشيء إذا حملته .
- ٧ ينفق : من نفق الرجل والداية : ماتا ، يعني ما مات من الإنسان ، وما هلك من الحيوان .

أين الفراعنة الألى استذرى بهم
 الموردون الناس منهل حكمة
 الرافعون إلى الضحى آباءهم
 وكأنما بين اليلى وقبورهم
 فحجابهم تحت الثرى من هيبة
 بلغوا الحقيقة من حياة علمها
 وتبينوا معنى الوجود ، فلم يروا
 ينون للدنيا كما تبني لهم
 فقصورهم ، كوخ ، وبيت بداوة
 رفعوا لها من جندل صفائح
 تشايح الداران فيه : فما بدا
 للموت سير تحت ، وجداره
 وكان مترهم بأعماق الثرى
 مؤفورة تحت الثرى أزوادهم
 عيسى ، ويوسف ، والكليم المضغ^١
 أفضى إليه الأنبياء ليستقوا^٢
 فالشمس أصلهم الوضي المعرق^٣
 عهد على أن لا ميساس ، وموتق
 كحجابهم فوق الثرى لا يخرق
 حجب مكثفة ، وسر مغلق
 دون الخلود سعادة تتحقق
 خرباً ، غراب البين فيها يتعق
 وقبورهم ، صرخ أشم ، وجوسق^٤
 عمداً ، فكانت حائطاً لا يتنق^٥
 دنيا ، وما لم يند أخرى تصدق
 سور على السر الخفي ، وخندق
 بين المحلة والمحلة ؛ فندق^٦
 رحب بهم بين الكهوف المطبق^٧

* * *

ولمن هياكل قد علا الباني بها بين الثريا والثرى تنسق^٨

١ استذرى بفلان : التجأ إليه ، واستنرى بالشجرة : أي استظل بها .

٢ المنهل : المورد .

٣ المعرق : العريق في النسب .

٤ الجوسق : القصر .

٥ يتنق : يززع .

٦ المحلة : المنزل .

٧ الأزواد : جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر .

المطبق : السحن تحت الأرض .

٨ تنسق : تنتظم .

منها المشيد كالبروج ، وبعضها
 جدد كأول عهدها ، وحيالها
 من كل هلي كاهل الدنيا به
 عال على باع البلى ، لا يهتدي
 متمكن كالطود أصلاً في الثرى
 هي من بناء الظلم ، إلا أنه
 لم يرهق الأمم الملوك بمثلها
 فتنت بشطيتك العباد ، فلم يزل
 وتضوعت مسك الدهور ، كأنما
 وتقابلت فيها على السرر الدمي
 عطلت ، وكان مكانهن من العلى
 وعلا عليهن التراب ، ولم يكن
 حجرائها موطوءة ، وستورها
 أودى بزيتها الزمان وحليها
 لو ردت فرعون الغداة ، لراعه
 خلع الزمان على الورى أيامه

كالطود مضطجع أشم منطلق^١
 تتقادم الأرض الفضاء وتعتق^٢
 تعب ، ووجه الأرض عنه ضيق
 ما يعتلي منه وما يتسلق
 والفرع في حرم السماء محلق
 يبيض وجه الظلم منه ويشرق
 فخراً لهم يبقى وذكراً يعق
 قاص يحجها ، ودان يرمو
 في كل ناحية بخور يحرق
 مسترديات الذل لا تنفق^٣
 بلبس تقبس من حلاه وتسرق
 يزكو بهن سوى العبير ويليق
 مهتوكة ، بيد البلى تحرق
 والحسن باق والشباب الرقيق
 أن الغرائق العلى لا تنطق
 فإذا الصبحى لك حصّة والروث

١ منطلق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه .

٢ تعتق : من عتق الشيء قدم .

٣ مسترديات : لإبسات .

تنفق : تنعم .

٤ عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلى .

٥ العبير : أخلاط من الطيب .

يليق : يليق .

٦ الرقيق من كل شيء : أوله وأصله .

٧ الغرائق : جمع غريق ، وهو الشاب الأبيض الجميل . ويقصد التماثيل .

لك من مواسمه ومن أعياده
 لا الفرس أوتوا مثله يوماً ، ولا
 فتح الممالك ، أو قيام العجلى ، أو
 كم موكب تخايل الدنيا به
 فرعون فيه من الكتاب مقبل
 تنو لعزته الوجوه ، ووجهه
 آبت من السفر البعيد جنوده
 ومشى الملوك مصفليين ، خدودهم
 مملوكة أعناقهم ليمينه
 ونجية بين الطفولة والصبا
 كان الزفاف إليك غاية حظها
 لاقت أعراساً ، ولافت مأتماً
 في كل عام درة تلقى بلا
 حول مسائل فيه كل نجية
 والمجد عند الغانيات رغبة
 إن زوجوك بين فهي عقيدة

ما تحسّر الأبصار فيه وتبرق^١
 بغداد في ظل الرشيد و جلق^٢
 يوم القبور ، أو الزفاف المونق ؟
 تجلى كما تجلى النجوم ويُنسق !
 كالسحب ، قرن الشمس منها مفتق^٣
 للشمس في الآفاق عانٍ مطرق
 وأتته بالفتح السعيد القيلق^٤
 نعل لفرعون العظيم ونُترق^٥
 يابى فيضرب ، أو يمن فيعتق
 عنراء ، تشرّبها القلوب وتعلق
 والحظ إن بلغ النهاية موبق^٦
 كالشيخ يتعم بالفتاق وتُرثق
 ثمن إليك ، وحرّة لا تُصدق^٧
 سبقت إليك : متى يحول قتلحق ؟
 يُبغى كما يُبغى الجمال ويُعشق
 ومن العقائد ما يلب ويحتمق^٨

١ تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى .

٢ جلق : دمشق .

٣ مفتق : من فق قرن الشمس أصاب فتقاً من السحاب فبدأ منه .

٤ تنو : تخضع وتذل .

٥ القيلق : الكنية العظيمة .

٦ الترق : الوسادة الصغيرة .

٧ موبق : مهلك .

٨ تصلق : من أصدق الرجل المرأة أي سقى لها صباقتها .

٩ يلب : من لب أي صلو ليلاً .

ما أَجْمَلَ الْإِيمَانَ ١١ لولا ضَلَّةُ
 زُفَّتْ إلى ملكِ الملوكِ يَحْتُهَا
 وَلَرَبِّمَا حَسَدَتْ عَلَيْكَ مَكَانَهَا
 عَجَلُوهُ فِي الْفُلْكِ يَحْدُو فُلُكَهَا
 فِي مِهْرَجَانٍ هَزَّتْ الدُّنْيَا بِهِ
 فَرَعُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ ، وَبَنَاتُهُ
 حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَوَاقِبُهَا الْمَدَى
 وَكَسَا سَمَاءَ الْمِهْرَجَانِ جَلَالُهُ
 وَتَلَقَّتْ فِي الْيَمِّ كُلِّ سَفِينَةٍ
 أَلَقَتْ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا
 خَلَعَتْ عَلَيْكَ حِيَاءَهَا وَحِيَاثَهَا
 وَإِذَا تَنَاهَى الْحُبُّ وَاتَّفَقَ الْقَدَى
 مَا الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ إِلَّا طَيْبَةٌ
 هِيَ فِيهِ لِلْخَضْبِ الْعَمِيمِ خَمِيرَةٌ
 مَا كَانَ فِيهَا لِلزِّيَادَةِ مَوْضِعٌ
 مُنْبَتَةٌ فِي الْأَرْضِ ، تَنْتَضِمُ الثَّرَى
 مِنْهَا الْحَيَاةُ لَنَا ، وَمِنْهَا ضِدُّهَا
 وَالزَّرْعُ سُبُلُهُ يَطِيبُ ، وَحَبُّهُ
 وَتَشْدُ يَتَ النَّحْلُ ، فَهُوَ مُطْتَبٌ
 وَتَظَلُّ بَيْنَ قَوَى الْحَيَاةِ ، جَوَائِلًا

فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهُدَايَةِ تُلْصَقُ
 دِينٌ ، وَيُدْفَعُهَا هَوًى وَتَشْوَقُ
 تَرِبٌ تَمَسُّحُ بِالْعُرُوسِ وَتُخْلِقُ
 بِالشَّاطِئِينَ مُرْغَرْدٌ وَمُصْفَقٌ
 أَعْطَافَهَا ، وَاخْتَالَ فِيهِ الْمَشْرِقُ
 يَجْرِي يَهْنُ عَلَى السَّفِينِ الزُّرُوقُ
 وَجَرَى لَغَايَتِهِ الْقَضَاءُ الْأَسْبَقُ
 سَيْفُ الْمَنِيَّةِ وَهُوَ صَلَتْ يَبْرِقُ
 وَانْتَالَ بِالْوَادِي الْجُمُوعُ وَحَدَقُوا
 وَأَتَتْكَ شَيْقَةُ حَوَاهَا شَيْقُ
 أَأَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٌ يُنْفَقُ ؟
 فَالْزُّوْجُ فِي بَابِ الضَّحِيَّةِ أَلِيْقُ
 أَرْلِيَّةٌ فِيهِ تُضَيُّ وَتَغْشِقُ
 يَتَدَيُّ بِمَا حَمَلَتْ إِلَيْهِ ، وَيَتَّقُ
 وَإِلَى حَمَاهَا النِّقْصُ لَا يَتَطَرَّقُ
 وَتَنَالُ سِمًا فِي السَّمَاءِ ، وَتَعْلَقُ بِزَيْلٍ
 أَبَدًا نَعُودُ لَهَا ، وَمِنْهَا نُخْلَقُ
 مِنْهَا ، فَيَخْرُجُ ذَا ، وَهَذَا يَفْلُقُ
 وَتَمُدُّ يَتَ التَّمَلُّ ، فَهُوَ مَرُوقُ
 لَا تَسْتَقِرُّ ، دَوَائِلًا لَا تُنْحَقُ

١ الترب : من ولد ملك .

٢ يحلو : من حدا الايل ساقها وغنى لها .

٣ الصلت : السيف الصقيل الماضي .

٤ انتال : أي انصب .

هي كلمة الله القدير ، وروحُه
 في النجم والقمرين مظهرها ، إذا
 والذَرَّ والصَّخَرَاتُ مِمَّا كَوَّرَتْ
 فتنت عقولَ الأولين ، فألَّهوا
 سجَدوا لمخلوق ، وظنُّوا خالقاً
 دانت بآبِيسَ الرعية كُلِّها
 جاءوا من المرعى به يمشي ، كما
 داجٍ كجنح الليل زان جبينه
 العسجد الوهاجُ وشيُّ جلاله
 ومن العجائب بَعْدَ طولِ عبادةٍ
 ياليت شعري : هل أضاعوا العهدَ ، أم
 قومٌ وقارَ الدِّينِ في أخلاقهم
 يدعون خلفَ السُّرِّ آلهةً لهم
 واستحجوا الكُهَّانَ ، هذا مُبلغُ
 لا يُسألون إذا جرت أَلْفاظُهم
 أو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ
 وإذا هو حجوا القبورَ حسبهم
 يأتون طيبةً بالهَدْيِ أَمَامَهُم

في الكائنات ، وسرُّه المستغلق
 طلعت على الدنيا ، وساعةٌ تَخْفُقُ
 والفيلُ مما صَوَّرَتْ ، والخزْنُ
 من كلِّ شيءٍ ما يَرُوعُ وبَخْرُق
 مَنْ ذا يُمَيِّزُ في الظلامِ وَيَفْرُقُ ؟
 من يستغلُّ الأرضَ ، أو من يعزق
 تمشي وتَلْتَفِتُ المهابةُ وترشُقُ
 وَضَحَ عليه من الأَهْلَةِ أَشْرُقُ^١
 والوردُ مَوْطِئُ خُفِّهِ ، والزُّنْبُقُ
 يُؤَيِّ به حوضَ الخلودِ فيغرق
 حَذَرُوا من الدنيا عليه وأشفقوا ؟
 والشعبُ ما يعتاد أو يتخلَّقُ
 ملأوا التَّديَّ جلالتهُ ، وتَأَبَّقُوا^٢
 ما يهتفون به ، وذاك مُصَدِّقُ
 مِنْ أَيْنَ للحجر اللسانُ الأَذَلُّ ؟
 فما يَنُوب من الأمور وَيَطْرُقُ ؟
 وَقَدْ العتيق بهم تَرَامَى الأَيْتُقُ^٣
 يغشى المدائنَ والقرى وَيُطَبَّقُ^٤

١ الخرق : الفتى من الأرب .

٢ الوضع : الغرة ، والوضح : التحجيل في القوائم .

٣ التدي : النادي .

٤ استحجوا الكهان : أي ولوهم الحجابة ، وهي خطة الحاجب أي البواب .

٥ العتيق : الكعبة .

٦ الهدي : ما يهدي إلى الحرم من النعم ، وقيل : هو جمع الهدي ، واحداً هدية .

فالبرُّ مشلودُ الرّواحلِ مُحدَجٌ^١ والبحرُ ممدودُ الشّراعِ مُوسّقٌ^٢
حتى إذا ألقوا بهيكلها العصا وجرت زوارقُ بالحجيج ، كأنها
من شاطئ فيه الحياة لشاطئ غروبِ الشّمس فيه ، واستوى
حيثُ القبورُ على الفضاء كأنها للحقُّ فيه جولةٌ ، وله سنّا
نزلوا بها فشى الملوكُ كرامةً ضاقت بهم عرصاتها ، فكأنما
وتنادم الأحياء والموتى بها فكأنهم في الدهر لم ينفروا

* * *

أصلُ الحضارة في صعيدك ثابتٌ ونبأها حسنٌ عليك مُخلَقٌ^١
ولدت ، فكنت المهد ، ثم ترعرعت فأظلمها منك الحقيُّ المُشفقُ^٢
ملأت ديارك حكمةً ، مأثورها في الصخر والبردي الكريم مُنبقُ^٣
وبنت بيوت العلم باذخة الدُّرى يسعى لمن مُعربٌ ومُشرقُ^٤
واستحدثت ديناً ، فكان فضائلاً وبناء أخلاقٍ يطول ويشهقُ^٥
مهّد السبيل لكلِّ دينٍ بعده كالمسك رِيّاهُ بأخرى تُفتقُ^٥
بدعو إلى برٍّ ، ويرفع صالحاً ويعاف ما هو للمرءة مُخلَقُ

١ محجج ، من حجج الأحمال : شدّها ووسقها .

٢ رقط : واحدها رقطاء وهي الحية .

٣ الرخ ، واليدق : قطعة شطرنج يلعب بها .

٤ الديسق : بياض السراب وترقرقه ، وهو اسم للسراب أيضاً ، وتطلق كذلك على كل شيء ينير ويضيء .

٥ تفتق : من فتق المسك بغيره استخراج رائحته بشيء يدخله عليه .

للناس من أسرارِهِ ما عُلِّمُوا
 فِيهِ مَحَلٌّ لِلْأَقَانِيمِ الْعُلَى
 تَابُوتُ مُوسَى ؛ لَا تَزَالُ جَلَالَةٌ
 وَجَاهُ يُوسُفَ ؛ لَا يَزَالُ لَوَاؤُهُ
 وَدُمُوعُ إِخْوَتِهِ ؛ رَسَائِلُ تَوْبَةٍ
 وَصَلَاةُ مَرْيَمَ ؛ فَوْقَ زَرْعِكَ لَمْ يَزَلْ
 وَخُطَى الْمَسِيحِ عَلَيْكَ رُوحاً طَاهِراً
 وَوَدَائِعُ الْفَارُوقِ عِنْدَكَ ، دِينَهُ
 بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى
 فَتَحَ الْفَتْوحَ ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ رَزْدَقٌ
 يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكِنَانَةَ بِالْقَنَا
 أَحْلَاسُ خَيْلٍ ، يَبْدَأُ أَنْ حَسَامِهِمْ
 تُطَوِّى الْبِلَادُ لَهُمْ ، وَيُنْجِدُ جَيْشُهُمْ
 فِي الْحَقِّ سُلٌّ وَفِيهِ أُعْمِدُ سَيْفُهُمْ
 وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يَهْوُنُ وَقَعَهُ
 مَا كَانَتْ «الْفُسْطَاطُ» إِلَّا حَاطَاطاً
 وَبِهِ تَلَوُّذُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكَرَى
 «عَمَرُو» عَلَى شَطْبِ الْخَصِيرِ مُعَصَّبٌ
 يَدْعُو لَهُ «الْحَاخَامُ» فِي صَلَوَاتِهِ
 يَا نَيْلُ ، أَنْتَ بَطِيبُ مَا نَعَتْ «الْهُدَى»

وَلشُعْبَةِ الْكَهَنُوتِ مَا هُوَ أَعَمَقُ
 وَلِجَامِعِ التَّوْحِيدِ فِيهِ تَعَلُّقُ
 تَبْدُو عَلَيْكَ لَهُ ، وَرَبِّيَا تُنْشَقُ
 حَوْلِكَ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ يُرْتَقُ
 مَسْطُورُهُنَّ ' بِشَاطِئِكَ مُنْعَقُ
 يَزْكُو لَذِكْرَاهَا النَّبَاتُ وَيَسْمَقُ
 بَرَكَاتُ رَبِّكَ ، وَالنَّعْمُ الْقَيْدُ
 وَلَوَاؤُهُ ، وَبَيَّانُهُ ، وَالْمَنْطِقُ
 وَالْحَقُّ مَا يُحْيِي الْعُقُولَ وَيَفْتَقُ
 فِيهِ ، وَمِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ رَزْدَقٌ^٢
 وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقُ
 فِي السَّلَامِ مِنْ حَذَرِ الْحَوَادِثِ مُقَلِّقُ
 جَيْشٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ غَازٍ مُوْرِقُ
 سَيْفُ الْكَرَمِ مِنَ الْجَهَالَةِ يَفْرُقُ
 إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ ، الْمَتَرَفُّقُ
 يَاوَى الضَّعِيفُ لِرُكْنِهِ وَالْمَرْهُقُ
 وَيَبِيتُ «قَبِصْرُ» وَهُوَ مِنْهُ مُؤَزَّقُ
 بِقَلَادَةِ اللَّهِ الْعَلِيِّ مُطَوَّقُ^٣
 مُوسَى ، وَيَسْأَلُ فِيهِ عَيْسَى الْبَطْرُقُ
 وَبِمَدْحَةِ التَّوْرَةِ أُخْرَى أُنْخَلَقُ

١ الفاروق : عمر بن الخطاب .

٢ الرزدق : الصف من الناس .

٣ الشطب : السف الأخرى الرطب من جريد النخل .

وإليك يُهْدِي الحمدَ خَلْقُ حازهم كَنَفٌ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ مُرْهَقٌ
 كَنَفٌ «كَمَعْنٍ» ، أَوْ كَسَاحَةٍ «حَاتِمٍ» خَلْقٌ يُودَّعُهُ ، وَخَلْقٌ يَطْرُقُ
 وَعَلَيْكَ تُجَلَّى مِنْ مَصُونَاتِ التُّهَى خَوْدٌ ، عَرَائِسُ ، خِدْرَهْنَ الْمُهْرَقِ
 الدَّرُّ فِي لَبَاتِهِنَّ مُنْتَظَمٌ وَالطِّيبُ فِي حَبْرَاتِهِنَّ مُرْقَرَقِ
 لِي فَيْكَ مَذْحٌ لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ أَمَلَاهُ حُبٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقُ
 مَا يُحْمَلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرَحُ سَنَظِيرُ عَنْهَا ، وَهِيَ عِنْدَكَ تُرْزَقُ
 تَهْفُو إِلَيْهِمْ فِي التَّرَابِ قُلُوبُنَا وَتَكَادُ فِيهِ بَغِيرُ عِرْقٍ تَخْفُقُ
 تَرْجَى لَهُمْ ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَنَا وَمَنْكَ بِهِمْ أَكْبَرُ وَأَرْفَقُ
 فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَهَا أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا أَوْعَنْتَ الْأَصْدَقُ
 لِلْأَرْضِ يَوْمٌ ، وَالسَّمَاءِ قِيَامَةٌ وَقِيَامَةُ «الْوَادِي» غَدَاةٌ تَحْلُقُ^١

نَكْبَةُ دِمَشْقَ*

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرْقُ وَدَمْعٌ لَا يُكْفَكُفُ يَا دِمَشْقُ^٢
 وَمَعْذِرَةٌ الْبِرَاعَةِ وَالْقَوَايِ جَلَالُ الرُّزْءِ عَنْ وَصْفٍ يَدِقُ^٣
 وَذِكْرَى عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي إِلَيْكَ تَلَفَّتُ أَبَدًا وَخَفِقُ
 وَبِي مِمَّا رَمَتْكَ بِهِ اللَّيَالِي - جِرَاحَاتُهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ
 دَخَلْتُكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ اتِّلَاقُ وَوَجْهُكَ ضَاحِكُ الْقِسَمَاتِ طَلَقُ^٤

١ تحلق : تهب ، من حلق الابل إذا ارتفع لبنها وجف .

٢ قبلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بتيارو حديقة الأربكية في يناير سنة ١٩٢٦

٣ بردي : نهر دمشق .

٤ الرزء : المصيبة .

٥ اتلاق : من اتلق لمع وأضاء .

وتحتَ جنايكَ الأنهارُ تجري
وحولِي فتيةٌ عُرَّ صبايحُ
على لهواتهم شعراءُ لُسُنُ
رُواةُ قصائدي ، فاعجبْ لشعري
عَمَزْتُ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلَطَّطُ
وضجُّ من الشكيمة كلُّ خُرٍّ
وملءُ رُبَاكَ أوراقُ ووُرُقُ^١
لهم في الفضلِ غاياتُ وَسَبَقُ
وفي أعطافهم خُطباءُ شُدُقُ^٢
بكلِّ محلَّةٍ يَرْوِيهِ خَلْقُ
أنوفُ الأُسْدِ واضطَرمَّ المَدَقُ^٣
أَيُّ من أُمِّيَّةٍ فيه عِنَقُ

* * *

لحاهَا اللهُ أنباءُ نَوَالَتْ
يُفَصِّلُهَا إِلَى الدُّنْيَا بَرِيدُ
تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا
وَقِيلَ : مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ
أَلَسْتُ - دِمَشْقُ - لِلْإِسْلَامِ ظِلًّا
صَلَحُ الدِّينِ ؛ تَاجُكَ لَمْ يُجَمَّلْ
وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ
سِمَاوُكَ مِنْ حُلَى الْمَاضِي كِتَابُ
بَنِيَتْ الدُّوْلَةُ الْكُبْرَى وَمُلْكًا
عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشْتَقُ^٤
وَيُجَمِّلُهَا إِلَى الْآفَاقِ بَرَقُ^٥
تَخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
وَقِيلَ : أَصَابَهَا تَلْفٌ وَحَرَقُ
وَمُرْضِعَةُ الْأَبْوَةِ لَا تُعَقَّ^٦
وَلَمْ يُوسَمِ بَازِينَ مِنْهُ فَرَقُ
لَهَا مِنْ سَرْحِكِ الْعُلُويِّ عِرْقُ^٧
وَأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رَقُ^٨
غِبَارُ حَضَارَتِهِ لَا يُشَقُّ

١ الورق : جمع ورقاء وهي الحماة .

٢ لهوات : جمع لاة ، وهي اللحمة المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم . لسن : من لسن الرجل فصح ، أو تهاى في الفصاحة والبلاغة .

٣ المدق : قصة الأنف .

٤ الشكيمة من اللجام : الحديدية المعترضة في فم الفرس .

٥ الولي : الحب والصدق .

٦ يجمال ، من أجمل الكلام : فصله وبينه .

٧ الظئر : المرضعة .

٨ السرح : الشجر العظام .

٩ الرق : جلد رقيق يكتب فيه .

له بالشام أعلامٌ وعُرسٌ بشائره بأندلسٍ تدق

* * *

رباعُ الخلدِ - وَيَحْكُ - مادهاها ؟
وهل عُرِفُ الجِنَانِ مُنْضِدَاتُ ؟
وأين دُمَى المقاصيرِ من حِجَالِ
بَرْزَنَ وفي نواحي الأَيْكِ نَارُ
إذا رُمِنَ السلامةَ من طريق
بَلَيْلٍ للقدائفِ والمنايا
إذا عصَفَ الحديدُ ؛ اخْمَرُ أَفْقُ
سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بعدَ وَهْنِ
وللمستعمرين - وإن ألانوا -
رماكِ بَطْيَشِهِ ، ورمى فرنسا
إذا ما جاءه طُلَّابُ حَقِّ
دَمُ الثَّوَارِ تعرفه فرنسا
جَرَى في أَرْضِهَا ، فيه حياةٌ
بِلَادُ ماتَ فِتْنَتُهَا لِتَحْيَا
وحرَّرتِ الشعوبُ على قَنَاها
بني سورِيَّةَ ، اطَّرحوا الأَمَانِي
فَمِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تُعْرُوا

أَحَقُّ أَنَّهَا دَرَسَتْ ؟ أَحَقُّ ؟
وهل لنعيمهن كَأَمْسِ نَسَقُ ؟
مُهَتَّكَةً ، وَأَسْتَارِ تُشَقُّ^١
وخلَفَ الأَيْكِ أَفْرَاحُ تَرْقُ
أَنْتَ من دُونِهِ للموت طُرُق
وراءَ سَمَائِهِ خَطْفُ ، وَصَعْقُ
على جَنَابَتِهِ ، وَأَسْوَدُ أَفْقِ
أَيِّنَ فَوَادِهِ والصخرِ فَرَقُ ؟^٢
قُلُوبُ كَالْحِجَارَةِ ، لَا تَرْقُ
أُخُو حَرْبٍ ، بِهِ صَلَفُ ، وَحُمَقُ
يقول : عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
وتعلم أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ
كَمُتْهَلِّ السَّمَاءِ ، وفيه رِزْقُ^٣
وزالوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَقُوا
فَكَيْفَ على قَنَاها تُسْتَرْقُ ؟^٤
وَأَلْقُوا عَنْكُمْ الأَحْلَامَ ، أَلْقُوا
بِأَلْقَابِ الإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُّ^٥

١ منضد : منسق .

٢ المقاصير : واحدها مقصورة وهي الحجر .

٣ الوهن : نصف الليل ، أو بعده بساعة .

٤ منهل السماء : أي قطره .

٥ تسترق : تستعبد .

وكم صَيِّدٌ بدا لك من ذليل
فَتَوَقَّ الْمَلِكُ تَخَذُّتُ ثُمَّ تَمْضِي
نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً
وَجَمَعْنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
وَالْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حَرٍّ
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَابِ
وَلَا يَبْنِي الْمَالِكُ كَالضَّحَايَا
فِي الْقَتْلِ لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ
وَلِلْحَرِيرَةِ الْحَمْرَاءِ بَابُ
جَزَاكُم ذُو الْبَلَالِ بَنِي دِمَشْقِ
نَصَرْتُمْ يَوْمَ مِحْنَتِهِ أَنْحَاكُم
وَمَا كَانَ الدُّرُوزُ قَبِيلَ شَرٍّ
وَلَكِنْ ذَادَةٌ ، وَقِرَاءَةُ ضَيْفٍ
لَهُمْ جَبَلٌ أَشْمٌ لَهُ شَعَافٌ
لِكُلِّ لَبْوَةٍ ، وَلِكُلِّ شَيْبَلٍ
كَأَنَّ مِنَ السَّمَوَاتِ فِيهِ شَيْئاً

كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عَتَقُ^١
وَلَا يَمْضِي لِخَتْلَفَيْنِ فَتَقُ
وَلَكِنْ كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلَفٍ وَنُطْقُ
فَإِنْ رَمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
يَدُ سَلَقَتْ وَدَيْنُ مُسْتَحِقِّ
إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقُوا وَيَسْقُوا ؟
وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ وَلَا يُحِقُّ
وَفِي الْأَسْرَى فِدَى لَهُمْ وَعِثُّ^٢
بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
وَكُلُّ أَخٍ بَنَصْرٍ أَخِيهِ حَقُّ
وَإِنْ أُجِنُوا بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا
كَيْنُبُوعِ الصَّفَا خَشَنُوا وَرَقُّوا^٣
مَوَارِدُ فِي السَّحَابِ الْجَوْنِ بُلُقُ
نِضَالٌ دُونَ غَايَتِهِ وَرَشَقُ
فِكُلُّ جِهَاتِهِ شَرَفٌ وَخُلُقُ

١ الصيد : ميل العتق تكبيراً .

٢ العتق : الحرية .

٣ الذادة : جمع ذائد وهو الحامي .

رَمَضَانُ وَلَّى*

رمضانٌ وَلَّى ، هَاتِهَا يَا سَاقِي
 مَا كَانَ أَكْثَرَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ
 اللَّهُ عَقَّارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا
 بِالْأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِيئِي طَاعَةِ
 ضَحِكْتَ إِلَيَّ مِنَ السَّرُورِ ، وَلَمْ تَزَلْ
 هَاتِ اسْقِينِيهَا غَيْرَ ذَاتِ عَوَاقِبِ
 صِرْفًا مُسَلِّطَةَ الشُّعَاعِ ، كَأَنَّمَا
 حَمَاءٌ أَوْ صَفَرَاءُ ، إِنَّ كَرِيمَهَا
 وَحْدَارٍ مِنْ دَمِهَا الزَّكِيِّ ثَرِيْقُهُ
 لَا تَسْقِينِي إِلَّا دِهَاقًا ، إِنِّي
 فَعَلْتُ سُلْطَانَ الْمَدَامَةِ مُخْرِجِي
 (وطني ، أَسِفْتُ عَلَيْكَ فِي عِيدِ الْمَلَا
 لَا عِيدَ لِي حَتَّى أَرَاكَ بِأَمَّةٍ
 ذَهَبَ الْكَرَامُ الْجَامِعُونَ لِأَمْرِهِمْ
 (أَيُّظَلُّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ خَاذِلًا
 (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِشْقَاءَ الْقُرَى
 مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقٍ
 وَأَقَلُّهُ فِي طَاعَةِ الْخَلْقِ !!
 إِنْ كَانَ ثُمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقِي
 وَالْيَوْمَ مِنْ الْعِيدِ بِالْإِطْلَاقِ
 بَنَتْ الْكُرُومُ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ
 حَتَّى تُزَاعَ لَصَبِيحَةِ الصَّفَاقِ
 مِنْ وَجْهِكَ تُدَارِ وَالْأَحْدَاقِ
 كَالْعِيدِ ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمَذَاقِ
 يَكْفِيكَ - يَا قَاسِي - دَمُ الْعِشَاقِ
 أَسْقَى بِكَاسٍ فِي الْمَهْمُومِ دِهَاقٍ
 مِنْ عَالِمٍ لَمْ يَحْوَ غَيْرَ نِفَاقِ
 وَبَكَيْتُ مِنْ وَجْدٍ ، وَمِنْ إِشْفَاقِ
 شَمَاءَ رَاوِيَةٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ
 وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ بَغِيرِ خَلَاقِ
 وَيُقَالُ : شَعْبٌ فِي الْحَضَارَةِ رَاقِي؟
 جَعَلَ الْهُدَاةَ بِهَا دُعَاةَ شِفَاقِ

* * *

• الأبيات التي بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب .

١ الصفاق : الدبك .

٢ الدهاق من الكتوس : المثلثة .

العيدُ بينَ يَدَيْكَ يا ابنَ محمدٍ
 وأتى يَقْبَلُ راحَتِكَ ، وَيَرْجِي
 قَابِلَتَهُ بِسُودِ وجهك والسَّنا
 فاهناً بطالِعِهِ السَّعيدِ ، يزيُّهُ
 يَنْتَزِلُ الأجرانِ في صُبحِهما
 إني أَجِلُّ عن القتالِ سرائري
 وأرى سُومَ العالمينَ كثيرةً
 قَسَمْتُ بَيْنَها ، واستبدَّتْ فوقَهم
 واللهُ أَتَعَبَها ، وضلَّلَ كيدَها
 يَأْسُو جراحَ اليائسينَ من الوري
 بلغ الكرامُ المجدَ حينَ جَرَّوا له
 ورأوا عُبَارَكَ في السُّها ، وتراكَضُوا
 مولاي ، طَلَبَةُ مصرَ أنْ تَبْقَى لها
 سبقَ القريضُ إليك كلَّ مُهَيَّئٍ
 لم يَدْخِرْ إِلَّا رضاكَ ، ولا اقْتنى
 إن القلوبَ - وأنتَ ملءٌ صَمِيمَها -
 وأنا الفتى الطائيُّ فيك ، وهذه

نثر السُّعودِ حُلِّيَ على الآفاق
 أن لا يفوتكما الزمانَ ثَلَّاق
 فازداد من يُعْمَى ، ومن إِشراق
 عيدُ الفقيرِ ، ولبلةُ الأرزاق
 جَزَلَيْنِ عن صَوْمٍ وعن إنفاق^١
 إِلَّا قتالَ البؤسِ والإملاق^٢
 وأرى التعاونَ أَنْجَعَ الثَّريق^٣
 دُنْيا نَعَقُ ، لثِمةُ الميثاق
 من راحَتِكَ بوابِلِ عَيْدِاق
 ويُساعِدُ الأنفاسَ في الأَرْماق^٤
 بسوابِقِ ، وبلغتَه بِيراق
 مَنْ للنجومِ ، وَمَنْ لهم بِلَحاق ؟
 فإذا بَقِيَتْ فكلُّ خَيْرٍ باق
 مِنْ شاعِرٍ ، مُتَفَرِّدٍ ، سَبَّاق
 إِلَّا وَلاءَكَ أَنْفَسَ الأعلاق^٥
 بَعَثَتْ تَهانِيها من الأعماق
 كَلِمِي هَزَزْتُ بها أبا إسحاق^٦

- ١ الأجران : منى أجر أي أجر زكاة الفطر والصوم .
 - ٢ الاملاق : من أملق الرجل أنفق ماله حتى افتقر .
 - ٣ الثريق : دواء مركب يدفع السموم .
 - ٤ الأرماق : جمع رمن وهو بقية الحياة .
 - ٥ الأعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شيء .
 - ٦ الطائي : أبو تمام الطائي الشاعر .
- أبو إسحاق : المعتصم بالله .

مِصْر *

أيها الكاتبُ المصوِّرُ ، صَوِّرْ مصرَ بالمنظرِ الأنيقِ الخليقِ
 إن مصرًا روايةُ الدهرِ ، فاقرأ عبرةَ الدهرِ في الكتابِ العتيقِ
 ملعبٌ مثلُ القضاءِ عليه في صبا الدهرِ آيةُ الصِّديقِ^١
 وأمحاءِ الكلِّيمِ آنسَ ناراً والتجاءَ البتولِ في وقتِ ضيقِ^٢
 ومنايا مِنّا ، فكسرى ، فذي القَرِّ نينَ ، فالقيصرَينِ ، فالفاروقِ^٣
 دُولٌ لم تَبْدُ ، ولكن توارتِ خلفَ سِتْرِ من الزمانِ رقيقِ
 رَوْضَتِي أَزْيَنْتُ ، وأبدتُ حُلَها حين قالوا : ركابُكم في الطريقِ
 مثلُ عَنزَاءٍ من عجائزِ روما بشروها بِزَوْرَةِ البطريقِ
 ضَحِكُ الماءِ ، والأقاحي عليها قابلته الغصونُ بالتصفيقِ^٤
 زُرْنِها والربيعُ فَضلاً ، فخفَّتْ نحوَ رَكْبَيْكُمَا خُفُوفَ المشوقِ
 فانزلا في عيونِ نرجسها الغضِّ صَياناً ، وفوقَ حَدِّ الشقيقِ

• قال وقد كان أعد وليمة إلى الكاتب الإنجليزي المستر هول كين .

١ الصديق : يوسف عليه السلام .

٢ أمحاء : صبق .

الكلِّيم : موسى عليه السلام .

البتول : مريم العذراء عليها السلام .

٣ الفاروق : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٤ الأقاحي : جمع أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء .

البحر الأبيض المتوسط

أيُّ الممالك ؟ أيُّها
يا أبيض الآثار ، والصّد
إنّ البيان ، وإنّ حُسّد
أبدأ تُذكرنا الذير
وبنوا منارك عالياً
وتحكّموا بك في الوجو
حتى إذا جنت الأنا
واليوم عَقَّ ، كأنما
فابلق - فديتك - كلّ ما
في الدهر ما رفعت شراعك ؟
فحات ، ضيّع من أضاعك
من العقل ، ما زالا متاعك
من جلّوا على الدنيا شعاعك
متألّفاً ، وبّتوا قلاعك
د ، تحكّمًا كان ابتداءك
م بأهل حكمته أطاعك
ينسى جميلك واصطناعك
ثك ، فاللّا ينوي ابتلاعك

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار في المعرض بباريس سنة ١٩٠١

رزق الله أهل بارس خيراً
عندهم للثمار والزهر ممّا
جئة تخلب العقول ، وروض
من رآه يقول : قد حرموا الفر
ما ترى الكرم قد تشاكل ، حتى
يسكر الناظرين كرمًا ، ولما
صوّروه كما يشاءون ، حتى
يحدّ المتّي يد الله فيه
وأرى العقل خير ما رزقوه
تُنجب الأرض مغرض نسقوه
تجمع العين منه ما فرقوه
دوس ، لكن بسحرهم سرقوه
لو رآه السقا ما حقّقوه ؟
تعتصره يد ، ولا عتقوه
عجب الناس : كيف لم يُنطقوه ؟
ويقول الجحود : قد خلقوه

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبَابَةِ مَا أَكَابِدُ فِيكَ
حَتَّامَ هِجْرَانِي ؟ وَفِيمَ تَجَنَّبِي ؟
قَدُمْتُ مِنْ ظَمًا ، فَلَوْ سَامَحْتَنِي
أَجَدُ الْمَنَايَا فِي رِضَاكِ هِيَ الْمُنَى
يَا بِنْتَ مَخْضُوبِ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
فَخَضَابُ تِلْكَ ، مِنْ الْعَيُونِ وَقَايَةُ
جَفْنَاكِ ؛ أَيُّهَا الْجُرِيُّ عَلَى دَمِي ؟
بِالسَّيْفِ ، وَالسَّحَرِ الْمُبِينِ ، وَبِالطَّلَى
بِهِمَا وَبِي سَقَمٌ ، وَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى
رَفَقًا بِمَسْبَلَةِ الشُّثُونِ قَرِيجَةٍ
أَبْكَيْتَهَا ، وَقَعَدْتَ عَنْ إِنْسَانِهَا
ضَلَلْتُ كَرَاهَا فِي غَيَابِ حَالِكِ
رَقَّ النَّسِيمُ عَلَى دُجَاهِ لَأَنَّتِي
قَاسِيَتُهُ ، حَتَّى انْجَلَى بِالصَّبَحِ عَنْ
سُلَّتْ سَيُوفُ الْحَيِّ ، إِلَّا وَاحِدًا

لَوْ كَانَ مَا قَدْ ذُقْتَهُ يَكْفِيكَ
وَالْإِلَامَ بِي ذُلُّ الْهَوَى يُغْرِيكَ ؟
أَنْ أَشْتَهِيَ مَاءَ الْحَيَاةِ بِفِيكَ !!
مَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ ؟ مَا يُرْضِيكَ ؟
بَرِئْتُ بَنَاتِكَ مِنْ سِلَاحِ أَيْكَ
وَخِصَابُ ذَاكَ مِنَ الدَّمِ الْمُسْفُوكِ
بِأَبِي هُمَا مِنْ قَاتِلٍ وَشَرِيكَ !!
حَمَلًا عَلَيَّ ، وَبِالْقَنَا الْمَشْبُوكِ^١
عُلُوَانُ مُتَكَسِّرٍ عَلَى مَتَهُوكِ
تَسْلُو عَنْ الدُّنْيَا وَلَا تُسْلُوكِ^٢
يَا لِلرَّجَالِ لِمُغْرَقٍ مَتْرُوكِ^٣
ضَلَّ الصَّبَاحَ عَلَيْهِ صَوْتُ الدِّيكِ
وَرَمَى لِحَالِي فِي السَّمَاءِ أَخُوكِ^٤
سِرِّي الْمَصُونِ ، وَمَدْمَعِي الْمَهْتُوكِ
إِفْرَنْدُهُ فِي جَفْنِهِ يَحْمِيكَ^٥

١ الطلَى : الحمر .

٢ مسبلة : من أسبل الدمع ، أي أرسله .

الشُّثُون : اللموع .

٣ انسانها : إنسان العين ، وهو اللثال يرى في سوادها .

٤ أخوك : يعني البلر .

٥ الافرنده : جوهر السيف ووشيه .

جَرَّدَتْهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ ، كَالْأَلَى
 طَلَعَتْ عَلَى حَرَمِ الْمَالِكِ خَيْلُهُمْ
 الْبَاسُ وَالْجَبْرُوتُ فِي أَغْرَافِهَا
 عَرَتْ لِيَاجَ عَنِ الْحَصُونِ ، وَجَرَّدَتْ
 تَمْشِي عَلَى خَطِّ الْمُلُوكِ وَخَتْمِهِمْ
 وَالْحَرْبُ لَا عَقْلَ لَهَا فَتَسُومُهَا
 دَكَّتْ حَصُونَ الْقَوْمِ إِلَّا مَعْقِلًا
 وَإِذَا احْتَمَى الْأَقْوَامُ بِاسْتِقْلَالِهِمْ
 وَلَقَدْ أَقُولُ وَأَدْمُعِي مُنْهَلَّةً :
 مَا خِلْتُ جَنَّاتِ النِّعَمِ وَلَا الدُّمَى
 زَعْمُوكِ دَارَ خِلَافَةٍ ، وَمَجَانَةٍ
 إِنْ كُنْتَ لِلشَّهَوَاتِ رِيًّا ، فَالْعُلَا
 تَلْدِينَ أَعْلَامَ الْبَيَانِ ، كَأَنَّهُمْ
 فَاضَتْ عَلَى الْأَجْيَالِ حِكْمَةُ شِعْرِهِمْ
 وَالْعِلْمُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
 الْعَصْرُ ؛ أَنْتَ جِئْتَهُ ، وَجَلَّالُهُ
 أَخَذَتْ لَوَاءَ الْحَقِّ عَنْكَ شُعْبُهُ

سَلُّوا سِيوفَهُمْ عَلَى أَهْلِكَ
 نَارًا سَنَابِكُهَا عَلَى الْبَلْجِيكِ^١
 وَالْمَوْتُ حَوْلَ شَكِيمِهَا الْمَعْلُوكِ^٢
 نَامُورَ عَنْ قَوْلِهَا الْمَشْكُوكِ
 وَعَلَى مَصُونِ مَوَاتِقِ وَصُكُوكِ^٣
 مَا يَنْبَغِي مِنْ خُطَّةٍ وَسُلُوكِ
 مِنْ نَحْوَةٍ ، وَحَيِّئِ ، وَفُتُوكِ
 لِأَذْوَا بَرْكِنِ لَيْسَ بِالْمَذْكُوكِ
 بَارِيزُ ، لَمْ يَعْرِفْكَ مَنْ يَغْزُوكِ
 تُرْمَى بِمَشْهُودِ النَّهَارِ سَفُوكِ^٤
 وَدَعَارَةٍ : يَا إِفْكَ مَا زَعْمُوكِ !
 شَهَوَاتُهُنَّ مُرَوَّيَاتُ فَيْكِ
 أَصْحَابُ تَيْجَانِ ، مَلُوكُ أَرِيكِ
 وَتَفَجَّرَتْ كَالْكُونِ الْمَعْرُوكِ^٥
 مَا حَجَّ طَالِبُهُ سَوَى نَادِيكِ
 وَالرَّكْنُ مِنْ بُيُوتِهِ الْمَسْمُوكِ^٦
 وَمَشَتْ حَضَارَتُهُ بَنُورَ بَيْتِكَ

١ سَنَابِكُهَا : جَمْعُ سَبَكٍ ، وَهُوَ طَرَفُ الْخَافِرِ .

٢ أَغْرَافُهَا : الْوَاحِدُ عَرَفٌ ، وَهُوَ شَرِّعَتُ الْفَرَسِ .

الْمَعْلُوكُ : مَنْ عَلَكَ الْفَرَسَ اللَّجَامَ : لَأَكَّهُ وَحَرَكَهُ فِي فِهِ .

٣ أَيِ أَنَّهَا اتَّهَكَتِ الْمَاهِدَاتِ .

٤ بِمَعْنَى الْحَرْبِ .

٥ مَاءُ مَعْرُوكٍ : أَيِ مَزْدَحَمٍ عَلَيْهِ .

٦ الْمَسْمُوكُ : الْمُرْتَفَعُ .

وخزائنه التاريخ ، ساعة عَرَضَها
ومن العجائب أن واديك الشرى
يا مكتبي قبل الشباب ، وملعبي
ومراح لذاتي ، ومغداها على
وسماء وحي الشعر من مُتَدَقِّقٍ
لما احتملت لك الصنعة ؛ لم أجد
إن لم يَقُولِكِ بكل نفسٍ حرّةٍ

وقال في صاحب أهوج كثير الحركة والكلام :

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيّة
له قَدَمٌ لا تستقرُّ بموضع
إذا ما بدا في مجلسٍ ظنَّ حافلاً
ويُطرنا من لفظه كلَّ جامدٍ
ويُلقي على السّمَارِ كُفّاً دِعاؤها

فليس بمجنون ، وليس بعاقل
كما يَتَرَى في الحصى غيرُ ناعلٍ
من الصَّحْبِ العالي ، وليس بخافل
ويُطرنا من رَيْلِه شرٌّ سائلٍ
كعَصّةِ بَرْدٍ في نواحي المفاصل

وقال بشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر ، وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة :

محجوبٌ ، إن جئتَ «الحجا
شوقاً ، وحباً بالرسو
فلَمَحْتَ نَضْرَةَ بانه
وعلى العتيق مَشَيْتَ تد

زَ ، وفي جوانحك الهوى له
ل ، وآله أزكى سُلالة
وشممتَ كالرَّيحان ضالّه
ظُر فيه دمعك وانهماله

١ الشرى : مأسدة بجانب القرات يضرب بها المثل .

٢ النوك : جمع أنوك ، وهو الأحق ، وقيل : العاجز الجاهل .

٣ محوك : من حاك أي نسج .

٤ يترى : يشب .

٥ الريل : اللعاب . من رال الصبي ريلاً أي جرى لعابه .

ومضى السرى بك حيثُ كا
 وبلغت بيتاً بالحجا
 الله فيه جلا الحرا
 فهناك طبُّ الروح ، ط
 وهناك أطلالُ الفصا
 وهناك أزكى مسجدٍ
 وهناك عُذريُّ الهوى
 وهناك مُجري الخيل ، يجري
 وهناك مَنْ جمعَ السباحة
 وهناك خيَّمت الثَّهى
 وهناك سرحُ حضارة
 إنَّ الحسينَ بنَ الحسـ
 قرَّ الحجيجِ إذا بدا
 أنتَ العليلُ ، فلذ به
 لا طبُّ إلا جَدُّه
 قبلُ ثراه ، وقلْ له
 أنا يا ابنَ أحمدَ بعدَ مدَّ
 أنا في حمى الهادي أبيع
 شوقي إليك على التوى
 يا ابنَ الملوك الراشدين
 إن كان بالملك الجلا
 أوليس جدُّكم الذي
 ن الروحُ يسري والرَّسالة
 ز ، يُبارك الباري حياله
 مَ خلقه ، وجلا حلاله
 بُّ العالمين من الجهاله
 حة ، والبلاغة ، والثَّباه
 أزكى البرَّة قد مشى له
 وحديثُ قيسٍ والغزاه
 في أعتها خياله
 والرجاحة ، والبسالة
 والعلمُ قد ألقى رِحالَه
 الله فَيأنا ظلالَه
 بينَ أميرِ مَكَّة والإياله
 دارُ الحجيجِ عليه هاله
 مُستشفياً ، واغنم نواله
 شافي العقولِ من الضَّلاله
 غني ، ، وبالع في المقاله
 حي في أيبك بنخير حاله
 لك ، أحجُّه ، وأجلُّ آله
 شوقُ الضريرِ إلى الغزاة
 ن ، الصالحين ، أولي العَداله
 لة ، فالنبيُّ لكم جلاله
 بلغَ الوجودُ به كماله ؟

١ هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بني عامر ، وله أحاديث يرجع إليها في الأغاني ، ومنها حديث الغزاة الآتية .

طُوكِيُو*

قِفْ بطوكيو ، وطُفْ على بوكاهامَه
دنت الساعةُ التي أنْذِرَ النا
قِفْ ، تَأْمَلْ مَصَارِعَ القوم ، وانظُرْ
خُسِفَتْ بالمساكن الأرضُ خَسْفًا
طَوَّقَتْ بالمدينتين المنابيا
لا تَرَى العينُ منها أين جالت
حازَهم من مَراجِلِ الأرضِ قَبْرُ
تَحسِبُ المِيتَ في نواحيه يُعَي
أَصْبَحُوا في ذِرا الحياة ، وأَمْسُوا
يُوقُ بما شَتَّ من زمانك ، إِلَّا
دَوْلَةُ الشرقِ وهي في ذِرْوَةِ العُزِّ
خانها الجيشُ وهو في البرِّ دِرْعُ
لو تَأْمَلْتَهَا عَشِيَّةً جاشتْ
رَجَّها رَجَّةً أَكْبَتْ على قَرِّ

وسل القريئين : كيف القيامة !
سُ ، وَحَلَّتْ أَشْرَاطُهَا والعلامة^١
هل ترى من ديار عادٍ دِعامه ؟
وطَوَى أهلُها بِسَاطَ الإقامه^٢
وأَدَارَ الردى على القومِ جامَه^٣
غَيْرَ نَقْصٍ ، أو رَمَّةٍ أو حُطامه^٤
في مدى الظنِّ - عُمُقُهُ أَلْفُ قامه^٥
نفخةُ الصورِ أنْ تُكَلِّمَ عِظامه
ذَهَبَتْ رِيحُهُم وشالوا نَعامه^٦
صَحْبَةَ العيشِ ، أو جِوَارَ السلامه
تَحَارُّ العيونُ فيها فِخامه
والأساطيلُ وهي في البحرِ لامه^٧
خِلَتْها في يدِ القضاءِ حامه
تَبَّهَ بوزا ، وزلزلتْ أَقدامه

* وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلازل الشهير .

١ الأشراف : المفرد شرط : العلامة .

٢ الجلام : الكأس .

٣ النقص : اسم البناء المنقوض .

٤ مَراجِل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة والنحاس .

٥ أي ارتحلوا وتفرقوا .

٦ اللامه : الدرع .

استعذنا بالله من ذلك السيِّ
مَنْ رَأَى جَلَمَدًا يَهُبُّ هُبُوبًا
ودخانًا يُلْفُ جُنْحًا بجُنْحٍ
وهزيمًا كما عَوَى الذئبُ في كـ
لِ الَّذِي يَكْسَحُ البلادَ أمامه
وَحَمِيمًا يَسُحُّ سَحَّ الغمامه ١٩
لا ترى فيه مِعْصَمِيهَا اليمامه ؟
لِ مَكَانٍ ، وَزَمْجَرِ الصَّرْغامه ؟

■ * ■

أَتَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ بطَوْفَا
فَتَرَى الْبَحْرَ جُنْ ، حَتَّى أَجَازَ الـ
مَزِيدًا ، نَائِرَ اللَّجَاجِ ، كَجَيْشٍ
فُلْكَ نُوْحٍ تَعُوذُ مِنْهُ بنُوْحٍ
قَدْ تَحَيَّلَتْهُمْ مَتَابِيلُ سَحْرِ
وَتَحَيَّلَتْ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ
أَبْرَاكِيْنُ تِلْكَ ، أُمَ نَزَوَاتُ
تَجِدُ الْأَرْضُ رَاحَةً حَيْثُ سَالَتْ
مَا لَهَا لَا تَضِجُ مِمَّا أَقَلَّتْ
كَلِمًا لُبَّسَتْ بِأَهْلِ زَمَانٍ
اسْتَوُوا بِالْأَذَى ضُرًّا ، وَبِالشَّـ
لُبَّسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ عَلَيْنَا
ذَاكَ مِنْ مُؤَنَسَاتِهِ الظُّفْرِ وَالثَّـ
سَرَّهُ مِنْ أُسَامَةِ الْبَطْشِ وَالْفَتـ
لَوُمْتُ مِنْهَا الطَّبَاعُ ، وَلَكِنْ
نِ يُنْسِي طَوْفَانَ نُوْحٍ وَعَامِهِ
بِرَّ ، وَاحْتَلَّ مَوْجُهُ أَعْلَامِهِ
قَوْصَ الْعَاصِفِ الْهَبُوبِ خِيَامِهِ
لَوْ رَأَتْهُ ، وَتَسْتَجِيرُ زِمَامِهِ
مِنْ قِرَاعِ الْقَضَاءِ صَرَخَى مُدَامِهِ
ظَنُّ لَيْلِ الْقِيَامِ ذَاكَ ، فَنَامِهِ
مِنْ جِرَاحِ قَدِيمَةٍ مُلْتَامِهِ ٢٩
رَاحَةُ الْجِسْمِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَامَةِ ٣
مِنْ فُسَادٍ ، وَحُمَلَتْ مِنْ ظُلَامِهِ ؟
شَهِدَتْ مِنْ زَمَانِهِمْ آثَامِهِ
رُّ وَلُوعًا ، وَبِالدَّمَاءِ نَهَامِهِ
عَالَمَ الشَّرِّ : وَحَشَتِهِ ، وَأَنَامِهِ
بُ ، وَهَذَا سِلَاحُهُ الصَّمْصَمَامِهِ
لُ ، فَسَمَى وَلِيدَهُ بِأُسَامِهِ ٤
وَلَدُ الْعَاصِيَيْنِ شَرُّ لَأَمِهِ ٥

١ الحميم : الماء الحار .

٢ نزوات الجرح : سوراته ونزفاته .

٣ الحجامة : القصد .

٤ أسامة : الأسد .

٥ العاصيين : آدم وحواء .

طَابِعُ الْبَرِيدِ*

أَنَا مِنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ عَامًا
أَرْكَبُ الْبَحْرَ تَارَةً ، وَأَجُوبُ الدَّ
وَيُوفِي النُّفُوسَ مِثِّي رَسُولٌ
يَحْمِلُ الْغِشَّ وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبَغْضَا
وَيَعْبِي مَا تُسِرُّهُ مِنْ كَلَامٍ
وَلَقَدْ أَضْحَكْتُ الْعَبُوسَ يَوْمَ
وَأَهْبَيْ عَلَى التَّوَى وَأُعْزِّي
وَجَزَائِي عَنْ خَلْمَنِي وَوَفَائِي
رُبُّهُ عَبْدٌ قَدْ اشْتَرَانِي بِمَالٍ
عَرَفَ الْقَوْمُ فِي جَنيفًا مَحَلِّي
جَامِلُونِي إِذْ تَمَّ لِي رُبْعُ قَرْنٍ
وَيُؤِيلُ الْمُلُوكِ يَلْبَثُ يَوْمًا

لَمْ أُرْخَ فِي رِضَاكُمْ الْأَقْدَامَا
بِرَّ طَوْرًا ، وَأَقْطَعُ الْآيَامَا
لَمْ يَكُنْ خَائِنًا ، وَلَا نَمَامَا
وَالْحُبَّ ، وَالرَّضَى وَالْمَلَامَا
وَيُودِّي كَمَا وَعَاهُ الْكَلَامَا
فِيهِ أُبْكِي الْمُنْعَمَ الْبَسَامَا
وَأُفِيدُ الْحِرْمَانَ وَالْإِنْعَامَا
ثَمَنٌ لَا يُكَلِّفُ الْأَقْوَامَا
وَعُثْلَامٍ قَدْ سَاقَ مِثِّي عُثْلَامَا
وَجَزَوْنِي عَنْ خَدْمَتِي إِكْرَامَا
مِثْلًا جَامِلُوا الْمُلُوكَ الْعِظَامَا
وَيُؤِيلِي يَدُومَ فِي النَّاسِ عَامَا

الطَّيَّارُونَ الْفَرَنْسِيُّونَ

قَمَّ سَلِيحَانُ ، بِسَاطُ الرِّيحِ قَامَا
حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ
صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مُعْجِزَةً
قُدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مُتَّفِرِدًا
عَيْنُ شَمْسٍ قَامَ فِيهَا مَارِدٌ
يَمْلَأُ الْجَوَّ غَزِيفًا كُلَّمَا
مَلِكُ الْجَوِّ تَلِيَهُ غَضَبُهُ
اسْتَوَوْا فَوْقَ «مَنَاطِيدِهِمْ»
وَقُبُورًا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا
مُطْمِئِنِّينَ نَفُوسًا ، كُلَّمَا
صَهَوَ الْعِزُّ اعْتَلَوْا ، تَحْسِبُهُمْ
رَفَعُوا «لَوْلَيْهَا» ، فَانْدَفَعَتْ
شَالَ بِالْأَذْنَابِ كُلٌّ ، وَرَمَى
ذَهَبَتْ تَسْمُو ، فَكَانَتْ أَعْقَابًا
تَثْبِيرِي فِي زَرْقِ الْأَفْقِ ، كَمَا

مَلَكَ الْقَوْمُ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا
أَسْرَجُوا الرِّيحَ ، وَسَامُوها اللَّجَامَا^١
آيَةً لِلْعِلْمِ آتَاهَا : الْأَنَامَا
أَصْبَحَتْ حِصَّةً مَنْ جَدَّ اعْتَرَامَا
مِنْ عَفَارِيثِكَ يُدْعَى شَبَاتِهَامَا
ضَرَبَ الرِّيحَ بَسْطُوطٍ وَالْعَمَامَا
جَمَعَتْ شَهْمًا ، وَنَذَبًا ، وَهَمَامَا^٢
مَا يُبَالُونَ : حَيَاةً ، أَمْ حِمَامَا
نَزَلُوا ، أَمْ حُفَرَاتٍ وَرَغَامَا^٣
عَبَسَتْ كَارِثَةٌ زَادُوا ابْتِسَامَا
جَمَعَ أَمْلَاكِ عَلَى الْخَيْلِ تَسَامِي
هَلْ رَأَيْتَ الطَّيْرَ قَدْ زَفَّ وَحَامَا^٤
بِجَنَاحَيْهِ كَمَا رُعْتَ الثَّعَامَا
فَنَسُورًا ، فَصُقُورًا ، فَحِمَامَا
سَبَحَ الْحُوثُ بِدَأْمَاءٍ وَعَامَا

١ سام : من سام فلاتاً الأمر : كلفه إياه .

٢ النذب : الخفيف في الحاجة الطريف النجيب ، لأنه إذا نذب إليها خف لقضائهما .

٣ الرغام : التراب .

٤ زف الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه .

بعضُها في طلبِ البعضِ ، كما
ويراها عالمٌ في زُحَلٍ
أو نجومًا ذاتَ أَذْنَابٍ بدتْ
أُتْرِى القوَّةُ في جُوجُوهِه
أَمْ تَراها في الخوافي خَفِيَتْ
أَمْ ذُنَابَاهُ إِذَا حَرَّكَه
أَمْ بَعِينِيهِ إِذَا مَا جَالَتْنا
أَمْ بِأَظْفَارِ إِذَا شَبَّكَها
أَمْ أَمْدَنُهُ بِروحِ أُمِّه
فَتَلَقَّاهُ أَبٌ ، كَمَ مِنْ أَبٍ
فَلَكِيٌّ هُوَ ، إِلَّا أَنَّهُ
طَلَبَةٌ قَدْ رَامَها آبَاؤُنا
أَسْقَطَتْ «إِيكَارَه» فِي تَجْرِبَةٍ
فِي سَبِيلِ المَجدِ أَوْدَى نَفَرٌ
خَلْفَاءُ الرُّسُلِ فِي الأَرْضِ هُوَ
قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهِمْ فِي مُلْكِهِ

طارِدَ «التَّسْرُ» عَلَى الجَوِّ القُطَامَا^١
أَرْسَلَتْ مِنْ جَانِبِ الأَرْضِ سِهَامَا^٢
تُنْذِرُ النَّاسَ نُشُورًا^٣ وَقِيَامَا^٤
وهو بِالْجُوجُوِّ ماضٍ يَتْرَامَى^٥
أَمْ مَقَرُّ الحَوْلِ فِي بَعْضِ القُدَامَى^٥
يَزِنُ الجِسْمَ مُهْبُوطًا وَقِيَامَا^٦
تَكْشِفَانِ الجَوَّ غَيْثًا أَمْ جَهَامَا^٦
نَفَذَتْ فِي الرِّيحِ دَفْعًا وَاسْتِلَامَا^٦
يَوْمَ أَلْقَتْهُ وَمَا جَازَ القُطَامَا^٦
دُونَهُ فِي النَّاسِ بِالْوُلْدِ اهْتِمَامَا !
لَمْ يَتَلَّ فَهَمًا ، وَلَمْ يُعْطَ الكَلَامَا
وَابْتَغَاهَا مِنْ رَأَى الدَّهْرِ عُلَامَا
«وَابْنَ فِرْنَانِسٍ» ، فَمَا اسْتَطَاعَا قِيَلَمَا
شُهَدَاءُ العِلْمِ أَعْلَاهُم مَقَامَا
يَبْعَثُ اللهُ بِهِمْ عَامًا فَعَامَا
تَمَلُّؤُ المَلِكِ جِالًا وَنِظَامَا

* * *

- ١ القُطَامَا : الصقر .
- ٢ زحل : كوكب من الخنس ، سَمِيَ بِهِ لِبَعْدِهِ وَتَخْيِيسِهِ .
- ٣ نُشُورًا : مِنْ نَشَرَ اللهُ المَوْتَى : أَحْيَاهُمْ .
- ٤ الْجُوجُوُّ مِنَ الطَّائِرِ : الصُّبْر .
- ٥ الخَوَافِي : رِيَشَاتُ إِذَا ضَمَّ الطَّائِرُ جَنَاحِيهِ خَفِيَتْ ، وَقِيلَ : هِيَ الأَرِيعُ اللَّوَاتِي بَعْدَ المُنَاكِبِ .
- ٦ الجُوهْلُ : القُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّصَرُّفِ .
- ٦ الجَهْلَمُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ .

رَبِّ ، إِنْ كَانَتْ لِحَيْرٍ جُعِلَتْ
وإن اعترَّ بها الشرُّ غداً
فاملاً الجَوَّ عليها رُجُماً
فاجعل الحَيْرَ بناديهما لزاما
فتعالَتْ ثُمَيطِرُ الموتِ الزُّؤاما
رحمةً منك ، وعدلاً ، وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» ، لا عَدِمْنَا مِنَّا
لَطَفَ اللَّهِ «بباريس» ، ولا
رَوَّعَتْ قَلْبِي خُطُوبُ رَوَّعَتْ
أَنَا لا أَدْعُو عَلَى «سِين» طَعَى
لستُ بالناسي عليه عِيشَةً
اجعلوها رُسُلَكُمْ أَهْلَ الهوى
واستغبروها جَنَاحاً طالما
يَحْمِلُ الْمُضْئَى إِلَى أَرْضِ الهوى
لَكَ عِنْدَ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ جُسَاما
لَقِيتُ إِلَّا نَعِيماً وسلاما
سَامِرَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَالنِّبَاما
إِنَّ «اللسين» - وإن جار - ذِمَاما
كَانَتْ الشَّهَدَ ، وَأَحْبَاباً كَرَاما
تَحْمِلُ الْأَشْوَاقَ عَنْكُمْ وَالْغَرَاما
شَغَفَ الصَّبِّ وَشَاقَ الْمُسْتَهَاما
«يَمَنَّا» حَلَّ هَوَاهُ ، أَمْ «شَمَاما»

* * *

أَرْكَبُ اللَّيْثَ ، وَلَا أَرْكُبُهَا
عَدَّرْتُ «جِيرون» ، لَمْ تَخْفِلْ بِهِ
وَقَعْتُ نَاحِيَةً ، فَاحْتَرَقَتْ
رَاضِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ طَلْعَتِهِ
كَخَلِيلِ اللَّهِ ، فِي حَضْرَتِهِ
وَأَرَى لَيْثَ الشَّرَى أَوْفَى ذِمَاما
وَبِمَا حَاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وَرَاما
مِثْلَ قُرْصِ الشَّمْسِ بِالْأَفْقِ اضْطَرَاما
خَيْرٌ مِنْ حَجٍّ ، وَمَنْ صَلَّى ، وَصَاما
خَرَّتِ النَّارُ خُشُوعاً وَاحْتِرَاما
كَخَلِيلِ اللَّهِ ، فِي حَضْرَتِهِ

* * *

ما لروحي صاعداً ما ينتهي ؟
كلُّ دَارٍ بِهِ دَوْرَتِهِ
أَنَا لَوْ نِلْتُ الَّذِي قَدْ نَالَه
هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا حَسْداً ؟
أَتُرَاهُ آثَرَ الْجَوِّ ، فَرَاما ؟
أَبَدَتْ الرِّيحُ أَمِثَالاً وَارْتَسَاما
مَا هَبَطْتُ الْأَرْضَ أَرْضَاهَا مُقَاما
وَرِيَاءً ، وَنِزَاعاً ، وَخِصَاما ؟

مُلْكُ هذا الجَوِّ في مَنَعَتِهِ طالما للنجَمِ والطَّيْرِ استقاما
حَسَدُ الإنسانِ سِرْبِيهِ بما أُوتِيا في ذَرَوَةِ العُرِّ اعتصاما
دَخَلَ العُشَّ عَلَى «أَنْسُرِهِ» أَثَرى يَغشى مِنَ النُّجْمِ السَّناما ؟
أَبْها الشَّرْقِ ، انْتَبَهَ مِنْ غَفْلَةٍ ماتَ مَنْ في طُرُقَاتِ السَّيْلِ ناما
لا تَقولَنَّ : عِظاميُّ أَنَا في زَمانٍ كانَ للنَّاسِ عِصاما
شَاقَتِ العِلياءُ فِيهِ خَلْفاً لَيْسَ بِأَلوها طِلاباً واغتاما
كُلَّ حِينٍ مِنْهُمُو نابِغَةٌ يَفْضُلُ البَدَرُ بِهَاءَ وَتاما

* * *

خالِقَ العُصفُورِ ، حَيَّرَتْ بِهِ أُمَمًا بادوا وما نالوا المَراما
أَفْتُوا التَّقْدِينَ فِي تَقْلِيدِهِ وَهُوَ كالدَّرْهِمِ رِيشًا وَعِظاما

وَصْفُ مَرْقَصٍ*

طال عليها القِدَمُ فهي وجودٌ عَدَمُ
قد وُثِدَتْ في الصِّبا وانبعثتْ في الهَرَمُ
بالغَ فِرْعونُ في كَرَمِها مِنْ كَرَمِ
أَهْرَقَ عُنُقودَها تَقْدِمةً لِلصنمِ
خَبَأَها كاهِنٌ نَاحِيَةً في الهَرَمِ
اكتَشِفَتْ فامَّحَتْ غَيْرَ بِهَذَا أَوْ ضَرَمَ

١ السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها .

٥ وقال يصف «البال» الحديوي الذي أقيم سنة ١٩٠٣ بسراي عابدين .

٢ وُثِدَتْ : من واد ابنته دفنها في القبر وهي حية .

أو كخيال لها	بعد متابٍ أَلَمْ ^١
نَمَّ بها دُنْها	وهي عليه أُنَمَّ
بي رَشًا ناعِمٌ	ما عرف العمرَ هَمَّ ^٢
أخرجها الله كال	زَّهرة ، والحسنُ كَيْمٌ ^٣
تخطُرُ عن عادلٍ	لم يُرْ إِلَّا ظَلَمٌ
تَبَسُّمٌ عن لؤلؤٍ	قَدَرَه مَنْ قَسَمَ
كُرمه في التَّوى	هَذَبه في اليتَمُ
مُضطهدٌ خَصَرُها	جانبُه مُهْتَضَمٌ
طاوَعَ مِنْ صَدْرِها	أَيَّ قَوِيٍّ حَكَمَ
حَمَلَه يُقْلَه	ثُمَّ عليه ادَّعَمَ
تَسألُ أترابَها	مُؤِمَّةٌ بالْعَمِ
أَيُّ فتى ذَلِكُ	نَّ العربيَّ العَلَمَ ؟
يشرها ساهراً	ليلته لم يَنَمَ
قُلْنَ : تَجَاهَلْتِه	ذلك ربُّ القلمِ
شاعرُ مصرَ الذي	لو خفي النَّجمُ لَمَ
قلتُ لها : ليتَ لم	نُرَمَ وفي نَتْنِهِم
عاذلتِ في الطَّلَى	لو أنصفتِ لم أَلَمَ
إن عَبَسَ العيشُ لي	عُدْتُ بها فابْتَسَمَ
يشرُّها كابرٌ	بين ضلوعي أَشَمَ

١ أي كخيال الخمر إذا أَلَمَ بالتائب عنها .

٢ رشا : الرشا ولد الظية الذي قد تحرك ومشى .

٣ الكم : غطاء النور .

٤ اليتَم : مصلو يقال : درة يتيمة أي ثمين لا نظير لها .

٥ العَم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المحضوب .

يَهْتِكُ ، إِلَّا الْحَرَمَ	يَذُلُّ ، إِلَّا التَّهَى
يَمْرُجُهَا بِالشِّمِّ	يُكْسِبُهَا خُلُقَهُ
إِنْ دَفَعْتَهُ احْتَشَمَ	يَمْنَعُهَا حِلْمَهُ
أَمْ ظَلِيَّاتُ الْخَيْمِ ؟	تِلْكَ شَمُوسُ الدَّجَى
شَقٌّ سَنَاهُ الظُّلَمِ	تُقْبِلُ فِي مَوَكِبِ
قَرْنَ ذُكَاوَةٍ تَجَمُّ	خِلْتُ بِأَنْوَارِهِ
آلَ إِلَيْهَا الْعِظَمِ	مَقْصِدُهَا سُدَّةٌ
بَعْضُ صِغَارِ الْخَدَمِ	حَيْثُ كِبَارُ الْمَلَا
فَانْسَرَتْ مِنْ أَمَمٍ ١	قَدْ وَقَفُوا لِلْمَهَا
بَيْنَ لَبِوْثٍ بِهِمْ ٢	تَخْطِرُ مِنْ جَمْعِهِمْ
دَاخِلَةٌ فِي أَجْمِ	خَارِجَةٌ مِنْ شَرَى
لَاهِيَةٍ لَمْ تَجَمِّ	نَاعِمَةٌ لَمْ تُرْعَ
فِي الْمُهْجَاتِ انْتِظَمِ	انْتَثَرَتْ لَوَلُّوَا
مِثْلَ حَمَامِ الْحَرَمِ	تَمَرَّحَ فِي مَأْمَنِ
حَيْثُ تَلَاقَى التَّأَمِّ	مُوتَلِفٌ سِرِّيْهَا
مُخْتَلِفَاتِ الثَّغَمِ	مُسْتَدْفَعَاتٌ عَلَى
أَوْ قَدَمٍ فِي قَدَمِ	بَيْنَ يَدٍ فِي يَدِ
تَرْجِعُ كَرَّ النَّسَمِ	تَذْهَبُ مَشْيَ الْقَطَا
ضَوْءُ جَبِينٍ وَقَمِ	تَبْعُثُ أُنَى بَدَتِ
فَاتِنَةٌ بِالرَّسَمِ ٣	تُعْجَلُ خَطْوًا نَتِي

١ انسريت : يقال انسرب الظبي إذا دخل في سربه .

من أمم : أي من قريب .

٢ بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع .

٣ نتي : تأتي . الرسم : حسن المشي .

تَجْمَعُ مِنْ ذَبْلِهَا	تَتْرَكُهُ لَمْ يُلَمَّ
تَرْفُلُ فِي مُخْمَلٍ	نَمَّ وَلَمَّا يَنَمَّ
تَتَّبِعُ ، إِلَّا الْهَوَى	تَقْرُبُ ، إِلَّا التَّهَمَّ
فَاجْتَمَعَتْ فَالْتَقَتْ	حَوْلَ خِيَوَانٍ نُظِمَ
مُنْتَهَبٍ كَلَّمَا	ظُنَّ بِهِ النِّقْصُ تَمَّ
مَائِدَةٌ مَدَّهَا	بَحْرُ نَوَالٍ خِصَمَ
تَحْسِبُهَا صُورَتُ	مِنْ شَهَوَاتِ التَّهَمِ
لَمْ تُزَّرْ فِي بَابِلٍ	مَا عَاهَدَتْ فِي إِرَمَ
حَاتِمٌ لَوْ شَامَهَا	أَقْلَعَ عَمَّا زَعَمَ
مَعْنُ لَوْ انْتَابَهَا	أَدْرَكَ مَعْنَى الْكِرَمِ
أَشْبَهُ بِالْبَحْرِ ، لَا	يُخْرِجُهَا مُزْدَحَمَ
قَامَ لَدَيْهَا الْمَلَا	يَبْلُغُ الْفَيْنِ تَمَّ
مَقْتَرَحًا مَا اشْتَهَى	مَلْتَقِيًا مَا رَسَمَ
لَوْ طَلَبَ الطَّيْرَ مِنْ	أَبْكَيْتَهُ مَا احْتَرَمَ ^١
يَا مَلِكًا لَمْ تَضِقْ	سَاحَتُهُ بِالْأَنَمِ
تَجْمَعُ أَشْرَافَهَا	مِنْ يَجْرِبِ أَوْ عَجَمَ
تَخْطِرُ مَنْ أُمَّهَا	بَيْنَ صَنُوفِ النَّعَمِ
سَادَةٌ أَفْرِيقِيَا	لُجَّتِهَا وَالْأَكَمِ
أَنْتَ رَشِيدُ الْعُلَى	فِي الْمَلَأَيْنِ احْتَكِمَ ^٢
لَيْلَتُكُمْ قَدَّرَهَا	فَوْقَ غَوَالِي الْقِيَمِ
مُشْرِقَةٌ ، مِثْلُهَا	فِي زَمَنِ لَمْ يَقُمْ
لَا بَرَحَ الصَّفْوُ فِي	ظِلِّكُمْ يُعْتَنَمُ
مَا شَرَبُوهَا وَمَا	طَالَ عَلَيْهَا الْقِدَمُ

١ احترم الشيء : منه .

٢ الملائين : العرب والعجم .

توت عنخ آمون وحضارة عصره

دَرَجَتْ عَلَى الْكَثَرِ الْقُرُونُ وَأَتَتْ عَلَى الدَّنِّ السُّنُونُ^١
 خَيْرُ السُّيُوفِ مَضَى الزَّمَانُ نُ عَلَيْهِ فِي خَيْرِ الْجَفُونِ^٢
 فِي مَنَزِلٍ كَمُحَجَّبِ الْغَيْبِ اسْتَسَرَّ عَنْ الظُّنُونِ^٣
 حَتَّى أَتَى الْعِلْمُ الْجَسُونَ رُ فَفَضَّ خَائِمَهُ الْمَصُونُ
 وَالْعِلْمُ بَذَرِيٌّ ، أَجْرٌ لِّلْ أَهْلِهِ مَا يَصْنَعُونَ^٤
 هَتَكَ الْحِجَالَ عَلَى الْحُضَا رَقَ ، وَالْحُدُورَ عَلَى الْفُنُونِ^٥
 وَانْدَسَّ كَالْمِصْبَاحِ فِي حُفَرٍ مِنَ الْأَجْدَاثِ جُونِ^٦
 حُجَرٍ مُّمَرَّدَةٍ الْمَعَا قِلَ فِي الثَّرَى ، شَمُّ الْحُصُونِ^٧
 لَا تَهْتَدِي الرِّيحُ الْهَبُورَ بُّ لَهَا ، وَلَا الْغَيْثُ الْهَتُونَ
 خَانَتْ أَمَانَةَ جَارِهَا وَالْقَبْرِ كَالدُّنْيَا يَخُونُ

* * *

يَا ابْنَ الثَّوَابِقِ مِنْ رَعٍ وَابْنَ الزَّوَاهِرِ مِنْ أُمُونِ^٨
 نَسَبٌ عَرِيقٌ فِي الصُّحَى بَذَّ الْقَبَائِلَ وَالْبُطُونُ

١ الدن ، باطية الخمر .

٢ الجفون : الأغاد .

٣ استسر : توارى .

٤ بلري : نسبة إلى بدر ، وفي الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم .

٥ الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس في جوف البيت .

٦ جون : سود .

٧ ممرده : مطولة .

٨ رع وأمون : معبودان مصريان قديمان .

أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَتُوبُ مِنْ
وَتَدُولُ آثَارُ الْقُرُ
حُبُّ الْخُلُودِ بَنَى لَكُمْ
لَمْ يَأْخُذِ الْمُتَقَدِّمُو
حَتَّى تَسَابِقْتُمْ إِلَى الْإِ
لَمْ تَتْرُكُوهُ فِي الْجَلِيدِ
هَذَا الْقِيَامُ ، فَقُلْ لَنَا
الْبَيْتُ غَايَةُ زَائِلِ
السَّابِقُ مِنْ عَادَاتِكُمْ
أَنْتُمْ أَسَاطِينُ الْحَضَا
الْمُتَقَنُّونَ ، وَإِنَّمَا

أَنْزَلْتَ حُفْرَةَ هَالِكِ
أَمْ فِي مَكَانٍ بَيْنَ ذَ
هُوَ مِنْ قُبُورِ الْمُتَلَفِ
لَمْ يَبْقَ غَالٍ فِي الْحَضَا
مَيْتٌ تُحِيطُ بِهِ الْحَيَا
وَذَخَائِرُ مِنْ أَعْصُرٍ وَلَ
حَمَلَتْ عَلَى الْعَجَبِ الزَّمَانِ
فَتَلَفَّتْ بَارِيسُ تَحْ

ذَهَبٌ يَطِينُ الْأَرْضِ لَمْ
اسْتَحْدَثَتْ لَكَ جَنَدَلًا
تَذْهَبُ بِلَمْحَتِهِ الْقُرُونُ
وَصَفَائِحًا مِنْهُ الْقِيُونُ

١ القيون : الصناع .

وَنَوَاسُناً وَهَاجَةً لَمْ يَتَّخِذْهَا الْهَامِدُونَ^١
 لَوْ يَفْطَنُ الْمَوْتَى لَهَا سَرَحُوا الْأَنَامِلَ يَبْشُرُونَ
 وَتَنَازَعُوا الذَّهَبَ الَّذِي كَانُوا لَهُ يَتَفَانُونَ

أَكْفَانُ وَشَيْ فُضِّلَتْ بِرَقَائِقِ الذَّهَبِ الْفَتَيْنِ^٢
 قَدْ لَفَّهَا لَفٌّ الضَّمُّ دِ مُحِطَّ آسِ رَزِينِ
 وَكَأَنَّهُنَّ كَلَامٌ وَكَأَنَّكَ الْوَرْدُ الْجَنِينِ
 وَبِكَلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ وَبِكَلِّ زَاوِيَةِ رَقِينِ^٣
 وَتَرَى الدُّمَى ، فَتَخَالُهَا أَنْ سَتَرَتْ عَلَى جَنَابِ زُونِ^٤
 صُورٌ تُرِيكَ تَحَرُّكًا وَالْأَصْلُ فِي الصُّورِ السُّكُونِ
 وَيَمُرُّ رَائِعٌ صَمَمَتِهَا بِالْحِسِّ كَاللُّطْقِ الْمُبِينِ
 صَحَبَ الزَّمَانَ دِهَانُهَا حِينَ عَهِيدًا بَعْدَ حِينِ^٥
 غَضُّ عَلَى طُولِ الْبَلَى حَيٌّ عَلَى طُولِ الْمَوْتِ
 خَدَعَ الْعَيُونَ وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى تَحْدَى اللَّامِسِينَ
 غِلْمَانُ قَصْرِكَ فِي الرِّكَائِ بِ يُنَاوِلُونَ ، وَيَطْرُدُونَ^٦
 وَالْبُوقُ يَهْتَفُ ، وَالسَّهَا مُ تَرْنُ ، وَالْقَوْسُ الْحَنُونِ
 وَكَلَابُ صَيْدِكَ لَهَتْ وَالْخَيْلُ جُنَّ لَهَا جُنُونِ
 وَالْوَحْشُ يَتَفَرُّ فِي السُّهُو لِ . وَتَارَةً تَتَبُّ الْحَزُونِ

١ نواوس : توابيت .

٢ الفتين : المحرق .

٣ الرقين : الرقيم وهو الكتاب .

٤ الزون : معرض الأصنام .

٥ العهد : القديم .

٦ يطردون : يزاولون الصيد .

والطيرُ ترسُفُ في الجِرا ح ، وفي مناقِرِها أنين
وكأنَّ آباءَ البرِّ في المدائن مُحضَرون
وكأنَّ دولةَ آلِ شم س عن شِمالك واليمين^١

* * *

ملكُ الملوك ، نحيَّةٌ وولاءٌ مُحْتَفِظُ أمين
هذا المقامُ عرفته وسبقْتُ فيه القائلين
ووقفتُ في آثاركم أَرْنُ الجلالَ وأَسْتَبِين
وبنيتُ في العشرين من أحجارِها شِعْري الرّصين
سالتُ عيونُ قصائدي وجرى من الحجرِ المَعِين
أَقْعَدْتُ جيلًا للهوى وأَقْتُ جيلًا آخِرِينَ
كنتم خيالَ المجدِ يُرِفعُ للشبابِ الطامحين
وكم استعرتُ جلالكم لمحمَّد والمالِكين^٢
تاجٌ تَنَقَّلَ في الخيا ل ، فما استقرَّ على جَبِين
خِرَزائهُ السيفُ الصقي لُ يَشْدُهُ الرمحُ السَّين

* * *

قلْ لي : أحينَ بدا الثرى لك ، هل جزعتَ على العَرين ؟
آنستَ مُلكاً ليس بالشا كي السَّلاح ، ولا الحَصين
البرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مَسْلُوبُ السفين
لما نظرتَ إلى الديا رِ صدقتَ بالقلبِ الحزين^٣
لم تلقَ حولك غيرَ كَر تَر ، والتَّطاسيُّ المَعِين

١ آل الشمس : الفراغة .

٢ الخديو محمد توفيق الأول .

٣ صدقت : أعرضت .

أَقْبَلَتْ مِنْ حُجْبِ الْجَلَا لِي عَلَى قَبِيلٍ مُعْرِضِينَ
تَاجُ الْحَضَارَةِ حِينَ أَشْرَقَ لَمْ يَجِدْهُمْ حَافِلِينَ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَمْ يَرَوْهُ هُوَ مِنْ قُرُونٍ أَرْبَعِينَ

* * *

قَسَمًا بَعْنٍ يُحْيِي الْعِظَا مَ ، وَلَا أَرِيدُكَ مِنْ يَمِينِ
لَوْ كَانَ مِنْ سَفَرٍ إِيَّا بُكَ أَمْسٍ ، أَوْ فَتَحَ مُيْنِ
أَوْ كَانَ بَعْتُكَ مِنْ دِيْبِ سَبِ الرُّوحِ ، أَوْ نَبَضِ الْوَتِينِ
وَطَلَعَتْ مِنْ وَادِي الْمَلُو كِ ، عَلَيْكَ غَارُ الْفَاتِحِينَ
الْخَيْلُ حَوْلَكَ فِي الْجَلَا لِي الْعَسْجَدِيَّةِ يَتَشَنِّا
وَعَلَى نِجَادِكَ هَالَتَا نِ مِنْ الْقَنَا ، وَالذَّارِعِينَ
وَالْجُنْدُ يَدْفَعُ فِي رَكَا بَكَ بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِينَ
لَرَأَيْتَ جَيْلًا غَيْرَ جِدِ لِكَ ، بِالْجَبَابِرِ لَا يَدِينِ
وَرَأَيْتَ مُحْكَمِينَ قَدْ نَصَبُوا ، وَرَدُّوا الْحَاكِمِينَ
رُوحُ الزَّمَانِ وَنَظْمُهُ وَسَبِيلُهُ فِي الْآخِرِينَ
إِنْ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ فَرَعَا مِنْ الْفَرْدِ اللَّعِينِ
فَإِذَا رَأَيْتَ مَشَايِحًا أَوْ فِتْيَةً لَكَ سَاجِدِينَ
لَا فِي الزَّمَانِ ، تَجِدُهُمْ عَنْ رُكْبِهِ مُتَخَلِّفِينَ
هُمْ فِي الْأَوَاخِرِ مَوْلَدًا وَعَقُولُهُمْ فِي الْأَوَّلِينَ !

دِمَشْق

قم ناجِ جَلِّقْ ، وانشُدْ رَسَمَ مَنْ بانوا
 هذا الأديمُ كتابُ لا كِفَاءَ له
 الدِّينُ والوَحْيُ والأَخلاقُ طائفةُ
 ما فيه إن قَلَبْتَ يوماً جواهرهُ
 بنو أُمَيَّةَ لِلأنبياءِ ما فتحوا
 كانوا ملوكاً . سريرُ الشرقِ نَحْتَهُمْ
 عالينَ كالشمسِ في أطرافِ دولتها
 يا ويحَ قلبي ! مها انتابَ أرْسَمَهُمْ
 بالأمسَ قَتَّ على الزهراءِ أُنْدِيَهُمْ
 في الأرضِ منهم سِماواتُ ، وَالْوَيَّةُ
 معادنُ العزِّ قد مالَ الرِّغامُ بهم
 لولا دِمَشْقُ لَمَّا كانتَ طُلَيْطَلَةُ
 مرزَتْ بالمسجدِ المخزونِ أسأله
 تَغَيَّرَ المسجدُ المخزونُ . واختلَفَتْ

مَشَتْ على الرِّسَمِ أحداثُ وأزمانُ
 رَثَ الصحائفُ ، باقٍ منه عُنوانُ^١
 منه ، وسائرُه دُنْيَا وبُهتانُ
 إلَّا قرائحُ من رادٍ وأذهانُ^٢
 وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا^٣
 فهل سألتَ سريرَ الغربِ : ما كانوا ؟
 في كلِّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطانُ
 سرى به الهُمُ ، أو عادتهُ أشجانُ
 واليومَ دمعي على الفَيْحاءِ هَتَّانُ^٤
 وتيراتُ ، وأنولُهُ ، وعقبانُ
 لو هانَ في تُربِهِ الإبريزُ ما هانوا
 ولا زَهَتْ بِنِي العباسِ بَغْدانُ^٥
 هل في المُصَلَّى أو المحرابِ مَرَّوانُ ؟
 على المنابرِ أحرارُ وعبدانُ

١ جلق : دمشق .

٢ الأديم : الأرض .

٣ الراد : الراديوم .

٤ ما دانوا : ما غلبوا من الأمم وقهروا .

٥ الزهراء : قصر خلفاء بني أمية بالأندلس .

٦ بغدان : إحدى لغات كثيرة في بغداد .

فلا الأَذَانُ أَذَانٌ فِي منارته إِذَا تَعَالَى ، ولا الآذَانُ أَذَانٌ

* * *

آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَاسْتَنْتَيْتُ جَنَّتَهُ
قال الرفاقُ وقد هَبَّتْ خِمالُها :
جَرَى وَصْفَقَ يَلْقَانِ بِهَا بَرْدَى
دخَلَتْها وَحواشِيا ، زُمُرْدَةُ
والحُورُ في دُمُرٍ ، أَوْ حَوْلَ هَامِتِها
و رَبَوَةٌ الوادِ في جِلْبَابِ راقِصَةٍ
والطيرُ تُصَدِّحُ من خَلْفِ العيونِ بِها
وأَقْبَلْتُ بِالثِّبَاتِ الأَرْضُ مُخْتَلِفًا
وقد صَفَا بَرْدَى للريحِ ، فابْتَرَدَتْ
ثم انْتَشَتْ لَمْ يَزَلْ عِنا البَلالُ ، ولا
خَلَفْتُ لُبْنانَ جَنابِ النِّعَمِ ، وما
حَتَّى انْحَلَرْتُ إِلى فيحاءِ وارفَةٍ
نزلْتُ فيها بِفَتَيانٍ جَحَاجِحَةٍ
بِيضِ الأَسِرَةِ ، باقٍ فيهِمُ صَيِّدُ

دمشقُ رَوْحُ ، وَجَنَّتُ ، وَرَيْنانُ
الأَرْضُ دارُها الفِحاءُ بستانُ
كما تَلَقَّاكَ دُونَ الخُلْدِ رضوانُ
والشمسُ فوقَ لُجَيْنِ الماءِ عَقِيانُ^١
حورُ كَواشِفُ عن ساقِ ، وولَدانُ^٢
الساقُ كاسِيَةٌ ، والنَجْرُ عُريانُ
وللعيونِ كما للطيرِ أَلحانُ
أَفوافُهُ ، فَهوَ أَصْباغُ وأَلوانُ^٣
لدى سَتورِ ، حَواشِيهِنَّ أَفنانُ
جَفَّتْ مَن الماءِ أَذْيالُ وأردانُ
نُبِئتُ أَنَّ طَريقَ الخُلْدِ لُبْنانُ
فيها اللَّدى ، وبها طَيٌّ وشَيانُ^٤
آباؤُهُم في شَبابِ الدَّهْرِ غَسانُ^٥
من عَبدِ شَمسٍ وإنْ لَمْ تَبَقَ يَجانُ^٦

١ العقيان : الذهب الخالص .

٢ دمر : ضاحية دمشق .

الحور : شجر عظيم يشبه السرو .

٣ أفوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب ، والمراد هنا الزهر .

٤ طي وشيان : قبيلتا حاتم ومعن .

٥ جحاجح : جمع جحجج وهو السيد المسارع إلى المكارم .

غسان : أبو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكاً للشام .

٦ الصيد : رفع الرأس كبراً .

عبد شمس : يعني بني أمية .

يا فتية الشام ، شكراً لا انقضاء له
ما فوق راحتكم يوم السماح يد
خميلاً الله وشتها يدها لكم
شيدوا لها الملك ، وابواركن دولتها
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر
الملك أن تعملوا ما استطعتمو عملاً
الملك أن تخرج الأموال ناشطة
الملك تحت لسان حوله أدب
الملك أن تتلاقوا في هوى وطن

* * *

نصيحة ملؤها الإخلاص ، صادقة
والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
ونحن في الشرق والقضحي بنورجيم

والنصح خالصه دين وإيمان
أو حكمة ؛ فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الجرح والآلام إخوان

أخت أمينة *

هذه نور السفينة
هذه صورتها مد
هذه لؤلؤة عند
من بنات الروم ، لكن
أنا من يترك للدي

هذه شبة أمينة
جئة عنها مبيته
لدي لها مثل ثمينه
لم تكن عندي مهينه
ان في الدنيا شئونه

• وقال وقد رأى في الفلك وهي ترجع به إلى مصر طفلة فيها من كرمته أمينة مشابهة .

يا مَلَاكَ الْفُلْكِ ، لي صِنْدُ هُوكُ في تلكَ المدينه
أَنْتِ في الْفُلْكِ بَهَاءُ وهو في حُلُوانَ زِينه
ناجِهٍ ، واذكُرْ له وَجْهٌ هَذَا أَيُّه ، وَحَيْنَه
وَأَفْدُهُ : أَنِّي في الـ بحر مَذْ دُسْتُ عَرِينَه
لَسْتُ بِالنَّفْسِ ضَنِناً وبه نَفْسِي ضَنِينَه
أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ يُرْعِيكَ لَكَ وَإِيَّاهُ عُيُونَه

أَنْدُلُسِيَّةٌ*

يا نائحِ الطَّلَحِ ، أَشْبَاهُ عَوَادِينَا نَشْجِي لَوَادِيكَ ، أَمْ نَأْسَى لَوَادِينَا^١
ماذا تَقْصُ عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ يَدَا قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا؟
رمى بنا الْبَيْنُ أَيْكاً غَيْرَ سَامِرِنَا - أَخَا الْغَرِيبِ - وَظِلًّا غَيْرَ نَادِينَا
كَلَّ رَمَتُهُ الثَّوَى : رِيَشَ الْفِرَاقُ لَنَا سَهْمًا ، وَسَلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سَكِينًا
إِذَا دَعَا الشَّوْقُ لَمْ تَبْرَحْ بِمُنْصَدِعٍ من الْجَنَاحِينَ عَمِيٌّ لَا يُلَيِّنَا
فَإِنْ يَكُ الْجَنَسُ يَا ابْنَ الطَّلَحِ فَرَقْنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمَصَائِبَا
لَمْ تَأَلُ مَاءَكَ تَخَنُّانًا ، وَلَا ظَمًا وَلَا اذْكَارًا ، وَلَا شَجْوًا أَفَانِينَا^٢
تَجُرُّ مِنْ فَنَنِ سَاقًا إِلَى فَنَنِ وَتَسْحَبُ الذَّلِيلَ تَرْتَادُ الْمُوَاسِينَا^٣

١ الصنو : الأخ .

= نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهدته ومعاهدته .

٢ الطلح : نوع من الشجر ، سمي به واد بظاهر إشبيلية كان ابن عباد شديد الولع به .
عوادينا : عواذي الدهر النازلة بنا ، وهي مصائبه .

٣ أفانين : أجناس .

٤ الفن : الغصن المستقيم .

أَسَاءَ جَسَدِكَ شَيْئًا حِينَ تَطْلِبُهُمْ فَمَنْ لِرَوْحِكَ بِالنُّطْسِ الْمُدَاوِينَا ١٩

آهًا لَنَا نَازِحِي أَيْكِ بِأَنْدَلُسٍ
رَسْمٌ وَقَفْنَا عَلَى رَسْمِ الْوَفَاءِ لَهُ
لِفَتْيَةٍ لَا تَنَالُ الْأَرْضُ أَدْمُعَهُمْ
لَوْ لَمْ يَسْوَدُوا بِدِينٍ فِيهِ مَتَبَةٌ
لَمْ نَسِرْ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ
لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابِتٌ عَنْهُ نُسَخَتْهُ
نَسَقِي ثَرَاهُمُ ثَنَاءً ، كَلَّمَا نُثِرَتْ
كَادَتْ عَيُونُ قَوَافِينَا تُحَرِّكُهُ
لَكِنْ مَصْرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَةٍ
عَلَى جَوَانِبِهَا رَفَّتْ تَمَائِمُنَا
مَلَاعِبُ مَرَحَتِ فِيهَا مَارَبُنَا
وَمَطْلَعُ إِسْعُودٍ مِنْ أَوَاخِرِنَا
بَنَّا . فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رَوْحٍ يُرَاوِحُنَا
كَأَمِّ مُوسَى ، عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا

وَأِنْ حَلَلْنَا رَفِيقًا مِنْ رَوَايِنَا !!
نَجِيشٌ بِالْذَّمِّ ، وَالْإِجْلَالُ يَنْبِينَا
وَلَا مَقَارِفَهُمْ إِلَّا مُصْلِينَا^٢
لِلنَّاسِ ، كَانَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُهُمْ دِينَا^٣
كَالْحَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا^٤
تَمَائِلُ الْوَرْدِ خَيْرِيًّا وَ نَسْرِينَا
ذُمُوعُنَا نُظِمَتْ مِنْهَا مَرَاثِينَا
وَكَيْدَنْ يَوْقُظُنْ فِي الثَّرْبِ السَّلَاطِينَا
عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا^٥
وَحَوْلَ حَافَاتِهَا قَامَتْ رَوَاقِينَا^٦
وَأَرْبَعُ أُنِسَتْ فِيهَا أَمَانِينَا
وَمَغْرِبُ الْجُدُودِ مِنْ أَوَالِينَا
مِنْ بَرِّ مَصْرَ ، وَرَيْحَانِ يُغَادِينَا^٧
وَبِاسْمِهِ ذَهَبَتْ فِي الْيَمِّ ثُلُقِينَا^٨

١ الأساءة : الأخطاء .

النطس : الأطباء الخذاق .

٢ يقصد بهم ملوك الأندلس .

٣ منية : أي شرف ورفعة .

٤ بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة الخمر .

٥ المقة : المحبة .

٦ الرواق : واحدها راقية ، وهي التي ترفي الصبي إذا كان به سحر .

٧ الروح : الرحمة والرزق .

٨ شبه مصر - حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج إلى المنفى - بأمر موسى عليه السلام حين ألقته في اليم صبيًا وسألت الله أن يكفله .

ومصر الكرم ذي الإحسان فأكهة^١ لحاضرين ، وأكواب^٢ لبادينا

* * *

يا سباري البرق يرمي عن جوانحنا
لما تفرق في دمع السماء دماً
الليل يشهد لم نهتك دياجيه^٣
والنجم لم يزننا إلا على قدم
كرفرة في سماء الليل حائرة
بالله إن جبت ظلماء العباب على
ترد عنك يده كل عادية
حتى حوتك سماء النيل عالية
وأحرزت شقوف^٤ اللازورد على
وحازك^٥ الريف أرجاء مؤرجة^٦
فقف إلى النيل ، واهتف في خائله
وأس ما بات يذوي من منازلنا

* * *

ويا معطرة الوادي سرت سحراً
ذكية الليل ، لو خلنا غلاتها
جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا
فلو جزيناك بالأرواح غالية
هل من ذبولك مسكي^٧ نحمله
إلى الذين وجدنا ود^٨ غيرهم

* * *

١ الشفوف : واحدها شف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ،
والأفواف : يريد بها الخائل .

يا من نَغَارَ عليهم من ضائرتنا
 خاب الحنينُ إليكم في خواطرتنا
 جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا
 وما غلبنا على دمع ، ولا جَلَدٍ
 ونابغي كأنَّ الحشرَ آخره
 نطوي دُجَاهَ بَجْرَحٍ من فراقكمو
 إذا رَسَا النجمُ لم تَرَقًا مُحَاجِرُنَا
 بتنا نقاسي الدواهي من كواكبه
 يبدو النهارُ فيخفيه تَجَلُّدُنَا
 ومن مَصُونِ هواهم في تناجينا
 عن الدلالِ عليكم في أمانينا
 في النائبات ، فلم يأخذ بأيدينا
 حتى أَتَتْنَا نَوَاكُمُ من صِياصِينَا^١
 ثُمِينَتْنَا فيه ذكراكم وَثُجِينَا^٢
 يكاد في غَلَسِ الأسحارِ يَطْوِينَا
 حتى يزولَ ، ولم تهدأُ تراقِينَا
 حتى قعدنا بها حَسْرَى تُقَاسِينَا
 للشامتين ، وبِأَسُوهِ تَأْسِينَا

* * *

سَقِيَا لِعَهْدٍ كَأَنَّافِ الرُّبَى رِفَةً
 إِذِ الزَّمَانُ بَنَى عُيُنَاءَ زَاهِيَةً
 الوصلُ صَافِيَةٌ ، والعيشُ نَاعِيَةٌ
 والشمسُ تُخْتَالُ فِي الْعِيقَانِ تُحْسِبُهَا
 والنيلُ يُقْبَلُ كَالدُّنْيَا إِذَا احْتَفَلَتْ
 والسعدُ لَوْدَامٌ ، والنعمى لَوَاطِرْدَتْ
 أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ - حَتَّى دَهَا ذَهَابًا -
 أعداءه مِنْ يَمْنِهِ الثَّابُوتُ ، وَارْتَسَمَتْ
 لَهُ مَبَالِغُ مَا فِي الْخُلُقِ مِنْ كَرَمٍ
 أَنَّى ذَهَبْنَا ، وَأَعْطَافِ الصَّبَا لِينَا^٣
 تَرَفُّ أَوْقَاتُنَا فِيهَا رِيَاحِينَا
 والسعدُ حَاشِيَةٌ ، والدهرُ مَاشِينَا
 بَلْقَيْسَ تَرَفُّلُ فِي وَشْيِ الْيَمَانِينَا
 لو كَانَ فِيهَا وَفَاءٌ لِلْمُصَافِينَا
 والسيلُ لَوَعَفٌ ، والمقدارُ لَوَدِينَا
 ماءً لَمَسْنَا بِهِ الْإِكْسِيرَ ، أَوْ طِينَا
 على جَوَانِبِهِ الْأَنْوَارُ مِنْ سِينَا
 عَهْدُ الْكَرَامِ ، وَمِيثَاقُ الْوَفِينَا

١ الصياصي : الحصون وكل ما امتنع به .

٢ يريد به الليل الذي ملؤه الهم والأرق إشارة إلى قول النابغة :

كليتي لهم يا أسيمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

٣ الرقة : النضرة .

لم يَجِرْ للدهرِ إِعْذارٌ ولا عُرْسٌ
 ولا حوى السعدُ أَطغى في أَعْيَتِهِ
 نحن اليواقيتُ، خاض النارَ جَوهرُنا
 ولا يحول لنا صِبْغٌ ، ولا خُلُقٌ
 لم تنزل الشمسُ ميزاناً ، ولا صعدتْ
 أَلَمْ تَوَلِّ على حافاته ، ورأتْ
 إن غازلتْ شاطئيه في الضحى لبسا
 وبات كلُّ حجاج الوادِ من شجرٍ
 وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ
 ولم يَضَعْ حجراً بانٍ على حجرٍ
 كأن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضتْ
 إيوانه الفخْمُ من عُليا مقاصره
 كأنها ورمالا حولها التَطَطمتْ
 كأنها تحت لألاءِ الضحى ذهباً

* * *

أرضُ الأبوةِ والميلادِ طَيِّبها
 كانت مُحَجَّلَةً فيها مواقِفُنا
 قَابَ مِنْ كُرَّةِ الأيامِ لَاعِينا
 ولم ندعُ لليالي صافياً ، فدَعَتْ
 لو استطعنا لَحُضْنَا الجَوَّ صاعقةً
 مرَّ الصَّبَا في ذبول من تصاينا
 عُرَا مُسْلَسَلَةً المَجْرَى قوافينا
 وثابَ مِنْ سِنَةِ الأحلامِ لاهينا
 (بأن نَحْصُ ، فقال الدهرُ : آمينا)
 والبرَّ نارَ وَغَى ، والبحرَ غَسِيلِنا^٣

١ الاعذار : طعام يتخذ لسرور حادث .

٢ الغين : واحدها أغين : الخضر .

٣ الغسلين : الصديد .

سَعياً إِلَى مَصْرَ نَقْضِي حَقَّ ذَاكِرْنَا
كُتْرَ بِحُلُوانٍ عِنْدَ اللَّهِ نَطْلُبُهُ
لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيزٍ عَنْهُ عَيْتُنَا
إِذَا حَمَلْنَا لِمَصِيرٍ أَوْ لَهُ شَجْنًا
فِيهَا إِذَا نَسِيَ الْوَافِي ، وَبَاكِتَا
خَيْرَ الْوَدَائِعِ مِنْ خَيْرِ الْمُؤَدِّيَتَا
لَمْ يَأْتِهِ الشُّوقُ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا
لَمْ نَذَرِ : أَيُّ هَوَى الْأَمِينِ شَاجِنَا ؟

وَصَفُّ الْغَوَاصَةِ وَنَكْبَةُ الْبَاخِرَةِ لُوزِيَّتَانِيَا^١

رَأَيْتُ عَلَى لُوحِ الْخِيَالِ يَتِيمَةً
فِيَا لَكَ مِنْ حَالِكِ أَمِينٍ مُصَدِّقٍ
فَوَاهَا عَلَيْهَا ، ذَاقَتْ الْيَتَمَ طِفْلَةً
وَلَيْتَ الَّذِي قَاسَتْ مِنَ الْمَوْتِ سَاعَةً
كَفَرَّخَ رَمَى الرَّامِي أَبَاهُ فَعَالَهُ
فَلَا أَبَ يَسْتَنْدِرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ
وَدَبَابَةٍ تَحْتَ الْعُتَابِ بِمَكَمَلٍ
هِيَ الْحَوْتُ ، أَوْ فِي الْحَوْتُ مِنْهَا مَشَابِهِ
أَبْتُ لِأَصْحَابِ السَّفِينِ غَوَائِلًا
خَتُونٌ إِذَا غَاصَتْ ، غُلُورٌ ، إِذَا طَفَتْ
نُبَيْتٌ سَفْنِ الْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْوَعْيِ
قَضَى يَوْمَ لُوسِيَّتَانِيَا أَبَوَاهَا^٢
وَأِنْ هَاجَ لِلنَّفْسِ الْبُكََا وَشَجَاهَا
وَقَوَّضَ رُكْنَاهَا ، وَذَلَّ ضَبَاهَا
كَمَا رَاحَ يَطْوِي الْوَالِدِينَ طَوَاهَا
فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَرَمَاهَا
وَلَا أُمَّ يَبْغِي ظِلَّهَا وَذَرَاهَا^٣
أَمِينٍ ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
فَلَوْ كَانَ قَوْلَادًا لَكَانَ أَخَاهَا
وَالْأُمُّ نَابًا حِينَ تَقْفَرُ فَاهَا
مُلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُرَاهَا
وَتَجْنِي عَلَى مَنْ لَا يَخْضُوحُ رَحَاهَا

١ إشارة إلى المرحومة والدة الناظم .

٢ قال في حادثة نفس غواصة ألمانية للباخرة لوزيتانيا .

٣ الخيال : السينما توغراف .

٤ النرى بالفتح : الفناء .

فلو أدركت تابوت موسى لسلطت عليه زباناها . وحرر حُماها
ولو لم تُعَيِّبْ فلكُ نوحٍ وتحتجبْ لما أَمِيتْ مَقْدُوفَها وظَافَها
فلا كان بانيتها ، ولا كان رَكْبُها ولا كان بحرُ ضمِّها وحوافِها
وأفُّ على العلم الذي تدعونه إذا كان في علم النفوس رَدَاها

جسر البوسفور *

أمير المؤمنين ، رأيتُ جسراً له خشبٌ يجوع السوسُ فيه
ولا يتكَلَّفُ المنشأُ فيه سوى مرَّ الفطيمِ بساعديه
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه وخلف في الهزيمة حافريه
وأسمج منه في عيني جاةٌ إذا لاقيتَ واحدَهم تصدَّى
ويمشي الصدرُ فيه كلَّ يوم بموكبه السنيِّ وحارسِيه^١
ولكن لا يمرُّ عليه إلَّا كما مرَّت يَداه بعارضيه
ومن عجبٍ هو الجسرُ العلِّيُّ على البوسفور ، يجمع شاطئيه
يفيدُ حكومةَ السلطانِ مالا ويُعطِيها الغنى من معدنيهِ
يجود العالمون عليه ، هذا بعشرته ، وذاك بعشرته
وغايةُ أمره أنا سمعنا لسانَ الحال يُنشدُّنا لديه
(أليس من العجائب أن مثلي يَرى ما قلَّ مُمتنعاً عليه ؟
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه) ؟

١ زبانا العُرب : قرناها .

• هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام .

٢ يريد به الصدر الأعظم ، وهو كبير الوزراء .

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا ، يستهديه لكرمة ابن هاني
بالمطرية شجيرات ، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها .

إلى حسين حاكم القنال	مثال حُسن الخلق في الرجال
أهدي سلاماً طيباً كخلقهِ	مع احترام هو بعض حقه
وأحفظ العهد له على التوى	والصدق في الود له وفي الهوى
وبعدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ	أنَّ التهادي من دواعي الحبِّ
وعندك الزهرُ ، وعندي الشَّعرُ	كلاهما فيما يقال نذرُ
وقد سمعتُ عنك من ثقاتِ	أنك أنتَ ملكُ النباتِ
زهركَ ليس للزهور رَوْقُهُ	تكاد من فرطِ اعتناءِ تَخْلُقُهُ
ما نظرتُ مثلكَ عينُ النرجسِ	بعد ملوكِ الظرف في الأندلسِ
ولى من الحدائق الغناءِ	رَوْضُ على المطريةِ الفيحاءِ
أتيتُ أستهدي لها وأسألُ	وأرtnضي السَّزْرَ أثقلُ
عشرَ شجيراتٍ من الغوالِ	تندُرُ إلّا في رياضِ الوالى
تركو وترهو في الشتا والصيفِ	وتجمع الألوانَ مثلَ الطيفِ
تُرسِلها مؤمناً عليها	إن هلكَتَ لي الحقُّ في مثيلها
والحق في الخرطوم أيضاً حقِّي	والدرسُ للخادم كيف يسقي
وبعد هذا لي عليك زورةُ	لكي تدور حول رَوْضِي دورةُ
فإن فعلت فالقوافي تفعلُ	ما هو من فعل الزهور أجملُ
فا رأيتُ في حياتي أزيّنا	للمرء بين الناس من حُسنِ الثنا

باب النسيب

خَدَعُوهَا

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ : حَسَنًا
أَتَرَاهَا تَنَاسَتْ أَسْمِي لَمَّا
إِنْ رَأَتْني تَمِيلُ عَنِّي، كَأَنْ لَمْ
نَظَرَةً ، فَابْتِسَامَةً ، فَسَلَامًا
يَوْمَ كُنَّا - وَلَا تَسَلْ : كَيْفَ كُنَّا؟ -
وَعَلَيْنَا مِنَ الْعَقَافِ رَقِيبًا
جَاذِبَتْني ثَوْبِي الْعَصِيَّ وَقَالَتْ :
فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي قُلُوبِ الْعَذَارَى

أَخَذَ الْبَيْتَ الرَّابِعَ فَزَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ :

نَظَرَةً ، فَابْتِسَامَةً ، فَسَلَامًا
فَفِرَاقًا يَكُونُ فِيهِ دَوَاءٌ
فَكَلامًا ، فَمَوْعِدًا ، فَلِقَاءًا
أَوْ فِرَاقًا يَكُونُ مِنْهُ الدَّاءُ

وَقَالَ :

لَا السُّهْدُ يَطْوِيهِ وَلَا الْأَغْضَاءُ
دَاجِي عُبَابِ الْجُنْحِ ، فَوَضَى فُلُكُهُ
أَغْزَالَ الْإِشْرَاقِ ، أَنْتِ مِنَ الدُّجَى
رَفَقًا يَجْفَنُ كُلَّمَا أَبْكَيْتِهِ
مَا مَدَّ هُدْيَتَهُ لِيَصْطَادَ الْكُرَى
لَيْلٌ عِدَادُ نُجُومِهِ رُقْبَاءُ
مَا لِلْهَمُومِ وَلَا لَهَا إِرْسَاءُ
وَمِنَ السُّهَادِ إِذَا طَلَعَتْ شِفَاءُ
سَالِ الْعَقِيقُ بِهِ ، وَقَامَ الْمَاءُ
إِلَّا وَطِيفُكَ فِي الْكُرَى الْعَنْقَاءُ

١ العقيق : كناية عن الدم .

مَنْ لِي بَهَنٍ لِبَالِيَا نَهَلِ الصَّبَا
أَلْفَنَ أَوطاري؛ فَعَيْشِي وَالْمَتَى
مِمَّا أَفْضَنَ وَعَلَّتِ الْأَهْوَاءُ ١؟
فِي ظَلْهَنَ الْكَأْسُ وَالصَّهْبَاءُ

وقال :

سُوْنَجَعِ النَّبِيلِ ، رِفْقًا بِالسُّوْنِدَاءِ
لِلَّهِ وَادٍ كَمَا يَهْوَى الْهَوَى عَجَبُ
وَأَنْتَ فِي الْأَسْرِ تَشْكُو مَا تُكَابِدُهُ
اللَّهُ فِي فَنَنِ تَلْهُو الزَّمَانِ بِهِ
وَفِي جَوَانِحِكَ اللَّاتِي سَمِخْتَ بِهَا
مَاذَا تَرِيدُ بِنِي الْأُنَاتِ فِي سَهْرِي؟
حَسْبُ الْمَضَاجِعِ مِنِّي مَا تَعَالَجَ مِنْ
أُمْسِي وَأَصْبَحُ مِنْ نَجْوَاكَ فِي كَلْفِ
الَلَّيْلِ يُنْهَضُنِي مِنْ حَيْثُ يُقْعِدُنِي
آتِي الْكَوَاكِبَ لَمْ أَنْقُلْ لَهَا قَدَمًا
وَأَلْخِظُ الْأَرْضَ ، أَطْلُوِي مَا يَكُونُ إِلَى
مُؤَيِّدًا بِكَ فِي حِلْيِي وَمُرْتَحِلِي
تُوحِي إِلَيَّ الَّذِي تُوحِي ، وَتَسْمَعُ لِي
قال أبو نواس :

يَا وَنَحْ أَهْلِي أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
عَلَى الْفَرَّاشِ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا دَالِي
وَطَلَبَ إِلَيْهِ تَشْطِيرَ هَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ :

١ نهل ، من نهلت الإبل : شربت أول الشرب .
علت ، من عل الرجل : شرب شرية ثانية .
٢ سويج : تصغير ساجع . والسويداء : حبة القلب .

يا ويح أهلي ، أبلى بين أعينهم
وينظرون لجنب لا هدوء له
وقال :

منك يا هاجر دالي
يا متى روحي ، ودنيا
أنت إن شئت نعيي
ليس من عمري يوم
وحياتي في الثداني
نم على نسيان سُهدي
كل ما ترضاه يا مؤ
وكما تعلم حُبِّي
فيك يا راحة روحي
وتواريتُ بدمعي
أنا أهواك ، ولا أُر
غرث ، حتى لترى أر
لبني كنتُ رداء
لبني ماؤك في الثد

وبكفك دوالي
ي ، وسولي ، ورجالي
وإذا شئت شقالي
لا ترى فيه لقالي
وماتي في الثنالي
فيك ، واضحك من بُكالي
لاي برضاه ولالي
وكما تدري وفالي
طال بالواشي عتالي
عن عيون الرقباء
صلى الهوى من شركالي
ضيي عتري من سمالي
لك ، أو كنت رِدالي
لقة ، أو ليتك مالي

وقال :

لقد لامني يا هند في الحب لائم
فما هو بالواشي على مذهب الهوى
وصفت له من أنت ، ثم جرى لنا
وقلت له : صبراً ؛ فكل أخى هوى

مُحب إذا عُدَّ الصُحابُ حبيبُ
ولا هو في شرع الوداد مُريب
حديث يَهُمُّ العاشقين عجيب
على يد من يهوى غداً سيتوب

وقال :

على قدر الهوى يأتي العتابُ
 ألومُ مُعَذِّبِي ، فألومُ نفسي
 ولو أنني استطعتُ لنتبتُ عنه
 ولي قلب بأن يهوى يُجَازِي
 ولو وجد العِقَابُ فعلتُ ، لكن
 يلوم اللامؤمن وما رَأَوْه
 صَحَوْتُ ، فَأَنْكَرُ السَّلْوَانَ قَلْبِي
 كَأَنَّ يَدَ الْغَرَامِ زِمَامُ قَلْبِي
 كَأَنَّ رَوَايَةَ الْأَسْوَاقِ عَوْدُ
 كَأَنِّي وَالْهَوَى أَخْوَا مُدَامِ
 إِذَا مَا اعْتَضْتُ عَنْ عَشْقٍ يَعْشَقُ

وَمَنْ عَاتَبْتُ يَفْدِيهِ الصَّحَابُ
 فَأَغْضِبُهَا وَيَرْضِيهَا الْعَذَابُ
 وَلَكِنْ كَيْفَ عَنْ رُوحِي الْمَتَابُ ؟
 وَمَالِكُهُ بَأْنُ يَجْنِي يُثَابُ
 نِفَارُ الظَّنِّي لَيْسَ لَهُ عِقَابُ
 وَقَدْ مَاءُ ضَاعَ فِي النَّاسِ الصَّوَابُ
 عَلَيَّ ، وَرَاجِعُ الطَّرْبِ الشَّبَابُ
 فَلَيْسَ عَلَيْهِ دُونَ هَوَى حِجَابُ
 عَلَى بَدْءٍ وَمَا كَمَلِ الْكِتَابُ
 لَنَا عَهْدُهَا ، وَلَنَا اصْطِحَابُ
 أُعِيدَ الْعَهْدُ ، وَامْتَدَّ الشَّرَابُ

وقال :

أريدُ سلوكم ، والقلبُ يَأْبَى
 وأهجركم ، فبهجرني رقادي
 وأذكركم بروية كلِّ حُسْنٍ
 وأشكو من عذابي في هواكم
 وأعلمُ أَنَّ دَابَّكُمْ جَفَانِي
 وَرُبَّ مُعَاتِبٍ كَالْعَيْشِ ، يُشْكِي
 أَتَجْزِينِي عَنْ الرُّلْفَى نِفَاراً ؟
 فكلَّ ملاحَةٍ فِي النَّاسِ ذَنْبُ

وَأَعْتَبُكُمْ ، وَمِلُّ النَّفْسِ عُتْبَى
 وَيُضْوِينِي الظَّلَامُ أَسَى وَكَرْباً^١
 فَيَصْبُو نَاطِرِي ، وَالْقَلْبُ أَصْبَى^٢
 وَأَجْزِيكُمْ عَنْ التَّعْذِيبِ حَبّاً
 فَمَا بَالِي جَعَلْتُ الْحَبَّ دَابّاً ؟
 وَمِلُّ النَّفْسِ مِنْهُ هَوَى وَعُتْبَى
 عَتَبْتُكَ بِالْهَوَى ، وَكَفَاكَ عَتْبَا
 إِذَا عُدَّ التَّفَارُ عَلَيْكَ ذَنْبَا

١ يضيوني : يضيغي ، من أضواه الأمر : أضعفه .

٢ والقلب أصبى : أي أشد صبوة .

أَخَذْتُ هَوَاكَ عَنْ عَيْنِي وَقَلْبِي
وَأَنْتَ مِنَ الْحَاسِنِ فِي مِثَالِ
أَحْيَاكَ حِينَ تَتِي الْجِدَّ نِيهَاً
وَقَالُوا : فِي الْبَدِيلِ رِضًا وَرَوْحُ
وَرَأَجَعْتُ الرِّشَادَ عَسَايَ أَسْلُو
إِذَا مَا الْكَاسُ لَمْ تُذْهِبْ هُمُومِي
عَلَى أَنِّي أَعَفْتُ مِنْ احْتِسَابِهَا
وَلِي نَفْسٌ أَرْوَاهَا فَتَرَكَوْ

وقال :

رَوَّعُوهُ ، فَتَوَلَّى مُغَضَّبًا
خَلَقْتَ لَاهِيَةً نَاعِمَةً
لِي حَيْبٌ كُلَّمَا قِيلَ لَهُ
كَذِبَ الْعُدَّالُ فِيمَا زَعَمُوا
لَوْ رَأَوْنَا وَالْهَوَى ثَالِثَنَا
فِي جِوَارِ اللَّيْلِ ، فِي ذِمَّتِهِ
مِلٌّ بِرَدِينَا عَفَافٌ وَهَوَى
يَا غَزَالًا أَهْلُ الْقَلْبِ بِهِ
لَكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ حَيَّتِهِ
هُوَ عِنْدَ الْمَالِكِ الْأَوَّلِيِّ بِهِ
إِنْ رَأَى أَبْقَى عَلَى مَمْلُوكِهِ
لَكَ قَدْ سَجَدَ الْبَانُ لَهُ

أَعْلِمْتُمْ كَيْفَ تَرْتَاغُ الظُّبَا ؟
رُبَّمَا رَوَّعَهَا مَرُّ الصَّبَا
صَدَّقَ الْقَوْلَ ، وَزَكَّى الرَّيَا
أَمَلِي فِي فَاتِي مَا كَذَبَا
وَالدُّجَى يُرْخِي عَلَيْنَا الْحُجُبَا
نَذْكُرُ الصَّبْحَ بَأَنَّ لَا يَقْرَبَا
حَفِظَ الْحَسَنَ ، وَصَنَتِ الْأَدْبَا
قَلْبِي السَّفْحُ وَأَخْنَى مَلْعَبَا
مَنْهَلًا عَذْبًا ، وَمَرْعَى طَيْبَا
كَيْفَ أَشْكُو أَنَّهُ قَدْ سَلَبَا ؟
أَوْ رَأَى أَتَلَفَهُ وَاحْتِسَابَا
وَتَمَنَّتْ لَوْ أَقْلَنَّهُ الرَّبِّي

١ أهل به : عمر .

ولحاظٌ ، من معاني سحره
كان عن هذا لقلبي غنية
فطرتي لا آخذ القلب بها
لو جَلَوُا حُسْنَكَ أَوْ عَنَوْا بِهِ
أيها النفسُ ، تجدين سُدَى
جَرِي الدنيا تَهْنُ عندك ، ما
نلتَ فيما نلتَ من مظهرها

جمع الجفنُ سهاماً وطبى^١
ما لقلبي والهوى بعد الصبا ؟
خُلِقَ الشاعرُ سَمَحاً طَرِياً
«لَلْبَيْدِ» في الثمانين صبا^٢
هل رأيتَ العيشَ إلا لَعِياً ؟
أَهْوَنَ الدنيا على من جَرِياً !!
وَمُنَحَتْ الخلدَ ذكراً ، ونَبَاً

وقال والمعنى لشاعر تركي :

ما تلكَ أهْدائي تَنْظُ
بل تلكَ سُبْحَةُ لَوْلُ

مَ بينها الدمعُ السَّكُوبُ
تُخَصِّي عليكِ بها الذنوبُ

وقال :

لا والقوامِ الَّذِي ، والأعينِ اللَّائِي
ولا سَلَوْتُ ، ولم أَهْمُمُ ، ولا خَطَرْتُ
وخائِمُ الملكِ للحاجاتِ مُطَلَّبُ

ما خُئْتُ رَبِّ القَنَا والمَشْرِقَاتِ
بالبالِ سَلَوَاكِ في ماضٍ ولا آتِ
وَنَعْرُكِ المَتَمْنَى كُلُّ حاجاتي

وقال :

لَحَظْهَا لَحَظْهَا ، رُوَيْدَا رُوَيْدَا
كُفَّ أَوْ لَا تَكُفَّ ، إِنَّ يَجْنِي
تَصِلُ الضَرْبَ ما أرى لك حدَا

كم إلى كم تُكَيِّدُ الروحَ كَيْدَا؟
لَسِيْهَاماً أَرْسَلْتَهَا لَنْ تُرْدَا
فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَالتَّرَمَ لَكَ حَدَا

١ الطبى : جمع ظبة وهي حد السيف ..

٢ هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذي قال حين بلغ الثمانين وقد شكَا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :

إن الثمانين - - وبلغتها - - قد أحوجت سمعي إلى ترجان

أَوْ فُضِّعَ لِي مِنَ الْحَجَارَةِ قَلْبًا ثُمَّ صُنْعَ لِي مِنَ الْخَدَائِدِ كَيْدًا
وَكَفَّ جَفْنِي دَافِقًا لَيْسَ يَرْقَا وَانْكَفَّ جَنْبِي خَافِقًا لَيْسَ يَهْدَا
فَنَ الْعَيْنِ أَنْ يَصِيرَ وَعِيدًا مَا قَطَعْتُ الزَّمَانَ أَرْجُوهُ وَعْدًا

وقال :

الرُّشْدُ أَجْمَلُ سِيرَةٍ يَا أَحْمَدُ . وَدَّ الْغَوَانِي مَنْ شَبَابِكَ أَبْعَدُ .
قَدْ كَانَ فِيكَ لَوْدَهْنٌ بَقِيَّةُ وَالْيَوْمَ أَوْشَكَتِ الْبَقِيَّةُ تَنْفَعُ .
هَارُوتُ شِعْرِكَ بَعْدَ مَارُوتِ الصَّبَا أَعْيَا ، وَفَارَقَهُ الْخَلِيلُ الْمُسْعِدُ .
لَمَّا سَمِعْتِكَ قُلْنَ : شَعْرُ أَمْرُدُ يَا لَيْتَ قَائِلُهُ الطَّرِيرُ الْأَمْرُدُ .
مَا لِلَّوَاهِي النَّاعِمَاتِ وَشَاعِرِ جَعَلَ النَسِيبَ حِبَالَةً يَتَصَيَّدُ ؟
وَلَكُمُ جَمَعَتْ قُلُوبُهُنَّ عَلَى الْهَوَى وَخَدَعَتْ مَنْ قَطَعَتْ وَمَنْ تَوَدَّدَ .
وَسَخَّرَتْ مِنْ وَاشٍ ، وَكَدَّتْ لِعَاذِلِ وَالْيَوْمَ تَنْشُدُ مِنْ يَشِي وَيُقَدِّدُ .
أَثَدًا وَجَدْتَ الْغَيْدَ أَهْلَاكَ الْهَوَى وَإِذَا وَجَدْتَ الشَّعْرَ عَزَّ الْأَغِيدُ ؟

وقال :

إِنَّ الْوُشَاةَ - وَإِنْ لَمْ أَحْصِهِمْ عَدَدًا - تَعْلَمُوا الْكَيْدَ مِنْ عَيْنِكَ وَالْفَنْدَا ؟
لَا أَخْلَفَ اللَّهُ ظَنِّي فِي نَوَاطِرِهِمْ مَاذَا رَأَتْ بِي مِمَّا يَبِيعُ الْحَسَدَا ؟
هُمْ أَغْضَبُوكَ فَرَّاحَ الْقَدِّ مُشْنِيًا وَالْجَفْنُ مُنْكَسِرًا ، وَالْخَدُّ مُتَقَدَّا .
وَصَادَفُوا أَذُنًا صَغَوَاءَ لَيْثَةٍ فَأَسْمَعُوهَا الَّذِي لَمْ يُسْمِعُوا أَحَدًا .
لَوْلَا احْتِرَاسِي مِنْ عَيْنِكَ قُلْتُ : أَلَا فَانْظُرْ بَعَيْنِيكَ ، هَلْ أَبْقَيْتَ لِي جَلْدًا ؟
اللَّهُ فِي مُهْجَةٍ أَيْتَمَتْ وَاحِدَهَا ظَلَمًا ، وَمَا اتَّخَذْتُ غَيْرَ الْهَوَى وَلَدًا .
وَرَوْحٌ صَبٌّ أَطَالَ الْحُبَّ عُرْبَتَهَا يَخَافُ إِنْ رَجَعْتُ أَنْ تُنْكَرَ الْجَسَدَا .

وللمواعيد ماء لا يُلُّ صدَى
فن مُعِيرِي من هذا الورى كَبدا ؟

دع المواعيد ؛ إني مِتُّ مِنْ ظَمَأٍ
تدعو ، وَمَنْ لِي أَنْ أَسْعَى بِالْكَدِّ ؟

وقال :

وأشفق الصخر ، ولان الحديدُ
هيهات ! بل قَسُوهُ لِي تَزِيدُ

بشت شكواي ؛ فذابَ الحديدُ
وقلِّبك القاسي على حاله

وقال :

ويُبدِي بُيَّ في الهوى ويُعيدُ
ولكن ليالٍ ما هنَّ عديدُ
شجونُ قيامُ بالصلوع قُعودُ
عليه قديمٌ في الهوى ، وجديدُ
لك الله يا قلبي ، أنت حديد ؟
إذا حلَّ غيدٌ ، أو ترحلَّ غيدُ
لهم ولأسرار الغرام مديدُ
غصونُ قيامُ للنسيم سجودُ
يعارضها مُضَيَّ الصبا فتحيدُ
ومارت عليها الخليُّ وهي تَميدُ
بأهلٍ ، ومفقودُ الأليف وحيدُ
وجذلانُ يَشْدُو في الرِّى وَيُشيدُ
وعُريانُ كاسِ تَزْدَهِيه مُهودُ
ويَقْطُر منها العيشُ وهو رَغيدُ
فقلتُ لها : حتى النهارُ شهيدُ
فما هي مما نبتغي ونَصيدُ

يَمُدُّ الدُّجَى في لَوْعِي وَيَزِيدُ
إذا طال واستعصى فما هي ليلةُ
أَرَقْتُ وعادتني لذكرى أَحْيِي
وَمَنْ يَحْمِلُ الْأَشْوَاقَ يَتَعَبُ ، وَيَخْتَلِفُ
لَقِيتُ الَّذِي لَمْ يَلْقُ قَلْبُ من الهوى
ولم أَخْلُ من وجدٍ عليك ؛ وَرَقَّةُ
وروضٍ كما شاءَ الحَبُونُ ، ظَلَّةُ
نُظِّلْنَا والطيرَ في جَنَابِهِ
نَمِيلُ إلى مُضَيَّ الغرام ، وتارةُ
مَشَى في حَوَاشِيهَا الْأَصِيلُ ، فَذَهَبَتْ
وقامت لديها الطيرُ شَتَّى ، فَأَنِسُ
وبالكِ ولا دمعُ ، وشاكِ ولا جوى
وذِي كِبَرَةٍ لَمْ يُعْطَ بالدَّهرِ خَيْرَةٌ
عَشِينَاهُ وَالْأَيَّامُ تُنْذِي شَيْبَةً
رَأَتْ شَفَقًا يَنْعَى النَّهَارَ مُضَرَّجًا
فَقَالَتْ : وما بالطير ؟ قلتُ : سَكِينَةٌ

أَحِلَّ لَنَا الصَّيْدَانِ : يَوْمَ الْهَوَى مَهَا
يُحْطَمُ رُمُحُ دُونَنَا وَمَهْتَدُ
وَنَحْكُمُ حَتَّى يَقْبَلَ الدَّهْرُ حُكْمَنَا
أَقُولُ لِلْيَامِ الصَّبَا كُلَّمَا نَأَتْ :
وَكَيْفَ نَأَتْ وَالْأَمْسُ آخِرُ عَهْدِهَا ؟
جَزَعْتُ ، فَرَاعَتْنِي مِنَ الشَّيْبِ بَسْمَةٌ
وَمَنْ عَبَتْ الدُّنْيَا وَمَا عَبَتْ سَدَى
وَيَوْمَ تُسَلُّ الْمُرْهَقَاتُ أَسْوَدُ
وَيَقْتُلُنَا لَحْظٌ ، وَيَأْسِرُ جِيدُ
وَنَحْنُ لِسُلْطَانِ الْغَرَامِ عبيد
أَمَا لَكَ يَا عَهْدَ الشَّبَابِ مُعِيد ؟
لَأَمْسُ كِبَايِ الْغَابِرَاتِ عَهِيد
كَأَنِّي عَلَى دَرْبِ الْمَشِيبِ لَبِيد
شَبِينَا وَشَبْنَا وَالزَّمَانُ وَلِيدُ

وقال :

هَامُ الْفَوَاذِ بِشَادِنِ
أَبْكِي ، فَيَضْحَكُ نَعْرَهُ
أَلِفَ الدَّلَالِ عَلَى الْمَدَى
وَالْكِمُّ يَفْتَحُهُ النَّدَى

وقال عن شاعر تركي :

لِلْعَاشِقِينَ رِضَاكَ وَالْ
ذُكُورُوا ، فَكَانُوا سُبْحَةً
حُسْنَى ، وَلِي هَجْرٌ وَصْدُ
وَأَنَا الْعَلَامَةُ ، لَا تُعَدُّ

وقال :

فِي مَقْلَتِكَ مَصَارِعُ الْأَكْبَادِ
كَانَتْ لَهُ كَيْدٌ ، فَحَاقَ بِهَا الْهَوَى
وَإِذَا النُّفُوسُ تَطَوَّحَتْ فِي لَذَّةِ
نَشْوَى ، وَمَا يُسْتَقَيْنَ إِلَّا رَاحَتِي
مَرَضَى ، وَكَمْ أَبْلَيْنَ مِنْ ذِي قُوَّةِ
اللَّهِ فِي جَنْبٍ بِغَيْرِ عِمَادِ
قُهِرَتْ . وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْأَطْوَادِ
كَانَتْ جَنَائِثُهَا عَلَى الْأَجْسَادِ
وَسَتَى ، وَمَا يَطْعَمُنْ غَيْرَ رُقَادِي
مَرَضَى ، وَكَمْ أَفْنَيْنَ مِنْ عَوَادِ

١ الكم بكسر القاف : الغلاف الذي ينشق عن الشعر .

يا قاتلَ اللهُ العيونَ ؛ فإنها
قاتلنَ في أجفانهنَّ قلوبنَا
وصبَّعنَ من دمها الخدودَ تَنصُلاً
في حرٍّ ما نَصَلَى الضعيفُ البادي
فصرَّعتها ، وسَلِمَنَ بالأغادِ
ولقِينَ أربابَ الهوى بسَوادِ

وقال :

قف باللواحظِ عندَ حَدِّكَ
واجعلْ لِعِمْدِكَ هَدَنَةً
وصُنِّ الحاسنَ عن قلو
نظرتُ إليك عن الفتورِ
أعلى رواياتِ القنا
نالَ العواذلُ جهدهم
نقلوا إليك مقالةً
قسماً بما حمَّلتني
ما بي السهامُ الكثرُ من
يكفيكَ ننتةُ نارِ حَدِّكَ
إن الحوادثِ ملُ غِمْدِكَ
ب لا يَدِينِ لها بجُنْدِكَ
ر ، وما أثَّرتِ سَطَوَاتِ حَدِّكَ
ما كان نِسْبَتُهُ لَقَدِّكَ
وسمعتُ منهم فوق جهْدِكَ
ما كان أَكْثَرُها لعبدِكَ
فحملتُ من وَجْدِي وَصَدِّكَ
جَفَنِيكَ ، لكنْ سَهْمُ بُعْدِكَ

وقال :

مُضْنَاكَ جفاهُ مَرَقْدُهُ
حيرانُ القلبِ مُعَذِّبُهُ
أودى حَرْفاً إلا رَمَقاً
يستهي الوُزْقُ نَأْوُهُ
ويناجي النجمَ وَيُتَعِبُهُ
ويعلم كلَّ مُطَوِّقَةٍ
كم مدَّ لِطَيْفِكَ من شَرِّكَ
فَعَسَاكَ بَعْضُ مُسْعِفُهُ
وبكاه وَرَحَمَ عَوْدُهُ
مَفْرُوحُ الجَفْنِ مُسَهِّدُهُ
يُبقِيه عليك وَثْقَدُهُ
ويُذِيبُ الصخرَ تَنَهَّدُهُ
ويُقيمُ الليلَ وَيُقْعِدُهُ
شَجَنًا في الدَّوْحِ تُرَدِّدُهُ
وتأدَّب لا يتصَيَّدُهُ
ولعلَّ خيالك مُسْعِدُهُ

الحسنُ ، حَلَفْتُ بِيُوسُفَهِ
 قَدْ وَدَّ جِمالَكَ أَوْ قَبَساً
 وَتَمَتَّ كُلُّ مُقَطَّعَةٍ
 جَحَدَتْ عَيْنَكَ زَكِيَّ دَمِي
 قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَتَا
 وَهَمَمْتُ بِجِيدِكَ أَشْرَكُهُ
 وَهَزَزْتُ قَوَامَكَ أَعْطِفُهُ
 سَبَبُ لِرِضَاكَ أُمِّهِدُهُ
 بِنِي فِي الْحَبِّ وَبَيْنَكَ مَا
 مَا بِالْ عَاذِلِي يَفْتَحْ لِي
 وَيَقُولُ : تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ
 مَوْلَايَ وَرُوحِي فِي يَدِهِ
 نَاقُوسُ الْقَلْبِ يَدُقُّ لَهُ
 قَسماً بِشَايَا لَوْلُوهَا
 وَرِضَابٍ يُوعَدُ كَوَثَرُهُ
 وَبِخَالٍ كَادَ يُحَجُّ لَهُ
 وَقَوَامٍ يَرْوِي الْغُصْنَ لَهُ
 وَبِخَضِرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلْدِي
 مَا خُتِيَتْ هَوَاكَ ، وَلَا خَطَرْتُ
 وَالسُّورَةُ إِنَّكَ مُقَرَّدُهُ
 حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرَدُهُ
 يَدَهَا لَوْ تُثَبَّتُ تَشْهَدُهُ
 أَكْذَلِكَ خَلْدُكَ يَجْجَحُدُهُ ؟
 فَأَشَرْتُ لَخْدِكَ أَشْهَدُهُ
 فَأَبَى ، وَاسْتَكْبَرَ أَضْيَدُهُ
 فَنَبَا ، وَتَمَنَعَ أَمْلَدُهُ
 مَا بِالْ الْخَضِرِ يُعَقِّدُهُ ؟
 لَا يَقْدِرُ وَاشِ يُنْقِصِدُهُ
 بَابَ السُّلْوَانِ وَأَوْصِدُهُ ؟
 فَأَقُولُ : وَأَوْشِكُ أَعْبُدُهُ
 قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ
 وَحَنَايَا الْأَضْلَعِ مَعْبُدُهُ
 قَسَمُ الْيَاقُوتِ مُنْصَدُهُ
 مُقْتُولُ الْعِشْقِ وَمُشْهَدُهُ
 لَوْ كَانَ يُقْبَلُ أَسْوَدُهُ
 نَسَباً ، وَالرُّمْحُ يُقْنَدُهُ
 وَعَوَادِي الْهَجْرِ تُبْدِدُهُ
 سَلَوَى بِالْقَلْبِ تُبْرِدُهُ

وقال :

يَا نَسَمَاتِ النِّيلِ فِي السَّحَرِ هَلْ عِنْدَكُمْ عَنِ الْأَحْبَابِ مِنْ خَيْرٍ ؟

١ يعني بكل مقطعة يدها الخ . . . صواحبات يوسف الصديق اللواتي ورد ذكرهن في السورة .

عرفتكُنْ بعَرَفٍ لا أُكَيِّفُهُ
من بعض ما مسح الحسنُ الوجوه به
فهل عَلِقْتَنِ أَثْنَاءَ السُّرَى أَرْجَاءَ
هَجْتَنِ لِي لَوْعَةٍ فِي الْقَلْبِ كَامِنَةٍ
ذَكَرْتُ مَصْرَ ، وَمَنْ أَهْوَى ، وَمَجْلَسَنَا
وَالْيَوْمَ أَشْيَبُ ، وَالْآفَاقُ مُذْهَبَةٌ
وَالنَّخْلُ مُتَشِجٌ بِالْغَيْمِ ، تَحْسِبُهُ
وَمَا شَجَانِي إِلَّا صَوْتُ سَاقِيَةٍ
لَمْ يَتْرِكِ الْوَجْدُ مِنْهَا غَيْرَ أَضْلَعِهَا
بِحَيْلَةٍ بِمَا قِيَهَا ، فَلَوْ سَأَلْتُ
فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي الدَّهْرَ طَيِّبَةً
عَفَّتْ ، وَعَفَّ أَهْوَى فِيهَا ، وَفَازَ بِهَا
بَشَانَا ، وَبَاتَتْ حَنَانًا حَوْلَنَا وَرِضًا
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ، كَانَ النِّجْمُ رَابِعَنَا
وَأَنْصَفْتَنَا ، فَظَلَّمْنَا أَنْ نُجَازِيَهَا
دَعَا بَعْدَ رِيْقَةٍ مَنْ تَهَوَّى وَمُتَطِّقَةٍ
وَلَا تُبَالٍ بِكَتْرِ بَعْدَ مَبْسِمْهِ
وَلَمْ يَرْغُبِي إِلَّا قَوْلُ عَاذِلَةٍ
هَلَا تَرْفَعُ عَنْ لَهْوٍ وَعَنْ لَعِبٍ ؟
فَقُلْتُ : لِلْمَجْدِ أَشْعَارِي مُسِيرَةٌ
مَصْرُ الْعَزِيزَةِ ، مَا لِي لَا أَوْدَعُهَا
خَلَقْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي زَعَبٍ
أَسْلَمَتْهُمْ لَعْيُونِ اللَّهِ تَحْرُسُهُمْ

لَا فِي الْعَوَالِي ، وَلَا فِي التَّوَرِّ وَالزَّهَرِ
بَيْنَ الْجَبِينِ ، وَبَيْنَ الْفَرْقِ وَالشَّعَرِ
مِنَ الْغَدَائِرِ ، أَوْ طِيَا مِنْ الطَّرَرِ ؟
وَالْجُرْحُ إِنْ تَعْتَرِضُهُ نَسْمَةٌ يَتَرُ
عَلَى الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْجَسْرِ وَالنَّهَرِ
وَالشَّمْسُ مُضْفَرَةٌ تَجْرِي لِمُتَحَدِّرِ
هَيْفَ الْعَرَائِسِ فِي بَيْضٍ مِنَ الْأَزْرِ
تَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بَيْنَ التَّوْحِ وَالْعَبْرِ
وغيرَ دَمْعٍ كَصَوْبِ الْعَيْثِ مُتَهَمِرِ
جَفْنَا يُعِينُ أَخَا الْأَشْوَاقِ لَمْ تُعِرْ
مَحَا بِهَا كُلَّ ذَنْبٍ غَيْرِ مُغْتَفَرِ
عَفَّ الْإِشَارَةِ ، وَالْأَلْفَاظِ ، وَالنَّظَرِ
ثَلَاثَةٌ بَيْنَ سَمْعِ الْحَبِّ وَالْبَصْرِ
لَوْ يُذَكِّرُ النِّجْمُ بَعْدَ الْبَدْرِ فِي خَبَرِ
شَكْوَى مِنَ الطَّوْلِ ، أَوْ شَكْوَى مِنَ الْقِصَرِ
مَا قِيلَ فِي الْكَأْسِ ، أَوْ مَا قِيلَ فِي الْوَتْرِ
أَعْلَى الْيَوَاقِيتِ مَا أُعْطِيتِ وَالذَّرَرِ
مَا بَالُ أَحْمَدَ لَمْ يَحْلُمْ وَلَمْ يَقْرَأْ ؟
إِنَّ الصِّغَاثِرَ تُغْرِي النَّفْسَ بِالصَّغَرِ
وَفِي غَوَافِي الْعُلَا - لَا فِي الْمَهَا - وَطَرَى
وَدَاعَ مُحْتَفِظٍ بِالْعَهْدِ مُدَكِّرِ
وَذِي تَمَائِمَ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرْ
وَأَسْلَمُونِي لَظْلَ اللَّهِ فِي الْبَشَرِ

وقال :

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ
فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ ، وَيَا
يَا قَلْبَ شَأْنِكَ وَالْهَوَى
إِنْ الَّتِي صَادَتْكَ تَسْ
يَا ثَغَرَهَا ، أَمْسَيْتُ كَالِ
يَا لِحَظِّهَا ، مَنْ أُمُّهَا ؟
يَا شَعْرَهَا ، لَا تَسْعَ فِي
يَا قَدَّهَا ، حَتَّامٌ تَغْ
وَبَيَّ ذَنْبٍ قَدْ طَعَنَ

وَاسْتَعْرَضُوا السَّمَرَ الْخَوَاطِرُ^١
بَنَى الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرَ
هَذِي الْغَصُونُ وَأَنْتَ طَائِرٌ
مَعِي بِالْقُلُوبِ لَهَا النُّوَاطِرُ
غَوَاصٌ ، أَحْلُمُ بِالْجَوَاهِرِ
أَوْ مَنْ أَبُوهَا فِي الْجَادِرِ ؟
هَتَكِي ، فَشَأْنُ اللَّيْلِ سَاتِرٌ
مَدُو عَاذِلًا وَتَرُوحُ جَائِرٌ ؟
تَحْشَايَ يَا قَدْ الْكِبَائِرُ ؟

وقال :

فِي ذِي الْجَفُونِ صَوَارِمُ الْأَقْدَارِ
وَكَمَى الْحَيَاةُ لَنَا خَوَادِثٌ ، فَاغْتَنِي
مَا أَنْتَ فِي هَذَا الْحَلِيِّ الْإِنْسِيَّةِ
زَهْرَاءَ بِالْأَفْقِ الَّذِي مِنْ دُونِهِ
تَهْتِكُ الْأَلْبَابُ خَلْفَ حِجَابِهَا
يَا زِينَةَ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ ، بَلْ
مَاذَا تَحَاوَلُ مِنْ تَنَائِينَا النَّوَى ؟
أَلْقَى الصُّحْحَى الْفَاكِ ، ثُمَّ مِنَ الدَّجَى
وَإِذَا أَنْسَتْ بُوْحَدْتِي فَلَأَنهَا

رَاعِي الْبَرِّيَّةِ يَا رَعَاكَ الْبَارِي
مَلَأَ النُّجُومَ وَعَالَمَ الْأَقْمَارِ
إِنْ أَنْتَ إِلَّا الشَّمْسُ فِي الْأَنْوَارِ
وَنُبُّ الثُّمَى ، وَتَطَاوُلُ الْأَفْكَارِ
مَهْمَا طَلَعَتْ ، فَكَيْفَ بِالْأَبْصَارِ ؟
يَا رَوْنَقَ الْأَصَالِ وَالْأَسْحَارِ
أَنْتَ الدُّنْيَى وَأَنَا الْخَيَالُ السَّارِي
سَبِيلُ إِلَيْكَ خَفِيَّةُ الْأَغْوَارِ
سَبِي إِلَيْكَ . وَسَلِّمِي . وَمَنَارِي

١ السمر : الرياح ، والخواطر : المهتزات ، يقال : خطر الرمح إذا اهتز . وهي هنا كناية عن القدود .

إِيَّاهُ زِمَانِي فِي الْهَوَى وَزِمَانَهَا
مُتَسَلِّسًا بَيْنَ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
نَظَرَ الْفُرَاقَ إِلَيْكُمَا ، فَطَوَاكُمَا
مَا كُنْتُمَا إِلَّا التَّمِيرَ الْجَارِي
مُتَرَقِّقًا بِمَسَارِحِ الْأَوْطَارِ
إِنْ الْفِرَاقُ جَهَنَّمُ الْأَقْدَارِ

وقال :

لَكَ أَنْ تَلُومَ ، وَلِي مِنَ الْأَعْذَارِ
مَا كُنْتُ أَسْلَمُ لِلْعَبُورِ سَلَامِي
وَطَرٌ تَعَلَّقَهُ الْفَوَادُ وَيَنْقُضِي
يَا قَلْبُ ، شَأْنُكَ ، لَا أَمُدُّكَ فِي الْهَوَى
أَمْرِي وَأَمْرُكَ فِي الْهَوَى بِيَدِ الْهَوَى
جَارِ الشَّيْبَةِ ، وَانْتَفِعْ بِجَوَارِهَا
مِثْلُ الْحَيَاةِ تُحِبُّ فِي عَهْدِ الصَّبَا
أَبْدًا فُرُوقُ مِنَ الْبِلَادِ هِيَ الْمَنَى
مَمْنُوعَةٌ إِلَّا الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ
خُطُوتُهَا التَّقْوَى ، فَلَا مَزْهَوَةٌ
مَرَّتْ بِنَا فَوْقَ الْخَلِيجِ ، فَأَسْفَرَتْ
فِي نِسْوَةٍ يُورِدُنَ مَنْ شِئْنِ الْهَوَى
عَارِضَتُهُنَّ ، وَبَيْنَ قَلْبِي وَالْهَوَى

وقال :

أَتَغْلِبُنِي ذَاتَ الدَّلَالِ عَلَى صَبْرِي ؟ إِذْنِ أَنَا أَوَّلَى بِالْقَنَاعِ وَبِالْخَيْرِ^١

١ آذَار : شهر مارس وهو أول فصل الربيع .

٢ هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامي باشا البارودي ، نظمته ثم أمسكه ، فأكماله الشاعر وأضاف إليه هذه الأبيات .

تَبِيَهُ ، وَلِي حِلْمٌ إِذَا مَا رَكِبْتُهُ
وَمَا دَفَعِي اللَّوَامَ فِيهَا سَامَةً
وَلَيْلٍ كَأَنَّ الْحَشْرَ مَطْلَعُ فَجْرِهِ
سَرَيْتُ بِهِ طَيْفًا إِلَى مَنْ أَحْبَبْتُهَا
طَرَقْتُ حِجَاهَا بَعْدَ مَا هَبَّ أَهْلُهَا
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا نِسَاءَ لِقِينِي
يَقْلُنَ لِمَنْ أَهْوَى وَأَنْسَنَ رِيبةً :
إِلَيْكَ جَارَاتِ الْحَمَى عَنْ مَلَامَتِي
وَأَحْرَجَنِي دَمْعِي ، فَلَمَّا زَجَرْتُهُ
فَسَاءَ لَهَا: مَا اسْمِي؟ فَسَمَّتُ ، فَجَنَنْتِي
فَقُلْتُ : أَخَافُ اللَّهَ فَيَكُونُ ، إِنِّي
أَخَذْتُ بِحَظٍّ مِنْ هَوَاهَا وَبَيْنَهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَنْ عَيْشَةٍ غَنَى
وَمَنْ يَخْبِرُ الدُّنْيَا وَيَشْرَبُ بِكَأْسِهَا
وَمَنْ كَانَ يَغْزُو بِالتَّلَاعِلَاتِ فَقَرَهُ
وَمَنْ يَسْتَعْنُ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
وَمَنْ لَمْ يُقِمِ سِتْرًا عَلَى عَيْبٍ غَيْرِهِ
وَمَنْ لَمْ يُجَمِّلِ بِالتَّوَاضُعِ فَضْلَهُ

وقال :

رَدَدْتُ بِهِ أَمَرَ الْغَرَامِ إِلَى أَمْرِي
وَلَكِنْ نَفْسَ الْجَرِّ أَزْجُرُ لِلْحَرِّ
تَرَاءَتْ دَمْعِي فِيهِ سَابِقَةَ الْفَجْرِ
وَهَلْ بِالسُّهَى فِي حُلَّةِ السُّقْمِ مَنْ تُكْزِرُ
أَخْوَضُ غَيَّارَ الظَّنِّ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
يِبَالِغُنِ فِي رَجْرِي ، وَيُسْرِفُنِ فِي نَهْرِي
نَرَى حَالَهُ بَيْنَ الصَّبَابَةِ وَالسَّحَرِ
وَذَرْنَ قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ يَجْرِي
رَدَدْتُ قُلُوبَ الْعَاذِلَاتِ إِلَى الْعُدْرِ
يَقْلُنَ : أَمَانًا لِلْعَذَارَى مِنَ الشَّعْرِ
وَجَدْتُ مَقَالَ الْهَجْرِ يُزَرِّي بَأْنَ يُزْرِي
وَمَنْ يَهْوِي يَعْدِلُ فِي الْوَصَالِ وَفِي الْمَجْرِ
فَلَا بَدَّ مِنْ يُسْرِ ، وَلَا بَدَّ مِنْ عُسْرِ
يَجِدُ مَرَّهَا فِي الْحَلْوِ ، وَالْحَلْوَ فِي الْمَرِّ
فَلَانِي وَجَدْتُ الْكَدَّ أَقْتَلُ لِلْفَقْرِ
يَعُثُّهُ الرِّفِيقُ الْعَوْنُ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
يَعِشُ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ ، مُنْهَتِكَ السَّتْرِ
يَبِينُ فَضْلُهُ عَنْهُ ، وَيَعْطَلُ مِنَ الْفَخْرِ

يَا لَيْلُ ، هَلْ خَيْرٌ عَنِ الْفَجْرِ
لَا تَبْتَغِي حَوْلًا ، وَلَا يَسْرِي
أَنْ الصَّبَاحَ رَهِينَةُ الْحَشْرِ
بِدُجْنَتِهِ كَسْرِيرَةِ الدَّهْرِ

قَلْبٌ يَنْوِبُ ، وَمَدْمَعٌ يَجْرِي
حَالَتْ نَجْمُوكَ دُونَ مَطْلَعِهِ
وَتَطَاوَلَتْ جُنْحًا ، فَحُتِلَ لِي
أَرْسِيَّتُهَا وَمَلَكَتْ مَذْهَبَهَا

ظَلَّمْ تَجِيْ بِهَا وَرُجِعْهَا وَالْمَوْجُ مُنْقَلَبٌ إِلَى الْبَحْرِ
لَيْتَ الْكَرَى . مُوسَى فَيُورِدُهَا فِرْعَوْنَ هَذَا السُّهْدُ وَالْفِكْرُ

* * *

وَلَقَدْ أَقُولُ لِهَاتِفٍ سَحْرًا يَبْكِي لَغَيْرِ نَوَى وَلَا أَسْرَ
وَالرَّوْضُ أَخْرَسُ غَيْرَ وَسُوسَةٍ خَفَقَ الْعَصَوْنَ ، وَجَرِيَةِ الْعُدْرِ
وَالطَّيْرُ مِثْلُ الْأَيْكِ ، أَرُوسُهَا مِثْلُ الثَّارِ بَدَتْ مِنْ السَّدْرِ
أَلْقَى الْجَنَاحَ ، وَنَاءَ بِالصَّدْرِ وَرَنَا بِصَفْرَاوَيْنِ كَالثَّبْرِ
كَلَّمَ السَّهَادُ يَبُوتَ هَذِبُهَا وَأَقَامَ بَيْنَ رُسُومِهَا الْحُمْرِ
تَهْدَا جَوَانِحَهُ ، فَتَحْسِبُهُ مِنْ صَنْعَةِ الْأَيْدِي أَوْ السَّخْرِ
وَتُثَوِّرُ ، فَهُوَ عَلَى الْعَصَوْنَ يَدُ عَلِقَتْ أَنَامِلُهَا مِنَ الْجَمْرِ

* * *

يَا طَيْرُ ، بَشَّ أَخَاكَ مَا يَجْرِي إِنَّا كِلَانَا مَوْضِعُ السَّرِّ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ جَوَى وَنَوَى أَنَا فِي الْأَنَامِ ، وَأَنْتَ فِي الْقُمْرِ
عَبَثَ الْغَرَامُ بَنَا وَرَوَّعْنَا أَنَا بِالْمَلَامِ ، وَأَنْتَ بِالزَّجْرِ
يَا طَيْرُ ، لَا تَجْرَعْ لِحَادِثَةٍ كُلُّ النَّفُوسِ رَهَائِنُ الضَّرِّ
فِيمَا ذَهَبَ لَوْ أَطْلَعْتَ رَضَى شَرُّ أَخَفُّ عَلَيْكَ مِنْ شَرِّ
يَا طَيْرُ ، كَدَّرَ الْعَيْشَ لَوْ تَدْرِي فِي صَفْوِهِ ، وَالصَّفْوُ فِي الْكَدْرِ
وَإِذَا الْأُمُورُ اسْتَصْعِبَتْ صَعِبَتْ وَيَهُونُ مَا هَوْنَتْ مِنْ أَمْرِ
يَا طَيْرُ ، لَوْ لُذْنَا بِمَضْطَبِرٍ فَلَعَلَّ رُوحَ اللَّهِ فِي الصَّبْرِ
وَعَسَى الْأَمَانِيُّ الْعَذَابُ لَنَا عَوْنٌ عَلَى السَّلْوَانِ وَالْهَجْرِ

وقال :

بَدَأَ الطَّيْفُ بِالْجَمِيلِ وَزَارَا يَا رَسُولَ الرَّضَى وَوَقِيتَ الْعِثَارَا

١ القمر : جمع قرية وهي ضرب من الحمام .

وَتَيَّمَمَ من السُّوَيْدَاءِ داراً
 عادةُ النورِ ينزل الأَبصاراً
 قد أَعَدَّ الدُّجَى لها أَوْزاراً
 أَجْمَلُ الصَّنْعِ ما يُصِيبُ افتقاراً
 بـ، كَأَن لَمْ يَكُنْ لَهُ القَلْبُ جَاراً ؟
 هـ عن الذنب رَقَّةٌ واعتذاراً
 وجريحُ الأَنامِ يطلبُ ثاراً ؟
 هُـ هُدًى من مَقْلَتِي أَمراً ، فصاراً
 وأذى النصحِ أَن يكونَ جِهاراً
 رَحِمَ اللهُ يا جَفَوْنِي النهارَ
 قَلْنِ : صَبْرًا ، فَقَلْبُ : هَاتِي اصْطَبَاراً
 بعد ليلي ، ولم أَجِدْكَ قِصاراً
 لا يُبَالِي بِحَمْلِهِنَّ صِغاراً
 مُدْمِنُ الخمرِ لا يُحِسُّ العُثَاراً
 خرج الرشدُ عن أَكْفِ السُّكَّارِ

خذ من الجفن والفؤاد سبيلاً
 أَنْتِ إِن بَتَّ في الجفونِ فَأَهْلُ
 زار . والحربُ بين جفني ونومي
 حَسَنٌ يا خيالُ صُنْعُكَ عِنْدِي
 ما لربِّ الجمالِ جَارَ على القلْدِ
 وأرى القَلْبَ كلِّما ساءَ يَجْزِرُ
 أَجْرِحُ الغرامِ يطلبُ عطفاً
 أَيُّها العاذِلونَ ، نَيْمٌ ، ورامِ السُّ
 آفَةُ النَّصَحِ أَن يكونَ لَجَاجاً
 ساءَ لَتَنِي عن النهارِ جَفَوْنِي
 قَلْنِ : نَبْكِه ؟ قَلْتِ : هَاتِي دُمُوعاً
 يا لِيَالِي ، لم أَجِدْكَ طَوَالاً
 إِن مَن يَحْمِلُ الخطوبَ كِبَاراً
 لم تُفَقِّ منك يا زَمَانُ فَنَشْكُو
 فاصرف الكأسَ مُشْفِيقاً ، أو فَوَاصِلُ

وقال :

فإِنَّكَ دُونَ الطَّيْرِ لِلسَّرِّ مَوْضِعُ
 نَتْنٌ فَنُصْغِي ، أَوْ تَحْنٌ فَتَسْمَعُ
 كَلَانَا غَرِيبٌ ، نازِحُ الدَّارِ ، مُوجِعُ
 وناءٍ على قَرَبِ الدِّيارِ مُرَوِّعُ
 وَأَنْتِ تُعَيِّي في الفُصُونِ وَتَسْجَعُ
 فَقَدْ تُمَسِّكُ العَيْنانِ والقَلْبُ يَدْمَعُ
 نَدٍ مِثْلُ أَيَّامِ الحَدَاثَةِ مُمَرِّعُ

أَبْشَكَ وَجَدِي يا حَما ، وَأودِعُ
 وَأَنْتِ مُعِينُ العاشِقِينَ على الهوى
 أَرَاكَ يَمَانِيًّا ، وَمَصْرُ خَمِيلَتِي
 هُمَا اثْنانِ : دَانٍ في التَّغْرُبِ آمِنُ
 وَمَنْ عَجِبَ الأشياءِ أَبْكِ وَأَشْتَكِي
 لَعَلَّكَ تُخْفِي الوَجْدَ ، أَوْ تَكْتُمُ الجَوَى
 شَجَاكَ صِغارٌ كَالجَّانِ وَمَوْطِنُ

إذا كان في الآجال طولٌ وفسحةٌ
وما الأهلُ والأحبابُ إلا لآلئُ
أُنْكِرْتِي . قلبي دليل وشاهدي
أسيرُكِ . لو يُفدَى فدته بجمعها
رماه إليك الدهرُ من حاليّ الهوى
ومن عجبٍ : يأسى إذا قلت : مُتَعَبٌ
لقتِ عَلِيماً بالغواني . وإنما
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَدْرَ فِي النَّاسِ شَائِعٌ
وَأَنَّ زِنَاعَ الرُّشْدِ وَالْعِيَّ حَالَةٌ
وَأَنَّ أَمَانِيَّ الْفُوسِ قَوَاتِلٌ
وَأَنَّ دُعَاةَ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ حُرْبُهُمْ

وقال :

تَأْتِي الدَّلَالُ سَجِيَّةً وَتَصْعَا
تَهْ كَيْفَ شَتَّ : فَمَا الْجَمَالُ بِحَاكِمِ
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوَشَاةُ مِنَ الْهَوَى
قَالُوا : لَقَدْ سَمِعَ الْغَزَالُ لَبْنَ وَشَى
أَنَا مَنْ يَجُوكَ فِي نِفَارِكَ مُؤَنَسَا
قَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبَاكَ الْهَوَى
وَصَدَقْتُ فِي حَيِّي . فَلَسْتُ مُبَالِيَا
يَا مَنْ جَرَى مِنْ مَقْلَتِهِ إِلَى الْهَوَى
اللَّهُ فِي كَبِدِ سَقَيْتَ بَارِعِ

فما البينُ إلا حادثٌ مُتَوَقَّعٌ
تُفَرِّقُهَا الْأَيَّامُ ، وَالسَّمُطُ يَجْمَعُ
فلا تُشْكِرُهُ ، فَهُوَ عِنْدَكَ مُودَعٌ
جَوَانِحُ فِي شَوْقٍ إِلَيْهِ وَأَضْلَعُ
يُذَالُ عَلَى سَفْحِ الْهَوَانِ وَيُوضَعُ
وَيَطْرَبُ إِنْ قُلْتَ : الْأَسِيرُ الْمُتَمَنِّعُ
هُوَ الْقَلْبُ ، كَالْإِنْسَانِ يُغْرَى وَيُخْدَعُ
وَأَنْ خَلِيلَ الْغَانِيَاتِ مُضِيعُ
نَجْمِي بِأَحْلَامِ الرِّجَالِ وَتَرْجَعُ
وَكثُرْتُهَا مِنْ كَثَرَةِ الزَّهْرِ أَصْرَعُ
زَمَانٌ بِهِمْ مِنْ عَهْدِ سَقْرَاطَ مُوَلَّعُ

وَأَرَاكَ فِي حَالِي دَلَالِكَ مُبْدِعَا
حَتَّى يُطَاعَ عَلَى الدَّلَالِ وَيُسْمَعَا
وَعَلَيَّ أَنْ أَهْوَى الْغَزَالَ مُرَوَّعَا
وَأَقُولُ : مَا سَمِعَ الْغَزَالُ . وَلَا وَعَى
وَيُحِبُّ نَيْهَكَ فِي نِفَارِكَ مَطْمَعَا
وَجَعَلْتُهَا أَمَلًا عَلَيْكَ مُضِيعَا
أَنْ أُمْتَحَ الدُّنْيَا بِهِ أَوْ أُمْتَعَا
صِرْفًا . وَدَارَ بَوَجْهِتِهِ مُشْتَعَشَعَا
لَوْ صَبَّحُوا رَضَوِي بِهَا لَتَصَدَّعَا

١ المشعشع : الشراب يمزج بالماء .

٢ راسبي : اسم جبل .

وقال :

رُدَّتْ الروحُ على المُضَيِّ معك
مَرَّ من بُعدِكَ ما رَوَّعَنِي
كم شكوتُ اليئسَ بالليل إلى
وبعثتُ الشوقَ في ريح الصَّبَا
يا نعيمي وعذابي في الهوى
أنتَ روحي ، ظَلَمَ الواشي الذي
مُوقِعِي عندَكَ لا أعلمُهُ
أَرْجِعُوا أنكَ شاكٍ مُوجِعُ
نامتِ الأعينُ ، إلا مُقَلَّةُ
أَحْسَنُ الأيامِ يومُ أَرْجَعَكَ
أُتْرَى يا حُلُوُّ بُعْدِي رَوَّعَكَ ؟
مَطْلَعُ الفجرِ عسى أَن يُطْلِعَكَ
فشكا الحُرْقَةَ مما استودَعَكَ
بعذولي في الهوى ما جَمَعَكَ ؟
زَعَمَ القلبُ سَلا ، أو ضَيَّعَكَ
آه لو تعلمُ عِنْدِي موقِعَكَ !!
ليت لي فوق الضَّنَا ما أوجَعَكَ
تَسْكُبُ الدمعَ ، وترعى مضجَعَكَ

وقال مشطراً حيث اجتمع بعض الأدباء في مجلس ، فذكر أحدهم بيتاً للـ
زهير وهو :

يقول : أناسٌ : لو وصفت لنا الهوى فوالله ما أدري الهوى كيف يوصف ؟

فقال :

يقول أناسٌ : لو وصفت لنا الهوى فقلت : لقد ذُقتُ الهوى ، ثم ذُقتُهُ
لعل الذي لا يعرفُ الحبَّ يعرفُ فوالله ما أدري الهوى كيف يوصف ؟

وقال :

عَلِّمُوهُ كيفَ يحْفُو فجفا
منسرفٌ في هجره ما ينتهي
جعلوا ذنبي لديه سَهْرِي
عرف الناسُ حقوقي عنده
ظالمٌ لا قِيْتُ منه ما كفى
أُتْراهم عَلِّمُوهُ السَّرَفَا ؟
ليتَ بَدْرِي إذ دَرَى الذنْبَ عفا
وغرِبي ما درى . ما عَرَفَا

صح لي في العمر منه موعدٌ
ويرى لي الصبر قلباً ما درى
مستهام في هواه مُدَنَفٌ
يا خليلي ، صفا لي حيلة
أنا لو ناديتُهُ في ذلةٍ
ثم ما صدقتُ حتى أخلفا
أنّ ما كلفني ما كلفا
يرضى مستهاماً مُدَنَفَا
وأرى الحيلة أن لا تُصفا
هي ذي روحي فخذها ، ما احتفى

وقال :

جئتُ بالشعور والأحداقِ
وهزّزنا القنا قُدوداً ، فأبلى
حبذا القسم في المحين قِسمي
حيلتي في الهوى وما أتمنى
لو يجازى الحبُّ عن قرطِ شوقي
وفتاة ما زادها في غريب الـ
ذقت منها حلواً ومرّاً ، وكانت
ضربتُ موعداً ، فلما التقينا
قلت : ما هكذا المواقفُ ، قالت :
عطفَها نحافتي ، وشجّها
فأرتي الهوى ، وقالت : خَشِينَا
يا فتاة العراق ، أكنتم من أن
لي قوافٍ تَعِفُّ في الحبِّ إلا
لا تَمْنَى الزمانُ منها مزيداً
حملني في الحبِّ ما شئتُ إلا
واسمحي بالعناق إن رضي الدلُّ

وقسمن الخطوط في العشاقِ
كل قلبٍ مُستضعفٍ خَفَّاقِ
لو يلاقون في الهوى ما ألّافي
حيلة الأذكىء في الأرزاقِ
لَجَزَيْتُ الكثيرَ عن أشواقِ
حسن إلا غرائب الأخلاقِ
لَذَّةُ العشق في اختلاف المذاقِ
جانبتي تقول : فيم التلاقي ؟
ليس للغانيات من ميثاقِ
شافعٍ بادرٍ من الآماقِ
والهوى شعبةٌ من الإشفاقِ
سَ . وأكني عن حبكم بالعراقِ
عنك . سارت جواب الآفاقِ
إن تمنيتُ أن تفكّي وثاقِ
حادث الصدّ ، أو بلاء الفراقِ
وساحت فانياً في العناقِ

وقال :

مُضَيٌّ وليس به حَرَائِكُ
وَيَمِيلُ من طَرَبٍ إِذَا
بَيْنَ الْجَمَالِ كَسَاكُ من
وَنَسَبَتْ بَيْنَ جَوَانِحِي
حُلُوَ الوَعُودِ . متى وفاك ؟
من كلِّ لَفْظٍ لو أَذِنَ
أَخَذَ الحَلَاوَةَ عن ثَنَا
ظُلماً أَقول : جَنَى الهوى
غَدَتَا مِئْنَةً من رَأْيِ
لكنْ يَخِفُّ إِذَا رَأَى
مَا مِلَتْ يَا غَصْنَ الأَرَاكِ
وَرَقِ الخَاسِنِ مَا كَسَاكَ
وَالقَلْبُ من دَمِ سَقَاكَ
أَتُرَاكَ مُنْجَرَّهَا مُرَاكَ ؟
سَتَ لِأَجَلِهِ قَبْلَتْ فَأَكِ
يَاكَ العِذَابُ ، وعن لَمَّاكَ
لم يَجُنْ إِلَّا مُقْلَتَاكَ
سَتَ ، وَرُحْتَ مِئْنَةً من رَأَى

وقال :

فَدَثْلُكَ الجَوَانِحُ من نَازِلِ
بَذَلْتَ لَهُ الجَفْنَ دُونَ الكَرَى
وَقَلْبِي : أَرَاكَ بِرَغَمِ العَذُولِ
فَوَيْحَ المَتِّيمِ !! حَتَّى الخِيَالِ
يَجُنُّ إِلَيْكَ ضُلُوعٌ عَفَتْ
وَقَلْبِي جَوٍ عِنْدَهَا خَافِقُ
وَمِنْ عَبَثِ العَشْقِ بالعَاشِقِينَ
غَفَلْتُ عَنِ الكَاسِ حَتَّى طَغَتْ
وَشَقَّتْ . وَمَا شَفَّ مِنِّي الضَّمِيرُ
يَظَلُّ نَدِيمِي يُسْقَى بِهَا
أَبَدُهَا كَرَمًا كَلَّمَ
وَأَهْلًا بِطَيْفِكَ من وَاصِلِ
وَمَنْ بالكَرَى للشَّجِي البَازِلِ ؟
فَنَابَ السُّهَادُ عَنِ العَاذِلِ
إِذَا زَارَ لم يَخْلُ من حَائِلِ
مِنَ البَيْنِ فِي جَسَدٍ نَاحِلِ
تَعَلَّقَ بِالسَّنَدِ المَائِلِ
حَنِينُ القَتِيلِ إِلَى القَاتِلِ
وَلِي أَدَبٌ لَيْسَ بِالغَافِلِ
وَأَيْنَ الجَمَادِ مِنَ العَاقِلِ ؟
وَيَشْرَبُ من خُلُقِي الفَاضِلِ
بَدَتْ لِي كَالذَّهَبِ السَّائِلِ

وقال :

لَا مَ فِكمْ غِذْوُهُ وَأَطَالَا
كُلَّ يَوْمٍ لَهمْ أَحَادِيثُ لَوْمٍ
بَعَثَ ذَكَرَكمْ . فَجَاءَتْ خِيفَاً
أَيَّهَا الْمُنْكَرُ الْغَرَامَ عَلَيْنَا
آيَةُ الْحَسَنِ لِلْقُلُوبِ تَجَلَّتْ
لَكَ نُصْحِي . وَمَا عَلَيْكَ جِدَالِي
وَهَبِ الرُّشْدَ أَنِّي أَنَا أَسْلُو

كَمْ إِلَى كَمْ يُعَالِجُ الْعُدَالَا ؟
بَدَأَتْ رَاحَةً ، وَعَادَتْ مَلَالَا
وَأَقْتَضَتْ هَجْرَكمْ ، فَرَاحتْ ثَقَالَا
حَسْبُكَ اللَّهُ ، قَدْ جَحَدَتْ الْجَمَالَا
كَيْفَ لَا تَعشَقُ الْعْيُونَ امْتِثَالَا ؟
آفَةُ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِدَالَا
مَا مِنْ الْعَقْلِ أَنْ تَرُومَ مَحَالَا

وقال :

بَاتَ الْمُعْنَى وَالِدَجَى يَتَلِي
وَالشُّهْبَ فِي كُلِّ سَبِيلٍ لَهُ
إِذَا رَعَاهَا . سَاهِيًا سَاهِرًا
يَا نِيلُ . قَدْ جُرْتُ . وَلَمْ تَعْدِلِ
تَنَقَّ لَوْ حُكِمْتَ فِي الصَّبْحِ أَنْ
أَوْشَعْتَ سَيْفًا فِي جِيوشِ الضَّحَى
أُبَيْتُ أَسْقَى وَيُدِيرُ الْخَوَى
تَحُدُّ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ قَيْضِهِ
وَلِشَوْقٍ نَارٌ فِي رَمَادِ الْأَسَى
وَالْقَلْبُ قَوَامٌ عَلَى أَضْلَعِي

وَالْبَرْحُ لَا وَإِنْ وَمَا مُنْجَلِي
بِمَوْقِفِ اللَّوَامِ وَالْعُدْلِ
رَعَيْنَهُ بِالْحَدَقِ الْعُقْلِ
مَا أَنْتَ يَا أَسْوَدُ إِلَّا خَلِي
تَفْعَلُ أَحْجَمْتَ فَلَمْ تَفْعَلِ
مَا كُنْتَ لِلْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ لِي
وَالكَأْسُ لَا تَفْنَى وَلَا تَمْتَلِي
يَشْرَبُ مِنْ عَيْنٍ وَمِنْ جَدُولِ
وَالْفَكْرُ يُذَكِّي . وَالْحَشَا يَصْطَلِي
كَأَنَّهُ النَّاقُوسُ فِي الْهَيْكَلِ

وقال :

أَنَا إِنْ بَدَأْتُ الرُّوحَ كَيْفَ أَلَامُ
عَمِلْتُ إِلَى قَلْبِي بِسَهْمٍ نَافِلِ

لَمَّا رَمَتْ فَأَصَابَتْ الْآرَامُ ؟
فِيهِ لِحْتُومُ الْقَضَاءِ سِهَامُ

يا قلبُ ، لا تجزع لحادثة الهوى
عرفت قلوب الناس قبلك : ما الجوى ؟
تجري العقول بأهلها ، فإذا جرى
ما كنت أعلم - والحوادثُ جمّة -
جئنا على كبدي وما عرضتها
ولقد أقول لمن يحث كئوسها
لم تجر بين جوانحي إلا كما

وقال :

هل يئِمَّ البانُ فؤادَ الحُمام
أم شقّه ما شقني فانشئ
يهزه الأيكُ إلى إلفه
وثوقد الذكرى بأحشائه
كذلك العاشقُ عند الدجى
له إذا هبَّ الجوى صرعة
يا عاديّ البين ، كفى قسوة
تلك قلوب الطير حملتها
لا ضرب المقدورُ أحبابنا
يا زمنَ الوصل ، لأنت المنى
لله عيشٌ لي وعيشٌ لها
وأنسٌ أوقاتٍ ظفرنا بها
لكنه الدهرُ قليلُ الجدَى
لو سامحتنا في السلام التوى
ولا نقضى العمران في وقفة

واصبر ، فما للحادثات دوام
وأذاقها قدرٌ له أحكام
كبت العقول وزلت الأحلام
أن الحوادث مُقلّة وقوام
كبدي ، عليك من البريء سلام
قعدت كئوسك والهموم قيام
جرت الدنان بها وسال الجّام

فناح فاستبكي جفون الغام ؟
مُبَلِّلَ البالِ شريدَ المنام ؟
هزّ الفراش المذنبُ المستهام
جمراً من الشوق حيث الضرام
يا للهوى مما يثير الظلام !
من دونها السحرُ وفعلُ المدام
روعت حتى مُهجات الحُمام
ما ضعفت عنه قلوبُ الأنام
ولا أعادينا بهذا الحُسام
وللمنى عقد ، وأنت النظام
كنت به سمحاً رخيّ الزّمام
في غفلة الأيام . لو دُمّت دام
مُضيعُ العهد . لئيمُ الدّمام
لطال حتى الحشر ذاك السلام
نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام

قالت وقد كاد يَمِيد الثرى
وغابت الأعينُ في دمعها
يا بينُ، وَلَى جَلْدِي فَأَتَيْتُ
فقلت والصبرُ يجاري الأسى
إن كان لي عنك هذا الهوى

وقال :

صريعُ جَفْنِكَ يَبْنِي عنهما التهما
الله في روح صَبَّ يَغْشِيَانِ بها
وَكُفْتُ عن قلبه المعمودِ نَبْلَهَا
سلوا غزالاً غزا قلبي يحاجبه
واستخيره: إلى كم نَارُ جَفْوَتِهِ؟
واستوهبه يَدًا في العمر واحدةً
ولا تَرَوْا منه ظلمًا أن يُضَيِّعَنِي

وقال :

زاد الكرى عن مقتلِكَ حَامُ
حيرانُ، مشوبُ المضاجعِ، لَيْلُهُ
بين الدَّجَى لكما وعادية الدَّجَى
تعاونان ، وللتعاون أُمَّةٌ
يا أيها الطيرُ الكثيرُ سَمِيرُهُ
عانقتُ أغصانًا، وعانقتُ الجوى
أَمْحَرَّمُ الأَجْفَانِ إِدْنَاءَ الكرى
حاولنَ منه إلى خيالك سُلْمًا

من هَذَّةِ الصبرِ وهَوْلِ المقامِ
ونالت الألسنُ إِلَّا الكلامَ :
ويا زماني، بعضُ هذا حرامِ
واللبُّ مأخوذٌ، ودمعي انسجامُ :
بأيِّمَا قلت كُتِمَ الغرامِ

فما رميت ولكن القضاء رمى
مَوَارِدَ الحُفِّ لم ينقل لها قدما
أليس عهدك فيه جَبَّةٌ ودما؟
أما كفى السيفُ حتى جَرَّدَ القلما؟
أما كفى ما جنت نَارُ الخدودِ أَمَا؟
ومَهَّدَا عُذْرَهُ عَنِّي إذا حرما
من ضَيَّعَ العَرَضَ المملوكُ ما ظلما

لَبَاهُ شوقُ ساهرٍ وغرامِ
حربٌ ، وليلُ النائمين سلامِ
مهجٌ تُوَلِّفُ بينها الأسقامِ
لا الدهرُ يخلطها ولا الأيامِ
هل ريشةٌ لجناحه فيقام؟
وشكوتُ ، والشكوى عليَّ حرامِ
يَهْنِكَ ما حرَّمتُ حين تنامِ
لو سَامَحَتْ بخيالك الأحلامِ

فَأَذَنْ لَطِيفِكَ أَنْ يُلِمَّ مُجَامِلًا . وَمُؤَمِّلٌ مِنْ طَيْفِكَ الْإِلَامِ

وقال :

شغلته أشغالٌ عن الآرام . وقضى اللبائنة من هوى وغرام .
ومضى يحرق على الهوى أذياله . ويلوم حامله مع اللوام .
ويذم عهد الغانيات كفافه . بعد الشفاء يذم عهد سقام .
لا تعجلن وفي الشباب بقية . إن الشباب مرّة الأحلام .
كانت إنابتك المريبة سلوة . نسجت على جرح بجنبك دامي .
إن الذي جعل القلوب أعنة . قاد الشيبة للهوى بزمام .
يا قلب أحمد - والسهام شديدة - . ماذا لقيت من الغزال الرامي ؟
تذري ، وتسألني تجاهل عارف : . أرنا بعين أم رمى بسهام ؟
ما زلت تركب كل صعب في الهوى . حتى ركبتي إلى هواك حامي .
وإذا القلوب استرسلت في عيها . كانت بليتها على الأجسام

وقال :

به سحر يُتيمُّه . كلا جفنيك يعلمه .
هما كادا لمهجته . ومنك الكيد معظمه .
تعذبه بسحرهما . وتوجده . وتعدمه .
فلا هاروت رق له . ولا مازوت يرحمه .
ويظلمه . فلا يشكو . إلى من ليس يظلمه .
أسر ، فات كماناً . وباح ، فخانه فمه .
فونج المدنف الممد . ود ، حتى البث يحرمه .
طويل الليل ، ترحمه . هواتفه وأنجمه .
إذا جد الغرام به . جرى في دمه دمه .

يكاد لطول صحبته	بعادي السقم يسقمه
ثنى الأعناق عوده	وألقى العذر لومه
قضى عشقا سوى رمي	إليك غدا يقدمه
عسى إن قيل: مات هوى	تقول : الله يرحمه
فتحيا في مراقدها	بلفظ منك أعظمه

* * *

بروحي البان يوم رنا	عن المقدور أعصمه
ويوم طعنت من عضم	معلمه منعته
قضاء الله نظرته	ولطف الله مبسمه
رمى، فاستهدفت كبدي	بي الرامي وأسهمه
له من أضلعي قاع	ومن عجب يسلمه
ومن قلبي وحيته	كناس بات يهدمه
غزال في يديه التيه	له بين الغيد يقسمه

وقال :

من صور السحر الممين عيوننا	وأحله حدقا لها وجفونا ؟
نظرت، فحلت بجاني، فاستهدفت	كبدي، وكان فوادي المعبونا
ورمت بسهم جال فيه جولة	حتى استقر، قرن فيه زينا
فلمست صدري محسا ومروعا	ولمست جني مشفقا وضينا
يا قلب، إن من البواتر أعينا	سودا، وإن من الجاذر عينا
لا تأخذن من الأمور بظاهر	إن الظواهر تخدع الرائنا
فلكم رجعت من الأسته سالما	وصدرت عن هيف القدود طعينا
وخميلة فوق الجزيرة مسها	ذهب الأصيل حواشيا ومثونا
كالثير ألقا ، والزرجد ربة	والمسك ثريا ، واللجين معينا

وقف الحيا من دونها مُسْتَأْذِنًا
وجرى عليها النيلُ يَقْدِفُ فَضَّةً
يُغري جوارِيَهُ بها ، فَيَجْتَنُّهَا
راع الظلامُ بها أوانسَ تَرْتَمِي
يَخْطُرْنَ في ساحِ القلوبِ عواليًا
عَفْنُ الذبولِ من الحريرِ وغيره
عارضتُهُنَّ ولي فَوَادٍ عَرْضَةٌ
فَنظَرْنَ لَا يَدْرِينَ : أَذْهَبُ يَسْرَةً
وَنَفَرْنَ مِنْ حَوْلِي وَبَيْنَ حَبَائِلِي
فَجَمَعْتُهُنَّ إِلَى الْحَدِيثِ بِدَائِهِ
وسمعتُ من أهوى تقول لِتَرْبِهَا :
قالت : أَرَاهُ عِنْدَ غَايَةِ وَجْدِهِ

ومشى النسيمُ بظَلِّهَا مَأْذُونًا
نَثْرًا ، وَيَكْسِرُ مَرَمَرًا مَسْنُونًا
وَيُغَيِّرُهُنَّ بِهَا ، فَيَسْتَعْلِينَا
مثلَ الطباءِ من الرُّبَى يَهْوِينَا
وَيَمِلْنَ فِي مَرَأَى الْعَيُونِ غُصُونًا
وَسَخَّيْنَ ثُمَّ الْأَسَّ وَالنَّسْرِينَا
لهوى الجَاذِرِ دَانَ فِيهِ وَدِينَا
فَيَحْدِنَ عَنِّي ، أَمْ أَمِيلُ يَمِينًا ؟
كَالسَّرْبِ صَادَفَ فِي الرُّوَّاحِ كَمِينَا
فَغَضِبْنَ ، ثُمَّ أَعَدَّتْهُ فَرُضِينَا
أُخْرَى بِأَحْمَدَ أَنْ يَكُونَ رَزِينًا
فَلَعَلَّ لَيْلَى تَرْحِمُ الْمُجَنُونَا

وقال :

أَذْعَنَ لِلْحُسْنِ عَصِيَّ الْعِنَانِ
يعيش جفناك لَبْتُ الْمُنَى
يَا مُسْرِفًا فِي الثَّيِّهِ مَا يَنْتَهِي
وَيَا كَثِيرَ الدَّلَلِ فِي عِزِّهِ
وَيَا شَدِيدَ الْعُجْبِ ، مَهْلًا ، فَا

وحاولتُ عيناك أَمْرًا فَكَانَ
أَوْ الْأَسَى فِي قَلْبِ رَاجٍ وَعَانَ
أَخَافُ أَنْ يَفْنَى عَلَيْنَا الزَّمَانُ
لَا تَنْسَ لِي عِزِّي قُبَيْلَ الْهَوَانِ
مِنْ مُنْكَرٍ أَنْكَ زَيْنُ الْحِسَانِ

وقال :

يَا حَسَنَهُ بَيْنَ الْحِسَانِ فِي شَكْلِهِ إِنْ قِيلَ : بَانَ

١ الترب بالكسر : ما ولد معك ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة إذا كانت على سنّها .

كالبدْرِ تأخذه العيو
مَلِكُ الجَوَانِحِ والفوا
ومَنَائِي مِنْهُ نَظَرَةٌ
فَعَسَى يُزَكِّي حُسْنَهُ
فَدَعُوهُ يَغْدِلُ أَوْ يَجُو
حَقُّ الدَّلَالِ لِمَنْ لَهُ
نُ وَمَا لَهْنَ بِهِ يَدَانُ
دَ فَنِي يَدِيهِ الخَافِقَانُ
فَعَسَى يُشِيرُ الخَاجِبَانُ
مَنْ لَا لَهُ فِي الحَسَنِ ثَانُ
رُ ؛ فَإِنَّهُ مَلِكُ العِثَانِ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مَكَانُ

وقال :

يَا نَاعِمًا رَقَدْتَ جُفُونُهُ
حَمَلَ الهَوَى لَكَ كُلَّهُ
عُدَّ مُتَعَمًّا، أَوْ لَا تَعُدَّ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الهَوَى
رَشَا يُعَابُ السَّاحِرُو
الروحُ مِلْكُ يَمِينِهِ
مَا الْبَانُ إِلَّا قَدُهُ
ويزِينُ كُلَّ يَتِيمَةٍ
مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ
بَاتَ الْغَرَامُ يَدِينُنَا
بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنُنَا
نَغْتَابُهُ وَنَقُولُ: لَا
مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا شُجُونُهُ
إِنْ لَمْ تُعْنَهُ فَمَنْ يُعِينُهُ؟
أَوْدَعْتَ سِرَّكَ مَنْ يَصُونُهُ
سَبَبُ سَيَجْمَعُنَا مَتِينُهُ
نَ وَسَحَرَهُمْ، إِلَّا جُفُونُهُ
يَقْدِيهِ مَا مَلَكْتَ يَمِينُهُ
لَوْ تَيَّمْتَ قَلْبًا غَصُونُهُ
فَمُهُ، وَتَحَسَّبَهَا تَرْيُونُهُ
كَانَ الصَّبَاحَ لَهَا جَبِينُهُ
فِيهَا كَمَا بَتْنَا نَدِينُهُ
وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
بَقِيَ الرَّقِيبُ وَلَا عِيُونُهُ

وقال :

صَحَا الْقَلْبُ، إِلَّا مِنْ خُجَارِ أَمَانِي
حَنَانِكَ قَلْبِي، هَلْ أُعِيدُ لَكَ الصَّبَا؟
يَجَادُّنِي فِي الْغَيْدِ رَثُّ عِنَانِي
وَهَلْ لِلْفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانُ؟

نحنُ إلى ذاك الزمانِ وطيبه
إذا لم تُصنْ عهداً، ولم تُرَجْ ذمةً
أتذكرُ إذ تُعطي الصَّباةَ حقَّها
وأنتَ خُفوقٌ ، والحبيبُ مباعِدُ
وأيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوى
لقد كنتُ أشكو من خُفوقك دائماً
سقاءك التَّصابي بعد ما علَّك الصَّبا
وما زلتُ في رِنجِ الشَّبابِ ، وإنما
ولا أكذبُ الباري، بنى الله هيكلي
أدينُ إذا اقتادَ الجلالُ أزمَتي

وقال :

الله في الخلق من صَبٍّ ومن عاني
صوني جبالك عتاً إننا بشرُ
أو فابتغي فلَكا تأويته ملكاً
ينساب في النور مشغولاً بصورته
إذا تبسّم أبدى الكونُ زينته
وأشرفي من سماء العزِّ مشرقةً
عسى تُكفُّ دموعُ فيك هاميةً
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتها
أتذكرين حنّني في الزمان لها
وعُطّبي الطيرَ ألقاه أصبحُ به :

وهل أنتَ إلا من دمٍ وحَنانٍ؟
ولم تذكُرْ إلهاً ، فليستَ جَناني
ونشربُ من صرفِ الهوى بدينانٍ؟
وأنتَ خُفوقٌ ، والحبيبُ مَدانٍ؟
وأنتَ قَوادي عند كلِّ رِهانٍ
فولّي ، فيا لهفي على الخُفوقانِ
فكيف ترى الكأسين تختلفانِ؟
يشيبُ الفتى في مصرٍ قبلَ أوانٍ
صنِعةُ إحسانٍ ، ورقٌّ حِسانٍ
وأعنو إذا اقتادَ الجميلُ عِنايَ

تفنى القلوبُ ويبقى قلبُك الجاني
من الترابِ، وهذا الحسنُ روحاني
لم يتخذَ شركاً في العالمِ الفاني
مُنعماً في بديعاتِ الحُلَى هاني
وإن تنفّسَ أهدى طيبَ رِيحانٍ
بمنظرٍ ضاحكٍ اللّلاءِ قَتانٍ
لا تطلُعُ الشمسُ والأنداءُ في آنٍ
فُرُحتُ أشوقُ مُشتاقٍ لأوطانٍ
وسكّبي الدَّمعُ من تذكارها قاني؟
ليت الكريمُ الذي أعطاك أعطاني؟

وقال :

قلبُ بوادي الحمى خَلَفْتَهُ رَمَقاً
أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْكُثْبَانِ ، فَأَتَّخِذِي
عَرْنَتَهُ ، فَوَهْمِي جَنَّتِي لِفُرْقَتِهِ
لَا رَدَّهَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ ، وَمَنْ خَبَلَ
دَلْهَتَهُ بِعَزِيزٍ فِي مَحَاجِرِهِ
رَمَى فَضَجَّتْ عَلَى قَلْبِي جَوَانِحُهُ
بِأُصُورَةِ الْخُورِ فِي جِلْبَابِ فَانِيَةٍ
مُرِّي عَصِيَّ الْكَرَى يَغْشَى مُجَامَلَةً
فَحَسِبُ خَدَّتِي مِنْ عَيْنِي مَا شَرِبَا

وقال :

قالوا له : رُوحِي فِدَاهِ
أَنَا لَمْ أَقُمْ بِصُدُودِهِ
تَجْرِي الْأُمُورُ لِمَغَايَةِ
سَمِيئَتِهِ بِدَرِّ الدُّجَى
وَدَعُوئِهِ غَصْنَ الرِّبَا
وَأَقُولُ عَنْهُ : أَخُو الْغَرَا
قَالَ الْعَوَازِلُ : قَدْ جَفَا
أَنَا لَوْ أَطَعْتُ الْقَلْبَ فِيهِ
وَالنَّصِيحُ مُتَّهَمٌ وَإِنْ
أُذِنُ الْفَتَى فِي قَلْبِهِ

هذا التَّجَنِّيُّ مَا مَدَاهِ ؟
حَتَّى يُحْمَلَنِي نَوَاهِ
إِلَّا عِذَايَ فِي هَوَاهِ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ لَا أَرَاهِ
ضِ ، فَلَمْ أَجِدْ رَوْضاً حَوَاهِ
لِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا أَخَاهِ
مَا بَالُ قَلْبِكَ مَا جَفَاهِ ؟
لَمْ أَزِدْهُ عَلَى جَوَاهِ
نَشَرْتُهُ كَالدَّرِّ الشَّفَاهِ
حِيناً ، وَحِيناً فِي نُهَاهِ

وقال :

مقاديرُ من جَفْتِكَ حَوْلَنَ حاليا
نفذنُ عليَّ اللبَّ بالسهم مُرْسَلًا
وَأَلْبَسْتَنِي ثوبَ الضَّنَى فلبسته
وما الحبُّ إِلَّا طاعةٌ وتجاوزُ
وما هو إلا العينُ بالعينُ تلتقي
وعندي الهوى ، موصوفه لا صفاته
وبي رَشَأٌ قد كان دنيائِ حاضِرًا
سمحتُ بِرُوحِي في هواه رخيصةً
ولم تَجِرِ أَلْفَاظُ الوشاةِ بريئةً
أقول لمن ودَّعتُ والركبُ سائرُ :
أماناً لقلبي من جفونك في الهوى
ولا تجعليه بين خديك والنوى
ولم يَنلملُ من طعنة القَدِّ جُرحه

وقال :

أهلَ القُدودِ التي صالت عَواليها
خُذْنِ الأمانَ لها لو كان ينفعها
وانظرنَ ما فعلتُ أَحداً فُكُنَّ بها
تعرَّضتُ أعينُ مِنَّا ، فعارَضنا
ما تُرْكن من كُنسٍ إِلَّا إلى كُنسٍ

الله في مُهَجٍ طاحت عَواليها
واردُدْناها كَرَمًا لو كان يُجديها
ما كان من عَبَثِ الأَحداقِ يكفيها
على الجزيرة سِرْبٌ من عَوانيها
من الجوانح صَمَّتْها حَوانيها

١ الكس : جمع كناس ، وهو بيت الظبي .

عَتَتْ لَنَا أَصْلًا ، تُعْرِى بِنَا أَسْلًا
وَأَرْهَفَتْ أَعْيُنًا ضَعْفَى حِمَائِلُهَا
لَنَا الْحَبَائِلُ تُلْقِيهَا نَصِيدُهَا
نَصَبْنَاهَا لَكَ مِنْ هُذْبٍ وَمِنْ حَدَقٍ
مِنْ كُلِّ زَهْرَاءٍ فِي إِشْرَاقِهَا ضَحِكَتْ
شَمْسُ الْحَاسَنِ يُسْتَبْقَى النَّهَارُ بِهَا
مَشَتْ عَلَى الْجَسْرِ رِيماً فِي تَلْقُفِهَا
كَأَنَّ كُلَّ غَوَانِيهِ ضَرَّائِرُهَا
عَارِضُهَا وَضَمِيرِي مِنْ مَحَارِمِهَا
أَعَفْتُ مِنْ حَلْيِهَا عَمَّا يُجَاوِرُهَا
قَالَتْ : لَعَلَّ أَدِيبَ النَّيْلِ يُحَرِّجُنَا
بَنِي وَبَيْنَكَ أَشْعَارُ هَفْتُهَا
وَالْقَوْلُ إِنْ عَفَّ أَوْ سَاءَتْ مَوَاقِعُهُ

وقال :

أَدَارِي الْعِيُونَ الْفَاتِرَاتِ السَّوَاجِيَا
قَتْلَنَ وَمَنِينَ الْقَتِيلَ بِاللَّسْنِ
وَكَلَّمَنَ بِاللَّحَاطِ مَرْضَى كَلِيلَةً
حَبِيبَتِكَ ذَاتَ الْحَالِ ، وَالْحَبُّ حَالَةٌ
وَإِنَّكَ دُنْيَا الْقَلْبِ مِمَّا عُدْرَتُهُ
صُدُودُكَ فِيهِ لَيْسَ بِالْوَهِّ جَارِحاً

مَهْزُوزَةٌ شَكْلًا ، مَشْرُوعَةٌ نِيهَا
نَشَوَى مَنَاصِلُهَا ، كَحَلَى مَوَاضِيهَا
وَلَمْ نَحُلْ ظَلِيَّاتِ الْقَاعِ تَلْقِيهَا
حَتَّى انْتَشَبَتْ بِنَفْسٍ عَزَّ فَادِيهَا
لَبَّائِهَا عَنْ شَبِيهِ الدَّرِّ مِنْ فِيهَا
كَأَنَّ يُوشَعَ مَفْتُونٌ يُجَارِيهَا
لِلنَّاطِرِينَ ، وَبَانَا فِي تَشْبِيهَا
عُجْبًا ، وَكُلَّ نَوَاحِيهِ مَرَاثِيهَا
يَزُورُ عَنْ لِحْظَاتِي فِي مَسَارِيهَا
وَمِنْ غَلَائِلِهَا عَمَّا يُدَانِيهَا
فَقُلْتُ : هَلْ يُحَرِّجُ الْأَقْمَارَ رَائِيهَا
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الرِّيمَ يَرُويهَا
صَدَى السَّرِيرَةِ وَالْآدَابِ يَحْكِيهَا

وَأَشْكُو إِلَيْهَا كَيْدَ إِنْسَانِيهَا لِيَا
مِنَ السَّحَرِ يُبْدِلُنَ الْمَنَاطِيَا أَمَانِيَا
فَكَانَتْ صِحَاحًا فِي الْقُلُوبِ مَوَاضِيَا
إِذَا عَرَّضْتَ لِلْمَرْءِ لَمْ يَذَرِ مَا هِيَ
أَتَى لَكَ مَمْلُوءًا مِنَ الْوَجْدِ وَافِيَا
وَلَفْظُكَ لَا يَنْفَكُ لِلْجَرَحِ آسِيَا

١ يقال : شكلت المرأة شكلاً : كانت ذات شكل أي غنج ودلال وغزل .

وَبَيْنَ الْهَوَى وَالْعَذْلِ لِلْقَلْبِ مَوْقِفٌ	كَخَالِكِ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّارِ ثَاوِيًا ^١
وَبَيْنَ الْمُنَى وَالْيَأْسِ لِلصَّبْرِ هِزَّةٌ	كَحَصْرِكَ بَيْنَ التَّهْدِ وَالرَّدْفِ وَاهِيَا
وَعَرَضَ بِي قَوْمِي ، يَقُولُونَ : قَدْ غَوَى	عَدِمْتُ عَذُولِي فَيْكِ إِنْ كُنْتُ غَاوِيَا
يَرُومُونَ سُلُوانًا لِقَلْبِي يُرِيحُهُ	وَمَنْ لِيَ بِالسُّلُوانِ أَشْرِيهِ غَالِيَا ؟
وَمَا الْعَشَقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثُمَّ شِقْوَةٌ	كَمَا شَقِيَّ الْخَمُورُ بِالسُّكْرِ صَاحِيَا

١

١ يعني الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد - وهي كناية عن الحمرة - وبين سيف الغمد وهو معروف .

متفرقات

مَصَائِرُ الْأَيَّامِ

أَلَا حَبْدًا صُحْبَةُ الْمَكْتَبِ وَأَحِبُّ بِأَيَّامِهِ أَحِبُّ !
 وَيَا حَبْدًا حَبِيبَةً يَمْرُوحُ ن ، عَيْنُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ صَبِي
 كَأَنَّهُمْ بَسَاتُ الْحَيَاةِ ق ، وَأَنْفَاسُ رِيحَانِهَا الطَّيِّبِ
 يُرَاحُ وَيُغْدَى بِهِمْ كَالْقَطِيعِ ج ، عَلَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ
 إِلَى مَرْتَعٍ أَلْفَاوَا غَيْرَهُ و راعٍ غَرِيبٍ الْعَصَا أَجْنَبِي
 وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ قِيودِ الْحَيَاةِ ق ، شَدِيدٍ عَلَى النَّفْسِ مُسْتَصْعَبِ
 فِرَاحٍ بِأَيْكٍ : فَن تَاهَضِي يَزُوضُ الْجَنَاحَ ، وَمَنْ أَرْعَبِ
 مَقَاعِدَهُمْ مِنْ جَنَاحِ الزَّمَا ن ، وَمَا عَلِمُوا خَطَرَ الْمَرْكَبِ
 عَصَافِيرُ عِنْدَ تَهْجِي الدُّرُ س ، مِهَارٌ عَرَابِيدُ فِي الْمَلْعَبِ
 خَلِيلُونَ مِنْ تَبَاعَتِ الْحَيَاةِ ق ، عَلَى الْأُمِّ يُلْقُونَهَا وَالْأَبِ
 جَنُونَ الْحَدَاثَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ تَضِيقُ بِهِ سَعَةُ الْمَذْهَبِ
 عَدَا فَاسْتَبَدَّ بِعَقْلِ الصَّبِيِّ وَأَعْدَى الْمُؤَدَّبِ حَتَّى صَبِي !
 لَهُمْ جَرَسٌ مُطْرَبٌ فِي السَّرَا ح ، وَلَيْسَ إِذَا جَدَّ بِالْمَطْرَبِ
 تَوَارَتْ بِهِ سَاعَةٌ لِلزَّمَا ن ، عَلَى النَّاسِ دَائِرَةُ الْعَقْرِبِ
 تَشُولُ بِإِبْرَتِهَا لِلشَّبَا ب ، وَتَقْدِفُ بِالسَّمِّ فِي الشَّيْبِ
 يَدُقُّ بِمِطْرَقَتَيْهَا الْقَضَا ع ، وَتَجْرِي الْمَقَادِيرُ فِي اللَّوْبِ
 وَتَلُكُ الْأَوَاعِي بِأَيَّامِهِمْ حَقَائِبُ فِيهَا الْغَدُ الْمُخْتَبِ ٣

١ المهار : جمع مهر ، والعراويد جمع عرييد بالكسر ، والعرييد الكثير العريدة .

٢ تشول : ترفع ، أخذاً من قولهم : شالت الناقة ذنبها إذا رفعت .

٣ الإيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليمنى .

ففيها الذي إن يُقِم لا يُعَدَّ من الناس ، أو يَمُض لا يُحَسَب
وفيها اللّواء ، وفيها المنا ر ، وفيها التّبيع ، وفيها التّبي
وفيها المؤخّر خلف الرّحا م ، وفيها المقدّم في الموكب

* * *

جميلٌ عليهم قشيبُ الثّيا ب ، وما لم يُجَمَل ولم يَقسَب
كساهم بَنانُ الصّبا حُلَّةً أَعَزَّ من الخملِ المذهب
وأبهى من الورد تحت الندى إذا رفَّ في فرعه الأهدب
وأطهر من ذيلها لم يَلَمَّ من الناس ماشٍ ، ولم يَسَحَب

* * *

قطيعٌ يُزجّيه راعٍ من الدهر ر ، ليس بَلَيْنٍ ولا صُلْب
أهابت هِرواثه بالرّفا ق ، ونادت على الحيدِ الهرب
وصرفَ قطعانه ، فاستبدَّ ولم يَخشَ شيئاً ، ولم يَرَهَب
أراد لمن شاء رَعِي الجديب ب ، وأنزلَ من شاء بالمُخصب
وروى على رِيها التّاهلا ت ، وردَّ الظّماء فلم تُشرب
وألقى رِقاباً إلى الضاريب ن ، وضمَّن بأخرى فلم تُضرب
وليس يبالى رضا المستريد ح ، ولا ضَجَرَ الناقمِ المتعب
وليس بمُتقى على الحاضريد ن ، وليس ببالٍ على العيب

* * *

فيا وَيَحَهُم ! هل أَحَسُّوا الحيا ة ؟ لقد لعبوا وهي لم تَلْعَب
تَجَرَّبُ فيهم وما يعلمو ن ، كتجربة الطبِّ في الأرنب
سَقَتَهُم بِسَمِّ جرى في الأصو ل ، وروى الفروع ولم يَنْضَب
ودار الزمانُ ، فدالَ الصّبا وشبَّ الصّغارُ عن المكتب

وَجَدَ الطَّلَابُ ، وكَذَّ الشبا
وعادت نواعِمُ أَيامِهِ
وعُذِّبَ بالعلم طُلَّابُهُ
رَمَتْهُمْ به شهواتُ الحيا
وزهو الأَبْوَةِ من مُنْجَبٍ
وعقلٌ بعيدُ مرامي الطما
ولَوْعُ الرِّجاءِ بما لم تَلْ
تَقَلَّ كالنَّجمِ من غَيْهَبٍ
قديمُ الشُّعاعِ كشمسِ النِّها
أَبوقراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيدِ
وكُلُّهُمُو حَجَرٌ في البنا

* * *

تَوَلَّفَهُمْ في ظلالِ الرِّخا
وتكسِرُ فيهم غرورَ الثِّرا
بيوتُ مُنْزَهَةٍ كالعتيدِ
يُداني ثراها تَرى مَكَّةَ
إذا ما رَأَيْتَهُمُو عندها
رَأَيْتَ الحِصَارَةَ في حِصْنِها
وتَعْرِضُهُم مَوَكِبًا مَوَكِبًا
دَعِ الحِظَّ يَطْلُعْ به في غَدِ
لَقَدْ زَيْنَ الأَرْضَ بالعَبْقَرِيِّ

* * *

وَخَدَّشَ ظَفَرُ الزَّمانِ الوجو
وغال الحِدَاثَةُ شَرَحُ الشبا
وَغِيَضَ من بشرِها المُعْجِبَ
بِ ، ولوشيتِ المُرْدُ في الشَّيبِ

سَرَى الشَّيْبُ مُتَّئِدًا فِي الرُّوْ
 حَرِيقٌ أَحَاطَ بِخَيْطِ الْحَيَا
 وَمَنْ تَظْهَرِ النَّارُ فِي دَارِهِ
 قَدْ انصَرَفُوا بَعْدَ عِلْمِ الْكِتَا
 حَيَاةٌ يُغَامِرُ فِيهَا أَمْرُو
 وَصَارَ إِلَى الْفَاقَةِ ابْنُ الْغَنِيِّ
 وَقَدْ ذَهَبَ الْمُتَلَيِّ صِحَّةً
 وَكَمْ مُتَجَبِّ فِي تَلْقَى الدُّرُو
 وَغَابَ الرِّفَاقُ ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
 إِلَى أَنْ قَنُوا ثَلَّةً

سَ سَرَى النَّارِ فِي الْمَوْضِعِ الْمُعْشَبِ
 ة ، تَعَجَّبْتُ كَيْفَ عَلَيْهِمْ عَمِي ؟
 وَفِي زَرْعِهِ مِنْهُمْ يَرْعَبُ
 بَ لِابٍ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُكْتَبْ
 تَسْلَحَ بِالثَّابِ وَالْمِخْلَبِ
 وَلَا قَى الْغَنَى وَلَدُ الْمُتْرَبِ
 وَصَحَّ السَّقِيمُ فَلَمْ يَذْهَبْ
 سَ تَلْقَى الْحَيَاةَ فَلَمْ يُنْجِبْ
 بِهِمْ لَكَ عَهْدٌ ، وَلَمْ تَضْحَبْ
 فَنَاءَ الشَّرَابِ عَلَى السَّبَبِ

لُبَّان

السَّحْرُ مِنْ سُودِ الْعَيُونِ لَقِيَتْهُ
 الْفَاتِرَاتِ وَمَا قُتِرْنَ رِمَاةُ
 النَّاعَسَاتِ الْمَوْقِظَاتِي لِلْهَوَى
 الْقَاتِلَاتِ بَعَابِثٍ فِي جَفْنِهِ
 الشَّارِعَاتِ الْهَدْبِ أَمْثَالَ الْقَنَا
 النَّاسِجَاتِ عَلَى سِوَاءِ سَطُورِهِ

وَالْبَابِلِيُّ بِالْحَظْهَنْ سَقِيَتْهُ
 بِمُسَدَّدٍ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَبِيَتْهُ
 الْمُتَغْرِيبَاتِ بِهِ وَكُنْتُ سَلِيَتْهُ
 ثَمَلِ الْغَرَارِ مُعْرِيدِ إِضْلِيلَتِهِ
 يُحْيِي الطَّعِينِ بِنَظَرَةٍ وَيُمِيتُهُ
 سَقَمًا عَلَى مَنَاهِنِ كُسِيَتْهُ

* * *

وَأَغْنَى أَكْحَلَ مِنْ مَهَا « بِكُفَيْتِهِ »
 عَلِقَتْ حَاجِرُهُ دَمِي وَعَلِقَتْهُ

لُبْنَانُ دَارَتْهُ وَفِيهِ كِنَاسُهُ
السَّلسِيلُ مِنَ الْجَدَاوِلِ وَزُدُّهُ
إِنْ قُلْتُ تَمَثَّلَ الْجَمَالَ مُنْصَبًا
دَخَلَ الْكَنِيسَةَ فَارْتَقَبْتُ فَلَمْ يُطَلْ
فَازْوَرِ غَضَبَانًا وَأَعْرَضْ نَافِرًا
فَصَرَفْتُ تَلْعَابِي إِلَى أَتْرَابِهِ
فَشَى إِلَيَّ وَلَيْسَ أَوَّلَ جَوْدَرٍ
قَدْ جَاءَ مِنْ سَحَرِ الْجَفُونِ فَصَادَنِي
لَمَّا ظَفَرْتُ بِهِ عَلَى حَرَمِ الْهَدْيِ
قَالَتْ تَرَى نَجْمَ الْبَيَانِ فَقُلْتُ بَلْ
بَلَغَ السُّهْلُ بِشَمُوسِهِ وَبَدُورِهِ
مِنْ كُلِّ عَالِي الْقَدْرِ مِنْ أَعْلَامِهِ
حَامِي الْحَقِيقَةِ ، لَا الْقَدِيمِ يُثَوِّدُهُ
وَعَلَى الْمَشِيدِ الْفَخْمِ مِنْ آثَارِهِ
فِي كُلِّ رَايَةٍ وَكُلِّ قَرَارَةٍ
أَقْبَلْتُ أَبْكِي الْعِلْمَ حَوْلَ رَسُومِهِمْ

لُبْنَانُ وَالْخُلْدُ ، اخْتِرَاعُ اللَّهِ لَمْ
هُوَ ذِرْوَةُ فِي الْحَسَنِ غَيْرِ مَرْوَمَةٍ
مَلِكُ الْهَضَابِ الشَّمُّ سُلْطَانُ الرُّبَى
سَيْنَاءُ شَاطِرُهُ الْجَلَالُ فَلَا يُرَى
وَالْأَبْلَقُ الْفَرْدُ انْتَهَى أَوْصَافُهُ
جَبَلَ عَنْ آذَانِ يُزْرَى صَيْفُهُ

* * *
يُوسَمُ بِأَزِينٍ مِنْهَا مَلَكُوتُهُ
وَذَرَا الْبِرَاعَةِ وَالْحِجَى «بَيْرُوتُهُ»
هَامُ السَّحَابِ عَرُوشُهُ وَثُخُونُهُ
إِلَّا لَهُ سُبْحَاتُهُ وَسُمُوتُهُ
فِي السُّودِّ الْعَالِي لَهُ وَنُعُوتُهُ
وَشَتَاؤُهُ يَبْدُ الْقَرَى جَبْرُوتُهُ

١ المسبحة : الأنوار الإلهية ومواضع السجود . والسمت : هيئة أهل الخير .

أبهى من الوشي الكريم مروجهُ
يغشى روابيه على كافورها
وكان أيام الشباب ربوعه
وكان ريعان الصبا ريعانه
وكان أئداء النواهد تينه
وكان همس القاع في أذن الصفا
وكان ماءهما وجرس لجينه
والدُّ من عطلي الثُحور مُروته^١
مسك الوهاد فتيقه وفتيته^٢
وكان أحلام الكعاب بيوته
سير السرور يجوده ويقوته
وكان أقرط الولائد توته
صوت العتاب ظهوره وخفوته^٣
وضح العروس تبينه وتصيته^٤

* * *

زعماء لبنان وأهل نديه
قد زادني إقبالكم وقبولكم
تاج النيابة في رفيع رؤوسكم
«موسى» عدو الرق حول لوائكم
أتم وصاحبكم إذا أصبحتمو
هو غرة الأيام فيه ، وكلكم
لبنان في ناديكو عظمته
شرفاً على الشرف الذي أوليته
لم يُشر لؤلؤه ولا ياقوته
لا الظلم يزهبه ، ولا طاغوته
كالشهر أكمل عده موقوته
آحاده في فضلها وسبوته

المؤتمر*

صرح على الوادي المبارك ضاحي مُظَاهِرُ الأَعْلَامِ والأَوْضاحِ

- ١ عطل النحر من الخلى : خلا . والمروت : جمع مروت وهي المفازة بلا نبات .
 - ٢ فتق المسك : استخرجه بشيء يدخله عليه . والفتيت : المفتوت .
 - ٣ ينبوعان في لبنان .
 - ٤ الجرس : الصوت . الوضع : حلى من الفضة . نصيته : يجعله يصوت .
 - ٥ موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبناني .
- * مؤتمر سياسي اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برئاسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ .

ضافي الجلالة كالعتيق مُفضل
 وكان رَفَرَفَهُ رِواقٌ من ضحى
 الحقُّ خَلْفَ جَنَاحٍ اسْتَدْرَى به
 هو هَيْكَلُ الحَرِيَةِ القَانِي ، له
 يَبْنِي كما بُنِيَ الخَنَادِقُ في الوغى
 يَنْهَارُ الاستِبدادُ حَوْلَ عِراضِهِ
 وَيُكَبُّ طَاعُونَُ الأُمُورِ لَوَجْهِهِ
 هو ما بَنَى الأَعْزَالَ بِالرَّاحَاتِ ، أو
 أَخَذَتْهُ مِصرُ بِكُلِّ يَوْمٍ قَانِمٍ
 هَبَّتْ سِيحاً بِالْحَيَاةِ شَبَابِهَا
 وَمَشَتْ إِلَى الخَيْلِ الدَّوَارِغِ وَانْبَرَتْ
 وَقَفَاتٌ حَقٌّ لَمْ تَقْفُهَا أُمَّةٌ
 وَإِذَا الشُّعُوبُ بَنَوْا حَقِيقَةَ مُلْكِهِمْ

بشرى إلى الوادي تَهْزُ نَبَاتُهُ
 تسري مَلْمَحَةُ الحِجُولِ عَلَى الرُّبَى
 التَّامَتْ الأَحْزَابُ بَعْدَ تَصَدُّعِ
 سُحْبَتِ عَلَى الأَحْقَادِ أَذْيَالُ الهَوَى
 وَجَرَتْ أَحَادِيثُ العَتَابِ كَأَنَّهَا
 تَرْمِي بِطَرْفِكَ فِي الحَاجِمِ لَا تَرَى

هَزَّ الرِّبْعَ مَتَاكِبَ الأَدْوَاكِ
 وَتَسِيلُ عُرَّتُهَا بِكُلِّ بِطَاحٍ
 وَتَصَافَتِ الأَقْلَامُ بَعْدَ تَلَاحِي
 وَمَشَى عَلَى الصَّغْنِ الْوَدَادُ الْمَاحِي
 سَمَرٌ عَلَى الأَوْتَارِ وَالْأَقْدَاحِ
 غَيْرَ التَّعَاتِقِ وَاشْتَبَاكَ الرَّاحِ

١ صلاح : اسم لكمة .

٢ الحِجُول : الخلائيل .

شمسَ النهار ، تعلَّمي الميزانَ من
ميلي انظرْ به في التَّديِّ كأنَّه
كم تاجٌ تضحيةٌ وتاجُ كرامةٍ
والشَّيبُ مُبْتَنٍ كنور الحقِّ من
لَبَّى أَذَانَ الصُّلْحِ أَوَّلَ قائمٍ
سبقَ الرِّجَالَ مُصَافِحاً ومُعَانِقاً
عدلى الجليل ابن الجليل من الملا
حلُّو السَّجِيَّةَ في قنَاةٍ مرَّةٍ

* * *

شَتَّى فضائلَ في الرجال ، كأنَّها
فإذا هي اجتمعت لِملِكٍ جَبْهَةً
اللهُ أَلْفَ للبلادِ صدورها
وزراءُ مملكةٍ ، دَعَائِمُ دولةٍ
يَنونَ بالدستورِ حائِطَ مُلكِهِم
وجواهرُ التيجانِ ما لم تُتَّخَذْ

شَتَّى سلاحٍ من قنَا وصِفاحٍ
كانت حصونَ مَنَاعَةٍ ونطاحٍ
من كل داهيةٍ وكل صُراحٍ
أَعْلَامُ مُؤَمَّرٍ ، أَسودُ صَباحٍ
لا بالصَّفاحِ ولا على الأَرْماحِ
من مَعَدِنِ الدستورِ غيرُ صِحاحٍ

* * *

احتلَّ حِصْنَ الحقِّ غيرَ جنودِهِ
ضَعَّتْ على أَبْطالِها نُكْنَاهُ
هُجِرَتْ أَرَائِكُهُ ، وَعُطِّلَ عودُهُ

وتكالبت أَيْدٍ على المفتاحِ
واستوحِشَتْ لِكُتَاتِهَا التُّرَّاحِ
وخلا من الغادين والرُّواحِ

١ النضاح : الرامي بالنبل وهو كناية عن الحامي والمدافع .

٢ المنصاح : الخالص .

٣ يقال سجع خطفه : سهل ولان .

٤ الصفح : السيف .

٥ صباح هنا : أي حرب .

وعَلَاهُ نَسْجُ العَنَكِيوتِ ، فزاده كالغارِ مِن شرفٍ وسمتِ صلاح

* * *

قُلْ للبنين مقالَ صدقٍ ، واقْتَصِدْ
أَتَمُّ بنو اليوم العَصيبُ ، نشَأتمو
ورأيتمو الوطنَ المؤلَّفَ صخرةً
وشهدتمو صدعَ الصفوفِ وما جَنَى
صوتُ الشعوبِ من الزَّئيرِ مُجمَعاً
أَظْمَتُكمو الأيامُ ، ثم سَفَتُكمو
وَإِذَا مُنَحْتَ الخَيْرِ مِن مُتْكَلَّفٍ
تَرَكْتُكمو مثلَ المَهْيُضِ جَناحَهُ
مَنْ صَبَرَ الأغلالَ زَهَرَ قلائِدُ
إن التي تبغون ؛ دون منالها
سيروا إليها بالأناة طويلاً
وَخُذُوا بِناءَ المُلْكِ عن دستوركم
أدارَ محمودُ . سَلِمَتْ ، وبوركَتْ
وازدَدَتْ من حسنِ الشاءِ وطيبه
الأمةُ انتقلتْ إِلَيْكِ ، كَأَنَّمَا
بركاتُ شيخٍ بالصعيدِ مُحْمَلٌ
بالأَمْسِ جادٌ على القضيةِ بآبِنه

ذَرَعُ الشَّبابِ يَضِيقُ بالثُّصاحِ :
في قُصْفِ أنواءِ ، وعَضْفِ رياحِ
في الحادِثاتِ وسَلِّها المحتاحِ
من أَمْرِ مُفْتاتٍ ونَهْيِ وَقاحِ
فإذا تَفَرَّقَ كانَ بعضُ نَباحِ
رَنَقاً من الإحسانِ غيرَ قَراحِ
ظَهَرَتْ عليه سَجِيَّةُ المَتاحِ
لا في الحبالِ ، ولا طليقِ سَراحِ
وكسا القيودَ محاسنَ الأوضاحِ ؟
طولُ اجتِهادٍ ، واضطرادُ كِفاحِ
إن الأناةَ سَبيلُ كُلِّ فلاحِ
إن الشَّراعَ مُتَقَفُ المَلّاحِ
أركانُكِ الهرميَّةُ الصُّفّاحِ
حَجْراً هو الدُّرِّيُّ في الأمداحِ
أَنزَلَتْها مِن بيتِها بِجَناحِ
عَبءِ السنينِ مُؤَمِّلِ نَفّاحِ
واليومَ آواها بأَكرَمِ سَاحِ

التَّسْرُ الْمِصْرِيُّ*

أَعْقَابُ فِي عَنَانِ الْجَوِّ لَاحٍ أَمِ سَحَابٌ قَرَمَ مِنْ هُوجِ الرِّيحِ ؟
أَمِ بِسَاطُ الرِّيحِ رَدَّتْهُ النُّوَى بَعْدَ مَا طَوَّفَ فِي الدَّهْرِ وَسَاحَ ؟
أَوْ كَانَ الْبَرْجُ أَلْقَى حَوْنَهُ فَتَرَامَى فِي السَّمَاوَاتِ الْفِisَاحِ

* * *

أَقْبَلْتُ مِنْ بُعْدٍ تَحْسِبُهَا نَحْلَةً عَنَّتْ وَطَّئَتْ فِي الرِّيحِ
يَا سِلَاحَ الْعَصْرِ بُشِّرْنَا بِهِ كُلُّ عَصِيرٍ بِكُمِّيَّ وَسِلَاحِ
إِنْ عَزَا لَمْ يَظْلَلْ فِي غَدٍ بِجَنَاحَيْكَ ذَلِيلٌ مُسْتَبَاحِ
فَتَكَائُرٌ وَتَأَلَّفٌ فَيَلْقَا تَغْصِمُ السَّلَمَ وَتَعْلُو لِلْكَفَاحِ
مِصْرُ لِلطَّيْرِ جَمِيعاً مَسْرُحُ مَا لَنَا فِيهِ ذُنَابِي أَوْ جَنَاحِ
رُبَّ سِرْبٍ قَاطِعٍ مَرَّ بِهِ هَبَطَ الْأَرْضَ مَلِيّاً وَاسْتِرَاحِ
لِمَ لَا يَفْتَنُ فِتْيَانُ الْحَمَى ذَلِكَ الْإِقْدَامُ ، أَوْ ذَاكَ الطَّحَّاحِ ؟
مَنْ فَتَى حَلَّ مِنَ الْجَوِّ بِهِمْ فَتَلَقَّوْهُ عَلَى هَامٍ وَرَاحِ
إِنَّهُ أَوَّلُ عُصْفُورٍ لَهُمْ هَزَّ فِي الْجَوِّ جَنَاحِيهِ وَصَاحِ
دَبَّتْ الْهَمَّةُ فِيهِ ، وَمَشَتْ عِزَمَاتُ مَنْكَ يَا حَرْبُ صِحَاحِ
نَاطَحَ النَّجْمِ فَتَى عَلَّمَتْهُ فِي حَيَاةٍ حُرَّةٍ كَيْفَ النَّطَّاحِ
لَكَ فِي الْأَجْيَالِ تَمَثُّالٌ مَشَى وَجَدُوا الرُّشْدَ عَلَيْهِ وَالصَّلَاحِ
جَاوَزَ النِّيلَ وَعَبَّرَنِي إِلَى أَكْمَ الشَّامِ وَهَاتِيكَ الْبَطَّاحِ

* * *

فَارَسَ الْجَوَّ ، سَلَامٌ فِي الذُّرَى وَعَلَى الْمَاءِ ، وَمِنْ كُلِّ النُّوَحِ

* قِيلَتْ بِمُنَاسِبَةِ قُدُومِ صَدِيقِ الطَّيَارِ الْمِصْرِيِّ الْأَوَّلِ مِنْ بَرَلِينَ إِلَى الْقَاهِرَةِ طَائِراً فِي سَنَةِ ١٩٣٠
١ طَلَعَتْ بِكَ حَرْبٌ مَدِيرُ بَنكِ مِصْرَ .

ثَبُّ إِلَى النِّجْمِ ، وَزَاحِمُ رَكْنِهِ
 إِنَّ هَذَا الْفَتْحَ لَا عَهْدَ بِهِ
 تِلْكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ انْفَتَحَتْ
 أَسْمَاءُ النَّيْلِ أَيْضاً حَرَّمُ
 وَامْتَلَى مِنْ خَيْلَاءٍ وَمِرَاحٍ
 لَصِيفِ النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ فَتَاحٍ
 مَا وَرَاءَ الْبَابِ يَا طَيْرَ النِّجَاحِ ؟
 مِنْ طَرِيقِ الْهَنْدِ ، أَمْ جَوْ مُبَاحِ ؟

* * *

عَيْنُ شَمْسٍ مُلِئَتْ مِنْ مَوَكِبٍ
 رَبِّمَا جَلَّلَ وَجَهَ الْأَرْضِ ، أَوْ
 أَنْ يَفْتَهُ الْجَيْشُ أَوْ رَوْعُهُ
 وَفَدَى فَاتِرَةً سُمُرَ الْقَنَا
 وَلَقَدْ أَبْطَأَتْ حَتَّى لَمْ يَنْمِ
 فَابْتَغَى الْعُلْتَرُ كِرَامُ ، وَانْبَرَتْ
 تَلْتَوِي الْخَيْلُ عَلَى رَاكِبِهَا
 لَيْسَ مَنْ يَرْكَبُ سَرَجاً لَيْثاً
 سِرٌّ رُوَيْدًا فِي فِضَاءٍ سَافِرٍ
 طَرَفَ عَيْنًا بِهِ الشَّمْسُ ، فَلَوْ
 وَتَكَادَ الطَّيْرُ مِنْ خَفَّتِهِ
 قَفَ تَأْمَلُ مِنْ عُلُوِّ قُبَّةِ
 نَزَلَ النَّوَابُ فِيهَا فَنِيَّةِ
 حَمَلُوا الْحَقَّ وَقَامُوا دُونَهُ
 كَانَ لِلْأَبْطَالِ أحياناً يُتَاحُ
 رَبِّمَا سَدَّ عَلَى الشَّمْسِ السَّرَاحُ
 لَمْ يَفْتَهُ الثَّنَاءُ الرَّهْرُ الصَّبَاحُ
 وَفَدَى حَارِسَهَا بَيْضُ الصَّفَاحِ
 لِلْحَمَى لَيْلٌ وَلَمْ يَنْعَمْ صَبَاحُ
 أَلْسَنُ فِي الثَّلَمِ وَالْهَدْمِ فِصَاحُ
 كَيْفَ بِالْعَاصِفِ فِي يَوْمِ الْجِجَاحِ ؟
 مِثْلَ مَنْ يَرْكَبُ أَعْرَافَ الرِّيحِ
 ضَا حَكِ الصَّفْحَةِ كَالْفَرْدُوسِ صَاحُ
 خَيْرَتْ لَمْ تَتَحَفَّرْ لِلرَّوَّاحِ
 تَتَعَالَى فِيهِ مِنْ غَيْرِ جَنَاحِ
 رُفِعَتْ لِلْفَضْلِ وَالرَّأْيِ الصُّرَاحِ
 فِي جَنَاحٍ وَشِيوْخًا فِي جَنَاحِ
 كَرَعِيلِ الْخَيْلِ أَوْ صَفِّ الرَّمَاحِ

* * *

يَا أَبَا الْفَارُوقِ ، مَنْ تَرَعَى فِي
 أَنْتَ مِنْ آبَائِكَ السُّحْبِ ، وَمَا
 يَدُكَ السَّمْحَةُ فِي الْخَيْرِ ، وَفِي
 نَحْنُ أَفْلَحْنَا عَلَى الْأَرْضِ بِكُمْ
 كَنَفِ الْفَضْلِ وَفِي ظِلِّ السَّمَاحِ
 فِي بِنَاءِ السُّحْبِ الْأَيْدِي الشُّحَاحِ
 هِمَّةِ الْعَرْسِ ، وَفِي أَسْوِ الْجِرَاحِ
 وَرَجُونَا فِي السَّمَاوَاتِ الْفَلَاحِ

ثُوتٌ عَنخَ آمُونِ وَالْبَرْلَمَانِ

قُمْ ، سَابِقِ السَّاعَةَ وَاسْبِقِ وَعِدَّهَا
وَامْلَأْ رِمَاحاً غَوْرَهَا وَنَجِّدْهَا
شَلَّالَهَا ، وَعَذِّبْهَا ، وَعِدَّهَا
تِلْكَ الْوُجُوهُ لَا شَكُّنَا فَقَدَهَا
سُلِّتْ مِنْ وَادِي الْمُلُوكِ فَارْزُدْهَا
وَاسْتَرْجِعْ دَوْلَتَهُ إِفْرِنْدَهَا
أَبْلَى ظُبَى الدَّهْرِ ، وَقَلَّ حَدَّهَا
سَافِرٌ أَرْبَعِينَ قَرْنًا عِدَّهَا
إِنْجَلَّتْ ، وَجَيْشُهَا ، وَلُورْدَهَا
قَامَتْ عَلَى السُّودَانِ ثُبِي سِدَّهَا

الأَرْضُ ضَاقَتْ عَنْكَ فَاضْدَعْ غَمْدَهَا
وَافْتَحْ أَصُولَ النَّيْلِ وَاسْتَرْدَّهَا
وَاصْرِفْ إِلَيْنَا جَزْرَهَا وَمَدَّهَا
يَبِضَّتِ الْقُرْبَى لَنَا مُسَوِّدَهَا
وَأَلَقْتَ الشَّمْسُ عَلَيْهِ رَأْدَهَا
أَبْيَضَ ، رِيَّانَ الْمُتُونِ ، وَرَزْدَهَا
وَأَخْلَقَ الْعَصُورَ ، وَاسْتَجَدَّهَا
حَتَّى أَتَى الدَّارَ ، فَأَلْفَى عِنْدَهَا
مَسْلُولَةَ الْهِنْدِيِّ تَحْمِي هِنْدَهَا
وَرَكَّزَتْ دُونَ الْقَنَاةِ بَنْدَهَا^١

* * *

فَقَالَ وَالْحَسْرَةَ مَا أَشَدَّهَا
وَلَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَفَارِقْ رَفْدَهَا
مِصْرُ فَتَانِي لَمْ تُوقَرْ جَدَّهَا
وَحَلَمْتُ ظِبَاءَهَا وَأُسْدَهَا
قَدْ سَحَبْتُ عَلَى جَلَالِي بُرْدَهَا

: لَيْتَ جِدَارَ الْقَبْرِ مَا تَذْهَدُهَا^٢
قُمْ نَبِيَّ يَا بَتَّوْرُ : مَا دَهَا ؟^٣
دَقَّتْ وَرَاءَ مَضْجَعِي جَارُ بَنْدَهَا
وَسَكَبَ السَّاقِي الطَّلَا ، وَبَدَّهَا^٤
لَيْتَ جَلَالَ الْمَوْتِ كَانَ صَدَّهَا

* * *

- ١ العدد : الماء الجاري له مادة لا تقطع .
- ٢ البند : العلم .
- ٣ تذهده : نقص وتدهرج .
- ٤ بثناءور : شاعر مصري قديم .
- ٥ بد الشيء : فرقه . وهنا بمعنى أراقها .

فقلت : يا ماجدًا وجعدها
لجذك ودته النجوم لحدّها
سلطانها ، وعزّها ، ورعدها
آثاركم يُخطي الحساب عدّها
أبوابك اللّاتي قصدنا قصدها
لولا جهود لا نريد جعدها
قلت لك : اضرب يده وقدها

* * *

مِصرُ الفتاة بلغت أشدها
ولعبت على الحبال وخدّها
فأرسلت دُمائها ولدّها
وبعثت للبرلمان جندّها
حدت إليه شبيها ومردّها
ونثرت فوق الطريق وردها
مؤنلها ، وكهفها ، وردّها
واللّوا بعد انقراط عقدها
وبسطوا على الحجاز أبدها
حتى أتى الدار التي أعدها
فتبت الشورى ، وشدد عقدها
سلطته إلى بنينا ردّها

١ الجعد : الكريم .

الرتد : الترب .

٢ اللد : الأثناء في الخصومة .

٣ الرد : العاد .

يا ربَّ قَوِّ يَدَهَا ، وشُدَّهَا
وقسْ لكلِّ خطوَةٍ ما بعدها
واصرف إلى جدِّ الشئونِ جدَّها
واكبِجْ هوى الأنفُسِ واكسرْ جفدَها
واملأْ باللبانِ الثُّبوغِ نَهْدَها
ولا تَدْعُها تُحْيِ مُسْتَبِدَّها
وتتحتْ براحتيها قَرَدَها

مَضْرَعُ اللُّوردِ كِتَشَنر

قِفْ بهذا البحرِ وانظُرْ ما عَمَرُ
واعرضِ الموجَ مَلِيًّا ، هل ترى
أَخَذَتْ نَاحِيَةَ الحَقِّ بِهِ
مَنَعَ اللَّبَثَ وإن طال المَدَى
دائرُ الدُّلَابِ بالناسِ على
نَقْصِ الإيوانِ من آسَاسِهِ
ومحا الحمراءِ إلا عَمْدًا
أَيْنَ روميَّةٌ ؟ ما قَبَضَها ؟
أَيْنَ وادي الطَّلَحِ واللَّآلِي به
أَيْنَ نابليون ؟ ما غاراته ؟
أَيُّهَا السَّاكِنُ في ظلِّ المني

مظهر الشمس وإقبال القمر
عَمْرَةٌ أَوْدَتْ بِحَوَاضِ العُمرِ ؟
وسبيلَ الناسِ في خالي العُصُرِ
فَلَكٌ ما لعصاه مُسْتَقَرُّ
جانبِيهِ المُرْتَقَى والمُنْحَدِرُ
وأَتَى الأهرامَ من أُمِّ الحُجَرِ
نَزَعُها من عَصْدِ الأرضِ عَسِيرُ
ما لياليها المُرْنَاتُ الوَثَرُ ؟
من دُمَيَّ يَسْتَحِينُ في المِسْكِ الحَبِيرُ
شَتَّها الدهرُ عليه من غَيْرِ
نَمَ طويلاً ، قد تَوَسَّدَتْ الرَّهَرُ

١ الخمراء : قصر عظيم بالأندلس .

٢ وادي الطلح : مشتهر بأشيلية لشمس محمد بن عباد .

شَجَرٌ نَامٍ ، وَظِلٌّ سَابِغٌ
يَذَرُ الْمَرْءَ وَيَأْتِي مَا اشْتَهَى
كُلُّ مَحْمُولٍ عَلَى النَعَشِ أَخٌ
إِنْ تَكُنْ سِلْمًا لَهُ لَمْ يَنْتَفِعْ
رَاكِبَ الْبَحْرِ ، أَمْوَجٌ مَا تَرَى ؟
لُجَّةٌ كَاللُّوْحِ ، لَا يُخْصَى عَلَى
فَتَلَفَتْ ، وَتَنْسَمُ حِكْمَةً
وَتَأْمَلُ مَلْعَبًا أَعْجَبُهُ
هَهُنَا تَمْشِي الْجَوَارِي مَرَحًا
رُبَّ سَيْفٍ ضَرَبَ الْجَمْعَ بِهِ
وَنَجَادَ لَمْ يُطَاوَلَ ضَنْحَوَةٌ
وَسَفِينِ أَمْرٍ فِيهَا الْبِلَى
وَوَجْوهُ ذَهَبُ الْمَاءِ بِهَا
وَعَيُونُ سَاجِيَاتٍ سُجِّيتْ
قُلُوبٌ لِلْيَثِّ خُسِيفَ الْغَيْلِ بِهِ
انْظُرِ الْفُلُكَ : أَمِنْهَا أَثَرُ ؟
هَذِهِ مَنْزِلَةٌ لَوْ زِدْتَهَا
فَامْضِ شَيْخًا فِي هَوَى الْمَجْدِ قَضَى
مَيِّتَةً لَمْ تَلَقَ مِنْهَا عَزَاءً

يَبْدُ أَنْ الصَّلَّ فِي أَصْلِ الشَّجَرِ^١
وَقَضَاءُ اللَّهِ يَأْتِي وَيَذَرُ
لَكَ صَافٍ وَدُّهُ بَعْدَ الْكَدَرِ
أَوْ تَكُنْ حَرْبًا فَقَدْ فَاتَ الصَّرَرُ
أَمْ كِتَابُ الدَّهْرِ ، أَمْ صُخْفُ الْقَدَرِ ؟
قَلَمِ الْقُدْرَةِ فِيهَا مَا سَطَرَ
وَالْمَسِي الْعِبْرَةَ مِنْ بَيْنِ الْفَقْرِ^٢
آيَةُ جَانِبِهِ الْمُرْخَى السُّرَرُ
وَجَوَارِي الدَّهْرِ يَمْشِينَ الْحَمَرُ^٣
فِي كَنْوَزِ الْبَحْرِ مَطْرُوحِ الْكِسَرِ
نَالَهُ الْفَجْرُ عِشَاءً بِالْقَصْرِ
طَالَمَا أَوْحَتْ إِلَيْهِ فَأَتَمَرُ
فِي نَهَارِ الْفَرْقِ ، أَوْ لَيْلِ الشَّعْرِ
بُرْفَاتِ السَّحْرِ ، أَوْ قَلِّ الْحَوَرِ^٤
بَيْنَ طِيمٍ ، وَظِلَامٍ مُعْتَكِرِ
هَكَذَا الدُّنْيَا إِذَا الْمَوْتُ حَضَرَ
ضَاقَ عَنْكَ السَّعْدُ ، أَوْ ضَاقَ الْعُمُرُ
رَحْمَةً الْمَجْدِ ، وَرَفَقًا بِالْكَبِيرِ
مَنْ وَقَارَ اللَّيْثِ أَنْ لَا يُحْتَضَرُ^٥

* * *

١ الصل : العبادة .

٢ الفقر : كل كلام مختار نظمًا كان أو نثرًا .

٣ يمشي الحمر : جملة تقال لمن يختل صاحبه .

٤ القل : الكسر في حد السيف .

٥ العز : القلق والمهلح من الموت .

أَنْتُمْ الْقَوْمُ جَمَى الْمَاءِ لَكُمْ يَرْجِعُ الْوِزْدُ إِلَيْكُمْ وَالصَّدَرُ
لُجَجُ الدَّامَاءِ أَوْطَانُ لَكُمْ وَمِنَ الْأَوْطَانِ دُورٌ وَحَقَرُ
لَسْتُ فِي الْبَحْرِ وَحِيداً ، فَاسْتَصِفْ فِيهِ آبَاءُكَ تَتَرَلُّ بِالذُّرْرِ
رَسَبُوا فِيهِ كَرَاماً وَطَفَا طَائِفُ النَّصْرِ عَلَيْهِمُ وَالظَّفَرُ

* * *

نَشَأَ النَّيْلُ ، إِلَيْكُمْ سِيرَةٌ لَكُمْ فِيهَا عِظَاتٌ وَغَيْرُ
إِقْرَأُوهَا يُكْشَفُ الْعَصْرُ لَكُمْ كُلُّ عَصْرِ بِرَجَالٍ وَسِيرُ
لَا تَقُولُوا : شَاعَرُ الْوَادِي غَوَى مَنْ يُعَالِطُ نَفْسَهُ لَا يَعتَبِرُ
مَوْقِفُ التَّارِيخِ مِنْ فَوْقِ الْهَوَى وَمَقَامُ الْمَوْتِ مِنْ فَوْقِ الْهَنْدَرِ
لَيْسَ مَنْ مَاتَ بِخَافٍ عَنْكُمْ أَوْ قَلِيلِ الْفَعْلِ فِيكُمْ وَالْأَثَرُ
شِدْثُكُمْ دَنِيَاهُ فِي أَحْسَنِهَا غَزْوَةُ السُّودَانِ وَالْفَتْحُ الْأَعْرُ
وَبَنَى مَمْلَكَةَ الثُّوبِ بِكُمْ فَاذْكُرُوا الْقَتْلَى ، وَلَا تَنْسُوا الْبِدْرُ
وَاحْذَرُوا مِنْ قِسْمَةِ النَّيْلِ فَيَا ضَيْعَةَ الْوَادِي إِذَا النَّيْلُ شَطِيرُ

* * *

رَجُلٌ لَيْسَ ابْنُ قَارُونَ ، وَلَا بَابِنٌ عَادِيٌّ مِنَ الْعَظْمِ التَّخِيرُ
لَيْسَ بِالزَّائِرِ فِي الْعِلْمِ ، وَلَا هُوَ يَنْبُوغُ الْبَيَانِ الْمُنْفَجِرُ
رَضَعَ الْأَخْلَاقَ مِنْ أَلْبَانِهَا إِنَّ لِلْأَخْلَاقِ وَقْعاً فِي الصَّغَرِ
وَرَأَاهَا صُورَةً فِي أُمَّةٍ وَمِنَ الْقُدُوءِ مَا تُوحِي الصُّورُ
ذَلِكَ الْمَجْدُ ، وَهَذِي سُبُلُهُ بَيْنَ فِيهَا سَبِيلُ الْمُعْتَذِرِ
أَبْعَدَ السَّاعُونَ يَبْغُونَ الْمَدَى وَالْمَدَى فِي الْمَجْدِ دَانٍ لِنَفَرِ
كَجِيَادِ السَّبْتِ ، لَنْ تُغْنِيَهَا أَدَوَاتُ السَّبْتِ مَا تَغْنِي الْفِطْرُ

* * *

١ البدر : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

وَجَنَاحُ السَّلَمِ إِلَّا أَنَّهَا
من حديدٍ جانبها سابعٌ
أَشْبَهَتْ أَفْوَاهُهَا أَعْجَازَهَا
أَرْهَفَتْ سَمْعَ الْعَصَا وَاکْتَحَلَتْ
وَتَوَدَّى الْقَوْلَ ، لَا يَسْبِقُهَا
خَطَرَتْ فِي مَخْجَرِهَا وَمَشَتْ
غَايَةً تَجْزِي بِسُلْطَانِ الشَّرَى
وَإِذَا الْمَوْتُ إِلَى النَّفْسِ مَشَى
رُبَّ ثَاوٍ فِي الطُّبَى مُنْتَبِعٍ
تَسْحَبُ الْفُلُودَ فِي مُلْتَطِمٍ
لَوْ أَشَارَتْ جَاءَهَا سَاخِلُهُ
أَوْ فَدَى الْمَيِّتَ حَيٌّ فُدِيَتْ
بَعَثَ الْبَحْرُ بِهَا كَالْمَوْجِ مِنْ
لَمَسَتْهَا لِلْمَقَادِيرِ يَدٌ
ضَرَبَتْهَا وَفِي سِرٍّ فِي الدُّجَى
وَجَفَّتْ قَلْبًا ، وَخَارَتْ جُوجُؤًا
طَغَيْتْ ، فَانْبَجَسَتْ ، فَاسْتَصْرَحَتْ

سَاعَةَ الرَّوعِ جَنَاحٌ مِنْ سَقَرٍ
رَبَضَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ وَفَقَّرَ
قُنْفُذٌ فِي الْيَمِّ مَشْرُوعُ الْإِبْرِ
إِثْمِدَ الزَّرْقَاءِ فِي عَرْضِ السُّدْرِ
رُسُلُ الْأَرْوَاحِ فِي نَقْلِ الْفِكْرِ
بَعْيُونَ الْمَلِكُ فِي بَحْرِ وَبَرٍ
خَادِرًا فِي أَلْفِ نَابٍ وَظَفَرٍ
وَرَكِبْتَ النِّجْمَ بِالْمَوْتِ عَثَرَ
سَلَّهُ الْمِقْدَارُ مِنْ جَفْنِ الْحَدَرِ
بِالْعَوَادِي مُتَعَالٍ مُعْتَكِرٍ
فِي حَدِيدٍ وَعَدِيدٍ مُتَنَصِّرٍ
بَوَاقٍ فِي الْجَوَارِي وَخَفِيرٍ
لُجَجِ السُّدْرِ وَخُلْجَانِ الْحَزْرِ
تَلْمَسُ الْمَاءَ فَيَرْمِي بِالشَّرِّ
لَيْسَ دُونَ اللَّهِ تَحْتَ اللَّيْلِ سِرٌّ
وَنَزَتْ جَنِبًا ، وَنَاءَتْ مِنْ أُنْخَرٍ
فَأَتَاهَا حَيْثُهَا ، فَهِيَ خَبِيرٌ

١ العصا : الفرس المشهورة التي ورد ذكرها في مصرع الزباء ، وقد كانت لقصير الذي يقول فيه المثل : « لأمر ما جدع قصير أنفه » .

السدر : البحر .

٢ الخادر : كناية عن أسد ، يقال أسد خادر : مقيم في خدره .

٣ الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال امرأة وقاح الوجه .

٤ بحر الحزر : هو بحر قزوين . والحزر أيضاً : جيل من الناس .

البرلمان

على أثر ائتلاف الأحزاب

سكن الزمان ، ولانت الأقدارُ
أزخى الأعنة للخطوبِ وردّها
يجري بأمرٍ ، أو يدور بضدّه
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنة ؟
سئل الستارُ ، وهل شهدتُ روايةً
وجرتُ فما استولتُ على الأمد المنى
دون الجلاء ، ودون يانع وزده
وبناء أخلاقٍ عليه من التهى
وحضارة من منطق الوادي لها

ولكلُّ أمرٍ غايةً وقرارُ
فلكُ بكلُّ فجأة دوار
لا التقصُّ يعجزه ، ولا الإمرار
وهل استجاب ، فسالم المقدار ؟
لم يعترضها في الفصول ستار ؟
وعدتُ فما حوت المدى الأوطار
خطواتُ شعبٍ في القتار تُسار
سورٌ ، ومن علم الزمان إطار
أصلٌ ، ومن أدب البلاد نجار

* * *

أغمى هوى الوطن العزيز عصابة
يا سوء سئتهم وقبح غلوهم
والحقُّ أرفعُ ملة وقضية
أخذتُ بذنبهم البلادُ وأمة
في فتنة خلط البريء بغيره
لقي الرجال الحادثات بصبرهم
لأنوا لها في شدة وصلابة
الحقُّ أبلغ ، والكنانة حرّة
الأمر شورى ، لا يعيثُ مسلط

مُسْتَهْتَرين ، إلى الجرائم ساروا
إن العقائد بالغلُو تُضار
من أن يكون رسوله الإضرار
بالريف ما يدرون : ما السردار ؟
فيها ، ولطخ بالدم الأبرار
حتى انجلت غممها وغمار
لين الحديد مَشَتْ عليه النار
والعزُّ للدستور والإكبار
فيه ، ولا يطغى به جبار

إِنِ الْعَنَاءَ لِلْبِلَادِ تَحَيَّرْتُ
 عَهْدُ مِنَ الشُّورَى الظِّلِيلَةِ نُصَّرْتُ
 تَجْنِي الْبِلَادُ بِهِ ثَمَارَ جَهودِهَا
 بِنْيَانُ آبَاءِ مَشُوتَا بِسِلَاحِهِمْ
 فِيهِ مِنَ التَّلِّ الْمُدْرَجِ حَائِطٌ
 أَبَتْ التَّقْيِدَ بِالْهَوَى ، وَتَقَيَّدَتْ
 فِي مَجْلَسِ لَا مَالُ مِصْرَ غَنِيمَةٌ
 مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمَرَّاشِدِ مِنْهَجٌ
 يَتَعَاوَنُونَ كَأَهْلِ دَارٍ زُلْزِلَتْ
 يُجْرُونَ بِالرَّفَقِ الْأُمُورَ وَفُلُكَهَا
 وَمَعَ الْمَجْدِدِ بِالْأَنَاءِ سَلَامَةٌ
 الْأُمَّةُ اثْلَقَتْ ، وَرَصَى بِنَاءُهَا
 أَسَدٌ وَرَاءَ السِّنِّ مَعْقُودُ الْحُبَا
 كَهْفُ الْقَضِيَّةِ لَا تَنَامُ نُيُوبُهُ
 يَوْمَ الْحَمِيسِ ، وَرَاءَ فَجْرِكَ لِلْهَدَى
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَارِسِيٌّ ، لَيْلُهُ
 بَكَرَتْ تُزَاجِمُ مِهْرَجَانِكَ أُمَّةٌ
 وَرَوَى مَوَاقِبِكَ الزَّمَانُ لِأَهْلِهِ
 أَقْبَلَتْ بِالْأَسْتُورِ أَبْلَجَ زَاهِرًا
 وَدُوءَ ابْنَةِ الدُّنْيَا تَرَفُّ حَدَاثَةً
 يَحْمِي لِفَائِقَتِهِ ، وَيَحْرُسُ مَهْدَهُ
 وَكَأَنَّهُ عَيْسَى الْهَدَى فِي مَهْدِهِ
 التَّاجُ فَضَّلَ فِي سَمَائِكَ بِالضُّحَى
 يَكْسُو مِنَ الدُّسْتُورِ هَامَةً رَبِّي

وَالْخَيْرُ مَا تَقْضِي وَمَا تَخْتَارُ
 آصَالُهُ ، وَاخْضَلَّتِ الْأَسْحَارُ
 وَلِكُلِّ جَهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُ
 وَبَيِّنَ لَمْ يَجِدُوا السِّلَاحَ فَثَارُوا
 وَمِنَ الْمَشَانِقِ وَالسَّجُونِ جِدَارُ
 بِالْحَقِّ أَوْ بِالْوَاجِبِ الْأَحْرَارُ
 فِيهِ ، وَلَا سُلْطَانُ مِصْرَ صَغَارُ
 فِيهِ ، وَلَا غَيْرَ الصَّلَاحِ شِعَارُ
 حَتَّى تَقَرَّ وَتَطْمِئِنَّ الدَّارُ
 وَالرِّيحُ دُونَ الْفَلَكَ وَالْإِعْصَارُ
 وَمَعَ الْمَجْدِدِ بِالْجِجَاحِ عِثَارُ
 بَانٍ زَعَامَتُهُ هَدَى وَمَنَارُ
 يَأْبَى وَيَغْضَبُ لِلشَّرَى وَيَغَارُ
 عَنْهَا ، وَلَا تَتَنَاعَسُ الْأَظْفَارُ
 صَبِيحٌ ، وَلِلْحَقِّ الْمَبِينِ نَهَارُ
 غُرْسٌ ، وَصَدْرُ نَهَارِهِ إِعْذَارُ
 وَتَلَفَّتْ خَلْفَ الزَّحَامِ دِيَارُ
 وَتَنَقَّلَتْ بِجَلَالِهَا الْأَخْبَارُ
 يَفْتَنُ فِي قَسَمَاتِهِ النُّظَارُ
 عَنْ جَانِبِيهِ ، وَلِلزَّمَانِ عِذَارُ
 شَيْخٌ يَدُودٌ ، وَفَتِيَةٌ أَنْصَارُ
 وَكَأَنَّ سَعْدًا يَوْسُفُ النِّجَارُ
 مِنْكَ الْحَلَى ، وَمِنَ الضُّحَى الْأَنْوَارُ
 مَا لَيْسَ يَكْسُو الْفَاتِحِينَ الْغَارُ

بالحق يفتح كلُّ هادٍ مُصلِحٍ ما ليس يفتح بالقنا المِعْوارُ

* * *

وطني لديك - وأنت سَمَحٌ مُفْضِلٌ - تُنسى الذنوبُ ، وتُذكرُ الأعْذارُ
تابَ الزمانُ إليك من هفواته بوزارة تُمَحى بها الأوزارُ

وقال وقد أُلقيت في حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربي برئاسة
السيدة هدى شعراوي :

قُلْ لِلرَّجَالِ : طغى الأَسيرُ طيرُ الحِجَالِ متى يَطِيرُ ؟
أَوْهى جَنَاحَيْهِ الحَديدُ ، وحَرَ ساقِيهِ الحَريْرُ
ذهب الحِجَابُ بصره وأطال حيرته السُّفورُ
هل هُبَّتْ دَرَجُ السَّمَا ؟ له . وهل نُصَّ الأثيرُ ؟
وهل استمرَّ به الجَنَّا حُ ، وهمَّ بالتَّهْضُ الشُّكْرِ ؟
وسما لمنزله من الد نيا ، ومترله خطير ؟
ومتى تُسَاسُ به الرِّيا ضُ كما تُسَاسُ به الوكور ؟
أَوْكُلُ ما عند الرجا ل له الخواطِبُ والمهور ؟
والسجنُ في الأكواخ ، أو سجنُ يقال له : القصور ؟

* * *

تالله لو أن الأَذَّ يَمَ جميعه روضٌ ونور
في كلِّ ظلٍّ رِبوَّةٌ ويكلِّ وارفهٍ غدير
وعليه من ذهبٍ سيا جُ ، أو من الباقوت سور
ما تمَّ من دون السما ء له على الأرض الحُور
إن السماءَ جديرةٌ بالطير ، وهو بها جدير

١ الشكير : صغار أريش بين كِبارة :

هي سَرْجُهُ المشدودُ ، وهذا
حُرِّيَّةُ خُلُقِ الإنسا ثُ لها ، كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجتُ بناتِ الشعرِ عيرَ
لي بينهن ولائدُ
لا الشعرُ يأتي في الجما
ن يمثلهن ، ولا البحور
من أجلهن أنا الشفي
قُ على الدُمى ، وأنا الغيور
أرجو وأمل أن ستج
ري بالذي شئتُ الأمور

* * *

يا قاسمُ . انظر : كيف سا
جأت قضيتك البلا
ما الناسُ إلا أولُ
الفكرُ بينها على
هذا البناء الفخمُ ليد
إن التي خلقتُ أمد
نهض الحفيُّ بشأنها
في ذمة الفضلي هدى
أقبلن يسألن الحضا
ما السبلُ بيتهُ ، ولا

ما في كتابك طفرةُ
هذبته حتى استقامت
ووضعتهُ ، وعلمتُ أن
لك في مسائله الكلا
ثني عليك ، ولا غرور
من خلائقك السطور
حسابَ واضِعه عسير
مُ العفُّ والجدلُ الوقور

ولك البيانُ الجذْلُ في أثْنائه العلمُ الغزير
 في مطلبِ خَشْنٍ ، كَثْرُ في مَزَالِقِهِ العُثُور
 ما بالكتابِ ولا الحديدِ ث إذا ذَكَرْتَهُمَا نَكِير
 حتى لَنَسْأَلُ : هل نَعَا رُ على العقائد ، أم تُغَيِّر ؟
 عشرون عاماً من زوا لك ما هي الشيءُ الكثير
 رُغْنُ النساءِ ، وقد يَرُو عُ المُشْفِقُ الجَلْلُ اليسير
 فَتَسِينُ أَنْكَ كَالْبِدُو ر ، ودُونَ رِفْعَتِكَ البُذُور
 تَفْنَى السُّنُونُ بها ، وما آجَالُهَا إِلَّا شُهُور

* * *

لقد اختلفنا ، والمُعا شِرُّ قد يخالفه العَشِير
 في الرَّأْيِ ، ثُمَّ أَهَابَ بِي وَبِكَ المُنَادِمُ والسَّمِير
 ومَا الرُّوَّاحُ إِلَى مَغَا فِي الودِّ مَا اقْتَرَفَ البُكُور
 فِي الرَّأْيِ تَضْطَغِنُ العَقُو لُ وليس تَضْطَغِنُ الصُّدُور

* * *

قل لي بعيشك : أينَ أُنْز ت ؟ وأينَ صاحبك الكبير ؟
 أينَ الإمامُ ؟ وأينَ إِسـ جَاعِيلُ والمَلَأُ المنِير ؟
 لما نزلتم في الثرى تاهت على الشهب القبور
 عصر العباقرَةِ النجوى م بنوره تمشي العصور

تُكْرِيمُ حَسَنِينَ بِكَ بِمُنَاسَبَةِ طَيْرَانِهِ

جِنٌّ عَلَى حَرَمِ السَّمَاءِ أَغَارُوا أَمْ فَتِيَّةٌ رَكَبُوا الْجَنَاحَ فَطَارُوا ؟
 مِنْ كُلِّ أَهْوَاجٍ فِي الْمَوَاءِ عِنَانِهِ هُوجُ الرِّيَّاحِ ، وَسَرَجُهُ الْأَعْصَارِ

يغني حجاب الشمس يطلب عندها
لم يبقَ منه ومن حضارة عهده
ومقالة الأجيال لم يَلْحَقْ بهم
عزاً تَحْمَلُهُ الجلود وساروا
إِلَّا صَوَى مَحْجُوجَةٌ ومنار
بانٍ ، ولم يُدْرِكْهُمْ حَقَّار

طلعوا على الوادي براية عصرهم
اثنان ثم ترى النسور كثيرة
سِرُّ النجاجِ وُزْكُنْ كُلُّ حضارةٍ
نُسِخَتْ بِأبطال السماء بطولة
هذا زمانٌ لا الأَعْنَةُ منزلٌ
ما البأسُ إلا من جَنَاحِيْ خاطف
أترى السلامة في السماء وظلها
حَرَمُ الهدى والحق رِيعَ جلاله
يا جائب الصحراء ملُّ سرابها
يكفيك من هِمَمِ الشجاعة ليلة
لما اعتمدت على الجناح تَلَفَّتْ
في كلِّ صحراء ، وكلُّ تَنَوُّفَةٍ
حَسْتَبِرُ ، لولم يَعدِرْوكَ لبادرت
لله سرجك في السماء ، فانه
عَرَضَ الحُسوفُ له فما أَرى به
أَوَلَمْ تَطَأْ أَرْضَ السماء ، ولم تَدُرْ
ألقى أبو الفاروق نَحْوَكِ بِأله
مَلِكٌ رُحِمَتْ بِقُرْبِهِ وجوارِه
ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشعار
من كلِّ ناحية لها أَوْكار
هِمَمٌ من المتطوعين كِبار
في الأرض يوشِكُ ركنُها ينهار
لللباس فيه ، ولا الأَسِنَّةُ دار
في البرِّ والبحرِ اسمُه الطَّيَّار
أم بالسماء يصولُ الاستعمار ؟
وغدا وراح بِجَانِيَّتِهِ دَمار
عَرَّزٌ . وملُّ ثُرَابِهَا أخطار
لك من عَوَائِلِهَا خَلَتْ ونهار
يَبْدُ ، وَقَلْبَتِ العيونَ قِفَار
أَرْضٌ عليك من السماء تَغَار
لك من لسان جِرَاحِكِ الأعذار
سَرَجُ الأَهْلَةِ ما عليه عُبار
ما في الحُسوف على الأَهْلَةِ عار
حيثُ الشَّمْسُ تَدُورُ والأَقْمار ؟
وتشاغلت بك أُمَّةٌ وديار
حتى كَأَنَّكَ للغناية جار

نُصِبَ السَّرادِقُ والمطارُ ، وَخَلَقَتْ
في الجَوِّ تَلَمَّسُ شَخْصُكَ الأبصار

فلمستَ أَقْصِيَةَ السَّمَاءِ ، وَأَسْفَرْتَ
 قَدْرٌ عَلَى يُمْتَى يَدَيْهِ سَلَامَةٌ
 فَإِذَا سَقَطَتْ عَلَى حَدِيدٍ مُضْرَمٍ
 مَاذَا لَقِيتَ مِنَ النِّجَائِبِ كُلِّهَا ؟
 هَذَا تَعَثَّرَ فِي الزَّمَامِ ، وَتِلْكَ لَا
 فَشَلٌّ يُعْظَمُ كَالنِّجَاحِ عَلَيْهِ مِنْ
 لَوْ لَمْ يَكُن قَتْلَى وَجَرَحَى فِي الْوَعَى
 حَتَّى نَظَرْتَ وَجُوهَهَا الْأَقْدَارَ
 لَكَ حَيْثُ مِلْتَ ، وَفِي السَّمَاءِ عِثَارَ
 صَدَفَ الْحَدِيدِ ، وَلَمْ تَتْلُكَ النَّارَ
 قُلْ لِي ، أَعْنَدَكَ لِلنِّجَائِبِ ثَارَ ؟
 تَمْضِي ، وَأُخْرَى فِي السُّلُوكِ تَحَارَ
 شَرَفَ الْجُرُوحِ وَنُورِهِنَّ فَخَارَ
 لَمْ يَعْلُ هَامَ الظَّافِرِينَ الْغَارَ

صَقْرٌ قَرِينٌ *

موشح أندلسي

مَنْ لِنَضْوٍ يَتَرَى أَلَمًا بَرَّحَ الشَّوْقُ بِهِ فِي الْعَلَسِ
 حَنٌّ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلَمَا أَيْنَ شَرَقُ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلُسِ

* * *

بُلْبُلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْبَيَانُ بَاتَ فِي حَبْلِ الشُّجُونِ ارْتَبَا
 فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعَ الْعِنَانِ ضَاقتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَا
 كَلِمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ جُنَّ فَاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَى
 ارْتَدَى بُرْنُسَهُ وَالْتَمَا وَخَطَا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسٍ
 وَيُرَى ذَا حَذَبٍ إِنْ جَنَّمَا فَإِنْ ارْتَدَّ بَدَا ذَا قَعَسٍ

* * *

• هو عبد الرحمن الداخل .

١ يترى : يتوثب .

٢ المرعس : من رعى الرجل : إذا مشى مشياً ضعيفاً من الإعياء .

٣ القعس : ضد الحذب ، وهو نتوء الصدر .

فَمُهُ الْقَانِي عَلَى لَبَّتِهِ كَبَايَا الدَّمِّ فِي بَضْلٍ دَقِيقٍ
 مَدَّهُ فَأَنْشَقَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ مَنْ رَأَى شِقْمِي مِقْصَصٍ مِنْ عَقِيقٍ ؟
 وَبَكَى شَجْوًا عَلَى شَعْبَتِهِ شَجَوُ ذَاتِ الثُّكُلِ فِي السَّيْرِ الرَّقِيقِ
 سَلَّ مِنْ فِيهِ لِسَانًا عَنَمًا مَاضِيًا فِي الْبَثِّ لَمْ يَحْتَسِبْ^١
 وَتَرَّ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ رَنَمًا فِي الدُّجَى ، أَوْ شَرَّرَ مِنْ قَبَسٍ

* * *

نَفَرْتُ لَوَعْتَهُ بَعْدَ الْهَدْوَةِ وَالْدُّجَى بَيْتُ الْجَوَى وَالْبُرْحَا
 يَتَعَايَا بِجَنَاحٍ وَيَنُوءُ بِجَنَاحٍ مُذْ وَهَى مَا صُلْحَا
 سَاءَ الدَّهْرُ . وَمَا زَالِ يَسُوءُ مَا عَلَيْهِ لَوْ أَسَا مَا جَرَحَا
 كَلَّمَا أَدْمَى يَدَيْهِ نَدَمًا سَالَتَا مِنْ طَوْقِهِ وَالْبُرْنَسِ
 فَنَيْتُ أَهْدَابُهُ إِلَّا دَمًا قَامَ كَالْيَاقُوتِ لَمْ يَنْبَجِسْ^٢

* * *

مَدَّ فِي اللَّيْلِ أَنْيَاءً وَخَفَقَ خَفَقَانِ الْقُرْطِ فِي جُنْحِ الشَّعْرِ
 فَرَعَتْ مِنْهُ التَّوَى غَيْرَ رَمَقٍ فَضْلَةَ الْجُرْحِ إِذَا الْجُرْحُ نَقَرُ^٣
 يَتَلَشَّى نَزَوَاتٍ فِي حُرْقٍ كَذُبَالٍ آخِرِ اللَّيْلِ اسْتَعْرِ
 لَمْ يَكُنْ طَوْقًا . وَلَكِنْ ضَرَمًا مَا عَلَى لَبَّتِهِ مِنْ قَبَسٍ
 رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ ! هَلْ عَلِمَا أَنَّ تِلْكَ النَّفْسَ مِنْ ذَا النَّفْسِ ؟

* * *

قُلْتُ لِلَّلَّيْلِ - وَلِلَّلَّيْلِ عَوَاذُ - مَنْ أَخُو الْبَثِّ ؟ فَقَالَ : ابْنُ فِرَاقٍ
 قُلْتُ : مَا وَادِيهِ ؟ قَالَ : الشَّجْوَادُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حِجَازٍ أَوْ عِرَاقٍ
 قُلْتُ : لَكِنْ جَفْنُهُ غَيْرُ جَوَادٍ قَالَ : شَرُّ الدَّمْعِ مَا لَيْسَ يُرَاقٍ

١ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

٢ لم ينبجس : لم يتفجر .

٣ يقال جرح نغاز : أي جياش بالدم .

نَعِطُ الطَّيْرَ ، وما نعلم ما هي فيه من عذاب يئس
فَدَعِ الطَّيْرَ وحفظاً قُسمَا صَيَّرَ الْأَيْكَ كُدُورِ الْأَنْسِ

* * *

نَاحَ إِذْ جَفَنَايَ فِي أَسْرِ النُّجُومِ رَسَفَا فِي السُّهْدِ وَالْدَّمْعُ طَلِيقُ^١
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ بَحْرِ الِهْمُومِ مَا عَسَى يُغْنِي غَرِيقٌ عَنْ غَرِيقٍ ؟
إِنْ هَذَا السَّهْمُ لِي مِنْهُ كُلُّوْهُمُ كُلُّنَا نَازِحُ أَيْكَ وَفَرِيقُ
قَلْبِ الدُّنْيَا تَجِدُهَا قِسْمَا صُرِفَتْ مِنْ أَنْعَمٍ أَوْ أُبُوسِ
وَانْظُرِ النَّاسَ تَجِدُ مِنْ سَلَامٍ مِنْ سِهَامِ الدَّهْرِ شَجَّتُهُ الْقِسِي

* * *

يَا شَبَابَ الشَّرْقِ عُتُوانَ الشَّبَابِ ثَمَرَاتِ الْحَسَبِ الرَّاكِي الثَّمِيرِ
حَسْبُكُمْ فِي الْكَرَمِ الْمُخَضَّرِ اللَّبَابِ سِيرَةٌ تَبْقَى بَقَاءَ ابْنِي سَمِيرِ^٢
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ لِلدَّخْلِ بَابُ لَمْ يَلْجِهْ مِنْ بَنِي الْمُلْكِ أَمِيرِ^٣
فِي الشَّمُوسِ الزُّهْرُ بِالشَّامِ انْتَمَى وَنَمَى الْأَقَارُ بِالْأَنْدَلُسِ
قَعْدَ الشَّرْقِ عَلَيْهِمْ مَأْتَمَا وَانْتَشَى الْغَرْبُ بِهِمْ فِي عُرْسِ

* * *

هَلْ لَكُمْ فِي نَبَأِ خَيْرِ نَبَأٍ حَلِيَّةِ التَّارِيخِ ، مَأْثُورٍ عَظِيمٍ
حَلٌّ فِي الْأَنْبَاءِ مَا حَلَّتْ سَبَأُ مَنَزَلِ الْوَسْطَى مِنَ الْعِقْدِ التَّظْيِيمِ
مِثْلَهُ الْمَقْدَارِ - يَوْمًا مَا خَبَأَ لَسَلِيبِ التَّاجِ وَالْعَرْشِ كَظِيمِ
يُعْجِزُ الْقَضَاصَ إِلَّا قَلَمًا فِي سَوَادٍ مِنْ هَوَى لَمْ يُعْمَسِ
يُورِثُ الصَّدَقَ وَيَجْزِي عِلْمًا قَلْبَ الْعَالَمِ لَوْ لَمْ يُطْمَسَ ؟

* * *

١ رَسَفَ : مَشَى مَشْيَةَ الْمَقِيدِ .

٢ ابْنِي سَمِيرَ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

٣ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِلُ أَوَّلُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْأَنْدَلُسِ .

عن عصامي^١ نبيل مفرق
نهضت دولتهم بالمشرق
ثم خان التاج وذو المفرق
غفلوا عن ساهر حول الحمى
حام حول الملك ثم اقتحما
في بُنَاةِ المجدِ أبناءَ الفخار^٢
نهضة الشمس بأطراف النهار
ونبت بالأنجم الزهر الديار
باسط من ساعدي مفترس
ومشى في الدم مشي الصرس

* * *

نار عثمان لمروان مجاز
حسنوا للشام ثاراً والحجاز
مكر سواس على الدهماء جاز
جعلوا الحق لبغي سلماً
وقديماً باسمه قد ظلماً
ودم السبط أثار الأقربون^٣
فتغالى الناس فيما يطلبون
ورعاة بالرعايا يلعبون^٤
فهو كالستر لهم والثرس
كل ذي مئذنة أو جرس

* * *

جريت مروان عن آباءها
ومن النفس ومن أهوائها
خلت الأعواد من أسماها
ظلمت حتى أصابت أظلاما
فطيناً في دعوة الآل لما
ما أراقوا من دماء وذموع^٥
ما يؤذيه عن الأصل الفروع
وتعطت بالمصالب الجدوع
حاصد السيف ، وبيء المحبس^٦
همس الشاني وما لم يهمس^٧

* * *

لبست برد النبي الثيرات^٨ من بني العباس نوراً فوق نور

١ يعني بالسبط الحسين بن علي صلوات الله عليه .

٢ الدهماء : جماعة الناس .

٣ يعني بمروان : بني مروان .

٤ الأظلم هنا : هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وقد سلب بني أمية ملكهم .

٥ الشانيء : المبغض .

وقديماً عند مروان نرات
فجنا الداخل سبخاً بالفرات
عس كالحوت به واقتحا
ولقد يجدي الفتى أن يعلمها
لزيكات من الأنفس نور
تارك الفتنة تطعى وتورا
بين عيريه عيون الحرس^٢
صهوة الماء ومثن الفرس

* * *

صحب الداخل من إخوته
غلب الموج على قوته
وإذا بالشط من شقوته
فانشنى منحدراً مستسلماً
حدث خاض الغمار ابن ثمان
فكان الموج من جند الزمان
صائح صاح به : نلت الأمان !
شاة اغترت بعهد الأطلس^٣
وقلوب الجند كالصخر القسي

* * *

أيها اليائس ، مت قبل المات
لا يضيق ذرعك عند الأزمات
ذلك الداخل لاقى مظلمات
قد تولى عزه وانصرما
أو إذا شئت حياة فالرجا
إن هي اشتدت وأمل فرجا
لم يكن يأمل منها مخرجا
فضى من عده لم يئاس
أبعد ، القم ، وأقصى اليسر

* * *

ذاك - والله - الغنى كل الغنى
ليس بالسائل إن هم : متى ؟
زایل الملك ذويه فأتى
أي صعب في المعالي ما سلك
لا ، ولا الناظر ما يوحى الفلك
ملك قوم ضيعوه فلك

١ نارت الفتنة : وقعت وانتشرت .

٢ عس : دخل ومضى .

٣ الأطلس : الذئب .

عَمَرَاتُ عَارَضَتْ مُفْتَحًا عَالِيَ النَّفْسِ أَشْمُ الْمَعْطَسِ^١
 كُلُّ أَرْضٍ حَلَّ فِيهَا ، أَوْ حَمَى مَتَرُ الْبَدْرِ ، وَغَابُ الْيَهْسِ^٢

* * *

نَزَلَ النَّاجِي عَلَى حُكْمِ النَّوَى وَتَوَارَى بِالسَّرَى مِنْ طَالِيَةِ^٣
 غَيْرَ ذِي رَحْلٍ وَلَا زَادٍ سَوَى جَوْهَرٍ وَافَاهُ مِنْ بَيْتِ آيَةِ
 قَرَّ لَاقَى خُصُوفًا فَانْزَوَى لَيْسَ مِنْ آبَائِهِ إِلَّا نِيَةِ
 لَمْ يَجِدْ أَعْوَانَهُ وَالْجَدْمَا جَانِبُوهُ غَيْرَ بَدْرِ الْكَيْسِ
 مِنْ مَوَالِيهِ الثَّقَاتِ الْقُدَمَا لَمْ يَخْنَهُ فِي الزَّمَانِ الْمُؤَمْسِ

* * *

حِينَ فِي إِفْرِيقِيَا انْحَلَّ الْوِثَامُ وَاضْمَحَلَّتْ آيَةُ الْفَتْحِ الْجَلِيلُ
 مَاتَ الْأُمَةُ فِي غَيْرِ الثَّامِ وَكَثِيرٌ لَيْسَ يَلْتَامُ قَلِيلُ
 يَمَنْ سَلَتْ ظَبَاهَا وَالشَّامُ شَامَهَا هِنْدِيَّةٌ ذَاتَ صَلِيلُ^٤
 فَرَّقَ الْجَنْدَ الْغَنَى فَانْقَسَمَا وَغَدَا بَيْنَهُمُ الْحَقُّ نَسِي
 أَوْحَشَ السُّودُدُ فِيهِمْ ، وَسَمَا لِلْمَعَالِي مَنْ بِهِ لَمْ تَأْنَسِ

* * *

رُحِمُوا بِالْعَبْقَرِيِّ النَّابِ الْبَعِيدِ الْهِمَّةِ الصَّعْبِ الْقِيَادِ
 مَدَّ فِي الْفَتْحِ وَفِي أَطْنَابِهِ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ بِنَاءِ ابْنِ زِيَادِ^٥
 هَجَرَ الصَّيْدَ ، فَمَا يُعْتَى بِهِ وَهُوَ بِالْمَلِكِ رَفِيقُ ذُو اصْطِيَادِ

١ المعطس : الأنف .

٢ اليهس : الأسد .

٣ السرى : سير الليل .

٤ ظباها : سيوفها . شام : سل .

٥ هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير قاتع الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي .

سَلْ بِهِ أُنْدَلَسًا : هل سَلِمَا من أَخِي صَيْدٍ رَفِيقٍ مَرَسٍ ١٩
جَرَّدَ السَيْفَ ، وَهَزَّ الْقَلَمَ وَرَمَى بِالرَّأْيِ أُمَّ الْخُلَسِ ٢

* * *

بِسَلَامٍ يَا شِرَاعًا مَا دَرَى ما عَلَيْهِ من حَيَاءٍ وَسَخَاءٍ
فِي جَنَاحِ الْمَلِكِ الرُّوحِ جَرَى وَبَرِيحٍ حَفَّهَا اللَّطْفُ رُخَاءُ ٣
غَسَلَ الْيَمَّ جِرَاحَاتِ الثَّرَى وَمَحَا الشَّدَّةَ مَنْ يَمْحُو الرِّخَاءَ
هل درى أُنْدَلَسُ مَنْ قَدِمَا دَارَهُ من نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؟
بِسَلِيلِ الْأَمْوِيِّينَ سَمَا فَتَحَ مُوسَى مُسْتَقَرَّ الْأُسُسِ ٤

* * *

أَمْوِيٌّ لِلْعُلَا رِحْلَتُهُ وَالْمَعَالِي بِمِطْيٍ وَطُرُقُ
كَالْهَلَالِ انْفَرَدَتْ نُقْلَتُهُ لَا يُجَارِيهِ رِكَابٌ فِي الْأَفُقِ
بُنِينَ مِنْ خُلُقِ دَوْلَتِهِ قَدْ يَشِيدُ الدَّوْلَ الشُّمَّ الْحُلُقُ
وَإِذَا الْأَخْلَاقُ كَانَتْ سَلْمًا نَالَتْ النِّجْمَ يَدُ الْمُتَمَسِّ
فَارَقَ فِيهَا تَرَقَّ أَسْبَابُ السَمَا وَعَلَى نَاصِيَةِ الشَّمْسِ أَجْلِسِ

* * *

أَيُّ مُلْكٍ مِنْ بِنَايَاتِ الْهَمَمِ أَسَسَ الدَّاخلُ فِي الْغَرْبِ وَشَادُ ؟
ذَلِكَ النَّاشِئُ فِي خَيْرِ الْأُمَمِ سَادَ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يُخْلَقْ يُسَادُ
حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي وَحَكَمَ فِي عَوَادِيهَا قِيَادًا بِقِيَادُ
سَلَبَ الْعِزَّ بِشَرْقٍ فَرَمَى جَانِبَ الْغَرْبِ لِعِزِّ أَفْعَسِ

١ المرس : الشديد المهرب في الحروب . يقال : أنه لمرس حذر .

٢ الخلس : جمع خلصة وهي الفرصة .

٣ الملك الروح : جبريل .

٤ موسى : يعني موسى بن نصير .

وَإِذَا الْخَيْرُ لَعَبْدٌ قُسِمَا سَنَحَ السَّعْدُ لَهُ فِي النَّحْسِ

* * *

أَيُّهَا الْقَلْبُ ، أَحَقُّ أَنْتَ جَارُ	لِلَّذِي كَانَ عَلَى الدَّهْرِ يَجِيرُ ؟
هَا هُنَا حَلَّ بِهِ الرِّكْبُ وَسَارُ	وَهُنَا ثَاوٍ إِلَى الْبَعثِ الْأَسِيرُ
فَلَكُ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ مُدَارُ	صَرَعَ الْجَمَّ وَالْوَى بِالْمُدِيرِ ^١
هَا هُنَا كُنْتَ تَرَى حَوَّ الدُّمَى	فَاتِنَاتٍ بِالشُّفَاهِ اللَّعْسِ ^٢
نَاقِلَاتٍ فِي الْعَبِيرِ الْقَدَمَا	وَاطَّاتٍ فِي حَبِيرِ السُّنْدُسِ

* * *

خُذْ عَنِ الدُّنْيَا بَلِيغَ الْعِظَةِ	قَدْ تَجَلَّتْ فِي بَلِيغِ الْكَلِمِ
طَرَفَاهَا جُمِعَا فِي لَفْظَةٍ	فَتَأَمَّلْ طَرَفَيْهَا تَعْلَمِ
الْأَمَانِي حُلْمٌ فِي يَقْظَةٍ	وَالْمَنَايَا يَقْظَةٌ مِنْ حُلْمِ
كُلُّ ذِي سِقْطَيْنِ فِي الْجَوِّ سَمَا	وَاقِعٌ يَوْمًا وَإِنْ لَمْ يُغْرَسِ ^٣
وَسِيلَتِي حَيْثُ نَسُرُّ السَّمَاءَ	يَوْمَ تُطْوَى كَالْكِتَابِ الدَّرْسِ

* * *

أَيْنَ - يَا وَاحِدَ مِرْوَانَ - عَلَّمَ	مَنْ دَعَاكَ الصَّقْرَ سَمَاءَ الْعُقَابِ ؟ ^٤
رَايَةً صَرَفَهَا الْفَرْدُ الْعَلَمَ	عَنْ وَجْهِهِ النَّصْرَ تَصْرِيفَ النَّقَابِ
كُنْتُ إِنْ جَرَّدْتَ سَيْفًا أَوْ قَلَمَ	أُبَيِّنُ بِالْأَلْبَابِ أَوْ دِنْتُ الرُّقَابِ
مَا رَأَى النَّاسُ سِوَاهُ عِلْمًا	لَمْ يُرْمَ فِي لُجَّةٍ أَوْ يَسِ
أَعْلَى رُكْنِ السَّمَاءِ أَدْعَا	وَتَغْطِي بِجَنَاحِ الْقُدْسِ

* * *

١ الجام : الكأس .

٢ اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

٣ السقط : جناح الطائر .

٤ العقاب : اسم راية الداخل .

قصرُك المنيّة من قُرْطُبَةٍ فيه واروْكَ ، والله المصير
صَدَفُ خُطٍّ على جوهرة يَبْدَ أَنْ الدهر نَبَّاشٌ بصير
لم يَدْعُ ظلاً لقصر المنيّة وكذا عُمُرُ الأمانِي قصير
كنتَ صقراً قُرْشِيّاً علماً ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ
إن تَسَلْ : أين قبورُ العظما ؟ فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ

* * *

كم قبور زَيَّنَتْ جيدَ الثرى تحتها أنجسُ من مَيّتِ الجوس
كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى قبل موتِ الجسمِ أمواتُ النفوس
وعظامُ تترزّكي عنبرا من ثناء صِرْنِ أَعْفَالِ الرُّمُوسِ
فأَخِذْ قَبْرَكَ من ذِكْرِ ، فما تَبَيَّنَ من محموده لا يُطْمَسِ
هَبْكَ من حرص سَكُنْتَ الهرما أين بانيه المنيعُ الملمَسِ !؟

زَحَلَةٌ

شَبِعْتُ أَحْلَامِي بقلْبِ بَاكِ ولَحْتُ من طُرُقِ المِلاحِ شِباكِ
ورجعتُ أدراجَ الشبابِ ووَرَدَه أَمْشِي مكانَها على الأشواك
وبجاني واهٍ ، كَأَنَّ حُفُوقَه لَمَّا تَلَفَّتْ جَهَشَةُ المتباكي
شاكي السلاحِ إذا خلا بضلوعه فإذا أُهَيْبَ به فليس بشاك
قد راعه أَنِّي طَوَيْتُ حَبَائِلِي من بعد طول تناولٍ وفكاك
وَبِحَ ابنِ جَنبِي ؟ كُلُّ غَايَةٍ لَدَّةٍ بعدَ الشبابِ عزيزةُ الإدراك

١ يرْمَسُ : يغطى ويدفن . .

٢ ابنِ جنبي : أي قلبه .

لم تبقَ منا - يا قواد - بقيَّةُ
كنا إذا صَفَّفتَ نستبقِ الهوى
لفتوةً ، أو فضلةً لعراك
ونشدُّ شدَّ العُصبةِ الفَتاك
واليومَ تبعثَ فيَّ حينَ تُهزُّني
ما يبعثُ الناقوسُ في الثَّسَّك

* * *

يا جارةَ الوادي ، طَرَبْتُ وعادني
مَثَلْتُ في الذكري هوالِك وفي الكرى
ولقد مررتُ على الرياضِ برُبوةٍ
ضَحِكْتُ إليَّ وجوهُها وعيونُها
فذهبتُ في الأيامِ أَذكرَ رَفَقاً
أذكرتُ هرولةَ الصبايةِ والهوى
لم أدر ما طيبُ العناقِ على الهوى
وتأودتُ أعطافُ بانك في يدي
ودخلتُ في ليلين : قرعك والدُّجى
ووجدتُ في كُتُبِ الجوانحِ نشوةً
وتعطلتُ لغةَ الكلامِ وخاطبتُ
ومَحَوْتُ كلَّ لبانةٍ من خاطري
لا أَمْسٍ من عمرِ الزمانِ ولا عَدُّ
ما يشبهُ الأحلامَ من ذكراكِ
والذكرياتُ صَدَى السنينِ الحاكي
عَتَاءُ كُنْتُ حَيالُها أَلْفَاك
ووجدتُ في أنفاسها رَيَّاك
بين الجداولِ والعيونِ حَوَاك
لَمَّا خَطَرْتُ يُقْبِلانِ خُطَاك ؟
حتى ترفقَ ساعدي فطواك
واحمرَّ من خَفَرِها خَدَاك
ولمْتُ كالصَّبحِ المنورِ فالِك
من طيبِ فيك ، ومن سُلَافِ لَمَّاك
عَبَّيْتُ في لغةِ الهوى عيناك
ونَسِيتُ كلَّ نَعَائِبِ وتَشَاكِي
جُمِعَ الزمانُ فكانَ يومَ رِضَاك

* * *

لُبْنانُ ، رَدَّتْني إليك من النوى
جمعتُ نزيلِي ظَهرَها من فُرقةٍ
نمشي عليها فوقَ كلِّ فجاءةٍ
ولو أَنَّ الشوقَ الزارُ وجدتي
أَقْدَارُ سَيَّرَ للحياةِ دَرَاك
كُرَّةً وراءَ صَوَالِحِ الأَفْلاك
كالطيرِ فوقَ مَكانِ الأَشْرَاك
مُلِقَى الرِحالِ على ثَرَاكِ الذَّاكِي

* * *

١ جارة الوادي : أي وادي البردوني .

بُنَتْ البِقَاعُ وَأُمَّ بَرْدُونِيَّهَا
وَدِمَشْقُ جَنَّتْ النِّعَمَ ، وَإِنَّمَا
قَسَمًا لَوْ انْتَمَتِ الْجَدَاوِلُ وَالرُّبَا
مَرَّاكِ مَرَّاهِ وَعَيْنُكَ عَيْنُهُ
تِلْكَ الْكُرُومُ بَقِيَّةٌ مِنْ بَابِلٍ
تُبْدِي كَوْشِي الْفُرْسِ أَفْتَنَ صِبْغُهُ
خَرَزَاتِ مِسْكِ ، أَوْ عُقُودَ الْكَهْرِبَا
فَكَّرْتُ فِي لَبَنِ الْجِنَانِ وَخَمْرِهَا
لَمْ أَنْسَ مِنْ هَبَةِ الزَّمَانِ عَشِيَّةً
كُنْتُ الْعُرُوسَ عَلَى مَنَصَّةِ جَنَحِهَا
يَمْشِي إِلَيْكَ اللَّحْظُ فِي الدِّيَاغِ أَوْ
ضَمَّتْ ذِرَاعِيهَا الطَّبِيعَةُ رِقَّةً
وَالْبَدْرُ فِي ثَبَجِ السَّمَاءِ مُنَوَّرٌ
وَالنَّيِّرَاتُ مِنَ السَّحَابِ مُطَلَّةٌ
وَكَأَنَّ كُلَّ ذُوَابَةٍ مِنْ شَاهِقِي
سَكَنَتْ نَوَاحِي اللَّيْلِ ، إِلَّا أَنَّهُ
شَرَفًا - عُرُوسَ الْأَرْزِ - كُلُّ خَرِيدَةٍ
رَكَزَ الْبَيَانُ عَلَى ذِرَاكِ لَوَاءِهِ
أَدْبَاوُكُ الزُّهْرِ الشُّمُوسُ ، وَلَا أَرَى
مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ عِلْمُهُ فِي شَعْرِهِ
جَمَعَ الْقَصَائِدَ مِنْ رُبَاكِ ، وَرَبَّمَا
مُوسَى بِيَابِكَ فِي الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا

طَيْبِي كَجَلَقَ ، وَاسْكَبِي بَرْدَاكِ
أَلْفَيْتُ سُدَّةَ عَذْنِهِنَّ رُبَاكِ
لِتَهْلِلَ الْفَرْدُوسُ ، ثُمَّ نَمَّاكِ
لِمَ يَا زُحَيْلَةُ لَا يَكُونُ أَبَاكِ ؟
هَيْهَاتَ ! نَسَى الْبَابِلِيَّ جَنَّاكِ
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى أَلَدِّ حَيَاكِ
أُودِعْنَ كَافُورًا مِنَ الْأَسْلَاكِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْمَاءَ مَسَّ طِلَاكِ
سَلَفَتْ بِظِلِّكِ وَانْقَضَتْ بِذِرَاكِ
لُبْنَانُ فِي الْوَشْيِ الْكَرِيمِ جَلَاكِ
فِي الْعَاجِ مِنْ أَيْيِ الشُّعَابِ أَتَاكِ
صَيِّينَ وَالْحَرْمُونَ فَاحْتَضْنَاكِ
سَالَتْ حُلَاهُ عَلَى الثَّرَى وَجَلَاكِ
كَالْغَيْدِ مِنْ سِتْرِ وَمِنْ شَبَاكِ
رَكْنُ الْحَجَرَةِ أَوْ جِدَارُ سِهَاكِ
فِي الْأَيْكِ ، أَوْ وَتَرًا شَجِيَّ حَرَاكِ
تَحْتَ السَّمَاءِ مِنَ الْبِلَادِ فِدَاكِ
وَمَشَى مَلُوكُ الشَّعْرِ فِي مَغْنَاكِ
أَرْضًا تَمَحَّضُ بِالشُّمُوسِ سِوَاكِ
وِيرَاعُهُ مِنْ خُلُقِهِ بَمَلَاكِ
سَرَقَ الشَّمَاتِلَ مِنْ نَسِيمِ صَبَاكِ
وَعَصَاهُ فِي سِحْرِ الْبَيَانِ عَصَاكِ

أَخْلَلْتُ شِعْرِي مِنْكَ فِي عُلْيَا الذُّرَا
 أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكَ
 أَنْتَ الْخَيَالُ : بَدِيعُهُ ، وَغَرِيبُهُ
 وَجَمَعْتِهِ بِرَوَايَةِ الْأَمْلاكِ
 اللَّهُ صَاغَكَ ، وَالزَّمَانُ رَوَاكَ

ذِكْرِي اسْتِقْلَالَ سُورِيَا وَذِكْرِي شُهَدَائِهَا

حَيَاةٌ مَا نَرِيدُهَا زِيَالَا
 وَعِيشٌ فِي أَصُولِ الْمَوْتِ سَمٌ
 وَأَيَّامٌ تَطِيرُ بِنَا سَحَابًا
 نَرَاهَا فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَحُبًّا
 قِصَارٌ حِينَ نَجْرِي اللَّهَوَ فِيهَا
 وَلَمْ تَضُقْ الْحَيَاةَ بِنَا ، وَلَكِنْ
 وَلَمْ تَقْتُلْ بِرَاحَتِهَا بَنِيهَا
 وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةَ النَّاسُ سَعِيًّا
 وَدُنْيَا لَا نَوَدُّهَا انْتِقَالَا
 عُصَارَتُهُ ، وَإِنْ بَسَطَ الظَّلَالَا
 وَإِنْ خَيَّلَتْ تَدِيبَ بِنَا نِمَالَا
 وَنُسِيعَهَا التَّبَرُّمَ وَالْمَلَالَا
 طَوَالُ حِينَ نَقْطَعُهَا فَعَالَا
 زَحَامُ السُّوءِ ضَبَّقَهَا مَجَالَا
 وَلَكِنْ سَابَقُوا الْمَوْتَ اقْتِتَالَا
 وَإِخْلَاصًا لِرِزَادَتِهِمْ جَمَالَا

* * *

كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي
 تَرَى جِدًّا ، وَلَسْتَ تَرَى عَلَيْهِمُ
 وَلَيْسُوا أَرْغَدَ الْأَحْيَاءِ عَيْشًا
 إِذَا فَعَلُوا فَخِيرُ النَّاسِ فَعَلًا
 وَإِنْ سَأَلْتَهُمُ الْأَوْطَانُ أَعْطَوْا
 لِأَهْلِ الْوَجِبِ ادْخَرِ الْكَمَالَا
 وَلَوْعًا بِالصِّغَائِرِ وَاشْتَغَالَا
 وَلَكِنْ أَنْعَمَ الْأَحْيَاءُ بِالَا
 وَإِنْ قَالُوا فَأَكْرَمُهُمْ مَقَالَا
 دَمًا حَرًّا ، وَأَبْنَاءً ، وَمَالَا

* * *

بَنِي الْبَلَدِ الشَّقِيقِ . عِزَاءُ جَارٍ
 قَضَى بِالْأَمْسِ لِلْأَبْطَالِ حَقًّا
 أَهَابَ بِدَمْعِهِ شَجَنُ فَسَالَا
 وَأَضْحَى الْيَوْمَ بِالشَّهَدَاءِ غَالَا

يُعْظَمُ كُلُّ جُهدٍ عِبريٍّ وما زلنا إذا ذهت الرزايا
وقد أنسى الإساءة من حسودٍ ذكرتُ المِهْرَجَانَ وقد تجلَّى
وداري بينَ أعراسِ القوافي تسَلَّلَ في الزحامِ إليَّ نَضْوُ
رسولِ الصابرينَ أَلَمْ وهنا دنا مِنِّي فنأولني كتاباً
وجدتُ دمَ الأسودِ عليه مِسْكَاً كأنَّ أَساميَ الأبطالِ فيه
رواةُ قصائدي قد رزَّلوها إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها

* * *

بَنِي سورِيَّةَ ، التثموا كيومِ خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ به التَّرا
سَلُّوا الحريَّةَ الزهراءِ عَنَّا وعنكم : هل أذاقنا الوِصَالا ؟
وهل نِلْنَا كلانا اليومَ إلا عِراقِيبَ المِواعِدِ والمِطالا ؟
عرفتم مَهْرَها فهِرَعوها دَمًا صَبَغَ السِّباسبَ والدَّغالا
وقم دوتها حتى خَضِبْتُمْ هَوادِجَها الشَّريفةَ والعِجْجالا
دعوا في الناسِ مفتوناً جباناً يقول : الحربُ قد كانت وبالا
أُيَلِّبُ حَقَّهُم بالروحِ قومُ فتسمع قائلاً : ركبوا الضلالا ؟
وكونوا حائطاً لا صدعَ فيه وصفاً لا يُرَقِّعُ بالكسالا
وعيشوا في ظلالِ السِّلْمِ كدًّا فليس السِّلْمُ عِجْزاً وائْكالاً
ولكن أَبْعَدَ اليَومينِ مَرَمًى وخيرَها لَكم نَصْحاً وآلا

وليس الحربُ مَرْكَبَ كُلِّ يَوْمٍ ولا الدَّمُ كُلِّ آوَنَةٍ حَلالاً

* * *

سأذكر ما حَيَّتُ جدارَ قبر	يُظهر جِلَقَ رَكِيبِ الرمالا
مقيمٌ ما أَقامتْ مِيلَسونُ	يذكر مَصْرَعَ الأسدِ الشَّبَّالا
لقد أَوْحَى إِلَيَّ بِمَا شَجَّاني	كما تُوحي القُبُورُ إلى الشُّكَّالِ
تَغَيَّبَ عَظْمَةُ العَظَمَاتِ فيه	وأَوَّلُ سَيِّدٍ لَقِيَ النُّبَّالِ
كَأَنَّ بُنَاتَهُ رَفَعُوا مَناراً	من الإِخْلَاصِ ، أو نَصَبُوا مِثالاً
سراجُ الحَقِّ في نَيْجِ الصَّحارى	تَهَابَ العاصِفَاتُ لَهُ ذُبَالاً
ترى نورَ العَقِيدَةِ في ثَراه	وتَنشَقُّ من جِوانِبِهِ الخِلالا
مَشَى وَمَشَتْ فَبالِقُ من فَرَنسا	تَجَرَّ مَطَارِفَ الظَّفَرِ اخْتِبالا
مَلَأَنَّ الجَوَّ أَسْلِحَةً خِفافاً	وَوَجَّهَ الأَرْضِ أَسْلِحَةً ثِقَالا
وَأَرْسَلَنَّ الرِّياحَ عَلَيْهِ ناراً	فَلَمَّا حَفَلَ الجَنُوبُ ولا الشَّمَالا
سَلَوَهُ : هل تَرَجَّلَ في هُبُوبِ	من النيرانِ أَرَجَلَتِ الجِبَالا ؟
أَقامَ نِهارَهُ يُتْلَى وَيُتْلَى	فَلَمَّا زالَ قَرصُ الشَّمْسِ زالا
وَصاحَ . ترى بِهِ قَيْدَ المَنابِيا	ولمستَ تَرى الشُّكِيمَ ولا الشُّكَّالا
فَكَفَّنَ بالصَّوارِمِ والعِوالِيا	وَعُيِّبَ حَيْثُ جالَ وَحَيْثُ صالا
إِذا مَرَّتْ بِهِ الأَجِياالُ تَتَرى	سَمِعْتَ لَهَا أَزِيراً وابْتِهاالا
تَعَلَّقَ في ضَمائِرِهِم صَليلاً	وَحَلَّقَ في سرائِرِهِم هَلالاً

يَمثالُ نَهْضَةِ مِصر

جَعَلْتُ حُلَها وَتَمثالها	عِيونَ القِوافِيا وَأَمثالها
وَأَرْسَلْتُها في سَماهِ الخِياالِ	تَجَرُّ على النَجمِ أَذِياها

وَإِنِّي لَغَرِيدٌ هُذِي الْبَطَاحِ تَغْدَى جَنَاهَا وَسَلْسَلَاهَا
تَرَى مِصْرَ كَعْبَةٍ أَشْعَارِهِ وَكَلٌّ مَعْلَقَةٍ قَالَهَا
وَتَلَمَحُ بَيْنَ بَيوتِ الْقَصِيدِ حِجَالُ الْعُرُوسِ وَأَحْجَاهَا^١
أَدَارُ النَّسِيبَ إِلَى حَبِّهَا وَوَلَّى الْمَدَائِحَ إِجْلَاهَا
أَرَنَّ بِغَابِرِهَا الْعَبْقَرِيَّ وَعَتَّى بِمِثْلِ الْبُكَاءِ حَالَهَا
وَيَرْوِي الْوَقَائِعَ فِي شَعْرِهِ يَرُوضُ عَلَى الْبَاسِ أَطْفَالَهَا
وَمَا لَمْحُوا بَعْدُ مَاءَ السِّیُوفِ فَمَا ضَرَّ لَوْ لَمْحُوا آهَهَا

* * *

وَيَوْمٍ ظَلِيلِ الضُّحَى مِنْ بَشَنَسَ أَفَاءَ عَلَى مِصْرَ آمَالَهَا
رَوَى ظُلَّهُ عَنْ شَبَابِ الزَّمَانِ رَفِيفِ الْخَوَاشِي وَإِخْصَالَهَا^٢
مَشَتْ مِصْرُ فِيهِ تُعِيدُ الْعُصُورَ وَيَغْمُرُ ذَكَرُ الصَّبَا بِأَلَاهَا
وَتَعْرِضُ فِي الْمِهْرَجَانِ الْعَظِيمِ صُحَاهَا الْخَوَالِي وَأَصَالَهَا

* * *

وَأَقْبَلَ رَمْسِيسَ جَمِّ الْجَلَالِ سَنَى الْمَوَاكِبِ ، مُخْتَلَاهَا
وَمَا دَانَ إِلَّا بِشُورَى الْأُمُورِ وَلَا اخْتَالَ كِبَرًا ، وَلَا اسْتَأَلَهَا^٣
فَحِيًّا بِأَبْلَجَ مِثْلِ الصَّبَاحِ وَجُوهَ الْبِلَادِ وَأَرْسَالَهَا
وَأَوَمَا إِلَى ظِلْمَاتِ الْقُرُونِ فَشَقَّ عَنْ الْفَنِّ أَسْدَالَهَا

* * *

فَن يُبْلِغُ الْكَرْنَكَ الْأَقْصَرِيَّ وَيُنْشِئُ طَيِّبَةً أَطْلَاهَا
وَيُسْمِعُ ثَمَّ بِوَادِي الْمُلُوكِ مُلُوكَ الدِّيارِ وَأَقْيَاهَا

١ الحجال : جمع حجلة . وهي بيت العروس .

الأحجال : الخلائيل .

٢ أخضل الشيء : ابتل .

٣ استألها : أصله استأله . أي تشبه بالاله .

وكلَّ مخلدٍ في الدُّمَى هنالك لم نُخصِ أحوالها
عليها من الوحي دِياجَةٌ ألحَّ الزمانُ فما ازدالها
نكاد - وإن هي لم تتصل بروح - تُحرِّك أوصالها
وما الفنُّ إلا الصرِيحُ الجميلُ إذا خالطَ النفسَ أوحى لها
وما هو إلا جمالُ العقول إذا هي أولَّته إجمالها

* * *

لقد بعث الله عهدَ الفنون وأخرجت الأرضُ مثلاًها
تعالوا نرى كيف سوى الصِّفَاة فتاةً ثلُمِلِمُ سربالها
دنت من أبي الهول مَشَى الرؤومِ إلى مُقَعِدِ هاج بلِّبالها
وقد جاب في سكرات الكرى عُروضَ الليالي وأطوالها
وألقي على الرمل أرواقه وأرسي على الأرض أنقالها
يُخال لإطرافه في الرِّمال سَطِيحَ العصورِ ورَمالها
فقلت : تُحرِّك ، فهمَ الجِهادُ كأنَّ الجِهادَ وعى قالها
فهل سَكَبَتْ في تجاليده شعاعَ الحياةِ وسيالها ؟
أَتَذَكِّرُ إذ غَضِبْتَ كاللِّبَاةِ ولَمَّتْ من الغيلِ أشبالها ؟
وألقت بهم في غمار الخطوبِ فخاضوا الخطوبَ وأهوالها
وثاروا ، فجَنَّ جُنُونُ الرياحِ وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالها
وبات تَلْمُسُهُمُ شيخَهُم حديثَ الشعوبِ وأشغالها
ومن ذا رأى غابةً كافحت فردَّتْ من الأسرِ رِثبالها ؟
وأهْيَبُ ما كان بأسُ الشعوبِ إذا سلَّحَ الحقُّ أعزالها

* * *

سطيح : اسم لكاهن من كهنة العرب . والسطيح أيضاً : البطيء القيام لضعف أو زمانة

فواذ ، ارفع السَّترَ عن نهضة
وربَّ امرئٍ لم تَلِدْه البلادُ
وليس اللَّائِيْ مِلْكُ البحورِ
وما لعلبي ولا جيله
بَتَوْا دولةً من بنات الأسيِّدِ
لئن جَلَّالَ البحرِ أسطوُلُها
فأما أبوك فدنيا الحضا
تَحِيَّرَ إفريقيّا تاجه
ركابُك يا ابن المعزِّ العيوثُ
إذا سِرْنَ في الأرض نَسِيَهَا
فلم تَبْرَحَ القصرَ إلا شَفِيَتْ
لقد رَكَّبَ اللهُ في ساعديك
تَحْطُ وتَبْنِي صُروحَ العلومِ

تقدّم جدّك أبطالها
نماها ، ونَبَّه أنساها^١
ولكنها مِلْكُ من نالها
إذا عَرَضَتْ مصرُ أجيالها
لم يشهد النيل أمثالها
لقد لبس البرّ قسطلها^٢
رَقَ لو سالم الدهرُ إقبالها
وركَّبَ في التاج صومالها
ويفضِّلَن في الخير مِناولها
ركابَ السماء وأفضالها
جُدوبَ العقول وإحمالها
يَمِينَ الجدود وشمالها
وتفتَح للشرق أقالها

الحُرَيَّةُ الحُمْراءُ*

في مِهْرَجَانِ الحَقِّ أو يومِ الدمِ
يبدو على هاتوَرِ نورٍ دماها
يومُ الجِهَادِ بها كصدرِ نهاره
طلعت تُحجُّ البيتَ فيه كأنها

مُهَجُّ من الشهداء لم تتكلم
كدمِ الحسينِ على هلالِ محرم
متأيلُ الأعطافِ مُبْتَسِمُ الفمِ
زُهرُ الملائكِ في سماءِ المؤسم

١ انسال : جمع نسل .

٢ القسطل : غبار الحرب .

٥ قيلت في احتفال بيوم ١٣ نوفمبر .

لم لا تُطِلَّ من السماء وإنما
ولقد شجّاهم الغائبون ، وراعها
وإذا نظرت إلى الحياة وجدتها
لا بُدَّ للحرية الحمراء من
وتبسّم يعلو أسيرتها كما
يوم البطولة لو شهدت نهاره
غُبت حقيقته ، وفات جمالها
لولا عوادي التّقي أو عقباته
لجمعت ألوان الحوادث صورة
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه
دعت البلاد إلى الفجار فغامرت
ثارت على الحامي العتيد ، وأقسمت
نثر الكنانة ربّها ، وتخيّرت
من كلّ أعزل حقه يمينه
لم يُحجموا في ساعة قد أظفرت
وقفوا مطّيعهم بسلم قصره
وتقدّموا ، حتى إذا ما بلغوا
سالت من الغاب الشُّبُول غلا بها
يوم النضال ، كسّتك لون جالها
أصبحت من غرر الزمان ، وأصبحت
ولقد يتمت ، فكنت أعظم روعة
ليسم أبو الأشبال ملء جفونه

بين السحاب قبورها والأنجم ؟
ما حلّ بالبيت المضيء المظلم
عُرساً أُقيم على جوانبي مأم
سكوى تُرقد جرحها كالبلسم
يعلو فم الثكلى وثغر الأيم
لنظمت للأجيال ما لم يُنظم
باع الخيال العبقري الملهم
والنفي حال من عذاب جهنم
مثلت فيها صورة المُستسلم
وحكيته مُتغيّظاً لم يكظم
وطنية بمُثقف ومُعلم
بسواه جلّ جلاله لا تختمي
يده لئصرتها ثلاثة أسهم
كالسيف في يمتى الكميّ المُعلم
ملك البحار بكلّ قيصر مُحجم
والباس والسلطان دون السلم
أوحوا إلى مصر الفتاة : تقدّمي
لبن اللّباة ، وهاج عرق الضيّع
حرية صبغت أديمك بالدم
ضحكت أسيرة وجهك المنجّم
يا ليت من «سعد» الحمى لم تيم
ليس الشُّبُول عن العرين بنوم

وقال في تكريم الدكتور علي بك إبراهيم الجراح العبقري :

ابتغوا ناصيةَ الشمس مكاناً
واطلبوا بالعقريات المدى
ابعثوا سابقاتٍ نُجُباً
وثبوا للعز من صَهَوَتِهَا
لا تُثَيِّبُهَا عَلَى مَا قَلَّدَتْ
من أيادي ، حسداً أو شَتَانَا

* * *

وضئيلٍ من أساةِ الحي لم
ضامٍ في سُفْعَةٍ تحسبه
أو طيباً آيباً من طيبةٍ
تُتَكَرُّ الأرضُ عليه جسمه
نال عرشَ الطب من «أحوتب»
يا لأحوتب من مُسْتَأْلِهِ
خاشعاً لله ، لم يُزَهِ ، ولم
يلمس القدرة لمساً كَلَمَا
لو يُرى الله بمصباحٍ لَمَا
في خلالي لَفَتَتْ زهرَ الرُّبَى
لو أتاها موجعاً حاسده
خيرٌ مَنْ عَلم في «القصر» وَمَنْ
كلُّ تعليمٍ نراه ناقصاً
دَرَكٌ مُسْتَحْدَثٌ من دَرَجٍ

* * *

لا عَدِمْنَا «للسيوطي» يداً
تَصْرِفُ المِشْرَطَ للبرء كما
مَدَّهَا كالأجلِ المبسوطِ في
خُلِقَتْ للفتقِ والرقِ بَنَانَا
صرف الرَّمْعُ إلى النصر السَّنَانَا
طلب البرء اجتهداً وافْتِنَانَا

تجد الفولاذَ فيها محسناً أخذ الرفقَ عليها والليانا
يدُ «إبراهيم» لو جثتَ لها بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخطُ للناس يوماً كفنًا إنما خاطت بقاءً وكيانا
ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها من جراح الدهر، أو يُشفي الحزاني
نَبغَ الجليلُ على مشرطها في كفاح الموتِ ضرباً وطعانا
لو أتت قبل نضوج الطبِّ ما وجدَ التنويمُ عوناً فاستعانا

يا طرازاً يبعث اللهُ به في نواحي مُلكِهِ آناً قاتنا
من رجالٍ خلَقوا أُلويةً ونجوماً ، وغيوثاً ، ورعانا
قادة الناسِ وإن لم يقربوا طبَّعاتِ الهندِ والسُّمرِّ اللَّدانا
وغذاءَ الجليلِ فالجيلِ وإن نسيَ الأجيالُ كالطفل اللبانا
وهو الأبطالُ كانت حربُهم منذ شُئها على الجهلِ عوانا

يا أخِي - والدخُرُ في الدنيا أَخٌ - حاضرُ الخيرِ على الخيرِ أعانا
لك عند ابنِي - أو عندي - يدُ لستُ آلوها اذكاراً وصيانا
حَسُنْتُ مَنِي ومنه موقعاً فجعلنا حِرْزها الشكرَ الحُسنانا
هل ترى أنت؟ فإنني لم أجِدُ كجميلِ الصُّنعِ بالشكرِ اقترانا
وإذا الدنيا خَلَتْ من خيرٍ وخلتُ من شاكرِ هانت هوانا
دفعَ اللهُ حُسَيْنًا في يدِ كيدِ الألفاظِ رِفْقاً واحتضانا
لو تناولتُ الذي قد لمستُ منه ما زدْتُ حِذاراً وحَنانا
جرْحُه كان بقلبي ، يا أبا لا أنيِّيه بجُرْحِي كيف كانا ؟
لطفَ اللهُ فعوفينا معاً وارثَها لك بالشكرِ لسانا

وقال وهي القصيدة التي أُلقيت في دار الأوبرا الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر

تكريمه الذي انعقد فيها :

مرحباً بالربيع في ريعانة
رَفَّتْ الأرضُ في مواكبِ آذا
نزل السهلَ ضاحكَ البشرِ يمشي
عاد حلياً براحتيه ووشياً
لف في طيلسانه طررَ الأر
ساحرٌ فتنةَ العيونِ مُبينٌ
عقري الخيالِ ، زاد على الطيدِ
صبغةُ الله ! أين منها رفايد
رَنَمَ الروضُ جَدولاً ونسيماً
وشدت في الرُّبا الرياحُ همساً
كلُّ رَيْحانةٍ بلحنٍ كعرسٍ
نَعَمٌ في السماء والأرضِ شئى
أين نورُ الربيعِ من زهر الشع
سَرْمَدُ الحسنِ والبشاشةِ مها
حَسَنٌ في أوانه كلُّ شيءٍ
مَلِكٌ ظِلُّهُ على رَبْوَةِ الحُد
أَمَرَ اللهُ بالحقيقةِ والحك
لم تُثِرْ أُمَّهُ إلى الحقِّ إلا
ليس عَزَفُ النحاسِ أَوْقَعَ منه

وبأنواره وطيب زمانة
رَ ، وشبَّ الزمانُ في مهرجانه
فيه مَشْيَ الأميرِ في بُستانه
طولُ أنهاره وعَرَضُ جِئانه
ضرب ، فطاب الأديمُ من طيلسانه
فَصَلَ الماءُ في الرُّبا بجِئانه
ف ، وأزبى عليه في ألوانه
لُ ومنقاشه وسحرُ بَنانه
وتلا طيرَ أَيْكِهِ غصنُ بانه
كَتَقَّى الطُروبِ في وجدانه
أَلَفَتْ للغناءِ شئى قِيانه
من معاني الربيعِ أو ألحانه
بر إذا ما استوى على أفنانه ؟
تلتئمهُ تجذده في إبانه
وجالَ القريضُ بعدَ أوانه
مَدِ ، وكُرسِيه على خُلجانه
حمة فالتفتا على صولجانه
بهدى الشعرِ أو خُطَا شَيْطانه
في شجاعِ الفؤادِ أو في جبانه

* * *

ظَلَّلَنِي عنايةً من «فؤادٍ»
ورعاني ، رعى الإلهُ له «الفارو
مَلِكُ النيلِ من مَصَيِّبه بالش
ظَلَّلَ اللهُ عرشَهُ بأمانه
قَ» طفلاً ، ويومَ مَرْجُو شأنه
طَ ، إلى مَبْعِيهِ من سودانه

هو في الملك بَدْرُهُ الْمُتَجَلِّي حَفَّ بِالْهَالَتَيْنِ مِنْ بَرْلَانِهِ
زَادَهُ اللَّهُ بِالْنِيَابَةِ عِزًّا فَوْقَ عِزِّ الْجَلَالِ مِنْ سُلْطَانِهِ

* * *

مَنْبِرُ الْحَقِّ فِي أَمَانَةٍ «سَعْدٍ» وَقَوَامُ الْأُمُورِ فِي مِيزَانِهِ
لَمْ يَرِ الشَّرْقُ دَاعِيًا مِثْلَ «سَعْدٍ» رَجَّهَ مِنْ بَطَاحِهِ وَرِعَانِهِ
ذَكَرَتْهُ عَقِيدَةُ النَّاسِ فِيهِ كَيْفَ كَانَ الدَّخُولُ فِي أَدْيَانِهِ
نَهْضَةٌ مِنْ فَتَى الشُّيُوخِ وَرُوحٌ سَرِيًّا كَالشَّبَابِ فِي عُنُقُونِهِ
حَرَّكَ الشَّرْقَ مِنْ سَكُونٍ إِلَى الْقَيْدِ لَدَى ، وَثَارًا بِهِ عَلَى أَرْسَانِهِ
وَإِذَا النَّفْسُ أَنْهَضَتْ مِنْ مَرِيضٍ دَرَجَ الْبُرَى فِي قُوَى جُثَامَانِهِ

* * *

يَا عُكَازًا تَأَلَّفَ الشَّرْقُ فِيهِ مِنْ فِلَسْطِينِهِ إِلَى بَعْدَانِهِ
افْتَقَدْنَا الْحِجَازَ فِيهِ ، فَلَمْ نَعُدْ شَرًّا عَلَى قُسٍّ وَلَا سَحَابَانِهِ
حَمَلْتُ مَصْرُ دُونَهُ هَيْكَلَ الدِّ بَيْنَ ، وَرُوحَ الْبَيَانِ مِنْ قُرْقَانِهِ
وُطِّدَتْ فَيْكَ مِنْ دَعَائِمِهَا الْفُضْدُ حَتَّى ، وَشُدَّ الْبَيَانُ مِنْ أَرْكَانِهِ
إِنَّمَا أَنْتَ حَلْبَةٌ لَمْ يُسْحَرْ مِثْلُهَا لِلْكَلامِ يَوْمَ رَهَانِهِ
تَبَارَى أَصَائِلُ الشَّامِ فِيهَا وَالْمَدَاكِي الْعِتَاقُ مِنْ لُبْنَانِهِ
قَلَّدْتَنِي الْمُلُوكُ مِنْ لَوْلُو الْبَحْرِ مِنْ آلَاعِهَا وَمِنْ مَرَجَانِهِ
نَحْلَةٌ لَا تَزَالُ فِي الشَّرْقِ مَعْنَى مِنْ بَدَاوَاتِهِ وَمِنْ عُمرَانِهِ
حَنٌّ لِلشَّامِ حِقْبَةً وَإِلَيْهَا فَاتِحُ الْغَرْبِ مِنْ بَنِي مَرْوَانِهِ
وَحِجْنِي بُمْبَايَ فِيهَا بِرَاعًا أَفْرِغِ الْوُدَّ فِيهِ مِنْ عَقِيَانِهِ
لَيْسَ تَلْقَى يِرَاعَهَا الْهِنْدُ إِلَّا فِي ذَرَا الْخُلُقَى أَوْ وَرَاءَ ضَمَانِهِ

١ الرعان : رؤوس الجبال .

٢ الضمير عائد على الشرق .

أَتَضَيِّعُهُ انتِصَاءَ مُوسَى عَصَاهُ
يَلْتَقِي الْوَحْيَ مِنْ عَقِيدَةِ حُرٍّ
غَيْرِ بَاغٍ إِذَا تَطَلَّبَ حَقًّا
مَوْكِبُ الشَّعْرِ حَرَكُ الْمُتَنَبِّي
شَرُفَتْ مَصْرُ بِالْشَّمُوسِ مِنَ الشَّرِّ
قَدْ عَرَفْنَا بِنَجْمَةِ كُلِّ أَفْقٍ
لَسْتُ أَنْسَى بَدَأَ لِأَخْوَانِ صَدَقِ
رُبُّ سَامِي الْبَيَانِ نَبَّ شَأْنِي
كَانَ بِالسَّبْقِ وَالْمِيَادِينِ أَوْلَى
إِنَّمَا أَظْهَرُوا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي
مَا الرَّحِيقُ الَّذِي يَذُوقُونَ مِنْ كُرٍّ
وَهَبُونِي الْحَمَامَ لَذَّةَ سَجْعٍ
وَتَرُّ فِي اللَّهِاهِ ، مَا لِلْمَغْنَى

يَفْرُقُ الْمُسْتَبْدُ مِنْ ثَعْبَانِهِ
كَالْحَوَارِيِّ فِي مَدَى إِيْمَانِهِ
أَوْ لَيْثِ اللَّجَاجِ فِي عُدْوَانِهِ
فِي ثَرَاهُ ، وَهَزَّ مِنْ حَسَنَانِهِ
قِ نَجُومِ الْبَيَانِ مِنْ أَعْيَانِهِ
وَاسْتَبْنَا الْكِتَابَ مِنْ عُتُونِهِ
مِنْحُونِي جَزَاءَ مَا لَمْ أَعَانِهِ
أَنَا أَسْمُو إِلَى نَبَاهَةِ شَانِهِ
لَوْ جَرَى الْحِطُّ فِي سُوءِ عَنَانِهِ
وَأَذَاعُوا الْجَمِيلَ مِنْ إِحْسَانِهِ
مِي ، وَإِنْ عِشْتُ طَائِفًا بِدِينَانِهِ
أَيْنَ فَضْلُ الْحَمَامِ فِي تَحْنَانِهِ ؟
مِنْ يَدِي فِي صَفَائِهِ وَلِيَانِهِ

* * *

رُبَّ جَارٍ تَلَقَّتْ مَصْرُ تُولِدُ
بَعَثْتَنِي مَعْرِيًّا بِمَا فِي
كَانَ شَعْرِي الْغَنَاءَ فِي فَرْحِ الشَّرِّ
قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يُؤَلِّفَنَا الْجُرِّ
كَلِمَا أَنْ بِالْعِرَاقِ جَرِيحُ
وَعَلَيْنَا كَمَا عَلَيْكُمْ حَدِيدُ
نَحْنُ فِي الْفَقْهِ بِالْأَدْيَارِ سُوءًا

سُؤَالَ الْكَرِيمِ عَنْ جِيرَانِهِ
وَطَنِي ، أَوْ مُهَنَّا بِلِسَانِهِ
قِ . وَكَانَ الْعَزَاءُ فِي أَحْزَانِهِ
حُ ، وَأَنْ نَلْتَقِي عَلَى أَشْجَانِهِ
لَمَسَ الشَّرْقُ جَنْبَهُ فِي عُمَانِهِ
تَنْزَى اللَّيْثُ فِي قُضْبَانِهِ
كُلُّنَا مُشْفِقُ عَلَى أَوْطَانِهِ

تم بحمد الله

١ المنهاة : النحلة المشرفة على الخلق في أقصى النعم .

الفهارس

فهرس الجزء الأول من الشوقيات

٥	مقدمة
٩	كبار الحوادث في وادي النيل
	همت الفلك ، واحتواها الماء وحداها بمن ثقل الرجاء
٢٦	الهمزية النبوية
	ولد الهدى ، فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
٣٣	صدى الحرب
	بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب وينصر دين الله أيا ن تضرب
٤٩	انتصار الأتراك
	الله أكبر ، كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب
٥٤	بعد المنفى
	أنادي الرسم لو ملك الجواب وأجزيه بدمعي لو أثابا
٥٨	ذكرى المولد
	سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا
٦٢	مشروع ملنر
	أئن عنان القلب ، واسلم به من ربرب الرمل ، ومن سره
٦٥	مشروع ٢٨ فبراير
	أعدت الراحة الكبرى لمن تعبأ وفاز بالحق من لم يأله طلبا
٧٠	الله والعلم
	لمن ذلك الملك الذي عز جانبه؟ لقد وعظ الأملاك والناس صاحبه

- ٧٣ ذكرى كارنارفون
في الموت ما أعيأ وفي أسبابه كل امرئ رهن بطي كتابه
- ٧٧ أيها العمّال
أيها العمّال ، افنوا الـ حمر كدّا واكتسابا
- ٧٩ نجاة
هنيئاً أمير المؤمنين ، فإنمّا نجاتك للدين الخفيف نجاة
- ٨٢ إلى عرفات
إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات
- ٨٨ مصر تجدد مجدها
قم حي هذي النّيرات حي الحسان الحّيّرات
- ٩١ خلافة الإسلام
عادت أغاني العرس رجح نواح ونعت بين معالم الأفراح
- ٩٤ محمد علي باشا الكبير
علّم أنت في المشارق مفرد لك في العالمين ذكرٌ مُخلّد
- ٩٨ الخديو اسماعيل
حلّم مدّه الكرى لك مدا وسأدى ترتجي لحلمك ردا
- ١٠٠ تكريم
بأبي وروحي الناعمات الفيدا الباسنات عن اليتيم نصيدا
- ١٠٣ على سفح الأهرام
قف ناج أهرام الجلال ، وناد : هل من بناتك مجلس أو ناد ؟
- ١١٦ المطرية تتكلم
يا ناشر العلم بهذي البلاد وفقت . نشر العلم مثل الجهاد

- الانقلاب العثماني ١١٨
- سل «بلنزا» ذات القصور هل جاءها نبأ البدور ؟
- تهنئة ١٢٣
- الدهرُ جاءك باسط الأعذار فاقبلْ فأمرُ الدهرِ للأقدار
- انتحار الطلبة ١٢٧
- ناشئ في الورد من أيامه حسبه الله ، أبا الورد عثر ؟
- عبث المشيب ١٣١
- ظلم الرجال نساءهم ، وتعسفوا هل للنساء بمصر من أنصار ؟
- أبو الهول ١٣٤
- أبا الهول ، طال عليك العصر وبلغت في الأرض أقصى العمر
- ملكة التحل ١٤٠
- ملكة مدبرة بامرأة مؤمرة
- في سبيل الهلال الأحمر ١٤٤
- جبريل ، هلل في السماء ، وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطر
- الأزهر ١٤٦
- قم في قم الدنيا ، وحي الأزهر وانثر على سمع الزمان الجوهرا
- الجامعة ١٥٠
- يا بارك الله في عباس من مَلِك وبارك الله في عمات عباس
- وداع فروق وتهنئة العيد ١٥٢
- تجلد للرحيل ، فما استطاعا وداعا جنة الدنيا وداعا
- رحالة الشرق ١٥٦
- أقدم ، فليس على الإقدام ممتنع واصنع به المجد ، فهو البارع الصنع
- براءة ١٥٩

الناس للدنيا تبع ولن تحالفه شيع	
الصحافة	١٦١
لكل زمان مضى آية وآية هذا الزمان الصحف	
عيد الفداء	١٦٣
أما العتاب فبالأحبة أخلق والحب يصلح بالعتاب ، ويصدق	
نكبة بيروت	١٦٥
يا رب أمرك في الممالك نافذ والحكم حكك في الدم المسفوك	
تكليل أنقرة	١٦٧
قم ناد أنقرة ، وقل يهنيك ملك بنيت على سيوف بنيك	
عيد الدهر و ليلة القدر	١٧١
الملك بين يديك في إقباله عوذت ملكك بالنبي وآله	
وداع اللورد كرومر	١٧٥
أيامكم ، أم عهد اسماعيل ؟ أم أنت فرعون يسوس النيل ؟	
السلطان حسين كامل	١٧٩
الملك فيكم آل إسماعيل لا زال بيتكم يُظِلُّ النيل	
بين الحجاب والسفور	١٨٤
صداح ، يا ملك الكنا ر ويا أمير البلبل	
العلم والتعليم	١٨٨
قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا	
بنك مصر	١٩٢
قف بالمالك ، وانظر دولة المال واذكر رجالاً أدالوها بإجمال	
مرحبا بالهلال	١٩٣
العام أقبل ، قم نحى هلالا كالتاج في هام الوجود جلالا	

- يا شباب الديار ١٩٦
- غال في قيمة ابن بطرس غالي علم الله ، ليس في الحق غالي
- على يد الله ١٩٨
- ما للقرى بين تكبير وإهلال وللمدائن هزت عطف مختال ؟
- نهج البردة ٢٠١
- رم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
- خاتمة رياض ٢١٢
- كبير السابقين من الكرام برغمي أن أنا لك بالملام
- ضجيج الحجيج ٢١٥
- ضج الحجاز ، وضج البيت والحرم واستصرخت ربما في مكة الأم
- استقبال ٢١٨
- يا راكب الريح ، حي النيل والهرما وعظم السفع من سيناء والحرما
- أرسططاليس وترجماته ٢٢١
- علمت بالقلم الحكيم وهديت بالنجم الكريم
- شاهد الحق ٢٢٤
- الام الخلف بينكم ؟ الاما ؟ وهذي الضجة الكبرى علاما ؟
- نحية للترك ٢٢٨
- الدهر يقطان ، والأحداث لم تم فمًا رقادكم يا أشرف الأمم ؟
- الأسطول العثماني ٢٣٠
- هزّ اللواء بعزك الإسلام وعنت لقائم سيفك الأيام
- الأندلس الجديدة ٢٣٣
- يا أخت أندلس ، عليك سلام هوت الخلافة عنك ، والإسلام
- ضعيف أمير المؤمنين ٢٣٩

رضي المسلمون والإسلام	فرع عثمان ، دم ، فذاك الدوام	
ذكرى دنشواي	يا دنشواي ، على ربك سلام	٢٤٣
الهلل الأحمر	ذهب بآنس ربوعك الأيام	٢٤٤
يا قوم عثمان - والدنيا مداولة -	تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا	
رومة	قف بروما ، وشاهد الأمر ، واشهد	٢٤٦
على قبر نابليون	أن للملك مالكا سبحانه	٢٥٠
قف على كتر بياريس دفين	من فريد في المعالي وثمين	
دمعة وإتسامة		٢٥٥
إرفعي السُّترَ وحيّ بالجين	وأرينا فلق الصبح المين	
تكریم		٢٦١
وطن يرف هوى إلى شبابه	كالروض رفته على ربحانه	
إعتداء		٢٦٤
نجا وتمائل ربانها	ودق البشائر ركبانها	
توت عنخ آمون		٢٦٧
قفي - يا أخت يوشع - خبرينا	أحاديث القرون الغابرينا	
تحية المؤتمر الجغرافي		٢٧٣
هل تهبط النيرات الأرض أحيانا؟	وهل تصور أفراداً وأعيانا؟	
الصليب الأحمر		٢٧٨
سريا صليب الرق في ساح الوغى	وانشر عليها رحمة وحنانا	
تحية للترك		٢٨٠
بحمد الله رب العالمينا	وحمدك يا أمير المؤمنين	

الدستور العثماني ٢٨٥

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميا

الهلل والصليب الأحمران ٢٨٨

جبريل ؛ أنت هدي السماء وأنت برهان العناية

فهرس
الجزء الثاني من الشوقيات

باب الوصف

- آية العصر ٢٩٤
يا فرنسا ، نلت أسباب السماء وتقلدت مقاليد الجواء
- شكسبير ٢٩٧
أعلى الممالك ما كرسه الماء وما دعامته بالحق شماء
- أثر البال في البال ٣٠٠
حف كأسها الحجب فهي فضة ذهب
- مرقص ٣٠٤
مال واحتجب وادعى الغضب
- تحلية كتاب ٣٠٨
أنا من بدل بالكعب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا
- الريبع ووادي النيل ٣١٢
آذار أقبل ، قم بنا يا صاح حي الربيع حديقة الأرواح
- مسجد أيا صوفيا ٣١٥
كنيسة صارت إلى مسجد هدية السيد للسيد
- غاب بولونيا ٣١٧
يا غاب بولون ولي ذم عليك ولي عهود

- المرأة العثمانية ٣١٨
يا ملكاً تعبداً مصلياً موحداً
- الهلال ٣١٩
سنون تعاد ودهر يعبد لعمرك ما في الليالي جديد
- منظر الشروق والغروب ٣٢٠
لمن غرة تنجلي من بعيد بمراى كما الحلم ضاح سعيد ؟
- منظر طلوع البدر من سفينة ٣٢١
ملك السماء بهرت في الأنوار ففداك كل متوج من ساري
- بلدة المؤتمر ٣٢٢
لا السهد يدنيني إليه ولا الكرى طيف يزور بفضلها مهمما سرى
- البسفور ٣٢٩
على أي الجنان بنا نمر وفي أي الحداثق تستقر
- الرحلة إلى الأندلس ٣٣٣
اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي
- كوك صو ٣٤٢
نخبة شاعر يا ماء جكسو فليس سواك للأرواح أنس
- أنس الوجود ٣٤٤
أيها المتحي بأسوان دارا كالثرى تريد أن تنقضا
- النفس ٣٤٩
ضمي قناعك يا سعاد أوارفمي هذي المحاسن ما خلقت لبرقع
- الكونكوردد ٣٥٢
أميدان الوفاق وكنت تدعى بميدان العداوة والشقاق

- أيها النيل ٣٥٣
من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن تغدق
- نكة دمشق ٣٦٣
سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق
- رمضان ولي ٣٦٧
رمضان ولي هاتها يا سافي مشتاقه تسمى إلى مشتاق
- مصر ٣٦٩
أيها الكاتب المصور صور مصر بالمظهر الأنيق الخليق
- البحر الأبيض المتوسط ٣٧٠
أي الممالك أيها في الهدر ما رفعت شراعك
- معرض باريس ٣٧٠
رزق الله أهل باريس خيرا وأرى العقل خير ما رزقوه
- باريس ٣٧١
جهد الصباية ما أكابد فيك لو كان ما قد ذقته يكفيك
- وداع ٣٧٣
محجوب إن جئت الحجا ز وفي جوانحك الهوى له
- طوكيو ٣٧٥
قف بطوكيو وطف على يوكو هامه وصل القريتين كيف القيامه
- طابع البريد ٣٧٧
أنا من خمسة وعشرين عاما لم أرح في رضاكم الأقداما
- الطياريون ٣٧٨
قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

- وصف مرقص ٣٨١
 طال عليها القدم فهي وجود عدم
 توت عنخ آمون ٣٨٥
 درجت على الكنز القرون وأنت على الدن السنون
 دمشق ٣٩٠
 قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمان
 أخت أمينة ٣٩٢
 هذه نور السفينة هذه شبه أمينه
 أندلسية ٣٩٣
 يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجي لواديك أم ناسي لوادينا
 غواصة ٣٩٨
 رأيت على لوح الخيال يتيمة قضى يوم لوستيتانيا أبواها
 جسر البوسفور ٣٩٩
 أمير المؤمنين رأيت جسرا أمر على الصراط ولا عليه
 كتاب ٤٠٠
 إلى حسين حاكم القتال مثال حسن الخلق في الرجال

باب النسب

- الهمزة ٤٠٣
 خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء
 لا السهد يطويه ولا الإغضاء ليل عداد نجومه رقباء
 سويح النيل رفقا بالسويداء فما تطيق أنين المفرد النائي
 يا ويح أهلي أبلى بين أعينهم على الفراش ولا يدرون ما دالي
 منك يا هاجر دالي ويكفيك دوالي

الباء ٤٠٥

لقد لامي يا هند في الحب لائم
على قدر الهوى يأتي العتاب
أريد سلوككم والقلب يأبى
روعه فتولى مغضبا
ما تلك أهدائي تذ
عظم بينها الدمع السكوب
عجب إذا عد الصحاب حبيب
ومن عاتبت يفديه الصحاب
وأعتبكم وملء النفس عتبي
أعلمتم كيف ترتاع الطبا
عظم بينها الدمع السكوب

التاء ٤٠٨

لا والقوام الذي والأعين اللاتي
ما خنت رب القنا والمشرقيات

الذال ٤٠٨

لحظها لحظها رويدا رويدا
الرشد أجمل سيرة يا أحمد
أن الوشاة وإن لم أحصهم عددا
بثت شكواي فذاب الجليد
يمد الدجى في لوعي ويزيد
هام الفؤاد بشادن
للعاشقين رضاك والحسد
في مقتلتيك مصارع الأكباد
قف باللواظ عند حدك
مضناك جفاه مرقده
كم إلى كم تكيد للروح كيدا
ود القواني من شباك أبعاد
تعلموا الكيد من عينيك والفندا
وأشفق الصخر ولان الحديد
ويبدى بئي في الهوى ويعيد
ألف الدلال على المدى
خنى ولي هجر وصد
الله في جنب بغير عماد
يكفيك فتنة نار خدك
وبكاه ورحم عوده

الراء ٤١٣

بالله يا نسَمَات النيل في السحر
عرضوا الأمان على الخواطر
في ذي الجفون صوارم الأقدار
لك أن تلوم ولي من الأعذار
أغلبني ذات الدلال على صبري
قلب ينوب ومدمع يجري
بدأ الطيف بالجميل وزارا
هل عندكن عن الأحباب من خبر
واستعرضوا السرّ الخواطر
راعي البرية يا رعاك الباري
أن الهوى قدّر من الأقدار
إذن أنا أولى بالقناع وبالخدر
يا ليل هل خبر عن الفجر
يا رسول الرضا وقيت العثارا

العين ٤١٩

أبتك وجددي يا حمام وأودع
تأتي الدلال سجية وتصنعا
فإنك دون الطير للسر موضع
وأراك في حالي دلالك مبدعا
ردت الروح على المضي معك
أحسن الأيام يوم أرجعك

الفاء ٤٢١

يقول أناس لو وصفت لنا الهوى
علموه كيف يخفوا فجفا
لعل الذي لا يعرف الحب يعرف
ظالم لاقت منه ما كفى

القاف ٤٢٢

جفتنا بالشعور والأحداق
وقسمن الحظوظ في العشاق

الكاف ٤٢٣

مضنى وليس به حراك
لكن يخف إذا رآك

اللام ٤٢٣

فدتك الجوانح من نازل
لام فيكم عنوله وأطالا
وأهلاً بطيفك من واصل
كم إلى كم يعالج العذالا
بات المعنى والدجى يتلي
والبرح لأوان ولا منجلي

الميم ٤٢٤

أنا إن بذلت الروح كيف ألام
هل تيم البان فؤاد الحمام
لما رمت فأصابت الآرام
فناح فاستبكي جفون الغمام
صريع جفنيك ينني عنها التها
فما رميت ولكن القضاء رمى
زاد الكرى عن مقلتيك حمام
لباه شوق ساهر وغرام
وقضى اللبانة من هوى وغرام
شغلته أشغال عن الآرام
كلا جفنيك يعلمه
به سحر يتيمه

النون ٤٢٨

من صور السحر المبين عيونا
أذعن للحسن عصي العنان
وأحله حدقا لها وجفونا
وحاولت عيناك أمراً فكان

يا حسنه بين الحسان في شكله إن قيل بان
يا ناعماً رقدت جفونه مضناك لا تهدأ شجونه
صحا القلب إلا من خمار أمانى يجاذبني في الغيد رث عانى
الله في الخلق من صب ومن عانى تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني
قلب بوادي الحمى خلفته رمقاً ماذا صنعت به يا ظبية البان

الهاء ٤٣٢

قالوا له : روجي فداه هذا التجني ما مداه

الياء ٤٣٣

مقادير من جفنيك حولن حاليا فذقت الهوى من بعد ما كنت خاليا
أهل القدود التي صالت عواليها الله في مهج طاحت غواليها
أداري العيون الفاترات السواجيا وأشكو إليها كيد انسانها ليا

متفرقات

مصابير الأيام ٤٣٩

ألا حبنا صجة الكتب وأحب بأيامها أحب

لبنان ٤٤٢

السحر من سود العيون لقيته والبابلي بلحظهن سقيته

المؤتمر ٤٤٤

سرح على الوادي المبارك ضاحي متظاهر الأعلام والأوضاع

النسر المصري ٤٤٨

أعقاب في عنان الجور لاح أم سحاب فر من هوج الرياح

توت عنخ آمون ٤٥٠

قم سابق الساعة واسبق وعداها الأرض ضاقت عنك فاصدع غمدها

- ٤٥٢ مصرع كيشنر
قف بهذا البحر وانظر ما غمر مظهر الشمس وإقبال القمر
- ٤٥٦ البرلمان
سكن الزمان ولانت الأقدار ولكل أمر غاية وقرار
- ٤٥٨ قصيدة في حلة
قل للرجال طفى الأسير طير الحجال متى يطير
- ٤٦٠ حسنين بك
جن على حرم السماء أغاروا أم فتية ركبوا الجناح فطاروا
- ٤٦٢ صقر قرش
من لنضو يتزى المأ برح الشوق به في الغلس
- ٤٧٠ زحلة
شيعت أحلامي بقلب باك ولحت من طرق الملاح شباكي
- ٤٧٣ استقلال سوريا
حياة ما نريد لها زبالا ودنيا لا نود لها انتقالا
- ٤٧٥ تمثال نهضة مصر
جعلت حلاها وتمثالها عيون القوافي وأمثالها
- ٤٧٨ الحرية الحمراء
في مهرجان الحق أو يوم الدم مهج من الشهداء لم تتكلم
- ٤٧٩ علي بك إبراهيم
ابتغوا ناصية الشمس مكانا وخذوا القمة علماً وبيانا
- ٤٨٢ تحية الشاعر
مرحبا بالربيع في ربهانه وبأنواره وطيب زمانه

منتدی اقرا الثقافی

www.iqra.ahlamontada.com

دعوات أخيتك شوقي



طار حنا

بیروت

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ الثَّقَافِي)

پراي داڻلود ڪتابهاى مختلف مراجعه: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ الثَّقَافِي)

پۇدايهزانىنى جۇرۇمها كىتىپ: سەردانى: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ الثَّقَافِي)

www.lqra.ahlamontada.com



www.lqra.ahlamontada.com

ئىلکىتەب (كوردى ، عربى ، فارسى)

ديوان شوقي

الجزء الثاني

دار صادر
بيروت

سليمان باشا أباطة*

مَنْ ظَنَّ بِعَدْلِكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ
فَجَعَلَ الْمَكَارِمَ فَاجِعُ فِي رَبِّهَا
وَنَعَى النِّعَاتُ إِلَى الْمَرْوَةِ كَثَرَهَا
أَبَا مُحَمَّدٍ . اتَّيَدُ فِي ذَا التَّوَى
وَاسْتَبَقَ عِزَّهُمْ بِطَهْرَاءَ الَّتِي
أَدَجَى بِهَا لَيْلُ الْخُطُوبِ . وَطَالَمَا
وَإِذَا سَلِيمَانَ اسْتَقْلَّ مَحَلَّةً
فَانْظُرْ مِنَ الْأَعْوَادِ حَوْلَكَ هَلْ تَرَى
سَارَتْ جِنَازَةً كُلَّ صَبِيٍّ فِي الْوَرَى
وَتَيَسَّمُ الْأَيْتَامُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَنْ تُضَيِّعَ رَاجِعاً
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَنْ يَوَدُّ وَمَنْ يَبْقَى
وَذَكَرْتُ سَعْيَكَ لِي مَرِيضاً فَانِيّاً

فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ
وَالْمَجْدُ فِي بَانِيهِ ، وَالْعِلْيَاءُ
وَالِى الْفَضَائِلِ نَجْمَهَا الْوَصَاءُ
وَارْفُقْ بِأَلِّكَ ، وَارْحَمْ الْأَبْنَاءَ
كَانُوا النُّجُومَ بِهَا وَكَتَبَتْ سَمَاءُ
مُلِئَتْ مَنَازِلُهَا سَنَى وَسَنَاءُ
كَانَتْ بِسَاطِئِ اللَّندَى وَرَجَاءُ
مَنْ بَعْدَ طَبَّكَ لِلْعَفَاةِ دَوَاءُ
لَمَّا رَكِبَتْ الْإِلَاقَةَ الْحَدَبَاءُ
وَرَمَى الزَّمَانُ بِسَرْفِهِ الْفُقَرَاءُ
وَالْيَوْمَ ضَاعَ الْكُلُّ فِيكَ رَجَاءُ
فَقَفَّ الْغَدَاةُ لَوْ اسْتَطَعَتْ وَفَاءُ
فَجَعَلْتُ سَعْيِي بِالرِّثَاءِ جَزَاءُ

- ١ . سليمان باشا أباطة : أحد سراة مصر الكبار ، وكان في حياته كبير الأسرة الأباطية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفي سنة ١٩٠١ .
- ٢ . طهراء : علم على بلد الفقيد ، وهي من أعمال إقليم الشرقية بمصر .
- ٣ . الأعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ، وعلى السرير للحي أو الميت . العفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .
- ٤ . الجنائزة بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بانكسر : هي الميت . وبانفتح هي النعش . وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع ما نواف عصره هو ، طلاقها بانكسر على سرير الميت والمشييعين له .
- ٥ . صرف الزمان : نوائبه وحداثه .

والمرء يُذَكَّر بالجمال بعده	فارفع لذِكْرِكَ بالجميل بِناء
واعلمُ بأنك سوف تُذَكَّر مرَّةً	فيقالُ : أحسنَ ، أو يقالُ : أساءَ
أُنبِئِهِ ، كونوا للعدى من بعده	كيداً ، وكونوا للوليِّ عزاءَ
وتجلَّدُوا للخطب مثلَ ثباته	أيامَ كان يُدافع الأُزراءَ
والله ما مات الوزيرُ وكتتمُ	فوقَ الترابِ أعزَّةُ أحياءَ

مصطفى باشا فهمي*

يا أيها الناعي أيا الوزراء هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريدَ مشارقاً ومغارباً واركبْ جناحَ البرقِ في الأرجاء^١
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دماً فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تَعِ للأحياءِ غيرَ ذخيرةِ ولتِ ، وغيرَ بقيةِ الكُبراء
رُزْمِ البريةِ في الوزيرِ زيادةً فيما أَلَمَ بها منَ الأرزاءِ
ذهبتْ على أثرِ المسيحِ دولةً برجالها وكرائمِ الأشياءِ
ندمانُ إسماعيلَ في آثاره ذهبوا ، وتلك صُباةُ الندماءِ^٢
وُلدوا على راحِ العلا ، وترعرعوا في نعمةِ الأملاكِ والأمرءِ
أودى الردى بمُهذَّبٍ لا تنهي إلا إليه شائلُ الرؤساءِ
صافي الأديمِ ، أغرَّ ، أبْلَجَ لم يَرُدْ في الشَّيبِ غيرَ جلالَةٍ ورُواءِ^٣
مُتَجَبِّ الخيلاءِ إلا عزةً في العزِّ حُسْنُ ليس في الخيلاءِ
عَفَّ السرائرِ والملاحظِ والخطا نَزِهَ الخلائقِ طاهرِ الأهواءِ^٤

• مصطفى باشا فهمي : كان إلهاماً موقفاً لأمير الشعراء حين كناه بأبي الوزراء ، فهو والد الزعيمة

صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول .

١ البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون أذنان وأعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها أحد في الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان في زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة في ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستان وغيرها كما هو معروف .

٢ التندمان - بفتح النون الأولى - : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس ، أو المجالس على الشراب .

٣ الرواء في المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

٤ الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ .

مُتَدَرِّعٌ صَبَرَ الكرامِ على الأذى
تَقَمُّوا عليه رَأْيُهُ وَصَنِيعَهُ
وَالرَّأْيُ إِنِ اخْتَلَصَتْ فِيهِ سَرِيرَةٌ
وَإِذَا الرِّجَالُ عَلَى الْأُمُورِ تَعَاقَبُوا
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْكَرِيمُ ، نَحْبَةُ
هَذَا الْمَصِيرِ ، أَكَانَ طَوْلَ سَلَامَةٍ
مَاذَا انْتِفَاعُكَ بِاللَّيَالِي بَعْدَ مَا
أَوْ بِالْحَيَاةِ ، وَقَدْ مَشَى فِي صَفْوِهَا
مَنْ لَمْ يُطَيِّبِهِ الشَّبَابُ فِدَاؤُهُ
قَسِمَاتُ وَجْهِكَ فِي التَّرَابِ ذَخَائِرُ
وَلَكُمُ أَغَارٌ عَلَى مُحْيَا مَاجِدٍ
كَمْ مَوْقِفٍ صَعِبٍ عَلَى مَنْ قَامَهُ
كَبِيرُ الْغَضَنِ يَوْمَ ذَلِكَ زَادَهُ
مَنْ يَكْذِبُ التَّارِيخَ يَكْذِبُ رَبَّهُ
السَّلَامُ لَوْ لَمْ تُؤَدِّ أَمْسٍ بِجُرْجِهَا
لَوْ أَخَّرْتَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ سَاعَةً
أَنْفَضَ غَبَارَكَ عَنْكَ وَانْظُرْ هَلْ تَرَى

إِنَّ الْكَرَامَ مُشَاغِلُ السَّفَهَاءِ
وَالْحُكْمُ لِلتَّارِيخِ فِي الْآرَاءِ
مِثْلُ الْعَقِيدَةِ فَوْقَ كُلِّ مِرَاءِ
كَشَفَ الزَّمَانُ مَوَاقِفَ الثُّظَرَاءِ
أَنْدَى لِقَبْرِكَ مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ
أَمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلَ بَقَاءِ؟
مَرَّتْ بِكَ السَّبْعُونَ مَرَّةً عِشَاءِ؟
عَادِي السَّنِينَ ، وَعَاثَ عَادِي الدَّاءِ؟
حَتَّى يَغَيِّبَهُ بَغِيرُ دَوَاءِ
مِنْ عِفَّةٍ ، وَتَكْرُمٍ ، وَحَيَاءِ
وَطَوَى حَاسَنَ مَسْمَحٍ مِعْطَاءِ^٢
ذَلَّلَتْهُ ، وَنَهَضَتْ بِالْأَعْبَاءِ
مِنْ نَخْوَةٍ وَحِمِيَّةٍ وَإِبَاءِ
وَيْسِيءٍ لِلْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
أَوْدَتْ بِهِذِي الطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ^٣
لَبَّكَتْ عَلَيْكَ بِمَدْمَعِ الْخُنُسَاءِ
إِلَّا غَبَارَ كَتِيبَةٍ وَلِوَاءِ؟

١ بقصد سبعين عاماً ، ولكنه في استعمال لفظ السبعين يجري مجرى العرب الفصحاء في استعمال هذا اللفظ للدلالة على البكرة فقط لا العدد بعينه ، وفي هذا الباب جاء القرآن الكريم أن تستغفر لهم سبعين مرة فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرتة .

٢ مسمح - بفتح الميم - : واسع الساحة . والمعطاء : كثير العطاء .

٣ يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كأنه يقول : إن اتفاق موت المرثي مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان مسلماً لقومه يشبه السلم العالم للناس ، فهو والسلم توأمان .

يا ويح وجه الأرض : أصبح مأتماً
 من ذائدٍ عن حوضه ، أو زائدٍ
 أو مانعٍ جاراً يُناضلُ دونه
 يتقاذفون بذاتٍ هولٍ ، لم تهب
 من محدثاتِ العلم ، إلا أنها
 بعد الفوارس من بني حواء
 في ملكه من صولةٍ وثرء
 أو حافظٍ لعهوده ميفاء^١
 حرم المسيح ولا جمي العذراء
 إنهم عواقبها على العلماء

لني على ركنٍ الشيوخ مُهدماً
 وعلى الشباب بكل أرضٍ مضرع
 خرجوا إلى الأوطان من أرواحهم
 من كل بانٍ بالنيّة في الصبا
 المُرصعاتُ سكّين في وجدانه
 وقرّرن في أذنيه يومٍ فطامه
 والحاملاتِ التكلّ والثّماء
 لهم ، وهلك تحت كل سماء
 كرمٌ يليق بهم ومخصّ سخاء
 لم يتخذ عرساً سوى الهتّاء^٢
 حبّ الدّيار وبغضة الأعداء
 أن الدماء مهورة العلباء

آبَا البنات . رزقتهن كرائمًا
 لا تذهبن على الذكور بحسرة
 وأرى بُناةَ المجد يتلّم مجدهم
 إن البنات ذخائر من رحمة
 والساھراتُ لعلّة أو كبرّة
 والباكياتُ حين ينقطع البكا
 ورزقت في أصهارك الكرّماء
 الذّكر نعم سلالة العظماء
 ما خلّفوا من طلحٍ وغنّاء^٣
 وكنوز حبّ صادقٍ ووفاء
 والصابراتُ لشدة وبلاء
 والزائرثُ في العراء النالي

١ ميفاء : كثير الوفاء .

٢ يقال : بنى على فلانة ، إذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين : الزوجة ، يصف هذا
 الشباب السخي بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس
 الزوجات والعرائس والعيشة الوداعة .

٣ الغناء ، بضم الغين : الفاسد .

والذاكرُ أَثْكَ ما حَينَ تَحْدُثُ
 بِالْأَمْسِ عَزَّاهُنَّ فَيْكَ عَقَاتِلُ
 وَأَيْبِكَ ما الدُّنْيا سِوَى مَعْرُوفِها
 أَجْزَعَنَّ أَنْ يَجْري عَلَينَ الَّذي
 عَذْرًا لَها إِذا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى
 ما كُلُّ ذِي وَلَدٍ يُسَمَّى والدًا
 هَبُّهُنَّ في عَقْلِ الرِّجالِ وحِلْمِهِم

بَسْوَافِ الحُرْماتِ والآلاءِ
 وَالْيَوْمَ جَامَلَهُنَّ فَيْكَ رِثائِي
 وَالْبِرَّ ، كُلُّ صَنِيعَةٍ بِجِزاءِ
 مِنْ قَبْلَهُنَّ جَرى عَلى «الزَّهراءِ»؟^١
 وَطَلَبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَّاءِ
 كَمَ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 أَقْلُوهُنَّ سِوَى قُلُوبِ نِساءِ؟

١ الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذي جرى عليها هو موت أيتها سيد الخلق .

أبو هيف بك*

اجعلْ رِثاءَكَ للرجالِ جِزاءَ وابعْثْهُ للوطنِ الحزينِ عِزاءَ
 إن الدِّيارَ تُريقُ ماءَ شُؤونِها كالأمْهاتِ . وتندُبُ الأبناءَ
 تُكلُّ الرجالِ من البنينَ ، وإنما ثكلُ المالكِ فَقْدُها العلماءَ
 يَجْزَعَنَّ للعلَمِ الكبيرِ إذا هوى جَزَعُ الكُتَّابِ قد فَقَدَنَّ لَوَاءَ
 علَمُ الشريعةِ أدركَتْهُ شريعةُ للموتِ يَنْظِمُ حُكْمُها الأحياءَ
 عانى قضاءَ الأرضِ علَمٌ مُحْصَلِ واليومَ عالجَ للسماءِ قِضاءَ
 ومضى وفيه من الشبابِ بَقِيَّةُ للنفعِ أَرْجَى ما تكونُ بقاءَ
 إِنَّ الشبابَ يُحِبُّ جَمًّا حافِلاً وَثَبُّ أيامُ الشبابِ مِلاءَ
 بالأمسِ كانت لابنِ هَيْفٍ غَضَبُهُ للحقِّ نَدَّكرُها يداً بِيضاءَ
 مَشَتْ البلادُ إلى رسالةٍ ملنَّ وتحفَرتْ أرضاً لها وسِماءَ
 فلمَحَتْ أَعْرَجَ في زوايا الحقِّ لم أَعْلَمَ عليه ذِمَّةٌ عَرَجاءُ

• هو فقيه العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف في معارضة مشروع ملنر موقفاً قانونياً لامتاعاً ، فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار في قضية البلاد ، وقد توفي سنة ١٩٢٦ .

١ الكُتَّاب : جمع كُتِّية ، وهي الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء ، أي رئيس تلتف وحدتها حوله .

٢ الملاء : الأغنياء الممولون ، الواحد منهم مليء .

٣ اللورد ملنر : هو أحد وزراء إنجلترا ، ورسائله التي مشت البلاد إليها وتحفرت لها : هي تقريره المشهور ، بعث من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع ، لولا الفقيه ومعه نفر قليل جداً قاموا بحملتهم ضده ، وفي هذه الحملة نشر الفقيه بحثاً قانونية في تنفيذ المشروع ، كانت من أهم مراجع رجال السياسة في رفضه بعد .

٤ كانت ساق الفقيه مبتورة ، وكان يمشي على ساق صناعية .

ارتدت العاهات عن أخلاقه
عطفته عطف القوس يوم رمية
لما رأى التقرير ينفض سمة
هتك الحماية والرجال وراءها
ما قبّحوا بالصبح من أشباحها
يا قيم الدار التي قد أخرجت
وترى لديها الواردين ، فلا ترى
وثجالس العلماء في حُجراتها
تكفيك شيطان الفراغ ، وتعتني
دار الذخائر كنت أكمل كتبها
لما خلعت من كثر علمك أصبحت
هز الشباب إلى رثائك خاطري
عبد الحميد ، ألا أسيرك حادثاً
قم من صفوف الحق ثلق كتيبة
وتر الكنانة شبيبها وشبابها
جمع السلام الصحف من غاراتها
في كل وجدان وكل سريرة
وعدا إلى دين العشيرة ينتهي
لا يحجبون على تجنيهم . ولا
والأهل لا أهلاً بحبل ولاهم

لسموهن وحلت الأعضاء
وتنه كالماضي ، فزاد مضاء
سبق الحواة فأخرج الرقطاء
يتلمسون لها السثور رباء
راحوا إليك فحسنوه مساء
للمدلجين منارة زهراء
إلا ظماء ينزلون رواء
وثسامير الحكماء والشعراء
بالجاهلين تردهم عقلاء
مجموعة ، وأتمها أجزاء
من كل أعلام الكنوز خلاه
فوجدت في وفي الشباب وفاة
يكسو عظامك في البلى السراء^١
ملومة ، وتر الصفوف سواء
دون القضية عرضة وفداء
وتألف الأحزاب والزعماء
خلف الوداد الحقد والبغضاء
من خالف الأعمام والآباء
يجدون إلا الصفح والإغضاء
حتى تراهم بينهم رُحما

١ الدار : هي دار الكعب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .

٢ الحادث : هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية في وقت نظم هذه القصيدة التي تعد من مفاخر المراثي في الشعر العربي .

كذب المرِيبُ يقول : بعدَ غدٍ لنا
قلبي يُحدِّثني وليس بخاتني:
خُلفٌ يُعيدُ ويُبدي الشَّخْنة
إنَّ العقولَ ستقهرُ الأهواءُ

• • •

يا سعدُ ، قد جَرَّتْ الأمورُ لغايةٍ
سُبْحانَهُ جمعَ القلوبِ من الهوى
الفُلكُ بعدَ العُسرِ يُسرُ أمرُها
وتأهَّبَتْ بك تستعدُّ لِآخرِ
رجعتْ براكبها إلى رَبِّانها
فاشدُّذْ بآربابِ التُّهى سَكَّانها
من ذا الذي يَخْتارُ أهلَ الفضلِ أو
أُخرجُ لأبناءَ الحضارةِ مَجْلِساً
اللهُ هَيَّأها لنا ما شاءُ
شَتَّى ، وقوى حوله الضَّعْفاءُ
واستقبلتْ ریحَ الأمورِ رُخاءُ
تطأُ العواصفُ فيه والأنواءُ
تُلقي الرجاءَ عليه والأعباءُ
واجعلْ مِلاكَ شِراعِها الأكفاءُ
يَرِنُ الرجالُ إذا اختِيارُكَ ساءُ ؟
يُبقِي على اسمِكَ في العصورِ ثناءُ

١ سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان في عهد ذلك
الامتلاف .

٢ السكان : مؤخر السفينة .

مولانا محمد علي*

يَتَّ عَلَى أَرْضِ الْهَدَى وَسَمَائِهِ
الْفَتْحُ مِنْ أَعْلَامِهِ ، وَالطُّهْرُ مِنْ
تَحْنُ مَنَاقِبِهِ عَلَى شَعْبِ الْهَدَى
مَنْ ذَا يُنَازِعُنَا مَقَالِدَ بَابِهِ
وَمُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَى جَنَبَاتِهِ
وَالْيَوْمَ ضَمَّ النَّاسَ مَا تَمُّ أَرْضِهِ
يَا قَدِيسٌ ، هَيْ مِنْ رِيَاضِكَ رَبْوَةٌ
هُوَ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
فَتَحَّ النَّبِيُّ لَهُ مَنَاحَ بُرَاقِهِ
بَطَلُ حَقُوقِ الشَّرْقِ مِنْ أَحْمَالِهِ
لَمْ تُنْسِهِ الْهِنْدُ الْعَزِيزَةُ رِقَّةً
وَقَبَاؤُهُ نَسَجُ الْهُنُودِ ، فَهَلْ تُرَى
النَّيْلُ يَذْكُرُ فِي الْحَوَادِثِ صَوْتَهُ

الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسْرُ بِنَانِهِ
أَوْصَافُهُ ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَانِهِ
وَتُطِيلُ سُدَّتُهُ عَلَى سِينَانِهِ
وَجَلَالُ سُدَّتِهِ ، وَطُهُرُ فِنَانِهِ؟
وَاسْتَقْبَلَ السَّمَحَاتِ فِي أَرْجَانِهِ؟
وَحَوَى الْمَلَائِكَةَ مِهْرَجَانُ سَمَانِهِ
لَتَزِيلَ تُرْبِكَ ، وَاحْتَفَلَ بِلِقَائِهِ
أَوْ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ عِنْدَ قَضَائِهِ
وَمَعَارِجَ التَّشْرِيفِ مِنْ إِسْرَائِهِ
وَقَضِيَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْبَانِهِ
لِلشَّرْقِ ، أَوْ سَهْرًا عَلَى أَشْيَائِهِ
دَفَنُوا الزَّعِيمَ مُكَفَّنًا بِقَبَائِهِ؟
وَالْتَرَكُ لَا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلَائِهِ

* * *

قل للزعيم محمد : نزل الأسى بالنيل واستولى على بطحائه^٢

* هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفي سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهداً في خدمة الإسلام في شتى أقطاره ، وقد أقيمت له في القاهرة حفلة تأبين كبيرة أُلقيت فيها هذه القصيدة .

١ السدة : باب الدار .

٢ القباء : بفتح القاف : نوع من الثياب .

٣ محمد : هو المرئي .

فشى إليك بجفنه وبدمه	وإلى أخيك بقلبه وعزائه ^١
اجتزته فحواك في أطرافه	ولو انتظرت حواك في أحشائه
ولقد تعود أن تمر بأرضه	مرّ العمام بظله وبمائه
نم في جوار الله ما بك غربة	في ظل بيت أنت من أبنائه
الفتح - وهو قضية قدسية -	يا طالما ناضلت دون لوائه
أفتى بدفئك عند سيده القرى	مفت أراد الله من إفتائه ^٢
بلد بئوه الأكرمون قصورهم	وقبورهم وقف على نزلاته ^٣
قد عشت تنصره وتمنح أهله	عوناً ، فكيف تكون من غربائه؟

- ١ يريد بأخيه : مولانا شوكت علي ، وقد آلت إليه زعامة المسلمين في الهند بعد أخيه .
- ٢ سيده القرى : المقصودة هي القدس الشريف ، ولا بد للدفن في هذا الحرم من تصريح ديني يصدره مفتي الإسلام هناك ، ولا يصح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للإسلام وللعرب .
- ٣ يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعاً ، وكثيراً ما هتف أمير الشعراء بأهل هذه البلاد إعجاباً بأخلاقهم .

سيد درويش*

كلَّ يومٍ مِهْرَجَانُ كَلَّلُوا فيه مَيَّتاً بِرِيَّاحِينَ الشَّاءِ
لم يَعْلَمْ قَوْمَهُ حَرْفاً . ولم بُضِيءَ الْأَرْضَ بِنُورِ الْكَهْرُبَاءِ
جُومِلَ الْأَحْيَاءُ فِيهِ وَقَضَى شَهَوَاتِ أَهْلِهِ وَالْأَصْدَقَاءِ
مَا أَضَلَّ النَّاسَ؟ حَتَّى الْمَوْتُ لَمْ يَخْلُ مِنْ زُورِهِمْ ، أَوْ مِنْ رِيَاءِ

* * *

إِنَّمَا يُنَكِّي شُعَاعُ نَابِغٍ كَلَّمَا مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ أَضَاءِ
مَلَأَ الْأَفْوَاهَ وَالْأَسْمَاعَ فِي ضَجَّةِ الْمَحْيَا ، وَفِي صَمْتِ الْفَنَاءِ
حَاطَظَ الْفَنِّ ، وَبَانِي رُكْنِهِ مَعْبُدُ الْأَلْحَانِ ، إِسْحَقُ الْغِنَاءِ^١
مِنْ أَنَاسٍ كَالدَّرَارِيِّ جُدُدٍ فِي سَمَوَاتِ اللَّيَالِي قُدُمَاءِ
غَرَسَ النَّاسُ قَدِيمًا ، وَبَتُّوا لَمْ يَدُمْ غَرْسٌ ، وَلَمْ يَخْلُدْ بِنَاءِ
غَيْرَ غَرْسٍ نَابِغٍ ، أَوْ حَجَرٍ عَقَرِيٍّ فِيهِمَا سِرُّ الْبَقَاءِ
مِنْ يَدٍ مُوْهُوبَةٍ مُلْهِمَةٍ تَغْرِسُ الْإِحْسَانَ ، أَوْ تَنْبِي الْعَلَاءِ

* * *

بُلْبُلٌ إِسْكَنْدَرِيٌّ أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ
هَبَطَ الشَّاطِئُ مِنْ رَايَةِ ذَاتِ ظِلٍّ وَرِيَّاحِينَ وَمَاءِ
يَحْمِلُ الْفَنَّ نَمِيرًا صَافِيًا عَدَقَ التَّبَعُ إِلَى جَبَلِ ظِمَاءِ^٢

* الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله في طليعة المجددين في الموسيقى العربية ، وقد أقيمت

هذه القصيدة في حفلة أقيمت لذكراه في سنة ١٩٣١ .

١ معبد واسحاق : رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى .

٢ الغدق - بفتح الغين والدال - : الكثير .

حلّ في وادٍ على فُسْحَتِهِ عَزَّتِ الطَّيْرُ بِهِ إِلَّا الْحِدَاءُ
يَمْلَأُ الْأَسْحَارَ تَغْرِيداً إِذَا صرف الطَّيْرُ إِلَى الْأَيْكِ الْعِشَاءُ
رُبَّمَا اسْتَلْهَمَ ظِلْمَاءُ الدُّجَى وَأَتَى الْكُوكَبَ فَاسْتَوْحَى الضِّيَاءُ
وَرَمَى أُذُنَيْهِ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلْسَ الْبَيْغَاءِ
فَتَلَقَّى فِيهَا مَا رَآهُ من خَفِيِّ الْهَمْسِ ، أَوْ جَهْرِ النَّدَاءِ

* * *

أَيُّهَا الدَّرُوشُ ، قُمْ بُثَّ الْجَوَى وَاشْرَحِ الْحَبَّ ، وَنَاجِ الشَّهْدَاءُ
اضْرِبِ الْعُودَ نَفْثَةً أَوْتَارُهُ بِالَّذِي تَهْوَى ، وَتَنْطِقُ مَا تَشَاءُ
حَرِّكَ النَّأْيَ ، وَنُحْ فِي غَابِهِ وَتَنْفَسْ فِي الثُّقُوبِ الصُّعْدَاءُ^١
وَاسْكُبِ الْعَبْرَةَ فِي آمَاقِهِ من تَبَارِيحَ ، وَشَجْوٍ ، وَعَزَاءِ
وَاسْمُ بِالْأَرْوَاحِ . وَادْفَعْهَا إِلَى عَالَمِ اللَّطْفِ وَأَقْطَارِ الصَّفَاءِ^٢

* * *

لَا تُرِقْ دَمْعاً عَلَى الْفَنِّ فَلَنْ يَعْدِمَ الْفَنُّ الرُّعَاةَ الْأَمْنَاءُ
هُوَ طَيْرُ اللَّهِ فِي رَبَّوْتِهِ يَبْعَثُ الْمَاءَ إِلَيْهِ وَالْغِذَاءُ
رَوْحَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ فَهِيَ مِثْلُ الدَّارِ ، وَالْفَنُّ الْفِنَاءُ
تَكْسِي مِنْهُ وَمَنْ آذَارُهُ نَفْحَةُ الطَّيْبِ وَإِشْرَاقُ الْبَهَاءِ
وَإِذَا مَا حُرِمَتْ رِقَّتُهُ فَشَتِ الْقَسْوَةُ فِيهَا وَالْجَفَاءُ
وَإِذَا مَا سَيِّمَتْ أَوْ سَقِمَتْ طَافَ كَالشَّمْسِ عَلَيْهَا وَالْهَوَاءُ
وَإِذَا الْفَنُّ عَلَى الْمُلْكِ مَشَى ظَهَرَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ وَالرُّوَاءُ
قَدْ كَسَا الْكَرْنُكَ مِصْراً مَا كَسَا من سَيِّئِ أَبْلَى اللَّيَالِي وَسَنَاءِ

١ الصعداء - يضم الصاد وفتح العين - : تنفس ممدود .

٢ عالم اللطف : هو عالم المعاني والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا في أوقات الصفاء والإنشراح .

يُرْسِلُ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ عَلَى فتراتٍ من ظُهُورٍ وخَفَاءٍ
كَلِمًا أَدَّى رَسُولٌ وَمَضَى جَاءَ مِنْ يُوفِي الرِّسَالَاتِ الْأَدَاءَ

* * *

سَيِّدَ الْفَنِّ ، اسْتَرْحَ مِنْ عَالَمٍ آخِرُ الْعَهْدِ بِنُعْمَاهُ الْبَلَاءِ
رَبِّمَا ضِيقَتْ فَلَمْ تَتَّعَمَ بِهِ وَسَرَى الْوَحْيُ فَنَسَاكَ الشَّقَاءِ
لَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ فَنَّا نَابِغًا دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللَّوَاءِ
إِنْ فِي مُلْكٍ قَوَادٍ بُلْبَلًا لَمْ يُتَخَ أَمَثَالُهُ لِلْخُلَفَاءِ
نَاحِلٌ كَالْكُرَّةِ الصَّغْرَى سَرَى صَوْتُهُ فِي كُرَّةِ الْأَرْضِ الْفَضَاءِ
يَسْتَحْيِ أَنْ يَهْتَفَ الْفَنُّ بِهِ وَجَالُ الْعَبَقِرِيَّاتِ الْحَيَاءِ

١ يراد بالبلبل هنا : الموسيقىار النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذي حمل لواء التجديد في الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار*

رَكُزُوا رُفَاتَكُمْ فِي الرَّمَالِ لِيُؤْذِيَ
يَا وَيَحْهُمْ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمٍ
مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعَلَاقَةَ فِي غَدٍ
جَرَحٌ يَصْبِحُ عَلَى الْمَدَى ، وَضَحِيَّةٌ
يَأْيُهَا السِّيفُ الْمَجْرَدُ بِالْفَلَا
تِلْكَ الصَّحَارِي غِمْدُ كُلِّ مُهْتَدٍ
وَقُبُورٌ مَوْتَى مِنْ شَبَابٍ أُمِّيَّةٍ
لَوْ لَادَ بِالْجُزَاءِ مِنْهُمْ مَعْقِلٌ
فَنَحُوا الشَّمَالَ : سُهُولُهُ وَجِبَالُهُ
وَبَنُوا حَضَارَتَهُمْ ، فَطَاوَلَ رَكْنُهَا
يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءٍ
تُوحِي إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءُ
بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءً ؟
تَتَلَمَّسُ الْحَرِيَّةُ الْحَمْرَاءُ^١
يَكْسُو السِّیُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءُ
أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءُ
وَكَهُولُهُمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْيَاءُ
دَخَلُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْجُزَاءُ
وَتَوَعَّلُوا ، فَاسْتَعْمَرُوا الْخَضْرَاءُ
دَارَ السَّلَامِ ، وَجَلَّقَ الشَّمَاءُ

* * *

خَيْرَتٌ فَاخْتَرْتَ الْمَيِّتَ عَلَى الطَّوَى
إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّلْمِ
لَمْ تَبْنِ جَاهاً ، أَوْ تُلْمَ ثَرَاءُ
لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبُ الْمَاءُ

• شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحاني العظيم في كثير من أقطار الإسلام ، ظل يقاتل الطليان في سبل النود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً سنة ١٩٣١ ، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا في إعدامه سبلاً بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين .

١ رَكَرَ اللَّوَاءُ : غُرْزُهُ فِي الْأَرْضِ .

٢ المنار : موضع النور ، وجعلها مناراً من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والانتناس محلاً للتفجير والإزعاج .

٣ الحرية الحمراء : هي المكتسبة بالدم ، إشارة إلى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء .

إفريقيا مَهْدُ الْأَسْوَدِ وَلَخَذَهَا
والمسلمون على اختلافِ ديارِهِم
والجاهليةُ من وراءِ قُبُورِهِم
ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرْجُلًا ونساء
لا يَمْلِكُونَ مَعَ الْمُصَابِ عِزَاءَ
يَكُونُ زَيْدُ الْخَيْلِ وَالْفُلَحَاءُ

* * *

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحَفَظَهُ
لم يَثْبِقِ مِنْهُ رَحَى الْوَقَائِعِ اعْظُمًا
كَرَفَاتِ نَسْرِ أَوْ بَقِيَّةِ ضَبْعِمِ
بَطْلُ الْبِدَاوَةِ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو عَلَى
لَكِنْ أَخُو خَيْلٍ حَتَّى صَهَوَاتِهَا
جَسَدُ بَيْرَقَةٍ وَسَدَّ الصَّحْرَاءُ
تَبْلَى ، وَلَمْ يَثْبِقِ الرِّمَاحُ دِمَاءَ
بَاتَا وَرَاءَ السَّافِيَاتِ هَبَاءَ
«تُتْلَى» ، وَلَمْ يَكْ يَرْكَبُ الْأَجْوَاءُ
وَأَدَارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الْهَيْجَاءُ

* * *

كَبَى قَضَاءَ الْأَرْضِ أَمْسٍ بِمُهْجَةٍ
وَأَفَاهُ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ
شَيْخٌ تَمَالَكَ سِنُّهُ لَمْ يَنْفَجِرْ
وَأَخُو أُمُودٍ عَاشَ فِي سَرَائِهَا
الْأَسَدُ تَرَأَّى فِي الْحَدِيدِ وَلَنْ تَرَى
وَأَتَى الْأَسِيرُ يَجْرُ نُقْلَ حَدِيدِهِ
عَضَّتْ بِسَاقِيهِ الْقَيْوُدُ فَلَمْ يَنْوُ
يَسْعُونَ لَوْ رَكِبَتْ مَنَاكِبَ شَاهِقٍ
لَمْ تَخْشَ إِلَّا لِلسَّمَاءِ قَضَاءَ
سُقْرَاطُ جَرَّ إِلَى الْقَضَاءِ رِدَاءَ
كَالطِفْلِ مِنْ خَوْفِ الْعِقَابِ بُكَاءَ
فَتَغَيَّرَتْ ، فَتَوَقَّعَ الضَّرَاءَ
فِي السَّجَنِ ضَرْغَامًا بَكَى اسْتِخْدَاءَ
أَسَدٌ يُجَرَّرُ حَيَّةً رَقْطَاءَ
وَمَشَتْ بِهَيْكَلِهِ السَّنُونُ فَنَاءَ
لَتَرَجَّلَتْ هَضْبَائِهِ إِعْيَاءَ

- ١ الفلحاء : لقب عترة العبي ، أما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم .
- ٢ برقة : هي المنطقة الشرقية من ليبيا ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة . وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التي جرت بين العرب والطلحان .
- ٣ تنك : هي البداية المستعملة في الحروب .
- ٤ الشاهق : الجبل . والتسعون : هي التسعون عاماً التي يحدد بها عمر المرثي حين قبضوا عليه ليعلموه .

خَفِيتَ عَنِ الْقَاضِي ، وَفَاتَ نَصِيْبُهَا
وَالسَّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهْتَبٍ
مِنْ رِفْقِ جُنْدٍ قَادَةٍ نُبْلَاءُ
عَرَفَ الْجُدُودَ ، وَأَدْرَكَ الْآبَاءُ

دَفَعُوا إِلَى الْجَلَادِ أَغْلَبَ مَا جَدَا
وَيُشَاطِرُ الْأَقْرَانَ ذُخْرَ سِلَاحِهِ
وَتَحْيَرُوا الْحَبْلَ الْمَهِينِ مَنِيَّةً
حَرَمُوا الْمَمَاتَ عَلَى الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
إِنِّي رَأَيْتُ يَدَ الْحِصَارَةِ أُولَعَتْ
شَرَعَتْ حُقُوقَ النَّاسِ فِي أَوْطَانِهِمْ
يَأْسُو الْجِرَاحَ ، وَيُطْلِقُ الْأَسْرَاءُ
وَيَصِفُّ حَوْلَ خِيَوَانِهِ الْأَعْدَاءُ
لَلْيَثِّ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الْحَوَاءُ
مَنْ كَانَ يُعْطِي الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ
بِالْحَقِّ هَذَا تَارَةً وَبِنَاءُ
إِلَّا أَبَاةَ الصَّيْمِ وَالصُّعْقَاءُ

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْقَرِيبُ ، أَسَامِعُ
أَمْ أَلْجَمْتُ فَالِكَ الْخُطُوبُ وَحَرَّمْتُ
ذَهَبَ الزَّعِيمِ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدُ
وَأَرْحُ شِيُوخَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الْوَعَى
فَأَصْوَعُ فِي عُمَرِ الشَّهِيدِ رِثَاءُ ؟
أَذْنَبَكَ حِينَ تُخَاطَبُ الْإِضْغَاءُ ؟
فَانْقُدْ رِجَالَكَ ، وَاخْتَرِ الزُّرْعَاءُ
وَاحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الْأَعْبَاءُ

عبد الحلیم العلایلی بك*

لقد لَبَّى زَعِيمُكُمْ الثَّدَاءُ غَزَاءُ أَهْلِ دِمْيَاطٍ غَزَاءُ
وإن كَانَ الْمُعْزَى وَالْمُعْزَى وَكُلُّ النَّاسِ فِي الْبَلْوَى سَوَاءُ
فُجِعْنَا كُلُّنَا بِعَلَايِلِي كَرَكَنِ النُّجْمِ أَوْ أَسْنَى عِلَاءِ
أَرْقُ شَبَابٍ دِمْيَاطٍ عَلَيْهَا وَأَنْشَطُهُمْ لِحَاجَتِهَا قَضَاءُ
وخيْرُ بيوتها كرمًا وَتَقْوَى وَأَصْلًا فِي السِّيَادَةِ وَاتِّهَاءِ
فَتَى كَالرَّمَحِ عَالِيَةً وَغُودًا وَكَالْصَّنْصَمِ إِفْرِنْدًا وَمَاءُ
وَأَعْطَى الْمَالَ وَالْهَمَمَ الْعَوَالِي وَلَمْ يُعْطِ الْكِرَامَةَ وَالْإِبَاءِ
شَبَابُ ضَارِعِ الرِّيحَانِ طَيِّبًا وَنَازَعَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِهَاءِ
وَجُنْدِي الْقَضِيَّةِ مِنْذُ قَامَتْ تَعْلَمَ تَحْتَ رَايَتِهَا اللَّقَاءِ
وَرُوعَ شَيْخُهَا الْعَالِي يَوْمٍ فَكَانَ بِمُتَكَبِّهِ لَهُ وَقَاءِ
سَعَى لُصْمِيرِهِ ، وَلَوْجِهِ مَصِيرِ وَلَمْ يَقُولْ يَنْتَظِرُ الْجَزَاءِ

* * *

وَنَعَشٍ كَالْعَمَامِ يَرِفُ ظِلًّا إِذَا ذَهَبَ الزُّحَامُ بِهِ وَجَاءِ
وَلَمْ تَقَعْ الْعَيُونُ عَلَيْهِ إِلَّا أَثَارَ الْحَزَنِ أَوْ بَعَثَ الْبَكَاءِ

* عبد الحلیم العلایلی : كان عالیة دمیاط ، توفي سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترك له في القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمیاط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان في رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصدیق .

١ عالیة الریح : نصفه الأعلى الذي يلي السنان . والصمصام : السيف . وإفرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره .

عَجِبْنَا كَيْفَ لَمْ يَخْضَرْ عُوداً وَقَدْ حَمَلَ الْمُرُوءَةَ وَالرُّفَاءَ
مَشَتْ دِمْيَاطٌ فَالْتَفَتْ عَلَيْهِ تَنَازَعُهُ الذُّخِيرَةُ وَالرَّجَاءُ

* * *

بَنِي دِمْيَاطَ ، مَا شَيْءٌ بِيَاقٍ سِوَى الْفَرْدِ الَّذِي احْتَكَرَ الْبَقَاءَ
تَعَالَى اللَّهُ ، لَا يَبْقَى سِوَاهُ إِذَا وَرَدَتْ بَرِيَّتُهُ الْفَنَاءَ
وَأَنْتُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ وَتَقْوَى فَهَلْ تَلْقَوْنَ بِالْعُتْبِ الْقَضَاءَ ؟
مَلَأْتُمْ مِنْ بَيُوتِ اللَّهِ أَرْضاً وَمَنْ دَاعِيَ الْبُكُورِ لَهَا سَمَاءَ
وَلَا تَسْتَقْبِلُونَ الْفَجَرَ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الصَّلَاةِ إِذَا أَضَاءَ
وَتَرْتَقِبُونَ مَطْلَعَهُ صِغَاراً وَتُسْتَبِقُونَ عُرَّتَهُ نِسَاءَ
وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ مَاضٍ وَقَفْتُمْ فَكُنْتُمْ فِيهِ لِلْوَطَنِ الْفِدَاءَ
دَفَعْتُمْ غَارَةً شِعْوَاءَ عَنْهُ وَذُدُّنْهُمْ عَنْ حَوَاضِرِهِ الْبَلَاءَ

* * *

أَخِي عَبْدَ الْحَلِيمِ وَلَسْتُ أَدْرِي أَدْعُو الصُّهْرَ أَمْ أَدْعُو الْإِخَاءَ ؟
وَكَمْ صَحَّ الْوِدَادُ فَكَانَ صِهْرًا وَكَانَ كَأَقْرَبِ الْقُرْبَى صَفَاءَ
عَجِيبُ تَرْكُكَ الدُّنْيَا سَقِيمًا وَكُنْتَ التَّحَلَّ تَمَلُّوْهَا شِفَاءَ
وَكُنَّا حِينَ يُغْضِلُ كُلُّ دَاءٍ نَحْيُهُ إِلَيْكَ نَجْعَلُكَ الدُّوَاءَ
مَضَتْ بِكَ آلَةُ حَذَبَاءَ كَانَتْ عَلَى الزَّمَنِ الْمَطِيَّةَ وَالْوَطَاءَ ؟
وَسَارَتْ خَلْفَكَ الْأَحْزَابُ صَفًّا وَسَرَتْ ، فَكُنْتَ فِي الصَّفِّ اللَّوَاءَ
تَوَلَّفُ بَيْنَهُمْ مَيْتًا ، وَبَنِي كَعْمَدِكَ فِي الْحَيَاةِ لَهُمُ الْوَلَاءَ

١ يريد تشبيه المساعي الكثيرة النيلة التي كان يقوم بها المرثي بعمل النحل .

٢ الآلة الحذباء : النعش .

حافظ إبراهيم*

قد كنتُ أُوثرُ أن تقولَ رثائي
لكن سَبَقَتْ ، وكلُّ طولٍ سلامة
الحقُّ نادى فاستَجَبْتُ ، ولم تزلْ
وأنتِ صحراءَ الإمامِ تذوبُ من
فلقيتُ في الدارِ الإمامَ محمداً
أثرَ النعمِ على كريمِ جبينه
فشكوتُما الشوقَ القديمَ ، وذُقْتما
إن كانتِ الأولى منازلَ فُرقةٍ
ووددتُ لو أُنِي فداكُ من الردى
الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوى
من كلِّ هدامٍ ويَّني بحده
ما حطُموكَ ، وإنما بك حطُموا
أنظرُ ، فانتِ كأمسٍ شأنك باذخُ

يا مُنْصِفَ المَوْتِ من الأحياءِ
قدَّرُ ، وكلُّ مَنِيَّةٍ بقضاءِ
بالحقِّ تحفلُ عندَ كلِّ نداءِ
طُولِ الحنينِ لساكنِ الصحراءِ^١
في زُمرَةٍ الأبرارِ والخُفَاءِ^٢
ومراشدُ التفسيرِ والإفتاءِ
طيبَ التداني بعدَ طولِ تنائي
فالسُّنْحَةُ الأخرى ديارُ لقاءِ
والكاذِبونَ المُرجِفونَ فِدائي
المُوغِرُو المَوْتِ على الأحياءِ
بكرائمِ الأنقاضِ والأشلاءِ
من ذا يحطُّمُ رُفُوفَ الجوزاءِ ؟
في الشرقِ ، واسمُك أرفعُ الأسماءِ

* هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك ، شاعر سباق معدود في الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفي سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقي بك بهذه القصيدة ، التي ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

١ صحراء الإمام : المقبرة التي دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعي لوقوع ضريحه - رضي الله عنه - في نطاقها .

٢ الإمام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه .

بالأُمسِ قد حَلَيْتَنِي بقصيدةٍ غراء تحفظُ كاليدِ البيضاء^١
غيظ الحسودُ لها وقتُ بشكرها وكما علمتَ مودَّتِي ووفائي
في محفلي بَشَرْتُ آمالي به لما رَفَعْتَ إلى السماءِ لَوالي
يا مانعَ السودانِ شرخِ شبابه وولَّيْتُه في السَّلمِ والهيَّجاءِ
لما نزلتُ على خِماله ثوى نبعُ البيانِ وراءِ نبعِ الماءِ
قلَّدتُهُ السيفَ الحُسامَ ، وزدَّتهُ قلماً كصدرِ الصُّغدةِ السمرِاءِ
قلم جرى الحِقبَ الطَّوالَ فما جرى يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاءِ
يكسو بِمدحِهِ الكِرامَ جلالهُ ويُشيعُ الموتى بحسنِ ثناءِ

* * *

إِسْكَندَريَّةُ يا عروسَ الماءِ وخميلاً الحكماءِ والشعراءِ^٢
نشأتُ بشاطئِكِ الفنِّ جميلةً وترعرعتُ بسمائكِ الزهراءِ
جاءتُكَ كالطيرِ الكريمِ غرائباً فجمعتِها كالرَّبوَّةِ العنَّاءِ
قد جمَّلوكِ ، فصِرْتُ زِينَةً الثَّرى للوافدين ودرةَ الدُّمَاءِ
غرسُوا رُبالكِ على خِمالِ بابلِ وبنَّوا قصوركِ في سَنا الحمراءِ^٣
واستحدثوا طُرُقاً مُتَوِّرةً الهدى كسيلِ عيسى في فِجاجِ الماءِ^٤
فحُذِي كأُمسٍ من الثقافةِ زينةً ونجمي بشبابِكِ الثَّجَّاءِ

١ يريد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقي بمباراة الشعر في الشرق العربي عامة ، وهي التي يقول فيها :

أمير القوافي ، قد أثبت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

٢ نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الإسكندرية ، فكان لا بد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وقتئذ .

٣ بابل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب إليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور في الأندلس .

٤ الفجاج - بكسر الفاء - : جمع فج - بفتحها - الطريق الواسع بين الجبلين .

وتقلّدي لغةَ الكتابِ ، فإنّها
بَنَتْ الحضارةَ مرّتين ، ومهّدتْ
وسَمَتْ بقرطبةَ ومصرَ ، فحلّتْنا
ماذا حشدتْ من الدموعِ «لحافظ»
ووجدتْ من وقعِ البلاءِ بفقدِهِ
اللهُ يشهدُ قد وَفَيْتِ سَخِيَّةً
وأخذتِ قِسْطاً من مَنَاحِ ماجِدٍ
هَتَفَ الرّواةُ الحاضرونَ بشعرِهِ
لبنانُ يَكْبِهِ ، وتبكي الضادُ من
عربِ الوفاءِ وفوا بدمّةِ شاعرٍ
يا حافظُ الفصحى ، وحارسَ مَجْدِها
ما زِلْتَ تَهْتَفُ بالقديمِ وفضلِهِ
جَدَدَتْ أَسْلُوبَ الوليدِ ولفظَهُ
وجرّيتْ في طلبِ الجديدِ إلى المدى
ماذا وراءَ الموتِ من سَلَوَى ، ومن
اشْرَحَ حقائقَ ما رَأَيْتَ ، ولم تزلْ
رُتِبُ الشجاعةِ في الرّجالِ جلائِلُ
كم ضِيقَ دَرْعاً بالحياةِ وكَيْدِها

حَجَرُ البناءِ ، وعُدَّةُ الإنشاءِ
للملِكِ في بغدادَ والفيحاءِ
بين الممالكِ ذِرْوَةُ العلياءِ^١
وذخرتْ من حزنٍ له وبُكاءٍ ؟
إن البلاءَ مَصَارِعُ العظامِ
بالدمعِ غيرَ بَخِيلَةٍ الخطابِ
جَمَّ المآثرِ ، طيَّبَ الأنباءِ
وحدا به البادون في البيداءِ
حَلَبَ إلى الفيحاءِ إلى صَنْعَاءِ
باني الصفوفِ ، مؤلفِ الأجزاءِ
وإمامَ مَنْ نَجَلَتْ من البُلغَاءِ
حتى حَمَيْتِ أمانةَ القُدَمَاءِ
وأثَّبتَ للدنيا بسحرِ الطائي^٢
حتى اقترنتِ بصاحبِ البُؤساءِ^٣
دَعَا ، ومن كَرَّمَ ، ومن إغضَاءِ ؟
أهلاً لِشَرْحِ حقائقِ الأشياءِ
وأَجْلُهُنَّ شجاعةُ الآراءِ
وهتفتِ بالشكوى من الضراءِ

١ قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت في المغرب مثل بغداد في المشرق ، كلتاهما منبع للعلوم والفنون في أزهر عصور الإسلام .

٢ الوليد : هو أبو عبادَةَ البحري الشاعر العبّاسي الشهير . والطائي : هو حبيب الطائي الشهير بأبي تمام .

٣ البُؤساء : كتاب لفكّور هوغو ، عربيه الفقيد .

<p> فَهَلُمَّ فَارِقْ يَا سَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَأَشْرَ إِلَى الدُّنْيَا بِوَجْهِ ضَا حِكِ يَا طَالَمَا مَلَأَ التُّدِيَّ بِشَاشَةِ الْيَوْمِ هَادَنَتِ الْحَوَادِثُ ؛ فَاطْرَحِ خَلَقْتَ فِي الدُّنْيَا يَبَانًا خَالِدًا وَعَدًا سَيَذْكُرُ الزَّمَانُ ، وَلَمْ يَزَلْ </p>	<p> وَاطْلُعْ عَلَى الْوَادِي شُعَاعَ رَجَاءِ خُلِقْتَ أَسِيرَتُهُ مِنْ السُّرَّاءِ وَهْدَى إِلَيْكَ حَوَائِجَ الْفُقَرَاءِ عِبَاءَ السَّنِينَ ، وَأَلْقَ عِبَاءَ الدَّاءِ وَتَرَكْتَ أَجْبَالًا مِنْ الْأَبْنَاءِ لِلدَّهْرِ إِنْصَافٌ وَحَسَنُ جَزَاءِ </p>
---	--

محمد تيمور*

ضربوا القِيَابَ على اليَابِ وثَوَّوا إلى يوم الحساب^١
 هَمَدُوا ، وكلُّ مُحرِّكٍ يوماً سيسكنُ في التراب
 نزلوا على ذئبِ البلى فتضيُّفوا شرَّ الذئاب
 وكانهم صرَّعى كرى بالقاع أو صرَّعى شراب
 فإذا صَحَّوا وتنبَّهوا فالله أعلمُ بالمآب

* * *

من كلِّ مُنفَضٍّ الوفو دِ هناك مهجورِ الجَناب
 مؤوَّثِ كلِّ مَضِيَّةٍ إلا الذَّخيرة من ثواب

* * *

يا نائحاتِ محمدٍ نُحِثُّهُ غَضًّا الإهاب
 في مأثمٍ لم تخلُ فيه المكرماتُ من انتخاب
 تبكي الكريمَ على العش بيرة ، والحبيبَ إلى الصحاب
 حَسْبُ الحِجَامِ دُمُوعُكَ من المُسْتَهْلَةِ من عتاب
 فارجِعْنَ فيه لحكمةٍ أو جِئْنَ فيه إلى احتساب
 في العالمِ الفاني مَصْر يرُ العالمين إلى ذهاب
 مَنْ سارَ لم يثنِ العِنا نَ ، وَمَنْ أقام إلى اقتراب

* * *

* محمد تيمور : أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهلَه فاخترم شبابه في سنة ١٩٢١ .

١ القباب : جمع قبة .

يا وارثَ الحَسَبِ الصِّمِ	حـ وكاسبَ الأدبِ اللُّبابِ
وابنَ الذي علمَ الرجا	لُ حياه من كل عاب ^١
وكانه في كُتُبِهِ	عثمانُ في ظل الكتاب
ماذا نَقَمْتَ مِنَ الشبا	ب، وأنت في نَعَمِ الشباب؟
مُتَحَلِّياً هِبَةَ النبو	غ، مُطَوَّقَ المِنحِ الرِّغابِ ؟
ولم الترحُّلُ عن حيا	ق، أنت منها في رِكاب ؟
لم تغدُ شاطئها ، ولم	تبلغُ إلى ثَجِ العُباب ؟

* * *

رِقْقا على محزونة الـ	أبيات ، مُوحِشَةِ الحِجاب
فقدتُكَ في العمر الطريد	ر، وفي زها الدنيا الكعاب ^٢
تبكي ، وتندُبُ إلَها	بين الأفانين الرطاب
وانظر أباك وتُكَلِّه	ورُزوخه تحت المصاب
لو كان يملك سِرُّ يو	شعَ ردِّ شمسك من غِياب

* * *

أعلِمتَ غيرَكَ من جَلالِ	حُثيلٍ في جُددِ الثيابِ
وكسا غرائبَ جدِّه	حُللاً من الهزل العُجاب
مُتَمَيِّزاً حينَ التَّميِّدِ	زُ ليس من أربِ الشباب
أفقُ العُلا كنتَ الشها	بَ عليه ، لا ذَنبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاقَ دَرُّ	عُك فيه بالحُسدِ الغُضاب

١ وابن الذي . . . الخ : هو المرحوم أحمد باشا تيمور ، كان عالماً بحتاً اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أئمن الكتب .

٢ العمر الطريد : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش في دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها .

سَعَهُمْ فَأَنْتَ جَمَعْتَهُمْ الشَّهْدُ مَائِدَةُ الذُّبَابِ
خَذْ مِنْهُمْ نَقْدَ الْعَقَا فِ ، وَدَعْ لَهُمْ نَقْدَ السَّابِ
دُونَ السُّبُوحِ وَأَوْجِهْ مَا لَا تُعْدُ مِنَ الصَّعَابِ
فَإِذَا بَلَغْتَ الْأَوْجَ كُنْ تِ الشَّمْسُ تَهْزَأُ بِالصُّبَابِ^١

* * *

لَا تَبْعِدَنَّ ، فَهَذِهِ آمَالُ قَوْمِكَ فِي اقْتِرَابِ
أَشْرُفَ بَرُوحِكَ فَوْقَهُمْ مُلْكًا يُرْفَرُ فِي السَّحَابِ
وَانْظُرْ بَعِينِ تَزْمَتَ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا الْكِذَابِ
تَرِ مِنْ لِدَاتِكَ أُمَّةً كَسَتِ الدِّيَارَ جَلَالَ غَابِ^٢
أَسْدٌ تَجُولُ بِغَيْرِ ظَفَرٍ بَرٍ ، أَوْ تَصُولُ بِغَيْرِ نَابِ
جَعَلُوا الثِّبَاتَ سِلَاحَهُمْ نِعَمَ السِّلَاحُ مَعَ الصَّوَابِ
أَمَّا الْأُمُورُ فَلِإِنَّهَا بَلَغَتْ إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ
فَإِذَا مَلَكَتْ تَوَجُّهًا اللَّهُ فِي قُدْسِ الرِّحَابِ
سَلْ فَاتَحَ الْأَبْوَابِ يَفْ سَحَ لِلْكِنَانَةِ خَيْرَ بَابِ

* * *

١ الأوج : العلو .

٢ لدات الإنسان : المقاريون له في السن . والغاب : جمع غابة ، وهي مأوى الآساد .

يعقوب صروف*

سَمَاؤُكَ يَا دُنْيَا خِدَاعُ سَرَابٍ
 وَمَا أَنْتِ إِلَّا جِيفَةٌ طَالَ حَوْلُهَا
 وَكَمْ أَلْجَأَ الْجُوعُ الْأَسْوَدَ فَأَقْبَلَتْ
 قَعَدَتْ مِنَ الْأَطْعَامِ فِي مَقْطَعِ السَّرَى
 وَجُدْتَ عَلَيْهِمُ فِي الْوَدَاعِ بِسَاخِرٍ
 أَقَامُوا ، فَلَمْ يَزْنِ سَيْدُكَ حَاضِرُ صَحْبَةٍ
 تَسْوِقِينَ لِلْمَوْتِ الْبَيْنِ كَقَائِدٍ
 رَأَى الْحَرْبَ سُلْطَانًا لَهُ وَسَلَامَةٌ
 وَلَوْلَا غُرُورٌ فِي لُبَانِكَ لَمْ يَجِدْ
 وَلَا كُنْتَ لِلْأَعْمَى مَشَاهِدَ فِتْنَةٍ
 وَلَا ضَلَّ رَأْيُ النَّاشِئِ الْغُرِّ فِي الصَّبَا
 وَلَا حَسِبَ الْحَفَّارُ لِلْمَوْتِ بَعْدَمَا
 يَقُولُونَ: يَرِثُنِي كُلُّ خَلٍّ وَصَاحِبِ
 جَزَيْتَهُمْ دَمْعِي ، فَلَمَّا جَرَى الْمَدَى
 كَفَى بِذُرَى الْأَعْوَادِ مَنَبَرًا وَاعِظَ
 دَعْوَتُكَ يَا يَعْقُوبُ مِنْ مَنَزْلِ الْبَلَى
 أَذْكُرُكَ الدُّنْيَا ، وَكَيْفَ وَلَمْ يَزَلْ

وَأَرْضُكَ عُمْرَانٌ وَشَيْكَ خَرَابٌ
 قِيَامُ ضِبَاعٍ ، أَوْ قُعُودُ ذِثَابٍ
 عَلَيْكَ بَغْفَرٌ لَمْ يَعِفْ وَنَابٍ
 وَمُتُّوا رِكَابًا فِي عُجَارِ رِكَابٍ
 مِنَ اللَّحْظِ عَنْ مَيِّتِ الْأَحْيَةِ نَابِي
 وَمَالُوا فَلَمْ تَسْتَوْحِشِي لَغِيَابِ
 يَرَى الْجَيْشَ خَلْقًا هَيْنًا كَذُبَابٍ
 وَإِنْ آذَنْتِ أَجْنَادَهُ بَتَابٍ
 بَنُوكِ مَذَاقَ الصَّرِّ شَهْدَ رُضَابٍ
 وَلِلْمُقْعَدِ الْعَانِي مَجَالٌ وَثَابٍ
 وَلَا كَرَّ بَعْدَ الْفُرْصَةِ الْمُتَصَانِي
 بَنَى بِيَدِهِ الْقَبْرَ أَلْفَ حِسَابٍ
 أَجَلٌ ، إِنَّمَا أَقْضِي حَقُوقَ صِحَابِي
 جَعَلْتُ عَيُونََ الشَّعْرِ حُسْنَ ثَوَابِي
 وَبِالْمُسْتَقْلَمِ لِسَانَ صَوَابٍ
 وَلَوْلَا الْمَنَايَا مَا تَرَكْتَ جَوَابِي
 لَهَا أَثَرًا شَهْدٍ بِفَيْكِ وَصَابٍ ؟

* هو الدكتور يعقوب صروف ، أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، كان متبنياً للعلم ،
 معدوداً في طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، توفي سنة ١٩٢٨ .
 ١ السراب : هو ما يرى في وسط النهار كأنه الماء .

حملنا إليك الغار بالأمس ناضراً
وما انفكت الدنيا وإن قلّ لبثها
ألا في سبيل العلم خمسون حجةً
قطعت طواليّ ليلاً ونهارها
رأى الله أن تلقى إليك صحيفةً
ولم تتخذها آله الحقد والهوى
مَشِيناً بُورِيٍّ عليها وبياتها
وعشنا بها جيلين قت عليها
رسائل من عفو الكلام كأنها
هي المحض ، لا يشقى به ابن تيمية
سهول من الفصحى وقفت بها الهوى
وما ضعت بين الشرق والغرب مشيةً
فلم أر أنقى منك سعة ناقلٍ
وكم أخذ القول السريّ مُعَرَّبٌ
وفدّت على الفصحى بحيرات غيرها
وقدماً دنت يونان منها وفارسٌ
تبثّت للعلم الشريف كأنه

وسقنا كتاب الحمد يُلَوّ كتاب^١
لسان ثواب ، أو لسان عقاب
مَضّت بين تعليم وبين طلاب
بآمال نفس في الكمال رِغاب
فترهّتها عن هوشة وكذاب^٢
ولا متدّى لغو وسوق سباب
فلم نسرّ إلا في شعاع شهاب
معلم نشء ، أو إمام شباب
حواشي عيون في الطروس عذاب^٣
غذاء ، ولا يشقى به ابن خضاب^٤
على ما لديها من رُبى وهضاب
كما قيل في الأمثال : حَجَلُ غراب
إذا وسم النقل الرجال بعاب
فما رده لاسم ، ولا لينصاب
فوالله ما ضاقت مناكِبَ باب
وروما فحلّوا في فسيح رحاب
حقيقة توحيد وأنت صحابي

- ١ - إشارة إلى الاحتفال بالفقيد في البيوت الفضي لجلته المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين .
- ٢ - هذه الصحيفة هي مجلة المقتطف التي تعد بحق أجدد صحيفة علمية أدبية في الشرق العربي كله ، وكان الفقيد مختصاً بتحريرها .
- ٣ - قوله : « كأنها حواشي عيون ... الخ » ، العيون : هي عيون الماء ، ويقصد بحواشيا : النباتات - والزهور التي تثبت حوالها .
- ٤ - المحض : هو الخالص من كل شيء ، وابن تيمية وابن خضاب : يقصد بالأول البيهقي الناشئ ، والثاني الشاذلي الذي ينحصر شره .

وجشمت ميدان السياسة فارساً
وكنا ونمر في شِغابٍ، فلم يزل
رأى الثورة الكبرى ، فسلّ بَراعَه
وما الشرقُ إلّا أسرةٌ أو عشيرةٌ
وكلُّ جوادٍ في السياسة كابي¹
بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب
لتحطيم أغلالٍ وفكَّ رِقاب²
تلمُ بنِها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخ الشيوخ ورحمةٌ
ورقافُ رِيحانٍ يروحُ ويغتدي
وذكرى وإن لم نَسَ عهدك ساعةً
وويح السّوافي هل عَرَضَ على البلى
وهل صُنَّ ماءٌ كان فيه كأنه
ويا لحياةٍ لم تدعُ غيرَ سائلٍ
وأين يدُّ كانتِ وكان بنائها
ولَهني على الأخلاقِ في رُكنٍ هيكلٍ
تحدّرُ من أعطاف كلِّ سحاب
على طيِّباتٍ في الخلالِ رطاب
وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب
جَينِكَ ، أم سَتَرْنُه بِحِجاب ؟ ٣
حياءٌ بتولٍ في الصلاة كعاب⁴
أكانت حياةً ، أم خَلِيَّةٌ داب ؟
بَراعةٌ وشيٍ ، أو بَراعةٌ غاب ؟
بيطن الثرى رَثُ المعالم خاني

* * *

نعيش ونمضي في عذابٍ كلذة
ذهبنا من الأحلام في كلِّ مذهبٍ
وكلُّ أخي عيشٍ وإن طال عيشُهُ
من العيش ، أو في لذّةٍ كعذاب
فلما اتّبينّا فُسِرَتْ بذهاب
ثُرابٌ لَعمرُ الموتِ وابنُ ثُراب

- ١ المقصود بفارس في هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثاني للفقيد في مجلتي المقتطف والمقطع ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة ، كما كان الفقيد مختصاً بالعلم ، وقوله : وكل جواد في السياسة كابي ، إشارة رقيقة إلى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل علم هفوة » .
- ٢ يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حباً في المشاغبة ، ولكنه كان متأثراً بفكرة عامة .
- ٣ السوافي : الرياح .
- ٤ البتول : المقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى .

حسين شيرين بك*

أرأيت زين العابدين مُجَهَّزاً نقلوه نقلَ الزُّودِ من محرابه^١
من دار نِوَامِهِ وَصِيَّوْ حَيَاتِهِ والأوَّلِ المألوفِ من أترابه^٢
ساروا به من باطلِ الدنيا إلى بُخْبُوحَةِ الحقِّ المبينِ وغايه
ومَضَوْا به لَسِيلِ آدَمَ قَبْلَهُ وَمَصَايِرِ الأَقْوَامِ من أعقابه
تَحَنُّو السَّمَاءَ على زَكِيِّ سَرِيرِهِ وَيَمَسُّ جِدَدَ الأرضِ طِيبُ رِكَابِهِ
وَتَطِيبُ هَامُ الحَامِلِينَ وَرَاحَتِهِمْ من طِيبِ مَحْمِلِهِ ، وطِيبِ ثِيَابِهِ
وَكَأَنَّ مَصْرَ بِجَانِبِهِ رَبْوَةٌ آذَارُ آذِنَاهَا بَوَشَكِ ذَهَابِهِ
ويكاد من طربِ لعادته الندى يَنْتَسِلُ للفقراءِ من أثوابِهِ
الطَّيِّبُ ابنُ الطَّيِّبِينَ ، وَرُبَّمَا نَضَحَ الفتى فَابَانِ عن أحسابِهِ
وَالْمُؤْمِنُ المَعصُومُ في أخلاقِهِ من كلِّ شائنةٍ ، وفي آدابِهِ
أَبْدَأَ يَرَاهُ اللهُ فِي غَلَسِ الدُّجَى من صَخْنِ مَسْجِدِهِ ، وحولِ كِتَابِهِ
وَيَرَى اليَتَامَى لِاثْنَيْنِ بظَلِّهِ ويرى الأَرَامِلَ يَعْصِمُنَّ بِبَابِهِ
وَيَرَاهُ قَدْ أَدَّى الحَقُوقَ جَمِيعَهَا لَمْ يَسَّ مِنْهَا غَيْرَ حَقِّ شَبَابِهِ

٥ . حسين بك شيرين : كان مثلاً عالياً من أمثلة مكارم الأخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفي في سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعبيراً لشقيقه إسماعيل بك شيرين .

١ . أراد تشبيهه بعلي زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنها ، وفي زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال هلاه قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاهه ونمه

٢ . الصنو : الأخ الشقيق . والتوأم : المولود مع غيره في بطن ، وهذه حال الفقيد مع أخيه .

أَدَى من المعروف حِصَّةَ أَهْلِهِ وقضى من الأحساب حقَّ صِحابه^١

مهريش^٢، أين أبوك؟ هل ذهبوا به لِمَ لَمْ يَعد ؟ أَيْانَ يَوْمُ إِيَابِهِ ؟
قد وَكَّلَ اللهُ الكَريمَ وعَيَّنَه بكِ ، فاحسبِيه على كَرمِ رِحابِهِ
ودَّعِي البُكَاءَ ، يَكفِيهِ ما حَمَلْتِهِ من دَمْعكِ الشاكِي ، ومن نَسْكَابِهِ
ولقد شَرِيتِ بِمَآثِ يا طَلَمًا شَرِيتِ بَناتِ العالَمينَ بِصَابه
كلُّ امرئٍ غادٍ على عَوادِهِ وسؤالِهِم : ما حالُهُ ؟ ماذا بِهِ ؟
والمرءُ في طَلَبِ الحِياةِ طَوِيلَةٌ وخُطى المَنى من وِراءِ طِلابِهِ ؟
في بَرٍّ عَمَلِكِ ما يَقومُ مَكانَهُ في عَظَمِهِ ، وحنانِهِ ، ودِعايِهِ

إِسكَندَريَّةُ ، كيف صَبَرَكِ عن فَتى الصَبْرِ لِمَ يُخَلَقُ لِمِثْلِ مُصَابه^٣
عَظِلَتْ سَماؤُكَ من بَرِيقِ سَحابِها ونَجَا فَضاؤُكَ من شُعاعِ شَهابِهِ
زَيْنُ الشِبابِ قَضَى ، ولم تَترَوِدي مِنْهُ ، ولم تَتمَنَّي بِقَربائِهِ
قد نَابَ عَنكِ ، فَكانَ أَصَدَقُ نائِبِ والشُعْبُ يَهوَى الصَّدقَ في نُوابِهِ
أَعَلِمْتِهِ أَتُخَذُ الأمانَةُ مَرَّةً سَيِّئاً يُبْلَغُهُ إلى آرابِهِ ؟
لو عاشَ كانَ مُؤمَّلاً لِمواقِفِ يَرجو لها الوادِي كِرامَ شِبابِهِ
يَجلو على الألبابِ هِمَّةَ فِكرِهِ وَيَناولُ الأَسَماعَ سِحرَ خِطابِهِ
ويَقي كَدِيدَتِهِ بِحقِّ بِلادِهِ وَيَقي بَعدَ المُسلمينَ كَدابَهُ^٤

١ المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .

٢ مهريش : اسم تركي ، وهو علم على ابنة الفقيد .

٣ كان الفقيد من الاسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

٤ الديدن : العادة .

سَيِّئُهَا الدَّهْرُ الْعَصُوفُ بَنَاهُ	تَهْوَاكَ إِسْمَاعِيلُ ، كُلُّ عِلَاقَةٍ
بِتُّ اللَّيَالِي مُوجِعًا لِعَذَابِهِ	إِنَّ الَّذِي ذُقْتَ الْعَشِيَّةَ فَقَدَهُ
فِي عَالَمِ الذِّكْرِ وَبَيْنَ شِعَابِهِ	فَارَقْتَ صَبْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَاقِهِ
مَنْ لَا يَدِينُ لَنَا بِطِيٍّ غِيَابِهِ	مِنْ عَادَةِ الذِّكْرِ تُرْدُ مِنَ النُّوَى
مُسْتَعَذِبٌ فِي صَدَقِهِ وَكِذَابِهِ	حُلُمٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى وَسِنَانِهِ
فَأَخُو الْهَوَى يَبْكِي عَلَى أَحْبَابِهِ	اسْكُبْ دُمُوعَكَ لَا أَقُولُ : اسْتَبَقَهَا

١ يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مقرباً في سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى .

محمد عبد المطلب*

قام من علته الشاكي الوصب
 أئبها النفس ، اصبري واسترجعي
 نزل التراب على من قبله
 ذهب اللين في إرشاده
 القريب العتب من معنى الرضا
 والأخ الصادق في الود إذا
 خاشع في درسه ، مُحْتَشِمٌ
 قلد الأوطان نشأ صالحاً
 ريمًا صالت بهم في غدها
 جعلوا الأعلام أرماحهم
 لا يميلون إلى البغي بها
 شاعر البدو ، ومنهم جاءنا
 قد جرت ألسنتهم صافية
 سلمت من عت الطبع ، ومن
 قد نزلت اليوم في بادية
 ومشى المجنون فيها سالياً
 وتلقى راحة الدهر الثعب^١
 هتف الناعي بعبد المطلب
 كل حي متناه في التراب
 كالأب المشتق والحد الحذب
 والقريب الجد من معنى اللعاب
 ظهر الإخوان بالود الكذب
 فكاه في مجلس الصفو طرب
 وشباباً أهل دين وحسب
 صولة الدولة بالجيش اللجب
 وأقاموها مقامات القصب
 كيف ينبغي من إلى العلم انتسب؟
 كل معنى رق ، أو لفظ عذب
 جريان الماء في أصل العشب
 كلغة الأعلام ، أو حشو الكتب
 عمرت فيها امرأ القيس الحقب
 نفص اللوعة عنه والوصب^٢

• هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب في مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثراً في نظمه
 طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفي سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين
 أقيمت فيها هذه القصيدة .

١ يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة .

٢ المجنون : مجنون ليلي ، من شعراء البادية كما مرى القيس .

أعر الناسَ لساناً ينظموا
قُمْ صِفِ الخُلْدَ لنا في مُلكِهِ
وثمارٍ في يواقيتِ الرُّبَى
وانثر الشعرَ على الأبرارِ في
واستعِرِ رضوانَ عودِي قَصَبِ
واسقِ بالمعنى إلهيًّا ، كما
كلَّما سَبَّحْتَ للعرشِ به
قُمْ تأمِّلْ ، هذه الدارُ وفي
وقتِ الدارِ لباني رُكنِها
طلبوا العلمَ على شَيْخِهِمْ
غابَ عن أعينهم ، لكنَّه
صورةٌ مُحَسَّنةٌ ما تخفي
رجلُ الواجبِ في الدنيا مضي
عاش عَيْشَ الناسِ في دنياهمُ
أخذَ الدرسَ الذي لُقِّنَهُ
لك فيه الشعرَ أو يُنشِئُوا الخطبَ
من جلالِ الخُلُقِ ، والصُّنْعِ العَجَبِ
وسُلافٍ في أباريقِ الذهبِ
قُدُسِ السَّاحِ وعُلُويِّ الرُحْبِ
وترنُّمٍ بالقوافي في القَصَبِ
تَساقُوتُ الرَّحيقُ المنسكِبِ
رَفَعَ الرَّحْمَنُ والرُّسُلُ الحُجُبِ
لكَ من طُلَّابِها اِجْمَعُ الأربِ
وقضى الحقُّ بنو الدارِ الثُّجُبِ
زمنًا ، ثم إذا الشَيْخُ طُلِبَ
ماثلٌ في كلِّ قلبٍ ، لم يَغِبْ
ومثالُ طيبٍ ما يَحْتَجِبِ
يُنصِفُ الأخرى ويقضي ما وَجِبِ
وكما قد ذهبَ الناسُ ذهبَ
عُجِمَ الناسِ قديمًا والعربِ

يرثي جدّته*

خُلِقْنَا للحياةِ وللمماتِ ومن هذين كلُّ الحادثاتِ
 وَمَنْ يُولَدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ يَمُرَّ خيَالُهُ بالكائناتِ
 وَمَهْدُ المراءِ في أيدي الرواقِ كنعش المراءِ بين الناعثاتِ
 وما سَلِمَ الوليدُ من اشتكاه فهل يخلو المعمرُ من أذاة ؟
 هي الدنيا ، قتالٌ نحن فيه مقاصدُ للحسام وللقناة
 وكلُّ الناسِ مدفوعٌ إليه كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثباتِ
 نُورٌ ما نُورٌ ، ثم تُرمى يسهمٌ من يدِ المقدورِ آتي
 صلاةُ الله يا تَمَزَّارُ تجزي تُرَاكِ عن التلاوة والصلاة
 وعن تسعين عاماً كنت فيها مثالَ المحسناتِ الفضلياتِ
 بَرَزْتَ المؤمنينَ ، فقال كلُّ : لعلك أنتِ أمُّ المومناتِ
 وكانت في الفضائلِ باقياتُ وأنتِ اليومَ كلُّ الباقياتِ
 تَبَّاكِ الملوكُ ، وكنتِ منهم بمتزلةِ البنين أو البناتِ
 يُظَلُّونَ المناقبَ منك شتى ويؤوونَ الثقي والصالحاتِ
 وما ملوكُ في سوقٍ ، ولكن لدى ظلِّ القنا والمرهقاتِ
 عَنَّتِ لهم بمورةَ بنتِ عشرٍ وسيفُ الموتِ في هامِ الكماةِ
 فكنتِ لهم وللرحمنِ صيداً وواسطةً لعقدِ المسلماتِ
 تَبِعْتَ محمداً من بعد عيسى لحيرك في سنكِ الأولياتِ
 فكان الوالدانِ هدىً وتقوى وكان الولدُ هذي المعجزاتِ

* جدته هي المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتم كان إبراهيم: باشا والي مصر ، وسترى في القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المتزلة العالية .
 ١ المهد : الموضع جيداً للطفل .

ولو لم تظهري في العُربِ إلّا
تجاوزتِ الولائدَ فاخراتِ
وأحكم منْ نَحْكَمَ في يراعِ
وأبرأ منْ تَبْرَأ منْ عدا
وأصونَ صائِنِ لأخيه عِرْضاً
وأقتلِ قاتِلِ للدهرِ خُبْراً
كأنِّي والزمانُ على قتالِ
أخاف إذا تناقلتِ الليالي
وليس بنافعي حَذْرِي ، ولكنْ
أمامونُ من الفلَكِ العوادي
تأملُ : هل ترى إلّا شياكاً
ولو أن الجهاتِ خلقت سبعا
لعا للنعش ، لا حَبّاً ، ولكنْ
ولا خاتنه أيدي حامليه
فلم أر قبله المريحَ مُلقًى
هناكَ وَقَفْتُ أسألكِ إِيثاداً
وأنظرُ في رُبابكِ ، ثم أغْضِي
وأذكر من حياتكِ ما تقْصِي

بأحمدَ كنتِ خيرَ والِداتِ^١
إلى فخر القبائل واللغات
وأبلغ منْ تَبْلُغ من دَواة
وأنزوه منْ تَنَزَّه من شَمات
وأحفظِ حافظِ عهدَ اللدات
وأصْبِرِ صابِرِ للغاشيات
مُساجلةً بمِيدانِ الحياة
وأشفِقُ من خُفوفِ النَّبات
إِباءً أن أراها باغِثات
وبرجلُهُ يَحْطُ الدائِرات ؟
من الأيامِ حَوْلَكَ مُلقِيات ؟
لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لأجْلِكَ يا سماءَ المَكْرُماتِ^٢
وإن ساروا بصبري والأناة
ولم أسمع بـدَفنِ النِّيرات
وأَمْسِكُ بالصفات وبالصفاة^٣
كما يُغْضِي الأبِيُّ على القَدَاة
فكان من الغداةِ إلى الغداةِ

١ أحمد : هو الاسم الشريف لأمر الشعراء ، يقول لجدته في هذا البيت : إذا لم يكن لك نسب في العرب إلّا ولادتك لي لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه تواضعاً ليت المتنبّي الذي يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

٢ لما : كلمة دعاء يقال للعائر ، تقول « لما له » إذا أردت سلامته و « لما له » إذا أردت غير ذلك .

٣ الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبده*

مُفسِّرُ آيِ الله بالأمس بيننا قُم اليومَ فسِّرْ للورى آيةَ الموتِ
رُحِمْتَ ، مَصِيرُ العالمين كما ترى وكلُّ هنا أو عزاء إلى قوتِ
هو الدهرُ : ميلادٌ ، فشغلٌ ، فمأثمٌ فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصَّوتِ

* هو الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية . توفي سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته في فهم وتفسير القرآن الشريف .

رياض باشا *

مَمَاتٌ فِي الْمَوَاكِبِ ، أَمْ حَيَاةُ وَنَعَشٌ فِي الْمَنَاكِبِ ، أَمْ عِظَاتُ ؟
وَيَوْمُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ ، أَمْ قِيَامُ وَمَوَكُّبُكَ الْأَدَلَّةُ وَالشَّيَاتُ ١٩
وَحُطْبُكَ يَا رِيَاضُ ، أَمْ الدَّوَاهِي عَلَى أَنْوَاعِهَا وَالنَّازِلَاتُ ؟
يَجِلُّ الْخُطْبُ فِي رَجُلٍ جَلِيلٍ وَتَكْبُرُ فِي الْكَبِيرِ النَّائِبَاتُ
وَلَيْسَ الْمَيْتُ تَبْكِيهِ بِلَادٌ كَمَنْ تَبْكِي عَلَيْهِ النَّائِحَاتُ

* * *

وَهَلْ تَلَقَّى مَنَابِهَا الرُّوَاسِي فَتَهْوِي ، ثُمَّ تُضْمِرُهَا فَلَاةُ ؟
وَتُكْسِرُ فِي مَرَكَزِهَا الْعَوَالِي وَتُدْفِنُ فِي التَّرَابِ الْمُرْهَقَاتُ ؟
وَيُعْشَى اللَّيْلُ فِي الْغَايَاتِ ظُهُراً وَكَانَتْ لَا تَقْرُ بِهَا الْحَصَاةُ ؟
وَيَرْمِي الدَّهْرُ نَادِيَّ عَيْنِ شَمْسٍ وَلَا يَخْشِي لِوَاءِهِمُ الرِّمَاءُ ٢٠
أَجَلٌ ، حُمِلَتْ عَلَى النَّعْشِ الْمَعَالِي وَوُسِدَتْ التَّرَابِ الْمَكْرُمَاتُ
وَحُمِلَتْ الْمِدَافِعُ رُكْنَ سَلَمٍ يُشْبِعُهُ الْفَوَارِسُ وَالْمُشَاةُ
وَحَلَّ الْمَجْدُ حُفْرَتَهُ ، وَأَمْسَى يُطِيفُ بِهِ النَّوَائِحُ وَالْبُكَاءُ
هَوَى عَنْ أَوْجِ رِفْعَتِهِ رِيَاضُ وَحَازَتْهُ الْقُرُونُ الْخَالِيَاتُ
كَأَنَّ لَمْ يَمْلَأِ الدُّنْيَا فَعَالاً وَلَا هَتَفَتْ بِدَوْلَتِهِ الرُّوَاةُ

- يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث في مصر منذ الخديوي إسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثاني تقريباً ، فتاريخه في الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .
- ١ الشيات : جمع شبة ، وهي العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة .
- ٢ نادي عين شمس : موضع المؤتمر الذي أقامه أعيان المسلمين ردّاً على المؤتمر الذي أقامه أعيان القبط في فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين .

نعاه البرقُ مضطرباً ، فمَاجَتْ
 كَانَ الشمسَ قد نُعِيَتْ عِشَاءَ
 صحيفةٌ غَابِرٌ طُوِيَتْ ، وَوَلَّتْ
 يقول الآخرون إذا تَلَّوْهَا :
 جرى الله الرضا أبوي رياضي
 بنو الدنيا على سَفَرٍ عَقِيمٍ
 أرى الأمواتَ يَجْمَعُهُمْ نَشُورٌ
 صلاحُ الأرضِ أحياءُ ومَوْتى
 قرائحُهم وأيديهم عليها
 فلو طَلَبْتَ لهم دِيَّةً لَقَالَتْ
 نجومٌ في السماءِ مُحَلِّقاتٌ
 إليها فَنَهَى حَسْرَى كَاسِفَاتٍ
 على آثارٍ من دَرَجُوا وفَاتُوا
 كذلك فَلْيَلِدُنَّ الأُمَمَاتِ
 هَمًّا غَرَسَا وللوطنِ النِّبَاتِ
 وأسْفَارُ النِّوَابِغِ مُرْجَعَاتِ
 وكم بُعِثَ النِّوَابِغُ يَوْمَ مَاتُوا
 وزينَتْهَا وأنجَمُهَا الهُدَاةُ
 هَدَى ، ويسَارَةُ ، ومُحَسِّنَاتِ
 كنوزُ الأرضِ : نحن هي الدِّيَّاتِ

* * *

أبا الوطنِ الأسيفُ ، بكَتْكَ مَصْرُ
 قَضَيْتَ لَهَا الحَقُوقَ فَنَى وَكُهْلًا
 وَيَوْمَ النَّهْيِ لِلْأَمْرَاءِ فِيهَا
 فَكُنْتَ عَلَى حُكُومَتِهَا سِرَاجًا
 يَزِيدُ الشَّيْبُ نَفْسَكَ مِنْ حَيَاةٍ
 وَتَمْلُوكُ السُّنُونَ قَوًى وَعِزْمًا
 كَسِيفِ الْهَنْدِ أَبْلَى حِينَ فُلْتَ
 رَفِيعُ الْقَدْرِ بِالْأَمْصَارِ يُرْنَى
 كَأَنَّكَ فِي سَمَاءِ الْمُلْكِ يَحْيَى
 تَسُوسُ الْأَمْرَ ، لَا يُعْطَى نَفَاذًا
 كَمَا بَكَتِ الْأَبَ الْكَهْفَ الْبَنَاتُ
 وَيَوْمَ كَبُرَتْ وَانْحَتِ الْقَنَاةُ
 وَيَوْمَ الْآمِرُونَ بِهَا الْعُصَاةُ
 إِذَا بَسَطَتْ دُجَاهَا الْمُشْكِلَاتِ
 إِذَا نَقَصَتْ مَعَ الشَّيْبِ الْحَيَاةُ
 إِذَا قَبِلَ : السُّنُونُ مُبْطِطَاتِ
 وَرَقَّتْ صَفْحَتَاهُ وَالظُّبَاتِ
 كَمَا نَظَرْتُ إِلَى الثَّجَمِ السَّرَاةِ
 وَأَلَّكَ فِي السَّمَاءِ النَّيِّرَاتِ
 عَلَيْكَ الْآمِرُونَ وَلَا إِلَهَاةُ

١ يشير إلى أيام الثورة العراقية في مصر وإلى لون الحكم قبل تلك الثورة .

٢ يحيى : هو يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد .

إذا الوزراء لم يُعطوا قياداً
زَماعٌ في انقباضٍ في اختيالٍ
صِفَاتُ بَلْغَتِكَ ذُرَى المعالي
وجدتَ المجدَّ في الدنيا لواء
ويبقى الناسُ ما داموا رعايا
نبتهم كأنهم السَّوأة
كذلك كان بسمرك الثَّبات^١
كذلك ترفع الرجل الصفات
تلقاه المقاديرُ الأناة
ويبقى المقدمون هم الرعاة

* * *

رياضُ ، طَوَيْتَ قرناً ما طَوَّه
تَمَّتْ منه أياماً تحلَّى
وودَّ القيصران لو أنَّ روما
حَبَاكَ اللهُ حاشيتيه عُمرأ
قَمَّتْ عليه تجربةٌ وخبرأ
تَمُرُّ عليك كالأبّات تَتَرى
فأدركتَ البخارَ وكان طفلاً
تُجَاب على جناحيه الفيافي
ويُصعد في السماء على بروج
ويُنَا الكهرباء تُعدُّ خرقاً
ودان البحرُ حتى خِضَ عُمقاً
وبُلِّغَت الرسائلُ ، لا جناحُ
كَانَ القَطَر حين يُجِيب قَطراً
مع المأمون دِجْلَةُ والفرات
بها الدُّولُ الخوالي الباذخات
عليها من حَضارته سِمَات
وأعمازُ الكرام مُبارَكَات
ومدرسةُ الرجال التجربات
صنائعُ أهله والمحدثات
فشبَّ ، فبايعته الصافنات^٢
وتحكم في الرياح المنشآت
غداً هي في العوالم بارِجات
إذا هي كلُّ يومٍ خارقات
وقيدتُ بالعنان السافيات
يَجوب بها البحارُ ، ولا أداة
ضامِرُ بينها مُتناجيات

* * *

رَهينَ الرَّمسِ ، حَدَّثَنِي مَلِكاً
حديثَ الموتِ تَبْدُ لي العِظَات^٣

١ بشارك : وزير الماني ضرب مثلاً في الحنكة والمهارة والسياسة .

٢ الصافنات : الخيل .

٣ الرمس : القبر .

هو الخبرُ اليقينُ ، وما سواه
سَأَلْتُكَ : ما المنبئةُ ؟ أي كَأْسٍ ؟
وماذا يُوجِسُ الإنسانُ منها
وأيُّ المَصْرَعَيْنِ أَشدُّ : موتٌ
وهل تقع النفوسُ على أمانٍ
وتُخْلَدُ أم كَرَعَمِ القولِ تَبْلَى
تعالى الله قابضُها إليه
وجازها النعيمَ حِمَى أميناً
أمثلُك ضائقٌ بالحقِّ ذَرْعاً
أليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ
فَنَمَ ما شِئْتَ ، لا تُوحِشُكَ دُنْيَا
تَصْرَمَتِ الشَّيْبَةُ والليالي
خَلَّتْ حِلْمِيَّةٌ مَمَّنْ بناها
أفبه من المحلة قوتٌ يوم
وهل لك من حريزهما وسادٌ
تَوَلَّى الكلُّ ، لم ينفك منه
عبادُ الله أكرمُهم عليه
كَمَالِدِ المسيحِ ، يقومُ بؤسٌ
أخذتُكَ في الحياة على هَنَاتٍ

أحاديثُ المُنَى والترهاتُ^١
وكيف مذاقُها ؟ ومن السُّقاة ؟
إذا عَصَتْ بعلقمها اللُّهاة ؟
على عِلْمٍ ، أم الموتُ القَوَات ؟
كما وقعتُ على الحرمِ القطاة ؟^٢
كما تبلى العِظامُ أو الرُّفَات ؟
وناعشُها كما انتعش النبات
وعيشاً لا تُكدره أذاة
وفي بُرْدَتِكَ كان له حِماة ؟
وأن الحِمَى غايته الممات ؟
ولا يَحْزَنُكَ من عيشِ قَوَات
وغاب الأهلُ ، واحتجت اللدات
فكيف البيتُ حولك والبنات ؟^٣
ومن نِعَمٍ ملأَنَ الطودُ شاة ؟^٤
إذا خَشِئْتُ لجنيتك الصِّفاة ؟
سوى ما كان يلتقطُ العُفاة
كرامٌ في بَرِيئته ، أَساة
حواليها ، وتَقَعُدُ بائسات
وأيُّ الناسِ ليس له هَنَات ؟

- ١ الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهي الباطل .
- ٢ القطاة : الحمام ، أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكي حيث يحرم صيد الطيور الثلاثة به .
- ٣ الحلمية : حيث كانت دار القعيد .
- ٤ المحلة : محلة روح قرية في إقليم الغريبة بمصر ، حيث كانت توجد أملاك القعيد الواسعة .

فصفحاً في التراب إذا التقينا ولوشيتِ العداوة والثراب
خلفتُ كآتي عيسى ، حرامٌ على قلبي الضغينة والشهات
يساء إليّ أحياناً ، فأمضي كريماً ، لا أقوت كما أقات
وعندي للرجال - وإن تجافوا - منازل في الحفاوة لا ثفات

• • •

طلعتَ على التديّ بعين شمسٍ فوافتها بشمسين الغداة
على ما كان يندو القوم فيها توافي الجمع والتمر السراة^١
تملكهم وقارك في خشوعٍ كما نظمت مقيمها الصلاة
رأيتَ وجوه قومك كيف جلّت وكيف ترعرعت مصر الفتاة
أجبل الرأي بين يديك حتى تبيت الرزانة والحصاة^٢
وأنت على أعنتهم قديرٌ وهم بك في الذي تقضي حفاة
إذا أبدى الشباب هوى وزهواً أشار إليه حلمك والأناة
فهلأ قمتَ في النادي خطيباً لك الكلم الكبار الخالدات ؟
تفجر حكمة التسعين فيه فأذن الشبية صاديات ؟
تقول: متى أرى الجيران عادوا وصم على الإخاء لهم شتات ؟^٣
وأي أولو اللهى ميّاً ومنهم عسى يأسون ما جرح الغلاة ؟^٤
مشتَ بين العشيرة رسلُ شرٍ وفرقت الظنون السيئات
إذا الثقة اضمحلت بين قومٍ تمزقت الروابط والصلات
فتق ، فعسى الذين ارتبت فيهم على الأيام إخوان ثقات

١ يندو القوم : إذا اجتمعوا ليتشاوروا في ناديتهم .

٢ الحصاة : العقل والرأي .

٣ الجيران : هم القبط والمسلمون في مصر .

٤ الغلاة : هم البالغون حد الإفراط في عقائدهم وآرائهم .

وَرَبُّ مُحِبِّ لَا صَبْرَ عَنْهُ
وَمَكْرُوهٍ عَلَى أَخَذَاتِ ظَنٍّ
بَنَى الْأَوْطَانَ ، هَبَّوْا ، ثُمَّ هَبَّوْا
مَشَى لِلْمَجْدِ خَطْفَ الْبَرْقِ قَوْمٌ
يُعِدُّونَ الْقُوَى بَرًّا وَبَحْرًا
بَدَتْ لَكَ فِي مَحَبَّتِهِ بَدَاةٌ
تُحِبُّهُ إِلَيْكَ التَّجَرِبَاتُ
فَبَعْضُ الْمَوْتِ يَجْلِبُهُ السُّبَاتُ^١
وَنَحْنُ إِذَا مَشِينَا السَّلْحَفَاةَ
وَعُدُّنَا الْأَمَانِي الْكَاذِبَاتِ

١ السبات : النوم ، وأصله الراحة .

عثمان باشا غالب*

ضجّت لمصرع غالب في الأرض مملكة النبات
 أمست بتيجان عليه من الحديد مُنكّسات^١
 قامت على ساقٍ لغيد جته ، وأقعدت الجهات
 في مأثم. تلقى الطيعه فيه بين النائحات
 وترى نجوم الأرض من جزعٍ مَوَائِدَ كاسفات
 والزهر في أكمامه يبكي بدمع الغاديات
 وشقائق النعمان آبت بالخدودِ مُحَمَّسات^٢
 أما مُصابُ الطب في ه فسل به ملاً الأساة
 أودى الحمام بشيخهم ومآبهم في العضلات
 مُلقِي الدروس المُستفرا ت عن الغروس المُثيرات
 قد كان حرب الظلم ، حرب الجهل ، حرب الثّرات
 والمستضاء بنوره في الخافيات المظلمات
 علّم الورى في علمه في الغرب مُغْتَرَبُ الرّفات
 قد كان فيه محلّ إجمال الجهابذة الثقات
 وممثل المصري في حظّ الشعوب من الهبات

• عثمان باشا غالب : كان طبيباً عظيماً وعالماً بالنبات يشار إليه بالنباتان ، توفي في باريس سنة ١٩٢٠ .

١ التيجان للنبات : هي أكاليل الثّار ، كالأكمام .

٢ شقائق : موضع مرّ عليه النعمان بن المنذر فأعجبه ، فقال : هو لي ، فلم يعد أحد يسمّه ، ومن ذلك سمي شقائق النعمان . والخدود في شقائق النعمان يقصد بها الورد .

قل للمُريب : إليك، لا	تأخذُ على الحرّ الهنات
إن النوايغَ أهلَ بدّ	ر ما لهم من سيئات
هم في علا الوطنِ الأدا	ة فلا تحطّ من الأداة
وهمُ الألى جمعوا الضما	ثَر والعزائم من شتات
لهم الثَّجَلَةُ في الحيا	ة ، وفوق ذلك في المات
عثمانُ ، قُمْ تَر آية	اللهُ أحبا الموميات
خرجتَ بينَ من الثرى	وتحرّكتَ منه بنات
واسمَع بِمِصرِ الهاتِف	ين بمجدها والهاتفات
والطالين لحقها	بينَ السَّكينةِ والثبات
والجاعليها قبلة	عندَ الترنُّمِ والصلاة
لاقوا أبوتهم على	عُرِّ المناقبِ والصفات
حتى الشبابُ تراهمُ	غلبوا الشيوخَ على الأناة
وزنوا الرجالَ ، فكان ما	أعطوا على قدر الرّئات
قل للمُعاليطِ في الحقا	ثق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاءَ رسوله	وأتى بإحدى المعجزات
عيسى الشُّعورِ إذا مشى	ردّ الشعوبَ إلى الحياة

١ أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوايغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منها لإحراز أسى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعراً فطن إليه قبل شوقي حياه الله .

عبد الحلي*

طَوِيَّ البِساطُ وَجَفَّتْ الأقداحُ وَغَدَتْ عواطلَ بعدك الأفراحُ^١
وَأَنْفَضَ نَادٍ بِالشَّامِ ، وسامرُ في مصرَ أنتَ هَزَارُهُ الصَّدَّاحُ^٢
وَتَقَوَّصَتْ للفنِّ أطولُ سَرَحَةٌ يُغْدَى إلى أفيائها ويُبرِّحُ
والله ما أدري وأنتَ وحيدُهُ أعليه يُنكي ، أم عليك يُناح ؟
إِسْحاقُ مات ، فلا صَبُوحَ ، وَمَعْبُدُ أودَى ، فليس مع الغبوقِ فَلَاحُ
مَلِكُ الغِناءِ أزاله عن تَحْتِهِ قَدَّرَ يُزِيلُ الراسياتِ مُتَّاحُ
في التُّربِ فوقَ بني سُوَيْفٍ يَتِيمةٌ ومن الجواهر زَيْفٌ وصِحاحُ^٣
ما زال تاجُ الفنِّ تَبَاهاً بها حتى استبدَّ بها الردى المُجتاحُ
لو تستطيع كرامةً لمكانها مَشَتْ الرياضُ إليه والأدواحُ

* * *

رُحْمَاكَ عَبْدَ الحلي ، أُمَّكَ شَيْخَةً قَعَدَتْ ، وَهِيضَ لها العَدَاةُ جَنَاحُ
كُسِرَتْ عَصَاهَا اليَوْمَ ، فهي بلا عَصَا وَقَضَى فَتَاهَا الأَجُودُ المِسْمَاحُ
اللهُ يعلمُ ، إنْ يَكُنْ في قلبها جُرْحٌ في أحشاءِ مصرَ جِرَاحُ
والناسُ مَبْكِيٌّ وبالكِ إثرُهُ وبُكَاءُ الشعوبِ إذا النوايغُ طاحوا

- هو المرحوم عبد الحلي المفتي ، ذاع صيته في مصر وجاوزها إلى الأقطار العربية حتى عد وحيد عصره وإمام فقه . توفي سنة ١٩١٢ م .
- ١ طوى البساط : تعبير يكتنئ به عن انتهاء عوامل السرور .
- ٢ الهزار : طائر حسن الصوت ، وهو فارسي ، مغرب هزار دستان .
- ٣ دفن القعيد في بني سويف وهي بلدة مشهورة بالقطر المصري .

كان الندامى إن شَدَوْتَ وعاقروا
 فيما تقول مُعْنِيًّا ومُحَدَّثًا
 فارقتَ دنيا أرهَقْتَكَ خَسَارَةً
 يا مُخْلِفًا للوعد ، وَعَدْلَكَ ما له
 عَبَّتْ به وبكِ المنيَّةُ ، وانقضى
 لما بلغنا بالأحجية والمنى
 زعموا نَعْيَكَ في المجمع مازحًا
 الجِدُّ غايَةٌ كُلُّ لاهٍ لَاعِبٍ
 رَمَتْ المنايا إذ رَمَيْتَكَ بُلْبُلًا
 آهائه حُرَّقُ الغرامِ ، ولفظه
 وذَبْحَنَ حَنْجَرَةً على أوتارها
 وفَلَّلَنَ من ذاك اللسان حديدَةً
 وأَبْحَنَ راحَتَكَ البَلَى ، ولطالما
 روحٌ تَناهَتْ خِفَّةً فتَحَيَّرَتْ
 قُمْ غَنٍّ وَلَدَانِ الْجِنَانِ وَحَوَّرَهَا

سَيَّانِ صَوْتُكَ بَيْنَهُم وَالرَّاحُ
 تَتَنَافَسُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَرْوَاحُ
 وَغَنِمْتَ قُرْبَ اللَّهِ وَهُوَ رَبَّاحُ
 عِنْدِي وَلَا لَكَ فِي الضَّمِيرِ بَرَّاحُ
 سَبَبٌ إِلَيْهِ بِأَنْسِنَا نَرَّاحُ
 بَابُ السَّرُورِ تَغَيَّبَ الْمَفْتَاحُ
 هَيْهَاتَ ! فِي رَيْبِ الْمَنُونِ مِزَاحُ
 عِنْدَ الْمَنِيَّةِ يَجْزَعُ الْمِفْرَاحُ
 أَرْدَاهُ فِي شَرَكِ الْحَيَاةِ جِمَاحُ
 سَجَّعُ الْحَمَامِ لَوْ أَنَّهِنَّ فِصَاحُ
 ثَوَسَى الْجِرَاحُ ، وَتُذْبِحُ الْأَتْرَاحُ
 يَخْشَى لَثِيمٌ بِأَسْهَاهُ وَوَقَاحُ
 أَمْسَى عَلَيْهَا الْمَالُ وَهُوَ مُبَاحُ
 نَزَلًا تَقَاصَّرُ دُونَهُ الْأَشْبَاحُ
 وَابْعَثْ صَدَاكَ فَكَلَّمْنَا أَرْوَاحُ

١ الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهي شرب الراح . والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لأن كليهما مسكر .

محمد ثابت باشا*

سرّ أبا صالحٍ إلى الله وأترك
هذه غايَةَ النفوسِ ، وهذا
هل ترى الناسَ في طريقك إلا
إن أوهى الخيوطِ فيما بدا لي
مُضغَّةٌ بينَ خَفَقَةِ وسُكونٍ
أنزلوا في الثرى الوزيرَ ، ووارثوا
كنتَ فيها على يدٍ من حريرٍ
قد بلوناك في الرياسة حيناً
أخذاً من لسانِ فارسٍ قِسْطاً
في ظلالِ الملوكِ ، تُذني إليهم
لستَ مَنْ مَرَّ بالمعالمِ مرّاً
قُمْ فَحَدِّثْ عن السنينِ الخوالي
والذي مرَّ بينَ حالٍ قديمٍ
وصِفِ العزَّ في زمانٍ عليّ

مصرَ في مأتمٍ وحزنٍ شديدٍ
مُنْتَهَى العيشِ مُرَّه والرَّغيدِ
نَعَشَ كَهَلٍ ثَلَاثَ نَعَشٍ الوليدِ ؟
خَيْطُ عَيْشٍ مُعْلَقٌ بالوريدِ^١
ودَمٌ بينَ جَرِيَةٍ وجُمودٍ
فيه تسعينَ حِجَّةً في صُعودٍ
للَّيالي ، فأصبحتُ من حَدِيدٍ
فبلونا الوزيرَ عبد الحميدِ^٢
وافرَ القسَمِ من لسانِ كَيْدٍ
كلَّ آوٍ لظُلُكِ الممدودِ
إنما أنتَ دولةٌ في فقيدٍ
وقُتُوحِ المُمْلَكِينَ الصَّيدِ
أنتَ أدري به وحالٍ جديدٍ
واذكر اليُمْنَ في زمانٍ سعيدِ^٣

* هو أحد باشوات مصر الكبار ، عاصر أكثر ولاية مصر من الأسرة العلوية ، وتوفي سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالي تسعين عاماً .

١ الوريد : شريان بكر الشين ، وهو عرق رئيسي في جسم الإنسان ، يشبه العروق في جسم الإنسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف في الحياة وعدم بقائها .

٢ بلوناك في الرياسة : أي اختبرناك . والوزير عبد الحميد : هو عبد الحميد الكاتب المشهور .

٣ يريد زمان محمد علي الكبير ، ورقاقة العيش في زمن الخديوي سعيد باشا .

كيف أسطولهم على كل بحر
قد تولوا وخلفوك وفيًا
وسراياهم على كل يدي ؟
في زمانٍ على الوفيّ شديد
فألحق اليوم بالكرام كريماً
والقهم بين جنة وخلود
وتقبل وداعاً بالك على فقير
سلك ، وافٍ لعهدك المحمود

محمد فريد بك*

كلُّ حَيٍّ على المنية غادي ذهب الأولونَ قرناً فقراً
هل ترى منهمُ وتسمعُ عنهم كُرَّة الأرضِ كم رَمَتْ صَوْلَجَانَا
والغبارُ الذي على صفحتيها كلُّ قبر من جانب القفر يبدو
وزمَامُ الرُّكَّابِ من كلِّ فجٍّ تطلع الشمسُ حيث تطلع نضجاً
تلك حمراءُ في السماء ، وهذا ليت شعري تعمداً وأصرّاً
كذب الأزهرانُ ؛ ما الأمرُ إلَّا يا حَمَاماً ترنمتُ مُسْعِدَاتِ
ضاق عن نُكَلِّهَا البُكَاءُ ، فتغثتُ الأناةُ الأناةُ ؛ كلُّ أليفٍ
هل رَجَعْتُنَّ في الحياة لفهمٍ ؟ تنوالى الركابُ والموتُ حادي
لم يَدُمَ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بادي غيرَ باقي مآثر وأبادي ؟
وطوتُ من ملاعبِ وجيادِ دَوْرَانُ الرَّحَى على الأجسادِ
عَلِمَ الحقُّ ، أو منارَ المعادِ ومَحَطُّ الرُّحَالِ من كلِّ وادي
وتَنَحَّى كَمِئَجَلِ الحَصَادِ أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِرَاسِ الجِلَادِ
أم أعانا جنانية البلادِ قَدَرٌ رائعٌ بما شاء غادي
وبها فاقةٌ إلى الإِسْعَادِ رَبُّ نُكَلِّ سَمِيعَتِهِ من شادي
سابقُ الإلْفِ ، أو مُلَاقِي انْفِرَادِ إن فهمَ الأمورِ نصفُ السَّدَادِ

* محمد بك فريد : الرئيس الثاني للحزب الوطني ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جداً ، بنها إلى آخر درهم في سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد إلى أن مات معدماً فقيراً في سنة ١٩٢٠ ، محكوماً عليه بالنفي والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتاً .

١ الحادي : هو الذي يقضي للقافلة فتشط في مسيرها .

سَقَمٌ مِنْ سَلَامَةٍ ، وَعِزَّةٌ ،
يُجْتَنَى شَهْدُهَا عَلَى إِبْرِ النَحْرِ
وَعَلَى نَائِمٍ وَسَهْرَانٍ فِيهَا
لُبْدٌ صَادَهُ الرَّدَى ، وَأُظِنَ التَّنْدُ
سَاقَةَ التَّغْشَى بِالرَّيْسِ ، رُوَيْدًا
كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْبِرٍ وَسَرِيرٍ
تَسْتَرِيحُ الْمَطِيُّ يَوْمًا ، وَهَذِي
لَا وَرَاءَ الْجِبَادِ زِيدَتْ جَلَالًا
أَسَأَلْتُمْ حَقِيقَةَ الْمَوْتِ : مَاذَا
إِنْ فِي طَيْهَا إِمَامٌ صُفُوفٍ
لَوْ تَرَكْتُمْ لَهَا الزَّمَامَ لَجَاءَتْ
انظُرُوا ، هَلْ تَرَوْنَ فِي الْجَمْعِ مَصْرًا
تَاجُ أَحْرَارِهَا عُلَامًا وَكُهْلًا
وَسُدُّهُ التَّرَابَ يَنْضَوُ سِفَارٍ
وَارْكُزُوهُ إِلَى الْقِيَامَةِ رُمَحًا
وَأَقْرِوهُ فِي الصَّفَانِحِ عَضْبًا
نَازِحَ الدَّارِ ، أَقْصَرَ الْيَوْمَ بَيْنُ
وَكَفَى الْمَوْتُ مَا تَخَافُ وَتَرْجُو
مَنْ دَنَا أَوْ تَأَى فَإِنَّ الْمَنَايَا
سِيرَ مَعَ الْعَمْرِ حَيْثُ شِلَتْ تَوْبَا
ذَلِكَ الْحَقُّ لَا الَّذِي زَعَمُوهُ

مِنْ هُنَا ، وَفَرَقَةٌ مِنْ وَدَادٍ
لِي ، وَيُمَشَّى لَوَزْدِهَا فِي الْقَتَادِ
أَجَلٌ لَا يَنَامُ بِالْمِرْصَادِ
رَ مِنْ سَهْمِهِ عَلَى مِيعَادِ
مُوكِبُ الْمَوْتِ مَوْضِعُ الْإِثْنَادِ
بَاطِلٌ غَيْرَ هَذِهِ الْأَعْوَادِ
تَقْلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدِ عَادِ
مَنْذُ كَانَتْ وَلَا عَلَى الْأَعْجَادِ
تَحْتَهَا مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادِ ؟
وَحَوَارِيَّ نَبِيَّةٍ وَاعْتِقَادِ
وَحَدَّهَا بِالشَّهِيدِ دَارَ الرِّشَادِ
حَاسِرًا قَدْ تَجَلَّلَتْ بِسَوَادِ ؟
رَاعَهَا أَنْ تَرَاهُ فِي الْأَصْفَادِ
فِي سَبِيلِ الْحَقِّوِي يَنْضَوُ سُهَادِ
كَانَ لِلْحَشْدِ ، وَالتَّنْدَى ، وَالطَّرَادِ
لَمْ يَدِنْ بِالْقَرَارِ فِي الْأَغَادِ
وَانْتَهَتْ مِخْنَةً ، وَكَفَتْ عَوَادِي
وَشَفَى مِنْ أَصَادِقِ وَأَعَادِي
غَايَةُ الْقَرَبِ أَوْ قُصَارَى الْبِعَادِ
وَافْقَدَ الْعَمْرَ لَا تُؤَبِّ مِنْ رُقَادِ
فِي قَدِيمٍ مِنَ الْحَدِيثِ مُعَادِ

١ القناد : شجر صلب له شوك كالإبرة .

٢ النضو : المهزول الجسم .

٣ عوادي النحر : عواقبه .

وجرى لفظه على ألسن الناس
 يتحلى به القوي ولكن
 هل ترى كالتراب أحسن عدلاً
 نزل الأقوياء فيه على الصغ
 صفحات نقيّة كقلوب الرشد
 قم إن استطعت من سريرك ، وانظر
 هل تراهم وأنت مؤف عليهم
 أمة هيئت وقوم خير الدهر
 مصر تبكي عليك في كل خذر
 لو تأملت لها لراعك منها
 منتهى ما به البلاد تُعزى
 أمهات لا تحمل الثكل إلا
 كفريد ، وأين ثاني فريد ؟
 الرئيس الجواد فيما علمنا
 أكلت ماله الحقوق ، وأبلى
 لك في ذلك الصنى رقة الرو
 علة لم تصل فراشك حتى
 صادفت قرحة يلائمها الصب
 وعدّ الدهر أن يكون ضياداً
 وإذا الروح لم تُنفس عن الجسد
 من ، ومعناه في صدور الصعاد
 كتحلى القتال باسم الجهاد
 وقياماً على حقوق العباد ؟
 ففى ، وحلّ الملوك بالزهاد
 لي ، مغسولة من الأحقاد
 سرّ ذاك اللواء في الأجناد
 غير ببيان ألفة واتحاد ؟
 بر أو شره على استعداد
 وتصوغ الرثاء في كل نادي
 عزة البرّ في سواد الحداد
 رجل مات في سبيل البلاد
 للنجيب الجريء في الأولاد
 أيّ ثانٍ لواحدٍ الآحاد ؟
 وبلونا وابن الرئيس الجواد ؟
 جسمه عائد من الهم عادي
 ح ، وخفق الفواد في العواد
 وطئت في القلوب والأكباد
 ر ، وتأبى عليه غير الفساد
 لك فيها ، فكان شرّ ضياد
 م فبقراط نافخ في رماد ؟

١ يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية ، هي أن عودة الفريد ميّ كانت في زمن اتحاد الأمة المصرية
 جميعاً على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ .

٢ بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

البنون والحياة الدنيا*

الضلعُ تَتَقِدُ	والدموعُ تَطْرِدُ
أَيُّهَا الشَّجِيءُ ، أَفْقُ	من عَنَاءِ ما تَجِدُ
قد جَرَتْ لَهَا لَهَا	عَبْرَةٌ لَهَا أَمَدُ
كُلُّ مُسْرِفٍ جَزَعًا	أَوْ بُكْيٍ ؛ سَيَقْتَصِدُ
وَالزَّمَانُ سُبُّهُ	فِي السُّلُوِّ يَجْتَهِدُ
قُلْ لِّلْكَائِنِ مَشَى	فِي قَوَاهِمَا الْكَئِدُ
لَمْ يُعَافَ قَبْلَكَا	وَالدُّ ، وَلَا وَلَدُ
الَّذِينَ مِيلَ بِهِم	فِي سِفَارِهِمْ بَعْدُوا
مَا عَلِمْنَا أَشَقُّوا	بِالرَّحِيلِ أَمْ سَعِدُوا ؟
إِنْ مَنْزَلًا نَزَلُوا	لَا يَرُدُّ مَنْ يَرِدُ
كُلُّنَا إِلَيْهِ غَدًا	لَيْسَ بِالْبَعِيدِ غَدُ

* * *

البنونَ هم دَمُنَا	والحياةُ والوُردُ
لَا تَلَدُ مِثْلَهُمْ	مُهْجَةً ، وَلَا كَبَدُ
يَسْتَوُونَ وَاحِدُهُمْ	- فِي الْخَنَانِ - وَالْعَدَدُ
زِينَةٌ ، وَمَصْلَحَةٌ	وَاسْتِرَاحَةٌ ، وَدَدُ
فِتْنَةٌ إِذَا صَلَحُوا	مِخْنَةٌ إِذَا فَسَدُوا

* نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل « بك » في فقد وحيدته سنة ١٩٣٥ .

شاغلٌ إذا مَرَضُوا فاجعٌ إذا فُقِدُوا
جُرْحُهُمْ إذا اشْتَرَعُوا لا تَلُمُهُ الضُّمَدُ
العزاء ليس له آسِيًا ، ولا الجَلْدُ

* * *

قلْ لِهَيْكَلٍ كَلِمًا من ورائِها رَشَدٌ
لم يَشُبْ مَهْدَبُها باطلٌ ولا فَنَدٌ
قد عَجِيتُ مِنْ قَلَمٍ ثاكِلٍ وَيَنْجَرِدُ
أَنْتَ لَيْتُ مَعْرَكَةٍ وهو صارمٌ فَرَدُ
والسِيفُ نَخْوَتُها في الوطيسِ تَنْقِدُ^١
أَنْتَ نَاقِدٌ أَرَبٌ والأَرَبُ يَنْتَقِدُ
ما تقولُ في قَدَرٍ بعضُ سَيِّئِ الأَبَدِ ؟
وهو في الحياةِ على كلِّ خُطْوَةٍ رَصَدُ
يَعُثِرُ الأَنَامُ به إن سَعَوْا ، وإن قَعَدُوا
يَنْزِلُ الرِّجالُ على حُكْمِهِ وإن جَحَدُوا
القضاءُ مُغْضِلَةٌ لم يَحْلُها أَحَدُ
كَلِمًا نَقَضَتْ لها عُقْدَةً بَدَتْ عُقْدُ
أَتَعَبَتْ مُعَالَجُها واستراحَ مُغْنِقُ

* * *

عَالَمٌ مُدَبِّرُهُ بالبقاءِ مُتَفَرِّدُ
مِنْ بَلَى كَوَائِنِهِ كائِنَانُهُ - الجُدُّ

١ الفتد : هو الكذب .

٢ الوطيس : الحرب .

لا تقل به إِدَدُ	إِنَّ حُسْنَهُ الإِدَدُ
تلتقي نقائضه	غايةً وتُجِدُ
الفناء فيه يدُ	للبقاء أو عَضُدُ
ائتلافه رَشَدُ	واختلافه سَدَدُ
جَدُّ في عمارته	مُنْصَفٌ ومضطَهَدُ
والغني لخدمته	كالفقير محتشِدُ
وهو في أَعْيَنِهِ	مُنْعِنٌ ومُطْرِدُ
والحياة حَنْظَلَةٌ	في حروفها شُهْدُ
هَيْكَلُ الشقاء له	من مَدَامِيعِ عَمَدُ
قامت النعوش على	جانبَيْهِ والوُسْدُ
عُرْسُهُ ومَأْتَمُهُ	غايَتَاهَا نَفْدُ

١ الإِدَدُ : جمع إِدَاة ، بالكسر - وهي الداهية .

ثروت باشا*

يموت في الغاب أو في غيره الأسد كلُّ البلادِ وسادُ حينَ تُسَدُّ
قد عَيَّبَ الغربُ شمساً لا سَقَامَ بها كانت على جَنَابِ الشرقِ تُقَدُّ
حدا بها الأجلُ المحتومُ فاغترَبْتُ إن النفوسَ إلى آجالِها تُفَدُّ
كلُّ اغترابٍ مَتَاعٌ في الحياةِ سوى يومَ يُفَارِقُ فيه المُهْجَةُ الجسدُ

* * *

نعمي الغمامَ إلى الوادي وساكنه برقُ ثَمَلٍ منه السهلُ والجَلَدُ
برقُ الفجعةِ لما ثار ثائره كادتْ كَأَمْسٍ له الأحزابُ تُتَّحِدُ
قام الرجالُ حيارى مُنْصَتِينَ له حتى إذا هدَّ من آمالهم قعدوا
علا الصعيدِ نهارُ كُلِّ شَجْنٍ وجلَّ الريفَ ليلُ كُلِّ سُهْدٍ
لم يُبْقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا ولم يَرُدَّ على الباكين ما فقدوا
وراءَ رَبِيبِ الليالي أو فُجَاءَتِهَا دمعٌ لكلِّ شَهِتٍ ضاحكٍ رَصَدُ

* * *

باتت على الفلَّكِ في التابوتِ جَوْهَرَةٌ تكادُ بالليل في ظلِّ البَلَى تَقْدُ
يُفَاخِرُ النِيلُ أَصْدَافَ الخَلِيجِ بها وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرُدُّ
إنَّ الجواهرَ أَسْناها وأكرمها ما يَقْدِفُ المهدُ ، لا ما يَقْدِفُ الرِّبْدُ

- * هو المغفور له عبد الحالق ثروت باشا ، كان زعيماً وطنياً عظيماً ، وسياسياً إدارياً خطيراً ، تولى رئاسة الحكم في البلاد أكثر من مرة ، وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر إلى أوروبا لبعض المفاوضات السياسية التمهدة لاستقلال مصر ، فلم يمهله الموت ، ففُتِى بفرنسا في سنة ١٩٢٨ ، وحيَّ به ميتاً ، وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر أثرها في هذه المَراثِيَّة ، التي تقرأها فتحس رجوعها إليك من أعماق الخلود .
- ١ يشير إلى مجيئه من أوروبا في نعش على الباخرة .

حتى إذا بلغ الفلك المدى انحدرت
تلك البقية من سيف الحمى كسر
قد ضمها فزكا نغش يطاف به
مشت على جانبيه مصر تشنؤه
وقد يموت كثير لا تحسهم
تكل البلاد له عقل ، ونكبها

* * *

مكئل الهام بالتصريح ، ليس له
وصاحب الفضل في الأعناق ليس له
خلا من المدفع الجبار مركبة
إن المدافع لم يخلق لصحبها

عود من الهام يحويه ولا نصد
من الصنائع أو أعناقهم سند
وحل فيه الهدى والرفق والرشد
جند السلام ، ولا قواده المجد

* * *

يا باني الصرح لم يشغله مُتدح
أصم عن غضب من حوله ورضى
تصريحك الخطوة الكبرى ومرحلة
الحق والقوة ارتدا إلى حكم
لولا سفارتك المهدية اختصا
ما زلت تطرق باب الصلح بينهما

عن البناء ، ولم يصرفه مُتدح
في ثورة تلد الأبطال أو تئد
يدنو على مثلها ، أو يبعد الأمد
من الفياصل ، ما في دينه أود
ومل طول النضال الذب والتقد
حتى تفتح الأبواب والسدد

- ١ القصد - بكسر القاف - : جمع قصدة - بكسرها أيضاً ، وهي القطعة لما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : أي منكسر .
- ٢ التذلة : ذهاب القواد من عشق أو حزن ونحوهما .
- ٣ يريد الثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والواد : دفن الأحياء .
- ٤ النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .

وجَدَّتْهَا فَرْصَةً ثَلَاثِي الْجِيَالِ لَهَا
 طَلَبَتْهَا عِنْدَ هُوجِ الْحَادِثَاتِ كَمَا
 لَمْ وَجَدْتَ مُعَدَّاتِ الْبِنَاءِ بِنْتُ
 بَنِيَتْ صَرَحَكَ مِنْ جُهِدِ الْبِلَادِ ، كَمَا
 فِيهِ ضَحَايَا مِنْ الْأَبْنَاءِ قِيَمَةٌ
 وَفِي أَوَاسِيهِ أَقْلَامٌ مُجَاهِدَةٌ
 وَفِيهِ أَلْوِيَّةٌ عَزَّ الْجِهَادُ بِهِمْ
 رَمَيْتَ فِي وَتَدِ الذَّلِّ الْقَدِيمِ بِهِ
 طَوَى حِمَايَتُهُ الْمُحْتَلُّ ، وَانْبَسَطَتْ
 نَمَّ غَيْرَ بَالِكَ عَلَى مَا شِدَّتْ مِنْ كَرَمٍ
 يَا ثُرُوةَ الْوَطَنِ الْغَالِي ، كَفَى عِظَةً
 لَمْ يُطْفِئِكَ الْحَكْمُ فِي شَيْءٍ مَظَاهِرِهِ
 تَغْدُو عَلَى اللَّهِ وَالتَّارِيخِ فِي ثِقَةٍ
 نَشَأَتْ فِي جَبْهَةِ الدُّنْيَا ، وَفِي فَمِهَا
 لِكُلِّ يَوْمٍ غَدٌ يَمْضِي بِرَوْعَتِهِ
 رَمْتِكَ فِي قَنَوَاتِ الْقَلْبِ فَانْصَدَعَتْ
 لَمَّا أَنَاخَتْ عَلَى تَامُورِكَ انْفَجَرَتْ
 مَا كُلُّ قَلْبٍ غَدَا أَوْرَاحَ فِي دَمِهِ
 وَلَمْ تَطَاوِلْكَ خَوْفًا أَنْ يُنَاضِلَهَا
 فَهَلْ رَأَى الْمَوْتَ لِلْبِرِّ الذَّبِيحَ ؟ وَهَلْ
 هَيَّيَاتِ ! لَوْ وَجَدْتَ لِلْمَوْتِ عَاطِفَةً

إِنَّ السِّيَاسَةَ فِيهَا الصَّيْدُ وَالطَّرْدُ
 يَمْشِي إِلَى الصَّيْدِ تَحْتَ الْعَاصِفِ الْأَسَدُ
 يَدَاكَ لِلْقَوْمِ مَا ذَمُّوا وَمَا حَمَلُوا
 ثَبَّتِي مِنَ الصَّخْرِ الْآسَاسُ وَالْعُمْدُ
 وَفِيهِ سَخِيٌّ مِنَ الْآبَاءِ مُطَرِّدُ
 عَلَى أَسْتِهَا الْإِحْسَانُ وَالسَّدْدُ
 لَوْلَا الْمَنِيَّةُ مَا مَالُوا ، وَلَا رَقَدُوا
 حَتَّى تَرْعِزَ مِنْ أَسْبَابِهِ الْوَتْدُ
 حِمَايَةُ اللَّهِ ، فَاسْتَذَرَى بِهَا الْبَلَدُ
 مَا شَيْدَ لِلْحَقِّ فَهُوَ السَّرْمَدُ الْأَبَدُ
 لِلنَّاسِ أَنْكَ كَثُرَ فِي الثَّرَى بَدَدُ
 وَلَا اسْتَخَفَّكَ لَيْنُ الْعَيْشِ وَالرَّغْدُ
 تَرْجُو فُتْقَدِيمُ ، أَوْ تَحْتَشَى فَتْسِيدُ
 يَدُورُ حَيْثُ تَدُورُ الْمَجْدُ وَالْحَسَدُ
 وَمَا لِيَوْمِكَ يَا خَيْرَ اللَّذَاتِ غَدُ
 مَنِيَّةٌ مَا لَهَا قَلْبٌ ، وَلَا كَبِدُ
 أَزَكَى مِنَ الْوَرْدِ ، أَوْ مِنْ مَائِهِ الْوَرْدُ
 فِيهِ الصَّدِيقُ وَفِيهِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 مِنْكَ الدِّهَاءُ وَرَأْيِي مُنْقِذُ نَجْدِ
 شَجَاهُ ذَلِكَ الْهِنَانُ السَّاكِنُ الْهَمْدُ ؟
 لَمْ يَكْ مِنْ آدَمَ أَحِبَابِهِ أَحَدُ

مَشَتْ تَذُودُ المنايا عن وديعتها مدينة النور ، فارتدت بها رَمَدُ
لو يُدفعُ الموتُ رَدَّتْ عنكَ عادِيَهُ للعلم حَوْلَكَ عينٌ لم تنمَ ويدُ

* * *

«أبا عزيز» سلامُ الله ، لا رُسُلُ إليك تحملُ تسليمي ، ولا بُرْدُ
ونفحةٌ من قوافي الشعر كنت لها في مجلسِ الراحِ والريحانِ تحتشِدُ
أرسلتها وبعثتُ الدمعَ يكتفُها كما تجدرُ حولَ السَّوسنِ البردُ
عطفْتُ فيكَ إلى الماضي ، وراجعتني وُدُّ من الصَّغرِ المعسولِ مُنْعَقِدُ
صافٍ على الدهرِ لم تُفْرِخْ خَلِيَّتَهُ ولا تغيّرُ في أيباتها الشُّهُدُ
حتى لَحْنُكَ مَرْموقُ الهلالِ على حدائِةٍ تُعِدُّ الأوطانَ ما تُعِدُ
والشعرُ دمعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطفةٌ ياليت شعري هل قُلْتُ الذي أجِدُ ؟

١ مدينة النور : تطلق في هذا العصر على باريس .

عبد العزيز جاویش*

أصاب المجاهدُ عُقبَى الشهيد وألقى عصاه المضافُ الشريد
وَأَمْسَى جَبَاداً عدُوَّ الجمودِ وباتَ على القيدِ خَصْمُ القيودِ
حَدَاهُ السِّفَارُ إِلَى مَتَرٍ يَلَاقِي الخَفِيفَ عَلَيْهِ الوئيدِ
فَقَرَّ إِلَى موعِدٍ صادقٍ مُعِزُّ اليَقِينِ مِثْلُ الجُودِ
وباتَ الحَوَارِيُّ من صَاحِبِيهِ شَهِيدَتَيْنِ أُسْرَى إِلَيْهِمُ شَهِيدِ
تَسَرَّبَ فِي مَكِّيٍّ مصطفى كَأَمْسٍ ، وَبَيْنَ ذِرَاعِي فَرِيدِ
فِيَا لَكَ قَبْراً أَكَنَّ الكَنُوزَ وسَاحَ الحقوقَ ، وحَاطَ المَهِودِ
لقد غَيَّبُوا فِيكَ أَمْضَى السِّيفِ فَهَلْ أَنْتَ يَا قَبْرُ أَوْفَى الثُّمُودِ؟
ثَلَاثُ عَقَائِدَ فِي حَفْرَةٍ تَذْكُ الجِبَالِ ، وَتُوهِى الحَدِيدِ
فَعَدَنَ فَكَنَّ الأَسَاسَ المَتِينَ وَقَامَ عَلَيْهَا البِنَاءُ المَشِيدِ
فَلَا تَنْسَى أَمْسٍ وآلَاءَهُ أَلَا إِنَّ أَمْسٍ أَسَاسُ الوجودِ
وَلَوْلَا البَلَى فِي زَوَايا القُبُورِ لَمَا ظَهَرَتْ جِدَّةُ المَهِودِ
وَمَنْ طَلَبَ الحُلُقَ من كَتَرِهِ فَإِنَّ العَقِيدَةَ كَتَرُ عَتِيدِ
تَعَلَّمَ بالصَّبْرِ ، أَوْ بِالثَّبَاتِ جَلِيدُ الرِّجَالِ ، وَغَيْرُ الجَلِيدِ

* * *

- هو الشيخ عبد العزيز جاویش ، أحد السابقين في خدمة القضية المصرية ، كان زعيماً سياسياً دينياً عظيماً ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفي والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا بضع سنين ، ومات في سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل في الفصاحة والقوة في وقتها .
- ١ هو مصطفى كامل الزعيم الوطني الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطني الثاني ، وكانا صاحبي الفقيد في المبدأ والجهاد .

طَرِيدَ السِّيَاسَةِ مِنْذُ الشَّبَابِ
لَقِيتَ الدَّوَاهِيَ مِنْ كَيْدِهَا
حَمَلْتَ عَلَى النَّفْسِ مَا لَا يَطَا
وَقَلَّبْتَ فِي النَّارِ مِثْلَ الثُّصَا
أَتَذَكِّرُ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ اللَّوَاءِ
إِذَا مَا تَطَلَّعْتَ فِي الشَّاطِئِينَ
وَهَزَّ النَّدَى لَكَ الْمُنْكَبِينَ
رِسَائِلُ تُدْرِي بِسَجْعِ الْبَدِيعِ
يَعِيهَا شَيْخُ الْحِمَى كَالْحَدِيثِ
فَمَا بَالُهَا نَكِرَتْهَا الْأُمُورُ
لَقَدْ نَسِيَ الْقَوْمُ أَمْسَ الْقَرِيبِ
يَقُولُونَ : مَا لَأَبِي نَاصِرٍ
وَفِيمَ تَحْمَلُ هَمَّ الْقَرِيبِ
فَقُلْتُ : وَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ يَقُومَ
أَتَسْتَكْبِرُونَ لَهُمْ وَاحِدًا
سَعَى لِيُؤَلَّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ
يَشُدُّ عُرَا الدِّينِ فِي دَارِهِ
وَلِلْقَوْمِ حَتَّى وَرَاءَ الْقِفَارِ

لَقَدْ آتَى أَنْ يَسْتَرِيحَ الطَّرِيدُ
وَمَا كَالسِّيَاسَةِ دَاوٍ يَكِيدُ
قُ ، وَجَاوَزْتَ الْمُسْتَطَاعَ الْجُهُودِ
ر ، وَعُرِّتَ مِثْلَ الْجُمَانِ الْفَرِيدِ
نَيْبَةَ الْمَكَانَةِ ، جَمَّ الْعَدِيدُ ؟^١
رَبَا الرِّيفُ ، وَافْتَنَّ فَيْكَ الصَّعِيدِ
وَرَاخَ الثَّرَى مِنْ زَحَامٍ يَمِيدِ
وُثِّنِي رِسَائِلَ عَبْدِ الْحَمِيدِ
وَحَفِظْهَا النَّشْرُ حِفْظَ النَّشِيدِ
وَطَوَّلُ الْمَدَى ، وَانْتَقَالَ الْجُنُودُ ؟
فَهَلْ لِأَحَادِيثِهِ مِنْ مُعِيدِ ؟
وَلِلثَّرِ ؟ مَا شَأْنُهُ وَالْهُنُودِ ؟
مَنْ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ الْبَعِيدِ ؟
مَنْ الْمُسْلِمِينَ إِمَامٌ رَشِيدِ ؟
وَلَّى الْقَدِيمَ نَصِيرَ الْحَدِيدِ ؟
فَلَمْ يَغْدُ هَذَا الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَهْلَ الْجُحُودِ
دَعَاةً تُغْنِي ، وَرُسُلًا تُشِيدُ

* * *

جَزَى اللَّهُ مَلَكًا مِنْ الْمُحْسِنِينَ رُوُفُ الْفَوَادِ ، رَحِيمُ الْوَرِيدِ^٢

- ١ كان الفقيده محرر جريدة اللواء في عهدهما الأول .
- ٢ هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر ، حيث تمطف على أبناء الفقيده ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنهم عليهم بيهة ملكية وافرة .

كَأَنَّ الْبَيَانَ بِأَيَّامِهِ أَوْ الْعِلْمَ تَحْتَ ظِلَالِ الرَّشِيدِ
يُداوِي نَدَاهُ جِرَاحَ الْكِرَامِ وَيُدْرِكُهُمْ فِي زَوَايا اللَّحُودِ
أَجَارَ عِيَالَكَ مِنْ دَهْرِهِمْ وَجَامَلَهُمْ فِي الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
تَوَلَّى الْوَلِيدَةَ فِي يُتْمِهَا وَكَفَكَفَ بِالْعُطْفِ دَمْعَ الْوَلِيدِ

* * *

سَلَامٌ أَبَا نَاصِرٍ فِي التَّرَابِ يُعِيرُ التَّرَابَ رَفِيفَ الثُّرُودِ
بَعُثْتُ وَعِزُّكَ إِلَيْكَ الْبَرِيدُ وَهَلْ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ بَرِيدٌ ؟
أَجَلٌ ؛ بَيْنَنَا رَسْلُ الذِّكْرِيَّاتِ وَمَاضٍ يُطِيفُ ، وَدَمْعٌ يَجُودُ
وَفَكْرٌ وَإِنْ عَقَلْتَهُ الْحَيَاةُ يَظَلُّ بُوَادِي الْمَنَايَا يَرُودُ
أَجَلٌ ؛ بَيْنَنَا الْخُشْبُ الدَّائِبَاتُ وَإِنْ كَانَ رَاكِبُهَا لَا يَعُودُ
مَضَى الدَّهْرُ وَهِيَ وَرَاءَ الدَّمُوعِ قِيَامٌ بِمُلْكِ الصَّحَارِي قُعُودُ
وَكَمْ حَمَلْتُ مِنْ صَدِيدٍ يَسِيلُ وَكَمْ وَضَعْتُ مِنْ حِنَاشٍ وَدُودُ
نَشَدْتُكَ بِالْمَوْتِ إِلَّا أَبْنَتْ أَنْتَ شَقِيٌّ بِهِ أَمْ سَعِيدٌ ؟
وَكَيْفَ يُسَمَّى الْغَرِيبَ امْرُؤُ نَزِيلُ الْأَبْوَةِ ، ضَيْفُ الْجُلُودِ ؟
وَكَيْفَ يُقَالُ لِحَارِ الْأَوَاثِ لِي جَارٍ الْأَوَاخِرِ : نَاءٌ وَحِيدٌ ؟

١ هو هارون الرشيد ، وقد اعتر العلم والأدب في عهده اعتزازاً كبيراً .

تعزية ورثاء

كأسٌ من الدنيا تُدار	من ذاقها خلع العذار
الليل قوامٌ بها	فإذا ونى قام النهار
وحبا بها الأعمار ، لم	تدم الطوال ، ولا القصار
شرب الصبي بها ، ولم	يحل البعثر من نخار
وحسا الكرام سلافها	وتناول الحمل العقار
وأصاب منها ذو الهوى	ما قد أصاب آخر الوقار
ولقد تميل على الجا	د ، وتصرع الفلك المدار
كأسُ المنية في يد	عسراء ، ما منها فرار
تجري اليمين ، فمن	تولى يسرة جرت اليسار
أودى الجريء إذا جرى	والمستमित إذا أغار
ليث المعامع ، والوقا	ثع ، والمواقع ، والحصار
وبقية الزمر التي	كانت تذود عن الدمار
جند الخلافة ، عسكر الس	لطان ، حامية الديار
ضاق كريد جبالها	بك يا خلوصي والقفار
أيامكم فيها - وإن	طال المدى - ذات اشتهار
علم العدو بأنكم	أتم لمفصمها سوار

- وجه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصي حين مات والده المرحوم الأميرالاي مصطفى بك خلوصي ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا في قمع الثورة في الجزيرة كريد أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .
- ١ العذار : الحياء والوقار .

أَخَذَقْتُمْ بِمَقَرِّهِ فتركتموه بلا قرار
حتى اهتدى مَنْ كان ضـ لـ ، وثاب من قد كان ثار
واعترَّ ركنٌ للولا ية كان مُنْقَضُ الجدار

* * *

عِشْ لِلْعَلا والمجدِ - يا خَيْرَ البينِ - وللِفخار
أُبَكِّي لدمعك جاريأ ولدمع إخوتك الصغار
وأودُّ أنْكُمْ رجا لُ مثل والدِكم كِبار
وأريد بيتَكُمْ عما را ، لا يُحاكيه عمار
لا تخرجُ الثَّعماءُ من ه ، ولا يُزِيلُهُ اليسار

ذكرى هيجو*

ما جلّ فيهم عيدك المأثور
 ذكروك بالثمة السنين ، وإنها
 ستدوم ما دام البيان ، وما ارتقت
 ولئن حُجِبَتْ فأنْتَ في نظر الورى
 لولا التَّقَى لفتحتُ قبرك للملا
 ولقلتُ : يا قومُ انظروا إنجيلكم
 مَنْ بعده ملكُ البيان ؟ فعنهكم
 مات القريضُ بموتِ هوجو ، وانقضى
 ماذا يزيد العيدُ في إجلاله
 فقدتُ وجوهَ الكائناتِ مُصَوِّراً
 كُشِفَ الغطاءُ له ، فكلُّ عبارةٍ
 لم يُعْبِه لفظٌ ، ولا معنى ، ولا
 مُسَلِّي الحزينِ بِمُكِّهِ من حزنه
 ثأرُ الملوكِ ، وظلٌّ عندَ إباته
 وأعارَ وائرلو جلالَ يرّاعه
 يَأْيِها البحرُ الذي غمرَ الثرى

إلا وأنتَ أجلُّ يا فكتور
 عُمُرٌ لملكٍ في النجومِ قصير
 للعالمين مداركُ وشعور
 كالنجمِ لم يَرَّ منه إلا النور
 وسألتُ : أين السيدُ المقبور ؟
 هل فيه من قلمِ الفقيدِ سطور ؟
 تاجٌ فقدتم رُبَّهُ وسرير
 مُلكُ البيانِ ، فأنثُمُ جُمهور
 وجلاله يرّاعه مَسْطور ؟
 نزل الكلامُ عليه والتصوير
 في طيّها للقارئِ ضَمير
 غرضٌ ، ولا نظمٌ ، ولا مثور
 ويرُدُّه الله وهو قريـر
 يرجو ويأمل عفوهُ المَثُور
 فجلالُ ذاك السيفِ عنه قصير
 ومنَ الثرى حُفَرٌ له وقبور

* نظمت هذه القصيدة في ذكرى شاعر فرنسا الكبير فيكتور هوغو بمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

١ واترلو : علم على موضع من المواضع الذي حصلت فيه الموقعة التي هزم فيها نابليون هزيمة الكبرى .

أنت الحقيقة إن تحجب شخصها
ارفع حِدادَ العالمين وعدّ لهم
وانظر إلى البؤساء نظرةً راحمٍ
الحالُ باقيةٌ كما صوّرتها
البؤس والغنى على حالهما
ومن القويّ على الضعيف مُسيطرٌ
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتها
والعيشُ آمالٌ تجددُ وتنقضي

فلها على مرّ الزمانِ ظهور
كَيْمَا يُعَيّدُ بائسٌ وفقير
قد كان يُسعدُ جمْعَهم ويُجير
من عهد آدم ما بها تغيير
والخطُّ يعدلُ تارةً ويجور
ومن الغنيّ على الفقير أمير
تأوي إلى أحقادها وتثور
والموتُ أصدقُ ، والحياةُ غرور

عبده الحامولي*

ساجعُ الشرقِ طار عن أوكاره
غاله نافذُ الجناحين ماضي
يطرق الفرخ في العُصون ويغشى
كان مزماره ، فأصبح داو
عبده يبد أن كلَّ معن
معبد اللوتين في مصر ، وإسحا
في بساط الرشيد يوماً ، ويوماً
صفو ملكتيها به في ازدياد
يُخرج المالكين من حشمة المُلد
رُبَّ ليلي أغار فيه القمارى
بصباً يُذكر الرياض صباه
وغناء يُدار لحناً فلحناً
وأنيب لو أنه من مشوق
يتمنى نحو الهوى منه آهاً

وتولّى فنٌّ على آثاره^١
لا تفرُّ النسور من أظفاره
لبدأ في الطويل من أعمارهِ
دُ كثيراً ييكي على مزماره^٢
عبده في افتنانه وابتكاره
قُ السمينين ربَّ مصر وجاره
في حَمى جعفرٍ وضافي ستاره
ومن الصفو أن يلوذ بداره
ك ، ويثني الوقور ذكر وقاره
وأثار الحسان من أقداره
وحجاز أرق من أسحاره^٣
كحديث النديم أو كعقاره
عرف السامعون موضع ناره
حين يُلحى تكون من أعذاره

٥. توفي عبده الحامولي في سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن في حسن الصوت وفي ابتكار الألحان ، هذا إلى أريحية ومروءة يضرب بها المثل .

١. الأوكار : جمع وكر ، وهو عشب الطائر .

٢. يشبه صوت المرنى في صفاته بمزمار داود النبي صاحب المزامير .

٣. صبا الرياض - بفتح الصاد - : نسيمها . أما كلمة « صبا » الواقعة في أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة في فن الغناء ، وهي مفتوحة الصاد أيضاً ، كأنها سميت بذلك تشبيهاً لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك « حجاز » : نغمة معروفة في الغناء أيضاً .

زَفَرَاتُ كَانَهَا بَثُّ قَيْسٍ
لَا يُجَارِيهِ فِي تَفَنُّهِ الْعَوَى
يَسْمَعُ اللَّيْلُ مِنْهُ فِي الْفَجْرِ: يَا لَيْدٍ
فُجِعَ النَّاسُ يَوْمَ مَاتَ الْحَمُولِي
بِأَبِي الْفَنِّ ، وَابْنِهِ ، وَأَخِيهِ
وَالْأَبْنَى الْعَفِيفِ فِي حَالَتَيْهِ
يَحْسِبُ اللَّحْنَ عَنْ غَنِيِّ مُدِلٍّ
يَا مُغْنِيًا بِصَوْتِهِ فِي الرِّزَايَا
وَمُحِلًّا الْفَقِيرَ بَيْنَ ذَوِيهِ
وَعِمَادَ الصَّدِيقِ إِنْ مَالَ دَهْرٌ
لَسْتُ بِالرَّاحِلِ الْقَلِيلِ فَتَنْسَى
غَايَةَ الدَّهْرِ إِنْ أَتَى أَوْ تَوَلَّى
زَلَّ الْجَدُّ فِي الثَّرَى ، وَتَسَاوَى
وَانْقَضَى الدَّاءُ بِالْيَقِينِ مِنَ الْحَا
لَهْفَ قَوْمِي عَلَى مَخَايِلِ عَزٍّ
وَعَلَى ذَاهِبٍ مِنَ الْعَيْشِ ، وَلَيْدٍ
وَزَمَانٍ أَنْتَ الرُّضَى مِنْ بَقَايَا
كَانَ لِلنَّاسِ لَيْلُهُ حِينَ تَشْدُو

فِي مَعَانِي الْهَوَى وَفِي أَنْخَبَارِهِ
دُ ، وَلَا يَشْتَكِي إِذَا لَمْ يُجَارِهِ
لُ ، فَيُضْغِي مُسْتَمَهَلًا فِي فِرَارِهِ
بِدَوَاءِ الْهَمُومِ فِي عَطَّارِهِ
الْقَوِيَّ الْمَكِينِ فِي أَسْرَارِهِ
وَالْجَوَادِ الْكَرِيمِ فِي إِثَارِهِ
وَيُذِيقُ الْفَقِيرَ مِنْ مُخْتَارِهِ
وَمُعِينًا بِمَالِهِ فِي الْمَكَارِهِ
وَمَعِزًّا الْيَتِيمَ بَيْنَ صِغَارِهِ
وَشِفَاءَ الْمَحْزُونِ مِنْ أَكْدَارِهِ
وَاحِدُ الْفَنِّ أُمَّةٌ فِي دِيَارِهِ
مَا لَقِيتَ الْغَدَاةَ مِنْ إِدْبَارِهِ
مَا مَضَى مِنْ قِيَامِهِ وَعِثَارِهِ
لَيْتَنِي ، فَالْمَوْتُ مُنْتَهَى إِقْصَارِهِ
زَالِ عَنَّا بِرَوْضِهِ وَهَزَارِهِ
سَتَ فَوَلَّى الْأَخِيرُ مِنْ أَوْطَارِهِ
هُ ، وَأَنْتَ الْعَزَاءُ مِنْ آثَارِهِ
لَحَقَ الْيَوْمَ لَيْلُهُ بِنَهَارِهِ

قاسم بك أمين*

يا أيُّها الدَّمْعُ الرَّفِيُّ ، بدارِ
أنا إنْ أهْشَكَ في ثَراهمْ فالهوى
هانوا وكانوا الأكرمين ، وغودروا
لهمْ عليهم ، أَسْكِنُوا دَوْرَ الثرى
أين البشاشةُ في وسم وجوههم
كنا من الدنيا بهم في رَوْضَةٍ
نقضي حقوقَ الرفقةِ الأخيارِ
والعهدُ أنْ يُبَكِّوْا بدمعٍ جارِي
بالقَفْرِ بعدَ منازلٍ وديارِ
من بعد سَكْنَى السَّمْعِ والأبصارِ
والبشرُ للندماءِ والسَّمارِ ١٩
مَرَّوا بها كنسائمِ الأسحارِ

• • •

عطفاً عليهم بالبكاء وبالأسى
يا غائبين وفي الجوانح طيفهم
بيني وبينكم وإن طال المدى
إني أكاد أرى محلي بينكم
فتعهدُ الموتى من الإيثارِ
أبكيكم من عُيْبِ حُضَارِ
سَفَرُ سَأْزَمَعِهِ من الأسفارِ
هذا قَرَارُكُمْ ، وذاك قَراري

• • •

أو كَلِّمًا سَمَحَ الزَّمانُ وبُشِّرَتْ
فُجِعَتْ به ، فكانه وكأنها
إنَّ المصيبةَ في الأمين عَظِيمَةٌ
في أَرْيَحِيٍّ ماجِدٍ مُسْتَعْظَمٍ
مَصْرٌ بفرْدٍ في الرجالِ مَنارِ
نَجْمُ الهدايةِ لم يَدْمُ للساري ؟
مَحْمُولَةٌ لمشيئةِ الأقدارِ
رُزْءُ الممالكِ فيه والأمصارِ
وأبرَّهمْ بصديقِهِ والجارِ
أوفى الرجالِ لعَهْدِهِ ولرأيه

• المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة في مصر ، وقد توفي في سنة ١٩٠٩
١ السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصديق بالليل .

وَأَشَدَّهُمْ صَبْرًا لِمَعْتَقِدَاتِهِ
 يَسْتَقِي الْقَرَائِحَ هَادِتًا مُتَوَاضِعًا
 قَلْبًا لِلسَّمَاءِ تُغْضُ مِنْ أَقَارِهَا
 مِنْ كُلِّ وَضَاءٍ الْمَآثِرَ فَائِتِ
 تَمْضِي اللَّيَالِي لَا تَنَالُ كِمَالَهُ
 آثَارُهُ بَعْدَ الْمَوَاتِ حَيَاتُهُ
 يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْقَضَاءِ وَعِلْمِهِ
 مَا زِلْتَ تَرْجُوهُ ، وَتَخْشَى سَهْمَهُ
 هَلَا بُعِثْتَ فَكُنْتَ أَفْصَحَ مُحْتَبَرًا
 انْفُضْ عُبَارَ الْمَوْتِ عَنْكَ وَنَاجِنِي
 هَذَا الْقَضَاءَ الْجَدُّفَارِو ، وَهَاتِ عَنْ
 كُلِّ وَإِنْ شَقَقْتَهُ ذُنْيَاهُ هَوَى
 لِلَّهِ جَامِعَةً نَهَضَتْ بِأَمْرِهَا
 أُمِّيَّةُ الْعُقَلَاءِ قَدْ ظَفِرُوا بِهَا
 وَالْعَقْلُ غَايَةُ جَرِيهِ لِأَعْتَةِ
 لَوْ يَعْلَمُونَ عَظِيمَ مَا تُرْجَى لَهُ
 تَشْرِيرِ الْمَالِكُ بِالْدَّمِ اسْتِقْلَالُهَا
 بِالْعِلْمِ يُبْنَى الْمَلِكُ حَقٌّ بِنَائِهِ

وَتَأْدُبًا لِمَجَادِلِ وَمَمَارِي
 كَالْجَدُولِ الْمُتَرَفِّقِ الْمُتَوَارِي
 تَحْتَ التَّرَابِ أَحَاسِنُ الْأَقَارِ
 زُهْرَ النُّجُومِ بِذَهْرِهِ السَّيَارِ
 بِمَعْيَبِ نَقْصٍ أَوْ مَشْنِ سِرَارِ
 إِنَّ الْخُلُودَ الْحَقَّ بِالْآثَارِ
 إِلَّا قَضَاءَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 حَتَّى رَمَى فَأَحْطَتْ بِالْأَسْرَارِ
 عَمَّا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ لَازَارِ ١
 فَعَسَايَ أَعْلَمُ مَا يَكُونُ عُجَارِي
 حُكْمِ الْمَنِيَةِ أَصْدَقُ الْأَخْبَارِ
 يَوْمًا مُطْلَقُهَا طَلَاقَ نَوَارِ ٢
 هِيَ فِي الْمَشَارِقِ مَصْدَرُ الْأَنْوَارِ
 بَعْدَ اخْتِلَافِ حَوَادِثِ وَطَوَارِي
 وَالْجَهْلُ غَايَةُ جَرِيهِ لِعِثَارِ
 خَرَجَ الشَّحِيحُ لَهَا مِنَ الدِّينَارِ
 قَوْمُوا اشْتَرَوْهُ بِفَضَّةٍ وَنُضَارِ
 وَبِهِ تُنَالُ جَلَاتِلُ الْأَخْطَارِ

- ١ سرار - بفتح السين وكسرها - : مشتق من قولهم : استسر القمر ، إذا خفي ليلة السرار ، وهي آخر ليلة أو ليلتين في الشهر .
- ٢ لازار أو عازار : اسم الرجل الذي أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لكنت أفصح في أخبارك عن الموت من هذا الرجل .
- ٣ نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر ، فطلقها فقدم كثيراً حتى ضرب المثل بندايمته في كل طلاق نادم .

ولقد يُشاد عليه من شَمِّ العُلا
 إن كان سَرَك أن أَقَتَ جِدَارها
 أَضحت من الله الكَرِمْ بِنَمَةٍ
 كَلِثَتْ بِأَنْظَارِ العَزِيزِ، وَحُصِّنَتْ
 وإذا العَزِيزُ أَعَارَ أَمْرًا نَظَرَةً
 ماذا رَأَيْتَ من الحِجَابِ وَعُسْرِهِ
 رأيٌ بَدَا لَكَ لَمْ تَجِدْهُ مُخَافَةً
 والبَاسِلَانِ: شَجَاعُ قَلْبٍ فِي الْوَعْيِ
 أَوْدَدَتْ لَوْ صَارَتْ نِسَاءَ النِّيلِ مَا
 يَجْمَعْنَ فِي سَلَمِ الْحَيَاةِ وَحَرْبِهَا
 إن الحِجَابَ سَاحَةٌ وَيَسَارَةٌ
 جَهِلُوا حَقِيقَتَهُ وَحِكْمَةَ حُكْمِهِ

ما لَا يُشَادُ عَلَى الْقَنَا الْخَطَّارِ
 قد سَاءَها أَنْ مَالَ خَيْرُ جِدَارِ
 مَرْمُوقَةُ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ
 بِفَوَادٍ ، فَهِيَ مَنِيعةُ الْأَسْوَارِ
 فَالَيْمَنُ أَعْجَلُ ، وَالسُّعُودُ جَوَارِي
 فَدَعَوْتُنَا لِنَتَرَفَّقِي وَيَسَارُ ؟
 ما فِي الْكِتَابِ وَسْئَةُ الْمُخْتَارِ
 وَشَجَاعُ رَأْيٍ فِي وَعْيِ الْأَفْكَارِ
 كَانَتْ نِسَاءُ قُضَاعَةٍ وَزَار ؟
 بِأَمْسِ الرِّجَالِ وَخَشْيَةِ الْأَبْكَارِ
 لَوْلا وَحُوشٌ فِي الرِّجَالِ ضَوَارِي
 فَتَجَاوَزُوهُ إِلَى أَدْنَى وَضِرَارِ

* * *

يَا قُبَّةَ الْغُورِيِّ تَحْتِكَ مَأْتَمٌ
 يُحْيِيهِ قَوْمٌ فِي الْقُلُوبِ عَلَى الْمَدَى
 هِيَهَاتَ ! تُنْسَى أُمَّةٌ مَدْفُونَةٌ
 إِنْ شَتَّتَ يَوْمًا أَوْ أَرَدْتَ فَحَقْبَةً
 هَاتُوا ابْنَ سَاعِدَةٍ يُؤَيِّنُ قَاسِمًا
 مِنْ كُلِّ لَأَثَقَةٍ لِبَاذِخِ قَدَرِهِ

تَبَقَى شَعَائِرُهُ عَلَى الْأَدْهَارِ
 إِنْ فَاتَهُمْ إِحْيَاؤُهُ فِي دَارِ
 فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الزَّمَانِ قِصَارِ
 كُلُّ يَمْرُ كَثِيلَةٍ وَنَهَارِ
 وَخَلُّوا الْمَرَاتِي فِيهِ مِنْ بَشَارٍ
 عَصَمَاءَ بَيْنَ قَلَائِدِ الْأَشْعَارِ

١ العزير : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوي عباس وقتئذ . وقواد ، هو جلالة ملك مصر قواد الأول .

٢ ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة الايادي ، أحد خطباء العرب الحكماء ، يضرب به المثل في بلاغة الخطب . وبشار : هو بشار بن برد الشاعر المشهور . يقول أن قاسماً لا يؤبته إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء .

تولستوي*

تولستوي، تُجرى آية العلم دمعها
 وشعبٌ ضعيفُ الركنِ زال نصيره
 ويندُب فلاحون أنت منارهم
 يعانون في الأكواخ ظلماً وظلمةً
 تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى
 ويأسى عليك الدينُ ، إذ لك لُبّه
 أيكفر بالإنجيل من تلك كُتبه
 ويكبك ألف فوق ليلي ندامةً
 تناول ناعيك البلاد كأنه
 وقيل : تولى الشيخ في الأرض هائماً
 وقيل : قضى لم يُغن عنه طيبه
 إذا أنت جاوزت المعري في الثرى
 وأقبل جمعُ الخالدين عليكما
 جاحِمٌ تحت الأرض عطرها شذى
 بن ياهي بطن حواء ، واحتوى
 عليك ، ويكي بائسٌ وفقيرُ
 وما كلُّ يومٍ للضعيف نصير
 وأنت سراجٌ غيَّبه مُنير
 ولا يملكون البث وهو يسير
 عليهم ، وتغشى دورهم وترور
 وللخادمين الناقين قُشور
 أناجيلُ منها مُنذرٌ وبشير ؟
 غداة مشى بالعامري سُرير
 يراع له في راحتك صرير
 وقيل : بدّير الراهبات أسير
 وللطب من بطش القضاء عذير
 وجاور رضى في التراب ثيرا
 وغالى بمقدار النظر نظير
 جتاهن مسك فوقها وغير
 عليهن بطن الأرض وهو فخور

* تولستوي : هو الفيلسوف الروسي الشهير ، كان عالماً عاملاً بما يقول ، فتخل عن ماله الجَم
 لساوي نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة في روسيا
 وقد توفي سنة ١٩١٠م وهو شيخ كبير .

١ المعري : هو أبو العلاء المعري ، وشعره الفلسفي الاجتماعي مشهور . ورضوى وثير علان على
 جبلين : أولها بالمدينة وثانيها بمكة : يريد تشبيهه هو والمعري بهذين الجبلين .

قُلْ يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدَّثْ عَنِ الْبَلَى .
أَحْطَطَ مِنَ الْمَوْتِ قَدِيمًا وَحَادَثًا
طَوَانَا الَّذِي يَطْوِي السَّمَوَاتِ فِي غَدٍ
تَهَادِمُ عَهْدَانَا عَلَى الْمَوْتِ ، وَاسْتَوَى
كَأَن لَمْ تَضِقْ بِالْأَمْسِ عَنِّي كَنِيسَةً
أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى
نَظَرْنَا بُنُورَ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ
إِلَيْكَ اعْتَرَا فَي ، لَا لَقَسْ وَكَاهَنٍ
فَرَهْدُكَ لَمْ يُنْكِرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ
يَبَانُ يُشَمُّ الْوَحْيُ مِنْ نَفْحَاتِهِ
سَلَكْتُ سَبِيلَ الْمُتَرَفِّينَ ، وَلَذَّلِي
أَدَاةُ شَتَائِي الدَّفْعُ فِي ظِلِّ شَاهِقٍ
وَمُتَّعْتُ بِالدُّنْيَا ثَمَانِينَ حِجَّةً
وَذَكَرْتُ كَضْوَى الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا عَذَارَى أَجْرَنَنِي
أَرَدْتُ جَوَارَ اللَّهِ وَالْعَمْرُ مُتَقَضٍ
صَبَاً ، وَنَعِيمٌ بَيْنَ أَهْلِ وَمَوْطِنٍ
بَيْنَ وَمَا يَلْدَرِينَ : مَا الذَّنْبُ ؟ خَشِيَّةُ
أَوَانَسُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُوْجِسٍ
وَأَشْبُهُ طُهْرٍ فِي النِّسَاءِ يَمْرُومٍ
تُسَائِلُنِي : هَلْ غَيْرُ النَّاسِ مَا بِهِمْ ؟

فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرٌ
بِمَا لَمْ يُحْصَلْ مُتَكَرِّرٌ وَنَكِيرٌ :
وَيَنْشُرُ بَعْدَ الطَّيِّ وَهُوَ قَدِيرٌ
طَوِيلُ زَمَانٍ فِي الْبَلَى وَقَصِيرٌ
وَلَمْ يُؤْوِنِي دَيْرٌ هُنَاكَ طُهْرٌ
وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاخَ وَثِيرٌ
وَكُنَّا كِلَانًا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرٌ
وَنَجَوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورٌ
وَلَا مُتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرٌ
وَعَلِمُ كَعَلَمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرٌ
بَنُونَ وَمَالٌ ، وَالْحَيَاةُ غُرُورٌ
وَعُدَّةٌ صَنِيفِي جَتَّةٌ وَعَدِيرٌ
وَنَضَّرُ أَيَّامِي غِنًى وَحُبُورٌ
وَلَا حَظٌّ مِثْلُ الشَّمْسِ حِينَ تَسِيرُ
وَرُبُّ ضَعِيفٍ تَحْتَمِي فُجِيرٌ
وَجَاوِرُهُ فِي الْعَمْرِ وَهُوَ نَضِيرٌ
وَلَذَاتُ دُنْيَا ، كُلُّ ذَاكَ نَزُورٌ
وَمَنْ عَجَبٍ تَخْشَى الْخَطِيئَةَ حُورٌ
وَلِلَّهِ أُنْسٌ فِي الْقُلُوبِ وَنُورٌ
فَتَاةٌ عَلَى نَهْجِ الْمَسِيحِ تَسِيرُ
وَهَلْ حَدَّثْتَ غَيْرَ الْأُمُورِ أُمُورٌ ؟

١ النشر : هو البعث من الموت ، وهو أيضاً ضد الطي .

وهل أثر الإحسان والرفق عالم
وهل سلكوا سُبُلَ المحبة بينهم
وهل آنَ مِنْ أهل الكتابِ تسامُحُ
وهل عالجَ الأحياءُ بؤساً وشِقْوَةً
قم وانظروا أنتَ المالِيَّةُ الأرضَ حكمةً
أناسٌ كما تدري ، ودنياً بحالها
وأحوالُ خلقٍ غايرٍ مُتجدِّدٍ
تَمَرَّ نِباعاً في الحياة كأنها
وحرصٌ على الدنيا ، ومِثْلٌ مع الهوى
وقام مقامَ الفردِ في كلِّ أمةٍ
وحُورٌ قولُ الناسِ : مَوْلَى وَعَبْدُهُ
وأضحى نفوذُ المالِ لا أمرٌ في الورى
تسأسُ حكوماتٌ به وممالكُ
وعصرٌ بنوه في السلاحِ ، وجرصُهُ
ومن عجبٍ في ظلِّها وهو وارِفٌ
وبأخذُ من قوتِ الفقيرِ وكسبِهِ
ولما استقلَّ البرُّ والبحرُ مذهباً

دواعي الأذى والشرِّ فيه كثير ؟
كما يتصافى أسرةٌ وعشيرة ؟
خلقٌ بآدابِ الكتابِ جدير ؟
وقلُّ فسادٍ بينهم وشُرور ؟
أأجدى نظيماً ، أم أفادَ نثير ؟
ودهرٌ رَخيٌّ تارةً وعسير
تشابه فيها أوَّلُ وأخير
ملاعبٌ لا تُرَخَّى لهنَّ سُتور
وغشٌّ ، وإفكٌ في الحياة ، وزور
على الحكم جَمٌّ يستبدُّ عَفير
إلى قولهم : مُستأجِرٌ وأجير
ولا نَهْيٌ إلا ما يرى ويُشير
ويُدْعَنُ أقبالٌ له وصدورا
على السلم يُجْري ذَكَرُهُ وَيُدِير
يُصادفُ شعباً آمناً ، فيُغير
ويؤوي جيوشاً كالخصي ويمير
تَعْلَقُ أسبابَ السماءِ يطير

عمر بك لطفي*

قفوا بالقبور نُسائلُ عُمَرَ
سلوا الأرضَ : هل زُيِّنَتْ للعلية
وهل قام رضوانٌ من خلفها
فلو عَلِمَ الجمعُ مِمَّنْ مَضَى
إلى جَنَّةٍ خُلِقَتْ للكرمِ
متى كانت الأرضُ مَنوَى القمرِ؟
م؟ وهل أُرْجَتْ كالجنانِ الحُفْرِ؟
يُلاقِي الرُّضِيَّ النَّقِيَّ الأَبْرَ ؟
تَنَحَّى له الجمعُ حتى عَبَر
وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ ، أَوْ مَنْ قَدَّرَ

* * *

بِرَغْمِ القلوبِ وَجَبَانِها
نزولُكَ في الثَّرِبِ زَيْنَ الشَّبابِ
مُقِيلَ الصديقِ إذا ما هَفا
حَيِّيتَ فكَنتَ فخارَ الحَيَاةِ
عَجِيبُ رَدَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ
فما قَبَلُها سَمِعَ العالمونَ
وقد يَقْتُلُ المرءُ هُمَّ الحَيَاةِ
دَفَنًا التجاربَ في حُفْرَةٍ
فكم لك كَالنَّجْمِ من رَحْلَةٍ
«نَقَابَاتُكَ» الثَّرُّ تُبْكِي عَلَيْكَ
وَرَغْمِ السَّماعِ ، وَرَغْمِ البصرِ
سَنَاءِ «الثَّدْيِ» سَنَى «المؤتمِر»^١
مُقِيلَ الكريمِ إذا ما عَثَرَ
وَمُتَّ فكَنتَ فخارَ السَّيْرِ
حياتُكَ في طولها والقِصْرِ
ولا علموا مُصْحَفًا يُخْتَضِرُ
وشغلُّ الفؤادِ ، وكدُّ الفكرِ
إليها انتهى بك طولُ السَّفَرِ
رأى البدو آثارها والحَضَرَ
ويَبْكِي عَلَيْكَ «الثَّدْيِ» الأغر

* توفي عمر بك لطفي في سنة ١٩١١ ، وكان عالماً قانونياً ضليعاً ، كما كان في حياته يكاد يتقَدَّ

غيرة على قوميته وجباً لمصلحة بلاده ، وهو في طليعة مؤسسي نقابات التعاون في مصر .

١ الندي : يريد نادي المدارس العليا ، وكان الفقيه رئيساً له . ويريد بالمؤتمر الذي أقامه أعيان المسلمين في هليوبوليس ، ردّاً على المؤتمر الذي أقامه أعيان الأقباط في أسبوط .

ويسبكي فريقتُ نَحِيرَتَهُ
 ويَبْكِي الأَلَى أَنْتَ عَلَّمْتَهُمْ
 حَيَاتُكَ كَانَتْ عِظَاتٍ لَهُمْ
 سَهْرُنَا قُبِيلَ الرَّدَى لَيْلَةً
 قَعَمْتَ إِلَى حَفْرَةِ هَيْبَتِ
 مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدًا لِلْوَدَاعِ
 وَلَوْ أَنَّ لِي عِلْمَ مَا فِي غَدِ
 وَقَالُوا: شَكَوْتَ ، فَمَا رَاعِنِي
 رَثِيئَتُكَ لَا مَالَكَا خَاطِرِي
 فَضِيكَ عَرَفْتُ ارْتِجَالَ الدُّمُوعِ
 مِثْلُكَ يُرْنَى بِأَيِّ الْكِتَابِ
 فَيَا قَبْرُ ، كُنْ رَوْضَةً مِنْ رِضَى
 سَقَتِكَ الدُّمُوعُ ، فَإِنْ لَمْ يَدْمُنْ

شَرِيفَ الْعَرَامِ ، شَرِيفَ الْوَطَرِ
 وَأَنْتَ غَرَسْتَ ، فَكَانُوا الثَّمَرِ
 وَمَوْتُكَ بِالْأَمْسِ إِحْدَى الْعَبَرِ
 وَمَا دَارَ ذِكْرُ الرَّدَى فِي السَّمَرِ
 وَقَفْتُ إِلَى مِثْلِهَا تُحْتَقَرُ
 وَمَدَّ يَدًا لِلْقَاءِ الْقَدَرِ
 خَبَأْتُكَ فِي مُقَلَّتِي مِنْ حَذَرِ
 وَمَا أَوَّلُ النَّارِ إِلَّا شَرَرِ
 مِنَ الْحُزْنِ ، إِلَّا يَسِيرًا خَطَرِ
 وَمِنْكَ عَلِمْتُ ارْتِجَالَ الدُّرَرِ
 وَمِثْلُكَ يُفَدَى بِنَصْفِ الْبَشَرِ
 عَلَيْهِ ، وَكُنْ بَاقَةً مِنْ زَهَرِ
 كَعَادَتِهِنَّ سَقَاكَ الْمَطَرِ

عمر بك لطفي*

اليوم أضعدُ دونَ قبرِكَ مِثْرًا
وأقصُ من شعري كتابَ محاسنِ
ذكرًا لفضلك عندَ مصرَ وأهلها
العلمُ لا يُعْلي المراتبَ وحده
والعلمُ أشبهُ بالسماءَ رجاله
طُفنا بقبرِكَ ، واستلمنا جَنَدلاً
بين التشرفِ والخشوعِ ، كأنما
لو أنصفوكَ جنادلاً وصفاحاً
يا مَنْ أراني الدهرُ صحّةً ودّه
وسمعتُ بالخلقِ العظيمِ روايةً
ماذا لقيتَ من الرقادِ وطوله ؟
نَمْ ما بدا لك آمناً في مترلٍ
ما زلتَ في حَمْدِ الفِرَاشِ وذمّه
لا تَشْكُونُ الصُّرَّ من حشراتِه
يا سَيِّدَ النّادي وحاملَ همّه
شهدَ الأعادي كم سَهَرْتَ لجده

وأقلّدُ الدنيا رِثاءَكَ جَوْهراً
تتقدّمُ العلماءُ فيه مسطّراً
والفضلُ من حرّماته أن يُذكرَا
كم قدّمَ العملُ الرجالَ وأخراً
خَلِطْتَ جَهماً في السحابِ ومُبطِراً
كالركنِ أَرْكَيْ ، والحطيمِ مُطَهِّراً
نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوراً
جعلوكَ بالذكرِ الحكيمِ مُسَوِّراً
والوُدُّ في الدنيا حديثٌ مُقْتَرى
فأراني الخلقَ العظيمَ مُصَوِّراً
أنا فيك ألقى لوعةً وتحسراً
الدهرُ أقصرُ فيه من سِنَةِ الكَرَى
حتى لقيتَ به الفِرَاشَ الأَوْثِراً
حشراتُ هذا الناسِ أقبحُ مَنظِراً
خَلَفْتَهُ نَحْتِ الرِّزِيَّةِ مُوقِراً
وغدوتَ في طلبِ المزيدِ مُشَمِّراً

- نظمت هذه القصيدة لتلقى في حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفي بعد الأربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة في سرعة تشبه الارتجال .
- ١ يقول : أنا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين .

وكم اتقيت الكيدَ واستدفعته
ولبثت عن حوض الشبية ذائداً
شبانُ مصرَ حيالَ قيرك خُشعُ
جمعَ الأسى لك جمعهم في واحدٍ
لولاك ما عرفوا التعاونَ بينهم
حيث التفتَ رأيتَ حولك منهم
كم منطقي لك في البلادِ وحكمة
تمشي إلى الأكواخ تُرشدُ أهلها
متواضعاً لله بينَ عبادِهِ
لم تذرِ نفسك : ما العُورُ؟ وطلما
في كلِّ ناحيةٍ تخطُ نقابةً
هي كيميائوك ، لا خرافة جابرٍ
والمالُ لا تنجي إيمارَ رؤوسه
والملكُ بالأموالِ أمنعُ جانباً
إنا لفي زمنٍ سفاةٍ شعوبه
أسواك من أهل المبادئ من دعا
الموتُ قبلك في البرية لم يهب

ورميت عُنوانَ الظنونِ فأقصرا
حتى جزاك الله عنه الكوثرا
لا يملكون سوى مدامعهم قرى
كان الشبابَ الواحدَ المُستغبرا
فيما يسرُّ ، ولا على ما كذرا
آثارَ إحسانٍ وغرساً مُثمرا
والعقلُ بينها يُباع ويشتري
مشيَ الحواريين يهدون القرى
والله يغض عبده المتكبِرا
دخل العُورُ على الكبار فصغرا
فيها حياةُ أخي الزراعة لو درى
تذرُ المقلَّ من الجماعة مُكثِرا
حتى يصيبَ من الرؤوس مُدبراً
وأعزُّ سلطاناً ، وأصدقُ مظهرا
في ملكهم كالمراء في بيت الكيرا
للجدِّ ، أو جمعَ القلوب الثُفرا ؟
طه الأمين ، ولا يسوع الخيراً

* * *

لما دُعيتُ أتيتُ أنثرَ مَدَمَعي
أبكي يمينك في التراب غامة
لم أعطَ عنك نصيراً ، وأنا الذي
ولو استطعتُ نثرتُ جفني في الثرى
والصُلترُ بجرأ ، والفوادُ غصنُفرا
عزيتُ فيك عن الأمير المعشرا^١

١ جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة .

٢ كان أمير الشعراء هو نائب الخديوي عباس في تغزية الفقيد .

أَزِنُ الرجالَ ، ولي يَرَأُ طالما
بالأَمْسِ أَرَسَلْتُ الرِّثَاءَ مُمَسَّكًا
غَيْرَتِي حَزَنًا ، وَغَيْرِكَ الْبَلَى
فَعَلَيَّ حَفْظُ الْعَهْدِ حَتَّى نَلْتَقِي
خَلَعَ الشَّاءَ عَلَى الْكَرَامِ مُحَبَّرًا
وَالْيَوْمَ أَهْتَفُ بِالشَّاءِ مُعْتَبِرًا
وَهَوَاكَ يَا أَبَى فِي الْفَوَادِ تَغْيِيرًا
وَعَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهُ حَتَّى نُحْشَرَ

الأميرة*

حَلَفْتُ بِالْمُسْتَرَّةِ وَالرَّوْضَةِ الْمُعْطَرَّةِ
وَجَلَسَ الزَّهْرَاءُ فِي الْمِرْقَادِ السُّلَالَةِ الطَّيِّبِ
مَا أَنْزَلُوا إِلَى الثَّرَى سَيَرُوا بِهَا ثَقِيَّةً
نُجِلُ سِتْرٍ نَعْشِيهَا كَالْكُسُوفِ الْمُسِيرَةِ
وَنُنْشِقُ الْجَنَّةَ مِنْ أَعْوَادِهِ الْمُنْشَرَةِ

* * *

فِي مَوَكِبٍ نَمَثَّلَ الْحَقُّ فَكَانَ مَظْهَرَهُ
دَعِ الْجُنُودَ وَالْبَنُو وَلَوْعَةٍ مُزَوَّرَةٍ
وَكُلُّ دَمْعٍ كَذِبٍ لَا يَنْفَعُ الْمَيْتَ سِوَى
قَدْ تَرَفَّعَ السُّوقَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَوْقَ الْقَبْصَرَةِ

* * *

يَا جَزَعَ الْعِلْمِ عَلَى سَكِينَةِ الْمُؤَقَّرَةِ ٣١

- ٥. هي الأميرة فاطمة إسماعيل ، كان لها الفضل الأول في تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت إلى دار الجنان في سنة ١٩٢٠ .
- ١. يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه ، وجلستها في حجرات النبوة .
- ٢. الكسوة : هي كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر إلى الحجاز كل عام في موكب عظيم الإجلال .
- ٣. يشبهها بسكينة بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب .

أَمْسَى بَرْنَجٍ مُّوَجِّشٍ مِنْ ذَا يُوسَىٰ هَذِهِ الـ
 لَوِ عِشْتِ شِدَّتِ مِثْلَهَا بِنْتَ رُكْنَيْهَا ، كَمَا
 بِنْتَ رُكْنَيْهَا ، كَمَا قَرَنْتِ كُلَّ حَجَرٍ
 قَرَنْتِ كُلَّ حَجَرٍ مَفْخَرَةً لِّبَيْتِكُمْ
 مَفْخَرَةً لِّبَيْتِكُمْ كَمْ قَبْلَهَا مِنْ مَّقْخَرَةٍ !

* * *

يَا بِنْتَ إِسْمَاعِيلَ ، فِي الـ حَيْثُ لَحْيٌ تَبْصِيرُهُ
 أَكُنْ عِنْدَ بَيْتِكُمْ لِهَذِهِ الدُّنْيَا بَرُهُ ؟
 هَلَّا وَصَفْتِهَا لَنَا مُقْبِلَةً وَمُذِيرَهُ ؟
 وَلَوْهَا صَافِيَةً وَطَعْمَهَا مَكْدَرَهُ ؟
 كَالْحَلْمِ ، أَوْ كَالْوَهْمِ ، أَوْ كَالظِّلِّ ، أَوْ كَالزَّهَرَةِ ؟

* * *

فَاطِمُ ، مَنْ يُؤَلِّدُ يَمُتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ^١
 وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَبِيتُهُ فَمُشْرِهُ
 وَإِنَّ مَنْ يَعْمَلِ الـ خَيْرَ أَوْ الشَّرَّ يَرَهُ
 وَإِنَّمَا يُنَبِّئُهُ الـ خَافِلُ عِنْدَ الْقَرْعَةِ^٢
 يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ بِفِيهِ سُكْرُهُ
 وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدٍ إِلَىٰ يَدٍ هَذِي الْكُرْهُ

* * *

١ فاطم : أي فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرئ القيس .

• أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل •

٢ الغرغرة : وقت حشرجة الروح في الصدر .

أَيْنَ أَبُولِكَ ؟ مَالُهُ	وَسِجَاهُهُ ، وَالْمُقَدَّرَةُ ؟
وَادِي الثَّدْيِ ، وَعَيْتُهُ	وَعَيْنُهُ الْمُفَجَّرَةُ
أَيْنَ الْأُمُورُ ، وَالْقَصُورُ	رُ ، وَالْبُورُ الْمُخْتَدَرَةُ ؟
أَيْنَ اللَّيَالِي الْبَيْضُ ، وَالْ	أَصَائِلُ الْمَرْغَفَةِ ؟
وَأَيْنَ فِي رُكْنِ الْبِلَا	دِ يَدُهُ الْمُعَمَّرَةُ ؟
وَأَيْنَ تِلْكَ الْهَمَّةُ الـ	حَاضِيَةُ الْمَشْرِعَةِ ؟
تَبْغِي لِمَصْرِ الشَّرْقِ أَوْ	أَكْثَرَهُ مُسْتَعْمَرَهُ
جَرَى الزَّمَانُ دُونَهَا	فَرْدَهُ وَأَغْثَرَهُ
فَإِنْ هَمَّتْ فَاذْكُرِ الـ	حَقَادِرَ الْمُقَدَّرَةِ
مَنْ لَا يُصِيبُ فَالنَّاسُ لَا	يَلْتَمِسُونَ الْمَعْدِرَةَ

ذكرى مصطفى كامل*

لَمْ يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرٌ وَحَيَاةٌ مِنَ السَّيَرِ
أُدْعَاهُ غَائِبًا ، وَإِنْ بَعُدَتْ غَايَةُ السَّفَرِ
آبُ الْفَضْلِ كُلَّمَا آبَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
رُبَّ نَوْرٍ مُتَمِّمٍ قَدْ أَتَانَا مِنَ الْحُفَرِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ مَشَى مَيِّتَ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ
مَنْ إِذَا عَاشَ لَمْ يُفِدْ وَإِذَا مَاتَ لَمْ يَضِرْ
لَيْسَ فِي الْجَاهِ وَالْغَى مِنْهُ ظِلٌّ وَلَا نَمْرٌ
قُبْحُ الْعِزِّ فِي الْقُصُورِ إِذَا ذَلَّتِ الْقُصُورُ

* * *

أَعُوذُ الْحَقِّ رَائِدٌ وَإِلَى مُصْطَفَى افْتَقَرُ
وَتَمَّتْ حَيَاثُهُ هَبَّةَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
الَّذِي يُنْفِذُ الْمُدَى وَالَّذِي يَرْكَبُ الْخَطَرَ
أَيُّهَا الْقَوْمُ ، عَظَّمُوا وَاضِعَ الْأَسْرِ وَالْحَجَرِ
أَذْكُرُوا الْخُطْبَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ آيَةِ الْكُبَرِ
لَمْ يَرِ النَّاسُ قَبْلَهَا مِنْبَرًا تَحْتَ مُحْتَضَرِ
لَسْتُ أَنْسَى لِوَاذِهِ وَهُوَ يَمُشِي إِلَى الظَّفَرِ

- لأمير الشعراء عدة قصائد في مصطفى كامل باشا ، هذه إحداها ، وقد أُلقيت في الاحتفال الذي أقيم تمجيداً لذكراه في فبراير سنة ١٩٢٦ .
- ١ يقول : في كل أوبة شمس ، وفي كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد فضل ، ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتاً .
- ٢ يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنّها الناس يومئذ خطبة الوداع .

حَشَرَ النَّاسَ تَحْتَهُ زُمَرًا إِثْرَهَا زُمَرُ
وَتَرَى الْحَقَّ حَوْلَهُ لَا تَرَى الْبَيْضَ وَالسَّمْرَ
كَلَّمَا رَاحَ أَوْ عَدَا نَفَخَ الرُّوحَ فِي الصُّورِ

* * *

يَا أَخَا النَّفْسِ فِي الصَّبَا لَذَّةُ الرُّوحِ فِي الصَّغَرِ
وَحَلِيلًا ذَخَرْتُهُ لَمْ يُقَوِّمْ بِمُدَّخِرِ
حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي فُجَاءَاتِهِ الْقَدَرِ
كَيْفَ أَجْزَى مَوَدَّةً لَمْ يَشُبْ صَفْوَهَا كَدْرُ ؟
غَيْرَ دَمَعٍ أَقُولُهُ قَلَّ فِي الشَّائِنِ أَوْ كَثُرُ ؟
وَفُؤَادٍ مُعَلَّلٍ بِالْخَيَالَاتِ وَالذُّكْرِ ؟
لَمْ يَتِمَّ عَنْكَ سَاعَةً فِي الْأَحَادِيثِ وَالسَّمْرِ ؟
قُمْ تَرِ الْقَوْمَ كَتَلَةً مِثْلَ مَلُومَةِ الصَّخْرِ
جَدَّدُوا أَلْفَةَ الْهَوَى وَالْإِخَاءَ الَّذِي شَطِرِ
لَيْسَ لِلْخُلْفِ بَيْنَهُمْ أَوْ لَأَسْبَابِهِ أَثَرِ
أَلْفَتُهُمْ رَوَائِحُ غَادِيَاتُ مَنْ الْغَيْرِ
وَصَحَّوْا مِنْ مُنُومٍ وَأَفَاقُوا مِنَ الْخَدَرِ
أَقْبِلُوا نَحْوَ حَقِّهِمْ مَا لَهُمْ غَيْرُهُ وَطَرِ
جَعَلُوهُ خَلِيَّةً شَرَعُوا دُونَهَا الْإِبْرَ^١

١ البَيْضُ : السِّبُوفُ . وَالسَّمْرُ : الرَّمَاحُ .

٢ الْحَلِيَّةُ : مَوْضِعُ سَكَنِ النَّحْلِ . شَرَعُوا الْإِبْرَ : رَفَعُوها اسْتِعْدَادًا لِلنِّضَالِ بِهَا ، كَمَا يُقَالُ : شَرَعَ سَيْفَهُ ، إِذَا انْتَضَاهُ مِنْ غَمَلِهِ .

وتواصنوا بخطبة
وقصارى أولي الهى
آذنونا بموقف
نسمع الليث عنده
قل لهم في نديهم
وتداعوا لمؤمر
يتلاقون في الفكر
من جلال ومن خطر
دون آجامه زار
: مصر بالباب تنتظر

المنفلوطي*

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداعٍ
هتفَ الثَّعَاةُ ضَحَى ، فأَوَّصَدَ دونهم
مَنْ ماتَ في فَرْعِ القِيَامَةِ لم يَجِدْ
ما ضرَّ لو صَبَرْتُ رِكَابُكَ سَاعَةً
خلَّ الجَنَائِزُ عنكَ ، لا تحفلُ بها
سِرٌّ في لواءِ العَبْرِيَّةِ ، وانتظِمْ
واصعدِ سماءَ الذِّكْرِ من أسبابِها
فُجِعَ البَيَانُ وأَهْلُهُ بِمُصَوِّرٍ
مَرْمُوقٍ أسبابِ الشَّبابِ وإنْ بَدَتْ
تَخِيلُ المنظومَ في منشوره
لم يَجْحَدِ الفُصْحَى ، ولم يَهْجُمَ على
لكنْ جَرَى والعَصْرَ في مِضْمَارِها
حُرُّ البَيَانِ ، قديمُهُ وجديدُهُ
يُونانُ لو يَبِيعُ جُهوْمِيرُ لَمَّا
يا مُرْسَلَ النظراتِ في الدنيا وما

ونعاك في عَصْفِ الرِّيحِ الناعِي¹
جُرْحُ الرِّيسِ منافذَ الأسْماعِ
قَدَمًا تُشَيِّعُ أو حَفَاوَةَ سَاعِي
كَيْفَ الوقوفُ إذا أَهَابَ الدَّاعِي ؟
ليس الغرورُ لَمِيتٍ بَمُتَاعٍ
شَتَّى المَوَاقِبِ فِيهِ والأَتْبَاعِ
واظْهَرِ بِفَضْلِ كَالنَّهَارِ مُذَاعٍ
لَبِيتِ بوشَيِّ المُمْتِنَاتِ صَنَاعِ
للشَّيْبِ في القَوْدِ الأَحْمَ رَوَاعِي
قَرَأَهُ تَحْتَ رَوَائِعِ الأسْجَاعِ
أَسْلُوبِهَا ، أو يُزِرُّ بالأَوْضَاعِ
شَوَّطًا ، فَأَحْرَزَ غَايَةَ الإِبْدَاعِ
كَالشَّمْسِ جَدَّةَ رُقْعَةٍ وَشُعَاعِ
خَسِرَتْ - لَعَمْرُكَ - صَفْقَةُ المَبْتَاعِ
فِيهَا على ضَجَرٍ وَضِيقٍ ذِرَاعِ²

- هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفي المنفلوطي ، اشتهر بأسلوب إنشائي خاص لفت إليه أنظار القراء في عصره ، وقد توفي سنة ١٩٢٤ .
- ١ يشير يوم الهول إلى أن وفاة الفقيه كانت في يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا .
- ٢ النظرات : اسم كتاب للفقيه .

وَمُرْقَرَقَ الْعِبْرَاتِ تَجْرِي رِقَّةً
 مَنْ ضَاقَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ حَكِيمَهَا
 هِيَ وَالزَّمَانُ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
 مَنْ شَدَّ نَادَاهُ إِلَيْهِ فَرَدَّهُ
 مَا خَلَفَهُ إِلَّا مَقَوْدٌ طَائِعٌ
 جَبَّارٌ ذِعْنِ ، أَوْ شَدِيدٌ شَكِيمٌ
 مَنْ شَوَّهَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ
 أَبْكَلْ عَيْنٍ فِيهِ أَوْ وَجْهٍ تَرَى
 مَا هَكَذَا الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ نُقْلَةٌ
 لَا الْفَقْرُ بِالْعِبْرَاتِ خُصٌّ وَلَا الْغِنَى
 مَا زَالَ فِي الْكُوخِ الْوَضِيعُ بَوَاعِثُ
 فِي الْفَقْرِ حَيَاتٌ يُسَيِّبُهَا بِهِ
 وَلَرَبَّ بُؤْسٍ فِي الْحَيَاةِ مُنْعَعٌ

* * *

يَا مُصْطَفَى الْبُلْغَاءِ ، أَيَّ يَرَاعَةِ
 الْيَوْمَ أَبْصَرْتَ الْحَيَاةَ ؟ فَقُلْ لَنَا
 وَصِفِ الْمُنُونَ ؛ فَكَمْ قَعَدَتْ تَرَى لَهَا
 سَكَنَ الْأَحْبَةِ وَالْعِدَى ، وَفَرَّغَتْ مِنْ
 كَمْ غَارِقٍ شَتَّوْا عَلَيْكَ دَفْعَتَهَا
 وَالْجَهْدُ مَوْتٌ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُهُ

فَقْدُوا ؟ وَأَيَّ مُعْلَمٍ يَرَاعُ ؟
 : مَاذَا وَرَاءَ سَرَابِهَا الْمَمَاعُ ؟
 شَبَحًا بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَيَقَاعُ
 حَقْدِ الْخُصُومِ ، وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
 تَصِلُ الْجُهُودُ فَكُنْ خَيْرَ دِفَاعِ
 وَالْجَهْدُ بَعْدَ الْمَوْتِ غَيْرُ مُضَاعِ

١ العبرات : اسم كتاب له أيضاً .

٢ اليقاع : ما ارتفع من الأرض ، كالنجد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد .

فإذا مضى الجبلُ المِراضُ صدوره
فافرغُ إلى الزمنِ الحكيمِ ؛ فعنده
فإذا قضى لك أبتَ من شَمِّ العلا
وأجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه
تلك الأناملُ نامَ عنهنَّ البلى
والجبنُ في قلمِ البليغِ نظيره
وأنى السليمُ جوانبَ الأضلاع
نقدُ تثرَّه عن هوى ونزاع
بثنيةٍ بعدت على الطَّلَاعِ
قلمٌ عليه جَلالةُ الإجماع
عُطِّلنَ من قلمِ أشمَّ شجاع
في السيفِ مُنْقَصَةٌ وسوءُ سماع

١ الثنية : الطريق في أعالي الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تَمَثَّلَ الحجاج في خطبته الشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا*

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْبِرَاعَا وَجَدْتُ جَلَالَ مَنَظَرِهِ ، فِرَاعَا
كَفَى بِالْمَوْتِ لِلتُّدْبِ ارْتِجَالَا وَلِلْعَبْرَاتِ وَالْعَبْرِ اخْتِرَاعَا
حَكِيمٌ صَامَتْ فَضَحَ اللَّيَالِي وَمَزَّقَ عَنْ خَنَا الدُّنْيَا الْقِنَاعَا
إِذَا حَضَرَ النُّفُوسَ فَلَا نَعِيمَا تَرَى حَوْلَ الْحَيَاةِ وَلَا مَتَاعَا
كَشَفْتُ بِهِ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْهَا وَلَمَحَّةَ مَائِهَا إِلَّا خِدَاعَا
وَمَا الْجِرَاحُ بِالْآسَى الْمَرْجَى إِذَا لَمْ يَقْتُلِ الْجُنْثَاطَاطَا
فَإِنْ تَقُلُ الرِّثَاءَ فَقُلْ دُمُوعَا يُصَاغُ بِهِنَّ ، أَوْ حِكْمَا تُرَاعَى
وَلَا نَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسْجَى بَكَتْ كَسْبَا ، وَلَمْ تَبْكِ الْتِبَاعَا
خَلَّتْ دَوْلُ الزَّمَانِ وَزُلْنَ رُكْنَا وَرَكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ ، مَا تَدَاعَى
كَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَشْهَدْ لِقَاءَا تَكَادُ لَهُ تَمِيدُ ، وَلَا وَدَاعَا
وَلَوْ آبَتْ ثَوَاكُلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدْنَ الشَّمْسَ لَمْ تُكْثَلْ شُعَاعَا
وَلَكِنْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ رُشْدَا وَمِنْهَاجًا لَمَنْ شَاءَ اتِّبَاعَا
وَرُبَّ حَدِيثٍ خَيْرٍ هَاجَ خَيْرَا وَذَكَرِ شَجَاعَةً بَعَثَ الشُّجَاعَا

* * *

مَعَارِفُ مَصْرَ كَانَ لَهُنَّ رَكْنٌ فَذُقْنَ الْيَوْمَ لِلرَّكْنِ انْصِدَاعَا
مَضَى أَعْلَى الرِّجَالِ لَهَا يَمِينَا وَأَرْحَبُهُمْ بِحَلَّتْهَا ذِرَاعَا
وَأَكْثَرُهُمْ لَهَا وَقَفَاتٍ صِدْقٍ إِبَاءَ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ زَمَاعَا

* عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر القلمين ، وأحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفي سنة ١٩٣٥ .

أَتَتْهُ فَتَالَهَا نَفْلًا وَفَيْتًا فَلَ هَبَةً أَتَتْهُ وَلَا اصْطِنَاعًا^١
نَقَلَ يَافِعًا فِيهَا وَكِهْلًا وَمِنْ أَسْبَابِهَا بَلَغَ الْيَقَاعَا
فَتَى عَجَمَتُهُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي فَلَا ذُلًّا رَأَيْنِ ، وَلَا اخْتِضَاعَا
سَجَنٌ مُهْنَدًا ، وَنَفَيْنَ نَبْرًا وَزِدْنَ الْمَسْكَ مِنْ ضَغْطِ فِضَاعَا
شَدِيدٌ صُلْبٌ فِي الْحَقِّ حَتَّى يَقُولُ الْحَقُّ : لَيْنًا وَأَثْدَاعَا
وَمَدْرَسَةٌ سَمَتْ بِالْعِلْمِ رَكْنًا وَأَنْهَضَتْ الْقَضَاءَ وَالْإِشْتِرَاعَا
بَنَاهَا مُحَسَّنًا بِالْعِلْمِ بَرًّا يَشِيدُ لَهُ الْمَعَالِمَ وَالرَّبَاعَا
وَحَارِبَ دُونِهَا صِرْعَى قَدِيمٍ كَأَنَّ بِهِمِ عَنِ الزَّمَنِ انْقِطَاعَا
إِذَا لَمَحَ الْجَدِيدُ لَهُمْ تَوَلَّوْا كَذَى رَمَدٍ عَلَى الضُّوءِ امْتِنَاعَا

* * *

أَخَا «سَيْشِيلَ» ، لَا تَذْكُرْ بِحَارًا بَعْدَنَ عَلَى الْمَزَارِ وَلَا بَقَاعَا^٢
وَرَبِّكَ مَا وَرَاءَ نَوَاكٍ بُعْدُ وَأَنْتَ بظَاهِرِ الْفُسْطَاطِ قَاعَا
نَزَلْتَ بِعَالَمٍ خَرَقَ الْقَضَايَا وَأَصْبَحَ فِيهِ نَظْمُ الدَّهْرِ ضَاعَا
فَخَلَّ الْأَرْبَعِينَ لِحَافِلِهَا وَقَدْ تَجِدُ الْقُرُونِ مَرَزْنَ سَاعَا^٣

* * *

مَرِضَتْ فَمَا أَلَحَّ الدَّاءُ إِلَّا عَلَى نَفْسٍ تَعَوَّدَتْ الصَّرَاعَا
وَلَمْ يَكُ غَيْرَ حَادِثَةٍ أَصَابَتْ مُفْلَلٍ كُلَّ حَادِثَةٍ قَرَاعَا
وَمَنْ يَتَجَرَّعُ الْآلَامَ حَيًّا تَسْغُ عِنْدَ الْمَمَاتِ لَهُ أَجْتِرَاعَا

١ النفل : مفرد الأنفال ، يعني العطايا المكتسبة من الفَيْء . والفَيْء : الغنمة . والاصطناع : هو ما يعبر عنه في زماننا بالمحسوبة .

٢ سيشل ، إحدى جزر الهند النائية ، نقي إليها الفقيد ، حين اتهمته السلطات الإنجليزية بالتحريض السياسي في ثورة مصر الكبرى .

٣ الأربعين في هذا البيت ، مقصود بها الأيام التي مضت على وفاته ، أو السن التي توفي فيها .

أُرِقْتُ، وكيف يُعطى الغمض جفنٌ
ولم يهدأ وسادك في الليالي
عَجِبْتُ لشارح سبب المنايا
ولم تكن الختوف محلَّ شكٍ
ولكن صَبَدٌ ولها بُرَاةٌ
أرى التعليم لما زلت عنه
غريقٌ حاولت يده شِراعاً
سَرَاةُ القوم مُنصرفون عنه
لقد نَسَاهُ يومك ناصباتٍ
فم آبن الأمهاتِ على أساسٍ
فهنَّ يَلِدْنَ للقصَبِ المذاكي
وَجَدْتُ معاني الأخلاق شتى
عزاء الصابرين أبا بهي
صَبِرَتْ على الحوادث حين جَلَّتْ
وإن النفس تهْدأ بعد حينٍ
إذا اختلف الزمانُ على حزينٍ
فُصَارَى الفرقدين إلى قضاءٍ
ولم تَحْوِ الكِنَانَةُ آلَ سعدٍ
ولم تحمِلْ كشيخكم المُقَدَّى
غداً فُضِّلَ الخطابُ، فمنَّ بشيري

تَسَلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا ١
لعلك أن ستغنيها أضطجعا
يُسَمِّي الداءَ والعِلَّالَ الوجعا
ولا الآجالُ تحملُ التزاعا
تري السرطانَ منها والصُّدعا
ضعيفَ الركنِ، مَخْذولاً، مُضاعا
فلما أَوْشَكَتْ فقد الشُّراعا
وَصُحِفُ القوم تَقْتَضِبُ الدِّفاعا
مِن السَّنَاتِ قاساها تِباعا
ولا تَبْنِ الحصونَ ولا القِلاعا
وهنَّ يَلِدْنَ للغابِ السَّباعا
جُمِعْنَ فكنَّ في اللفظ الرِّضاعا
ومثلُك مَنْ أَنَابَ وَمَنْ أَطَاعا
وحين الصبرُ لم يَكُ مُستطاعا
إذا لم تَلْقَ بالجزع انتفاعا
مَضَى بالدمع ، ثم مَحَا الدَّمَاعا
إذا عثرا به أنفصا اجتماعا
أشدُّ على العِدا منكم نِباعا
نُهوْضاً بالأمانةِ واضطلاعاً
بأنَّ الحقَّ قد غلب الطَّاعا ؟

١ الرواع : من قولهم : ناقة الرواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، أي شهمة زكية .
٢ أبا بهي : ينادي بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . وأناب : رجع إلى الله

سَلُّوا أَهْلَ الْكِنَانَةِ: هل تداعَوْا؟
فإنَّ الخصمَ بعدَ غدٍ تداعى
وما سعدٌ بمُتَجَرِّ إذا ما
تعرَّضتَ الحقوقُ شَرَى وباعا
ولكنَّ تحمي الآمالُ فيه
وتدْرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا
إذا نظرتَ قلوبُكمُ إليه
علا للحادثات وطلال باعا

المويلحي*

كاتبٌ مُحَسِّنُ البَيَانِ صَنَاعُهُ اسْتَحَفَّ الْعُقُولَ حِينَا يَرَاغُهُ
ابنُ مِصْرٍ ، وَإِنَّمَا كُلُّ أَرْضٍ تَنْطَلِقُ الضَّادَ مَهْدُهُ وَرِبَاعُهُ
إِنَّمَا الشَّرْقُ مَنَزَلٌ لَمْ يُفَرِّقْ أَهْلَهُ إِنْ تَفَرَّقَتْ أَصْقَاعُهُ
وَطَنٌ وَاحِدٌ عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حَى ، وَفِي الدَّمْعِ وَالْجِرَاحِ اجْتِمَاعُهُ
عِلْمٌ فِي الْبَيَانِ ، وَابْنُ لَوَاءٍ أَخَذَ الشَّرْقَ حِقْبَةً إِبْدَاعُهُ
حَسْبُهُ السَّحَرُ مِنْ ثَرَاثِ أَبِيهِ إِنْ تَوَلَّتْ قُصُورُهُ وَضِيَاعُهُ
إِنَّمَا السَّحَرُ وَالبَلَاغَةُ وَالْحُكْمُ حَمَةُ بَيْتٍ ، كِلَاهُمَا مِصْرَاعُهُ

* * *

فِي يَدِ النَّشْرِ مِنْ بَيَانِ الْمَوِيلِحِيِّ مِثْلُ يَنْتَفِعِ الشَّبَابَ اتِّبَاعُهُ
صُورٌ مِنْ حَقِيقَةِ وَخْيَالٍ هِيَ إِحْسَانُ فِكْرِهِ وَابْتِدَاعُهُ
رُبُّ سَجْعٍ كَمُرْقَصِ الشَّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لَحْنُهُ وَلَا يُقَاعُهُ
أَوْ كَسَجْعِ الْحَمَامِ لَوْ فَصَّلْتُهُ وَتَأَنَّتْ بِهِ ، وَدَقَّ اخْتِرَاعُهُ
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ ؟ مَا أَسْجَاعُهُ ؟^١

* * *

عَجِبَ النَّاسُ مِنْ طِبَاعِ الْمَوِيلِحِيِّ ، وَفِي الْأُسْدِ خُلُقُهُ وَطِبَاعُهُ
فِيهِ كِبَرُ اللَّيْثِ حَتَّى عَلَى الْجَوِّ ع ، وَفِيهَا إِبَاؤُهُ وَامْتِنَاعُهُ
قَعَبَ الْمَوْتُ فِي صَبُورٍ عَلَى التَّرِّ ع ، قَلِيلٌ إِلَى الْحَيَاةِ نِزَاعُهُ^٢

* هو الكاتب الكبير محمد المويلحي المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد أقيمت هذه القصيدة في حفلة تأييده .

١ بديع الزمان : هو الهمداني صاحب المقامات المشهورة .

٢ النزاع للبيت : ساعات احتضاره .

صارح العيش حَقَبَةً ، لبت شعري
قهر الموت والحياة ، وقد نحد
مُهَجَّة حَرَّة ، وخلقُ أبي
ساعة الموت كيف كان صِراعه؟
حكمُ في رانض السَّباع سِباعه
عَيَّ عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

* * *

في الثمانين — يا محمد — عِلْمٌ
لِمَ تقاعدتَ دونها وتوانى
رُبَّ شَيْبٍ بَتَّ صُروحَ المعالي
فيه من هِمَّة الشباب ، ولكن
لعلِّم ، وإن تنأهى اطلاع
سائقُ الفلك ، واضمحَلَّ شِراعه؟
سَتاه ، وشادت المجد ساعه
ليس فيه جِاحُه واندفاعه

* * *

سَيِّدُ المنشفين حَثَّ المطايا
حظَّهم بالإفهام للموت رَكْبُ
قَعَّوا بالتراب وجهاً كريماً
كسنا الفجر في ظلال الغوادي
ياوحيلنا كأمس في كِسْر بيت
كلُّ بيتٍ نَحْلُهُ يستوي عند
نَمِّ مَلِيًّا ، فلست أولُ ليثٍ
حولك الصالحون ، طابوا وطابتْ
قلُدوا الشرق من جالٍ وخيرٍ
أُسِّسَتْ نهضة البناء بقومٍ
كلُّ حيٍّ — وإن تراختْ منايا
والذي تحرص النفوسُ عليه
ومضى في غُباره أتباعه
يَتَلَقَى بِطاوُوه وسِراعه
كان من رُقعة الحياة قِناعه
كرمٌ صفحتاه ، هَذِي شُعاعه
ضيقٌ بالتَّزِيل ، رَحْبٌ ذِراعه¹
لدك في الزُّهدِ ضِيقُهُ واتِّساعه
بَقْلَاة الإمام طال اضطجاعه²
أَكَمَاتُ الإمامِ منهم وقاعه
ما يَتَوَدُّ الْمُقَنِّدِينَ انْتِزاعه
ويقوم سما وطال ارتفاعه
هُ — قضاءً عن الحياة انقطاعه
عالمٌ باطلٌ قليلٌ متاعه

١ كسر البيت - بكسر الكاف وفتحها - : جلبة .
٢ فلاة الإمام : صحراء الإمام الشافعي ، حيث مدفن الفقيد .

إسماعيل باشا صبري*

أَجَلٌ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُوَافِي أَخْلَى يَدَيْكَ مِنَ الْخَلِيلِ الْوَافِي
دَاعٍ إِلَى حَقِّ أَهَابَ بِخَاشِعٍ لَيْسَ النَّذِيرَ عَلَى هُدًى وَعَفَافٍ
ذَهَبَ الشَّبَابُ ، فَلَمْ يَكُنْ رُزْزِي بِهِ دُونَ الْمَصَابِ بِصَفْوَةِ الْأَلْفِ
جَلَلٌ مِنَ الْأَرْزَاءِ فِي أَمْثَالِهِ هِمَمُ الْعَزَاءِ قَلِيلَةُ الْإِسْعَافِ
خَفَّتْ لَهُ الْعَبْرَاتُ ، وَهِيَ أَيْتُهُ فِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ ، غَيْرُ خِفَافٍ
وَلِكُلِّ مَا أَتَلَفْتَ مِنْ مُسْتَكْرَمٍ إِلَّا مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ ثَلَاثُ
مَا أَنْتَ يَا دُنْيَا ؟ أَرَوْيَا نَائِمٍ أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ ، أَمْ بِسَاطُ سُلَافٍ ؟
نَعْمَاؤُكَ الرِّيحَانُ ، إِلَّا أَنَّهُ مَسَّتْ حَوَاشِيهِ نَقِيعَ زُعَافٍ
مَا زِلْتُ أَصْحَبُ فَيْكَ خُلُقًا ثَابِتًا حَتَّى ظَفِرْتُ بِخُلُقِكَ الْمُتَنَافِي

* * *

ذَهَبَ الذَّيْبُ السَّمْحُ مِثْلَ سَمِيهِ طَهَّرَ الْمُكْفَنَ ، طَيَّبَ الْأَلْفَافِ
كَمْ بَاتَ يَذْبَحُ صَدْرُهُ لَشَكَاتِهِ أَتَرَاهُ يَحْسِبُهَا مِنَ الْأَضْيَافِ ؟
زَلْتُ عَلَى سَحْرِ السَّمَاحِ وَنَحْرِهِ وَتَقَلَّبْتُ فِي أَكْرَمِ الْأَكْنَافِ
لَجَجْتُ عَلَى الصَّدْرِ الرَّحِيبِ وَبَرَحْتُ بِالكَاطِمِ الْغَيْظِ ، الصَّفُوحِ ، الْعَافِي
مَا كَانَ أَقْسَى قَلْبُهَا مِنْ عِلَّةٍ عَلَقْتُ بِأَرْحَمِ حَيَّةٍ وَشَغَافِ

• إسماعيل باشا صبري : أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وكان أحد رجال الدولة في عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية ، وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحفانية ، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣ .

١ نقيع زعاف : أي سم ناجع بالغ .

٢ السحر : الرقة . والنحر : أعلى الصدر . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب .

قلبٌ لو انتظم القلوبَ حَنَانُهُ
حتى رماه بالنبية فأنجَلَتْ
أُنَحَّتْ على الفلكِ المُدارِ فلم يَدُرْ
ومَضَتْ بنارِ العبقريَّةِ ، لم تَدَعْ
حَمَلُوا على الأكتافِ نورَ جلالَةٍ
وتَقَلَّدُوا النعشَ الكريمَ يَتِمَّةً
مُمَايِلَ الأعوادِ ممَّا مَسَّ من
وإذا جلالُ الموتِ وافٍ سابِغٌ
ورنحُ الشبابِ وقد تَخَطَّرَ بينهم
لو عاش قَدُوَّتُهُمْ وَرَبُّ «لَوَائِهِمْ»
فلَكُم سقاءُ الودِّ حينَ ودادِهِ
لا يومَ للأقوامِ حتى يَنْهَضُوا

لم يبقَ قاسٍ في الجوانحِ جافي
مَنْ يَبْتَلِي بقضائه ويُعافي
وعلى العُبابِ قَرَّرَ في الرِّجَافِ^١
غَيْرَ الرَّمَادِ ، ودارساتِ أَثافي
يَذَرُ العيونَ حواسِدَ الأكتافِ
ولَكُم نَعُوشٍ في الرقابِ زِيافِ
كَرَمٍ ، وممَّا صَمَّ من أعطافِ
وإذا جلالُ العبقريَّةِ ضافي
هل مُتَعَوَّا بِتَمَسُّحِ وطَوافِ ؟
نَكَّسَ «اللواء» لثابتِ وَقَافِ
حربٌ لأهلِ الحكمِ والإشرافِ
بقوادِمٍ من أَسِيهِم وخوافي^٢

* * *

لا يُعْجِبُكَ ما تَرى من قَبَّةٍ
هَجَمُوا على الحقِّ المبينِ بباطِلِ
يَنونَ دارَ اللهِ كيفَ بدا لَهم
ويُزَوِّرونَ قُبُورَهم كَقُصُورَهم

ضربوا على موتاهُم ، وطِرافِ
وعلى سبيلِ القصدِ بالإِشرافِ
عُرُفاتٍ مُثَرِّ ، أو سَقِيفَةٍ عَافي
والأرضُ تَضْحَكُ والرِّفاتُ السَافي

* * *

فُجِعَتْ رُبى الوادي بواحدِ أَيْكِها
قَدَّتْ بَناناً كالرَّبيعِ ، مُجِيدَةً

وتَجَرَّعَتْ تُكُلَّ الغديرِ الصافي
وشَيَّ الرِّياضِ وصنعةَ الأَفْوافِ^٣

١ العباب : هو الموج . والرجاف : البحر .

٢ القوادِم والخوافي : ريش في جناح الطائر . وقد ورد في قول بعضهم :

• فإن الخوافي قوة للقوادِم •

٣ الأفواف : الثياب الرقيقة .

إن فاته نسبُ «الرَّضِيِّ» فَرُبَّمَا
 لو كان دون أبي «الرَّضِيِّ» أبوةً
 شرفُ العصاميِّين صُنِعَ نفوسهم
 قل للمشير إلى أبيه وجده
 لو أن عمراناً نجارك لم تَسُدْ
 جرياً لغاية سُوْدَدٍ وطِرافٍ
 فلقد أعادَ بيان «عبد منافٍ»
 من ذا يقيس بهم بني الأشراف؟
 أعلِمتَ للقمرين من أسلاف؟
 حتى يُشارَ إليك في الأعراف¹

* * *

قاضي القضاة جرَّت عليه قضيةٌ
 ومُصَرَّفُ الأحكام موكولٌ إلى
 ومُنَادِمُ الأملاك تحت قبابهم
 في منزلٍ دارت على الصَّيْدِ العُلا
 وأزِيلٌ من حُسن الوجوه وعِزِّها
 من كلِّ لَمَّاحِ النعيم تَقَلَّبَتْ
 وترى الجاهِجِمَ في الترابِ تماثَلَتْ
 وترى العيونَ القاتِلاتِ بنظرةٍ
 وتُراعى من ضحكِ الثُّغورِ ، وطالما
 غَزَتِ القرونُ الذاهِبِينَ غِزَالَهُ
 يَجري القضاءُ بها ، ويجري الدهرُ عن
 تُرْمِي البريةَ بالحُبُولِ ، وتارةً
 نَسَجَتْ ثلاثَ عَائمٍ ، واستحدثتْ
 للموتِ ، ليس لها من استئناف
 حُكْمِ المنيَّةِ ، ما لَه من كافي
 أمسى تُنادِمُهُ ذِئابُ قِيافي
 فيه الرَّحَى ومشت على الأرداف
 ما كان يُعبد من وراء سِجَاف
 دِيباجتاهُ على بَلَى وجفاف
 بعدَ العقولِ تماثُلِ الأصداف
 مَنوَبَةُ الأجفانِ والأسياف
 فَتَتُ بِحُلُوِّ تَبَسُّمٍ وهُتاف
 دُمُهم بِذِمَّةِ قُرْنِها الرِّعاف
 يَدِها ، فيا لثلاثَةِ أحلاف !
 بجائِلٍ من خِيطِها وكفاف
 أكفانَ موتى من ثيابِ زفاف²

* * *

- ١ عمران : أبو موسى عليه السلام ، وقد نزلت في القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف .
 ٢ ثلاث عائم : الشعر الأسود ، والأسود فيه شيب ، والأبيض ، أي أدوار العمر الثلاثة .

«أَبَا الْحُسَيْنِ» ، تَحِيَّةٌ لثَرَاكَ مِنْ
وَسَلَامٍ أَهْلِيْ وَلِيٍّ وَصَحَابَةٍ
هَلْ فِي يَدَيَّ سِوَى قَرِيضِ خَالِدٍ
مَا كَانَ أَكْرَمَهُ عَلَيْكَ ! فَهَلْ نَرَى
هَذَا هُوَ الرَّيْحَانُ ، إِلَّا أَنَّهُ
وَالدُّرُّ ، إِلَّا أَنْ مَهَّدَ بَيْتِيهِ
أَيَّامَ أَمْرَجُ فِي عُبَارِكَ نَاشِئًا
أَتَعْلَمُ الْغَايَاتِ كَيْفَ تُرَامُ فِي

رُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَعَذْبٍ نِطَافٍ
حَسَرَى عَلَى تِلْكَ الْخِلَالِ لِهَافٍ
أُزْجِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ لِلْإِتْحَافِ ؟
أَنِّي بَعَثْتُ بِأَكْرَمِ الْأَلْطَافِ ؟
نَفَحَاتُ تِلْكَ الرُّوْضَةِ الْمِثْنِافِ
بِالْأَمْسِ لُجَّةٌ بِحَرِّكَ الْقَذَافِ
نَهَجَ الْمِهَارِ عَلَى عُبَارِ «خَصَافِ»
مِضْمَارٍ فَضْلٍ أَوْ مَجَالٍ قَوَافِ

■ * ■

يَا رَاكِبَ الْحَدَبَاءِ ، خَلَّ زِمَامُهَا
فَإِنَّ الْمَطِيَّ النَّاسُ ، غَيْرَ مَطِيَّةٍ
لَا فِي الْخِلْيَادِ ، وَلَا الْبَيَاقِ ، وَإِنَّمَا
تَتَنَابَّ بِالرَّكْبَانِ مِزْلَةَ الْهُدَى
قَدْ بَلَّغْتَ رَبَّ الْمَدَائِنِ ، وَانْتَهَتْ

لَيْسَ السَّبِيلُ عَلَى الدَّلِيلِ بِخَافٍ
لِلْحَقِّ ، لَا عَجَلَى ، وَلَا مِيجَافٍ
خُلِقْتُ بِغَيْرِ حَوَافِرٍ وَخِيفَافٍ
وَتَوَّمْتُ دَارَ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ
حَيْثُ انْتَهَيْتَ بِصَاحِبِ الْأَحْقَافِ

■ * ■

نَمَّ مِيلٌ جَفَنِكَ ، فَالْعُدُوُّ غَوَافِلُ
فِي مَضْجَعٍ يَكْفِيكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ
وَاضْحَكِ مِنَ الْأَقْدَارِ غَيْرِ مُعْجَزٍ
وَالْمَوْتُ كُنْتُ نَحَافَهُ بِكَ ظَافِرًا
قُلْ لِي بِسَابِقَةِ الْوِدَادِ : أَقَاتِلُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ أَبْوَيْكَ كَثْرًا رَحِمَةً

عَمَّا يَرَوُعُكَ ، وَالْعَشْيُ غَوَافٍ
أَنْ لَيْسَ جَبْنُكَ عَنْهُ بِالْمُتَجَافِ
فَالْيَوْمَ لَسْتُ لَهَا مِنَ الْأَهْدَافِ
حَتَّى ظَفِرْتُ بِهِ ، فَدَعَهُ كَفَافٍ
هُوَ حِينَ يَنْزِلُ بِالْفَتَى ، أَمْ شَافِي؟
وَهُوَ ، وَذَلِكَ مِنْ جَوَارِ كَافِي

ومها شبابك واللذات ، بكيته
فاذهب كمصباح السماء ، كلا كما
الشمس تخلف بالنجوم وأنت بالـ
غلب الحياة فتى يسد مكانها
وبكيتهم بالمدمع الذراف
مال النهار به ، وليس بطافي
آثار ، والأخبار والأوصاف
بالذكر ، فهو لها بديل وافي

فوزي الغزي*

جرحٌ على جرحٍ ! حَنَانُكَ جَلَّقُ
صبراً لباةِ الشرقِ ؛ كلُّ مصيبةٍ
أنسيتِ نارَ الباطشينِ ، وهزّةُ
رعناءٍ أرسلها ودسّ شواطئها
فشتُ تُحطّمُ باليمنِ ذخيرةُ
جئتُ ، فضعضعها ، وراضَ جَمَاحُها
لَقِيَّ الحديدُ حَمِيَّةً أَمْوِيَّةً
يا واضعَ الدستورِ أَمْسِ كُحْلُكِهِ
نظمٌ من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ
لا تخشَ ممّا ألحقوا بكتابه
ميتَ الجلالِ ، من القوافي زَفَرَةٌ
ولقد بعثها إليك قصيدةُ
أبكي لياليَنَا القِصَارِ وصحبةُ
لا أذكرُ الدنيا إليك ؛ فربّما

حُمِّلَتْ ما يُوهي الجبالَ ويُزهقُ^١
تَبَلَّى على الصبرِ الجميلِ وتخلق
عَرَّتِ الزمانَ ، كان روما تُحرقُ^٢
في حجرةِ التاريخِ أُرْعِنُ أحمقُ^٣
وتُلصقُ أخرى بالشمالِ وتُسرقُ ؟
من نَشْنِثِكَ الحُمُسِ الجنونُ المُطْبِقُ
لا تكتسي صدأً ، ولا هي تُطرقُ
ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هو ضيقُ
أدبُ الحضارةِ فيها والمنطقُ
يَبْقَى الكتابُ وليس يَبْقَى المُلْحَقُ
تجري ، ومنها عبْرَةٌ تترقُ
أفانتِ مُتَظَرِّ كعهدك شَيْقُ ؟
أخذتِ مُخِيلَتُها تَجِيشُ وتَبْرِقُ
كرهَ الحديثِ عن الأجاجِ المَعْرَقُ

- ٥ فوزي الغزي : هو أحد سُرّةِ الزعماء في الشام ، وأحد ألوّةِ الثورة العربية في نهضتها العظيمة ، توفي وأقيمت له حفلة تأبين في دمشق ، وأُلقيت فيها هذه القصيدة العصماء في سنة ١٩٢٠ .
- ١ جلق بشدة اللام مفتوحة أو مكسورة : دمشق .
- ٢ يشير إلى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هي إحدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهي مضرب المثل منذ صار نيرون مثلاً للظلم والجبروت .
- ٣ الشواطئ بضم الشين وكسرهما : لخب لا دخان فيه .

طُبعتُ من السَّمِّ الحِياةَ ، طعامُها ،
والناسُ بينَ بطيئِها وذُعافِها
أما الوليُّ فقد شقَّكَ بِسَمِّه
طلبوكَ والأجلُ الوَشِيكَ يَحْتُمُّهم
لَمَّا أَعانَ الموتُ كَيْدَ جِبالِهم
طَرَفْتُ مِهادَكَ حَيَّةً بَشَرِيَّةً

* * *

يا فوز ، تلكَ دَمَشقُ خَلَفَ سَوادِها
ذَكَرْتُ لِباليَ بِدْرِها ، فَتَلَفَّتْ
بَرْدَى وراءَ ضِفافِهِ مُسْتَعْبِرٌ
والطيرُ في جَنابِ دُمُرِ نُوحٍ
ويقولُ كُلُّ مُحَدِّثٍ لَسْمِيرِهِ
تَرمي مَكانَكَ بِالعيونِ وَتَرمُقُ
فَعِساكَ تَطْلُعُ ، أو لَعَلَّكَ تُشْرِقُ
والخوَرُ مَحلولُ الضِفافِ مُطَرِّقٌ^١
يَجِدُ المَهمومَ خَليلَها وَيُبارِقُ^٢
أَبْذاتِ طَوقٍ بَعْدَ ذلكَ يُوثِقُ ؟

* * *

عَشِيقَتُ نَهاوِيلَ الجِمالِ ، ولم تَجِدْ
فَشَتَّ كَأَنَّ بَنانَها يَدُ مُلَمِّنٍ
ولو أَنَّ مَقدوراً يُرَدُّ لَرَدَّها
أَشقى القِضاءَ الأرضَ ، بَعْدَكَ أُسرةٌ
قَسَتِ القُلوبُ عَلَيبَهُمُ وَتَحَجَّرَتْ
إِنَّ الذينَ نَزَلَتْ في أَكْنافِهِم
سَخَرُوا مِنَ الدُّنيا كَما سَخَرَتْ بِهِم

في العَبَرِيَّة ما يُحِبُّ وَيُعْشَقُ^٣
وكانَ ظِلُّ السَّمِّ فيها زَبَقُ
بِحِياتِهِ الوِطَنُ المَروءُ المُشْفِقُ
لولا القِضاءُ مِنَ السَماءِ لَمَّا شَقُوا
فانظُرِ فَوادِكَ ، هَلْ يَلِينُ وَيَرْفُقُ ؟
صَفَحُوا ، فَمِمَّنْ مَغِيظُ مُحْتَقٍ
وَأَبَتْ مِنْ أَسابِها المُتَعَلِّقُ

١ بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكي .

٢ دمر بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة : عقبة في دمشق .

٣ التهاويل : الألوان المختلفة .

يا مائماً من عبدِ شمسٍ مثله
 إن ضاقَ ظهرُ الأرضِ عنكَ فبطئها
 لا جمعتَ الشامَ من أطرافه
 يكي لواءَ من شبابِ أُمِّيَّةٍ
 لمستَ نواصيها الحصونَ ترومه
 ركنُ الزعامةِ حينَ تطلبُ رأيه
 ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحته
 فيحاء ، أين على جناحك وردةٌ
 علويةٌ تجدُ المسامعَ طيها
 وأرائكُ الزَّهرِ الغصونُ ، وعرشها
 من مُبلِّغٍ عني شُبولةٍ جَلَقِ
 باللهِ جَلَّ جلالُه ، بمُحمَّدٍ
 قد تُفسِدُ المرعى على أخواتها

للشمسِ يُصنعُ في المماتِ ويُتسَّقُ
 عما وراءك من رُفاتٍ أَضيقُ^١
 وافى يُعزِّي الشامَ فيك المشرقِ
 يحمي حمى الحقِ المبينِ ويخفق
 وتلمَّسْتُهُ فلم تجده الفيلقِ
 فبرى ، وتساله الخطابَ فينطق
 عودُ المنابرِ يُستخفُ فيورقُ^٢
 كانت بها الدنيا ترفُ وتعبقُ^٣ ؟
 وتُحسُّ رِيَّاهُ العقولُ وتُنشَقُ
 يدُ أمةٍ وجيئها ، والمفرقِ
 قولاً يبرُّ على الزمانِ ويصدقُ ؟
 يسوع ، بالغزِّي لا تنفرقوا
 شاةٌ تندُّ من القطيعِ وتمرقُ

١ الرفات : بقايا الميت .

٢ يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .

٣ فيحاء : دمشق .

كريمة البارودي*

أَحَيْثُ تَلَوُّحُ الْمُنَى نَافِلٌ ؟ كَفَى عِظَةً أَيُّهَا الْمَتَرُ !
 حَكَيْتَ الْحَيَاةَ وَحَالَاتِهَا فَهَلَا تَخْطُبْتَ مَا تَنْقُلُ ؟
 أَمِنْ جُنْحِ لَيْلٍ إِلَى فَجْرِهِ جَمِي يَزْدَهِي ، وَجَمِي يَغْطِلُ ؟
 وَذَلِكَ يُوَحِّشُ مِنْ رِيَّةٍ وَذَلِكَ مِنْ رِيَّةٍ يَأْهَلُ ؟
 أَجَابَ التَّمِيُّ لَدَيْكَ الْبَشِيرُ وَذَاقَ بِكَاسِئِهَا الْحَفِيلُ
 وَأَطْرَقَ بَيْنَهَا وَالِدٌ آخَرُ نَزْحَةٍ ، لَيْلُهُ أَلِيلُ
 يَهْيُءُ إِلَى الْعَقْلِ فِي أَمْرِهِ وَلَكِنَّهُ الْقَلْبُ ، لَا يَعْقِلُ
 تَهَاوَتْ عَنِ الْوَرْدِ أَغْصَانُهُ وَطَارَ عَنِ الْيَبْضَةِ الْبُكْبُلُ^١
 وَرَاحَتْ حَيَاةٌ ، وَجَاءَتْ حَيَاةٌ وَأَظْهَرَ قَدَرَهُ الْمُبْدِلُ
 وَمَا غَيْرُ مَنْ قَدْ أَتَى مُدْبِرٌ وَلَا غَيْرُ مَنْ قَدْ مَضَى مُقْبِلُ
 كَأَنِّي بِسَامِي هُلُوعِ الْفَوَادِ إِذَا أَسْمَعْتُ هَمْسَةً يَعْجَلُ
 يَرَى قَدْرًا يَأْمُلُ الْلُطْفَ فِيهِ وَعَادِي الرَّدَى دُونَ مَا يَأْمُلُ
 يُضْيِئُ لِضَيْفَانِهِ بَشْرَهُ وَبَيْنَ الضُّلُوعِ الْعَضَى الْمُشْعَلُ
 وَيَقْرِيهِمُ الْآنَسَ فِي مَتَرٍ وَيَجْمَعُهُ وَالْأَسَى مَتَرُ
 فَمَنْ غَادَةٍ فِي مَجَالِي الزَّفَافِ إِلَى غَادَةٍ دَاوَاهَا مُغْضِلُ
 وَذِي فِي نَفَاسَتِهَا تَنْطَوِي وَذِي فِي نَفَاسِهَا تَرْفُلُ^٢

• وجه هذه القصيدة يعزي بها المرحوم محمود سامي باشا البارودي في كريمة التي توفيت أثناء زفاف شقيقها .

١ الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت .

٢ تهاوت : أي تساقطت أو تخلت .

٣ النفاسة من قولهم : هذا شيء نفيس ، أي ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما أشبهها .

تَقَسَّمُ بَيْنَهُمَا قَلْبُهُ وَخَانَتْهُ عَيْنَاهُ وَالْأَرْجُلُ
فِيَا نَكَدَ الْحَرَّ ، هَلْ تَنْقُضِي ؟ وَيَا فَرَحَ الْحَرِّ ، هَلْ تُكْمَلُ ؟
وَيَا صَبْرَ سَامِي ، بَلَّغْتَ الْمَدَى وَيَا قَلْبَهُ السَّهْلَ ، كَمْ تُحْمِلُ ؟
لَقَدْ زِدْتِ مِنْ رِقَّةٍ كَالصَّرَاطِ وَدُونَ صَلَابَتِكَ الْجَنْدَلُ
يَمَرُّ عَلَيْكَ خَلِيطُ الْخُطُوبِ وَمِجْتَازُكَ الْخِيفُ وَالْمُنْقِلُ
وَيَا رَجُلَ الْحِلْمِ ، خُذْ بِالرَّضَى فَذَلِكَ مِنْ مَتْنٍ أَجْمَلُ
أَتَحْسَبُ شَهِيدًا إِنَْاءَ الزَّمَانِ وَطَيْبَتُهُ الصَّابُ وَالْحَنْظَلُ ؟
وَمَا كَانَ مِنْ مَرَّةٍ يَعْتَلِي وَمَا كَانَ مِنْ حُلُوٍّ يَسْقُلُ
وَأَنْتَ الَّذِي شَرِبَ الْمُرَعَاتِ فَأَيُّ الْبَوَاقِي بِهِ تَحْفِلُ ؟
أَفِي ذَا الْجَلَالِ ، وَفِي ذَا الْوَقَارِ تُخِيفُكَ ضَرَاءُ أَوْ تُذْهِلُ ؟
أَلَمْ تَكُنِ الْمَلِكَ فِي عَزِّهِ وَبَاعُكَ مِنْ بَاعِهِ أَطْوَلُ ؟
وَقَوْلُكَ مِنْ فَوْقِ قَوْلِ الرِّجَالِ وَفَعْلُكَ مِنْ فَعْلِهِمْ أَتَبَلُ ؟
سَتَعْرِفُ دُنْيَاكَ مِنْ سَاوَمَتِ وَأَنْ وَقَارَكَ لَا يُبْدَلُ
كَأَنَّكَ شَمَشُونَ هَذَا الْحَيَاةِ وَكُلُّ حَوَادِثِهَا هَنِيكَلُ

فتحي ونوري*

أنظر إلى الأمار كيف تزول
 وإلى الجبال الشَّمَّ كيف يُميلها
 وإلى الرياح تَخِرُّ دون قرارها
 وإلى السُّور تقاصرت أعمارها
 في كلِّ منزلة وكلِّ سميَّة
 بهوي القضاء بها ، فما من عاصمٍ
 فتح السماء ونورها سكتا الثرى
 سر في الهواء ، ولَّد بناصية السُّها
 وازكب جناح النسر لا يعصمك من
 ولكل نفس ساعة ، مَنْ لم يمتْ
 إلى الحياة سكنت وهي مصارع
 لا تحفلن بيوسها ونعيمها
 ما بين نصرتها وبين ذبولها
 هذا بشيرُ الأُمس أصبح ناعياً
 يجري من العبرات حولَ حديثه
 وإلى وجوه السَّعد كيف تحول
 عادي الردى بإشارة فتميل
 صرعى عليهن الثراب مهيل
 والعهد في عمر السُّور يطول
 قر من الغر السَّماة قتيل
 هيات ! ليس من القضاء مُقبل
 فالأرض ولهى ، والسماء تكول
 الموت لا يخفى عليه سبيل
 نسر يُرفف فيه عزرائيل
 فيها عزيزاً مات وهو ذليل
 وإلى الأمانى يسكنُ المسلون ؟
 نغى الحياة وبؤسها تضليل
 عمرُ الورود ، وإنه لقليل
 كالحلم جاء بصدّه التأويل
 ما كان من فرح عليه يسيل

* فتحي ونوري : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر في سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بها ، فماتا ، فكان لمصائبها في مصر أسف شديد ، وكانت الخلافة الإسلامية وقتئذ ما تزال تربط المصريين بالعثمانيين .

١ السها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

ولرب أعراسٍ خَبَّانَ مَاتَمَا
يا أيها الشهداء ، لن يُنسى لكم
والمجد في الدنيا لأولِ مُبْتَنٍ
لولا نفوسُ زُلَنَ في سُبُلِ الْعَلَا
والناسُ باذلُ رُوحِهِ ، أو مَالِهِ
والتَّضَرُّ عَرَّتْهُ الطَّلَانُ في الوَعَى
كم ألف ميلٍ نحو مصرَ قطعتمْ
طوروسُ تحتكم ضئيلٌ ، طَرْفُهُ
تُرخون للريح العنان ، وإنها
اثنين إثر اثنين ، لم يخطر لكم
ومن العجائب في زمانك أن يني
لو كان يُهدى هالكٌ لَفْدَاكُمْ
أيُّ الفَرَاةِ أُولَى الشَّهَادَةِ قبلكم
يغدو عليكم بالتحية أهلها
إدريسُ فوقَ يَمِينِهِ رِيحَانَةٌ
في عالم سُكَّانِهِ أَنْفَاسُهُمْ
إني أخاف على السماء من الأذى
كانت مطهرة الأديم ، نَفِيَّةً

كأَرْقُطٍ في ظلِّ الرياضِ ثَقِيلٌ^١
فتحُ أَعْرُ على السماءِ جميل
ولمن يُشِيدُ بعده فيطيل
لم يَهْدِ فيها السالكين دليل
أو علمِهِ ، والآخرون فُضُول
والتابعون من الخميس حُجُول
فيم الوقوفُ ودون مصرٍ ميل ؟
لَمَّا طَلَعْتُمْ في السحابِ كَلِيل
لكم على طُغْيَانِهَا لَذَلُول
أَنَّ المنيَّةَ ثَالِثٌ وَزَمِيل
لك في الحياة وفي المات خليل
في الجَوِّ نَسْرٌ بالحياة بَخِيل
عَرَضُ السَّمَاءِ ضَرِيحُهُم وَالطُّول ؟
ويرفُفُ التسبيح والتهلِيل
وَيَسُوعُ فوقَ يَمِينِهِ إِكْلِيلٌ^٢
طِيبٌ ، وَهَمْسٌ حَدِيثُهُمْ إِنجِيل
في يومٍ يُقْسِدُ في السماء الجليل
لا آدَمُ فيها ، ولا قابيل

١ يريد أن الأحران تخشى في الأرواح ، كما تكن الحيات الرقط وقت القيلولة في ظلال الرياض ،
فوجود الحيات في ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحران في ثنايا
الأفراح مسمم لجوها ، مانع من الاستمتاع بكل سرورها .

٢ يسوع : هو عيسى ابن مريم . وإدريس : هو أحمد الأنبياء الرسل . وقد خص إدريس
 بالذكر ، لما جاء في قصة الإسراء ، من أن النبي صلوات الله عليه رآه قائماً على باب إحدى
 السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : أخوك إدريس .

يَتَوَجَّهَ العاني إلى رحمتها ويرى بها برق الرجاء عليل
ويشير بالرأس المُكَلَّلِ نحوها وباللحظ البريء بتول
واليوم للشهوات فيها والهوى وللدَّمِ والدموع مسيل
أُضْحَتْ ومن سَفَن الجواء طوائفُ فيها ، ومن خيل الهواء رَعِيل^١
وأزيل هيكلها المصنُونُ وسِرُّه والدهرُ للسَّمر المصنُونِ مُذِيل

* * *

هَلَعَتْ دِمَشَقُ ، وأقْبَلَتْ في أهلها ملهوفةً ، لم تدر كيف تقول
مَشَتْ الشُّجُونُ بها ، وعمَّ غياطها بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبُول
في كلِّ سهلٍ أَنَّهُ وَمَنَاحَةٌ وبكلِّ حَزْنٍ رَنَّةٌ وعويل
وكانما نُعِيَتْ أُمِيَّةٌ كُلُّهَا للمسجدِ الأُمويِّ ، فهو طُلُول^٢
خَضَعَتْ لَكُمْ فيه الصفوفُ ، وأزْلَفَتْ لكمُ الصَّلَاةُ ، وقُرَّبَ التَّزْيِيلُ
من كلِّ نَعَشٍ كالثَّريَّا ، مَجْدُهُ في الأرضِ عالٍ ، والسماءُ أصيل
فيه شهيدٌ بالكتابِ مُكْفَنٌ بمدامعِ الروحِ الأمينِ عَسِيل
أعواده بينَ الرجالِ ، وأصله بين السُّهى و المُشْتَرِي مَحْمُول^٣
يَمْشِي الجنودُ به ، ولولا أنهم أَوَّلَى بِذاك مَشَى به جَبْرِيلُ
حتى نزلتم بُعْعةً فيها الهوى من قبلُ ثاوٍ ، والسماحُ تَزْيِيلُ
عَظُمَتْ ، وجلَّ صَريحُ يوسفَ فوقها حتى كَانَتْ المَيْتُ فيه رسول

* * *

شِعْرِي ، إِذَا جُبَّتَ البَحَارُ ثَلَاثَةً وحوالكِ ظلُّ في فروقَ ظَلِيلُ
وتداولتْكَ عَصَابَةٌ عَرِيَّةٌ بينَ المَآذِنِ والقِلَاعِ تُزُولُ

١ خيل الهواء : الطيارات . والرَعِيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين .

٢ طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء .

٣ المشتري : من الكواكب السيارة .

وَبَلَغَتْ مِنْ بَابِ الْخِلَافَةِ سُدَّةً
 قُلْ لِلإِمَامِ مُحَمَّدٍ ، وَلَآلَهُ
 تِلْكَ الْخُطُوبُ - وَقَدْ حَمَلْتُمْ شَطْرَهَا -
 إِنْ تَقْقِدُوا الْآسَادَ أَوْ أَشْبَالَهَا
 صَبْرًا ؛ فَأَجْرُ الْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُكُمْ
 يَا مَنْ خَلَقَهُ الرِّضِيَّةُ عِصْمَةً
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خَلْقَانِهِ
 وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَائِطًا
 هَذَا مَقَامٌ أَنْتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ
 بِاللَّهِ ، بِالْإِسْلَامِ ، بِالْجُرْحِ الَّذِي
 إِلَّا حَلَّتْ عَنْ السَّجِينِ وَثَاقَهُ
 أَيْقُولُ وَاشْيِ ، أَوْ يُرَدِّدُ شَامِتٌ
 هُوَ مِنْ سَيُوفِكَ أَغْمَدُوهُ لِرَبِيَّةٍ
 فَادْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاغَهُ

لِستورها التمسيحُ والتقبيل
 صبرُ العظامِ على العظيمِ جميل
 ناءُ الفراتِ بشطرها والنيل
 فالغابُ من أمثالها مأهول
 عند الإله ، وإنه لجزيل
 للحق ، أنت بأن يُحقَّ كفيل
 عدلاً يُقيم الملكَ حين يميل
 لا الجيشُ يرفعه ولا الأسطول
 والرفقُ عند محمدٍ مأمول^١
 ما انفكَّ في جنب الهلال يسيل
 إنَّ الوثاقَ على الأسودِ ثَقِيل^٢
 صَنديدُ برقةٍ مَوْثِقٌ مَكْبُول^٣
 ما كان يُغْمَدُ سيفُكَ المسلول
 واستبقه ، إن السيوفَ قليل

- ١ كان يخاطب الخليفة محمد رشاد .
- ٢ السجين : هو عزيز بك المصري القائد الحربي العظيم ، وكان يجاهد في طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وُثِيَ به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجَّت به في السجن ، ولم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها .
- ٣ برقة : أحد الأقاليم اللبية حدثت به أهم الوقائع الحربية في تلك الإغارة ، وفيها لم يجد عزيز بك .

علي باشا أبو الفتوح*

ما بين دمي المسبل	عهد وبين ثرى علي
عهد البقيع وساكنه	هـ على الحيا المتبلل
والدمع مروحة الحزير	نـ وراحة المتمليل
نمضي ، ويلحق من سلا	في الغابرين بمن سلي
كم من ثراب بالدمو	ع على الزمان مبلل
كالقبر ما لم يبل فيه	هـ من العظام ، وما يلي
ريان من مجد يع	ز على القصور موئل
أمت جوائبه قرا	را للنجوم الأفل
وحدثهم مسك الند	ي ، وعبر في المحفل

* * *

قل للنعى : هتكت دم	ح الصابر المتجمل
الملتني الأحداث إن	نزلت كأن لم تنزل
حمل الأسى بأبي الفتو	ح علي ما لم أحمل
حتى ذهلت ، ومن يذق	فقد الأحبة يذهل
فعبث في ركن القضا	ع على القضاء المتزل
لهفي على ذاك الشبا	ب وذلك المستقبل

- * علي باشا أبو الفتوح : أحد نواب مصر الذين اشتركوا في تمهيد الطريق لنهضتها ، كان حقياً ضليعاً ، وأسست له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والأمل ، وقد توفي سنة ١٩١٣ ، فقد موته خسارة وطنية كبرى .
- ١ البقيع : أحد المزارات المقدسة في المدينة المنورة .

وعلى المعارف إذ خَلَتْ
وعلى شمائل كالرَّبَى
وحياء وجه كان يُؤْ
ثُر عن «يسوع» المرسل
من ركنها والموئل^١
بين الصبا والجدول

* * *

يا راوياً تحت الصفي
ومُسزِلاً حُللَ الوزا
ومُسداً حُفِرَ الثرى
إني التفتُ إلى الشبا
ووقفتُ ما بين المحقِّ
فرايت أياماً عَجِدَ
كانت مُوطَّاةً المِها
ذهبتُ كحلمٍ ، يند
إذ نحن في ظلِّ الشبا
جاران في دار النوى
أبكى وأبكك ضاحكا
والدرسُ يجمعني بأف
أيامَ تَبْدُلُ في سبي
عَصَّ الشباب ، فكيف كند
وإذا دعاكَ إلى الهوى
ولو اطلَّعتَ على الحيا
لم يَدْرِ إِلَّا اللهُ ما
حج من الكرى والجنبدل
رقبات غير مُسَرَّيل
بعد البناء الأطول
ب الغابر المتمثل
حق فيه ، والمتخيل
ن ، وليتها لم تُعْجَل
د لنا ، عذاب المنهل
أنَّ الحلم لم يتأول
ب الوارف التهذل
مُتَقَابِلانِ بِمَنْزِل
ن على خمائل موني
ضل طالبٍ ومُحْصَل
لي العلم ما لم يُبْدَل
ت عن الشباب بِمَعْزَل ؟
داعي الصبا لم تحفل
ق فعلت ما لم يُفْعَل
خَبَّاتُ لك الدنيا ، ولي

١ الموئل : الملجأ الذي يلجأ إليه في الشدة .

تَجْرِي بِنَا لِمُفْتَحَ بَيْنَ الْعُيُوبِ وَمُقْفَلِ
 حَتَّى تَبْدُلَنَا ، وَذَا كَ الْعَهْدُ لَمْ يَتَبَدَّلْ
 هَاتِيكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ بِِ الْحَسَنِ الْمُتَفَضَّلِ
 مَنْ فَاتَهُ ظِلُّ الشَّيْبِ جَةِ عَاشٍ غَيْرَ مُظَلَّلِ

* * *

يَا رَاحِلًا أَخْلَى الدِّبَا رَ وَفَضْلُهُ لَمْ يَرَحَلْ
 تَتَحَمَّلُ الْآمَالَ إِذْ رَ شَبَابُهُ الْمُتَحَمَّلُ^١
 مَشَتْ الشَّيْبَةُ جَحْفَلًا^٢ تَبْكِي لِوَاءِ الْجَحْفَلِ^٣
 فَانْظُرْ سَرِيرَكَ ، هَلْ جَرَى فَوْقَ الدَّمُوعِ الْهُطَلُ ؟
 اللَّهُ فِي وَطَنِ ضَعِيفِ خَفَ الرُّكْنَ ، وَاهِيَ الْعَقِلُ
 وَأَبِ وَرَاءَكَ حُزْنُهُ لِنَوَاكِ حُزْنُ الْمَثَلِ
 يَهَبُ الصَّبَاغَ الْعَامِرَا تِ لَمَنْ يَرُدُّ لَهُ «عَلِي»
 لَيْسَ الْغَنِيُّ مِنَ الْبَرِّ سَةِ غَيْرِ ذِي الْبَالِ الْخَلِي
 وَنَجِيبَةٍ بَيْنَ الْعَقَا ثِلْ هَمُّهَا لَا يَنْسَلِي^٤
 دَخَلَتْ مَنَازِلَهَا الْمَوِ نُ عَلَى الْجُرْيِ الْمُشْبِلِ
 كَسَرَتْ جَنَاحَ مُنْعَمٍ وَرَمَتْ فَوَادِ مُدَلِّلِ
 فَكَأَنَّ آلَكَ مِنْ شَجِ وَمُسْتَيْمٍ وَمُرْمَلِ
 آلُ «الْحُسَيْنِ» بِكَرْبَلَا فِي كُرْبَةٍ لَا تَنْجِي
 خَلَعَ الشَّبَابَ عَلَى الْقَنَا وَبَذَلَتْهُ لِلْمُفْضِلِ

١ الشباب المتحمل . أي الراحل .

٢ الجحفل : الجيش .

٣ لا ينسلي : أي لا يمضي ولا يبارح مكانه من قلبها .

٤ كربلاء : اسم الموضع الذي قتل فيه سيدنا الحسين رضي الله عنه .

والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ في مَقْتَل
فاذهب كما ذهبَ الحسيدُ -نُ إلى الجوارِ الأفضَل
فكلاكما زينُ الشبا بـ بجنةِ اللهِ العلي

جرجي زيدان*

ممالك الشرق ، أم أدراس أطلال
أصابها الدهر إلا في مآثرها
وصار ما نتغنى من محاسنها
إذا حقا الحق أرضاً هان جانبها
وإن تحكّم فيها الجهل أسلمها
نوايح الشرق ، هزّوه لعلّ به
إن تشخوا فيه من روح البيان، ومن
لا تجعلوا الدين باب الشر بينكم
ما الدين إلا تراث الناس قبلكم
ليس الغلو أميناً في مشورته
لا تطلبوا حكم بغيّاً ، ولا صلفاً
ولا يضيعن بالإهمال جانبها
كم همّة دفعت جيلاً ذراً شرف
والعلم في فضله ، أو في مفاخره
إذا مشّت أمة في العالمين به

وتلك دولته ، أم رسّمها البالي ؟
والدهر بالناس من حالٍ إلى حال
حديث ذي محنة عن صفوه الخالي
كانها غابة من غير رقبال
لفاتك من عوادي الذلّ قتال
من الليالي جمود البائس السّالي
حقيقة العلم ينهض بعد إعضال
ولا محلّ مباحة وإدلال
كلّ أمرئ لأبيه تابع تالي
مناهج الرشد قد تحفى على الغالي
ما أبعد الحق عن باغ ومُختال
قرب مصلحة ضاعت بإهمال
ونومة هدمت بُنيان أجيال
ركن الممالك ، صدر الدولة الخالي
أبى لها الله أن تمشي بأغلال

* الأستاذ الكبير المرحوم جرجي زيدان منشئ دار الهلال الغراء هو أحد مؤسسي النهضة الصحفية في البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والأدب ، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم وينتج بأرائهم ، وقد توفي سنة ١٩١٤ ، بعد أن ترك خلفه من التراث العلمي والأدبي ما يكفي لتسجيل اسمه في طليعة سجل المصلحين .

١ الأدراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفي أو الثوب الخلق .

يَقِلُّ للعلم عندَ العارفين به
 قِفْ على أهله ، واطلبْ جواهره
 فالعلم يفعل في الأرواح فاسدَه
 وُزِبَ صاحبِ دُرُسٍ لو وقفتَ به
 وتسبق الشمسَ في الأمصارِ حَكْمَتُه
 زيدانُ ، إني مع الدنيا كمهدك لي
 لي دَوْلَةُ الشعرِ دونَ العصرِ وائِلَةُ
 إنْ تَمْشِ للخيرِ أو للشرِ بي قدمُ
 وإنْ لَقِيتُ ابنَ أُنثى لي عليه يدُ
 وأشكر الصُّنْعَ في سِرِّي وفي علي
 وأنزك الغيبَ لله العليمِ به
 كأرغُنِ الذَّيْرَ إكثاري ومَوَقَعَه
 رَئِيتُ قبلك أحباباً فُجِعْتُ بِهِمْ
 وما عَلِمْتُ رَفيقاً غيرَ مُؤْتَمِنِ
 أرختُ بآلِكَ من دنيا بلا خُلُقِ
 طالت عليك عوادي الدهرِ في خَشِينِ
 لم نَأْتِه بأخٍ في العيشِ بعدَ أخٍ
 لا ينفعُ النفسَ فيه وهي حائرةُ
 ما تصنعُ اليومَ مِن خيرٍ تَجِدُه غداً
 قد أكمل اللهُ ذِيَاكَ الهلالَ لنا
 ولا يَزَلْ في نفوسِ القارئِ ، له

ما تقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال
 كناقِدٍ مُمعِنٍ في كَفِّ لآلِ
 ما ليس يفعل فيها طِبُّ دَجَّالِ
 رأيتَ شِبهَ عليمٍ بينَ جُهمالِ
 إلى كهولٍ ، وشَبَّانٍ ، وأطفالِ
 رَضَى الصديقُ ، مَقِيلُ الحاسدِ القالي
 مَفَاخِرِي حِكْمِي فيها وأمثالي
 أَشْمَرُ الدَّيْلَ ، أو أَعَثُّ بِأذْيَالِي
 جَحَدْتُ في جَنِّبِ فضلِ اللهِ أَفضالي
 إن الصنائعَ تزكو عند أُمثالي
 إن الغيوبَ صناديقُ بأقفالِ
 وكالأذانِ على الأسباعِ إقلايُ
 ورُحْتُ من فُرْقَةِ الأحبابِ يُرْنِي لي
 كالموتِ للمرءِ في حِلٍّ وترحالِ
 أليس في الموتِ أَقصى راحةِ البالِ ؟
 من الثَّرابِ مع الأيامِ مُهالِ
 إلَّا تركنا رُفَاتاً عندَ غِرْبَالِ
 إلَّا زكاةَ الثَّهْمِ ، والجَاوِ ، والمالِ
 الحَيْرُ والشرُّ مِثْقَالُ بِمِثْقَالِ
 فلا رَأَى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمالِ
 كرامةُ الصُّحُفِ الأولى على التالي

فيه الروائع من علم ، ومن أدب
وفيه همه نفس زانها خلق
علّمت كلّ نغم في الرجال به
ما كان من دول الإسلام مُنصرماً
نرى به القوم في عزّ وفي ضعة
وما عرّضت على الألباب فأكهة
وضعت خبير روايات الحياة ، فضع
وصف لنا كيف تجفو الروح هيكلها
وهل تحنّ إليه بعد فرقة
هضاب لبنان من مناعتك اضطربت
كذلك الأرض تبكي فقد عالمها

ومن وقائع أيام وأحوال
هما لباعي المعالي خير منوال
أنّ الحياة بآمال وأعمال
صوّزته ، كلّ أيام يتمثال
والملك ما بين إدار وإقبال
كالعلم تبرزه في أحسن القول
رواية الموت في أسلوبها العالي
ويستبدّ إلى بالهيكل الخالي
كما يحنّ إلى أوطانه الجالي
كان لبنان مرمي بزلزال
كالأم تبكي ذهاب النافع الغالي

شهداء العلم والغربة*

ألا في سبيلِ الله ذاكَ الدمُّ الغالي
وبعضُ المنايا هِمَّةٌ من ورائها
أَعْيَتِي ، جودا بالدموع على دمٍ
تناهَتْ به الأحداثُ من غُرْبَةِ التَّوَى
جَرى أَرْجَوانِيَا ، كَمَيْتًا ، مُشْعَشَعًا
ولاذَ بَقُضِيانِ الحَديدِ شَهِيدُهُ
سَلامٌ عليه في الحَيَاةِ ، وهامدًا
خَلِيلِي ، قُوما في رُبَى الغَربِ ، واسقيا
من النَّاعِمَاتِ الرَّاويَاتِ من الصَّبَا
نعاها لنا النَّاعي ، فَمَال على أَبٍ
طَوَى الغَربَ نَحْوَ الشَّرْقِ يَغْدُو سَلِيكُهُ
يُسِرُّ إلى النَّفْسِ الأَسَى غَيْرَ هَامِسٍ
سَمَاءُ الحِمَى بالشَّاطِئِينَ وأَرْضُهُ

وللمَجْدِ ما أَبْقَى من المَثَلِ العَالِي
حَيَاةٌ لَأَقْوامٍ ، ودُنْيَا لَأَجيالٍ
كَرِيمِ المُصَفَّى من شَبَابٍ وآمالٍ
إلى حَادِثٍ من غُرْبَةِ الدَّهْرِ قَتالٍ
بأَيضٍ من غَسَلِ المَلائِكِ سَلْسَالٍ
فَعَادَتْ رَفِيفًا من عَيونٍ وأَطْلالٍ
وفي العُصْرِ الخَالِي ، وفي العَالَمِ التَّالِي
رَيَّاحِينَ هَامٍ في التُّرابِ ، وأَوْصالٍ
ذَوْتَ بَيْنِ حِلٍّ في البِلادِ وتَرَحُّالٍ
هَلُوعٍ ، وأُمٌّ بالكَنَانَةِ مِشْكَالٍ
بِمُضْطَرَبٍ في البَرِّ والبحْرِ ، مِرْقَالٍ
ويُلْقِي على القَلْبِ الشَّجَى غَيْرَ قَوَالٍ
مَنَاحَةُ أَقْمَارٍ ، ومَأْتَمُ أَشْبالٍ

* * *

تُرى الرِّيحُ تَدْرِي : ما الَّذِي قد أعادَها بساطًا ، ولكن من حديدٍ وأثقال ؟

• شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقي العلم في جامعات أوروبا ، فاصطدم القطار الذي يقلهم من أرض إيطاليا ، فقتل أحد عشر طالباً وجيء بهم إلى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالاً رهيباً ، فاشتريت في جنازتهم جميع طوائف البلاد وما كان يزيد الهول في هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعلة بثورتها في سنة ١٩٢٠ .

١ الأرجواني : منسوب إلى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرة .

يُيْلُ من الفَتَيَانِ أَشْبَالَ غَابِ
كُتْنُ العَوَادِي دُونَ أَوْدِينَ ، فَانْثَى
قَدْ اعْتَقَا تَحْتَ الدِّخَانِ كَمَا التَّقَى
فَسَبْحَانَ مَنْ يَرْمِي الْحَدِيدَ وَأَسَسَهُ
وَمَنْ يَأْخُذُ السَّارِينَ بِالْفَجْرِ طَالِعاً
وَمَنْ يَجْعَلُ الْأَسْفَارَ لِلنَّاسِ هِمَّةً
عُدَاةً عَلَى الْأَخْطَارِ رُكَّابَ أَهْوَالِ
بَآخِرٍ مِنْ دَهْمِ الْمَقَادِيرِ ذَيَالِ^١
كَمَيَّانٍ فِي دَاجٍ مِنَ النِّقَمِ مُنْجَالِ
عَلَى نَاعِمِ غَضٍّ مِنَ الزَّهْرِ مِنْهَالِ
طُلُوعِ الْمَنَايَا مِنْ ثِيَّاتِ آجَالِ
إِلَى سَفَرٍ يَتَوَوَّنُهُ غَيْرُ قُقَالِ

* * *

فِيَا نَاقِلِيهِمْ ، لَوْ تَرَكْتُمْ رِفَائِهِمْ
وَيَنْ غَرِيْبَالِدِي وَكَافُورَ مَضْجَعُ
فَهَلْ عَطَفْتُمْ رَنَّةَ الْأَهْلِ وَالْحِمَى
لَنْ فَاتَ مِصْرًا أَنْ يَمُوتُوا بِأَرْضِهَا
وَمَا شَغَلْتُهُمْ عَنْ هَوَاهَا قِيَامَةً
حَمَلْتُمْ مِنَ الْغَرْبِ الشَّمْسَ لِمَشْرِقِ
عَوَاتِرٍ لَمْ تَبْلُغْ صِبَاهَا ، وَلَمْ تَنْلِ
يُطَافُ بِهِمْ نَعَشًا فَنَعَشًا ، كَأَنَّهُمْ
تَوَابَيْتُ فِي الْأَعْنَاقِ تَتْرَى زَكِيَّةً
مُلَفَّفَةً فِي حُلَّةٍ شَفَقِيَّةٍ
أَظْلَى جَلَالُ الْعِلْمِ وَالْمَوْتِ وَفَدَاهَا
أَقَامَ يَتِيمًا فِي حِرَاسَةِ لَّالِ
لِتُرَاعَ أَمْصَارٌ عَلَى الْحَقِّ نُزَالِ^٢
وَضَجَّةُ أَتْرَابٍ عَلَيْهِمْ وَأَمْثَالِ ؟
لَقَدْ ظَفَرُوا بِالْبَغْتِ مِنْ حُوبِهَا الْغَالِي
إِذَا اعْتَلَّ رَهْنُ الْحَبِيبِينَ بِأَشْغَالِ
تَلَقَّى سَنَاهَا مُظْلَمًا كَاسِفَ الْبَالِ
مَدَّاهَا ، وَلَمْ تُوَصِّلْ ضُحَاهَا بِأَصَالِ
مَصَاحِفُ لَمْ يَعْلُ الْمُصَلِّي عَلَى التَّالِي^٣
كِتَابُوتِ مُوسَى فِي مَنَاقِبِ إِسْرَالِ^٤
هَلَالِيَّةٍ مِنْ رَايَةِ النِّيلِ تِمْنَالِ
فَلَمْ تُلْقَ إِلَّا فِي خُشُوعٍ وَإِجْلَالِ

١ دهم : جمع أدهم ، وهو الأسود . وذبال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه .

٢ غريبالدي وكافور : بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية في إيطاليا .

٣ المصلي : هو الذي يبيء أول الخيل في السبق ، والتالي : هو الذي يبيء تالياً له .

٤ تابوت موسى : هو الذي وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وألقي في البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . وإسرال : أي إسرائيل .

تُحَارِقُ دَاراً مِنْ غُرُورٍ وَبَاطِلٍ
فِي حَلَبَةٍ رَفَّتْ عَلَى الْبَحْرِ حَلِيبُ
جَرَتْ بَيْنَ إِيْمَاضِ الْعَوَاصِمِ بِالضُّحَى
كَثِيرَةً بَاغِي السَّبْقِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
لَكَ اللَّهُ ؛ هَذَا الْخَطْبُ فِي الْوَهْمِ لَمْ يَقَعْ
بَلَى ، كُلُّ ذِي نَفْسٍ أَخُو الْمَوْتِ وَابْنُهُ
وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يَمُوتَ أَخُو الصَّبَا
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ مَشِيبٍ رَهِينُهُ
وَمَا الشَّيْبُ مِنْ خَيْلِ الْعُلَا ؛ فَارْكَبِ الصَّبَا
يَسْنُ الشَّبَابُ الْبَاسُ وَالْجُودُ لِلْفَتَى
وَيَا نَشِئاً النَّيْلِ الْكَرِيمِ ، عِزَاءَكُمْ
فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُرْدُّهُ
عَلَيْكُمْ لَوَاءُ الْعِلْمِ ؛ فَالْفَوْزُ تَحْتَهُ
إِذَا مَالَ صَفٌّ فَاخْلَفُوهُ بِآخِرِ
وَلَا يَصْلُحُ الْفِتْيَانُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ زَادٌ إِذَا مَا تَزَوَّدُوا
إِذَا جَزَعَ الْفِتْيَانُ فِي وَقَعِ حَدَثٍ
وَلَوْلَا مَعَانٍ فِي الْفِدَى لَمْ تُعَانِهِ
فَقُّوْا بِهَاتِيكَ الْمَصَارِعِ بَيْنَكُمْ
أَلَسْتُمْ بَنِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَكْبَرُوا
رُدِّدْتُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ جَدًّا ، وَرُبَّمَا

إِلَى مَتَزَلٍ مِنْ جَبَرَةِ الْحَقِّ مِخْلَالٍ
وَهَزَّتْ بِهَا حُلُوانُ أَعْطَافٍ مُخْتَالٍ
وَبَيْنَ ابْتِسَامِ الثَّغْرِ بِالْمُوكِبِ الْحَالِي
عَلَى عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ ذِي الطَّلُولِ وَالنَّالِ
وَتِلْكَ الْمَنَابِإُ لَمْ يَكُنْ عَلَى بَالٍ
وَإِنْ جَرَّ أَذْيَالُ الْحَدَاثَةِ وَالْحَالِ
وَلَكِنْ عَجِيبٌ عَيْشُهُ عَيْشَةُ السَّالِي
بِمُعْتَرِضٍ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مُغْتَالٍ
إِلَى الْمَجْدِ تَرْكَبُ مِثْنَ أَقْدَرِ جَوَالٍ
إِذَا الشَّيْبُ سَنَّ الْبَخْلَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ
وَلَا تَذْكُرُوا الْأَقْدَارَ إِلَّا بِإِجْمَالٍ
تَأْفَفُ قَالٍ ، أَوْ تَلَطَّفُ مُحْتَالٍ
وَلَيْسَ إِذَا الْأَعْلَامُ خَانَتْ بِخُدَّالٍ
وَصُولِ مَسَاعٍ ، لَا مَلُولٍ ، وَلَا آلٍ
وَلَا يَجْمَعُونَ الْأَمْرَ أَنْصَافِ جُهَالٍ
بَيَانًا جَزَافِ الْكِيلِ كَالْحَشَفِ الْبَالِي^١
فَمَنْ لَجَلِيلِ الْأَمْرِ أَوْ مُفْضِلِ الْحَالِ ؟
نُفُوسُ الْحَوَارِيِّينَ أَوْ مُهْجُ الْآلِ
تَرْنَمَ أَبْطَالٍ بِأَيَّامِ أَبْطَالٍ
عَلَى الضَّرْبَاتِ السَّبْعِ فِي الْأَبَدِ الْحَالِي^٢
رَجَعْتُمْ لَعَمْرُ فِي الْقَبَائِلِ أَوْ خَالٍ

١ الحشف البالي : القمر اليابس .

٢ الضربات السبع : يشير إلى نوازل سبأوية امتحن الله بها قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد زغلول بك*

آل زغلول ، حَسْبُكُمْ من عزاء
 في خِلَالِ الخطوبِ ما راع إلا
 حَمَل الرُّزْءِ عنكم في سعيد
 قد دهاهُ من فَقْدِهِ ما دهاكم
 فكما كان دُخْرُكم ومُنَاكم
 ليت من فَكٍّ أَسْرَكم لم يَكِلْهُ
 حَجَبَتْ من ربيعِهِ ما رَجَوْتُمْ
 آنَسَتْ صَحَّةً فَرَّتْ عَلَيْهَا
 إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَفَّى المر
 لست تدري الحِجَامُ بالغاب هل حا
 يا سعيدُ اتَّيَدُ ، وِرْفَقًا بشيخٍ
 ما كفاه نَوَائِبُ الحقِّ حتى
 فَجَأَ الدهرُ ، فاقْتَضَيْتُ القوافي
 قُمْ فشاهدْ لو اسْتَطَعْتَ قِيَامًا
 كان لي منك في المجامع راوٍ
 فطِنٌ للصَّحاح من لُؤْلُؤِ القو

سَنَةُ الموتِ في النَّبِيِّ وآلِهِ
 أنها دون صَبْرِكُمْ وَجَمَالِهِ
 بَلَدٌ شَيْخُكُمْ أَبُو أَحْمَالِهِ^١
 ويكُنَى ما بَكَيْتُمْ من خِلَالِهِ
 كان من دُخْرِهِ ومن آمَالِهِ
 لِلْمَنَابَا تَمُدُّهُ في اعْتِقَالِهِ
 وَطَوَتْ رَحْلَةَ الْعُلَا من هَلَالِهِ
 وَنَحَطَّتْ شَبَابَهُ لم تُبَالِهِ
 ، لا مِنْ شَبَابِهِ وَاكْتِهَالِهِ
 مَ عَلَى اللَّيْثِ ، أَمْ عَلَى أَشْبَالِهِ
 وَإِلَيْهِ مِنْ لَوَاعِجِ التُّكَلِّ وَالْهَالِهِ^٢
 زِدَتْ في هَمِّهِ وفي إِشْغَالِهِ
 مِنْ فُجَاءَاتِهِ وَخَطْفِ ارْتِجَالِهِ
 حَسْرَةَ الشَّعْرِ ، وَالتَّيَاعِ خِيَالِهِ
 عَجَزَ ابْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ أَمْثَالِهِ
 لِي ، وَأَدْرَى بَيْنَ مِنْ لَأَلِهِ

• تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقطعه الموت ، قضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متنبياً له .

١ شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا .

٢ الواله : الذي ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد .

لم يَكُنْ في غُلُوهِ ضيقُ الصَّد
 لا يُعَادِي ، وَيَتَّقِي أَنْ يُعَادِيَ
 فَاغْمِضْ فِي ذِمَّةِ الشَّبَابِ نَقِيًّا
 إِنَّ لِلْعَصْرِ وَالْحَيَاةِ لِلْوَمَاءِ
 صَانِكَ اللَّهُ مِنْ فُسَادِ زَمَانٍ
 سَيَقُولُونَ : مَا رِثَاهُ عَلَى الْفَضْلِ
 أَيُّهُمْ مَنْ أَتَى بِرَأْسِ كَلْبٍ
 لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا
 أَتَمَنَّى لِمَصْرٍ أَنْ يَجْرِيَ الْخَبْرُ
 لَسْتُ أَرْجُوهُ كَالرِّجَالِ لَصِيدٍ
 كَيْفَ أَرْجُو أَبَا سَعِيدٍ لَشَيْءٍ
 هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يَرُدَّ لِقَوْمِي
 وَأَنَا الْمَرْءُ لَمْ أَرِ الْحَقَّ إِلَّا
 رَبًّا حَرًّا صَنَعْتُ فِيهِ ثَنَاءً

ر ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ
 وَيُخْلِي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ
 طَاهِرًا مَا ثَنَيْتَ مِنْ أَذْيَالِهِ
 لَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مِنْ مَجَالِهِ
 دَنَسَ اللُّومُ مِنْ ثِيَابِ رِجَالِهِ
 ل ، وَلَكِنْ رِثَاهُ زُلْفَى لِحَالِهِ
 أَوْ شَقَى الْقَطَرُ مِنْ عِبَاءِ احْتِلَالِهِ ؟
 أَتَنِي مَا حَبِيتُ فِي إِجْلَالِهِ
 رُ لَهَا مِنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 مِنْ حَرَامِ انْتِخَابِهِمْ أَوْ حَلَالِهِ
 كَانَ يُقْضَى بِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ ؟
 أَمَرَهُمْ فِي حَقِيقَةِ اسْتِقْلَالِهِ
 كُنْتُ مِنْ حَزْبِهِ وَمِنْ عُمَالِهِ
 عَجَزَ النَّاحِتُونَ عَنْ تِمْنَالِهِ

أمين بك الراجعي*

مال أحبابه خليلاً خليلاً وتولّى اللداتُ إلا قليلاً
 فصلوا أمسٍ من عُبار الليالي ومضى وحده يَحْتُ الرحيل
 سكنت منهم الركابُ ، كأن لم تضطربُ سباعاً ولم تُنْضِ ميلاً
 جردوا من منازل الأرض إلا حجراً دارساً وزملاً مهيلاً
 وتعرّوا إلى البلى ، فكسناهم خُشنة اللحدِ والدُجى المسدولاً
 في يبابٍ من الثرى رَدّه المو تٌ نقياً من الحقود عَسيلاً
 طرّحوا عنه الموم ، وقالوا إن عِبة الحياة كان ثقيلاً
 إنما العالمُ الذي منه جئنا ملعبٌ لا يُتَوَّع التمثيل
 بطلُ الموتِ في الرواية ركنٌ بُنيتُ منه هيكلٌ وفصولاً
 كلُّ راح أو غدا الموتُ فيها سقط السُر بالدموع بليلاً

ذكرياتٌ من الأُحبة تُمحي بيدٍ للزمان تُمحو الطُّلولا
 كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ سوف يَمْشي البلى عليه مُحيلاً

• أمين بك الراجعي ، كان كاتباً سياسياً عظيماً ، وكان في الصحفيين السياسيين يعد مثلاً عالياً ،
 لطهارة الذمة ، ونبيل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله في تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذي
 يحتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد
 وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهداً في سبيل استقلال مصر حتى مات
 في سنة ١٩٢٦ .

١ يصف خروج الناس من الدنيا وليس في أيديهم من ممتلكاتها إلا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ،
 والتراب المهيل فوق قبورهم .

رُبُّ تُكَلِّرُ أَسَاكَ مِنْ قُرْحَةِ الثُّكْرِ ، وَرُزْءُ نَسَاكَ رُزْءُ جَلِيلَا

* * *

يَا بَنَاتِ الْقَرِيصِ ، قُمْنَ مَنَاحَا
مِنْ بَنَاتِ الْهَدِيلِ أَتُنَّ أَحْتَى
إِنْ دَمْعاً تَذْرِفْنَ إِثْرَ رِفَاقِي
رُبُّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا
بِمَرَاثِ كَتَبْنَ بِالْدمْعِ عَنَا
يَجِدُ الْقَاتِلُونَ فِيهَا الْمَعَانِي

تِ ، وَأَرْسِلْنَ لَوْعَةً وَعَوِيلَا
نَغْمَةً فِي الْأَسَى ، وَأَشْجَى هَدِيلَا
سَوْفَ يَتَكِي بِهِ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَا
لَوْ نُحِسُ الثَّوَابَ وَالتَّرْتِيلَا
أَسْطُرًا مِنْ جَوَى ، وَأُخْرَى غَلِيلَا
يَوْمَ لَا يَأْذَنُ إِلَيَّ أَنْ نَقُولَا

* * *

أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سَيْفَا
مِنْ سَيُوفِ الْجِهَادِ فُولَادُهُ الْحَا
لَمَسَتْهُ يَدُ السَّمَاءِ ، فَكَانَ الْدَا
وَأَبَاءُ الرِّجَالِ أَمْضَى مِنَ السَّيَا
رُبُّ قَلْبٍ أَصَارَهُ الْخُلُقُ ضِرْعَا
قِيلَ: حَلَلَهُ ، قُلْتُ: عِرْقٌ مِنَ الثُّدَى
لَمْ يَزِدْ فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا
لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَبَحَ الْفَقْدَ
جَاعَ حِينًا ، فَكَانَ كَاللَّيْثِ أَبِي
تَأْكُلُ الْهَرَّةُ الصَّغَارَ إِذَا جَا
قِيلَ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ ، قُلْتُ: هَبْوُهُ

خَالِدِي الْغَرَارِ ، عَضْبًا ، صَقِيلَا^١
قُ ، فَهَلْ كَانَ قَيْتُهُ جَبْرِيلَا^٢
بَرْقَ وَالرَّعْدَ خَفَقَةً وَصَلِيلَا
فَ عَلَى كَفِّ فَارِسٍ مَسْلُولَا
مَا ، وَصَدْرٍ أَصَارَهُ الْحَقُّ غِيلَا
حِرِّ أَرَاخَ الْبَيَانِ وَالتَّحْلِيلَا
لَمَحَّةً حَرَّةً ، وَصَبْرًا جَمِيلَا
حِرِّ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
مَا مُتْلَاقِهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلَا
عَتَ ، وَلَا تَأْكُلُ اللَّبَاءُ الشُّبُولَا
قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيَا أَصِيلَا

١ العصب : السيف ، والغرار : حد السيف .

٢ القين : هو الحداد الذي يصنع السيوف .

وقديماً بَنَى الغُلُو نُفوساً
 وكم استهَضَ الشيوخُ ، وأذكى
 وَمِنَ الرَّأْيِ ما يَكُونُ نِفَاقاً
 ومنَ النقدِ والجدالِ كلامٌ
 وأرى الصدقَ دِيناً لَسَلِيلِ الدِ
 عاشَ لم يَغْتَبِ الرجالُ ، ولم يَجْزِ
 قد فقدنا به بَقِيَّةَ رَهْطِ
 حَرَكُوهُ ، وكان بالأَمْسِ كالكمه
 يا أَمِينَ الحقوقِ ، أدَيْتَ حتَّى
 ولو اسطَغَتْ زِدَتْ مَصْرَ من
 لَسْتُ أَنسَاكَ قابِعاً بينَ دُرُجَتَيْ
 قد تواريتَ في الحُشُوعِ ، فخالو
 سائلُ الشعبِ عنكَ ، والعَلَمُ
 كم إمامٍ قَرُبَ في الصَفِّ مِنْهُ
 تُشِيدُ النَّاسَ في القَضِيَّةِ لَحْناً
 ماضياً في الجهادِ لم تَتَأَخَّرْ
 ما تبالي مَضِيَّتْ وَحَذَكَ تَحْمِي

* * *

إن يَفْتُ فَيْكَ مَبَرَّ الأَمْسِ شِعْري
 إن لي المنبرَ الذي لن يزولا
 جلَّ عن مُشِيدِ سِوَى الدهرِ يُلقِبِ
 على الغابرين جِلاً فجيلاً

١ الكهف : كاليث المنقور في الجبل .

٢ الشعب ، والعلم ، واللواء : أسماء صحف كان الفقيد يحررها مناصلاً فيها عن مبادئه .

الشيخ سلامه حجازي*

يا تَرَى النبل ، في نَواحيكَ طيِّرٌ
لم يَزَلْ يَتَزَلُّ الخِمالَ حتَّى
أَقعدَ الرُّوضَ في الحياة مَلِيًّا
يا لَواءَ الغناء في دَوَلَةِ الف
عَقريًّا كأنه زَنَبُ الخُلْد
أينَ مِنْ مَسَمَعِ الزمانِ أَغاد
أينَ صَوْتُ كأنه رَنَّةُ البلب
فيه من نَعْمَةِ المَزامير مَعْنَى
كلما رَنَّ في المسارح «إن كد
كِعتاب الحبيب في أذنِ الصِّدِّ
كيف إخواننا هناك على الكَوِّ
كيف في الخُلْد ضَرَبُ أَحمدَ بالعو

كان دنيا ، وكان فرحةً جيل
حلَّ في رَبَوَةٍ على سَلَسيل
وأقامَ الرُّبى بِسِحْرِ الهَدِيل
ن ، إليك انجَهِتُ بالإكليل
دِ على قَرَعِ السَّرِيِّ الأسيل
يُّ عليهنَّ رَوَعَةُ التَّمثيل ؟
ل في الناعم الوديفِ الظليل ؟
وعليه قَداسَةُ الترنيل
تُ» انشَى بالهُتافِ والتَّهليل
ب ، وهَمَسَ النديمَ حَولَ الشُّمول
ثُر بين الصُّبا وبينَ القبول ؟
د ، ونفخُ الأَمينِ في الأرغول ؟^٢

• بلغ الشيخ سلامة حجازي أعلى قمم المجد في فن الغناء والتمثيل في عصره ، وقد رؤي أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافاً عملياً . فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه إلى ضريح يتناسب وهذا التقدير . ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيداً للذكرى الفقيده ، وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة في شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

١ إن كنت ، يشير إلى أن الفقيده قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها :

إن كنت في الجيش أدعي صاحب العلم فلانني في هواكم صاحب الألم

٢ أحمد : اسم أحد المعاصرين ، اشتهر بضرب العود . وأمين : معاصر آخر اشتهر بالأرغول .

فَرَحُ كُلِّهِ النِّعَمُ وَعُورُسُ كَيْفَ عَثَانُ فِيهِ كَيْفَ الْحَمُولِي ١؟
فَهْنِيئًا لَكُمْ وَنِعْمَةً بِالِ اسْتَرَحْتُمْ مِنْ ظِلِّ كُلِّ ثَقِيلٍ
إِنَّمَا مَثَرُ رُفَائِكَ فِيهِ لَبَقَايَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ جَمِيلٍ
ذَبَلَتْ فِي ثَرَاهُ رِيحَانَةُ الْفَد وَجَعَتْ رِيحَانَةُ التَّمْثِيلِ

* * *

قَامَ يَجْزِي سَلَامَةً فِي ثَرَاهُ وَطَنُ الْجَزَاءِ غَيْرُ بَخِيلٍ
قَدْ يُوفِي الْبِنَاءَ وَالْغُرْسَ أَجْرًا وَيُكَافِي عَلَى الصَّنْعِ الْجَلِيلِ
مُحَسَّنٌ بِالْبَنِينَ فِي حَاضِرِ الْعَيْدِ شِ ، وَفِي سَالِفِ الزَّمَانِ الطَّوِيلِ
وَيُعِدُّ الصَّرِيحَ مِنْ مَرَمَرِ الْخُلْدِ دِ الْكَرِيمِ الْمَهْدَبِ الْمَصْقُولِ ٢
يَدْفَنُ الصَّالِحِينَ فِي وَرَقِ الْمُصَدِّ حَفِّ ، أَوْ فِي صَحَائِفِ الْإِنْجِيلِ

* * *

مَصْرُ فِي غِيَةِ الْمُشَابِعِ ، وَالْحَا سِدِّ ، وَالْحَاقِدِ اللَّثِيمِ الدَّلِيلِ
قَامَتْ الْيَوْمَ حَوْلَ ذِكْرَاكَ تَجْرِي وَطَنِيًّا مِنْ الطَّرَازِ الْقَلِيلِ
مِنْ رِجَالٍ بَتُّوا لِمَصْرٍ حَدِيثًا وَأَذَاعُوا مَحَاسِنًا لِلنَّيْلِ
هُمْ سَقَاةُ الْقُلُوبِ بِالْوُدِّ وَالصَّفِّ وَ ، وَهُمْ تَارَةً سَقَاةُ الْعُقُولِ
لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا فَتَى عَبْقَرِيٍّ لَيْسَ فِي الْمَجْدِ بِالدَّعْيِ الدَّخِيلِ

١ عثان : هو محمد عثان ، وكان من المثقنين الكبار .

٢ الصريح : هو البناء الذي اتفقت لجنة إحياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريمًا له .

أدهم باشا*

مُصابٌ بَيّ الدنيا عَظِيمٌ بأدهم
 أَنطقُ والأنباءُ تَتَرى بِطَبيبٍ
 أثبتُ بَغالٍ في الثَّناءِ مُنْصَدٍ
 عسى الشعرُ أن يَجْزِي جَريئاً ، لفقده
 وكم مِن شُجاعٍ في العِداةِ مُكْرَمٍ
 وهل نافعُ جَريِّ القَوافي لَغايةٍ
 رَمَتْ فَأَصابت خَيْرَ رَامٍ بها العِدى
 فَمَن كان سِيفَ المِهندِ في صَورةِ أَمرى
 لَحاهُ على الإقدامِ حُسَّادُ مَجدِهِ
 مُرْعِزُ أَجبالٍ ، وَغاشي مَعاقلٍ
 سلوا عنه مِبلونا وما في شِعباه
 لَيالي باتَ الدينُ في غير قَبْضَةٍ
 وقال أناسٌ : آخِرُ العَهدِ بالَملا
 فَأُطْلِعَ للإسلامِ والمُلُكِ كوكباً
 ورحنا بُهاً في الشرقِ والغربِ عِزَّةً
 مَفاخرُ للتاريخِ تُحْصى لأدهم

وأعظمُ منه حَيرةُ الشعرِ في فَمي
 وأسكْتُ والأنباءُ تَتَرى بِمُؤَلِّمٍ ؟
 فَمَن لي بَغالٍ في الرِّثاءِ مُنْظَمٍ ؟
 بِكى التُركُ والبِونانُ بالدمعِ والدمِ
 وكم مِن جَبانٍ في اللداتِ مُدْثَمٍ
 وقد فَتَكَتْ دُهمُ المَنايا بأدهم ؟
 وما السَّهمُ إلا للقضاءِ الحُثْمِ
 وكان فتي الفَتيانِ في مَسكِ ضِيعَمٍ
 وما خُلِقَ الإقبالُ إلا لِمُقَدِّمٍ
 وقائدُ جَرايٍ ، ومُزجِي عَرَمٍ
 وفي ذِروَتَيْهِ مِن نُسُورٍ وأعْظَمٍ
 وزُلْزَلٍ في إيمانِهِ كُلِّ مُسْلِمٍ
 وَهَمَّتْ ظُنُونُ بالثَّراثِ المُقَسَّمِ
 من النُصرِ في داجٍ من الشكِّ مُظْلِمٍ
 وكُنَّا حَدِيثَ الشامتِ المَترَحِّمِ
 وَمَن يُقْرِضِ التاريخَ يَرِيعُ وَيَغْنَمُ

* * *

* أدهم باشا : هو القائد التركي الذي اشتهر في الحروب العثمانية اليونانية .

١ دهم للمنايا : أي سود المنايا .

٢ العرمم : الجيش الكبير .

ألا أيها الساعون ، هل ليس الصفا
وهل أقبل الركبان يتعنون خالداً
وهل مسجداً تثلون فيه رثاءه ؟
وكان إذا خاض الأسنة والطبي
ومن يعط في هذي الدنية فسحة
علي أبو الزهراء داهية الوعي
فروق ، اضحكي وابكي فخاراً ولوعة
كأأم شهيد قد أتاها نعيه
وخطي له بين السلاطين مضجعاً
بخلت عليه في الحياة بموكب
وباداء ، ما أنصفت إذ رعت صدره
ويأياها الماشون حول سريريه
ويا مصر ، من شيعت أعلى همامة
ويا قوم ، هذا من يقام لمثله
ويا بحر ، تدري قدر من أنت حامل ؟

سواداً ، وقد عص الورود بزمر ؟
إلى كل رام بالجبار ومخرم ؟
فكم قد تلوئم مدحه بالترنم !
تنحت إلى أن يعبر الفارس الكمي
يعمر وإن لاقى الحروب ويسلم
دهاء بياب الدار سيف ابن ملجم
وقومي إلى نعش الفقيد المعظم
فخفت له بين البكا والتبسّم
وقبراً يجنب الفانح المتقدم
فتوي إليه في الممات بمأتم
وقد كان فيه الملك إن ريع يحتمي
أحطتم بتاريخ فصيح التكلم
وأثبت قلباً من رواسي المقطم
مثال لباعي قدوة متعلم
ويا أرض ، صونيه ، وباربي ، أرحم

عثمان باشا الغازي*

هالةٌ للهِلالِ فيها اعتصامُ
دخلتها عليكِ عثمانُ في السد
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا
فبرغمِ المُشيرِ أن يتولَّى
ويُدِّ المَلِكُ تستجيرُ يَدَيْهِ
وبنوه يرجونه وهُمُ الجُنْدُ
مثلثهم صِفائهُ للبرايا
بطلَ الشرقِ ، قد بكتك المعالي
خَذَلَ المَلِكُ زندهُ يومَ أودَيْدِ
ودَهَى الدينَ والخِلافةَ أمرُ
علمُ العصرِ والممالكِ وَلَّى
سَلِّ بلفنا : أكنَتِ ثُنُوكُ فيها
خِجَمِ الروسِ حولَ حِصْنِكَ ، لكن
وأحاطت بعزمك الجُنْدُ ، لكن
كلما جَرَدَ المُحاصِرُ سيفاً
وإذا كانت العقولُ كِبَاراً
وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم
فخرجتم إلى العِدا لم تُبالوا

كيف حامتِ حِيالُها الأيامُ ؟
سم ، وقد كنتِ في الوَعَى لا تُرام
صَعَبَتْهُ لأهلِها الأحلام
والخطوبُ المُرَوَّعاتُ جِسام
والسرايا تدعوه ، والأعلام
لُدُ ، وهم قادةُ الجنودِ العظام
رُبُّ فردٍ سادت به أقوام
ورثاك الوليُّ والأخصام
سَتْ ، وأهوى من راحتيهِ الحُسام
فادحٌ ، رائعٌ ، جليلٌ ، جُسام
وقليلٌ أمثالهُ الأعلام
ولو أن المحاصِرِينَ الأنام
أين مِنْ هامةِ السَّكِّ الخيام ؟
عزمتك الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام
قطعَ السيفَ رأيتُكَ الصَّمصام
سَلِمَتْ في المَضابِقِ الأجسام
وَبَنالَ الطَّوى ، ويُعطَى الأوامُ
ما لَأَسَدٍ على سُنُوبِ مُقام

* هو قائد تركي كبير ، اشتهر في الحروب العثمانية الروسية .

تُخْرَقُونَ الْجَبُوشَ جَيْشاً فَجَيْشاً
وَالْمَنَایَا مَحِيطَةً ، وَجُصُونُ الرُّ
وَلِنَارِ الْعَدُوِّ فَبِكُمْ قُعُودٌ
جُرْحُ اللَّيْثِ يَوْمُ ذَاكَ ، فَخَانَ الـ
مَا دَفَعْتَ الْحُسَامَ عَجْراً ، وَلَكِنْ
فَأَعَادُوهُ خَيْرَ شَيْءٍ أَعَادُوا
فَتَقَلَّدْتَهُ وَكُنْتَ خَلِيقاً
مَا لَهَا عَوْدَةٌ ، وَلَا لَكَ رَدٌّ
إِنَّمَا الْمَلِكُ صَارُمٌ وَبِرَاعٌ
وَنِظَامُ الْأُمُورِ عَقْلٌ وَعَدْلٌ
وَعَجِيبٌ خُلِقْتَ لِلْحَرْبِ لُبّاً
فَهِيَ فِي رَأْيِكَ الْقَوِيمِ خَلَالٌ
لَكَ سَيْفٌ إِلَى الْيَتَامَى بَغِضٌ
مُسْتَبْدٌ عَلَى قَوِيٍّ ، حَلِيمٌ

مِثْلًا يَخْرُقُ الْخَوَاءَ الْغَمَامَ
وَسِ تَحْمِي الطَّرِيقَ وَالْأَلْغَامَ
وَلَسَيْفِ الْعَدُوِّ فَبِكُمْ قِيَامَ
حَشَشَ قَلْبٌ ، وَزُلْزَلَتْ أَقْدَامُ
عَجَزَتْ ضَيَّعَ الْحُرُوبِ الْكِلامَ
وَكَذَا يَعْرِفُ الْكِرَامَ الْكِرَامَ
سَلَبْتُنَا كِلَابِكُمَا الْأَيَّامَ
نِمْتَ عَنْهَا ، وَمَنْ تَرَكْتَ نِيَامَ
فَإِذَا فَارَقَاهُ سَادَ الطُّغَامَ
فَإِذَا وَلِيّاً تَوَلَّى النِّظَامَ
وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامَ
وَهِيَ فِي قَلْبِكَ الرَّحِيمِ حَرَامَ
وَحَنَانٌ يُحِبُّهُ الْإِيْتَامَ
عَنْ ضَعِيفٍ ، وَهَكَذَا الْإِسْلَامَ

بطرس باشا غالي*

قبر الوزير ، نحيبةً وسلاماً
ومحاسنُ الأخلاقِ فيك تغيّبتُ
قد كنتِ صومعةً فصرتِ كنيسةً
والقومُ حَوْلَكَ يا بنِ غالي خُشَعُ
يسعونُ بالأبصارِ نحوَ سِريره
يكونُ مؤلّهم ، وكهفَ رجائهم
مُتسابقين إلى ثراك ، كأنهم
ودّوا عِدَاةً نُقِلَتْ بينَ عُيونهم
ماذا لقيتَ من الرّياساتِ العُلا
اليوم يُغني عنك لَوْعَةُ بانسٍ
والرأيُ للتاريخِ فيك ، ففي غدٍ
يَقْضي عليهم في البريّة ، أو لهم
أنتَ الحكيمُ ، فلا تُرْعَكَ مِنِّيَّةُ
إنّ الذي خلقَ الحياةَ وضدّها
قد عِشْتَ مُحدِثُ للنصارى أُلْفَةً
واليومَ فوقَ مَشِيدِ قبرِكَ مَيَّاتُ
الحقِّ أبلجُ كالصُّباحِ لِناظِرٍ

الحلمُ والمعروفُ فيكَ أَقاماً
عاماً ، وسوف تَغيبُ الأعوامُ
في ظلّها صُلّي المُطيفُ وضاماً
يقضونَ حقّاً واجباً وذيماً
كالأرضِ تُشْئِدُ في السماءِ عَماماً
والأرضيحي المفضلُ المِقْدَامُ
ناديكِ في عِزِّ الحياةِ زحاماً
لو كان ذلكَ مُحشراً وقياماً
وأخذتَ من نِعَمِ الحياةِ جِساماً ؟
وعزاءُ أرملةٍ ، وحُزنُ يتامى
يَزِنُ الرجالَ ، ويتطوَّقُ الأحكامُ
ويُديمُ حَمداً ، أو يُؤيِّدُ ذاماً
أعلِمتِ حيّاً غيرَ رِفْدِكَ داما
جَعَلَ البقاءَ لِوَجْهِهِ إِكراماً
وُجِدُ بينَ المسلمين وثاماً
وَجَدَ المَوْفُوقُ للمقالِ مَقاماً
لو أنّ قوماً حَكَمُوا الأحلاماً

* بطرس باشا غالي ، كان رئيس الوزارة المصرية في أيام حكم الخديوي عباس الثاني ، وقد اغتاله إبراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية .

أَعَهْدَتُنَا وَالْقَبْطَ إِلَّا أُمَّةً
نُعَلِّي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ
الَّذِينَ لِلدِّيَّانِ جَلٌّ جَلَالُهُ
يَا قَوْمُ، بَانَ الرُّشْدُ فَاقْصُوا مَا جَرَى
هَذَا رَبُّوعُكُمْ ، وَتِلْكَ رَبُّوعُنَا
هَذَا قُبُورُكُمْ ، وَتِلْكَ قُبُورُنَا
فَبِحَرَمَةِ الْمَوْتَى ، وَوَجِبِ حَقِّهِمْ

لِلأَرْضِ وَاحِدَةً تَرُومُ مَرَامًا ؟
وَيُوقَرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا
وَحُدُوا الْحَقِيقَةَ ، وَانْبَذُوا الْأَوْهَامَا
مُتَقَابِلِينَ نَعَالِجِ الْأَيَامَا
مُتَجَاوِرِينَ جَمَاجِمَا وَعِظَامَا
عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كِرَامَا

يبكي والدته*

إلى الله أشكومين عَوَادِي النَّوَى سَهَا
من الهاتِكَاتِ القلبَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
تَوَارَدَ والتَّاعِي ، فَأَوْجَسْتُ رَنَةً
فما هَتَفًا حتى نَزَا الجنبُ وانزَوَى
طَوَى الشرقَ نحوَ الغربِ ، والماءَ للثَّرَى
أَبَانَ ولم يَبْسُ ، وأَدَى ولم يَفُ
إذا طُوِيَتْ بالشُّهْبِ والدُّهْمِ شُقَّةٌ
ولم أَرِ كالأحداثِ سَهْمًا إذا جَرَتْ
ولم أَرِ حُكْمًا كالمقاديرِ نافذًا
إلى حيثُ آبَاءُ الْفَتَى يَذْهَبُ الْفَتَى
وما العيشُ إلا الجِسْمُ في ظِلِّ رُوحِهِ
ولا خَلَدٌ حتى تَمَلَأَ الدَّهْرُ حِكْمَةً

أَصَابَ سُوَيْدَاءَ الْفَوَادِ وما أَضْمَى
وما دَخَلَتْ لَحْمًا ، ولا لَامَسَتْ عَظْمًا
كَلَامًا على سَمْعِي ، وفي كَبْدي كَلْمًا
فيا وَنِيعَ جَنْبِي إكْمِ سَيْلُ؟ وكم يَدْمَى
إِلَيَّ ، ولم يَرْكَبْ بِسَاطًا ولا يَمًا
وأذْمَى وما دَاوَى ، وأَوْهَى وما رَمًا
طَوَى الشُّهْبِ أَوْ جَابَ الْعُدَايَةَ الدُّهْمَا
ولا كَاللِّبَالِي رَامِيًا يُبْعِدُ الْمَرَمَى
ولا كَلْقَاءَ الْمَوْتِ مِنْ بَيْنِهَا حَتْمًا
سَبِيلُ يَدِينُ الْعَالَمُونَ بها قِدْمًا
ولا الْمَوْتَ إِلَّا الرُّوحُ فَارَقَتْ الْجِسْمَا
على نَزْلَاءِ الدَّهْرِ بَعْدَكَ أَوْ عَلِمَا

* * *

زَجَرْتُ تُصَارِيفَ الزَّمَانِ ، فما يَقَعُ
لِي اليَوْمَ منها كان بِالْأَمْسِ لِي وَهْمَا

نظم أمير الشعراء هذه المراثية الرائعة ، على أثر إعلان الهدنة ، وهو في منفاه في الأندلس سنة ١٩١٨ ، إذ كان يعطل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفي مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث إلَى نفسه بهذا الأمل المرموق ، حتى وافته البرق بنعيها ، فأثر هذا المصاب الجسيم في نفسه تأثيراً بالغاً ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المراثية ، وقد قيل أنه من فرط تأثره بها تخاشى أن ينظر إليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة ، حتى نشرت في الصحف غداة وفاته رحمه الله .

وقدّرتُ للنعمانِ يوماً وضيدهُ
شربتُ الأسي مصروفةً لو تعرضتُ
فأُترغ ونلوتُ يا زمانُ ؛ فإنما
تخلتُ ، حتى ما أبالي : أدّرتَ لي
لك الله مِنْ مَطْعُونَةٍ بَقْنَا الثَّوِي
مُدْلَهَةٌ أَزكى مِنَ النَّارِ زَفَرَةٌ
سقاها بِشيري وهي تَبكي صَبَابَةٌ
أَسَتْ جُرْحَهَا الْأَنْبَاءُ غَيْرَ رَفِيقَةٍ
تَغَارُ عَلَى الْحُمَى الْفَضَائِلُ وَالْعَلَا
أَكَانَتْ تَمَّأَهَا وَتَهْوَى لِقَاءَهَا
أَلَمَتْ عَلَيْهَا ، وَائْتَتْ ثَمَرَاتِهَا
فِيَا حَسْرَتَا أَلَا تَرَاهِمَ أَهْلَةً
رِياحينُ فِي أَنْفِ الرِّوْلي ، وما لها
وَأَلَا يَطُوفُوا خُشْعًا حَوْلَ نَعشِهَا
حَلَفْتُ بِمَا أَسَلَفْتُ فِي الْمَهْدِ مِنْ يَدٍ
وَقَبْرِ مَنُوطٍ بِالْجَلالِ مُقَلِّدٍ
وَبِالْغَادِيَاتِ السَّاقِيَاتِ نَزِيلُهُ
لَمَّا كَانَ لِي فِي الْحَرْبِ رَأْيٌ وَلَا هَوَى

فما اغترتِ البُوسَى ، ولا غرتِ التَّعْمَى^١
بأنفاسِها بالفمِّ لم يستَفِقْ عَمًّا
نَدِيمُكَ سَقْرَاطُ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمًّا^٢
بِكأسِكَ نَجْمًا ، أم أدّرتَ بهارِجًا ؟
شَهِيدَةٌ حَرْبٍ لَمْ تُعَارِفْ لها إِنما
وَأُتْرُو مِنْ دَمْعِ الْحَيَا عِبْرَةٌ سَخًا
فَلَمْ يَقُوْ مَغْنَاهَا عَلَى صَوْبِهِ رَسْمًا
وَكَمْ نازِعٍ سَهْمًا فَكَانَ هُوَ السَّهْمَا !
لِمَا قَبِلْتَ مِنْهَا ، وَمَا ضَمَّتِ الْحُمَى !
إِذَا هِيَ سَمَّاهَا بِذِي الْأَرْضِ مَنْ سَمَى ؟
فَلَمَّا وَقُوا الْأَسْوَاءَ لَمْ تَرَهَا ذَمًّا
إِذَا أَقْصَرَ الْبَدْرُ التَّامُ مَضَوْا قُدَمًا !
عَدُوٌّ تَرَاهِمَ فِي مَعَاطِسِهِ رَغْبًا
وَلَا يُشْبِعُوا الرِّكْنَ اسْتِلاَمًا وَلَا لَثَمًا
وَأُولَيْتِ جُئْمَانِي مِنَ المِئَةِ الْعُظْمَى
تَلِيدَ الْخِلَالِ الْكَثْرَ ، وَالطَّارِفَ الْجَمًّا^٣
مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْآيِ وَالْأَسْمَا
وَلَا رُمْتُ هَذَا التَّكَلَّ لِلنَّاسِ وَالْيَتِيْمَا

١ كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه أحد إلا قتله ، ويوم نعمى لا يسأل فيه إلا أعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب ، ويرجع في هذا إلى الكتب الأدبية المطولة من شاء .

٢ سقراط : إمام الفلاسفة المتشفيين ، حكم عليه بالإعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض أن يفر مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار .

٣ التليد : القديم . والطارف : الجديد .

ولم يك ظلم الطير بالرق لي رضا
ولم آل شبن البرية رقة
وكنت على نهج من الرأي واضح
وما الحكم إلا أولي البأس دولة

فكيف رضائي أن يرى البشر الظلم؟
كان ثمار القلب من ولدي ثما
أرى الناس صنفين : الذئاب أو البهائم
ولا العدل إلا حائط ينصم الحكماء

* * *

زلت ربي الدنيا ، وجأت عذنها
أريج أريج المسك في عرصاتها
إذا ضحك زهواً إلي سماها
أطيف برسم ، أو ألم بدمعة
فما برحت من خاطري مصر ساعة
إذا جئت الليل أهرزت إليك
فلما بدا للناس صبح من المني
وقرت سيوف الهند ، وارتكز القنا
وحتت نواقيس ، ورتت مآذن
أتى الدهر من دون الهناء ، ولم يزل
إذا جال في الأعياد حل نظامها
لئن فاته ما أمّته من مواكب
رئت به ذات التي ونظمته

فما وجدت نفسي لأنها طما
وإن لم أرح مروان فيها ولا لحنها
بكت الندى في الأرض والبأس والحزما
أخال القصور الزهر والعرف الشما
ولا أنت في ذي الدار زائلت لي همما
فجئنا إلى سندی ، وجئنا إلى سلمى^١
وأبصر فيه ذو البصرة والأعمى
وأقلت البلوى ، وأفشت العشى
ورقت وجوه الأرض تستقبل السلى
ولوعاً بيثان الرجاء إذا ثما !
أو العرس أبلى في معاله هذما
فدونك هذا الحشد والموكب الضخما !
لعنصره الأركى وجوهه الأسمى

١ مروان ولخم : قبيلتان عريتان ، وهما من القبائل التي تولت السيادة في بلاد الأندلس زماناً .

٢ الجح بضم الجيم وكسرهما : طائفة من الليل .

نَمُثُّكَ مَنَاجِبُ الْعُلَا وَنَمِثِّيْهَا	فَلَمْ تُلْحَقِيْ بَتًّا وَلَمْ تُسَبِّحِيْ أُمَّا
وَكُنْتِ إِذَا هَذِي السَّمَاءُ تَحَايَلَتْ	تَوَاضَعَتْ ، لَكِنْ بَعْدَ مَا قُتِّمَتْ نَجَا
أُثْبِتِ بِهِ لَمْ يَنْظَمْ الشُّعْرَ مِثْلُهُ	وَجِئْتِ لِأَخْلَاقِ الْكَرَامِ بِهِ نَظْمًا
وَلَوْ نَهَضَتْ عَنْهُ السَّمَاءُ ، وَخُحِّضَتْ	بِهِ الْأَرْضُ كَانَ الْمَزْنُ وَالتَّبَرُّ وَالْكَرْمُ ١

١ يريد أنه يشبه المزن في الكرم ، والتبر في العرق والنفاسة ، والكرم في السكر الذي يسكر الناس به من شعره .

الملك حسين*

لك في الأرض والسماء مآتم قام فيها أبو الملائك هاشم^١
 قعد الآل للعرء ، وقامت باقيات على الحسين الفواطم^٢

* * *

يا أبا العليّ البهاليل ، سلّ آ باءك الزهر: هل من الموتِ عاصم؟
 المنايا نوازلُ الشّعْرِ الأبّ بيضٍ ، جاراتُ كلِّ أسودٍ فاحم^٣
 ما الليالي إلا قصارٌ ، ولا الدُورُ يا سيّو ما رأيت أحلام نائم
 انجسارُ الشّفاهِ عن سنٍّ جدلا ن وراء الكرى إلى سنٍّ نادِم
 سنةً أفرجتْ ، وأخرى أساءتْ لم يَدُم في النعيم والكربِ حالم

* * *

المناحاتُ في ممالكِ أبنا ثلكَ بدريّةُ العزاءِ قوائمُ
 تلكَ بغدادُ في الدموعِ ، وعمّا ن وراء السّوادِ ، والشامُ واجم
 والحجازُ النبيلُ ربّعٌ مُصلٌّ من رُبوعِ الهدى ، وآخرُ صائمُ

- هو ملك الحجاز الحسين بن علي ، زعيم الحركة العربية في طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك ، وقد توفي سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .
- ١ أبو الملائك : أي أبو الملوك . وهاشم هو أحد جدود النبي صلوات الله عليه .
- ٢ الآل : آل البيت النبوي الشريف ، والمقصود هنا رجاله . والفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج الإمام علي كرم الله وجهه .
- ٣ يقول : ان المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن .
- ٤ يشبه الحزن على الفقيده بالحزن على صرعى بدر ، أولى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٥ الحجاز النبيل : يقصد الحجاز الذي بقي محافظاً على عهده للفقيده .

واشتركتنا ، فمِصْرُ عَثْرَى ، ولَبِنَا نُ سَكُوبُ العيونِ باكي الحمام

* * *

قُمْ تَأْمَلْ بَنِيكَ فِي الشَّرْقِ زَيْنُ الدِّ
الزَّكِيُونَ عُنُصْرًا مِثْلَ إِبْرَا
وَعَلَيْهِمْ إِذَا الْعَيُونُ رَمَتْهُمْ
قَدْ بَنَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ فَهَوَ بَاقٍ
دَبَّرُوا الْمَلِكَ فِي الْعِرَاقِ وَفِي الشَّامِ
أَمِينَ النَّاسِ فِي ذُرَاهِمَ ، وَطَابَتْ
وَبَنَوْا دَوْلَةً وَرَاءَ فِلَسْطِ
سَاسَهَا بِالْأَنَاقَةِ أَرْوَعُ كَالدَّاءِ
قُبْرُصٌ كَانَتْ الْحَبِيدَ ، وَقَدْ تَدَّ
كَرَّةَ الدَّهْرِ أَنْ يَقُومَ لَوَاءُ

سَاجِرَ ، مِلْءُ السَّرِيرِ ، نُورُ الْعَوَاصِمِ
هَيْمَ ، وَالطَّيِّبُونَ مِثْلَ الْقَاسِمِ
عَوْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ وَتَمَامِ
مَا بَنَى اللَّهُ مَا لَهُ مِنْ هَادِمِ
مَ ، فَسَبَّوْا الْهَدَى ، وَرَدُّوا الْمَظَالِمَ
عَرَبُ الْأَرْضِ تَحْتَهُمُ وَالْأَعَاجِمِ
بَيْنَ ، كَعَابَ الْهَدَى ، فَتَاةَ الْعَزَائِمِ
خَلَّ ، مَاضِي الْجَنَانِ يَقْظَانُ ، حَازِمِ
نَزَلَ قُضْبَانُهُ الْيُوثُ الصَّرَاغِمِ
تُحْشَرُ الْيَدُ تَحْتَهُ وَالْعَامِمِ

* * *

قُمْ تَحَدِّثْ أَبَا هَمَلِيٍّ إِلَيْنَا
لَمْ تُبَالِ الثُّيُوبَ فِي الْهَامِ خُشْنًا
هَاتِ حَدِيثَ عَنِ الْعَوَانِ وَصِفْهَا
كُلْنَا وَارِدُ السَّرَابِ ، وَكُلُّ
قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حَظًّا

كَيْفَ غَامَرْتَ فِي جِوَارِ الْأَرَاقِمِ ؟
وَتَعَلَّقْتَ بِالْخَوَاشِيِ التَّوَاغِمِ
لَا تُرْعَ فِي التَّرَابِ ، مَا أَنَا لِأَنْمِ !
حَمَلٌ فِي وَلِيمَةِ الذَّنْبِ طَاعِمِ
وَوَرَدْنَا الْوَعَى ، فَكُنَّا الْغَنَامِ

* * *

- ١ إبراهيم والقاسم : هما من أولاد النبي صلوات الله عليه .
- ٢ قبرص : جزيرة في البحر الأبيض المتوسط ، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعدما اعتزل الملك .
- ٣ كلنا في وليمة الذنب طاعم : يريد كلنا مطعوم مأكول لهذا الذنب .

قَدْ بَعَثْتَ الْقَضِيَّةَ الْيَوْمَ مَيِّتًا
 أَنْتَ كَالْحَقِّ أَلْفَ النَّاسِ يَقْظَا
 إِنَّمَا الْمَهْمَةُ الْبَعِيدَةُ عَرَسٌ
 رَبَّمَا غَابَ عَنْ يَدِ عَرَسَتِهِ
 حَبْدًا مَوْقِفٌ غُلِبَتْ عَلَيْهِ
 ذَاتِدًا عَنْ مَمَالِكٍ وَشُعُوبٍ
 كُلُّ مَاءٍ لَهْمٌ ، وَكُلُّ سَمَاءٍ
 لَيْمٌ لَمْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْمَهْمَةِ الشَّدِّ
 وَرَكُوبِ اللَّجَاجِ وَهِيَ طَوَاغِرُ
 وَإِلَى الْقُطْبِ وَالْجَلِيدِ عَلَيْهِ
 اغْسِلُوهُ بِطَيِّبٍ مِنْ وَضُوءِ الرُّسَدِ
 وَخُذُوا مِنْ وَسَادِهِمْ فِي الْمُصَلَّى
 وَاسْتَعْبِرُوا لِئَعْنِيهِ مِنْ ذَرَى الْمُنَدِ
 وَاحْمِلُوهُ عَلَى الْبُرَاقِ إِنْ اسْتَطَعُوا
 وَأَدْبِرُوا إِلَى الْعَتِيقِ حُسَيْنًا
 وَاذْكُرُوا لِلْأَمِيرِ مَكَّةَ ، وَالْقَصْدِ
 ظَمَى الْحُرَّ لِلدِّيَارِ ، وَإِنْ كَا
 رَبُّ عَظِيمٍ أَتَى الْأُمُورَ الْعَظَامِ
 نَ ، وَزَادَ اثْتِلَافَهُمْ وَهَوَ نَائِمِ
 مُتَأَنِّي الْجَنَى ، بَطِيءُ الْكَثَامِ
 وَحَوَّثُهُ عَلَى الْمَدَى يَدُ قَادِمِ
 لَمْ يَقِفْهُ لِلْعُرْبِ قَبْلَكَ خَادِمِ
 نُقِلْتُ فِي الْأَكْفِ نَقْلَ الدِّرَاحِمِ
 مَوْطِيءُ اخْيَلٍ ، أَوْ مَطَارُ الْقَشَاحِمِ
 حَمَاءُ وَالْعِلْمِ وَالْعَطَمَاحِ الْمُرَاحِمِ ؟
 وَالسَّمَوَاتِ وَهِيَ هُوجُ الشَّكَاكِمِ ؟
 وَالصَّحَارَى وَمَا بَهَا مِنْ سَمَائِمِ ؟
 لِي ، كَالْوَرْدِ فِي رُبَاهِ الْبَوَاسِمِ
 رُقْعَةٌ كَفَّنُوا بِهَا فِرْعَ هَاشِمِ
 حِرٌّ عَوْدًا ، وَمِنْ شَرِيفِ الْقَوَائِمِ
 حُثْمٌ ؛ فَقَدْ جَلَّ عَنْ ظُهُورِ الرُّوَاسِمِ
 يَتَّهَلُّ رُكْنُهُ ، وَتَدْعُو الدَّعَائِمُ
 رَ ، وَعَهْدَ الصَّفَا ، وَطَيْبَ الْمَوَاسِمِ
 نَ عَلَى مَهْلٍ مِنَ الْخُلْدِ دَائِمِ

* * *

قَلُّوا النِّعَشَ سَاعَةً فِي رُبَا الْفَتَى ح ، وَطُوفُوا بِرَبِّهِ فِي الْمَعَالِمِ

١ القشاعم : النسور ، جمع قشع . ويريد « بالنسور » الطيارين الذين يشبهون النسور .

٢ السامم : جمع سموم ، وهي الريح الحارة المحرقة .

٣ الرواسم : الإبل ، أو الخيل ، أو الركائب .

٤ العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيـد .

وقفوا ساعةً به في ثرى الأقد
وادفينوه في القدس بين سلّيمان
إنما القدس منزلُ الوحي ، معنى
كُفِّتْ بالغيوب ، فالأرضُ أمّنا
وتحلّتْ من البراقِ بطُغرا
حار من قومه وثرب الغمائم
ن داودَ والملوكِ الأكارم
كلُّ حَبِيرٍ من الأوائلِ عالم
رُمدى الدَّهرِ ، والسماءُ طَلاسم
، ومن حافرِ البراقِ بخاتم

يرثي أباه*

سألوني : لِمَ لَمْ أَرِثِ أَبِي ؟ ورثاء الأبِ دَيْنٌ أَيُّ دَيْنٍ
أَيُّهَا اللُّوَامُ ، مَا أَظْلَمَكُمْ ! أَيْنَ لِي الْعَقْلُ الَّذِي يُسَعِدُ أَيْنَ ؟
يَا أَبِي ، مَا أَنْتَ فِي ذَا أَوَّلٍ كُلُّ نَفْسٍ لِلْمَنَايَا فَرَضُ عَيْنٍ
هَلَكْتَ قَبْلَكَ نَاسٌ وَقَرَى وَنَعَى النَّاعُونَ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^١
غَايَةُ الْمَرُءِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى آخِذٌ بِأَخْذِهِ بِالْأَصْغَرَيْنِ
وَطَبِيبٌ يَتَوَلَّى عَاجِزاً نَافِضاً مِنْ طَبِّهِ خُفْيَ حُتَيْنٍ
إِنَّ لِلْمَوْتِ يَدَا إِنْ ضَرَبَتْ أَوْشَكَتْ تَصْدُوعُ شَمَلِ الْفَرْقَدَيْنِ
تَنْفُذُ الْجَوُّ عَلَى عِقْبَانِهِ وَتَلَاقَى اللَّيْثُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ
وَتَحْطُ الْفَرْخُ مِنْ أَيْكَتِهِ وَتَنَالُ الْبَيْغَا فِي الْمَتْنَيْنِ
أَنَا مَنْ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ أَنَا لَتِي الْمَوْتَ كِلَانَا مَرَّتَيْنِ
نَحْنُ كُنَّا مَهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ صِرْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنَيْنِ
ثُمَّ عُدْنَا مَهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ نُتَلِّي جُنَّةً فِي كَفَتَيْنِ
ثُمَّ نَحْيَا فِي عَلِيٍّ بَعْدَنَا وَبِهِ يُبْعَثُ أَوْلَى الْبَعْثَيْنِ^٢
انْظُرِ الْكُونَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
فَإِذَا مَا قِيلَ : مَا أَصْلُهَا ؟ قُلْ : هُمَا الرَّحْمَةُ فِي مَرَحَمَتَيْنِ
فَقَدْ الْجَنَّةَ فِي إِيجَادِنَا وَنَعِمْنَا مِنْهَا فِي جَنَّتَيْنِ

* نظم هذه القصيدة حوالي سنة ١٨٩٧ يرثي بها والده الطيب الذكر المرحوم علي بك شوقي رحمه الله .

١ الثقلان : الأسى والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه .

٢ علي : هو أحد نبلي أمير الشعراء .

وهما العذر إذا ما أغضبا
 ليت شعري أيُّ حيٍّ لم يَدن
 وقفَ اللهُ بنا حيثُ هما
 ما أبي إلا أخُ فارقتهُ
 طالما قُمنّا إلى مائدةٍ
 وشربنا من إناءٍ واحدٍ
 وتَمَشَّينا يدي في يده
 نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً
 يا أبي والموتُ كأسُ مرّةٍ
 كيف كانت ساعةً قضيتها
 أَشربتَ الموتَ فيها جرعةً
 لا تخفُ بعدك حُزناً أو بُكاً
 أنتَ قد علمتني تركَ الأسي
 ليت شعري : هل لنا أن نتلقى
 وإذا متُ وأودعتُ الثرى

وهما الصّفحُ لنا مُستَرْضَيْنِ
 بالذي دانا به مُبتدئين ؟
 وأماتَ الرُّسلَ إلا والدين
 وُدّه الصّدقُ ، ووُدّ الناسَ مئين
 كانت الكِسرةُ فيها كِسرتين
 وعسلنا بعدَ ذا فيه اليدين
 مَنْ رآنا قال عتّا : أخوين
 سَوّتَ الشرَّ فكانت نظرتين
 لا تذوقُ النفسُ منها مرّتين
 كلُّ شيءٍ قبلها أو بعدُ هين ؟
 أم شربتَ الموتَ فيها جرعتين ؟
 جَمَدَتْ مِنِّي ومنك اليومَ عَيْنِ
 كلُّ زَيْنٍ مُتَناهٍ الموتُ شَيْنِ
 مرّةً ، أم ذا افتراقُ المُلُوكِ ؟
 أنلقَى حُفرةً أم حُفرتين ؟

١ الملوك : الليل والنهار ، الواحد منها ملا .

مصطفى كامل باشا*

المَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَتَّحِيَانِ
يا خادِمَ الإسلامِ ، أجزُ مُجاهِدِ
لَمَّا نُعِيتَ إِلَى الحِجَازِ مَشَى الأَسَى
السَّكَّةَ الكُبْرَى حِيَالَ رَبَاهَا
لَمْ تَأْلَهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ خِدْمَةً
يا لَيْتَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَازَتَا
لِيرَى الأَوَاخِرُ يَوْمَ ذَاكَ وَيَسْمَعُوا
جَارَ الثَّرَابِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ رَاحِلِ
أُبْكِي صَبَاكَ ، وَلَا أُعَاتِبُ مَنْ جَنَى
يَسَاءَلُونَ : أَبَ «السُّلَالِ» قَضَيْتَ ، أَمْ
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ مَوْتَكَ بِالْحِجَا
إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رَكْنٌ قَائِمٌ
بِاللَّهِ فَكُنْ عَنْ قَوَادِكِ فِي الثَّرَى
وَجَدَانُكَ الْحَيُّ الْمُقِيمُ عَلَى المَدَى
النَّاسُ جَارٍ فِي الْحَيَاةِ لَغَايَةٍ
وَالْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا - وَلَيْسَ بَيْنَ -

قَاصِيَهُمَا فِي مَأْتَمٍ وَالدَّانِي
فِي اللَّهِ مِنْ خُلْدٍ وَمِنْ رِضْوَانِ
فِي الزَّائِرِينَ وَرُوحَ الحَرَمَانِ^١
مَنْكُوسَةُ الأَعْلَامِ وَالْقُضْبَانِ^٢
فِي اللَّهِ وَالاخْتَارِ وَالسُّلْطَانِ
فِي الْمُحْفَلَيْنِ بِصَوْتِكَ الرِّثَانِ
مَا غَابَ مِنْ قَسٍّ وَمِنْ سَحَابِ
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الوجودِ الْفَانِي ؟
هَذَا عَلَيْهِ كَرَامَةٌ لِلْجَانِي
بِالْقَلْبِ ، أَمْ هَلْ مِتَّ بِالسُّرْطَانِ ؟
وَالْجَدُّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِرْفَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَأَنْتَ الْبَانِي
هَلْ فِيهِ آمَالٌ وَفِيهِ أُمَانِي ؟
وَلَرُبَّ حَيٍّ مَيِّتِ الْوُجْدَانِ
وَمُضَلَّلٌ يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ
عُلْيَا المَرَاتِبِ لَمْ تُنْتَحِ لُجْبَانِ

* هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني ، وقد توفي سنة ١٩٠٨ .

١ الحرمان : حرما مكة والمدينة .

٢ السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيه أعظم الدعاة المجاهدين في سبيل إنشائها .

فلو أن رُسَلَ الله قد جَبَّثُوا لما
المجدُ والشرفُ الرفيعُ صحيفةً
وأحبُّ من طولِ الحياةِ بذلةً
دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قاتلةٌ له :
فارفعْ لنفسِكِ بعدَ موتكِ ذِكْرَها
للمرءِ في الدنيا وجمِّ شتونها
فهي الفضاءُ لراغبٍ مُتَطَلِّعٍ
الناسُ غادٍ في الشقاءِ ورائحُ
ومُنْعَمٌ لم يلقَ إلَّا لَذَّةً
فاصبر على نُعمى الحياةِ ويؤسِّها
يا طاهرَ الغدواتِ ، والروحاتِ ، وال
هل قامَ قبلكَ في المدائنِ فاتحُ
يدعو إلى العِلمِ الشريفِ ، وعنده
لِقُوكَ في عِلمِ البلادِ مُنْكَسًا
ما احمرَّ من خجلٍ ، ولا من ريبةٍ
يُزْجُون نَعشَكَ في السَّناءِ وفي السَّنا
وكانه نَعشُ الحُسَيْنِ «بِكربلاء»
في ذِمَّةِ الله الكريمِ وبرِّهِ
ومَشَى جلالُ الموتِ وهو حقيقةٌ
شَقَّتْ لِمَنْظَرِكَ الجيوبَ عتائلُ

ماتوا على دينٍ من الأديان
جُعِلَتْ لها الأخلاقُ كالعنوان
قَصُرَ يُرِيكَ تقاصِرَ الأقران
إنَّ الحياةَ دقائقُ وثواني
فالذكرُ للإنسانِ عُمُرٌ ثاني
ما شاءَ مِنْ رِيحٍ ومن خُسرانٍ
وهي البَصِيقُ لِمُؤثِرِ السُّلْوانِ
يَشْقَى له الرَّحماءُ وهو الهاني
في طيِّها شَجَنٌ من الأشجانِ
نُعمى الحياةِ ويؤسِّها سَيِّانُ^١
خطراتِ ، والإسْرارِ ، والإعلانِ
غازٍ بغيرِ مُهَنَّدٍ وسَيَّانٍ ؟
أنَّ العلومَ دعائمُ العُمرانِ ؟
جَزَعُ الهلالِ على فتي الفتيانِ
لكنَّما يَبْكِي بدمعٍ قاني
فكأنما في نَعشِكَ القمرانِ
يُخْتالُ بين بُكَا ، وبين حَنانِ
ما ضَمَّ مِنْ عُرْفٍ ومن إحسانِ
وجلالُكَ المصدوقُ يلتقيانِ
وبِكثْكَ بالدَّمعِ الهُتُونِ غواني^٢

١ سيان : مثان ، الواحد سي .

٢ العقائل : جمع عقيلة وهي من كل شيء كريمته . والهُتون : من هتن الدمع ، إذا فطر والغواني جمع غانية ، وهي الفتاة تقني بجمالها عن الحل .

والخلق حولك خاشعون كعهدهم
يتساءلون : بأي قلب تُرتقي
لو أنّ أوطاناً تُصوّر هيكلًا
أو كان يُحمل في الجوارح ميتٌ
أو صبيغ من عرّ الفضائل والغلا
أو كان للذكر الحكيم بقيةٌ
ولقد نظرْتُك والرّدى بك مُخدِقٌ
يَنفي ويطنّي ، والطبيب مُضللٌ
ونواظرُ القوادِ عنك أُمالها
تُملي وتُكتبُ والمشاعِلُ جَمّةٌ
فهشّشتُ لي ، حتى كأنك عائدي
ورأيتُ كيفُ ثَموتُ آسادُ الشّرى
ووجدتُ في ذاك الخيالِ عزائمًا
وجعلتَ تسألني الرّثاء ، فهاكه
لولا مُغالبةُ الشّجونِ لخطري
وأنا الذي أرثي الشّمسَ إذا هَوّتُ
قد كنتَ تهتِفُ في الورى بقصائدي
ماذا دَهاني يومَ بَنتَ فعقني
هوّنَ عليك ؛ فلا شَماتَ بميتٍ
مَنْ للحسودِ بيمتِه بُلغَتْها
عُوفيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحَرَبِها

إذ يُنصِتُونَ لخطبةٍ وبيان
بعدُ المنايرِ ، أم بأيّ لسان ؟
دفنوك بينَ جوانحِ الأوطان
حملوك في الأسماغ والأجفان
كفنٌ لَيسَتْ أحاسنُ الأكفان
لم تأتِ بعدُ ؛ رُئيتَ في القرآن
والدائمُ ملئمٌ معالمِ الجُثمان
قَنطٌ ، وساعاتُ الرّحيلِ دَواني
دمعٌ تُعالجُ كُثمهُ وتُعاني
ويذاك في القِرطاسِ ترتجفان
وأنا الذي هدّ السّقامُ كياني
وعرفتُ كيفُ مصارعُ الشّجعان
ما للمَنونِ بدَكْهِنٍ يَدان
من أدُمعي وسرايري وجَناني
لنظمتُ فيكَ يَتيمَةَ الأزمان
فتعودُ سيرتها إلى الدُّوران
وتُجِلُّ فوق النّيراتِ مكاني
فيكَ القريضُ ، وخاتني إمكاني ؟
إنّ المنبئةَ غايَةُ الإنسان
عزّتْ على كِبرى أنوشِروان ؟
فهل استرحتَ أم استراح الشّاني ؟^١

١ حربه كطلبه : سلبه ماله ، والشّاني : المبقض .

يا صَبَّ مِصْرَ ، ويا شهيدَ غرامِها	هذا تَرى مِصْرَ ، فَنَمَ بأمان
اخْلَعْ على مِصْرٍ شِبابَكَ عالِياً	وَأَلْبَسْ شِبابَ الحُورِ والوِلدانِ
فَلَعَلَّ مِصراً من شِبابِكَ تَرْتَدِي	مَجْداً ثَمِيهٌ به على البُلدانِ
فَلَوْ أَنَّ بِالْهَرَمَيْنِ من عِزَمَاتِهِ	بَعْضَ المَضَاءِ تَحَرَّكَ الهَرمانِ
عَلِمَتْ شِبانَ المِداثِ والقُرى	كَيْفَ الحِياةُ تَكُونُ في الشِبانِ
مِصْرُ الأَسِيفَةِ رِيقُها وصَعيدُها	قَبْرُ أبْرَ على عِظامِكَ حَاني
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ في الترابِ طِهارَةٌ	مَلِكُ يَهَابُ سِؤالِهِ المَلِكانِ

حسن بك أنور*

تُسأِّلني كَرَمَتي بالنبأ
 وأين النديمُ الشهيُّ الحديث ؟
 نَجِيُّ البَلابل في عُشِّها
 قَلْتُ لها : مات ، واستشعرت
 لئِنْ ناء من سِجْنِ جسمه
 وما هو مَيِّتٌ ، ولكنه
 وَمَعْنَى خلا القول من لفظه
 وبالليل : أين سَميري حَسَن ؟
 وأين الطروبُ اللطيفُ الأذن ؟
 ومثلُها صَيِّةٌ في الفَنِّ ؟
 ليالي السرورِ عليه الحزن
 فما عَرَفَتْ رُوحَهُ ما السَّمن
 بشاشةٌ دهرٍ يحاها الزمن
 وحُلْمٌ تَطَايرُ عنه الوَسَن

* * *

ولا يَذْكُرُ المعهدُ الشرقيُّ
 وما كان من صَبْرِهِ في الصَّعابِ
 وخدمة فنِّ يَدَاوي القلوبِ
 وما كان فيه الدَّعيُّ الدَّخيلُ
 لأنورَ إلا جليلَ المِنَّنِ
 وما كان من عَزْزِهِ في المِحنِ
 ويَشْني النفوسَ ، ويُدْكي الفِطْنَ
 ولكنَّ من الفَنِّ كان الرُّكْنَ

* * *

ولو أنصفَ الصَّحبُ يومَ الوداعِ
 فَعَيَّيتَ في المِسْكِ ، لا في الترابِ
 وخَطُّ لك القبرِ في رَوْضَةٍ
 رَيَسَ حُبُّ الطيرِ في ظلِّها
 دُفِنْتَ كلاسِحاقَ لَمَّا دُفِنَ
 وأُذْرِجَتْ في الوَرْدِ ، لا في الكَفْنِ
 يَميلُ على القُصْنِ فيها القُصْنُ
 ويَخْلَعُ فيها النسيمُ الرِّسْنَ

- * المرحوم حسن بك أنور : أحد الأعضاء المؤسسين لنادي الموسيقى الشرقي ، وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء ، وقد توفي سنة ١٩٣٠ .
- ١ كان يطلق على دار أمير الشعراء كرامة ابن هاني .

وقامت على العود أوتارُهُ تُعيد الحنينَ ، وتُبدِي الشَّجَنَ
وطارَحَكَ النايُ شَجَرَ الثَّواحِ وكنتَ تئنُّ إذا النايُ أنَّ
ومالَ فَناحَ عليكَ الكَمَانُ وأظهرَ من بَنه ما كَمَنَ

* * *

سلامٌ عليكَ سلامُ الرِّبا إذا نَفَحَتْ ، والغواذي الهُتُنُ
سلامٌ على جِيرةٍ بالإمام ورَهْطٍ بِصَحرائِه مُرْتَهَنُ
سلامٌ على حُفَرٍ كالقُبَابِ وأخرى ، كَمُنْدِرِساتِ الدِّمَنِ
وجَمْعٍ تَأَلَفَ بَعْدَ الخِلافِ وصافى وصُوفى بَعْدَ الصُّغَنِ
سلامٌ على كُلِّ طَوْدٍ هُناكَ لَه حَجَرٌ في بِناءِ الوطنِ

أم المحسنين*

أَخَذَتْ نَعَشَكَ مَصْرُ بِالْيَمِينِ وَحَوَتْهُ مِنْ يَدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقَايَاكَ كَمَا لَقِيَتْ يَنْثَرُ أُمُّ الْمُؤْمِنِ
فِي سَوَادِهَا ، وَفِي أَحْشَائِهَا وَوَرَاءَ الثَّنَرِ مِنْ حَجَلِ الْوَتِينِ

* * *

خَرَجَتْ مِنْ قَصْرِكَ الْبَاكِي ، إِلَى رَمْلَةِ الثَّنَرِ ، إِلَى الْقَصْرِ الْحَزِينِ
أَخَذَتْ بَيْنَ الْيَتَامَى مَذْهَباً وَمَشَتْ فِي عِبْرَاتِ الْبَائِسِينَ
وَرَمَتْ طَرْفاً إِلَى الْبَحْرِ تَرَى مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ أَسْرَابَ السَّفِينِ
فَبَدَتْ جَارِيَةً فِي حِضْنِهَا فَتَنُ الْوَرْدِ وَفَرْغُ الْيَاسَمِينِ^١
وَعَلَى جُوجُئِهَا نَوْرُ الْهَدَى وَعَلَى سُكَّانِهَا نَوْرُ الْيَقِينِ^٢
حَمَلَتْ مِنْ شَاطِئِي مَرْمَرَةً جَوْهَرَ السُّودِدِ وَالْكَتْرِ الثَّمِينِ^٣
وَطَوَتْ بَحْراً يَبْحِرُ ، وَجَرَتْ فِي الْأَجَاجِ الْمِلْحِ بِالْعَذْبِ الْمَعِينِ
وَأَسْتَقَلْتُ ذُرَّةً كَانَتْ سَتَى وَسَاءَ فِي جِبَاهِ الْمَالِكِينَ
ذَهَبْتُ عَنْ عِلِيَّةِ صَيْدٍ ، وَعَنْ خُرْدٍ مِنْ خَفَرَاتِ الْبَيْتِ عَيْنِ
وَالْتَقِيَّتُ بَنَاتُ الْمُتَيِّ وَالْأَمِينَاتُ بُنَيَاتُ الْأَمِينِ
لَبَسْتُ فِي مَطْلَعِ الْعِزِّ الضُّحَى وَنَضَّتُهُ كَالشَّمُوسِ الْآفَلِينَ^٤

- أم المحسنين : هي والدة سهر الحديدي عباس باشا الثاني ، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .
- ١ جارية : سفينة ، وفي القرآن الكريم : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ .
- ٢ جرجو السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها .
- ٣ مرمرة : بحري بلاد الترك . يقول : ان هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة ، وإنما حملت خلاصة السُّودد وجوهر الكتر الثمين .
- ٤ نضته : خلطته . والآفلين : جمع آفل . والآفل للشموس : المغيب .

يَدُهَا بَانِيَةٌ غَارِسَةٌ كَيْدِ الشَّمْسِ وَإِنْ غَابَ الْجَبِينُ

* * *

رَبِّهِ الْعَرْشَيْنِ فِي دَوْلَتِهَا قَدْ رَكِبْتَ الْيَوْمَ عَرْشَ الْعَالَمِينَ
أَضْجَعْتَ قَبْلَكَ فِيهِ مَرْيَمٌ وَتَوَارَى بَيْنَهُمَا الْمُرْسَلِينَ
إِنَّهُ رَخْلُ الْأَوَالِي شَدَّةً لَهُمْ آدَمُ رُسُلِ الْآخَرِينَ

* * *

اخْلَعِي الْأَلْقَابَ إِلَّا لِقَباً عَبْرِيّاً ، هُوَ أُمُّ الْمُحْسِنِينَ
وَدَعِي الْمَالَ يَسِرْ سِتْنَهُ يَمْنُصُ عَنْ قَوْمٍ لِأَيْدِي آخَرِينَ
وَاقْذِفِي بِهِمْ فِي وَجْهِ الثَّرَى وَاطْرَحِي مِنْ حَالَتِ عِبَاءِ السَّنِينَ
وَاسْخَرِي مِنْ شَانِيٍّ أَوْ شَامِتٍ لَيْسَ بِالْمُخْطِئِ يَوْمَ الشَّامِتِينَ
وَتَعَزِّي عَنْ عَوَادِي دَوْلَةٍ لَمْ تَدُمْ فِي وَلَدٍ أَوْ فِي قَرِينٍ
وَازْهَدِي فِي مَوَكِبٍ لَوْ شِئْتَهُ لَتَغَطَّى وَجْهَهَا بِالْأَرَعِينَ
مَا الَّذِي رَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ ؟ لَيْسَ يُحْيِي مَوَكِبُ الدَّفْنِ الدَّفِينَ
رُبَّ مَحْمُولٍ عَلَى الْمِدْفَعِ مَا مَنَعَ الْحَوْضَ ، وَلَا حَاطَ الْعَرِينَ
بَاطِلٌ مِنْ أُمَمٍ مَخْدُوعَةٍ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ الْحَقُّ الْمَبِينُ

* * *

فِي فُرُوقٍ وَرُبَاهَا مَا تَمُّ ذَرَفَتْ أَمَاقَهَا فِيهِ الْعَيُونُ
قَامَ فِيهَا ، مِنْ عَقِيلَاتِ الْحِمَى مَلَأَ بُدْلُنَ مِنْ عِزٍّ يَهُونُ
أُسْرَ مَالَتِ بِهَا الدُّنْيَا ، فَلَمْ تَلْقَ إِلَّا عِنْدَكَ الرُّكْنَ الرُّكِينَ
قَدْ خَلَا بَيْبِكُ مِنْ حَاتِمِهِ وَمِنْ الْكَاسِيَيْنِ فِيهِ الطَّاعِمِينَ^١

١ حائق الجبل : أعلاه ، كأنه يقول : إن الموت ارتفاع عظيم .

٢ بيبك : قصر الفقيدة في الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل يضرب به المثل في الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمي . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين .

طارت النعمة عن أبكتيه	وانقضى ما كان من ختف ولين
اليتامى نُوحُ ناحية	والمساكين يمدون الرنين
دولة مالت ، وسُلطانُ خلا	دُوولتُ نِعاهُ بينَ الأقربين
مُبعضُ الشرقِ عليّ لم يزل	من بنيه سيّد في عابدين
يُصلحُ الله به ما أفسدت	فتراتُ الدهر من دُنيا ودين
أُمُ عباسٍ ، ومالي لم أقل :	أُمُ مصرٍ من بناتِ وبينين ؟
كنتِ كالورد لهم ، واستقبلوا	دولةَ الرّيحانِ حيناً بعدَ حين
فيقال : الأُمُ في موكبها	ويقالُ : الحرمُ العالي المصون ^١

* * *

العفيفي عفافٌ وهُدَى	كالبقيع الطهر ضمّ الطاهرين
ادخلي الجنة من روضته	إنّ فيها غرفةٌ للصابرين

١ يشير هذا البيت إلى أن القبيلة العظيمة كانت أم خديوي وزوجة خديوي .

الدكتور أحمد قواد*

أَوْحَتْ لَطَرُفَكَ فَاسْتَهَلَّ شُئُونَا
غَاضَتْ بِشَاشَتُهَا ، وَقَفَّضَتْ شَمْلَهَا
نَزَلَتْ عَوَادِي الدَّهْرِ فِي سَاحَاتِهَا
فَكَادُ مِنْ أَسْفٍ عَلَى آسِي الْجَمَى
تِلْكَ الْعِبَادَةُ لَمْ تَكُنْ عِبَادَةً ، وَلَا
دَارُ ابْنِ سَيْنَا نَزَهَتْ حُجُرَاتُهَا
خَبَتْ الْمَطَالِعُ مِنْ أَغْرِ مُؤَمِّلٍ
وَمِنْ الْوُفُودِ ، كَانَهُمْ مِنْ حَوْلِهِ
مِثْلُ تَصَوُّرٍ مِنْ حَيَاةٍ حُرَّةٍ
لَمْ تُحْصَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا حَرَكَاتُهُ

• • •

جَمَحَتْ جِرَاحُ الْمُغَوِّزِينَ ، وَأَعْضَلَتْ
مَاتَ الْجَوَادُ بِطَبِّهِ وَبِأَجْرِهِ
وَتَجَسَّ رَاحَتُهُ الْعَلِيلَ ، وَتَارَةً
أَدَّى أَمَانَةً عَلَيْهِ ، وَلَطَالَمَا
وَقَضَى حَقُوقَ الْأَهْلِ ، يُحْسِنُ تَارَةً
أَذَوَاؤُهُمْ ، وَتَعَيَّبَ الشَّافُونَا
وَلَرَبَّمَا بِذَلِكَ الدَّوَاءَ مُعِينَا
تُكْسُو الْفَقِيرَ ، وَتُطْعِمُ الْمِسْكِينَا
حَمَلَ الصَّدَاقَةَ وَافِيًا وَأَمِينَا
بَابِيهِ ، أَوْ يَصِلُ الْقَرَابَةَ حِينَا

* كان الدكتور أحمد قواد مثلاً نادراً من أمثلة حسن الخلق ، وناطقة من نوايع الطب المعبودين ، وقد توفي سنة ١٩٣١ .

١ قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم في شارع محمد علي بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه .

خُلِقَ وَدِينٌ فِي زَمَانٍ لَا تَرَى خُلِقَ عَلَيْهِ وَلَا تُصَادِفُ دِينَا

* * *

أَمْدَاوِي الأرواحِ قبل جُسُومِهَا رُوحٌ بلفظك كلُّ رُوحٍ مُعَذَّبٍ
قَمِ دَاوٍ فِيكَ فَوَادِي المَهْزُونَا حَيْرَانٌ طَارَ بَلْبُهُ النَّاعُونَا
قَد كَالِ للقدَرِ العِتَابِ ، وَرُبَّمَا ظَنَّ المَدْلَةَ بالقضاءِ ظَنُونَا
دَاوَيْتَ كلَّ مُحْطَمٍ فَشَفَيْتُهُ وَنَسِيتَ دَاءَ فِي الضَّلُوعِ دَفِينَا
كَبِدٌ عَلَى دَمِهَا انْكَأَتْ وَلَحْمِهَا فَحَمَلَتْ هَمَّ الْمُسْلِمِينَ سِينَا
ظَلَّتْ وراءَ الْحَرْبِ تُشْفَى بِالتَّوَى وَتَذُوبُ لِلْوَطَنِ الْكَرِيمِ حِينَا

* * *

نَاصِرَتِ فِي فَجْرِ الْقَضِيَةِ مُصْطَفَى أَقْدَمَتْ فِي الْعَشْرِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَنَصَرَتْ خُلُقًا فِي الشَّبَابِ مَتِينَا وَرَوَانُ الْعِشْرِ فِي الْعَشْرِينَ
لَمْ تَبْغِ دُنْيَا طَالَمَا أَغْضَى لَهَا حُمْسُ الدَّعَاةِ وَطَاطَئُوا الْعَرِينَا

* * *

رُحْمَاكَ يَوْسُفُ قَفِ رِكَابَكَ سَاعَةً وَاعْطِفْ عَلَى يَعْقُوبَ فِيهِ حَزِينَا
لَمْ يَدْخُلْ خَلْفَ النَّعْشِ مِنْ حَرِّ الْحَوَى أَيْشَقُ جَيِّئًا ، أَمْ يَشَقُّ وَتِينَا ؟^٢
سَارُوا بِمُهْجَتِهِ ، فَحُمِّلَ نُكُلُهَا وَقَضُوا بِعَائِلِهِ ، فَالَ عَيْنِينَا^٣
أَنْعَوْدُ فِي رَكْبِ الرَّبِيعِ إِذَا أَتَشْنَى بِهِجًا يَزِفُّ الْوَرْدَ وَالتَّسْرِينَا ؟
هِيَاهُ مِنْ سَفَرِ الْمَنِيَّةِ أَوْبَةً حَتَّى يُهَيِّبَ الصُّبْحُ بِالسَّارِينَا
وَيَقَالُ لِلْأَرْضِ الْفَضَاءُ : تَمَحَضِي فَتَرَدُّ شَيْخًا أَوْ تَمُجَّ جَنِينَا

* * *

١ يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ، يمهّد لنشيه أبيه بسيدنا يعقوب في صبره على فراق ابنه ومحنته .

٢ الوتين : عرق في القلب إذا قطع مات صاحبه .

٣ المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أي روحه .

اللهُ أبقي ! أين مِنْ جَسدي يدُ
حتى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صورةً
فَجَرَرْتُ جُمائي ، وهانت كُربةُ
إنَّ الشفاءَ من الحِياةِ وعونها
واليومَ أرتجلُ الرِّثاءَ ، وأنزوي
سبحانَ من يرثُ الطيبَ وطِيبَه
لم أنسَ رِفَقَ بَنانِها واللِّينا ؟
تُومي براحٍ ، أو تُجبلُ عيوننا
لولا اعتناؤكَ لم تكن لتهونا
ما كان ، آس بالشفاء ضَمِينا
في مَأتمٍ أبكي مع الباكِينا
ويُري المريضَ مصارعَ الآسِينا !!

نجل إمام اليمَن*

مضى الدهرُ بابين إمام اليمَن
وبأت بصنعاة تبكي السيوفُ
وأعولَ نجدٌ ، وضجُ الحجازُ
وعصتُ مناحئه في الحيام
ولو أن مَبْتَأَ مَشَى للغزاة
فهي كاسمه كان سيفَ الإله
ولُقِّبَ بالبدرِ من حسنه
وأودى بزَيْنِ شبابِ الزمنِ
عليه ، وتبكي القنا في عدن^١
ومالَ الحسينُ ، فعزَّ الحسن
وعصتُ مآتمه في المُدن
مشى في مآتمه ذو يَزَن^٢
وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطن
وما البدرُ؟ ما قدره؟ وابنُ مَنْ؟

* * *

عزاء جَمِيلاً إمامَ الجَمَى
وأنتَ المُعانُ بإيمانه
ولكن متى رَقَّ قلبُ القضاء ؟
يُجامِلُكَ العربُ النازحون
ويجمعُ قومك بالمسلمين
وأنَّ نبيَّهُم واحدٌ
ومصرُّ التي تجمع المسلمين
وهوَنَ جَلِيلَ الرزايا يهْنُ
وظنُّكَ في الله ظنٌّ حسن
ومن أينَ لِلْمَوْتِ عقلٌ يَزَن ؟
وما العربِيَّةُ إلا وطن
عظيمُ الفروصِ وسمحُ السِّن
نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللسن
كما اجتمعوا في ظلال الرُّكن

* هو الأمير سيف نجل الإمام يحيى ، وقد توفي غرقاً وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الفرق سنة

١٩٣٣ .

١ صنعاء: حاضرة اليمن . عدن : إحدى الموانئ هناك ، وهي على خليج عدن المشهور .

٢ ذو يزن : أحد أقبال اليمن الأقدمين ، ولشجاعة هذا الملك في استرداد عرش أبيه وأجداده أضيف إليه أساطير كثيرة .

تُعْزِي الْيَمَانِينَ فِي سَيْفِهِمْ وَتَقْعُدُ فِي مَأْتَمِ ابْنِ الْإِمَامِ
وَتَنْشُرُ رِيحَانَتِي زَنْبَقِي وَتَرْفَأَنِي فَوْقَ رُفَاتِ الْفَقِيدِ
فَقَضَى وَاجِبًا ، فَقَضَى دُونَهُ تَطْلُوحُ فِي لُجَجِ كَالْجِبَالِ
مَشَى مِثْلَةَ اللَّيْلِ ، لَا فِي السَّلَاحِ وَلَا فِي الدُّرُوعِ ، وَلَا فِي الْجُنِّ ١

* * *

مَتَى صِرْتَ يَا بَحْرُ غَمَدِ السُّيُوفِ وَكُنْتَ صِيَوَانِ الْجَبَانِ الْكَرِيمِ
ظَفِرْتَ بِجَوْهَرَةٍ فَذَّةٍ فَتَى بَذَلَ الرُّوحَ دُونَ الرِّفَاقِ
وَهَانَتْ عَلَيْهِ مَلَاهِي الشَّبَابِ وَخَاضَكَ يُنْقِذُ أُنْرَابَهُ
غَدَرْتَ فَتَى لَيْسَ فِي الْغَادِرِينَ وَمَا فِي الشَّجَاعَةِ خُتْفُ الشَّجَاعِ
وَلَكِنْ إِذَا حَانَ حَيْنُ الْفَتَى وَكُنَّا عَهْدَنَاكَ غِمْدَ السُّفْنِ ؟
فَكَيْفَ أُزِيلُ ؟ وَلَمْ لَمْ يُصْنِ ؟ مِنْ الشَّرَفِ الْعَبْقَرِيِّ الْيَمُنِ
إِلَيْكَ ، وَأَعْطَى التَّرَابَ الْبَدَنَ وَلَوْلَا حَقُوقُ الْعُلَا لَمْ تَهْنِ
وَكَانَ الْقَضَاءُ لَهُ قَدْ كَمَنْ وَخُتَّتْ أَمْرًا وَافِيًا لَمْ يَحْنِ
وَلَا مَدَّ عَمَرَ الْجَبَانِ الْجَبْنِ قَضَى ، وَيَعِيشُ إِذَا لَمْ يَحْنِ

* * *

أَبُو السَّمَرَاءِ الرَّمَاحِ اللَّدُنْ أَلَا أَتِيهِذَا الشَّرِيفُ الرَّضِيِّ
أَحَقُّ بِهِ مِنْ تَرَابِ الْيَمَنِ شَهِيدُ الْمُرُوءَةِ كَانَ الْبَقِيْعُ
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَزِينٍ سَكَنَ ؟ فَهَلْ عَسَلَوْهُ بِدَمْعِ الْعُقَاةِ

١ الجنين : جمع جنة ، بالضم ، وهي ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك .

لقد أغرقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ	واغرقتَ أبناءه بالمِمن
أتذكر إذ هو يطوي الشهورَ	وإذ هو كالخِشْفٍ حُلُوْ أغنَّ ١؟
وإذ هو حولك حسنُ القصورِ	وطيبُ الرياضِ ، وصفوُ الزمن ؟
بشاشته لذةٌ في العيون	ونعمته لذةٌ في الأذن ؟
يلعب طرته في يدَيْكَ	كما لاعبَ المهرُ فضلَ الرّسن ؟
وإذ هو كالشبل يحكي الأسودَ	أدلّ بمِخلبه وافتتن ؟
فشبَّ ، فقام وراءَ العرينِ	يشبُّ الحروبَ ، ويُطفي الفتن ؟
فما بأله صار في الهامدين	وأمسى عقاءً كان لم يكن ؟
نظمتُ الدموعَ رثاءَ له	وفصلتها بالأسى والشجن

١ الخشف مثلثة الحاء : الظبي . والأغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعه الشباب .

عبد الله بك الطوير*

يا قلبُ ، وَبِحَكَ وَالْمُودَةُ ذِمَّةُ
جاذبتني جَنَبي عَشِيَّةَ نَعِيهِ
وَلَوْ أَنَّ قَلْبًا ذَابَ إِثْرَ حَيِّهِ
فعلبك من حُسْنِ المِروءَةِ آمُرُ
نزل « الطوير » في الترابِ منازلًا
عَرَصَاتُهَا مَمْطُورَةٌ بِمَدَامِعِ
لولا يَمِينُ الموتِ فوقَ يَمِينِهِ

* * *

يا كابرًا من كابرين ، وطاهرًا
وَمُحَكِّمًا عِلْمَ القَضَاءِ مَكَانَهُ
وحكيماً اسْتَعَصَتْ أَعْيُنُهُ عَلَى
وَأَخًا سَقَى الإِخْوَانَ مِنْ رَاوِقِهِ
قد كان شعري شغلَ نَفْسِكَ ، فاقترح
أُنزِلَتْ مِنْهُ حِينَ فَاتَكَ جَمْعُهُ
فاقرأ على « حَسَّانَ » مِنْهُ ؛ لعله
وَأَنْزَلَ بِنُورِ الخَلْدِ جَدَّكَ ، وَاتَّصَلَ
نَاعِيكَ نَاعِي حَاتِمٍ أَوْ جَعْفَرٍ

- * المرحوم عبد الله بك الطوير ، كان أحد رجال القانون في مصر ، وقد توفي سنة ١٩١٥ .
١ الراوي : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآتية التي يوضع فيها المشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً .
٢ حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .

سعد باشا زغلول*

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليني في الركب لما أفلت يوشع ، همت ، فنادى ، فثاها
جلل الصبح سواداً يومها فكان الأرض لم تخلع دجها^١
انظروا تلقوا عليها شفقاً من جراحات الضحايا ودمها
وتروا بين يديها عبرة من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياها بها ونحة !! حتى إلى الموتى نعاها

كفنوها حرة علوية كست الموت جلالاً ، وكساها
مضر في أكفانها إلا الهدى لحمه الأكفان حق وسداها^٢
خطر النعش على الأرض بها يخسر الأبصار في النعش سناها
جاءها الحق ، ومن عادتها تؤثر الحق سيلاً وأثجاها^٣
ما دزت مصر : بدفن صبحت أم على البعث أفاقت من كراها ؟
صرخت تحسبها بنت الشرى طلبت من مخلب الموت أباهها
وكان الناس لما نسلوا شعب السيل طغت في ملتقاها
وضعوا الراح على النعش كما يلتمسون الركن ، فارتدت نزاها

* زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفي سنة ١٩٢٧ .

١ جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه .

٢ اللحم : ما سد به الثوب ، والسدي : ضد اللحم .

٣ الحق الأول : يقصد به الموت . والحق الثاني : يقصد به العدل .

تَخَضُّوا فِي يَوْمِ سَعْدِ هَامِهِمْ وَيَسْعِدِ رَفَعُوا أَمْسِ الْجِبَاهَا

* * *

سائلوا « زَحَلَّة » عن أعراسها	هل مَشَى الناعي عليها فَمَحَاها ؟ ^١
عَطَّلَ الْمُصْطَافَ مِنْ سُمَّارِهِ	وَجَلَا عَنْ ضِفَّةِ الْوَادِي دُمَاهَا
فَحَّحَ الْأَبْوَابَ لَيْلًا دَبْرَهَا	وَالَى النَّاقُوسِ قَامَتْ يَبْعَتَاهَا
صَدَعَ الْبَرْقُ الدُّجَى ، تَنْشُرُهُ	أَرْضُ سُورِيَا ، وَتَطْوِيهِ سَمَاهَا
يَحْمِلُ الْأَنْبَاءَ تَسْرِي مَوْنَهَا	كِعْوَادِي الثُّكُلِ فِي حَزِّ سُرَاهَا
عَرَضَ الشُّكُّ لَهَا فَاضْطَرَبَتْ	نَطَأَ الْأَذَانُ هَمْسًا وَالشُّفَاهَا
قَلْتُ : يَا قَوْمِ اجْمَعُوا أَحْلَامَكُمْ	كُلُّ نَفْسٍ فِي وَرِيدَتِهَا رَدَاهَا

* * *

يَا عَدُوَّ الْقَيْدِ لَمْ يَلْمَحْ لَهُ	شَبَحًا فِي خَطَّةٍ إِلَّا أَبَاهَا
لَا يَصِقُّ ذَرْعُكَ بِالْقَيْدِ الَّذِي	حَزَّ فِي سُوقِ الْأَوَالِي وَبَرَاهَا
وَقَعَ الرُّسْلُ عَلَيْهِ ، وَالتَّوْتُ	أَرْجُلُ الْأَحْرَارِ فِيهِ فَعَقَاهَا
يَا رُفَاتًا مِثْلَ رَيْنَحَانِ الشُّحَى	كَلَلْتُ عَذْنُهَا بِهَا هَامَ رُبَاهَا ^٢
وَبَقَايَا هَيْكَلٍ مِنْ كَرَمٍ	وَحْيَاةٍ أَتْرَعَ الْأَرْضَ حَيَاهَا ^٣
وَدَّعَ الْعَدْلُ بِهَا أَعْلَامَهُ	وَبَكَتْ أَنْظِمَةُ الشُّوْرَى صُورَاهَا
خَضَنْتُ نَعَشِكَ ، وَالتَفَّتْ بِهِ	رَايَةٌ كُنْتُ مِنَ الذَّلِّ فِدَاهَا
ضَمَمْتُ الصَّدْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهَا	وَتَلَقَّى السَّهْمَ عَنْهَا فَوْقَاهَا
عَجَبِي مِنْهَا وَمَنْ قَانَدَهَا !!	كَيْفَ يَحْمِي الْأَعْزَلُ الشَّيْخُ حِمَاهَا ؟

* * *

- ١ يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعي الفقيد كان يصطاف في زحلة إحدى مصايف لبنان .
- ٢ عدن : الحنة . وهام رباه : أي رؤوس ربواتها . والربوات : الأمكنة المرتفعة فيها .
- ٣ أترع : ملأ . والحيا : المطر .
- ٤ الصوى : جمع صوة - بضم الصاد - وهي حجر يوضع في الطريق كعلامة يهتدى بها .

مِنْبَرِ الْوَادِي دَوَتْ أَعْوَادُهُ
 مَنْ رَمَى الْفَارِسَ عَنْ صَهْوَتِهَا
 قَدَّرَ بِالْمَدْنِ أَلْوَى وَالْقُرَى
 غَالِ بَسْطُورَا وَأَرْدَى عُصْبَةُ
 طَافَتِ الْكَأْسُ بِسَاقِي أُمَمٍ
 عَطِلَتْ أَذَانُهَا مِنْ وَثَرٍ
 أَرْغَنُ هَامَ بِهِ وَجْدَانُهَا
 كُلَّ يَوْمٍ خُطْبَةُ رُوحِيَّةٍ
 دَلَّهَتْ مَصْرًا ، وَلَوْ أَنَّ بِهَا
 ذَائِدُ الْحَقِّ وَحَامِي حَوْضِهِ
 أَخَذَتْ سَعْدًا مِنَ الْبَيْتِ يَدُ
 لَوْ أَصَابَتْ غَيْرَ ذِي رُوحٍ لَمَا
 تَحْدَى الطَّبَّ فِي قَفَازِهَا
 مِنْ وَرَاءِ الْإِذْنِ نَالَتْ ضَيْعَمًا
 لَمْ تَصَارِحْ أَصْرَحَ النَّاسِ يَدًا

• • •

هَذِهِ الْأَعْوَادُ مِنْ آدَمَ لَمْ
 نَقَلَتْ خُوفُ ، وَمَالَتْ بَعِينًا
 تَخْلِطُ الْعُمُرَيْنِ : شَيْبًا ، وَصِبًا
 زَوْرَقٌ فِي الدَّمْعِ يَطْفُو أَبَدًا
 تَهْلَعُ الشُّكْلَى عَلَى آثَارِهِ
 يَهْدَى خُفَّاهَا ، وَلَمْ يَعْرِ مَطَاهَا
 لَمْ يَفُتْ حَيًّا نَصِيبٌ مِنْ خُطَاهَا
 وَالْحَيَاتَيْنِ : شَقَاءَ ، وَرَفَاهَا
 عَرَفَ الصَّفَّةَ إِلَّا مَا تَلَاهَا
 فَإِذَا خَفَتْ بِهَا يَوْمًا شَفَاهَا

• • •

١ خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .

نَسْكَبُ الدَّمْعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا
مَنْ لَبَانٍ هُوَ فِي يَتْبُوعِهَا
لَقِّنَ الْحَقُّ عَلَيْهِ كَهْلُهَا
بَذَلَتْ مَالًا ، وَأَمْنًا ، وَدَمًا
حَمَلَتْهُ ذِمَّةٌ أَوْفَى بِهَا
ابْنُ سَبْعِينَ تَلَقَّى دُونَهَا
سَفَرٌ مِنْ عَدَنَ الْأَرْضِ ، إِلَى
قَاهِرٍ أَلْقَى بِهِ فِي صَخْرَةٍ
كَرِهَتْ مَنْزِلَهَا فِي تَاجِهِ
أَسْأَلُوهَا ، وَأَسْأَلُوا شَانِئَهَا
وَلَدَ الثُّورَةَ سَعْدٌ حُرَّةٌ
مَا تَمْنَى غَيْرَهَا نَسْلًا ، وَمَنْ
سَالَتْ الْغَابَةَ مِنْ أَشْبَاهَا
بَارَكَ اللَّهُ لَهَا فِي فَرْعِهَا
أَوَّلَمْ يَكْتُبْ لَهَا دُسْتُورَهَا
قَدْ كَتَبَتَهَا ، فَكَانَتْ صُورَةً
رَقَدَ الشَّائِرُ إِلَّا ثُورَةً
قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ
جَالَ فِيهَا قَلَمًا مُسْتَنْهَضًا
وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِهَا
أُمَّةٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بَنَاهَا
وَأَبَاءُ هُوَ فِي صُمِّ صَفَاهَا
وَاسْتَقَمَّ الْإِيمَانُ بِالْحَقِّ فَتَاهَا
وَعَلَى قَائِدِهَا أَلْقَتْ رَجَاهَا
وَابْتَلَتْهُ بِحَقْوِي فَقَضَاهَا
غُرْبَةَ الْأَسْرِ ، وَوَعْنَاءَ نَوَاهَا
مَنْزِلُ أَقْرَبُ مِنْهُ قُطْبَاهَا
دَفَعَ النَّسْرَ إِلَيْهَا فَأَوَاهَا
دُرَّةٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ نَفَاهَا
لِمَ لَمْ يَنْفِ مِنَ الدَّرِّ سِوَاهَا ؟
بِحَيَاتِي مَا جَدَّ حُرٌّ نَمَاهَا
يَلِدُ الزُّهْرَاءُ يَزْهَدُ فِي سِوَاهَا
بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَا جَتْ بَلَاهَا
وَقَضَى الْخَيْرَ لِمِصْرَ فِي جَنَاهَا
بِالدَّمِ الْحَرِّ ، وَيَرْفَعُ مُتَدَاهَا ؟
صَدْرُهَا حَقٌّ وَحَقٌّ مُتْنَاهَا
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمدْ جُذَاهَا
رَاحَتِيهِ ، وَفَتِيًّا فَرَعَاهَا^١
وَلِسَانًا كُلَّمَا أَعَيْتَ حَدَاهَا
فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا

١ الوعناء : الطريق العسر ، أو المشقة .

٢ يشير إلى عمل سعد باشا في الثورة العرابية وهو في مقتبل شبابه .

أَعْلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى مِنْ يَدٍ قَذَفْتُ فِي وَجْهِ فِرْعَوْنَ عَصَاهَا ١٩
وَطِئْتُ نَادِبَةً صَارِخَةً شَاءَ وَجْهُ الرِّقِّ - يَا قَوْمَ - وَشَاهَا
ظَفَرْتُ بِالْكَبِيرِ مِنْ مُسْتَكْبِرٍ ظَافِرِ الْأَيَّامِ مَنصُورِ لَوَاهَا
الْقَنَا الصُّمُّ نَشَاوَى حَوْلَهُ وَسِوْفُ الْمُنْدِ لَمْ تَضْحُ طُبَاهَا

* * *

أَيْنَ مِنْ عَيْتِي نَفْسُ حُرَّةٍ كُنْتُ بِالْأَمْسِ بَعِينِي أَرَاهَا ؟
كَلِمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشَرْهَا بِي وَنَدَاهَا
وَجَرَى الْمَاضِي ، فَمَاذَا اذْكُرْتُ وَادْكُرْتُ النَّفْسَ شَيْءٌ مِنْ وَفَاهَا ؟
أَلَمْحُ الْأَيَّامَ فِيهَا ، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تِمْنَالَ صِبَاهَا
لَسْتُ أَدْرِي حِينَ تَنْدَى نَفْرَةً عَلَتْ الشَّيْبُ ، أَمْ الشَّيْبُ عَلَاهَا ؟
حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا فَتَدَاعَى وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ ، فَإِنْ مَزَحَتْ لَمْ يَذْهَبِ الْمَرْحُ بِهَا
يَطْفَرُ الْعُنُرُ بِأَقْصَى سُخْطِهَا وَيَنَالُ الْوُدَّ غَايَاتِ رِضَاهَا
وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا يُشْبِهُ الصَّفْحَ ، وَحِلْمٌ عَنْ عِدَاهَا
لَسْتُ أَنْسَى صَفْحَةَ ضَاحِكَةٍ تَأْخُذُ النَّفْسَ وَتَجْرِي فِي هَوَاهَا
وَحَدِيثًا كَرَوَايَاتِ الْهَوَى جَدًّا لِلصَّبِّ حَتَّى فَرَوَاهَا
وَقَنَاءَ صَعْدَةٍ لَوْ وَهَبْتُ لِلسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ اخْتَالَ وَتَاهَا
أَيْنَ مَنِّي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُهُ أَنْ يَرْتِي الشَّمْسَ رَثَاهَا ؟
خَانَنِي فِي يَوْمِ سَعْدٍ ، وَجَرَى فِي الْمَرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاهَا
فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثِقَاهَا

١ إشارة إلى تحدي موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد في القرآن : ﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ .

لا الحِجَى لَمَّا تَنَاهَى عَرَّهَا بِالْمَقَادِيرِ ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
فَهَبَتْ أَوَابَةً مُؤَمِّنَةً خَالِصاً مِنْ حَجَرَةِ الشُّكِّ هُدَاهَا
آتَسَتْ خَلْقاً ضَعِيفاً وَرَأَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَا
مَا دَعَاهَا الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ « وَصِيفٍ » مَا دَعَاهَا

* * *

١ وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهي القرية التي توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتي قضى بها .

الشاعر الموسيقي فردي*

فتى العقلِ والتَّعَمُّعِ العَالِيَةِ مضى ومَحاسِنُهُ بِاقِيَةٍ
فلا سُرُوقَةً لم تكن أَنَسَهُ ولا مَلِكٌ لم تَرَن نادِيَهُ
ولم تَجْلُ مِنْ طِيْبِهَا بَلَدُهُ ولم تَحُلْ مِنْ ذِكْرِهَا نَاحِيَهُ
يكادُ إِذَا هُوَ عَتَى الْوَرَى بِقَافِيَةٍ يُنْطِقُ الْقَافِيَهُ
يَتَبَّعُ عَلَى الْمَاسِ بَعْضُ الثَّحَاسِ إِذَا ضَمَّ الْحَانَهُ الْغَالِيَهُ
وتَحْكُمُ فِي النَفْسِ أَوْتَارُهُ عَلَى الْعُودِ نَاطِقَةً حَاكِيه
وتَبْلُغُ مَوْضِعَ أَوْتَارِهَا وَتُفْشِي سَرِيرَتَهَا الْخَافِيَهُ
وَكَمْ آيَةٍ فِي الْأَغَانِي لَهُ هِيَ الشَّمْسُ لَيْسَ لَهَا ثَانِيَهُ !
إِذَا مَا تَنَادَى بِهَا الْعَارِفُونَ قُلْ : الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ مِنْ غَادِيهِ
فَإِنْ هَمَسُوا بَعْدَ جَهْرٍ بِهَا فَحَقَّقُ الْحُلِيَّ عَلَى الْغَانِيهِ
لَقَدْ شَابَ فَرْدِي وَجَارَ الْمَشِيبَ وَعَبَدَا شَبِيبَتَهَا زَاهِيَهُ
ثُمَّ لُ مِصْرَ لِهَذَا الزَّمَانِ كَمَا هِيَ فِي الْأَعْصَرِ الْخَالِيهِ
وَنَذَكَرُ تِلْكَ اللَّيَالِي بِهَا وَنَشْدُ تِلْكَ الرُّؤَى السَّارِيهِ
وَنَبْكِي عَلَى عِزَّنَا الْمُتَقْصِي وَنَشْدُ أَيَّامَنَا الْمَاضِيهِ
فِي آلَ فَرْدِي ، نَعَزِّيكُمْ وَنَبْكِي مَعَ الْأَسْرَةِ الْبَاكِهِ
فَقَدْنَا بِمَقْضُودِكُمْ شَاعِرًا يَقِلُّ الزَّمَانُ لَهُ رَاوِيَهُ

* * *

* الشاعر الموسيقي فردي أحد أعلام إيطاليا العالميين ، وقد توفي سنة ١٩٠١ .
١ عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

إسماعيل أباطة باشا*

سقى الله بالكفر الأباطي مَضْجَعاً نضوع كافوراً من الخلد ساريا
 يطيب ثرى بُرْدَيْنَ من نَفْحِ طَيْبِهِ كأن ثرى بُرْدَيْنَ مَسَّ الْعَوَالِيَا
 فإِ لَكَ غِمْداً من صَفِيحٍ وَجَنْدَلٍ حوى السيفَ مَصْقُولَ الْغِرَارِ يَمَانِيَا
 وكنا استلنا في النواذب عِزَّهُ فلم يُلَفَّ هَيَاباً ، ولم يُلَفَّ ناييا
 إذا اهتزَّ دُونَ الْحَقِّ يَحْمِي حِيَاضَهُ تأخَّرَ عنها باطلُ الْقَوْمِ ظَامِيَا
 طَوْثُهُ يَدُّ لِلْمَوْتِ ، لا الْجَاهُ عَاصِماً إذا بَطَشْتَ يَوْماً ، ولا الْمَالُ فَادِيَا

* * *

تال صبا الأعمار عند رَفِيفِهِ وعند جُفُوفِ الْعُودِ في السَّنِّ ذَاوِيَا
 وبعض المنايا تُثْرِلُ الشَّهْدَ في الثرى ويخططن في التُّرْبِ الْجِبَالِ الرُّوَاسِيَا

* * *

يقولون : يرثي الراحلين ، فَوْنَحَهُمْ ! أَلْمَلْتُ عند الراحلين الجَوَازِيَا ؟
 أبوا حسداً أن أجعل الحيَّ أَسْوَةً لهم ، ومثلاً قد يُصَادِفُ حَاذِيَا
 فلَمَّا رُبِّيتُ المِيتَ أَقْضِي حَقَّوَهُ وَجَدْتُ حَسُوداً لِلرُّفَاتِ وَشَانِيَا
 إذا أنت لم تَرْعَ الْعُهُودَ هَالِكٍ فلست لحيَّ حَافِظَ الْعَهْدِ رَاعِيَا
 فلا يَطْوِينَ الموتُ عَهْدَكَ من آخر وَهَبَهُ بَوَادٍ غَيْرِ وَاذِيكَ نَائِيَا

* إسماعيل أباطة باشا : أحد سراة الزعماء في البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع في الجمعية التشريعية ، وقد توفي سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخاً حافلاً بالمواقف الوطنية الحمودة .

١ بردين : قرية الفقيد ، وهي من أعمال مديرية الشرقية .

أقام بأرض أنت لاقيه عندها وإن يثما تستبعدان التلقيا

رثيتُ حياةً بالشناء خليقةً وحلّيتُ عهداً بالمفاخر حالياً
وعزّيتُ بيتاً قد تبارت سماءه مشايخ أقمّاراً ، ومردداً درارياً
إلى الله إسماعيلُ وانزل بساحة تزي الرحمة الكبرى وراء سماءها
لدى ملك لا يمنع الظلّ لائذاً ثلث الثقي في سنيها والمعاصيا
وأقسم كنت المرة لم يثس دينه ولا الصفح تواباً ، ولا العفوراجيا
وكنّت إذا الحاجات عزّ قضاؤها ولم تلهي دُنياؤه وفي ماهيا
وكنّت تُصلي بالملوك جماعة لحاج اليتامى والأرامل قاضيا
ومن يُعط من جاءه الملوك وسيلة وكنت تقوم الليل بالنفس خاليا
وكنّت الجريء التدب في كل موقف فلا يصنع الخيرات ، لم يُعط غاليا
بصرتُ بأخلاق الرجال فلم أجد تلقّت فيه الحق لم يلق حاميا
من العزم ما يُحيي فحولاً كثيرة - وإن جلت الأخلاق - للعزم ثانيا
وما حظ من ربّ القصائد مادحاً وقدّم كافور الحصى الطواشيا
فليس البيان المهجو إن كنت ساخطاً وأنزلته عن رتبة الشعر هاجيا
ولكن هدى الله الكريم وحيه ولا هو زور المدح إن كنت راضيا
ثميص على الأحياء نوراً ، وتارة حملت به المصباح في الناس هاديا
هياكل تقى ، والبيان مخلد نُضيء على الموتى الرجام الدواجيا
ألا إن عثّق الخمر يثسي الأوانيا

• • •

١ يشبه شيوخ الأسرة الأباطية بالأقمار ، وشبابها المرد بدراري النجوم ، على حين أن هذه الأقمار والنجوم تتبارى في الإشعاع والإضاءة .

٢ الرجام : القبور . والدواجي - جمع داجية : المظلمة .

ذهبت أبا عبد الحميد مبرراً
 قليل المساوي في زمان يرى العلا
 طوبى لك كالماضي تلقاه غمده
 فكنت على الأفواه سيرة مجمل
 وفيت لمن أدناك في الملك حقة
 أثاروا على آثار موتك صجة
 ومن سابق التاريخ لم يأمن الهوى
 إذا وضع الأحياء تاريخ جيلهم

إذا سلم الدستور هان الذي مضى
 ألا كل ذنب ليلي لأجله
 وهان من الأحداث ما كان آتيا
 سد لنا عليه صفحا والتناسيا

علي بهجت*

أَحَقُّ أَنَّهُمْ دَفَنُوا عَلِيًّا وَحَطُّوا فِي الثَّرَى الْمَرْءَ الزَكِيَّا ؟
 فَمَا تَرَكَوا مِنَ الْأَخْلَاقِ سَمْحًا عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ ، وَلَا رَضِيًّا ؟
 مَضَوْا بِالضَّاحِكِ الْمَاضِي وَالْقَوَا إِلَى الْحُفْرِ الْحَقِيفِ السَّهْرِيَّا ؟
 فَتَمَّ عَوْنُ اللِّغَاتِ عَلَى مُلِمٍّ أَصَابَ فَصِيحَتَهَا وَالْأَعْجَمِيَّا ؟
 لَقَدْ قَدَّزَتْ مُصَرِّفَهَا حِينًا وَبَاتَ مَكَانُهُ مِنْهَا خَلِيًّا
 وَمَنْ يَنْظُرُ بَرَّ الْفُسْطَاطِ تَبْكِي بِفَائِضَةٍ مِنَ الْعَبْرَاتِ رِيًّا
 أَلَمْ يَمْشِ الثَّرَى قِحَّةً عَلَيْهَا وَكَانَ رِكَابُهَا نَحْوَ الثُّرَيَّا ؟
 فَتَقَبَّ عَنْ مَوَاضِعِهَا عَلِيًّا فَجَدَّدَ دَارِسًا ، وَجَلَا خَفِيًّا
 وَلَوْلَا جُهْدُهُ احْتَجَبَتْ رُسُومًا فَلَا دِمْنًا تُرْبِكَ وَلَا نُؤْيَا
 تَلَفَّتْ الْفَنُونُ وَقَدْ تَوَلَّى فَلَمْ تَجِدِ النَّصِيرَ وَلَا الْوَلِيَّا
 سَلَوْا الْآثَارَ : مَنْ يَغْدُو يُغَالِي بِهَا ، وَبِرُوحٍ مُحْتَظًّا حَقِيًّا ؟
 وَيُثْرِلُهَا الرُّفُوفَ كَجَوْهَرِيٍّ يُصَفِّفُ فِي خَزَائِنِهَا الْحَلِيَّا ؟
 وَمَا جَهَلَ الْعَتِيقَ الْحَرَّ مِنْهَا وَلَا عَمِيَّ الْمُقْلَدَّ وَالْدَّعِيَّا
 فَتَى عَافِ الْمَشَارِبِ مِنْ دَنَايَا وَصَانَ عَنِ الْقَدَى مَاءَ الْمُحَيَّا
 أَبِي النَّفْسِ فِي زَمَنِ إِذَا مَا عَجَمَتْ بَنِيهِ لَمْ تَجِدِ الْأَيَّا
 تَعَوَّدَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسَ رَأْسًا وَلَيْسَ يَرُونَهُ الذَّنْبَ الدَّنِيَّا
 وَجَدَّتْ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفُوسًا وَلَا يَغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئَا

• رثى أميراليان « أحمد شوقي » فقيد العلم والعاديات المغفور له « علي بهجت » بهذه البيتة العصماء التي قيلت في حلة تأيينه ، وهي كما يراها القاريء الكريم ، أخذة من أخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر نشرت بمجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤ .

ولم أر في السلاح أضلَّ حَدًّا من الأخلاق إن صَحِبَتْ عَوِيًّا
هما كالسيف ، لا تُصِفُهُ يَفْسُدُ عليك ، وخُذْهُ مُكْتَمِلًا سَوِيًّا

* * *

غديرٍ أترع الأوطانَ خيراً وإن لم تَمْتَلِ منه دَوِيًّا
وقد تأتي الجداولُ في خشوعٍ بما قد يُعْجِزُ السَّيْلَ الأَيِّياً
حياةً مُعَلِّمٍ طِفِئَتْ ، وكانت سراجاً يُعْجِبُ الساري وَضِيًّا
سبقتُ القابسين إلى سَنَاهَا ورُحْتُ بنورها أَحْبُو صَبِيًّا
أخذتُ على أريبٍ أَلْمَحِيَّ وَمَنْ لَكَ بِالْمُعَلِّمِ أَلْمَعِيَّا ؟
وَرُبَّ مُعَلِّمٍ تَلَقَّاهُ قَطًّا غليظ القلبِ ، أو قَدْماً غَبِيًّا
إذا انتدب البنون لها سيوفاً من الميلاد رَدَّهُمْ عَصِيًّا
إذا رَشَدَ المعلمُ كان مُوسَى وإن هو ضَلَّ كان السامريًّا
وَرُبَّ مُعَلِّمٍ خَلَّوْا وفاقوا إلى الحرية أَنَسَاقُوا هَدِيًّا
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا لنار الظالمين بها صِلِيًّا

* * *

أَرِقتُ وما نَسِيتُ «بناتِ بومٍ» على «المطريَّة» أُنْدَقَتْ بُكْيَا
بَكَتْ وتَأَوَّهَتْ ، قَوِهَتْ شَرًّا وقبلي داخلَ الوَهْمِ الذُّكْيَا
قَلْبْتُ لها الحَذِيَّ ، وكان مني ضللاً أن قَلْبْتُ لها الحَذِيَّا
زَعَمْتُ الغَيْبَ خَلْفَ لسانِ طيرٍ جَهَلْتُ لسانَه فزَعَمْتُ غِيًّا
أصاب الغيبَ عند الطير قومٌ وصار البومُ بينهم نَبِيًّا
إذا عَتَاهُو وجدوا سَطِيحاً على فمه ، وأَفْعَى الجُرْهُمِيَّا
رمى الغربانُ شَيْخَ تَنَوَّخَ قَبلي وراش من الطويل لها دَوِيًّا
نَجَا من نَاجِدِيهِ كُلُّ لَحْمٍ وعُودِرَ لَحْمُهُنَّ به شَمِيًّا
نَسْتُ فما وجدتُ العَمَضَ حَتَّى نَفَضْتُ على المَنَاحَةِ مُقَلَّتِيَّا
قلتُ : نَذِيرَةٌ وبلاغٌ صِدْقٍ وَحَقٌّ لم يُفَاجِئِ مَسْمَعِيَّا

ولكن الذي بكت البواكي خليل عر مصرعه عليا
ومن يجمع بحر عبقي يجد ظلم المنية عبقريا
ومن تراخ مدته فيكثر من الاحباب لا يخصي النعيا

أنحي ، أقبل علي من المنايا وهات حديثك العذب الشهبيا
فلم أعدم إذا ما الدور نامت سميرا بالمقابر أو نجيا
يذكرني اللجج لدة حميما هنالك بات ، أو خلا وقيا
نشدتك بالنية وهي حق ألم يك زحرف الدنيا فريا
عرفت الموت معني بعد لفظ تكلم ، وأكشف المعنى الحيا
أتاك من الحياة الموت فانظر أكنت تموت لو لم تلف حي ؟
وللأشياء أضداد إليها نصير إذا صبرت لها مليا
ومثقلب النجوم إلى سكون من الدوران يطوهر طيا
فخبرني عن الماضين ؛ إني شددت الرحل أنتظر المضيا
وصف لي منزلا حملوا إليه وما لحوا الطريق ولا المطيا
وكيف أتى الغني له فقيرا وكيف ثوى الفقير به غنيا ؟
لقد لبسوا له الأزياء شتى فلم يقبل سوى التجريد زيا
سواء فيه من وافى نهارا ومن قذف اليهود به عشيا
ومن قطع الحياة صدا وجوعا ومن مرت به شيعا وريا
وميت ضجت الدنيا عليه وآخر ما تحس له نعيّا

الجزء الرابع
متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع

الجامعة المصرية*

تاج البلاد ، تحيةً وسلاماً
العلم والمُلك الرفيعُ ؛ كلاهما
فكأنك المأمونُ في سُلطانِه :
أهدى إليك الغربُ من ألقابه
من كلِّ مملكةٍ ، وكلِّ جماعةٍ
رَدَّتْكَ مصرُ ، وصحَّتْ الأحلامُ
لك - يا «فؤاد» - جلالةً ومقام
في ظلك الأعلامُ ، والأقلامُ^١
في العلمِ ما تسوُّ له الأعلام
يسعى لك التقديرُ والإعظام

* * *

ما هذه العُرفُ الزواهرُ كالصُحَى
من كلِّ مرفوعِ العمودِ مُنَوَّرٍ
تحتطمُّ الأُمِّيَّةُ الكبرى على
هذا البناءِ الفاطميِّ منارةً
مهدًى تَهَيَّأَ للوليدِ ، وأيكةً
شرفاته نورُ السبيلِ ، وركنهُ
وملاعبٌ تجري الخطوطُ مع الصبا
يمشي بها الفِثْيَانُ ، هذا ما له
الشاعراتُ كأنها الأعلامُ ؟
كالصبحِ مُنْصَدِعٍ به الإِظلامُ
عَرَصَاتِه ، وتُمرِّقُ الأوهامُ
وقواعدُ الحضارةِ ودِعامُ
سَيْرِنُ فيها بُلبُلُ وِحمامُ
للعبقريَّةِ مَنَزَلُ ومُقامُ
في ظِلِّهِنَّ ، وتُوَهَّبُ الأقسامُ^٢
نفسُ تُسَوِّدُه ، وذاك عِصَامُ^٣

- أنشأها في حلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ .
- ١ المأمون بن الرشيد العباسي ، وعصره من أزهى عصور الدولة الإسلامية .
- ٢ الأقسام : الخطوط .
- ٣ يشير إلى قول النابغة :

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والإقداما
وعصام حاجب النعمان بن المنذر ، وإليه ينسب كل عصامي .

ألقى أواسييه ، وطال بُركته
من آل إسماعيل ، لا العَمَاتُ قد
لم يُعْطَ هِمَّتَهُمْ ، ولا إحسانَهُمْ
وبنى قَوَادُ حَانِطِيهِ ، يُعِينُهُ
نَفْسٌ من الصَّيْدِ المَلُوكِ كُرَامُ
قَصَّرْنَ عن كَرَمٍ ، ولا الأَعَامِ
بأن على وادي المَلُوكِ هُمَامُ
شعبٌ عن الغَايَاتِ ليس يَنَامُ

أنظر أبا الفاروق غرسك ، هل دَنَتْ
وهل انثنى الوادي وفي فهِ الجَنَى
في كلِّ عاصمةٍ وكلِّ مَدِينَةٍ
كم نستعيرُ الآخرين ونَجْتَدِي
اليومَ يَرَعَى في خِمالِ أرضِهِمْ
حباً عَرَسَتْ بِرَاحَتِكَ ، ولم يَزَلْ
حتى أَنَاقَ على قَوَائِمِ سَوْفِهِ
قَرِيبُهُ للحَاضِرِينَ وَلِيَمَّةٍ
عِظَةُ لِفَارُوقٍ وصَالِحِ جِيلِهِ
وَنَمُودَجٌ تَحْدُو عَلَيْهِ ، ولم يَزَلْ
شَبَدَتْ صَرْحاً لِلذَّخَائِرِ عَالِيَاً
رَفٌ عُيُونُ الكُتُبِ فِيهِ طَوَائِفُ
إِسْكَندَرِيَّةٍ ، عاد كَتْرُكُ سَالِمَاً
لَمْتُهُ من لَهَبِ الحَرِيقِ أَنَامِلُ
وَأَمْسَتْ جِرَاحَتُكَ القَدِيمَةُ رَاحَةً
ثَمَرَاتِهِ ، وبذت له أَعْلَامُ ؟
وَأَتَى العِرَاقُ مُشَاطِراً والشَّامُ ؟
شُبَّانُ مِصْرَ عَلَى المَنَاحِلِ حَامُوا
هِيَاث ! مَا لِلْعَارِيَاتِ دَوَامُ
نَشَأُ إِلَى دَاعِي الرَّحِيلِ قِيَامُ
يَسْقِيهِ من كِلْتَا يَدَيْكَ عَنَامُ
ثَمَرَاً تَنُوءُ وَرَاءَهُ الأَكَامُ
وَبَعِيدُهُ لِلغَابِرِينَ طَعَامُ
فِيمَا يُنِيلُ الصَّبْرُ والإِقْدَامُ
بَسْرَاتِهِمْ يَتَشَبَّهُ الأَقْوَامُ
يَأْوِي الجَلَالُ إِلَيْهِ والإِهْلَامُ
وَجَلَالُ الأَسْفَارِ فِيهِ رُكَامُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَلْتَهُمْ ضِرَامُ
بَرْدٌ عَلَى مَا لَامَسَتْ ، وَسَلَامُ
جُرْحُ الزَّمَانِ بِعُرْفِهَا يَلْتَامُ

١ الأواسي : الدعائم والأبنية المحكمة .

٢ يشير إلى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الإسكندرية .

تَهَبُ الطَّرِيفَ مِنَ الْفَخَّارِ ، وَرَبِّمَا بَعَثْتَ تَلِيدَ الْمَجْدِ وَهُوَ رِمَامُ

* * *

أَرَأَيْتَ زُكْنَ الْعِلْمِ كَيْفَ يُقَامُ ؟ أَرَأَيْتَ الْإِسْتِقْلَالَ كَيْفَ يُرَامُ ؟
الْعِلْمُ فِي سُبُلِ الْحَضَارَةِ وَالْعِلَالِ حَادٍ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ ، وَزِمَامِ
بَانِي الْمَمَالِكِ حِينَ تَنْشُدُ بَانِيًا وَمَتَابَةُ الْأَوْطَانِ حِينَ تُضَامِ
قَامَتْ رُبُوعُ الْعِلْمِ فِي الْوَادِي ، فَهَلْ لِلْعَبْقَرِيَّةِ وَالنَّبُوغِ قِيَامُ ؟
فَهُمَا الْحَيَاةُ ، وَكُلُّ دُورٍ ثِقَافَةٍ أَوْ دُورِ تَعْلِيمٍ هِيَ الْأَجْسَامِ
مَا الْعِلْمُ مَا لَمْ يَصْنَعَاهُ حَقِيقَةً لِلطَّالِبِينَ ، وَلَا الْبَيَانُ كَلَامِ
يَا مِهْرَجَانَ الْعِلْمِ ، حَوْلَكَ فَرَحَةٌ وَعَلَيْكَ مِنْ آمَالِ مِصْرَ زِحَامِ
مَا أَشْبَهْتَ مَوَاسِمُ الْوَادِي ، وَلَا أَعْيَادُهُ فِي الدَّهْرِ ، وَهِيَ عِظَامِ
إِلَّا نَهَارًا فِي بَشَاشَةِ صُبْحِهِ قَعْدَ الْبِنَاءِ ، وَقَامَتِ الْأَهْرَامِ
وَأَطَالَ «خَوْفُو» مِنْ مَوَاقِبِ عِزِّهِ فَاهْتَزَّتِ الرِّبَوَاتُ ، وَالْآكَامِ
يُومِي بِنَاجٍ فِي الْحَضَارَةِ مُعْرِقِ تَعْمُرُ الْجِبَاهُ لِعِزِّهِ ، وَالْهَامِ
تَاجٌ تَنْقَلُ فِي الْعُصُورِ مُعْظَمًا وَتَأَلَفَتْ دُولٌ عَلَيْهِ جِسَامِ
لَمَّا اضْطَلَعَتْ بِهِ مَشَى فِيهِ الْهَدَى وَمَرَّاشِدُ الدِّسْتُورِ ، وَالْإِسْلَامِ
سَبَقَتْ مَوَاقِبُكَ الرَّيِّعَ وَخُسْنَهُ فَالْنَيْلُ زَهْوٌ ، وَالصَّفَافُ وَسَامِ
الْجِيزَةُ الْفِيحَاءُ هَزَّتْ مِنْكِبًا سَبَغَ النِّوَالُ عَلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ
لَبَسَتْ زَخَارِفَهَا ، وَمَسَّتْ طَبِيبَهَا وَتَرَدَّدَتْ فِي أَيْكِهَا الْأَنْعَامِ
قَدْ زَدَتْهَا هَرَمًا يُحَجُّ فَنَاوَهُ وَيُشَدُّ لِلدُّنْيَا إِلَيْهِ حِزَامِ
تَقْفُ الْقُرُونُ غَدًا عَلَى دَرَجَاتِهِ تُمْلِي الثَّنَاءَ ، وَتَكْتُبُ الْأَيَّامِ
أَعْوَامُ جَهْدٍ فِي الشَّبَابِ ، وَرَاءَهَا مِنْ جَهْدٍ خَيْرِ كَهُولَةِ أَعْوَامِ
بَلَّغَ الْبِنَاءَ عَلَى يَدَيْكَ ثَمَامَهُ وَلِكُلِّ مَا تَبْنِي يَدَاكَ ثَمَامِ

بنك مصر*

تُرَاوِحُ بِالْحَوَادِثِ ، أَوْ تُفَادَى
 وَنَحْمَدُهَا وَمَا رَعَتْ الصَّحَايَا
 لِحَاها اللهُ ؛ بَاعَتَنَا خِيالاً
 مَشِيناً أَمْسٍ نَلْقَاهَا جَمِيعاً
 أَظَلَّتْنَا عَنِ الإِصْلَاحِ ، حَتَّى
 تُؤَلِّقِنَا ، فَلَا نَجِدُ الصِّيَاصِي
 وَمَنْ لَقِيَ السَّبَاعَ بِغَيْرِ ظَفِيرٍ
 خَضَعْنَا مِنْ عُلُوِّ الْحَقِّ حَتَّى
 وَلَمَّا لَمْ تَنْلُ لِلسَّيْفِ رِذّاً
 وَأَقْبَلْنَا عَلَى أَقْوَالٍ زَوْرٍ
 وَلَوْ عُدْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ قَرْنٍ
 وَكَمْ سَحَرٍ سَمِعْنَا مِنْذُ حِينٍ
 هَيْئاً لِلْعُلُوِّ بِكُلِّ أَرْضٍ
 وَبُعْداً لِلسِّيَادَةِ وَالْمَعَالِي
 وَرَبُّ حَقِيقَةٍ لَا بَدْءَ مِنْهَا
 وَلَوْ طَلَعُوا عَلَيْهَا عَالِجُوهَا
 تُعِدُّ لِحَادِثِ الأَيَّامِ صَبْراً
 وَتُنْكِرُهَا ، وَنُعْطِيهَا الْقِيَادَا
 وَلَا جِزْتَ الْمَوَاقِفَ وَالْجِهَادَا
 مِنْ الْأَحْلَامِ ، وَاشْتَرَتْ اتِّحَادَا
 وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَلْقَاهَا قُرَادَى^١
 عَجَزْنَا أَنْ نُنَاقِشَهَا الْفُسَادَا
 وَنَلْقَاهَا ، فَلَا نَجِدُ الْعِتَادَا^٢
 وَلَا نَابِ تَمَرِّقٍ أَوْ تَفَادَى
 تَوَهَّمْنَا السِّيَادَةَ أَنْ نُسَادَا
 تَنَازَعْنَا الْحِمَائِلَ وَالتَّجَادَا
 تَجِيءُ الْعَمَى تَقْلِبُهُ رَشَادَا
 رَحِمْنَا الطَّرْسَ مِنْهَا وَالْمِدَادَا
 تَضَاعَلْ بَيْنَ أَعْيُنِنَا وَنَادَى
 إِذَا هُوَ حَلٌّ فِي بَلَدٍ تُعَادَى
 إِذَا قَطَعَ الْقِرَابَةَ وَالْوِدَادَا
 خَدَعْنَا النُّشْءَ عَنْهَا وَالسَّوَادَا
 بِهِمَّةٍ أَنْفُسٍ عَظُمَتْ مُرَادَا
 وَآوَنَةُ تُعِيدُ لَهُ عِنَادَا

٥. أنشئت في مجلس الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس « بنك مصر » في مايو ١٩٢٥

١. يشير إلى ما كان من حدة الخلاف بين زعماء مصر في ذلك التاريخ .

٢. الصياصي : الحصون . والعتاد : عدة الحرب .

وتخلف بالثمى البيض المواضي
لَمَحْنَا الحَظَّ نَاحِيَةً ، فَلَمَّا
وليس الحَظُّ إِلَّا عَاقِبِيًّا
ونحن بنو زمانٍ حَوَّلِيٍّ
إذا قعد العبادُ له بسوقٍ
وَتَعَجَّبَهُ العَوَاطِفُ فِي كِتَابِ
وبالحُلُقِ المثَقَّفَةِ الصَّعَادَا
بلغناها أَحْسَنَ بِنَا ، فَحَادَا
يُحِبُّ الْأَرْزِيحَةَ ، وَالسَّدَادَا
تَنَقَّلَ تَاجِرًا ، وَمَشَى ، وَرَادَا
شَرَى فِي السُّوقِ ، أَوْ بَاعَ الْعِبَادَا
وَفِي ذَمِّهِ الْمُشْتَخَصِ مَا أَجَادَا

* * *

يُؤَمِّنُنَا عَلَى الدِّسْتُورِ أَنَا
أَبُو الْفَارُوقِ نَرْجُوهُ لِفَضْلِ
مَلَأْنَا بِاسْمِهِ الْأَفْوَاةَ فَعَرَا
تُجَانِيهِ ، فَنَسْتَرَعِي حَكِيمًا
وَلَمْ يَزَلِ الْمُحِبِّبَ ، وَالْمَقْدَى
نَرَى مِنْ خَلْفِ حَوَازِيهِ قَوَادَا
وَلَا نَخْشَى لِمَا وَهَبَ ارْتِدَادَا
وَلَقَبْنَاهُ بِالْأَمْسِ الْمَكَادَا
وَنَسْأَلُهُ فَنَسْتَجِدِي جَوَادَا
وَمَرَهَمَ كُلِّ جُرْحٍ ، وَالضَّادَا

* * *

تَدْفُقُ مَضْرُفُ الْوَادِي ، فَرَوَى
دَعَا فَتَنَافَسَتْ فِيهِ نَفُوسُ
تُهْدِمُ عَوْنَهَا ثِقَةً وَمَالًا
وَأَقْبَلَ مِنْ شَبَابِ الْقَوْمِ جَمْعُ
كَانَ جَوَانِبَ الدَّارِ الْخَلَايَا
فِي دَارًا مِنْ الْهَمِّ الْعَوَالِي
ثَانِي حِينَ أَسَّسَكَ ابْنُ حَرْبٍ
وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءِ
وَصَابَ غَمَامُهُ ، فَسَقَى ، وَجَادَا
بِمِصْرَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ تُنَادَى
وَأَحْيَانًا تُقَدِّمُهُ اجْتِهَادَا
كَمَا بَنَتِ الْكُهُولُ بَنَى ، وَشَادَا
وَهُمْ كَالْتَحَلُّ فِي الدَّارِ احْتِشَادَا
سُقِيَتِ الثَّبَرُ ، لَا أَرْضَى الْعِبَادَا
وَحِينَ بَنَى دَعَائِكَ الشَّدَادَا
إِذَا الْبَنَاءُ لَمْ يُعْطَ اثْنَادَا

١ الميكادو : الملك في لغة اليابان .

٢ العهد : المطر .

بنى الدارَ التي كُتِبَ نراها
 ولم يَتَّعِدْ عَلَى نَفْسِ مَرَامٍ
 ولم أَرِ بَعْدَ قَدْرَتِهِ تَعَالَى
 جَرَى وَالنَّاسُ فِي رَيْبٍ وَشَكٍّ
 وَعَوْدِي دُونَهَا حَتَّى بَنَاهَا
 يَهُونَ الْكَيْدُ مِنْ أَعْدَى عَدُوٍّ
 فَجَاءَتْ كَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى
 نَصُونُ كَرَائِمِ الْأَمْوَالِ فِيهَا
 وَنُخْرِجُهَا ، فَتَكْسِبُ ، ثُمَّ تَأْوِي
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا أَرْضاً أَغْلَتْ
 وَلَا مُسْتَوْدِعاً مَالاً لِقَوْمٍ
 وَمِنْ عَجَبٍ تُبَيِّنُهَا أَصُولاً
 كَأَنَّ الْقَطْرَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا
 وَلَوْ مَلَكَتْ كُنُوزَ الْأَرْضِ كَهَيِّ
 وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ عَنَّتْ لِحُكْمِي

أَمَانِيَّ الْمُحْمِلِ ، أَوْ رُقَادَا
 إِذَا رَكِبْتَ لَهُ الْهَيْمَمَ الْبُعَادَا
 كَمَقْدِرَةِ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا
 يَرُومُ السَّبْقِ ، فَاخْتَرَقَ الْحَيَادَا
 وَمِنْ شَأْنِ الْمُخَدِّدِ أَنْ يُعَادَى
 عَلَيْكَ إِذَا الْوَلِيُّ سَبَعَى وَكَادَا
 عُلُّوا فِي الْمَشَارِقِ وَانْطِيدَا
 وَنُتِرَ لَهَا الْخِزَانُ وَالنُّضَادَا
 رُجُوعَ النَّحْلِ قَدْ حُمِّلْنَ زَادَا
 وَمَا سُقِيَتْ ، وَلَا طَعِمَتْ سَمَادَا
 إِذَا رَجَعُوا لَهُ أَدَى وَزَادَا
 وَتِلْكَ فُرُوعُهَا تَغْشَى الْبِلَادَا
 سَمَا قَبْلَ الْأَسَاسِ بِهَا عِمَادَا
 جَعَلَتْ أَسَاسَهَا مَاساً وَرَادَا
 فَرَشَتْ النُّبْرَاتِ لَهَا مِهَادَا

دارُ بنكِ مصرَ*

نَبَذَ الهوى ، وصَحَا من الأحلام
ثَابِتُ سلامته ، وأقبلَ صحوةً
صاحتْ به الآجَامُ : هُتَّتْ ! فلم يَتَمَّ ،
أُمَمٌ وراءَ الكهفِ جُهدُ حياتهم
نفضوا العيونَ من الكرى ، واستأنفوا
مَنْ ليس في رَكْبِ الزمانِ مُعَبِّراً
في كُلِّ حاضرةٍ وكلِّ قبيلةٍ
مِنْ كُلِّ مُمتنعٍ على أرسانه

* * *

يا مِصرُ ، أنتِ كِنَانَةُ اللهِ التي
استَقْبَلِي الآمالَ في غاياتها
وخذِي طَريفَ المجدِ بعدَ تَلِيده
يُعْتَى بِسُوددِ قومه ، وحُقوقهم
ما تاجَلِ العالِي ، ولا تُؤَابِه
جَرَّبَتْ نُعْمَى الحادِثاتِ وبُوسَهَا

* * *

عَبَسَتْ إلينا الحادِثاتُ ، وطالما
وَبَّتْ بِقومٍ يَضْمِلُونَ جِراحهم
نَزَلَتْ فلم تُغَلِّبْ على الأحلام
وَيُسْرِقُدُونَ نَوَازِي الآلام

* نظمها لتتشد في خلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر في يونيو سنة ١٩٢٧ .

الحقُّ كلُّ سلاحِهِم وكفاحِهِم والحقُّ نِعَمَ مُثَبَّتُ الأقدام

* * *

يَنُونُ حَائِطَ مُلْكِهِم فِي هُدْنَةٍ وعلى عَوَاقِبِ شِخْنَةٍ وَخِصَامِ
قُلُوبٍ لِلْحَوَادِثِ : أَقْدَمِي ، أَوْ أَحْجِمِي إِنَّا بَنَوُ الإِقْدَامِ والإِحْجَامِ
نَحْنُ النَّيَامُ إِذَا اللَّيَالِي سَالَمَتْ فَإِذَا وَتَّيْنُ فَنَحْنُ غَيْرُ نِيَامِ
فِينَا مِنْ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بَقِيَّةُ لِحَوَادِثِ خَلْفَ الْعُيُوبِ جِسَامِ

* * *

أَيْنَ الْوُفُودُ الْمُتَقَوْنَ عَلَى الْقِرَى الْمُتَزَلُّونَ مَنَازِلَ الْأَكْرَامِ^١
الْوَارِثُونَ الْقُدْسَ عَنْ أَجَارِهِ وَالْخَالِفُونَ أُمِّيَّةً فِي الشَّامِ ؟
الْحَامِلُو الْقُضْحَى وَنُورَ بَيَانِهَا يَنُونُ فِيهِ حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ ؟
وَيُؤَلِّفُونَ الشَّرْقَ فِي بُرْهَانِهَا لَمْ الضِّيَاءُ حَوَاشِيَ الْإِظْلَامِ ؟
تَاقُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ ، فَتَحَمَّلُوا وَهَوَى الدِّيَارِ وَرَاءَ كُلِّ غَرَامِ
مَا ضَرَّ لَوْ حَبَسُوا الرِّكَائِبَ سَاعَةً وَتَنَوْا إِلَى الْفُسْطَاطِ فَضْلَ زِمَامِ ؟
لِيُضِيفَ شَاهِدُهُمْ إِلَى أَيَّامِهِ يَوْمًا أَغْرَى مُلَمَّحَ الْأَعْلَامِ
وَيَرَى وَيَسْمَعُ كَيْفَ عَادَ حَقِيقَةُ مَا كَانَ مُتَمَنِّعًا عَلَى الْأَوْهَامِ . . .
. . . مِنْ هِمَّةِ الْمَحْكُومِ وَهُوَ مُكَبَّلُ بِالْقَيْدِ ، لَا مِنْ هِمَّةِ الْحُكَّامِ

* * *

مِصْرُ التَّقَى فِي مِهْرَجَانِ مُحَمَّدٍ وَتَجَمَّعَتْ لَتَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ^٢
هَزَّتْ مَنَاكِبَهَا لَهُ ، فَكَأَنَّهُ عُرْسُ الْبَيَانِ ، وَمَوْكِبُ الْأَقْلَامِ

١ يعني وفود البلاد العربية التي اجتمعت لتكريمه ومبايعته بإمارة الشعر في مارس من تلك السنة نفسها .

٢ هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا مؤسس البنك .

وكانه في الفتح عموريّة
أسيم العصور بحسنه ، وأنا الذي
وكانتي فيه أبو تمام
يروي ، فينتظم العصور كلامي

* * *

شرفاً محمد ، هكذا بُني العلا :
همم الرجال إذا مضت لم يثنها
بالصبر آونة وبالإقدام
خدعُ الثناء ولا عوادي الذّام
وتمام فضلك أن يعييك حسد
يجدون نقصاً عند كلّ تمام

* * *

المال في الدنيا منازل نُقله
فرفعت إيواناً كركن التّجم ، لم
من أين جئت له بدار مقام ؟
صيرت طيبته الخلود ، وجئت من
يُضرب على كسرى ، ولا بهرام
هذا البناء العبري أتى به
وادي الملوك بجندل ورغام
كانت به الأرقام تُدرِك حِسبة
بيت له فضل وحقّ ذمام
واليوم جاوز حِسبة الأرقام
يا طالما شغف الظنون ، وطالما
كثر الرجاء عليه في الإلّام
ما زلت أنت وصاحبك بركنه
حتى استقام على أعزّ دِعام
أسستمو بالحاسدين جداره
وبنيتمو بمعاول الهدّام
شركائك الدنيا العريضة لم تُتل
إلا بطول رعاية وقيام
الله سخر للكنانة خازناً
أخذ الأمان لها من الأعوام
وكان عهدك عهد يوسف : كلّه
ظلّ ، وسُبلة ، وقطر غمام
وكان مال المودعين وزرعهم
في راحتك ودائع الأيتام
ما زلت بُني ركن كلّ عظمة
حتى أتيت برابع الأهرام

١ قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ذائعة مشهورة .

دارُ العلوم*

اتَّخَذْتَ السَّمَاءَ يَا دَارُ رُكْنَا
وَجَمَعْتَ السَّعَادَتَيْنِ ، فَبَاتَ
نَادِمًا الدَّهْرَ فِي ذَرَاكِ ، وَفَصًّا
وَإِذَا الْخُلُقُ كَانَ عِقْدَ وَدَادِ
وَأَرَى الْعِلْمَ كَالْعِبَادَةِ فِي أَبْ
وَاسِعِ السَّاحِ ، يَرْسِلُ الْفِكْرَ فِيهَا
هَلْ سَأَلْنَا أَبَا الْعَلَاءِ وَإِنْ قَدْ
كَيْفَ يَهْزَأُ بِخَالِقِ الطَّيْرِ مَنْ لَمْ

وَأَوَّيْتُ الْكَوَاكِبَ الزُّهْرَ سَكْنَا
فِيكَ دُنْيَا الصَّلَاحِ لِلدِّينِ خِدْنَا
مِنْ سُلَافِ الْوَدَادِ دُنَا قَدْنَا
لَمْ يَنْلِ مِنْهُ مَنْ وَشَى وَتَجَنَّى
عَدِ غَايَاتِهِ : إِلَى اللَّهِ أَدْنَى
كُلُّ مَنْ شَكَّ سَاعَةً أَوْ تَنَظَّنَى
حَبِ عَيْنًا فِي عَالَمِ الْكُونِ وَسْتَى
يَعْلَمُ الطَّيْرَ ؛ هَلْ بَكَى أَوْ تَعَنَّى ؟

* * *

أَنْتِ كَالشَّمْسِ رُفْرَفًا ، وَالسَّمَاءِ كَيْفِ
لَوْ تَسْتَرْتِ كُنْتَ كَالْكَعْبَةِ الْغَرِ
إِنْ تَكُنِ لِلثَّوَابِ وَالْبِرِّ دَارًا
قَدْ بَلَغْتَ الْكَمَالَ فِي نِصْفِ قَرْنٍ
لَا تُعَدِّي السَّنِينَ إِنْ ذُكِرَ الْعَدِ
سَوْفَ تَفْنَى فِي سَاحَتِكَ اللَّيَالِي
يَا عَكَظًا حَوَى الشَّبَابَ فِصْحًا
بَثُّهُمْ فِي كَنَانَةِ اللَّهِ نُورًا
عَلِّمُوا بِالْبَيَانِ ، لَا عُرْبَاءَ

مِنْ رِوَاقًا ، وَكَالْمَجَرَّةِ صَحْنَا
أَوْ ذَيْلًا مِنَ الْجَلَالِ وَرُدْنَا
أَنْتِ لِلْحَقِّ وَالْمُرَاشِيدِ مَعْنَى
كَيْفَ إِنْ تَمَّتِ الْمَلَاوَةُ قَرْنَا ؟
لَمْ ؛ فَمَا تَعْلَمِينَ لِلْعِلْمِ سِنًا
وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْمَدَى لَيْسَ يَفْنَى
قُرَشِيَّيْنِ فِي الْمَجَامِعِ ، لُسْنَا
مِنْ ظِلَامٍ عَلَى الْبَصَائِرِ أَخْتَى
فِيهِ يَوْمًا ، وَلَا أَعَاجِمَ لَكُنَا

أُنشِدت في الاحتفال الخمسيني لدار العلوم ، بمسرح حديقة الأربكية في يوليو سنة ١٩٢٧

فنيةً محسنون ، لم يُخلفوا العـ
 صدعوا ظلمةً على الريف حلت
 من قضى منهم تفرق فكراً
 نادى دار العلوم إن شئت : «يا عا
 قل لها : يا ابنة «المبارك» إليه
 هو في المهرجان حيّ شهيد
 وهو في العرس - إن تحجب ، أو لم
 ما جرى ذكره بناديك حتى
 ربّ خير ملئت منه سروراً
 أدري إذ بذاك أن كان بيني
 حائطُ الملك بالمدارس إن شئت
 انظر الناس ، هل ترى حياة
 لا الغنى في الرجال ناب عن الفضـ
 ربّ عاث في الأرض لم تجعل الأر
 عاش لم ترمه بعين ، وأودى
 نظم الله ملكه بعباد
 شغلهم عن الحسود المعالي
 من ذكيّ الفؤاد يورثُ علماً
 كم قديم كرقعة الفن حرّ
 وجديد عليه يختلف الدهـ
 فاحتفظ بالذخيرتين جميعاً

لم رجاء ، ولا المعلم ظناً
 وأضأوا الصعيد سهلاً ، وحزنا
 في نهى النشء ، أو تقسم ذهنا
 نشء ، أو شئت نادها : «يا سكيناً»
 قد جرت كاسمه أمورك يُمنّا
 يجتلي غرس فضله كيف أجنى
 يحجب - والد العروس المهنا
 وقف الدمع في الشئون فأنى
 ذكر الحيرين فاهتجت حزناً
 فوق أنف العدو للضاد حصناً ؟
 ست ، وإن شئت بالمعقل يُبنى
 عطلت من نباهة الذكر معنى ؟
 لي وسلطانه ، ولا الجاه أغنى
 ض له إن أقام أو سار وزنا
 هماً لم تهب لنا عيه أذناً
 عبقرين أوزنوا الملك حسناً
 إنما يحسد العظيم ويُسنا
 أو بدع الخيال يخلق فتناً
 لم يقل له الجديدان شأننا
 ر ، ويفنى الزمان قرناً فقرنا
 عادة الفطن بالذخائر يُعنى

١ يعني منشئ دار العلوم المرحوم علي مبارك باشا .

يا شباباً سَقُونِي الْوَدَّ مَحْضاً وسقوا شائني على الغلِّ أَجْناً
كلما صار للكهولة شعري أنشدوه ، فعاد أَمَرَدًا لَدُنَّا
أُسْرَةُ الشَّاعِرِ الرُّوَاةُ ، وما عَدَّ حُوءُهُ ، والمرءُ بالقريب مُعْتَى
هم يَضُتُّونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَا قَا ل ، وَيُلْفَقُونَ فِي الْمَمَاتِ أَضْنًا
وَإِذَا مَا انْقَضَى وَأَهْلُوهُ لَمْ يَعِدْ دَمَ شَقِيقًا مِنَ الرُّوَاةِ أَوْ أَبْنَا
النَّبُوغَ النَّبُوغَ حَتَّى تَنْصُؤَا رَايَةَ الْعِلْمِ كَالْهَلَالِ وَأَسْنَى
نَحْنُ فِي صُورَةِ الْمَالِكِ مَا لَمْ يُصْبِحِ الْعِلْمُ وَالْعِلْمُ مِنَّا
لَا تَنَادُوا الْحِصُونَ وَالسُّفْنَ ، وَادْعُوا الْعَدَا لَمْ يُنْشِئْ لَكُمْ حِصُونًا وَسُفْنَ
إِنَّ رَكْبَ الْحِصَارَةِ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ ضَ ، وَشَقَّ السَّمَاءَ رِجْحًا وَمُزْنَ
وَصَبَحَ حِينَاهُ كَالْغَبَارِ ، فَلَا رَجَا لَّا شَدَدْنَا ، وَلَا رِكَابًا زَمْنًا
دَانَ آبَاؤُنَا الزَّمَانَ مَلِيًّا وَمَلِيًّا لِحَادِثِ الدَّهْرِ دِنًا !
كَمْ نُبَاهِي بِلَحْدِ مَيِّتٍ ؟ وَكَمْ نَحْ حَلُّ مِنْ هَادِمٍ وَلَمْ يَبْنِ مِنَّا ؟
قَدَأْنِي أَنْ نَقُولَ : «نَحْنُ» ، وَلَا نَسْ جَعَ أَبْنَاءُنَا يَقُولُونَ : «كُنَّا» !

إِسْكَندَرِيَّةٌ آتَى أَنْ تَتَجَدَّدِي*

أَمْسِ انْقَضَى ، وَالْيَوْمُ مِرْقَاةُ الْغَدِ إِسْكَندَرِيَّةُ ، آتَى أَنْ تَتَجَدَّدِي
يَا غُرَّةَ الْوَادِي وَسُدَّةَ بَابِهِ رُدِّي مَكَانَكَ فِي الْبَرِيَّةِ يُرَدِّدِ
فِيضِي كَأَمْسٍ عَلَى الْعُلُومِ مِنَ التُّهَى وَعَلَى الْفُنُونِ مِنَ الْجَمَالِ السَّرْمَدِي
وَسِمِي الثَّبَالَةَ بِالْمَلَاجِمِ تَتَسِمِ وَسِمِي الصَّبَابَةَ بِالْعَوَاطِفِ تَخْلِدِ
وَضَعِي رَوَايَاتِ الْخَلَاعَةِ وَالْهَوَى لِمُمَثِّلِينَ مِنَ الْعَصُورِ ، وَشُهَدِ

* نظمها لحفلة افتتاح دار جديدة لبنك مصر في الإسكندرية ، في يونيو سنة ١٩٢٩ .

لا تجلي حُبَّ القديم وذكره
إنَّ القديمَ ذخيرةٌ من صالح
حسراتِ مضياحٍ ، ودفعَ مُبددٍ
تنبى المقصّر ، أو تحثُّ المقتدي

* * *

لا تفتنك حضارةٌ مجلوبةٌ
لو مالَ عنك شراؤها ويخارها
وجدتْ وكان لغيرِ أهلك أرضها
جاري التزيل ، وسابقه إلى الغنى
وابني كما يني المعاهد ، واشرعي
إني حذرتُ عليك من أُميةٍ
أخزاةَ الوادي ، عليك تحيةٌ
ما أنتِ إلا من خزائنِ يوسف
قلدتِ من مالِ البلادِ أمانةً
وبلغتِ من إيمانها ورجائها
فلو أنَّ أستارَ الجلالِ سَعَتْ إلى
لم يُن حائطها بمالكِ والبد
لم يبقَ غيرُ الصَّيدِ والمتصيدِ
وسماؤها ، وكأنها لم توجد
وإلى الحِجَا ، وإلى العُلا والسُودِ
لشبابك العرفانَ عذبَ المورد
رَبَضَتْ كجُثج الغيبِ المتلبدِ
وعلى النَّديِّ وكلِّ أبلجٍ في النَّدي
بالقصدِ ، موجيةٌ لمن لم يقصدِ
يا طالما افترقتِ إلى المتقلدِ
ما يبلغُ المحرابُ من مُتعبدِ
غيرِ العتيقِ لبستِ ممَّا يرتدي

* * *

إنا نُعظِّمُ فيكِ أُلويةً على
وإذا طِعمتَ من الخَلِيةِ شَهْدًا
لا تُمنحِ المحبوبَ شُكْرَكَ كُلَّهُ
إِسْكَندَرِيَّةُ شُرْفَتْ بِعِصَابَةٍ
خدموا حِمَى الوطنِ العزيزِ ، فبوركوا
ما بالُ ذاكِ الكوخِ صَرَّحَ وانجلى
من كسرِ بيتٍ ، أو جدارِ شَقِيفَةٍ
فإذا طلعتَ على جلالَةِ رُكنِها
جَنَانِها حَشْدُ يَروحِ وَيَغْتَدِي
فاشْهَدُ لقائِها وللمُتَجَدِّ
واقِرُنْ به شُكْرَ الأَجِيرِ المُجْهِدِ
بِبيضِ الأَسِيرَةِ ، والصَّحِيفَةِ ، واليدِ
خَدَمًا ، وبوركِ في الحمى من سَيِّدِ
عن حائطي صَرَّحَ أَشْمُ مُمَرَّدٍ ؟
رَفَعَ الثَّباتُ بَنَاءً كَالْفَرْقَدِ
قلْ : تلكِ إحدى مُعْجَراتِ مُحَمَّدٍ

١ محمد طلعت حرب .

فِتْيَةُ الْوَادِي عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ*

لا يُقِيمَنَّ عَلَى الصَّيْمِ الْأَسَدُ نَزَعَ الشَّيْلُ مِنَ الْغَابِ الْوَتْدُ
كَبَرَ الشَّيْلُ ، وَشَبَّتْ نَابُهُ وَتَغَطَّى مُنْكِبَاهُ بِاللَّبْدِ
اتْرَكَوه يَمْشِي فِي آجَامِهِ وَدَعَوْهُ عَنْ حِمَى الْغَابِ يَدُّ
وَأَعْرَضُوا الدُّنْيَا عَلَى أَظْفَارِهِ وَابْعَثُوهُ فِي صَحَارَاهَا يَصِيدُ

* * *

فِتْيَةُ الْوَادِي ، عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ مَرَّحِبًا بِالطَّائِرِ الشَّادِي الْفَرْدِ
هُوَ صَوْتُ الْحَقِّ ، لَمْ يَتَّبِعْ ، وَلَمْ يَحْمِلِ الْحَقْدَ ، وَلَمْ يُخَفِ الْحَسَدَ
وَنَحْلًا مِنْ شَهْوَةٍ مَا خَالَطَتْ صَالِحًا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فَسَدَ
حَرَّكَ الْبَلْبُلُ عِطْفِي رَبْوَةً كَانَ فِيهَا الْيَوْمُ بِالْأَيْكِ أَنْفَرَدَ
زَنْبَقُ الْمَدْنِ ، وَرَبِيحَانُ الْقَرْيِ قَامَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَقَعَدَ
بَاكِرًا كَالْتَحَلِّ فِي أَسْرَابِهَا كُلُّ سِرْبٍ قَدْ تَلَاقَى وَاحْتَشَدَ
قَدْ جَنَى مَا قَلَّ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا ثُمَّ أَعْطَى بَدَلُ الزَّهْرِ الشُّهُدَ
بَسَطَ الْكَفَّ لِمَنْ صَادَفَهُ وَمَضَى يَقْصُرُ خَطْوًا وَيَمُدُّ
يَجْعَلُ الْأَوْطَانَ أُغْنِيَتَهُ وَيُنَادِي النَّاسَ : مَنْ جَادَ وَجَدَ
كَلِمًا مَرَّ بِبَابِ دَقِّهِ أَوْ رَأَى دَارًا عَلَى الدَّرْبِ قَصَدَ
غَادِيًا فِي الْمَدْنِ ، أَوْ نَحْوَ الْقَرْيِ رَاغِبًا يَسْأَلُ قَرِشًا لِلْبَلَدِ
أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا ، أَصْغُوا لَهُ أَخْرَجُوا الْمَالَ إِلَى الْبَرِّ يَبْعُدُ

* يخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا بمشروع القرش سنة ١٩٣٢ ، وهي آخر ما جادت به شاعريته ، وكانت تلاوتها يوم وفاته !

لا تَرُدُّوا يَدَهُم فَارِغَةً طَالِبُ الْعَوْنِ لِمَصِيرٍ لَا يُرَدُّ

* * *

سَيَرَى النَّاسُ عَجَبِيًّا فِي غَدٍ يَغْرُسُ الْقَرْشُ ، وَيَنِي ، وَيَلِدُ
يُنْهَضُ اللَّهُ الصَّنَاعَاتِ بِهِ مِنْ عِثَارٍ لَبِثَ فِيهِ الْأَبَدُ
أَوْ يَزِيدُ الْبَرَّ دَارًا قَعَدَتْ لِكِفَاحِ السُّلِّ ، أَوْ حَرْبِ الرَّمْدِ
وَهُوَ فِي الْأَيْدِي ، وَفِي قَدَرَتِهَا لَمْ يَصُقْ عَنْهُ وَلَمْ يَعْجِزْ أَحَدُ

* * *

تِلْكَ مَصْرُ الْغَدِ تَبَنِي مُلْكُهَا نَادَتْ الْبَانِي وَجَاءَتْ بِالْعُدَّةِ
وَعَلَى الْمَالِ بَنَتْ سُلْطَانَهَا ثَابَتَ الْآسَاسِ مَرْفُوعَ الْعَمَدِ
وَأَصَارَتْ بَنَكُ مَصْرِ كَهْفُهَا حَيِّذَا الرُّكْنَ ، وَأَعْظَمُ بِالْسِنْدِ
مَثَلٌ مِنْ هِمَّةٍ قَدْ بَعْدَتْ وَمَدَاهَا فِي الْمَعَالِي قَدْ بَعْدُ
رَدَّهَا الْعَصْرُ إِلَى أَسْلُوبِهِ كُلُّ عَصْرِ بِأَسَالِبِ جُدُودِ
الْبَنُونَ اسْتَنْهَضُوا آبَاءَهُمْ وَدَعَا الشَّبِلُ مِنَ الْوَادِي الْأَسَدِ
أَصْبَحَتْ مَصْرُ ، وَأَضْحَى عَجْدُهَا هِمَّةُ الْوَالِدِ ، أَوْ شُغْلُ الْوَلَدِ
هَذِهِ الْهِمَّةُ بِالْأَمْسِ جَرَتْ فَحَوَتْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ الْأَمَدِ

* * *

أَيُّهَا الْجَبِلُ الَّذِي نَرْجُو لِعَدِ غَدُكَ الْعِزُّ ، وَدُنْيَاكَ الرَّغْدُ
أَنْتَ فِي مَدْرَجَةِ السَّيْلِ ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ فِي مَدْرَجِ السَّيْلِ رَقْدُ
قَدْتِ فِي الْحَقِّ ، فَقَدْ فِي مَثَلِهِ مِنْ نَوَاحِي الْقَصْدِ أَوْ سَبِيلِ الرُّشْدِ
رُبُّ عَامٍ أَنْتَ فِيهِ وَاجِدُ فَادَّخِرْ فِيهِ لِعَامٍ لَا تَجِدُ
عَلَّمَ الْآبَاءُ ، وَاهْتَفَ قَائِلًا : أَيُّهَا الشَّعْبُ ، تَعَاوَنُ وَاقْتَصِدِ
اجْمَعْ الْقَرْشَ إِلَى الْقَرْشِ يَكُنْ لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ كُبْدُ
اطْلُبِ الْقَطْنَ ، وَزَاوِلْ غَيْرَهُ وَاتَّخِذْ سَوْقًا إِذَا سَوْقُ كَسَدُ
نَحْنُ قَبْلَ الْقَطَنِ كُنَّا أُمَّةُ تَهَيَّطِ الْوَادِي ، وَتَرَّعَى ، وَبَرِّدْ

قد أخذنا في الصناعات المَدَى وَبَيَّنَّا فِي الْأَوَالِي مَا خَلَدَ
وَعَزَلْنَا قَبْلَ إِدْرِيسَ الْكُسا وَنَسَجْنَا قَبْلَ دَاوُدَ الزَّرْدَ
إِنْ تَكُ الْيَوْمَ لَوَاءَ قَائِدًا كَمْ لَوَاءَ لَكَ بِالْأَمْسِ انْعَقِدْ !

عيد الجهاد*

خَطَوْنَا فِي الْجِهَادِ خُطًا فِسَاحَا وَهَادَنَّا ، وَلَمْ نُلْقِ السَّلَاحَا
رَضِينَا فِي هَوَى الْوَطَنِ الْمَفْدَى دَمَ الشَّهْدَاءِ وَالْمَالِ الْمُطَاحَا
وَلَمَّا سَلَّتِ الْبَيْضُ الْمَوَاضِي تَقَلَّدْنَا لَهَا الْحَقَّ الصُّرَاحَا
فَحَطَّمْنَا الشُّكَيْمَ سِوَى بَقَايَا إِذَا عَصَّتْ أَرِينَاهَا الْجِمَاحَا
وَقَمْنَا فِي شِرَاعِ الْحَقِّ نَلْقَى وَنَدْفَعُ عَنْ جَوَانِبِهِ الرِّيَاحَا
نُعَالِجُ شِدَّةً ، وَنَرُوضُ أُخْرَى وَنَسْعَى السَّعْيَ مَشْرُوعًا مَبَاحَا
وَنَسْتَوْلِي عَلَى الْعُقَبَاتِ إِلَّا كَمِينَ الْغَيْبِ وَالْقَدَرِ الْمُتَاحَا
وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ طَوْلَ التَّمَنِّي عَلَى الْأَيَّامِ قَدْ صَارَ اقْتِرَاحَا
وَأَيَّامٍ كَأَجْوَافِ اللَّيَالِي فَقَدْنِ النَّجْمَ وَالْقَمَرَ اللَّيَالِي
قَضِينَاهَا حِيَالَ الْحَرْبِ نَخْشَى بَقَاءَ الرِّقِّ ، أَوْ نَرْجُو السَّرَاحَا
تَرَكْنِ النَّاسَ بِالْوَادِي قَعُودَا مِنْ الْإِعْيَاءِ كَالْإِبِلِ الرَّزَاحِي
جُنُودَ السَّلَامِ لَا ظَفَرُ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا ، وَلَا مَوْتُ أَرَاخَا
وَلَا تَلْقَى سِوَى حَيٍّ كَمَيْتٍ وَمَتْرُوفٍ وَإِنْ لَمْ يُسَقِّ رَاخَا
تَرَى أَسْرَى وَمَا شَهِدُوا قِتَالًا وَلَا اعْتَقَلُوا الْأَسِنَّةَ وَالصِّفَاحَا
وَجَرَحَى السَّوْطِ لَا جَرَحَى الْمَوَاضِي بِمَا عَمِلَ الْجَوَاسِيْسُ اجْتِرَاحَا

* نظمها احتفالاً بعيد الجهاد الوطني في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ .

صباحك كان إقبالاً وسعداً
وما تألوا نهارك ذكريات
تكاد جلاك في صفحات مصر
جلالك عن سنا الأضحى تجلّي
هما حق ، وأنت مُلِكَتَ حقاً
بعثنا فيك «هاروناً وموسى»
وكان أعزّ من رُوما سيوفاً
يكاد من الفتوح وما سقته

فيا يومَ الرّسالة ، عمّ صباحا
ولا برهانَ عزّتك التّماحا
بها التاريخُ يُفتّح افتتاحا
ونورُك عن هلالِ الفطر لاحا
ومثلّت الضحى السّماحا
إلى «فرعون» فأبتدأ الكفاحا
وأطغى من قياصِرها رماحا
يخالُ وراءَ هيكله «فتاحا»

■ * ■

ورّد المسلمون فقيلاً : خابوا
أثارت واديا من غايته
وشدّت من قوَى قومٍ مراض
كان بلالٌ نُودي : قم فأذن
كان الناس في دينٍ جديدٍ
وقد هانت حيائهم عليهم
فتسمع في مآتهم غناء
حواريّين أوفدنا ثقات
فكانوا الحقّ منقبضاً حياً
لهم ميّاً براعة أهل بدر
ترى الشّحناء بينهم عتاباً

فيا لك خيبة عادت نجاحا !
ولامت فرقة وأسّت جراحا
عزائمهم فردّتها صبحاحا
فرجّ شعاب مكة والبطاحا
على جنباته استبقوا الصّلاحا
وكانوا بالحياة همّ الشّاحا
وتسمع في ولايتهم نواحا
إذا ثرك البلاغ لهم ، فصاحا
تحدّى السيف مُنصلنا وقاحا
فلا إنّما نعدّ ولا جُناحا
وتحسب جدّهم فيها مُزاحا

١ بشير إلى مقابلة سعد زغلول وصاحبه لمثل بريطانيا في مصر في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ليطالبوا باستقلال البلاد .

جعلنا الخلدَ منزلهم ، وزدنا على الخلدِ الثناء والامتداحا

* * *

يَمِيناً بَالْتِي يُسْعَى إِلَيْهَا	عُدُّوا بِالنَّدَامَةِ ، أَوْ رَوَّاحَا
وَتَعَبُقُ فِي أَنْوْفِ الْحَجِّ رُكْنًا	وَتَحْتَ جِبَاهِهِمْ رَحْبًا ، وَسَاخَا
وَبِالدُّسْتُورِ ، وَهَوَ لَنَا حَيَاةٌ	نَرَى فِيهِ السَّلَامَةَ وَالْفَلَاحَا
أَخَذْنَاهُ عَلَى الْمُهْجِ الْغَوَالِي	وَلَمْ نَأْخُذْهُ نَيْلًا مُسْتَبَاحَا
بَيْنَا فِيهِ مِنْ دَمْعٍ رَوَاقًا	وَمِنْ دَمٍ كُلِّ نَابِتَةٍ جَنَاحَا . . .
. . . لَمَّا مَلَأَ الشَّبَابُ كُرُوحَ سَعْدٍ	وَلَا جَعَلَ الْحَيَاةَ لَهُمْ طِمَاحَا
سَلَّوْا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ ، هَلْ حَمَاهَا	وَكَانَ حِمَى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا ؟
وَهَلْ نَظَمَ الْكُهُولَ الصَّيْدَ صَفًّا	وَأَلَّفَ مِنْ تَجَارِيهِمْ رَدَاحَا ؟
هُوَ الشَّيْخُ الْفَتِيُّ ، لَوْ اسْتَرَا حَتَّ	مِنَ الدَّأْبِ الْكَوَاكِبُ مَا اسْتَرَا حَتَّ
وَلَيْسَ بِذَاتِ النَّوْمِ اغْتِبَاقًا	إِذَا دَارَ الرِّقَادُ ، وَلَا اصْطَبَاحَا
فِيَا لَكَ ضَيْعَمًا سَهْرَ اللَّيَالِي	وَنَاضَلَ دُونَ غَايَتِهِ ، وَلَا حَيَا
وَلَا حَطَمَتْ لَكَ الْأَيَّامُ نَابًا	وَلَا غَضَّتْ لَكَ الدُّنْيَا صِبَاحَا

معالي العهد*

مَعَالِي الْعَهْدِ قُمْتُ بِهَا فَطِيمَا وَكَانَ إِلَيْكَ مَرْجِعُهَا قَدِيمَا
تَنْقُلُ مِنْ يَدِ لَيْدٍ كَرِيمَا كَرُوحَ اللَّهِ إِذْ خَلَفَ «الْكَلِيمَا»^١

* * *

تَنَحَّى لِابْنِ مَرْيَمَ حِينَ جَاءَ وَخَلَّى النَّجْمُ لِلْقَمَرِ الْفَضَاءَ

١ . نظمها في ميلاد الأمير السابق محمد عبد المنعم .
روح الله : عيسى ، والكليم : موسى ، عليها السلام .

ضياءٌ للعيون تلا ضياءُ يفيضُ مياميناً ، وهُدًى عَمِيماً

* * *

كذا أنتم بني البيتِ الكريمِ وهل مُتَجَرِّيٌ ضوءُ النجومِ ؟
وأين الشهبُ من شرفِ صميمِ تألقَ عِقدُهُ بِكُمُو نَظْمِيا ؟

* * *

أرى مُستقبلاً يَدُو عُجَاباً وَعُنواناً يُكِنُّ لنا كتاباً
وكان «محمد» أملاً شهاباً وكان اليأسُ شيطاناً رَجِيماً

* * *

وأشرقَ الهياكلُ والمباني كما كانت وأزِينَ في الزمانِ
وأصبحَ ما تُكِنُّ من المعاني على الآفاقِ مَسْطوراً رَقِيماً

* * *

سألتُ، فقيل لي: وَضَعْتُهُ طِفْلاً وهذا عِيدُهُ في مِصرَ يُجَلِّى
قلتُ : كَذَلِكَم أَنَسْتُ قَبْلاً وكان اللهُ بالنجوى عَليماً

* * *

بِمُسْتَرِّهِ الإِمَارَةِ هلْ فَجِراً هِلالاً في منازلِهِ أَغْراً
فبَاتَ مِصرُ حَوْلَ المَهْدِ نَغْراً وِبَاتَ الثَّغْرِ لِلدُّنْيَا نَدِيماً

* * *

لِجِيلِكَ في غَدِ جِيلِ المعالي وَشَعْبِ المجدِ وَالهِمَمِ العوالي . .
. . . أَزِفُ نَوَابِغَ الكَلِمِ الغوالي وَأُهْدِي حَكْمَتِي الشَّعْبَ الحَكِماً

* * *

إِذَا أَقْبَلْتَ يا زَمَنَ البِئْسَا وَشَبُّوا فِيكِ واجتازوا السنينَا
فدُرْ مِنْ بَعْدِنَا لَهُمُو يَمِينَا وَكُنْ لُورُودِكَ المَاءَ الحَمِيمَا

* * *

ويا جيلَ الأميرِ ، إِذَا نَشَأْنَا وَشَاءَ الجَدُّ أَنْ تُعْطَى ، وَشِئْنَا

فخذ سُبُلًا إِلَى الْعِلْيَاءِ شَتَّى وَخَلِّ دَلِيلَكَ الدِّينَ الْقَوِيمَا

* * *

وَصِنْ بِهِ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ وَخُذْهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا يَلِيهِ
وَلَا تَأْخُذْهُ مِنْ شَقَّتِي فَقِيرٍ وَلَا تَهْجُرْ مَعَ الدِّينِ الْعُلُومَا

* * *

وَتَقِ بِالنَّفْسِ فِي كُلِّ الشُّنُونِ وَكُنْ مِمَّا اعْتَقَدَتْ عَلَى يَقِينِ
كَأَنَّكَ مِنْ ضَمِيرِكَ عِنْدَ دِينٍ فَمِنْ شَرَفِ الْمَبَادِي أَنْ تُقِيمَا

* * *

وَأَنْ تُرْمِ الْمَظَاهِرَ فِي الْحَيَاةِ فَرُمَهَا بِاجْتِهَادِكَ وَالنَّبَاتِ
وَتُخْذَهَا بِالْمَسَاعِي بِأَهْرَاتِ ثَنَافِسُ فِي جَلَالَتِهَا النُّجُومَا

* * *

وَأَنْ تَخْرُجَ لِحَرْبٍ أَوْ سَلَامٍ فَأَقْدِمْ قَبْلَ إِقْدَامِ الْأَنَامِ
وَكُنْ كَاللَّيْلِ : يَأْتِي مِنْ أَمَامٍ قَبْلًا كُلَّ نَاطِقَةٍ وَجُومَا

* * *

وَكُنْ شَعْبَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا وَلَا تَكُ ضَائِعًا بَيْنَ الْبَرََايَا
وَكُنْ كَالْتَّحَلِّ وَالْدُنْيَا الْخَلَائِيَا يَمُرُّ بِهَا ، وَلَا يَمْضِي عَقِيمَا

* * *

وَلَا تَطْمَعُ إِلَى طَلَبِ الْمُحَالِ وَلَا تَقْنَعُ إِلَى هَجْرِ الْمَعَالِي
فَإِنْ أَبْطَأَ فَاصْبِرْ غَيْرَ سَالٍ كَصَبْرِ الْأَنْبِيَاءِ لَهَا قَدِيمَا

* * *

وَلَا تَقْبَلْ لَغِيرِ اللَّهِ حُكْمَا وَلَا تُحْمِلْ لَغَيْرِ الدَّهْرِ ظُلْمَا
وَلَا تُرْضَ الْقَلِيلَ الدُّونَ قِسْمَا إِذَا لَمْ تَقْدِرِ الْأَمْرَ الْمَرُومَا

* * *

وَلَا تَيَأْسُ ، وَلَا تَكُ بِالضُّجُورِ وَلَا تَتَّقَنَّ مِنْ مَجْرَى الْأُمُورِ

فليسَ مع الحوادثِ من قديرٍ ولا أحدٌ بما تأتيَ علما

* * *

وفي الجهالِ لا تَضَعُ الرجاءَ كَوَضْعِ الشَّمْسِ فِي الْوَحْلِ الضِّياءِ
يَضِغُ شَعاعُها فِيهِ هَباءٌ وَكانَ الجَهِلُ مَمْقُوتاً ذَمِّيا

* * *

وبالغِ فِي التَّدبِيرِ والتَّجَرِّيِ وَلَا تَعْجَلْ ، وَثقِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ
وَكنْ كالأسدِ : عِنْدَ الماءِ تَجْرِي وَلَيْسَتْ وَرِداً حَتَّى تُجُومَا

* * *

وما الدُّنْيَا بِمَثْوًى لِلْعَبادِ فَكنِ صَيِّفَ الرِّعَايَةِ وَالوِدَادِ
وَلَا تُسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الْأَعَادِي قَشَرُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ خُصُوما

* * *

وَلَا تَجْعَلْ تَوَدُّدَكَ ابْتِذالاً وَلَا تَسْمَعْ بِحَلِيمِكَ أَنْ يُذالَا
وَكنْ ما بَيْنَ ذاكِ وَذاكِ حالاً فَلَنْ تُرْضِيَ الْعَدُوَّ وَلَا الْحَمِيماً

* * *

وَصِلْ صَلَاةً مِنْ يَرْجُو وَيَخْشَى وَقَبْلَ الصَّوْمِ صُمْ عَنْ كُلِّ فُحْشا
وَلَا تُحَسِبْ أَنَّ اللَّهَ يُرْشَى وَأَنْ مُرَكِّباً أَمِنْ الْجَحِيماً

* * *

لِكُلِّ جَنَى زَكَاةٌ فِي الْحَيَاةِ وَمَعْنَى الْبِرِّ فِي لَفْظِ الزَّكَاةِ
وما لِلَّهِ فِينَا مِنْ جُبَاةٍ وَلَا هُوَ لِأَمْرِيءِ زَكَّى عَرِيماً

* * *

فَإِنْ تَكُ عالِماً فَاعْمَلْ ، وَقَطَّنْ وَإِنْ تَكُ حاكِماً فَاعْدِلْ ، وَأَحْسِنْ
وَإِنْ تَكُ صانِعاً شَيْئاً فَاتَّقِنْ وَكنِ لِلْفُرْصِ بَعْدَئِذٍ مُقِيمَا

* * *

وَصُنْ لُغَةً يَحِقُّ لَهَا الصِّيَانُ فَخَيْرُ مَظَاهِرِ الْأُمَمِ الْبَيَّانُ

وكان الشعبُ ليس له لِسَانُ غريباً في موطنِهِ مَضِيماً

* * *

ألم تَرَهَا تُنَالُ بكلِّ ضَمِيرٍ وكان الخَيْرُ إذ كانت بخير ؟
أَبْنَطَقُ في المَسَارِقِ كلُّ طَيْرٍ وَيَبْقَى أَهْلُهَا رَخَماً وَبُوما ؟!

* * *

فَعَلَّمَهَا صَغِيرَكَ قَبْلَ كُلِّ ودَعُ دَعْوَى تَمَدُّنِهِمْ وَخَلَّ
فَمَا بِالْعَمِيِّ في الدنْيَا التَّحَلِّيَ وَلَا خَرَسُ الْفَتَى فَضْلاً عَظِماً

* * *

وَتُخَذَ لُغَةً الْمُعَاصِرِ ، فَهِيَ دُنْيَا وَلَا تَجْعَلُ لِسَانَ الْأَصْلِ نَسِيّاً
كَمَا نَقَلَ الْغَرَابُ فَضْلاً مَشْتِياً وَمَا بَلَغَ الْجَدِيدَ ، وَلَا الْقَدِيمَا

* * *

لَجَلِّكَ يَوْمَ نَشَأْتَهُ مَقَالِي فَأَمَّا أَنْتَ يَا نَجَلَ الْمَعَالِي
فَتَنْظُرُ مِنْ أَيْكَ إِلَى مِثَالٍ يُحِيرُ في الْكَمَالَاتِ الْفُهُومَا

* * *

نَصَائِحُ مَا أُرِدْتُ بِهَا لِأَهْدِي وَلَا أَبْغِي بِهَا جَدْوَالَكَ بَعْدِي
وَلَكِنِّي أَحِبُّ التَّفَعُّ جَهْدِي وَكَانَ النِّفْعُ فِي الدُّنْيَا لَزُومَا

* * *

فَإِنْ أَقْرَأْتَ - يَا مَوْلَايَ - شِعْرِي فَإِنْ أَبَاكَ يَعْرِفُهُ وَيَذَرِي
وَجَدُّكَ كَانَ شَاوِي حِينَ أَجْرِي فَأَصْرَعُ فِي سَوَابِقِهَا تَمِيمَا

* * *

بَنُونَا أَنْتَ صُبْحُهُمُ الْأَجَلُ وَعَهْدُكَ عِصْمَةُ لَهُمْ وَظِلُّ
فَلِمَ لَا تَرْتَجِلِكَ لَهُمْ وَكُلُّ يَعِيشُ بِأَنْ تَعِيشَ وَأَنْ تَدُومَا ؟

رسالةُ التاسعة*

أحمدُك اللهَ وأطري الأنبياءَ مَصْدَرُ الحِكْمَةِ طُرًّا والضياءَ
وله الشكرُ على نِعْمَى الوجودِ وعلى ما نِلْتُ من فضلِ وَجودِ

* * *

أَعْبُدِ اللهَ بعقلٍ يا بُنَيَّ	وبقلب من رجاءِ اللهِ حَيَّ
أَرْجِهْ تُعْطَ مَقَالِيدَ الْفَلَكَ	وَأَخْشَهُ خَشْيَةً مَنْ فِيهِ هَلَكُ
أَنْظِرِ الْمُلْكَ ، وَأَكْبِرْ مَا خَلَقَ	وَتَمَتَّعْ فِيهِ مِنْ خَيْرِ رَزَقِ
أَنْتَ فِي الْكَوْنِ مَحَلُّ التَّكْرِمَةِ	كُلُّ شَيْءٍ لَكَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ
سُحَّرَ الْعَالَمُ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءِ	لَكَ ، وَالرَّيْحُ ، وَمَا تَحْتَ السَّمَاءِ
أَذْكِرُ الْآيَةَ إِذْ أَنْتَ جَنِينٌ	لَكَ فِي الظُّلْمَةِ لِلنُّورِ حَنِينٌ
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ شَأْنٌ فِي الظُّلْمِ	حَارٍ فِيهِ كُلُّ «بِقَرَاطٍ» عِلْمٌ
كَانَ فِي جَنْبِكَ شَيْءٌ مِنْ عَلَقٍ	حِينَ مَسَّتْهُ يَدُ اللهِ خَفَقُ
صَارَ حَيًّا وَحَيَاةً بَعْدَ مَا	كَانَ فِي الْأَضْلَاعِ لَحْمًا وَدَمَا
دَقَّ كَالنَّاقُوسِ وَسَطَ الْهَيْكَلِ	فِي انْتِفَاضٍ كَانْتِفَاضِ الْبُلْبُلِ
قُلْ لِمَنْ طَبَّبَ ، أَوْ مَنْ نَجَّمَ :	صَنَعَهُ اللهُ ، وَلَكِنْ زِعْثَمَا
آمِنَا بِاللَّهِ إِيْمَانِ الْعَجُوزِ	إِنْ غَيْرَ اللهِ عَقْلًا لَا يَجُوزُ
أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلْعِلْمِ اسْتَمِعْ	خَيْرَ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ جُمُوعُ
هُوَ إِنْ أُوتِيَتْهُ أَسْنَى النَّعَمِ	هَلْ تَرَى الْجُهَالَ إِلَّا كَالْتَّعَمِ ؟
أَطْلُبِ الْعِلْمَ لِذَاتِ الْعِلْمِ ، لَا	لظَهْوٍ بَاطِلٍ بَيْنَ الْمَلَا

* أهداها إلى الأمير السابق محمد عبد المنعم .

عند أهل العلم للعلم مذاق
 طلب المحروم للعلم سدى
 فإذا فاتك توفيق العليم
 واطلب الرزق هنا أو ههنا
 كل ما علمك الدهر أعلم
 إنما الأيام والعيش كتاب
 إن رزقت العلم زنه بالبيان
 كم عليم سقط العي به
 وأدب فاته العلم فما
 إن للعلم جميعاً فلسفة
 أقرو التاريخ إذ فيه العبر
 كن إلى الموت على حب الوطن
 وطن المرء حماه المفتدى
 قد عرفت الدار والأهل به
 هو محبوبك باد محتجب
 لك منه في الصبا مهد رحيم
 كم عزيز عندك استودعته
 ودفين لك فيه كرم
 كن نشيطاً عاملاً جم الأمل
 كل ما أنقنت محبوب وجبة
 يقبل الناس على الشيء الحسن
 أنظر الآثار ، ما أزيها !
 تلك آثار بني مصر الأول
 أيها التاجر ، بلغت الأرب

فإذا فاتك هذا فافتراق
 ليس للأعمى على الضوء هدى
 فامتنع عن كل تحصيل عقيم
 كم مع الجهل يسار وغنى !
 التجارب علوم الفهم
 كل يوم فيه لليرة باب
 ما يُغيد العقل إن عي اللسان
 مظلم لا تهتدي في كتبه
 جاء بالحكمة فيما نظما
 من تغب عنه ثقته المعرفة
 ضاع قوم ليس يدرون الخبر
 من يخن أوطانه يوماً يخن
 يذكر المنة منه واليذا
 كل حب شعبة من حبه
 يعرف الشوق له من يغرب
 فإذا ووريت فالقبر الكريم
 وعهود بعدك استرعيت
 تدرى الدمع لذكره دما
 إنما الصحة والرزق العمل
 متقن الأعمال سر الله فيه
 كل شيء بجزاء ونمن
 قد حباها الخلد من أنقها
 اتقنوا الصنعة حتى في الجعل
 طالع التاجر في حسن الأدب

لا تُفَارِقُ بَابَهُ ، أَوْ فَارِقِ
 كُلُّهُمْ مِنْهُ رَسُولٌ وَصَلَا
 لَفْظَةٌ مِنْ فِيهِ لِلْقَوْمِ يَمِينُ
 فَتَشْبَهُ ؛ إِنْ مَنْ يُقَدِّمُ يَسُدُّ
 مِنْهُمْ «إِسْكَندَرُ» وَ «ابْنُ زِيَادِ»
 كَشَجَاعِ الْقَلْبِ فِي وَقْتِ الْحُرُوبِ
 إِنَّمَا مَنْ يَنْصُرُ الْحَقَّ الْبَاطِلُ
 مِنْ غُرَاةٍ أَوْ دُعَاةٍ مُصْلِحِينَ
 مَا لِرَاعِي عَنَمٍ عِنْدَ الْعَنَمِ
 لَكُمْ دِينٌ رَضِيتُمْ وَلِيَّ دِينِ
 إِنَّهُ أَوَّلَى بِهِمْ سُبْحَانَهُ !
 فَدَعِ الْأَقْدَارَ تَجْرِي وَاسْتَعِذْ
 لَا تُعَارِضْ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
 وَإِذَا شِئْتَ : قِضَاءٌ وَقَدَرٌ !
 طَيِّبَ الْحَمْدِ ، وَإِنْ مِتَّ بَقِيَ
 فَرَحِيْمٌ سَوْفَ يُجْزِي مِنْ رَحِيمِ
 وَتَعَهَّدْ وَتَوَلَّ الْبُؤْسَا
 كُلُّ خُلُقٍ فَاضِلٍ دُونَ السُّخَاءِ
 لَسْتَ تَذَرِي فِي عَدِيٍّ مَا يَقَعُ
 رَبُّ قَنَدٍ مِنْ جَمِيلٍ وَصَنِيعِ
 فَقَدِيمًا جَمَلُ الْمَرْءِ الْأَدَبِ
 إِنْ ضَيَّقَ الرِّزْقُ مِنْ ضَيْقِ الْخُلُقِ
 فَهَمَّا ضِدَانِ كَبِيرٌ وَكَبِيرُ
 فَاتَرُكِ الْكَبِيرَ لَهُ وَالْجَبْرِوتِ

بَابُ حَانُوتِكَ بَابُ الرَّازِقِ
 وَاحْتَرِمَ فِي بَابِهِ مَنْ دَخَلَ
 تَاجِرُ الْقَوْمِ صَدُوقٌ وَأَمِينُ
 إِنْ لِلْإِقْدَامِ نَاسًا كَالْأَسَدِ
 مِنْهُمْ كُلُّ قَتَى سَادَ وَشَاذَ
 وَشَجَاعُ النَّفْسِ مِنْهُمْ فِي الْكُرُوبِ
 وَابِلٌ «سُقْرَاطُ» وَالشُّجْعَانُ طَلَّ
 هُمْ جَالُ الدَّمْرِ حِينًا بَعْدَ حِينِ
 لَهُمْ مِنْ هَيْبَةٍ عِنْدَ الْأُمَمِ
 قُلْ إِذَا خَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ :
 خَلِّ لِلدِّيَّانِ فِيهِمْ شَانَهُ
 كُلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لَصْدَ
 فَلَكَ بِالسَّعْدِ وَالشُّحْسِ يَلُورُ
 قُلْ إِذَا شِئْتَ : ضُرُوفٌ وَغَيْرُ !
 وَاعْمَلِ الْخَيْرَ ، فَإِنْ عِشْتَ لَتَي
 مَنْ يَمُتْ عَنْ مِثَّةٍ عِنْدَ يَتِيمِ
 كَنْ كَرِيمًا إِنْ رَأَى جُرْحًا أَسَا
 وَأَسْخُ فِي الشَّدَةِ وَأَزْدَدَ فِي الرِّخَاءِ
 فِيهِ كُلُّ بَلَاءٍ يُدْفَعُ
 جَامِلُ النَّاسِ تَحْزِرُ رِقَّ الْجَمِيعِ
 عَامِلُ الْكُلِّ بِإِحْسَانٍ تُحِبُّ
 وَتَجِبُّ كُلُّ خُلُقٍ لَمْ يَرْقُ
 وَتَوَاضَعَ فِي ارْتِفَاعٍ تُعْتَبَرُ
 كُلُّ حَيٍّ مَا خَلَا اللَّهُ يَمُوتُ

وَأَرْخَ جَنَبَكَ مِنْ دَاءِ الْحَسَدِ
وَإِذَا أَغْضَبْتَ فَاغْضَبْ لِعَظِيمٍ
وَتَجَبَّبْ فِي الصَّغِيرَاتِ الْغَضَبِ
أَطْلُبِ الْحَقَّ بِرَفْقٍ تُحْمَدِ
وَاعْصِرْ فِي أَكْثَرِ مَا تَأْتِي الْهَوَى
أَذْكِرِ الْمَوْتَ وَلَا تَفْزِعْ فَمَنْ
أَحْبَبَ الْوَلَدَ وَإِنْ لَمْ يَكُ لَكَ
هُوَ لَطْفُ اللَّهِ لَوْ تَعْلَمُهُ
عَطْفَةً مِنْهُ عَلَى لُغَيْتِهِ
وَحَدِيثُ سَاعَةِ الضَّيْقِ مَعَهُ
يَا مُدِيمَ الصَّوْمِ فِي الشَّهْرِ الْكَرِيمِ
وَإِذَا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى «أُمِّ الْقُرَى»
هَكَذَا «طه» وَمَنْ كَانَ مَعَهُ
وَتَسَمَّحْ وَتَوَسَّعْ فِي الزَّكَاةِ
فَرَضَ الْبِرَّ بِهَا فَرَضَ حَكِيمٍ
لَيْسَ لِي فِي طِبِّ «جَالِينوس» بَاغٍ
احْذَرِ الثُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهِيمٌ
وَاتَّقِ الْبَرْدَ ، فَكَمْ خَلَقَ قَتْلَ
اتَّخَذَ سَكَنَكَ فِي طَلْقِ الْجَوَاءِ
خَيْمَةً فِي الْبَيْدِ خَيْرٌ مِنْ قَصُورٍ
فِي غَدٍ تَأْوِي إِلَى قَفْرِ حَلَكٍ
وَاتْرِكِ الْخَمَرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا
لَا تُنَادِمِ غَيْرَ مُأْمُونٍ كَرِيمٍ

كَمْ حَسُودٍ قَدْ تَوَقَّاهُ الْكَمَدُ
شَرَفٍ قَدْ مُسَّ ، أَوْ عِزٍّ كَرِيمٍ
إِنَّهُ كَالنَّارِ وَالرُّشْدُ الْحَطَبُ
طَالِبُ الْحَقِّ بَعُثْ مُعْتَدٍ
كَمْ مُطْعِمٍ لِهَوَى النَّفْسِ هَوَى
يَحْقِرُ الْمَوْتَ يَنْلُقُ رِقَّ الزَّمَنِ
إِنَّمَا الْوَلَدُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً يَرْحَمُهُ
تُخْرِجُ الْخَزُونَ مِنْ كُرْبَتِهِ
بِمَلَأِ الْعَيْشَ نَعِيمًا وَسَعَةً
صُمِّ عَنْ الْغِيَةِ يَوْمًا وَالتَّمِيمِ
كَمْ مُصَلٍّ ضَجَّ مِنْهُ الْمَسْجِدُ !
غَيْبَ حَجٍّ لُبُوبِ الْفُقَرَا
مِنْ وَقَارِ اللَّهِ أَلَّا تَخْذَعَهُ
إِنَّهَا مَحْبُوبَةٌ عِنْدَ الْإِلَهِ
فَإِذَا مَا زِدْتَ فَاللَّهُ كَرِيمٌ
يَبْدَأُ أَنْ الْعَيْشَ دَرْسٌ وَاطِّلَاغٌ
إِنْ «عِزْرَائِيلَ» فِي خَلْقِ التَّهْمِ
مَنْ تَوَقَّاهُ اتَّقَى نِصْفَ الْعِلَلِ
بَيْنَ شَمْسٍ ، وَنَبَاتٍ ، وَهَوَاءِ
تَبْخُلُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا بِالْمُرُورِ
يَسْتَوِي الصُّعْلُوكُ فِيهِ وَالْمَلِكُ
لَا يَرَى مَتَدَوِّحَةً عَنْ شَرْبِهَا
إِنْ عَقَلَ الْبَعْضُ فِي كَفِّ التَّنْدِيمِ

وعن المسير ما استطعت ابتعد
وتعشق ، وتعفف ، واتق
فهو سل المال بل سل الكبد
ما درى اللذة من لم يعشق !

حج الأمير.

دامت معاليك فينا يا ابن فاطمة
قل للخديو إذا وافيت سُدَّتْه
ودام منكم لأفق البيت نيراس
تمشي إليه ويمشي خلفك الناس
حج الأمير له الدنيا قد انتهجت
والعود والعيد أفرح وأعراس
فلتحي ملئنا ! فلتحي أمثنا !
فليحي سلطاننا ! فليحي عباس !

إسماعيل.

أبكك إسماعيل مصر ، وفي البكا
ومن القيام يعرض حقك أنني
بعد التذكر راحة المستعبر
أزقي لعزك والنعيم المدير
هذي ثبوت الروم ، كيف سكنتها
ومن العجائب أن نفسك أقصرت
ما زال يخلي منك كل مجلة
حتى دُفعت إلى المكان الأفقر
نظر الزمان إلى ديارك كلها
نظر الرشيد إلى منازل جعفر

- أرسل الأبيات الآتية في برقية إلى شريف مكة سنة حج الخديوي عباس .
- وقال وقد أشرف في مدينة نابولي على الدار التي كان يقيم فيها الخديو إسماعيل .
- ١ جعفر البرمكي ، ونكة البرامكة مشهورة في تاريخ الرشيد .

حَرِيقُ مَيْتِ عَمْرٍ

اللَّهُ بِحَكْمٍ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
 مَا جَلَّ خَطْبُ ثُمَّ قِيسَ بغيره
 فَسَلَى عَمُورَةً أَوْ سَدُونِ نَاسِيًا
 مُدُنٌ لَقِينَ مِنَ الْقَضَاءِ وَنَارِهِ
 هَذِي طُلُوكُ أَنْفُسًا وَحِجَارَةً
 قَدْ جَنَتْ أَبْكِيهَا وَآخِذُ عِبْرَةً
 أَجِدُ الْحَيَاةَ حَيَاةً دَهْرٍ سَاعَةً
 وَأَعُدُّ مِنْ حَزَمِ الْأُمُودِ وَعِزْمِهَا
 مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِالشَّقَاءِ رِوَايَةً
 فَعَلَ الزَّمَانُ بِشَمْلٍ أَهْلِكَ فِعْلَهُ
 بِالْأَمْسِ قَدْ سَكَنُوا الدِّيَارَ ، فَأَصْبَحُوا
 فَإِذَا لَقِيتَ لَقِيتَ حَيًّا بَائِسًا
 وَالْأُمَهَاتُ بِغَيْرِ صَبْرٍ : هَذِهِ
 مِنْ كُلِّ مُودِعَةٍ الطُّلُولِ دُمُوعُهَا
 كَانَتْ تُؤَمِّلُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ

• • •

طَلَعَتْ عَلَيْكَ النَّارُ طَلْعَةً شَوْمِهَا
 فَمَحَتْكَ آسَاسًا ، وَغَيَّرَتْ الذُّرَا
 مَلَكَتْ جِهَاتِكَ لَيْلَةً وَنَهَارَهَا
 حَمْرَاءَ يَبْدُو الْمَوْتُ مِنْهَا أَحْمَرَا

• سنة ١٩٠٥ ، نشرت بمجلة المجلات العربية .

لا تَرْهَبُ الطوفانَ في طغيانِها
لو أن نِرونَ الجِهادِ فَوَّادَهُ
أو أنه ابْتُلِيَ الخليلُ بِمِثْلِها
أو أن سَيْلاً عاصمٌ من شرِّها
أَمْسَى بها كُلُّ البيوتِ مُبَوِّباً
أَسْرَهُمْوْ ، وَتَمَلَّكَتْ طُرُقَانِهِمْ
خَفَّتْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ مَوِدّاً
حيثُ اتَّفَقَتْ تَرى الطريقَ كأنها
وترى الدعائمَ في السوادِ كهيكلي
وتَشْمُ رائحةَ الرِّفاتِ كربة
كُتِرَتْ عليها الطيرُ في حَوامِيتها
هل تَأْمَنِينَ طوارِقَ الأحداثِ أن
والناسُ مِنْ داني القرى وبعيدها
يتساءلون عن الحريقِ وهولِهِ

لو قَابَلْتَهُ ، ولا تهابُ الأبحرُ
يُدْعَى لِنَظَرِها لعاف المنظرُ
- أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ - وَلِي مُذْبِرُ
عَصَمَ الديارَ من المدامِيعِ ما جَرَى
وَمُطَلَّباً ، وَمُسَيِّجاً ، وَمُسَوِّراً
مَنْ قَرَّ لم يجدِ الطريقَ مُيسِّراً
وَأَصْلَهُمْ قَدَرٌ ، فَضَلُّوا المَصْدِرُ
ساحاتِ حاتمٍ غِبَّ نيرانِ القرى
خمدتْ به نَارُ الجَوسِ ، وَأَقْفَرُ
وتشمُّ منها التاكلاتُ العَبْرُ
يا طيرُ ، «كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَّاهِ
تَغْشَى عَلَيْكَ الوَكْرُ في سِنَةِ الكَرَى
تَأْتِي لَتَمْشِي في الطُّلُولِ وَخَبْرُ
وأرى الفرائسَ بالتساؤلِ أَجْدَرُ

* * *

يَا رَبِّ ، قَدْ خمدتْ ، وليس سواكَ مَنْ
فحوا اكتتاباً للإعانة فَاكْتَتَبَ
إن لم تكن للباسين فَمَنْ لَهُمْ ؟
فتولَّ جَمْعاً في اليبابِ مُشْتَتاً
فَعَلَّتْ بِمِصْرَ النارُ ما لم تَأْتِهِ
أو ما تراها في البلادِ كقاهرٍ
فادفعْ قِضاءَكَ ، أو فصِّرْ نارَهُ
مُدُّوا الأَكْفَ سَخِيَّةً ، واستغفري
أولى بعطفِ المَوسرينَ ويُرْهِمَ

يُطْفِئُ القلوبَ المُشْعِلَاتِ نَحْسُراً
بالصبرِ ، فهو بما لَهُمْ لا يُشْتَرَى
أو لم تكن للاجئين فَمَنْ تَرى ؟
وارحم رَمِيماً في الترابِ مُبْعَثُراً
آبائِكَ السبعُ القديمةُ في الوَرَى
في كُلِّ ناحيةٍ يُسِيرُ عَسْكَرُ ؟
بَرْدُ ، وَخُذْ بِاللُّطْفِ فيما قُدِّرُ
يا أُمَّةً قَدْ آتَى أَنْ تَسْتَغْفِرُ
مَنْ كان مِثْلَهُمْو فاصْبِرْ مُعْسِراً

يا أيها السَّجَناءُ في أموالهم أأَمِشْتُمُ الأيامَ أنْ تَنْفِيراً ؟
 لا يَمْلِكُ الإنسانُ من أحواله ما تَمْلِكُ الأقدارُ ، مهما قَدَّرا
 لا يَظْهَرُكَ من حَرِيرِ مَوَاطِيءٍ فَلَربَّ ما شَرَّ في الحَرِيرِ نَعَثَرا
 وإذا الزمانُ تَكَرَّرَتْ أحداثُهُ لأَخِيكَ ، فاذكُرْهُ عَسَى أنْ تُذَكِّرا

خطبة غليوم*

يا رَبِّ ، ما حَكَمُكَ ؟ ماذا ترى في ذلك الحُلُمِ العَرِيضِ الطَوِيلِ ؟
 قد قامَ غليومٌ خَطِيئاً ، فما أعطاكَ من مُلْكِكَ إلا القليلَ !
 شَيدَ في جَنبِكَ مُلْكاً له مُلْكُكَ إنْ قيسَ إليه الصَّئِيلُ
 قد وَرَثَ العالَمَ حَيًّا ، فما غادَرَ من فَجٍّ ، ولا من سَبِيلِ
 فالنصفُ للجُرْمانِ في زَعَمِهِ والنصفُ للرومانِ فيما يقولُ
 يا رَبِّ ، قلْ : سَيِّئُكَ أمْ سَيِّئُهُ ؟ أيُّها - يا رَبِّ - ماضٍ ثَقِيلُ ؟ !
 إنْ صَدَقْتَ - يا رَبِّ - أحلامُهُ فإنَّ خُطْبَ المُسلمينَ الجَلِيلِ
 لا نَحْنُ جِرْمانُ لَنَا حِصَّةٌ ولا بِرومانُ فَتُنْعَطِي قَتِيلِ
 يا رَبِّ ، لا تَنْسَ رعاياكَ في يومِ رعاياكَ الفَرِيقُ الذَّلِيلِ
 جَنائَةُ الجَهِلِ على أَهْلِهِ قَدِيمَةٌ ، والجَهِلُ بَنَسَ الدَّلِيلِ
 يا لَيْتَ لَمْ نَمُدِّ بِشَرٍّ يَدًا وَلَيْتَ ظَلَّ السَّلَمُ باقِي ظَلِيلِ !
 جَنَى عَلَيْنَا عُصْبَةٌ جازَوا فَحَسْبُنَا اللهُ ، وَنَعْمَ الوَكِيلِ !

* وخطب غليوم عاهل ألمانيا خطبة في سنة ١٩٠٦ كان لها وقع عظيم ، وأحدثت أزمة أوشكت أن تنتهي إلى حرب أوروبية طاحنة .

نادي الموسيقى الشرقي*

خَطَّتْ يَدَاكَ الرُّوضَةَ الْعَنَاءَ وَفَرَّغَتْ مِنْ صَرْحِ الْفَنُونِ بِنَاءَ
 مَا زِلْتَ تَذْهَبُ فِي السَّمَوِ بِرُكْنِهِ حَتَّى تَجَاوِزَ رُكْنَهُ الْجَوَازَ
 دَارُ مِنَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ تَقَسَّمَتْ لِلْسَّاهِرِينَ رَوَايَةً وَرُوءَا
 كَالرُّوضِ نَحْتِ الطَّيْرِ أَعْجَبَ أَيْكُهُ لَخَطَّ الْعَيُونِ ، وَأَعْجَبَ الْإِصْغَاءَ
 وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِهَا ، فَلَمْ نَرْ قَبْلَهَا فَلَكَا جَلَا شَمْسَ النَّهَارِ عِشَاءَ
 وَتَوَهَّجَتْ حَتَّى تَقْلُبَ فِي السَّنَا وَادِي الْمُلُوكِ حَجَارَةً وَفَضَاءَ
 خَلَقْتُمَا يَتَاهِمُسُونَ : لَعَلَّهُ فَجَرُ الْحَضَارَةِ فِي الْبِلَادِ أَضَاءَ
 تِلْكَ الْمَعَازِفُ فِي طُلُولِ بَنَائِهِمْ أَكْثَرْنَ نَحْوَ بَنَائِكَ الْإِيْمَاءِ
 وَتَمَآيَلَتْ عِبْدَانُهُنَّ نَحِيَّةً وَتَرَنَّمَتْ أَوْتَارُهُنَّ ثَنَاءَ

* * *

يَا بَانِي الْإِيْوَانِ ، قَدْ نَسَقْتُهُ وَحَدَوْتَ فِي هِنْدَامِهَا الْحِمَاءَ^١
 أَيْنَ الْغَرِيضُ يَجِلُّهُ أَوْ مَعْبُدُ يَتَبَوَّأُ الْحُجَرَاتِ وَالْأَبْهَاءَ^٢
 الْعَبْقَرِيَّةُ مِنْ ضَنَائِهِ الَّتِي يَحْبُو بِهَا - سُبْحَانَهُ - مَنْ شَاءَ
 لَمَّا بَنَيْتَ الْأَيْكَ وَاسْتَوَهَبْتُهُ بَعَثَ الْهَزَّارَ ، وَأَرْسَلَ الْوَرَقَاءَ
 فَسَمِعْتَ مِنْ مُتَفَرِّدِ الْأَنْعَامِ مَا فَاتَ الرَّشِيدَ ، وَأَخْطَأَ الثَّدْمَاءَ
 وَالْفَنُّ رِيحَانُ الْمُلُوكِ ، وَرُبَّمَا خَلَدُوا عَلَى جَنَابَتِهِ أَسْمَاءَ

* وقال يخاطب الملك قواد الأول في حفلة افتتاح نادي الموسيقى الشرقي سنة ١٩٢٩ .

١ من قصور بني الأحمر في غرناطة بالأندلس : الحميرا .

٢ الغريضة ، ومعبد : من أمراء الغناء العربي .

لولا أياديه على أبنائنا
كانت أوائل كل قوم في العلا
لولا ابتسام الفن فيما حوَّله
جرَّد من الفن الحياة وما حوَّت
بالفن عالج الحياة طبيعة
تأوي إليها الروح من رمضائها
نبض الحضارة في الممالك كلها
إن صَحَّ فهي على الزمان صحيحة

• • •

انظر- أبا الفاروق- عرسك، هل ترى
من حبة ذخيرة، وأيدٍ ثابتة
وأُكْتِبت الفن الجميل خميلاً
بذل الجهود الصالحات عصابة
صبحوا رسول الفن لا يألونه
دفعوا العوائق بالثبات، وجاوزوا
إن التعاون قوة علوية
فليهنهم، حاز التفاتك سعيهم
لم تبد للأبصار إلا غارساً
تغلو على الفترات ترتجل الندى
في موكب كالغيث سار ركابه
أنت اللواء التف قومك حوله
من كل ملذنة سمعت محبة
يتألفان على الهتاف، كما انبرى

بالقرس إلا نعمة ونماء ؟
جاء الزمان بجثة فيحاء
رمت الظلال، ومدت الأفياء
لا يسألون عن الجهود جزاء
حبا، وصدق مودة، ووفاء
ما سر من قدر الأمور وساء
تبنى الرجال، وتبدع الأشياء
وكسا نديهم سنًا وسناء
لخوالب الأجيال أو بناء
وتروح تصطبغ اليد البيضاء
بشراً، وحل سعادة ورخاء
والتاج يجعله الشعوب لواء
وبكل ناقوس لقيت دُعاء
وتر يساير في البنان غناء

في دار الأبرار

جَذا السَّاحةُ والظِّلُّ الظِّلِيلُ وثناءً في قَمِ الدَّارِ جَمِيلُ
 لَمْ تَزَلْ تَجْرِي بِهِ تَحْتَ الثَّرَى لُجَّةُ المَعْرُوفِ والتَّيْلِ الجَزِيلِ
 صُنْعُ إِسْمَاعِيلَ جَلَّتْ يَدُهُ كُلُّ بُيَانٍ عَلَى البَاني دَلِيلُ
 أَتْرَافُها سُدَّةٌ مِنْ بابِهِ فَتَحَتْ لِلخَيْرِ جِبالاً بَعْدَ جَبَلٍ ؟
 مَلَعَبُ الأَيَّامِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ حَظُّ الجَدِّ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ
 شَهِدَ النَّاسُ بِهَا « عَائِدَةٌ » وَشَجَى الأَجْيالَ مِنْ « فِرْدِي » الهَدِيلِ
 وَاتَّصَفْنَا فِي ذَرَاها دَوْلَةٌ رَكُنْها السُّودْدُ والمَجْدُ الأَثِيلُ
 أُنِيعَتْ عَصراً طَوِيلاً ، وَأَتَى دُونَ أَنْ تُسْتَأْنَفَ العَصْرُ الطَوِيلُ
 كَمْ صَفَرْنَا الغَارَ فِي مِحْرابِها وَعَقَدْنَاهُ لِسَبَاقِ أَصِيلِ
 كَمْ بَدَوِىَ وَدَّعَتْ يَوْمَ التَّوَى وَشُمُوسٍ شَبَّعَتْ يَوْمَ الرَّحِيلِ
 رُبَّ عُرْسٍ مَرَّ لِلْبِرِّ بِها مَاجٍ بِالْخَيْرِ والسَّمْعِ المُنِيلِ
 ضَحِكَ الأَيْتَامُ فِي لَيْلَتِهِ وَمَشَى يَسْتَرُوحُ البَرَّةَ العَلِيلِ
 وَالتَّقَى البائِسُ والتُّعْمَى بِهِ وَسَمَى المَأْوَى لِأَبْناءِ السَّيْلِ
 وَمِنْ الأَرْضِ جَدِيدٌ وَنَدَى وَمِنْ الدُّورِ جِوَادٌ وَبُخِيلِ

* * *

يَا شَباباً حُفَاءَ صَمَمِهِمْ مَتَزُّ لَيْسَ بِمَذْمُومِ التَّزِيلِ
 يَصْرِفُ الشَّبَّانَ عَنْ وَرْدِ القَدَى وَيُنْجِيهِمْ عَنْ المَرَعَى الوَبِيلِ

• هذه القصيدة لم يتبين لي - على وجه اليقين - سبب إنشادها ، وأحسبه نظمها لمناسبة احتفال في دار الأوبرا أقامته جمعية من جمعيات البر بأبناء السبيل .

اذهبوا فيه وجيثوا إخوة
 لا يضرنكمو قلت
 أرجفت في أمركم طائفة
 اجعلوا الصبر لهم حيلتكم
 أريدون بكم أن تجمعوا
 خلّت الأرض من الهدي ، ومن
 قرى الأسرة قوضى ، وترى
 لا تكونوا السيل جهنم خشنا
 رب عين سمنحة خاشعة
 لا ثماروا الناس فيما اعتقدوا
 وإذا جشم إلى نادكمو
 هذه ليلتكم في « الأوبرا »
 مهرجان طوف الهادي به
 وتجلت أوجه زيتها
 فكان الليل بالفجر انجلي

بعضكم خدن لبعض
 كل مولود وإن جل ضيل
 تبع الظن عن الإنصاف ميل
 قلت الحيلة في قال وقيل
 رقة الدين إلى الخلق الهزيل ١٩
 مرشد للنشء بالهدي كفيل
 نشأ عن سعة البر يميل
 كلما عب ، وكونوا السلسيل
 روت العشب ، ولم تنس التخيل
 كل نفس بكتاب وسيل
 فاطرحوا خلفكموا العبء الثقيل
 ليلة القدر من الشهر النبيل
 ومشى بين يديه جبرئيل
 عرر من لمة الخير تسيل
 وكان الدار في ظل الأصيل

• • •

أياها الأجواد لا تجزيكمو
 رجل الأمة يرجى عنده
 إن داراً حطمتوها بالتدي

لذة الخير من الخير بديل
 لجليل العمل العون الجليل
 أخذت عهد التدي ألا تميل

مصرع بطرس غالي باشا*

بَنِي الْقَبْطِ إِخْوَانُ الدُّهُورِ ، رُوِيَ دَكُّكُمْ
حَمَلْتُمْ لِحِكْمِ اللَّهِ صَلْبَ ابْنِ مَرْيَمِ
سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مُسَدِّدُ
وَوَاللَّهِ ، لَوْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارَ مُطْلَقُ
قَضَاءِ ، وَمِقْدَارُ ، وَآجَالُ أَنْفُسِ
نَبِيدُ كَمَا بَادَتْ قَبَائِلُ قَبْلَنَا
تَعَالَوْا عَسَى نَطْوِي الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ
أَلَمْ تَكُ مَصْرٌ مَهْدَنَا ثُمَّ لَخَدْنَا
أَلَمْ نَكُ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمِ
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حَبِّهِ الْهَوَى
وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلُ وُدٍّ وَرَحْمَةٍ
فَلَا يَشِيكُمُ عَنْ ذَمَّةٍ قَتْلُ بَطْرُسِ

هَبَّوْهُ يَسُوعَا فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِيَا
وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ غَالَ غَالِيَا
وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
عَلَيْهِ ؛ لِأَوْدَى فَجَاءَهُ ، أَوْ تَدَاوِيَا
إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
وَيَبْقَى الْأَنَامُ اثْنَيْنِ : مَيِّتًا ، وَنَاعِيَا !
وَنَبِيدُ أَسْبَابِ الشَّقَاقِ نَوَاجِيَا
وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَعَانِيَا ؟
وَمُوسَى وَطَهُ نَعْبُدُ النَّيْلَ جَارِيَا ؟
وَهَلَّا فَدَيْنَاهُ ضِيفَا فَا وَوَادِيَا ؟
وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَقَدِمْنَا عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا

تَحِيَّةُ عَلِيٍّ الثَّانِي لِصَلَاحِ الدِّينِ فِي الْقَبْرِ

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَكِي الْعِظَامَا وَيَنْدُبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا عِظَامَا
وَأَكْرَمُ مِنْ غَمَامٍ عِنْدَ مَحَلِّ فَتَى يُحْيِي بِمَدْحَتِهِ الْكِرَامَا

* حينما قتل بطرس غالي باشا في مصر برصاصة من يد إبراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ هاجت النفوس ، واستاء كثير من الأقباط ، لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قطيعي .

وما عُنْزُ الْمُقْصِرِ عَنْ جِزَاهُ
فَهَلْ مِنْ مُبْلِغٍ غَلِيَوْمَ عَمِّي
رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكٍ مُهَامٍ
أَرَى النَّسِيَانَ أَظْلَمَاءَهُ ، فَلَمَّا
تُقَرَّبُ عَهْدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى
أَتَدْرِى أَيْ سُلْطَانٍ تُحْيِي
دَعْوَتَ أَجَلٍ أَهْلِي الْأَرْضِ حَرْبًا
وَقَفْتَ بِهِ تُذَكِّرُهُ مُلُوكًا
وَكَمْ جَمَعْتَهُمْ حَرْبٌ ، فَكَانُوا
كَلَامٌ لِلْبَرِيَّةِ دَامِيَاتٌ
فَلَمَّا قُلْتَ مَا قَدْ قُلْتَ عَنْهُ
تَسَاءَلَتِ الْبَرِيَّةُ وَهِيَ كَلَمَى
وَأَنْتَ أَجَلُ أَنْ تُزْرِيَ بِمَيِّتٍ
فَلَوْ كَانَ الدَّوَامُ نَصِيبَ مَلِكٍ

وما يَجْزِيهِمْو إِلَى كَلَامَا ؟
مَقَالًا مُرْضِيًا ذَاكَ الْمَقَامَا ؟
تَعَهَّدَ فِي الثَّرَى مَلِكًا هُمَامَا
وَقَفْتَ بِقَبْرِهِ كُنْتَ الْقَامَا
تَرَكْتَ الْجَلِيلَ فِي التَّارِيخِ عَامَا
وَأَيَّ مُمْلِكٍ تُهْدِي السَّلَامَا ؟
وَأَشْرَفَهُمْ إِذَا سَكَنُوا سَلَامَا
تَعَوَّدَ أَنْ يُلَاقُوهُ قِيَامَا !
حَدَائِدُهَا ، وَكَانَ هُوَ الْحُسَامَا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَنْ ضَمَدَ الْكِلَامَا
وَأَسْمَعْتَ الْمَمَالِكَ وَالْأَنَامَا
أَحَبًّا كَانَ ذَاكَ أَمْ اِنْتِقَامَا ؟
وَأَنْتَ أَبْرُ أَنْ تُؤْذِيَ عِظَامَا
لَنَالَ بِحَدِّ صَارِيهِ الدَّوَامَا

الفنار

سَمَا يُنَاقِي الشُّهُبَا
كَالدَّيْدِبَانِ الزُّمُو
شَيْعَ مِنْهُ مَرْكَبًا
بَشَّرَ بِالْدارِ وَبَالَ
وَحَطَّ بِالْثُّورِ عَلَى
كَالْبَارِقِ الْمُلِحِّ لَمْ

هَلْ مَسَّهَا فَالْتَهَبَا ؟
هُ فِي الْبَحَارِ مَرْقَبَا
وَقَامَ يَلْقَى مَرْكَبَا
أَهْلِي السَّرَاةِ الْعُيَا
لَوْحِ الظَّلَامِ : مَرْحَبَا
يُولُ إِلَّا عَقَبَا

يا رَبِّ لَيْلٍ لَمْ تَذُقْ	فِيهِ الرُّقَادَ طَرَبًا
بِثْنَا نُرَاعِيهِ كَمَا	يَرَعَى السَّرَاةُ الْكُوكِبَا
سَعَادَةً يَعْرِفُهَا	فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ أَبَا
مَشَى عَلَى الْمَاءِ ، وَجَا	بَ كَالْمَسِيحِ الْعَبَا
وَقَامَ فِي مَوْضِعِهِ	مُسْتَشْرِفًا مُنْقَبَا
يَرْمِي إِلَى الظَّلَامِ طَرَّ	فَأَ حَائِرًا مُذْبَذَبَا
كَمُنْصِرٍ أَدَارَ عَيْنِهِ	نَا فِي الدُّجَى ، وَقَلْبَا
كَبَصَرِ الْأَعْشَى أَصَا	بَ فِي الظَّلَامِ ، وَنَا
وَكَالسَرَّاجِ فِي يَدِهِ	رِيحٌ ، أَضَاءُ ، وَخَبَا
كَلِمَةٍ مِنْ خَاطِرِهِ	مَا جَاءَ حَتَّى ذَهَبَا
مُجْتَنِبُ الْعَالَمِ فِي	عُزْلَتِهِ مُجْتَنِبَا
إِلَّا شَرَاعًا ضَلَّ ، أَوْ	فُلُكًا يُقَاسِي الْعَطْبَا

حارس الفئار وذلفين

وكان حارسُ الفئارِ	رِ رَجُلًا مُهَذَّبًا
يَهْوَى الْحَيَاةَ ، وَيُحِبُّ	الْعَيْشَ سَهْلًا طَيِّبًا
أَتَتْ عَلَيْهِ سَنَوَا	تُ مُبْعَدًا مُغْتَرِبًا
لَمْ يَرَّ فِيهَا زَوْجَهُ	وَلَا ابْنَهُ الْحَبِيبَا
وكان قد رعى الخـ	طَيْبًا ، وَوَعَى مَا خَطْبَا
فقال : يا حارسُ ،	خَلَّ السُّخْطُ وَالْتَعَبَا
من يُسَعِفُ النَّاسَ إِذَا	نُودِيَ كُلُّ قَابِي ؟
ما الناسُ إِخْوَتِي وَلَا	آدَمُ كَانَ لِي أَبَا
.....

أُنْظِرْ إِلَيَّ ، كَيْفَ أَقْدُ
قَدْ عَشْتُ فِي خِدْمَتِهِمْ
كَمْ مِنْ غَرِيقٍ قَتُ
وَكَانَ جَسَماً هَامِداً
وَكَنتُ وَطْأْتُ لَهُ
حَتَّى أَتَى الشَّطْ ، فَبَدَّ
وَطَارِدُونِي ، فَانْقَلَبَ
مَا نَلْتُ مِنْهُمْ فِضَةً
وَمَا الْجَزَاءُ ؟ لَا تَسَلْ
أَلْبَقُوا عَلَيَّ شَبَكَا
وَاتَّخِذِ الصُّنَّاعُ مِنْ
وَلَمْ يَزَلْ إِسْعَافُهُمْ
وَلَمْ يَزَلْ سَجِيَّتِي
إِذَا سَمِعْتُ صَرْخَةً
لَا أَجِدُ الْمُسْعِفَ
وَالْمُسْعِفُونَ فِي غَدٍ
يَقُولُ «رِضْوَانُ» لَهُمْ :
مُذْنِبُكُمْ قَدْ غَفَرَ

خُضِي لَهُمْ مَا وَجَبَا ؟
وَلَا تُرَانِي تَعِيبَا
عِنْدَ رَأْسِهِ مُطَيِّبَا
حَرَكْتُهُ فَاضْطَرَبَا
مَنَاكِبِي ، فَرَكَبَا
شَرٌّ مَنْ بِهِ وَرَحَبَا
تُ خَاسِراً مُخَيِّبَا
وَلَا مُنِخْتُ ذَهَبَا
كَانَ الْجَزَاءُ عَجَبَا !
وَقَطَّحُونِي إِزْبَا
شَحْمِي زَبْتاً طَيِّبَا
لِيَ الْحَيَاةَ مَذْهَبَا
وَعَمَلِي الْمُحِبَّابَا
طَبَرْتُ إِلَيْهَا طَرَبَا
إِلَّا مَلَكاً مُقَرَّبَا
يُؤَلِّفُونَ مَوَكَّبَا
هَيَّا أَدْخُلُوهَا مَرْحَبَا
اللَّهُ لَهُ مَا أَذْنَبَا

القَمَرُ على آفاق كَلَازُومين ليلة المَوْلد النَّبويِّ الأَسْنَى

فَدَيْتَاهُ من زَائِرٍ مُرْتَقِبٍ	بدا لِلْجُودِ بِمَرَأَى عَجَبٍ
تَهَيَّأَ الجِبَالُ تَبَاشِيرُهُ	كَمَا هَزَّ عِطْفَ الطُّرُوبِ الطَّرَبِ
وَيُحْلِي البَحَارَ بِلَآلِيهِ	فَمِنَّا الكُتُوسُ ، وَمِنهُ الحَبِّ
مَنَارُ الحُرُونِ إِذَا مَا اعْتَلَى	مَنَارُ السُّهُولِ إِذَا مَا انْقَلَبَ
أَتَانَا مِنَ البَحْرِ فِي زُورَقٍ	لُجَيْنًا مَجَازِفُهُ مِنْ ذَهَبٍ
قَلْنَا : سُلَيْمَانُ لَوْ لَمْ يَمُتْ	وَفِرْعَوْنُ لَوْ حَمَلَتْهُ الشُّهُبُ
وَكِسْرَى وَمَا خَمَدَتْ نَارُهُ	وَيُوسُفُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَشِبْ
وَهِيَاتَ ! مَا تُوجُّوا بِالسَّنَا	وَلَا عَرِشُهُمْ كَانَ فَوْقَ السُّحُبِ
أَنَافَ عَلَى المَاءِ مَا يَبْنَاهَا	وَبَيْنَ الجِبَالِ وَشَمُّ المَضْبِ
فَلَا هُوَ خَافٍ ، وَلَا ظَاهِرٌ	وَلَا سَافِرٌ ، لَا ، وَلَا مُتَقَبِّ
وَلَيْسَ بِثَاوٍ ، وَلَا رَاحِلٍ	وَلَا بِالْبَعِيدِ ، وَلَا بِالْمُقْتَرَبِ
تَوَارَى بِنِصْفِ خِلَالِ السُّحُبِ	وَنِصْفُ عَلَى جَبَلٍ لَمْ يَغِبْ
يَجِدُّهَا آيَةٌ قَدْ خَلَتْ	وَيَذْكُرُ مِيلَادَ خَيْرِ العَرَبِ

أثينا*

إن تسألني عن مِصرَ حواءِ القرى
 فالصبحُ في مِثفٍ وثيبة واضحُ
 بالهيلِ من مِثفٍ ومن أرباضِها
 خَلَّتِ الدهُورُ وما اتَّفَتَ أصفانُه
 ما قلَّ ساعِدَه الزمانُ ، ولم يَتَلْ
 كالدهرِ لو مَلَكَ القيامُ لِفَتَكَةٍ
 وثلاثة . شبَّ الزمانُ حياها
 قامت على النيلِ العَهِيدِ عَهِيدَةً
 من كلِّ مَرَكُوزٍ كَرَضَوَى في الثرى
 الجنُّ في جَنَبَاتِها مَطْرُوقَةٌ
 والأرضُ أَضْيَعُ حِيلَةٍ في تَرْعِها
 تلكَ القُبُورُ أَضَنُّ من عَيْبٍ بما
 نامَ المُلُوكُ بها الدهُورَ طَوِيلَةً
 كلُّ كاهِلٍ الكهفِ فوقَ سَرِيرِهِ
 أملاكُ مِصرَ القاهرون على الوَرَى
 هَتَكَ الزمانُ حِجَابَهُم ، وأزالهم

وقَرارةِ التاريخِ والآثارِ
 مَنْ ذا يُلاقِي الصُّبحَ بالإنكارِ ؟
 مَجْدُوعُ أنفٍ في الرمالِ كُفاري'
 وأنتَ عليه كَلِيلَةٌ ونهار
 منه اختلافُ جَوَارِفٍ وذَوَارِ
 أو كان غيرَ مُقَلَّمِ الأظفارِ
 شُمٌّ على مَرِّ الزَّمانِ ، كِيار'
 نَكسوه ثوبَ الفَخْرِ وهي عَوَارِ
 متطاوِلٍ في الجُوءِ كالإعصارِ
 ببدائعِ البُناءِ والحفَّارِ
 من حيلةِ المِصْلُوبِ في المِسمارِ
 أَخَفَّتْ منَ الأعلاقِ والأذخارِ
 يَجِدُون أرواحَ ضَجْعَةٍ وقَرارِ
 والدهرُ دونَ سَرِيرِهِ بهِجارِ
 المنزَلون منازلَ الأَقمارِ
 بعدَ الصَّيانِ إِزالةَ الأسرارِ

* أوفدته الحكومة المصرية إلى أثينا عاصمة اليونان لحضور مؤتمر المستشرقين .

١ الكفاري : العظيم الأذنين ، يشير إلى تمثال أبي الهول .

٢ يشير إلى الأهرام .

هيات ! لم يلمس جلالهمو البلى
كانوا وطرف الدهر لا يسمو لهم
لو أمهلوا حتى الشؤور بثورهم
إلا بأيدٍ في الرغام قصار
ما بالهم عرّضوا على التّطار ؟
قاموا لخالفهم بغير عُبار !

ذكرى محمد فريد*

نُجِدُّ ذِكْرَى عَهْدِكُمْ وَنُعِيدُ
وللناس في الماضي بصائر يَهْتَدِي
إِذَا الْمَيْتُ لَمْ يَكْرُمُ بِأَرْضٍ ثَنَاؤُهُ
ونحنُ قضاةُ الحقِّ ، نَرعى قديمه
ونعلمُ أَنَّا فِي الْبِنَاءِ دَعَائِمُ
فريدُ ضحايانا كثيرٌ ، وإنما
فما خَلَفَ ما كَابَدْتَ فِي الْحَقِّ غَايَةً
تَغَرَّبْتَ عَشْرًا أَنْتَ فِيهِنَّ بَائِسُ
تَجوُّعُ يُلْدَانِ ، وَتَعْرِى بِغَيْرِهَا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ طَارِفُ
وَجُودُكَ بَعْدَ الْمَالِ بِالنَّفْسِ صَابِرُ
فَلَا زِلْتَ تِمَثَالًا مِنَ الْحَقِّ خَالِصًا
يُعلمُ نَشْءَ الْحَيِّ كَيْفَ هَوَى الْجَمَى
وَنُدِنِي خَيَالَ الْأَمْسِ وَهُوَ بَعِيدُ
عليهنَّ غَاوٍ ، أَوْ يَسِيرُ رَشِيدُ
تَحَيَّرَ فِيهَا الْحَيُّ كَيْفَ يَسُودُ
وإن لَمْ يَفُتْنَا فِي الْحَقِّ جَدِيدُ
وَأَنْتُمْ أَسَاسُ فِي الْبِنَاءِ وَطِيدُ
مَجَالُ الضَّحَايَا أَنْتَ فِيهِ فَرِيدُ
وَلَا فَوْقَ ما قَاسَيْتَ فِيهِ مَزِيدُ
وَأَنْتَ بِأَفَاقِ الْبِلَادِ شَرِيدُ
وَتَرْزُحُ تَحْتَ الدَّاءِ ، وَهُوَ عَتِيدُ
مِنَ الْمَالِ لَمْ تَبْخُلْ بِهِ ، وَتَلِيدُ
إِذَا جَزَعَ الْمُحْضُورُ وَهُوَ يَجُودُ
عَلَى سِرِّهِ نَبِي الْعُلَا ، وَنَشِيدُ
وَكَيْفَ يُحَامِي دُونَهُ ، وَيَذُودُ

* أُلْقِيَتْ فِي الْإِحْتِفَالِ بِالذِّكْرِ الْخَامِسَةِ لِلْمَغْفُورِ لَهُ مُحَمَّدِ فَرِيدٍ بَلَدَ سَنَةِ ١٩٢٤ .

التَّخِيلُ مَا بَيْنَ الْمُتَرَّهِ وَأَبِي قَيْرٍ .

أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبُ
مَآذُنُ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ
وَلَيْسَ يُوَدُّ فِيهَا الرِّجَالُ
وَبَاسِقَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرِّمَالِ
كَسَارِيَةِ الْقُلُوكِ ، أَوْ كَالْمِسْدِ
تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكُتَيْبِ
تُخَالُ إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الصُّحَى
. . وَطَافَ عَلَيْهَا شُعَاعُ النَّهَارِ
. . وَصَيْفَةٌ فَرَعُونَ فِي سَاحَةِ
قَدْ اعْتَصَبَتْ بِفُصُوصِ الْعَقِيقِ
وَنَاطَتْ قَلَانِدَ مَرْجَانِهَا
وَشَدَّتْ عَلَى سَاقِهَا مِزْرًا

وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبُ
ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَدَبِ
وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْعُرْبُ
نَمَتْ وَرَبَتْ فِي ظِلَالِ الْكُتُبِ
لَلَّهْ ، أَوْ كَالْفَنَارِ وَرَاءَ الْعَبَبِ
إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ ذَهَبِ
وَجَرَّ الْأَصِيلُ عَلَيْهَا اللَّهَبِ
مِنْ الصُّخْرِ ، أَوْ مِنْ حَوَاشِي السُّحُبِ
مِنْ الْقَصْرِ وَاقِفَةً تَرْتَقِبُ
مُفَصَّلَةً بِشُنُورِ الذَّهَبِ
عَلَى الصَّدْرِ ، وَأَشْحَتْ بِالْقَصَبِ
تَعَقَّدَ مِنْ رَأْسِهَا لِلذَّنَبِ

* * *

أَهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ
طَعَامُ الْفَقِيرِ ، وَحَلَوَى الْغَنِيِّ
فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ ، لَمْ تَبْخَلِي
وَأَعْجَبُ : كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكُنَّ
أَلَيْسَ حَرَامًا خُلُوُ الْقَصَا

أَمِيرُ الْحَقُولِ ، عُرُوسُ الْعَزْبِ ؟
وَزَادُ الْمَسَافِرِ وَالْمُعْتَرِبِ ؟
وَلَا قَصَّرَتْ نَخْلَاتُ التُّرْبِ
وَلَمْ يَحْتَفِلْ شِعْرَاءُ الْعَرَبِ ؟
ثَدِمِنْ وَصَفِيكُنْ ، وَعُطِّلُ الْكُتُبِ ؟

. نظمها بالاسكندرية في صيف سنة ١٩٣١ .

وَأَتَتْ فِي الْمَاجِرَاتِ الظَّلَالُ
وَأَتَتْ فِي الْبِيدِ شَاةُ الْمُعِيلِ
وَأَتَتْ فِي عَرَصَاتِ الْقُصُورِ
جَنَاحَكَ كَالْكَرَمِ شَتَّى الْمَذَاقِ
كَأَنَّ أَعَالِيكَنَّ الْعَبَبِ
جَنَاحَهَا بِجَانِبِ أُخْرَى حَلَبَ
حَسَنُ الدُّمَى الزَّائِنَاتُ الرَّحْبِ
وَكَالشَّهْدِ فِي كُلِّ لَوْنٍ يُحِبُّ

البحر الأبيض

أَمِنْ الْبَحْرِ صَانِعُ عَبْقَرِيَّ
طَافَ تَحْتَ الصُّخَى عَلَيْهِنَّ ، وَالْجَوِ
جَنَّتُهُ فِي مَعَاصِمٍ وَنُحُورِ
وَأَبَى أَنْ يُقْلَدَ الدَّرُّ وَالْيَا
وَتَرَى خَائِمًا وَرَاءَ بَنَانٍ
وَسِوَارًا يَزِينُ زَنْدَ كَعَابٍ
وَتَرَى الْغَيْدَ لُؤْلُؤًا ثُمَّ رَطْبًا
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ وَالْمَاءَ شِقًّا
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ وَالْمَاءَ عَرْسُ
أَوْ رَيْعٌ مِنْ رَيْشَةِ الْفَنِّ أَبْهَى
أَوْ تَهَاوِيلُ شَاعِرِ عَبْقَرِيَّ
يَا سِوَارِيَّ فَيُرَوِّجُ وَلُجَيْنِ
فِي شُعَاعِ الصُّخَى يَعُودَانِ مَاسًا
بِالرَّمَالِ التَّوَاعِمِ الْبَيْضِ مُغْرَى ؟
هَرُّ فِي سَوْفِهِ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
فَكَسَا مِعْصَمًا ، وَآخَرَ عَرَى
قَوْتَ نَحْرًا ، وَقُلْدَ الْمَاسِ نَحْرًا
وَبَنَانًا مِنْ الْخَوَانِمِ صِفْرًا
وَسِوَارًا مِنْ زَنْدِ حَسَنَاءِ قَرَا
وَجَنَانًا حَوَالِي الْمَاءِ نَثْرًا
صَدَفٌ ، حُمْلًا رَفِيفًا وَدُرًّا
مُتَرَعٌ الْمَهْرَجَانِ لَمَحًا وَعِطْرًا
مِنْ رَيْعِ الرُّبَى ، وَأَفْتَنُ زَهْرًا
طَارَحَ الْبَحْرَ وَالطَّبِيعَةَ شِعْرًا
بِهِمَا حُلِيَّتُ مَعَاصِمُ مِضْرًا
وَعَلَى لَمَحَةِ الْأَصَائِلِ ثَبْرًا

• نظمت بالاسكندرية في صيف سنة ١٩٣١ .

وَمَشَتْ فِيهَا التَّجُومُ فَكَانَتْ
لَكَ فِي الْأَرْضِ مَوْكَبٌ لَيْسَ بِالْوَالِدِ
سِرَتْ فِيهِ عَلَى كُنُوزِ سُلَيْمٍ
وَتَرْنَمَتْ فِي الرِّكَابِ ، فَقَلْنَا
هُوَ لَحْنُ مُضَيَّعٍ ، لَا جَوَاباً
لَكَ فِي طَيْهِ حَدِيثُ غَرَامٍ

• • •

قَدْ بَعَثْنَا تَحِيَّةً وَثَنَاءً
وَعَشِيْنَاكَ سَاعَةً تَبْشُرُ الْمَا
وَفَتَحْنَا الْقَدِيمَ فِيكَ كِتَاباً
وَنَشَرْنَا مِنْ طَيِّهِنَ اللَّيَالِي
وَرَأَيْنَا مِصْرَاً تُعَلِّمُ يُونَا
تِلْكَ تَأْتِيكَ بِالْبَيَانِ نَبِيًّا
وَرَأَيْنَا الْمَنَارَ فِي مَطْلَعِ النَّجْدِ
شَاطِئُ مِثْلُ رُقْعَةِ الْخُلْدِ حُسْنًا
جَرَّ مَيَّوْزَجًا عَلَى فِصَّةِ الْمَا
كَلَّمَا جِئْتَهُ نَهَلَّ بِشَرًّا
اِثْنَى مَوْجَةً ، وَأَقْبَلَ يُرْخِي
شَبًّا وَانْحَطَّ مِثْلَ أُسْرَابِ طَيْرٍ
رُبَّمَا جَاءَ وَهْدَةً فَتَرْدَى
وَتَرَى الرَّمْلَ وَالْقَصُورَ كَأَيْتِكَ

لَكَ يَا أَرْفَعَ الزَّوَاخِرِ ذِكْرَا
ضِيَّ نَبْشَا ، وَتَقْتُلُ الْأَمْسَ فِكْرَا
وَقَرَأْنَا الْكِتَابَ سَطْرًا فَسَطْرَا
فَلَمَحْنَا مِنْ الْحَضَارَةِ فَجَرَا
نَ ، وَيُونَانَ تَقْبِسُ الْعِلْمَ مِصْرَا
عَبْقَرِيًّا ، وَتِلْكَ بِالْفَنِّ سِحْرَا
حَمٍ عَلَى بَرْقِهِ الْمُلْمَحِ بُسْرَا
وَأَدِيمِ الشَّبَابِ طَيِّبًا وَبِشْرَا
ءَ ، وَجَرَّ الْأَصِيلُ وَالصَّبْحُ نِيرَا
مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، وَافْتَرَّ ثَغْرَا
كِلَّةً تَارَةً وَيَرْفَعُ سِتْرَا
مَاضِيَاتٍ تَلْفُ بِالسَّهْلِ وَغْرَا
فِي الْمَهَاوِي ، وَقَامَ يَطْفَرُ صَخْرَا
رَكِبَ الْوَكْرُ فِي نَوَاحِيهِ وَكْرَا

١ ليس يالو الريح ... الخ : ليس يقصر عنها .

وَتَرَى جَوْسَقًا يُزَيِّنُ رَوْضًا وَتَرَى زَبُوءَةً تَزَيِّنُ مِصْرًا

* * *

سَيِّدَ الْمَاءِ ، كَمْ لَنَا مِنْ صَلاَحٍ	وَعَلِيَّ وَرَاءَ مَائِكَ ذِكْرِي ! ^١
كَمْ مَلَأْنَاكَ بِالسَّفِينِ مَوَاقِدِ	رَكَشُمُ الْجِبَالِ جُنْدًا وَوَفْرًا ! ^٢
شَاكِيَاتِ السِّلَاحِ يَخْرُجْنَ مِنْ مِصْرِ	بِرِّ بَمَلُومَةٍ ، وَيَدْخُلْنَ مِصْرًا
شَارِعَاتِ الْجَنَاحِ فِي ثَبَجِ الْمَا	كَتَسَّرَ بِشِدْ فِي السُّحْبِ نَسْرًا
وَكَانَ اللَّجَاجُ حِينَ تَتَرَى	وَتَسْدُ الْفِجَاجَ كَرًّا وَقَرًّا . . .
. . . أَجْمُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	زَحَفَتْ غَابَةٌ لَتَمْزِيقِ أُخْرَى !
قَذَفَتْ هَهُنَا زَيْثْرًا وَنَابَأَ	وَرَمَتْ هَهُنَا عُوَاءَ وَظُفْرًا
أَنْتَ تَغْلِي إِلَى الْقِيَامَةِ كَالْقِدْرِ	رِ ، فَلَا حَطَّ يَوْمُهَا لَكَ قِدْرًا

قِفْ حَيَّ شَبَّانَ الْحِمَى

قِفْ حَيَّ شَبَّانَ الْحِمَى	قَبْلَ الرَّحِيلِ بَقَايَةَ
عَوْدَتِهِمْ أَمْثَالَهَا	فِي الصَّالِحَاتِ الْبَاقِيَةِ
مِنْ كُلِّ ذَاتِ إِشَارَةٍ	لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ خَافِيَةِ
قُلْ: يَا شَبَابُ ، نَصِيحَةٌ	مِمَّا يُزَوِّدُ غَالِيَةِ
هَلْ رَاعَكُمْ أَنْ الْمَدَا	رَسَ فِي الْكِنَانَةِ خَاوِيَةٍ ؟
هُجِرَتْ فَكُلُّ خَلِيَّةٍ	مِنْ كُلِّ شَهِيدٍ خَالِيَةِ
وَتَعَطَّلَتْ هَالِئُهَا	مِنْكُمْ ، وَكَانَتْ حَالِيَةِ

١ يريد صلاح الدين الأيوبي ومحمد علي باشا .

٢ مواخير : موقرة : مثقلة بما تحمل .

• نظمها في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا .

غَدَتِ السِّيَاسَةُ وَهِيَ آ مَرَّةً عَلَيْهَا نَاهِيَةٌ
فَهَجَرْتُمُ الْوَطَنَ الْعَزَّيْزَ إِلَى الْبِلَادِ الْقَاصِيَةِ

* * *

أَنْتُمْ غَدَاً فِي عَالَمٍ هُوَ وَالْحَضَارَةُ نَاحِيَةٌ
وَأَرَيْتُ فِيهِ شَبِيبَتِي وَقَضَيْتُ فِيهِ ثَمَانِيَةَ
مَا كُنْتُ ذَا الْقَلْبِ الْغَلِيظِ ، وَلَا الطَّبَاعِ الْجَافِيَةِ
سَيَرُوا بِهِ تَتَعَلَّمُوا سِرَّ الْحَيَاةِ الْعَالِيَةِ
وَتَأْمَلُوا الثَّنْيَانَ ، وَادُّوا الْجَهْدَ الْبَانِيَةَ
ذُوقُوا الثَّمَارَ الْجَنِيَّةَ وَرَدُّوا الْمَنَاهِلَ صَافِيَةَ
وَاقْضُوا الشَّبَابَ ، فَإِنَّ سَا عَتَةَ الْقَصِيرَةِ فَانِيَةَ
وَاللَّهِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ كُمْ فِي حَدِيثِ الْغَانِيَةِ !
أَوْ فِي أَشْتِهَاءِ السَّحْرِ مِنْ لَحْظِ الْعَيُونِ السَّاجِيَةِ
أَوْ فِي الْمَسَارِحِ فَهْيَ بِاللَّهِ نَفْسُ اللَّطِيفَةِ رَاقِيَةِ !

ثَنَى عِطْفِيهِمَا الْهَرَمَانِ يَتِيهَاً

بَارِضِ الْجِيزَةِ اجْتَازَ الْعَامُ وَحَلَّ سَمَاءُهَا الْبَدْرُ التَّمَامُ
وَزَارَ رِيَاضَ إِسْمَاعِيلَ غَيْثُ كَوَالِدِهِ لَهُ الْمَيْنُ الْجِسَامُ
ثَنَى عِطْفِيهِمَا الْهَرَمَانِ يَتِيهَاً وَقَالَ الثَّالِثُ الْأَدْنَى : سَلَامُ
هَلْمِي مَنَفً ، هَذَا تَاجُ خَوْفِي كَقُرْصِ الشَّمْسِ يَعْرِفُهُ الْأَنَامُ
نَمَتْهُ مِنْ بَنِي فِرْعَوْنَ هَامٌ وَمِنْ خَلْفَاءِ إِسْمَاعِيلَ هَامُ

• وقال يحيى الملك فؤاد في إبان زيارته للجزيرة في ديسمبر سنة ١٩٣٠ .

تَأَلَّقَ فِي سَمَائِكَ عَبْقَرِيًّا عَلَيْهِ جَلَالَةٌ ، وَلَهُ وَسَامُ
تَرَعَرَّتِ الْحَضَارَةُ فِي حِلَاهُ وَشَبَّ عَلَى جَوَاهِرِهِ النِّظَامُ
وَنَالَ الْفَنُّ فِي أَوَّلِ اللَّيَالِي وَأُخْرَاهُنَّ عِزًّا لَا يُرَامُ

* * *

مَشَى فِي جِيزَةِ الْفُسْطَاطِ ظِلًّا كَظِلِّ النَّيْلِ بُلْبُلًا بِهِ الْأَوَامُ
إِذَا مَا مَسَّ ثُرْبًا عَادَ مِسْكَأً وَنَافَسَ تَحْتَهُ الذَّهَبَ الرَّغَامُ
وَإِنْ هُوَ حَلَّ أَرْضًا قَامَ فِيهَا جِدَارٌ لِلْحَضَارَةِ أَوْ دِعَامُ
فَمَدْرَسَةٌ لِحَرْبِ الْجَهْلِ تُبْنَى وَمُسْتَشْفَى يُدَادُّ بِهِ السَّقَامُ
وَدَارٌ يُسْتَعَاثُ بِهَا قَيْمُضِي إِلَى الْإِسْعَافِ أَنْجَادُ كِرَامُ
أَسَاءَةُ جِرَاحَةٍ حِينًا . وَحِينًا مَيَازِيبُ إِذَا انْفَجَرَ الصَّرَامُ
وَأَحْوَاضُ يَرِاضُ النَّيْلُ فِيهَا وَكُلُّ نَجِيبَةٍ وَلَهَا لُجَامُ
أَبَا الْفَارُوقِ ، أَقْبَلْنَا صُفُوفًا وَأَنْتَ مِنَ الصُّفُوفِ هُوَ الْإِمَامُ
إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِكَ اتَّجَهْنَا وَمِصْرُ - وَحَقَّهَا - الْبَيْتُ الْحَرَامُ
طَدَعْتَ عَلَى الصَّعِيدِ فَهَشَّ حَتَّى عَلَا شَفَقَتِي أَبِي الْهَوْلِ ابْتِسَامُ
رَكَابُ سَارَتِ الْأَمَالُ فِيهِ وَطَافَ بِهِ التَّلَقُّ وَالزَّحَامُ
فَمَاذَا فِي طَرِيقِكَ مِنْ كُفُورٍ أَجَلُ مِنَ الْبُيُوتِ بِهَا الرَّجَامُ ؟
كَانَ الرَّاقِدِينَ بِكُلِّ قَاعٍ هُمُ الْأَيْقَاطُ ، وَالْيَقْطَى النَّيَامُ
لَقَدْ أَزَمَ الزَّمَانُ النَّاسَ . فَانْظُرْ فَعِنْدَكَ تُفْرِجُ الْإِزْمُ الْعِظَامُ
وَبَعْدَ غَدٍ يُفَارِقُ عَامُ بُؤْسٍ وَيَخْلُفُهُ مِنَ التَّعْمَاءِ عَامُ
يَدُورُ بِمِصْرَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ زَمَانٌ مَا لِحَالِيهِ دَوَامُ
وَمِصْرُ بِنَاءُ جَدِّكَ لَمْ يُتَمِّمْ أَلَيْسَ عَلَى يَدَيْكَ لَهُ تِمَامُ ؟
فَلَسْنَا أُمَّةً قَعَدَتْ بِشَمْسٍ وَلَا بِلَدٍّ بَضَاعَتُهُ الْكَلَامُ
وَلَكِنْ هِمَّةٌ فِي كُلِّ حِينٍ يَشْدُو بِنَاءَهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ
رُومُ الْغَايَةِ الْقُصُوى ، فَتَمُضِي وَأَنْتَ عَلَى الطَّرِيقِ هُوَ الزَّمَامُ

ونقصر خطوةً ، ونمُدُّ أخرى
ونصبرُ للشدائدِ في مقامٍ
فقوْ حضارةَ الماضي بأخرى
رَفُّ صحائفُ البرديِّ فيها
رَعَتِكَ ووادياً ترعاه عَنَّا
فإن يك تاجُ مصرَ لها قواماً
لَها مصرُ ، وليَها بناها
وثلجِئنا المسافةَ والمرام
ويعلِّينا على صبرِ مقامٍ
لها زهوٌ بعصرِكَ وأسماءُ
ويَنطقُ في هياكلها الرُّخام
منَ الرحمنِ عينٌ لا تنام
فمِصرُ لتاجِها العاليِ قوام
فبينَ الرأسِ والجِسمِ الثِّثام

الأميرة فتحيّة*

فَتحِيّةُ دُنيا تَدومُ ، وصِحةُ
مَولايَ إنَّ الشَّمسَ في عَليانِها
تَبقى ، وَهَجّةُ أُمّةٍ ، وَحياةُ
أُنثى ، وَكلُّ الطَّيِّباتِ بَناتُ !

نَهْنَة*

يَدُ المَلِكِ العَلَوِيِّ الكَرِمْ
لِسانُ الكِثانَةِ في شُكْرها
عَلَى العِلْمِ هَزَّتْ أَخاهُ الأَدبُ
قَضَتْ مِصرُ حاجَتَها يا عَلِيُّ
وَمَنَّتْ بِالرُّؤْبِ العَبْقَرِيِّ
وَمَنَّتْ بِالْعَبْقَرِيِّ الرُّؤْبِ
عَلِيُّ ، لَقَدْ لَقَّبْتُكَ البِلادُ
بِأَسِي الجِراحِ ، وَنَعَمَ اللَّقَبُ

وقال في برقية يهني الأميرة السابقة فتحيّة .

وقال يهني الدكتور علي باشا إبراهيم بمناسبة الإناعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٣٠

وكلُّ سلاحٍ أداةُ العَظَبِ	سِلَاحُكَ مِنْ أَدَوَاتِ الْحَيَاةِ
لَطِيفُ الصَّبَا فِي جُفُونِ الْعَصَبِ	وَلَفْظُكَ بِنَجْ ، وَلَكِنَّهُ
أَوَاسِي الْجِرَاحِ ، مَوَاحِي الثَّدْبِ	أَنَامِلُ مِثْلُ بَنَانِ الْمَسِيحِ
فَكُفُّ ثُدَاوِي ، وَكُفُّ نَهَبِ	تَعَالِجُ كَهَاكَ بؤْسَ الْحَيَاةِ
وَفَوْقَهُمَا لَا يَفُورُ الذَّهَبُ	وَيَسْتَمْسِكُ الدَّمُ فِي رَاحَتَيْكَ
فَلَمْ يَرَوْجْهُكَ إِلَّا هَرَبُ !	كَأَنَّكَ لِلْمَوْتِ مَوْتُ أَنْتِجُ

يا قاهر الغرب العتيد*

وَتَلَقَّ مِنْ أَوْطَانِكَ الْإِكْلِيلَا	شَرَفًا نُصَيْرُ ، أَرْفَعُ جَيْتَكَ عَالِيَا
وَمُنَحْتَ مِنْ عَطْفِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَا	يَهْنِكَ مَا أُعْطِيََتْ مِنْ إِكْرَامِهَا
لَمْ يَبْغِ مِنْ قَصَبِ الرُّهَانِ بَدِيلَا	الْيَوْمَ يَوْمَ السَّابِقِينَ ، فَكُنْ قَتِي
عُرْرًا تُسِيلُ إِلَى الْمَدَى وَحُجُولَا	وَإِذَا جَرَّيْتَ مَعَ السَّوَابِقِ فَاقْتَحِمِ
وَيَرَوْا عَلَى أَعْرَافِكَ الْمُنْدِيلَا	حَتَّى يَرَاكَ الْجَمْعُ أَوَّلَ طَالِعِ
يَبْغِي الْمُغَامِرُ عَالِيَا وَجَلِيلَا	هَذَا زَمَانٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَهُ
لَيْسَ التَّوَسُّطُ لِلْبُؤْغِ سَبِيلَا	كُنْ سَابِقًا فِيهِ ، أَوْ أَبْقَ بِمَعْزِلِ
بِثْنَاءِ مِصْرَ عَلَى الشِّفَاءِ جَمِيلَا	يَا قَاهِرَ الْغَرْبِ الْعَتِيدِ ، مَلَأْتَهُ
فِي الْبَاسِ تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا !	قَلْبَتَ فِيهِ يَدَا نَكَادَ لَشِدَّةِ
جَعَلَ الْحَدِيدَ لِإِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلَا	إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَبَاسَهُ
وَطَرَحَتْهُ أَرْضَا ، فَصَلَّ صَلِيلَا	زَحَزَحَتْهُ ، فَتَخَاذَلَتْ أَجْلَادُهُ
تَلَوُ عَلَيْهِ وَتَقْرَأُ التَّثْرِيلَا ؟	لَمْ لَا يَلِينُ لَكَ الْحَدِيدُ وَلَمْ تَزَلْ

* وقال في حفل تكريم البطل العالمي في حمل الأتقان السيد نصير . في ديسمبر سنة ١٩٣٠

الأزمة اشتدت ورانَ بلاؤها	فاضدِم بِرُكنك رُكنها ليمِلا
شمشونُ أنت ، وقد رست أركانها	فتمشُ في أركانها لتزولا
قل لي نصيرُ وأنت برُ صادق	أحملت إنساناً عليك ثقيلا ؟
أحملت ديناً في حياتك مرة ؟	أحملت يوماً في الصلوع غليلا ؟
أحملت ظلماً من قريبٍ غادر	أو كاشحٍ بالأمس كان خليلا ؟
أحملت ممّا بالنهار مكرراً	والليل ، من مُسدِّ إليك جمِلا ؟
أحملت طغيانَ اللثيم إذا اغتنى	أو نال من جاءهِ الأمور قليلا ؟
أحملت في النادي الغيِّ إذا التقى	من سامعيه الحمد والتبجيلا ؟
تلك الحياة ، وهذه أثقالها	وزن الحديدُ بها فعاد ضئِلا !

ابنُ زيدون*

يا ابنَ زيدونَ ، مَرَجَا	قد أطلتِ التَّغْيِبا
إن ديوانك الذي	ظلَّ سراً مُحجِّبا ،
يشتكي اليُثمَ دُرُه	ويُقاسي التَّغْرِبَا . . .
. . . صار في كل بلدةٍ	للألباءِ مَطْلِبَا
جاءنا « كاملٌ » به	عربياً مُهذَّبَا
تجدُ النَّصْرَ مُعْجِبا	وترى الشَّرحَ أعْجَا
أنتَ في القولِ كُلِّه	أجملُ الناسِ مَذْهَبَا
بأبي أنتَ هينكلاً	من فنونٍ مُرْكَبَا

• أنشأها ترحيباً بديوان ابن زيدون ، حين ظهر مطبوعة لأول مرة في مصر ، بعناية الأستاذ الأديب كامل كيلاني .

شاعِراً أم مُصَوِّراً كنتَ ، أم كنتَ مُطرباً ؟
 ترسلُ اللحنَ كله مُبدِعاً فيه ، مُرباً
 أحسنَ الناسِ هاتفاً بالغواني مُشَبِّهاً
 ونزِيلَ المُتَوَجِّجِ حينَ ، النديمِ المُقربِ
 كم سَقاهم بِشِعْرِهِ مِدْحَةً أو تَعْتِباً
 ومن المذحِ ما جَزَى وأذاعَ المناقبَ

* * *

وإذا الهَجْرُ حاجَهُ لِمُعاناتِهِ أبى
 ورآه رذيلةً لا تُعَاشِي التَأْدِباً
 ما رأى الناسُ شاعِراً فاضلِ الخُلُقِ طيباً
 دَسَّ لِلنَاشِقِينَ فِي زُنْبِقِ الشِعْرِ عَقِرباً

* * *

جُلْتَ فِي الخُلْدِ جَوْلَةً هل عن الخلدِ مِنْ نَبَأٍ ؟
 صف لنا ما وراءَهُ من عيونٍ ، ومن رُبَى
 ونَمِيمٍ وَنَضْرَةٍ وظلالٍ من الصُّبَا
 وصِفِ الحورَ موجِزاً وإذا شئتَ مُطَنِّباً

* * *

قم تَرى الأرضَ مثلاً كَتُثْمُو أَمْسٍ مَلْعَباً
 ونرى العيشَ لم يَزَلْ لِسِنِّي الموتِ مَأْرَباً
 ونرى ذاكَ بالذي عندَ هذا مُعَذِّباً

* * *

إِنَّ مَروَانَ عُصْبَةٌ يَصْنَعُونَ العجائباً

١ يشير إلى أصله « الرومي » وإلى أيادي بني مروان على العروبة ، بما فتحوا من بلاد الروم ، وبما استعرب من أهلها .

طَوَّفُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا بِالْأَيْدِي وَمَغْرِبًا
هَالَةً أَطْلَعَتْكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبًا
أَنْتَ لِلْفَتْحِ تَنْتَمِي وَكَفَى الْفَتْحُ مَنْصِبًا
لَسْتُ أَرْضَى بِغَيْرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبًا

البلبل الغردُ الذي هَزَّ الرُّبَى *

وَعِصَابِي بِالْخَيْرِ أَلْفَ شَمْلُهُمْ وَالْخَيْرُ أَفْضَلُ عُصْبَةٍ وَرِفَاقًا
جَعَلُوا التَّعَاوُنَ وَالْبَنَاءَ هَمَّهُمْ وَاسْتَنْهَضُوا الْآدَابَ وَالْأَخْلَاقًا
وَلَقَدْ يُدَاوُونَ الْجِرَاحَ بِرِيْهِمْ وَيُقَاتِلُونَ الْبُؤْسَ وَالْإِمْلَاقًا
يَسْمُونَ بِالْأَدَبِ الْجَدِيدِ ، وَتَارَةً يَبْنُونَ لِلْأَدَبِ الْقَدِيمِ رِوَاقًا
بَعَثَ اهْتِمَامَهُمْ ، وَهَاجَ حَنَانُهُمْ زَمَنٌ يُبِيرُ الْعُطْفَ وَالْإِشْفَاقًا
عَرَّضَ الْقُعُودَ فَكَانَ دُونَ نُبُوغِهِ قَبْدًا ، وَدُونَ خُطَى الشَّبَابِ وَثَاقًا

* * *

الْبَلْبُلُ الْغَرْدُ الَّذِي هَزَّ الرُّبَى وَشَجَى الْغُصُونِ ، وَحَرَّكَ الْأَوْرَاقَ
خَلَّفَ الْبَهَاءَ عَلَى الْقَرِيضِ وَكَأْسِهِ فَسَقَى بَعْدَ نَسِيهِ الْعُشَّاقَ
فِي الْقَبْدِ مُتَمَتِّعُ الْخُطَى ، وَخِيَالِهِ يَطْوِي الْبِلَادَ وَيَنْشُرُ الْآفَاقَ
سَبَاقُ غَايَاتِ الْبَيَانِ جَرَى بِلَا سَاقٍ ، فَكَيْفَ إِذَا اسْتَرَدَّ السَّاقَا ؟ !
لَوْ يَطْعَمُ الطَّبُّ الصَّنَاعُ بَيَانَهُ أَوْ لَوْ يُسَيِّغُ لَمَا يَقُولُ مَذَاقًا . . .
. . . غَالِي بَقِيَّتِهِ ، فَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ إِلَّا الْجَنَاحَ مُحَلِّقًا . خَفَاقًا !

* أنشدت في الحفلة التي أقامتها رابطة الأدب الجديد ، تكريماً للشاعر الأستاذ محمود أبو الوفا . .
وكانت هذه القصيدة سبباً إلى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر - أبي الوفا - وتسفيره إلى
أوروبا لعمل رجل صناعية بدل ساقه المبتورة !

خليل مطران*

لُبْنَانُ ، مَجْدُكَ فِي الْمَشَارِقِ أَوَّلُ
 وَبَنُوكَ أَلْفُ مِنْ نَسِيمِكَ ظَلُّهُمْ
 أَخْرَجَتْهُمْ لِلْعَالَمِينَ جَحَاجِحًا
 بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ أَفْقِ زَاهِرٍ
 هَذَا أَدْيُوكَ يُحْتَفَى بِوَسَامِهِ
 وَيُجَلُّ قَدْرُ قِلَادَةٍ فِي صَدْرِهِ
 صَدْرُ حَوَائِجِهِ الْجَلَالُ ، وَمِلْؤُهُ
 حَلَاةُ إِحْسَانِ الْخَدِيدِ ، وَطَلْمَا
 لَعْلَاكَ يَا مُطْرَانُ ، أَمْ لَهَاكَ ، أَمْ
 أَمْ لِلْمَوَاقِفِ لَمْ يَقِفْهَا ضَبْعُكُمْ
 هَذَا مَقَامُ الْقَوْلِ فَيْكَ ، وَلَمْ يَزَلْ
 غَالِي بِقِيَمَتِكَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدُ
 فِي مَجْمَعِ هَزِّ الْبَيَانِ لَوَاءِهِ
 ابْنُ الْمُلُوكِ ثَلَا الثَّنَاءِ مَخْلَدًا
 فَمِنْ الْبَشِيرِ لَبْعَلْبِكَ وَبَيْنَهَا
 يَتْلَى الْمَكِينُ الْفَخْمُ مِنْ آثَارِهَا
 وَالْأَرْضُ رَابِعَةٌ وَأَنْتَ سَنَامُ
 وَأَشْمُ مِنْ هَضْبَاتِكَ الْأَحْلَامِ
 عَرَبًا ، وَأَبْنَاءُ الْكَرِيمِ كَرَامُ
 طَلَعَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ
 وَبَيَانُهُ لِلْمَشْرِقَيْنِ وَسَامُ
 وَلَهُ الْقِلَادَةُ سِمَاطُهَا الْإِهَامُ
 كَرَمُ ، وَخَشْيَةُ مُؤْمِنٍ ، وَذِمَامُ
 حَلَاةُ فَضْلُ اللَّهِ وَالْإِنْعَامُ
 لِخِلَالِكَ التَّشْرِيفِ وَالْإِكْرَامِ ؟
 لَوْلَاكَ لَا ضُطِرْتُ لَهُ «الْأَهْرَامُ» ؟
 لَكَ فِي الضَّمَائِرِ مَخْفِيٌّ وَمَقَامُ
 وَسَمَى إِلَيْكَ بِحِفْهِ الْإِعْظَامُ
 بَكَ فِيهِ ، وَاعْتَزَّتْ بِكَ الْأَقْلَامُ
 هَيْهَاتَ يَذْهَبُ لِلْمُلُوكِ كَلَامُ
 نَسَبُ نُصْبِي بَنُورِهِ الْأَيَّامُ ؟
 يَوْمًا ، وَآثَارُ الْخَلِيلِ قِيَامُ !

نظمها لتتشد في حفلة أقيمت بدار الجامعة المصرية في ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ لتكريم الشاعر خليل
 مطران ، لمناسبة إنعام الخديوي عباس حلمي الثاني عليه بوسام . وكانت الحفلة برئاسة الأمير محمد
 علي توفيق شقيق الخديوي .

غاندي*

بني مصر ، ارفعوا الغار وحبوا بطل الهند
وأدوا واجباً ، واقضوا حقوق العلم الفرد
أنحواكم في المقاساة وعزك الموقف التكد
وفي التضحية الكبرى وفي المطلب ، والجهد
وفي الجرح ، وفي الدمع وفي الثمي من المهد
وفي الرحلة للحق وفي مرحلة الوفد
قفوا حيوه من قرب على الفلك ، ومن بعد
وعطوا البر بالآس وعطوا البحر بالورد

* * *

على إفريز راجبوتا ن تمثال من المجد
نبي مثل كونفشيوس س ، أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل من المنتظر المهدي
شبه الرسل في النود عن الحق ، وفي الزهد
لقد علم بالحق وبالصبر ، وبالقصد
ونادي المشرق الأقصى فلباه من اللحد
وجاء الأنفس المرضي فداواها من الحقد
دعا الهندوس والإسلا م للألفة والود
بسحر من قوى الروح حوى السيقين في غمد

• أنشأها تحية لغاندي الزعيم الهندي المشهور ، حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ ، في طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن .

١ الباخرة التي أقلت غاندي من الهند إلى لندن .

وسلطانٍ من النفسِ يُقَوِّي رائيضِ الأسدِ
وتوفيقٍ من الله وتيسيرٍ من السعدِ
وحظاً ليس يُعطاهُ سوى المخلوقِ للخلدِ
ولا يُؤخذُ بالحوْلِ ولا الصَّوْلِ ، ولا الجُندِ
ولا بالنسلِ والمالِ ولا بالكدحِ والكُدِّ
ولكن هبة المولى - تعالى الله - للبد

* * *

سلامُ النيلِ يا غنْدي وهذا الزهرُ من عندي
وإجلالٌ من الأهرامِ م ، والكركِ ، والبردي
ومن مَشِيخَةِ الوادي ومن أشبالِ المُرْدِ
سلامٌ حالبِ الشاةِ سلامٌ غازلَ البُرْدِ
ومن صدَّ عن الملحِ ولم يُقبلِ على الشُّهدِ
ومن تركبُ ساقبهِ من الهندي إلى السِّنْدِ
سلامٌ كلما صلَّيْنا تَ عُرِياناً ، وفي اللبدِ
وفي زاويةِ السجنِ وفي سِلْسِلَةِ القيدِ
من المائدةِ الحَضْرَا « خُذْ حِذْرَكَ يا غنْدي »
ولاحظْ وَرَقَ « السَّيرِ » وما في ورقِ « اللوردِ »
وكنْ أبرعَ مَنْ يَلَعُ بُ بالشَطْرُنْجِ والتَّرْدِ
ولاقي العبقريَّينَ لِقَاءَ النَّدِّ للنَّدِ
وقل : هاتوا أفاعيكم أني الحاوي من الهند !
وعُدْ لم تحفلِ الدَّامَ ولم تُغترَّ بالحمدِ
فهذا النجمُ لا تَرَقِي إليه هِمَّةُ النقدِ
ورُدَّ الهندُ للأُمِّ من حدٍّ إلى حدٍّ

١ يطير إلى المؤتمر الذي كان مسافراً إليه للبحث في دستور الهند .

نَحِيَّةُ أَبُولُو*

أَبُولُو ، مَرَحَبًا بِكَ يَا أَبُولُو
عُكَاطُ وَأَنْتِ لِلْبُلْغَاءِ سُوْقُ
وَيَنْبُوْعُ مِنَ الْإِنْشَادِ صَافٍ
وَمِضْمَارُ يَسُوْقُ إِلَى الْقَوَافِي
يَقُولُ الشَّعْرَ قَاتِلُهُمْ رَصِينًا
وَلَوْلَا الْمُحْسِنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ
فَإِنَّكَ مِنْ عُكَاطِ الشَّعْرِ ظِلْ
عَلَى جَنَابَتِهَا رَحَلُوا وَحَلُّوا
صَدَى الْمَتَأَدِّينَ بِهِ يُقَلُّ
سَوَابِقُهَا إِذَا الشُّعْرَاءُ قَلُّوا
وَيُحْسِنُ حِينَ يُكْثِرُ أَوْ يُقَلُّ
لَمَّا سَادَ الشُّعُوبُ وَلَا اسْتَقَلُّوا

* * *

عَسَى نَأْتِيَنَّا بِمُعَلَّقَاتٍ
لَعَلَّ مَوَاهِبًا خَفِيَتْ وَضَاعَتْ
صَحَائِفُكَ الْمَدْبُجَةُ الْخَوَاشِي
رِيَاحِينُ الرِّيَاضِ يُعَلُّ مِنْهَا
يُمَهِّدُ عَبْقَرِيَّ الشَّعْرِ فِيهَا
وَلَيْسَ الْحَقُّ بِالْمَنْقُوصِ فِيهَا
وَلَيْسَتْ بِالْمَجَالِ لِتَقْدِيرِ بَاغٍ
نَرُوحُ عَلَى الْقَدِيمِ بِهَا نَدِلُّ
تُذَاعُ عَلَى يَدَيْكَ وَتُسْتَعْلُ
رُبَى الْوَرْدِ الْمُفْتَحِ أَوْ أَجَلُّ
وَرَيْحَانُ الْقَرَائِحِ لَا يُعَلُّ
لِكُلِّ ذَخِيرَةٍ فِيهَا مَحَلُّ
وَلَا الْأَعْرَاضُ فِيهَا تُسْتَحَلُّ
وَرَاءَ يَرَاعِهِ حَسَدٌ وَغِلُّ

أبولو : مجلة فنية لخدمة الشعر العربي ، كان يصدرها مرة كل شهر - في سنة ١٩٣٢ - الدكتور أحمد زكي أبو شادي .

أغنية*

في مثلُ ما بك يا قُمرِيَّةَ الوادي ناديتُ ليلي ، فقومي في الدُّجى نادي
 وأرسلي الشَّجَرَ أسجاعاً مُفصَّلةً أو رَدَّدي من وراء الأيِّك إنشادي
 لا تكتُمي الوَجْدَ ، فالجرحان من شَجَنٍ ولا الصبايَّةَ ، فالدمعان من وادٍ
 تذكري : هل تلاقينا على ظلمٍ ؟ وكيف بلَّ الصَّدَى ذو العُلَّةِ الصادي
 وأنتِ في مجلسِ الرِّيحانِ لاهيةً ما سِرتِ من سامرٍ إلا إلى نادي
 تذكري قُبلةً في الشَّعرِ حائرةً أضلَّها فَمَشَتْ في فَرْقِكِ الهادي
 وقُبلةً فوقَ خدِّ ناعمٍ عَطِرٍ أبهى من الوردِ في ظلِّ التَّدَى الغادي
 تذكري منظرَ الوادي ، ومجلسنا على الغديرِ ، كعُصفورين في الوادي
 والغُصْنُ يحنو علينا رِقَّةً وجوى والماءُ في قَدَمَيْنا رائِحٌ غادٍ
 تذكري نَغَمَاتِ ههنا وهُنا من لحنِ شاديةٍ في الدَّوْحِ أو شادي
 تذكري مَوْعداً جادَ الزَّمانِ به هل طِرتُ شوقاً وهل سابتُ ميعادي؟
 فلتُ ما نلتُ من سُوءٍ ، ومن أملٍ ورحتُ لم أحصِ أفراحي وأعيادي؟

يا شِراعاً وراءَ دِجلة*

يا شِراعاً وراءَ دِجلةَ يَجري في دموعي تجبَّتك العَوادي
 سرَّ على الماءِ كالْمِسِيحِ زُويداً واجرُ في اليَمِّ كالشِّعاعِ الهادي

- نظمها بلبان في صيف سنة ١٩١٣ لثغنيا إحدى القيان.
- غناها بين يدي ملك العراق المغفور له فيصل الأول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد في سنة ١٩٣١.

وَأَتِ قَاعاً كَرَفَرَفِ الخلدِ طيباً
 قَفْ ، تمهلْ ، وَخُذْ أماناً لِقَلْبِي
 وَالتَّوَّاسِيَّ والتَّدَامِيَّ ، أَمِنْهُمْ
 خَطَرَتْ فَوْقَهُ المِهَارَةُ تَعْلُو
 أُمَّةٌ تُنْشِئُ الحَيَاةَ ، وَتَبْنِي
 تَحْتَ تَاجٍ مِنَ القَرَابَةِ والمُلْدِ
 مَلِكِ الشَّطِّ ، وَالفَرَاتَيْنِ ، وَالبَطِ
 أَوْ كَفَرْدَوْسِهِ بِشَاشَةِ وَادِي
 مِنْ عَيُونِ المَهَا وَرَاءَ السَّوَادِ
 سَامِرٌ يَمْلَأُ الدُّجَى أَوْ نَادٍ ؟
 فِي عُبَارِ الآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 كِبْنَاءِ الأَبْرَةِ الْأَمْجَادِ
 لَكَ عَلَى فَرْقِ أَزْمَحِي جَوَادِ
 حَاءِ ، أَعْظَمُ بِقَيْصَلِ وَالبَلَادِ

الرَّجُلُ السَّعِيدُ*

عَفِيفٌ الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ
 وَلَمْ يَغْرِضْ لِدِي حَقٌّ
 وَعِنْدَ النَّاسِ مَجْهُولٌ
 وَفِيهِ رَقَّةُ الْقَلْبِ
 فَلَا يَغْبِطُ ذَا نُعْنَى
 وَلِلْمَحْرُومِ وَالْعَافِي
 وَمَا نَمَّ ، وَلَا هَمَّ
 بِنَامُ اللَّيْلِ مَسْرُورًا
 وَيُضْبِحُ لَا عُبَارَ عَلَى
 قَضَى الْوَاجِبَ بِالْأَمْسِ
 بِتُقْصَانٍ وَلَا بَخْسِ
 وَفِي السُّنَنِ مَنَسِي
 لَا لَامَ بَنِي الْجُنْسِ
 وَيَرْثِي لِأَخِي الْبُؤْسِ
 حَوَالِي زَادِهِ كُرْسِي
 بِيغْضِ الْكَيْدِ وَالْدَّسِّ
 قَلِيلَ الْهَمِّ وَالْهَجْسِ
 سَرِيرَتِهِ كَمَا يُمَسِي

* * *

فِيَا أَسْعَدَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ

* وهي ترجمة أبيات فرنسية عنوانها l'Homme Heureux لسمو الأمير حيدر فاضل .

وَمَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ الرِّيبَةِ وَالرَّجْسِ
 أَنْبَلَ قَدْرِي تَشْرِيفاً وَهَبَ لِي قُرْبَكَ الْقُدْسِي
 عَسَى نَفْسُكَ أَنْ تُدَمَّ حِجَّ فِي أَحْلَامِهَا نَفْسِي
 فَالْقَى بَعْضَ مَا تَلْقَى مِنْ الْغِطَةِ وَالْأَنْسِ !

الأثر

وَجَدْتُ الْحَيَاةَ طَرِيقَ الزَّمَرِ إِلَى بَغْتَةٍ وَشَتُونِ أُخْرٍ
 وَمَا بِإِطْلَاقٍ يَتَرَلُّ النَّازِلُونَ وَلَا عَبَثاً يُزِمَعُونَ السُّفَرُ
 فَلَا تُحْتَقِرْ عَالِماً أَنْتَ فِيهِ وَلَا تَجْحَدِ الْآخَرَ الْمُتَنَظَّرُ
 وَخُذْ لَكَ زَادَيْنِ : مِنْ سِيرَةٍ وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدْخَرُ
 وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخُطَا شَرِيفَ السَّمَاعِ ، كَرِيمَ النَّظَرِ
 وَلَا تَحُلْ مِنْ عَمَلٍ فَوْقَهُ تَعَشُّ غَيْرَ عَبْدٍ ، وَلَا مُحْتَقَرُ
 وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدَهُ يَقُولُونَ : مَرَّ وَهَذَا الْأَثَرُ

الستار

قَلَمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْساً أَذْنَبْتُ وَأَنْثَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِقْرَارِ
 وَجَعَلْتُ أَسْتُرَ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا حَتَّى عَيَّيْتُ ، فَمَنْ لِي بِسِتَارِ !

الخصوصيات

أبو علي.

صارَ شوقي أبا علي في الزمان «الترلي»
وجناها جناية ليسَ فيها بأول !

الزمن الأخير.

علي ، لو استشرت أباك قبلاً
إذاً لعلمت أنا في غناء
فإن الخير حظُّ المستشير
وإن نك من لقائك في سرور
وما ضيقنا بمقدمك المقتدى
ولكن جئت في الزمن الأخير !

صاحب العهد.

رُزقتُ صاحبَ عهده
مُهمٌ يحسُدوني عليه
ولا أراني ونجلي
وسوف يعلمُ بيتي
فيا علي ، لا تلُمّي
وأنتَ مِنّي كروحِي
فإن أساءك قولي
وتم لي النسلُ بعدي
ويغيطوني بسعدي
سئلتني عند مجد
أني أنا النسلُ وخدي
فما احتقارك قُصدي
وأنتَ من أنتَ عندي !
كذبَ أباك بوعد !

• قال عندما بشر بابنه علي شوقي .

يا ليلة !

يا لَيْلَةً سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لأنها بالناس ما مَرَّتْ
أَذْكُرُهَا ، والموتُ في ذِكْرُهَا على سبيلِ البَثِّ والعِبَرَةِ
لَيَعْلَمَ الغَافِلُ ما أَمْسُهُ ؟ ما يومُهُ ؟ ما مُتْمَتِى العِيشَةِ ؟
بَنَيْتِي المَقْدُورُ في جُنْحِهَا وكنتُ بين التَّوَمِ واليَقْظَةِ
الموتُ عَجَلَانُ إلى والدي والوَضْعُ مُسْتَعَصٍ على زَوْجَتِي
هذا قَتَى يَتَكَيَّ على مِثْلِهِ وهذه في أَوَّلِ النُّشْأَةِ
وتلك في مِصْرَ على حَالِهَا وذلك رَهْنُ المَوْتِ والعُرْبَةِ
والقلبُ ما بَيْنَها حائِزٌ من بَلَدَةٍ أُسْرَى إلى بَلَدَةٍ
حتى بَدَا الصُّبْحُ ، فَوَلَّى أَبِي وأقْبَلْتُ بعدَ العَنَاءِ أَبْتَتِي
قَلْتُ أَحْكَامُكَ حِرْنَا لَهَا يا مُخْرَجَ الحَيِّ مِنَ المَيِّتِ !

أَمِينَةٌ

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الأولِ مِثْلُ المَلَكِ
صَالِحَةٌ لِلْحُبِّ مِنْ كُلِّ ، وَلِلتَّبَرُّكِ
كَمْ خَفَقَ القلبُ لَهَا عِنْدَ البُكَاءِ والصَّحِكِ
وَكَمْ رَعَتْهَا العَيْنُ فِي السُّكُونِ والتَّحَرُّكِ

- وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده في ساعة واحدة .
- وقال حين اكتملت بنته حولاً يصفها في هذا العمر .

فإن مَشَتْ فخطري	يَسْبِقُهَا كالمُنْشِك
أَلَحَظُهَا كأنها	من بَصَرِي في شَرْكَ
فيا جَبِينَ السَّعْدِ لي	ويا عُيُونَ القَلْكَ
ويا بياضَ العَيْشِ في	الْأَيَّامِ ذاتِ الحَلْكَ
إنَّ اللَّبالي وهي لا	تَنْفَكُ جَرْبَ أَهْلِكَ
لو أَنْصَفْتُكِ طِفْلةً	لَكُنْتُ بِنْتَ المَلِكِ !

طفلةٌ لاهية.

أُمِينَةُ ، يا بَيْتِي الغَالِيَةَ	أَهْنَيْكِ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ
وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلَمِي لي السَّنِينَ	وَأَنْ تُرْزَقِي العَقْلَ والعَافِيَةَ
وَأَنْ تُقْسِمِي لِأَبَرِّ الرِّجَالِ	وَأَنْ تِلْدِي الأَنْفُسَ العَالِيَةَ
ولكن سَأَلْتُكِ بِالوَالِدَيْنِ	وَنَاشَدْتُكِ المُلْعَبَ الغَالِيَةَ
أَتَدْرِينَ مَا مَرَّ مِنْ حَادِثٍ	وَمَا كَانَ فِي السَّنَةِ المَاضِيَةِ ؟
وَكَمْ بُلْتُ فِي حُلٍّ مِنْ حَرِيرٍ	وَكَمْ قَدْ كَسَرْتُ مِنْ الآيَةِ ؟
وَكَمْ سَهَرْتُ فِي رِضَاكِ الجُفُونِ	وَأَنْتِ عَلَى غَضَبٍ غَافِيَةٍ ؟
وَكَمْ قَدْ خَلْتُ مِنْ أَيْكِ الجُيُوبُ	وَلَيْسَتْ جُيُوبُكِ بِالحَالِيَةِ ؟
وَكَمْ قَدْ شَكَا المَرَّ مِنْ عَيْشِهِ	وَأَنْتِ وَحُلُوكِ فِي نَاحِيَةٍ ؟
وَكَمْ قَدْ مَرَضْتُ . فَاسْقِمِيهِ	وَقَمْتِ ، فَكُنْتُ لَهُ شَافِيَةٍ ؟
وَيَضْحَكُ إِنْ جِئْتِهِ تَضْحَكِينَ	وَيَبْكِي إِذَا جِئْتِهِ بِأَكْبِيَةِ !

وقال يهنئها ببيتها الثانية .

ومن عَجَبِ مَرَّتِ الحَادِثَاتُ وَأَنْتِ لِأَحَدِهَا نَاسِيَةٌ !
فَلَوْ حَسَدَتْ مُهْجَةً وَلَدَهَا حَسَدُكَ مِنْ طِفْلَةٍ لِأَهِيَّةِ !

الْأَنَانِيَّةُ

يَا حَبْلًا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا	تُحِبُّهُ جَدًّا كَمَا يُحِبُّهَا
أُمِّي تَحِبُّهُ إِلَى الْحَوَلَيْنِ	وَكَلْبُهَا يُنَهِزُ الشَّهْرَيْنِ
لَكُنْهَا يَيْضَاءُ مِثْلُ الْعَاجِ	وَعَبْدُهَا أَسْوَدُ كَالدَّبَاجِ
يَلْزَمُهَا نَهَارَهَا وَتَلْزَمُهُ	وَمِثْلَمَا يُكْرِمُهَا لَا تُكْرِمُهُ
فَعَنَتْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِشْفَاقِ	أَنْ تَأْخُذَ الصَّغِيرَ بِالْخِنَاقِ
فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ صِيَاحُ	وَقَلَّمَا يَنْعَمُ ، أَوْ يِرْتَاخُ
وَهَذِهِ حَادِثَةٌ لَهَا مَعَهُ	تُنِيكَ كَيْفَ اسْتَأْثَرْتُ بِالْمَنْفَعَةِ
جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ	تَحْمِلُهُ وَهِيَ بِهِ كَالْبَرَّةِ
قُلْتُ : أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا	مَاذَا يَكُونُ يَا ثَرَى مِنْ شَأْنِهَا ؟
قَالَتْ : « غَلَامِي يَا أَبِي جَوَّاعٌ	وَمَا لَهُ كَمَا لَنَا لِسَانُ
فَمُرُّهُمْوَا يَا تُوَا بَخْبِرْ وَلَبَنُ	وَيُحْضِرُوا آيَةَ ذَاتِ ثَمَنُ
فَقُمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ	وَجِئْتُهَا أَنْظُرُ مِنْ قَرِيبِ
فَعَجَجْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا	كَمَا تَرَانَا نُطْعِمُ الْكَلَابَا
ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَنْوِقَ قَبْلَهُ	فَاسْتَطَعَمَتْ بَشْتُ الْكِرَامِ أَكْلَهُ
هُنَاكَ أَلَقْتُ بِالصَّغِيرِ لِلْوَرَا	وَانْدَفَعْتُ تَبْكِي بُكَاءَ مُفْتَرَى

• ونظم هذه الحكاية فيها وفي كلب لها أسود صغير .

تهول : بابا ، أنا دَحَاً ومَوَكُحْ معناه : بابا ، ليَ وحدي ما طُبِخ
 قل لمن يجهل حَطَبَ الآيَةِ قد فُطِرَ الطُّفْلُ على الأنايَةِ

لعبة*

صِغَارُ بِحُلُوانَ تَسْتَبْشِرُ	ورُؤْيَتْهَا الفَرَحُ الأكبرُ
تَهْزُ اللِّوَاءَ بَعِيدِ الْمَسِيحِ	وتُحْيِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشُرُ
فَهَذَا بِلُغْبَتِهِ يَزْدَهِي	وهذا بِحُلَّتِهِ يَفْخَرُ
وهذا كَمُضْنِ الرُّبَا يَنْتَنِي	وهذا كَرِيحِ الصَّبَا يَخْطِرُ
إِذَا اجْتَمَعَ الْكُلُّ فِي بُقْعَةٍ	حَسِبَتْهُمْوَا بَاقَةً تُزْهِرُ
أَوْ أَفْتَرَقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا	حَسِبَتْهُمْوَا لَوْلَا يُثْنِرُ
وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْوَا الْمُسْلِمُونَ	أَوِ الْمُسْلِمُونَ هُمْ الْأكْثَرُ
فَلَا سِفَةَ كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ	كَمَا اتَّفَقَ الْآلُ وَالْمَعَشَرُ
دَسَنِيرُ شَعْبَانُ عِنْدَ الْجَمْعِ	وَشَعْبَانُ لِلْكَلِّ دَيْسَنِيرُ
وَلَا لُغَةً غَيْرَ صَوْتِ شَجِيٍّ	كَرَوْضٍ بَلَابِلُهُ تَصْفِيرُ
وَلَا يَزْدَرِي بِالْفَقِيرِ الْغَنِيُّ	وَلَا يُنْكِرُ الْاَبْيَضَ الْأَسْمَرُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي أَضَلَّ الصِّغَارُ	أَمْ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْوَا يُؤَثِّرُ ؟
سَوَالُ أَقْلَمُهُ لِلْكَبَارِ	لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرُ
وَلِي طِفْلَةٌ جَازَتْ السَّنَيْنِ	كَبْعُضِ الْمَلَائِكِ ، أَوْ أَطْهَرُ
بَعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ	وَسَيْنَيْنِ يَا حَبْدَا الْجَوْهَرِ !

• وقال فيما ينفع أمانة من اللعب ، وأشار إلى رأس السنة الميلادية الذي يكثر فيه بيعها .

أَتَسْنِيَنِي تَسَالْنِي لُغْبَةً
قَلْتُ لَهَا : أَيُّهَا الْمَلَاكُ
وَلَكِنْ قَبْلَكَ خَابَ الْمَسِيحُ
فَلَا تَرَجُ سَلَامًا مِنَ الْعَالَمِينَ
وَمَنْ يَعْدَمِ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنَابِ
فَإِنْ شِئْتَ تَحْيَا حَيَاةَ الْكِبَارِ
فَخُذْ ، هَاكَ بُنْدُقَةً نَارَهَا
لَعَلَّكَ تَأْلِفُهَا فِي الصَّبَا
فَهِهَا الْحَيَاةُ لِمَنْ حَازَهَا
وَفِيهَا السَّلَامُ الْوَطِيدُ الْبِنَاءِ
فَلَوْبِيلُ مُسِكَّةٌ مُؤَزَّرًا
لِتَكْسِرَهَا ضِمْنًا مَا تَكْسِرُ
تَحِبُّ السَّلَامَ ، وَلَا أَنْكِرُ
وَبَاءَ بِمَنْشُورِهِ الْقَبِصَرُ
فَإِنَّ السَّبَاعَ كَمَا تُفْطَرُ
فَإِنَّ الذَّنَابَ بِهِ تُظْفَرُ !
يُؤْمَلُ الْكَلُّ ، أَوْ يَعْدَرُ
سَلَامٌ عَلَيْكَ إِذَا تُسْفَرُ
وَتَخْلِفُهَا كُلَّمَا تَكْبَرُ
وَفِيهَا السَّعَادَةُ وَالْمَقْفَرُ
لِمَنْ آثَرَ السَّلَامَ أَوْ يُؤَثَرُ
وَلَوْبِيلُ تُمَسِكُهَا مُؤَزَّرًا

* * *

أَجَابَتْ وَمَا التُّطْقُ فِي وَسْعِهَا
تَقُولُ : عَجِيبُ كَلَامُكَ لِي
تَرِينِ لِبَتِكَ حَبَّ الْحُرُوبِ
وَأَنْتِ أَمْرُو لَا تُحِبُّ الْأَذَى
قُلْتُ : لِأَمْرِ ضَلَلْتُ السَّبِيلَ
فَلَوْ جِئْتُ بِالرَّسْلِ فِي وَاحِدٍ
وَبِالْأَوَّلِينَ وَمَا قَلَّمُوا
لِيَنْهَضَ مَا بَيْنَهُمْ خَاطِبًا
يَقُولُ : «السَّلَامُ» يُحِبُّ السَّلَامَ
لِصَمِّ الْعِبَادِ فَلَمْ يَسْمَعُوا
وَلَكِنَّهَا الْعَيْنُ قَدْ تُخْبِرُ
أَبَا الشَّرِّ يَا وَالِدِي تَأْمُرُ ؟
وَحُبُّ السَّلَامِ بِهَا أَجْدَرُ !
وَلَا تَبْتَغِيهِ ، وَلَا تَأْمُرُ !
وَرُبَّ أَخِي ضَلَّ يُعْذَرُ
وَبِالْكَتَبِ فِي صَفْحَةٍ تُنْشَرُ
وَبِالْآخَرِينَ وَمَا أَخْرَوْا
عَلَى الْعَرْشِ نَصَ لَهُ مَبِيرُ
وَيُجْرِكُمْ عَنْهُ مَا يَأْجُرُ
وَكُفَّ الْعِبَادُ فَلَمْ يُبْصِرُوا

١ لوبيل : اسم تدلل به أمية ، وموزر : نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب
الحاضرة .

زَيْنُ الْمُهْودِ*

يا شَيْبَةَ سَيِّدَةِ الْبُثُو	لِ ، وَصُورَةَ الْمَلِكِ الطَّهْوَ
نَسَى جَمَالَكَ فِي الْإِنَا	ثِ جَمَالَ يَوْسُفَ فِي الذِّكُورِ
زَيْنُ الْمُهْودِ الْيَوْمَ أُنْ	حَتَّى ، وَفِي غَدِ زَيْنُ الْخُدُورِ
إِنَّ الْأَهْلَةَ إِنْ سَرَتْ	سَارَتْ عَلَى نَهْجِ الْبُدُورِ
بِأَبِي جَبِينٍ كَالْعَصَا	ح إِذَا تَهَيَّأَ لِلْسُّفُورِ
بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّجَى	تِلْكَ الْخَيُوطُ مِنَ الشُّعُورِ
وَكِرَائِمٌ مِنَ لَوْلُو	زَيْنٌ مَرْجَانُ الثُّحُورِ
سَبْحَانَ مُؤَيَّهَا يَتَا	يَمَ فِي الْمَرَّاشِفِ ، وَالثُّغُورِ
تُسْنِي وَتُسْقَى مِنْ لُعا	بِ التَّحْلِ ، أَوْ طَلُّ الزُّهُورِ
وَكأنَّ نَفْعَ الطَّيِّبِ حُو	لَ نَضِيدِهَا أَنْفَاسُ حُورِ
وَعَرِيبَةٌ فَوْقَ الْخُدُو	دِ ، بِدِيعَةٍ مِنْ وَرْدِ جُورِ
صَفْرَاءُ عِنْدَ زَوَاجِهَا	حَمْرَاءُ فِي وَقْتِ الْبُكُورِ
قَبْلَتْهَا عَوْنُهَا	وَسَقَيْتُهَا دَمْعَ السُّرُورِ

أَوَّلُ خَطْوَةٍ*

هَذِهِ أَوَّلُ خَطْوَةٍ هَذِهِ أَوَّلُ كَبْوَةٍ
فِي طَرِيقِي لِعَلِّيْ عَنْهُ لَوْ يَعْقِلُ عُتْوَةٍ

- وقال وقد قبلها قبله في الصباح .
- وقال يذكر دخول ولده علي في السنة الثانية من عمره .
- ١ الغنوة : الغنى ، يقول : هو في غنى عن سلوك طريقى .

ياأخذُ العيشَةَ فيه	مُرَّةً آناً ، وحُلُوهُ
يا علي إن أنتَ أوفيتَ	تَ على سِنِّ الفُتُوهِ
دافعِ الناسَ ، وزاجِمِ	وخذِ العيشَ بقُوهِ
لا تَقُلْ : كان أبي ! إِيَّ	الك أن تَخذُو حَذُوهُ !
أنا لم أغنمَ من النا	سِ سوى فَنجان قهَوهِ
أنا لم أُجَزَّ عن المَدِّ	ح من الأملِكِ فروهِ !
أنا لم أُجَزَّ عن الكُثِّ	بِ من القراءِ حُظُوهِ !
صَبَّحَ الكلُّ حَيالي	وعفافي ، والمرُّوهِ !

يوم فراقه•

بكيا لأجلِ خُروجهِ في زُورَةٍ يا لَيْتَ شِعْري : كيف يومُ فراقِهِ !؟
لو كان يَسْمَعُ يَوْمَذاك بُكاهُمَا رُدَّتْ إليهِ الروحُ من إشفاقهِ

مظلوم•

أقسمتُ لو أَمَرَ الزمانُ سماءَهُ فسَعَتْ لِيَصْدِرِكَ شمسُها ونُجومُها
لِيُنِيلَ قَدْرَكَ في المعالي حَقَّهُ شَكَتِ المعالي أَنَّهُ مَظْلومُها

- وقال وقد بكى طفلاه وتشبها به ألا يخرج .
- وكب إلى عزيزه وظهيره صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا من باريس يهته بالنشان المجيدي الأول .

سرنا أنك ارتقيت*

يا عزيزاً لنا بعصرَ عَلِمنا أنه بِالرَّضا الخديويِّ فائِز
سرنا أنك ارتقيت وترقى فكأنا نحوزُ ما أنتَ حائِز
رُبَّةُ السُّنِّ العُلا أرختها أنتَ محمودُ في العُلا المُتَمائِز

١٩٠٣

بَلَّغْتَنِي أَمَلًا*

ذي همَّةٍ دونها في شأوها الهِمَمُ لم تُخَذْ «لا» ، ولم تكذِبْ لها «نعم»
بَلَّغْتَنِي أَمَلًا ما كُنْتُ بِالْعَهْ لولا وفاؤك - يا مظلوم - والكرَمُ
ودادك العِزُّ والثَّغَمَى لِحاطِبِهِ ووُدُّ غيرك ضحكُ السُّنِّ ، والكَلَمُ
أَكَلَمًا قَعَدَتْ بي عنك معنَرَةٌ مَشَتْ إليَّ الأيادي منك والنَّعم ؟
نُجِلٌ في قَلَمِ الأوطانِ حامِلُهُ فكيف يَصْبِرُ عن إجلالِكَ القَلَمُ ؟

- وبعث من باريس بهذا التاريخ إلى صاحب السعادة محمود شكري باشا يهنئه برتبة التمايز .
- وقال بشكر صاحب العطفة المرحوم أحمد مظلوم باشا على معروف صنعه معه .

أُصِيبَ المجد يوم أُصِبتْ*

أنتني الصُّخْفُ عنك مُخْبِرَاتِ بِحَادِثَةٍ ولا كَالْحَادِثَاتِ
 لَخَطْبِكَ فِي الْقِطَارِ أبا حُسَيْنِ وليسَ مِنْ الحُطُوبِ الهَيَّاتِ
 أُصِيبَ المجدُ يومَ أُصِبتَ فيه ولمَ تَحُلْ الفَضِيلَةُ مِنْ شِكَاةِ
 وساءَ الناسُ أَنْ كَبَّتِ المعالي وَأَزَعَجَهُمْ عِثَارُ المَكْرُمَاتِ
 ولستُ بناسِ الآدابِ لَمَّا تَرَاءَتْ رَبِّهَا مُتْلَهِّفَاتِ
 وَكَانَ الشَّعْرُ أَجْزَعَهَا قُوَاداً وَأَحْرَصَهَا لَدَيْكَ عَلَى حَيَاةِ
 هَجَرَتْ القَوْلَ أَيَّاماً قِصَاراً فَكَانَتْ قَتْرَةً لِلْمُعْجِزَاتِ
 وَإِنْ لِيَالِيَا أَمِسْكَتْ فِيهَا لِسُودَ اللَّيْرَاعِ وَلِلدَّوَاةِ
 قَلَّ لِي عَنْ رُضُوضِكَ: كَيْفَ أَمْسَتْ؟ فَقَلْبِي فِي رُضُوضِ مُؤَلِمَاتِ
 وَهَبْ لِي مِنْكَ خَطّاً أَوْ رَسُولاً يُبَلِّغُ عَنْكَ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ

سَأَلْتُكَ بِالْوِدَادِ*

سَأَلْتُكَ بِالْوِدَادِ أبا حُسَيْنِ وَبِالذَّمِّ السَّوَالِفِ وَالْمُهْوَودِ
 وَحُبِّ كَامِنٍ لَكَ فِي قَوَادِي وَآخِرَ فِي قَوَادِكَ لِي أَكِيدِ

- وكب إلى صديقه المفضل سعادة المرحوم إسماعيل باشا صبري يهنئه بالسلامة ، على أثر حادثة في القطار .
- وكب إلى سعادته يهنئه بتعيينه وكيلاً لِنظارة الحفانية .

أَحَقُّ أَنْ مَطْوِيَّ اللَّيَالِي سَيُنْشَرُ بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْوَلِيدِ ١ ؟
وَأَنْ مَنَاهِلًا كَتَا لَدَيْهَا سَتَدْنُو لِلتَّائِسِ وَالْوُرُودِ ؟
قَلَمُكَ فِي رُقَيْكَ فِي نَصِيبي سَعُودٌ فِي سَعُودٍ فِي سَعُودِ
وَفَدْتِ عَلَى رُبُوعِكَ غَيْبًا نَائِي وَكُنْتَ الْبَدْرَ مَأْمُولَ الْوُفُودِ
لَيْزِنَ رَفْعُوكَ مَنَزَلَةً فَاعْلَى لَقَدْ خَلَقَ الْأَهْلَةَ لِلصُّعُودِ
وَأَقْسِمُ مَا لَرَفْعَتِكَ أَنْتَهَاءُ وَلَا فِيهَا احْتِمَالٌ لِلزَّيْدِ

أَهْنَا أَخِي.

قَالُوا : « تَمَازِيْرُ » حَمَزَةٌ قُلْتُ : « التَّمَازِيْرُ » مِنْ قَدِيمٍ
لَوْ لَمْ يَمَيِّزُوهُ بِهَا لَامْتَنَزَرَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
رُبُّ كَرَامٍ فِي الْعُلَا وَجَّهَنَ مِنْكَ إِلَى كَرِيمِ
فَاهِنًا أَخِي بُوْفُودِهَا وَتَلَقَّى تَهْنِئَةَ الْحَمِيمِ
وَارَقَ الْمَنَازِلَ كُلَّهَا حَتَّى تُنِيفَ عَلَى الثُّجُومِ

يَا نَصِيبُ.

لَقَدْ وَافَقَنِي الْبُشْرَى وَأُنْبِئْتُ بِمَا سَرَا
وَقَالُوا عَنْكَ لِي أَمْسٍ رِبِحَتِ الثَّمَرَةُ الْكِبْرَى

- ١ أحمد والوليد : المتنبي والبحري .
• وكب إلى صديقه الفاضل صاحب العزة حمزة بك فهمي يهته برتبة التمايز الرفيعة .
• وقال يعاثر صديقه الشاعر خليل بك مطران ، وقد جاءه أنه ربح . ربما .

فيا مُطْرانُ ، ما أُولَى ويا مُطْرانُ ، ما أُخْرَى
لقد أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا فلا تَجَزَّعْ على الأُخْرَى
أَخَذَتِ الصَّفْرَ بِالْيَمْنَى وكان الصَّفْرُ بِالْيُسْرَى
وكانتِ فَصَّةٌ بِيضاً فصارت ذَهَباً صُفْراً
وقال البعضُ : أَلْفَيْنِ وقالوا : فَوْقَ ذَا قَدْرَا

المُدَّامَةُ*

كُنْ في التَّوَّاضُعِ كالمُدا مَوْ حِينَ تَعْلِي في الكُؤُوسِ
مَشَتْ ائْتَاداً في الصُّدُورِ رَ فَحَكَّمُوهَا في الرُّؤُوسِ

تاريخ*

وَجَّاتِ مِنَ الأشعارِ فيها جَنَى لِلْمُجْتَنِي من كُلِّ ذَوْقِ
تَأَمَّلْ كَمْ تَمَتَّوْها وَأَرَّخْ لَشَوْقِيَّاتِ أَحْمَدَ أَيَّ شَوْقِ

١٣١٧

- وقال عن بعض شعراء الترك .
- وقال يورخ ديوانه الأول - الشوقيات - وقد صدر في سنة ١٣١٧ هـ .

أَلَيْقُ دِيوانَ ظَهَرَ

بمُوعَةٍ لأَحْمَدٍ مُعْجِزُهُ فِيهَا بَهْرٌ
تُعَدُّ فِي تَارِيخِهَا أَلَيْقُ دِيوانِ ظَهَرَ

١٣١٧

أَنْتَ وَأَنَا

يُحْكَونَ أَنَّ رَجُلًا كُرْدِيًّا	كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ هَمَشَرِيًّا
وَكَانَ يُلْقِي الرُّغْبَ فِي الْقُلُوبِ	بكَثْرَةِ السَّلَاحِ فِي الْجُيُوبِ
وَيُفَزِّعُ الْيَهُودَ ، وَالتَّنَصَّارِي	وَيُرْعِبُ الْكِبَارَ ، وَالصَّغَارَا
وَكَلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ وَهُنَا	يَصيحُ بِالنَّاسِ : أَنَا ؟ أَنَا ؟ أَنَا !
نَمَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ	صَغِيرِ جِسْمٍ ، بَطْلٍ ، قَوِيٍّ
لَا يَعْرِفُ النَّاسُ لَهُ الْقُوَّةَ	وَلَيْسَ مِمَّنْ يَدْعُونَ الْقُوَّةَ
قَالَ لِلْقَوْمِ : سَأُذْرِيكُمْ بِهِ	فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كِذْبِهِ
وَسَارَ نَحْوَ الْهَمَشَرِيِّ فِي عَجَلٍ	وَالنَّاسُ مِمَّا سَيَكُونُ فِي وَجَلٍ
وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِينًا قَاسِيَةً	بَضْرِيَّةً كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ
فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِنًا ، وَلَا أَرْتَبَكَ	وَلَا أَنْتَهَى عَنْ زَعْمِهِ ، وَلَا تَرَكْ
بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيِّنًا	الآنَ صَرْنَا اثْنَيْنِ : أَنْتَ وَأَنَا

• وقال يورخ الشوقيات أيضًا .

نديمُ الباذنجان

كان لسلطانٍ نديمٌ وافٍ وقد يزيدُ في الثنا عليه
وكان مَولاهُ يَري ، ويعلمُ فجلسا يوماً على الخِوانِ
فأكل السلطانُ منه ما أكلُ قال النديمُ : صدقَ السلطانُ
هذا الذي عني به « الرئيسُ » يُذهبُ أَلَفَ عِلَّةٍ وعِلَّةٌ
قال : ولكنْ عنده مراره قال : نعم ، مرٌّ ، وهذا عيِّه
هذا الذي مات به « بقراطُ » فالتفتَ السلطانُ فيمنْ حوَلَهُ
قال النديمُ : يا مَلِكَ الناسِ جَعَلْتُ كيْ أنادِمَ السلطانا
يُعيدُ ما قال بلا اختلافٍ إذا رأى شيئاً حَلالاً لديه
ويسمعُ التَّعليقَ ، لكنْ يَكُفُّ وحياً في الأكلِ بباذنجانٍ
وقال : هذا في المذاق كالعسلِ لا يستوي شَهدُ وباذنجانٍ
وقال فيه الشَّعرُ « جالينوسُ »^١ وَيُرِدُّ الصَّدْرَ ، وَيَشْنِي العِلَّةَ
وما حَمَدْتُ مَرَّةً آثَارَهُ مُذْ كُنْتُ يا مولاي لا أُحِبُّهُ
وسَمُّ في الكأسِ به « سقراطُ » وقال : كيف تجدون قولَهُ ؟
عُذراً ؛ فَمَا في فعلتي من باسٍ ولم أنادِمَ قَطُّ بباذنجانا

ضيافة قطّة

لستُ بناسٍ ليلةً من رَمَضانَ مَرَّتْ
تطاوَلتْ مثلاً ليا لي القُطْبُ ، واكفَهَرَتْ

١ الرئيس : ابن سينا .
• نشرت في سنة ١٩٢٩ :

إِذْ انْفَلَتُ مِنْ سُحُورٍ إِذْ انْفَلَتُ مِنْ سُحُورٍ
 أَنْظَرُ فِي دِيْوَانِ شِعْرِ أَنْظَرُ فِي دِيْوَانِ شِعْرِ
 فَلَمْ يَرْغَبْ غَيْرَ صَوْنٍ فَلَمْ يَرْغَبْ غَيْرَ صَوْنٍ
 فَقَمْتُ أَلْقَى السَّمْعَ فَقَمْتُ أَلْقَى السَّمْعَ
 حَتَّى ظَفِرْتُ بِأَلْقَى حَتَّى ظَفِرْتُ بِأَلْقَى
 فَمُدَّ يَدِي لِي ، وَالتَقْتُ فَمُدَّ يَدِي لِي ، وَالتَقْتُ
 عَادَ رَمَادُ لَحْظِهَا عَادَ رَمَادُ لَحْظِهَا
 وَرَدَّدَتْ فَجِيبَهَا وَرَدَّدَتْ فَجِيبَهَا
 وَلَبَسَتْ لِي مِنْ وَرَاءِ وَلَبَسَتْ لِي مِنْ وَرَاءِ
 كَرَّتْ ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا كَرَّتْ ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا
 وَانْتَفَضَتْ شَوَارِباً وَانْتَفَضَتْ شَوَارِباً
 وَرَفَعَتْ كَفّاً ، وَشَا وَرَفَعَتْ كَفّاً ، وَشَا
 ثُمَّ ارْتَقَتْ عَنِ الْمَوَا ثُمَّ ارْتَقَتْ عَنِ الْمَوَا
 لَمْ أَجْزِهَا بِشِرَّةٍ لَمْ أَجْزِهَا بِشِرَّةٍ
 وَلَا عَبِيتُ ضَعْفَهَا وَلَا عَبِيتُ ضَعْفَهَا
 وَلَا رَأَيْتُ غَيْرَ أُمٍّ وَلَا رَأَيْتُ غَيْرَ أُمٍّ
 رَأَيْتُ مَا يَعْطِفُ نَفْسَ رَأَيْتُ مَا يَعْطِفُ نَفْسَ
 رَأَيْتُ جِدَّ الْأُمِّهَا رَأَيْتُ جِدَّ الْأُمِّهَا
 فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى اطمَأَنَّ فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى اطمَأَنَّ
 أَتَيْتُهَا بِشَرِبَةٍ أَتَيْتُهَا بِشَرِبَةٍ
 وَصُنْتُهَا مِنْ جَانِبِي وَصُنْتُهَا مِنْ جَانِبِي
 وَزِدْتُهَا الدَّفْعَ ، فَهَرَّ وَزِدْتُهَا الدَّفْعَ ، فَهَرَّ
 وَلَوْ وَجَدْتُ مَضِيداً وَلَوْ وَجَدْتُ مَضِيداً
 فَاضْطَجَعْتُ تَحْتَ ظِلِّهَا فَاضْطَجَعْتُ تَحْتَ ظِلِّهَا

رِي ، فَلَخَلْتُ حُجْرَتِي رِي ، فَلَخَلْتُ حُجْرَتِي
 رِي ، أَوْ كِتَابِ سِيرَةٍ رِي ، أَوْ كِتَابِ سِيرَةٍ
 تَرَى كَمُوءَ الْهَرَّةِ تَرَى كَمُوءَ الْهَرَّةِ
 فِي السُّتُورِ ، وَالْأَسِرَةِ فِي السُّتُورِ ، وَالْأَسِرَةِ
 عَلَيَّ قَدْ تَجَرَّتْ عَلَيَّ قَدْ تَجَرَّتْ
 نَظَرْتُهَا وَنَظَرْتِي نَظَرْتُهَا وَنَظَرْتِي
 مِثْلَ بَصِيرِ الْجَمْرَةِ مِثْلَ بَصِيرِ الْجَمْرَةِ
 كَحَشَشٍ بِقَفْرَةٍ كَحَشَشٍ بِقَفْرَةٍ
 السِّرِّ جِلْدَ الثَّمَرَةِ السِّرِّ جِلْدَ الثَّمَرَةِ
 نِي قَاعِداً ، وَقَرَّتْ نِي قَاعِداً ، وَقَرَّتْ
 عَنْ مِثْلِ بَيْتِ الْإِبْرَةِ عَنْ مِثْلِ بَيْتِ الْإِبْرَةِ
 لَتِ ذَنْباً كَالْمِذْرَةِ لَتِ ذَنْباً كَالْمِذْرَةِ
 ، فَهَوَّتْ ، وَهَرَّتْ ، فَهَوَّتْ ، وَهَرَّتْ
 عَنْ غَضَبٍ وَشِرَّةٍ عَنْ غَضَبٍ وَشِرَّةٍ
 وَلَا نَسِيتُ قُدْرَتِي وَلَا نَسِيتُ قُدْرَتِي
 بِالْبَنِينَ بَرَّةً بِالْبَنِينَ بَرَّةً
 حَسَّ شَاعِرٍ مِنْ صَوْرَةٍ حَسَّ شَاعِرٍ مِنْ صَوْرَةٍ
 تَرَى فِي بِنَاءِ الْأَسِرَةِ تَرَى فِي بِنَاءِ الْأَسِرَةِ
 جَاشُهَا ، وَقَرَّتْ جَاشُهَا ، وَقَرَّتْ
 وَجِئْتُهَا بِكِسْرَةٍ وَجِئْتُهَا بِكِسْرَةٍ
 مَرَقَئِهَا بِسُتْرَتِي مَرَقَئِهَا بِسُتْرَتِي
 بَتُّ لَهَا مِجْمَرَتِي بَتُّ لَهَا مِجْمَرَتِي
 لَجِئْتُهَا بِفَأْرَةٍ لَجِئْتُهَا بِفَأْرَةٍ
 لِي الْأَمْنِ وَاسْبَطَرْتُ لِي الْأَمْنِ وَاسْبَطَرْتُ

وَمَا دَرَّتْ مَا قَرَّتْ	وَقَرَّتْ أَوْرَادَهَا
تُدِيَّهَا ، فَدَرَّتْ	وَسَرَحَ الصَّغَارُ فِي
فِي جَنَابِ السُّرَّةِ	عُرُ نَجُومٍ سَبَّحُ
كَالْعُمَى حَوْلَ سَفَرَةٍ	اِخْتَلَطُوا ، وَعَيُّوا
أَرْسَلَتْهَا فِي جَرَّةِ	تَحَسَّبُهُمْ صَفَادِعَا
طِفْلِكَ يَا جُودِي	وَقُلْتُ : لَا بَأْسَ عَلَى
إِنْ شِئْتَ ، أَوْ عَنْ عَشْرَةٍ	تَمَحَّضِي عَنْ خَمْسَةٍ
يَكْبُرُوا فِي خُفْرَتِي	أَنْتِ وَأَوْلَادُكَ حَتَّى

الصِّيَادُ وَالْعُصْفُورَةُ

صَارَتْ لِبَعْضِ الزَّاهِدِينَ صُورُهُ	حِكَايَةُ الصِّيَادِ وَالْعُصْفُورَةِ
وَلَا أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ	مَا هَزَّؤُوا فِيهَا بِمُسْتَحِقٍّ
كَمْ لَاعَبَ فِي الزَّاهِدِينَ لَاهُ	مَا كُلُّ أَهْلِ الزَّهْدِ أَهْلُ اللَّهِ
وَالشَّعْرُ لِلْحِكْمَةِ مَذْكَانُ وَطَنِ	جَعَلَتْهَا شِعْرًا تَلَفَّتِ الْفِطْنُ
مَا نَطَقَتْهُ أَلْسُنُ التَّجْرِبِ	وَأَخْبِرْ مَا يُنْظَمُ لِلْأَدِيبِ

* * *

وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الثَّرَى صَيَّادُ	أَلْقَى عَلَامَ شَرَكَا يَصْطَادُ
لَمْ يَنْتَهَ النَّهْيُ ، وَلَا الْحَزْمُ زَجَرُ	فَاخْدَرَتْ عُصْفُورَةٌ مِنَ الشَّجَرِ
قَالَ : عَلَى الْعُصْفُورَةِ السَّلَامُ	قَالَتْ : سَلَامٌ أَتَيْهَا الْعَلَامُ
قَالَ : حَتَّى كَثُرَ الصَّلَاةُ	قَالَتْ : صَبِيٌّ مُنْحَنِي الْقَنَاةُ ؟
قَالَ : بَرَّئْتُهَا كَثْرَةُ الصِّيَامِ	قَالَتْ : أَرَأَيْكَ بَادِي الْعِظَامِ !
قَالَ : لِبَاسُ الزَّاهِدِ الْمُصَوِّفِ	قَالَتْ : فَمَا يَكُونُ هَذَا الصَّوْفُ ؟

سَلَى إِذَا جَهِلْتَ عَارِفِهِ فَأَبْنُ عُبَيْدٍ وَالْفَضِيلُ فِيهِ
 قَالَتْ : فَمَا هَذِي الْعَصَا الطَّوِيلَةُ ؟ قَالَ : لِهَا تَيْكِ الْعَصَا سَلِيلُهُ
 أَهْشُ فِي الْمَرْعَى بِهَا ، وَأُنْكِي وَلَا أُرْدُ النَّاسَ عَنْ تَبْرُكِهِ
 قَالَتْ : أَرَى فَوْقَ التَّرَابِ حَبًّا مِمَّا اشْتَهَى الطَّيْرُ ، وَمَا أَحَبًّا
 قَالَ : تَشَبَّهْتُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَقُلْتُ أَقْرَى بَائِسَاتِ الطَّيْرِ
 فَإِنَّ هَدَى اللَّهِ إِلَيْهِ جَائِعًا لَمْ يَكْ قَرْبَانِي الْقَلِيلُ ضَائِعًا
 قَالَتْ : فَجِدْ لِي يَا أَخَا التَّنْسُكِ قَالَ : الْقُطَيْبُ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
 فَصَلَيْتُ فِي الْفَخِّ نَارَ الْقَارِي وَمَصْرَعُ الْعَصْفُورِ فِي الْمِنْقَارِ
 وَهَتَفْتُ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ :
 « إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالْزُّهَادِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَبَادِ ! »

البلابل التي ربَّها البوم

أُنْبِتُ أَنْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ وَمَنْ أَصْبَى الطُّيُورَ ، فَنَاجَتْهُ ، وَنَاجَاها
 أَعْطَى بَلَابِلَهُ يَوْمًا - يُودِّبُهَا لِحَرَمَةٍ عِنْدَهُ - لِلْبُومِ يَرَعَاها
 وَاشْتِاقَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ رُؤْيَيْهَا فَأَقْبَلْتُ وَهِيَ أَغْصَى الطَّيْرُ أَفْوَاها
 أَصَابَهَا الْعَمِي ، حَتَّى لَا اقْتِدَارَ لَهَا بَأَنْ تُبْثَّ نَبِيَّ اللَّهِ شَكَاها
 فَنَالَ سَيْدُهَا مِنْ دَائِمَا عَضْبُ وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ بِالذَّبْحِ دَاوَاها
 فَنَجَّاهُ الْمُهْذَهُدُ الْمَعْهُودُ مُعْتَذِرًا عَنْهَا ، يَقُولُ لِمَوْلَاهُ وَمَوْلَاها
 بَلَابِلُ اللَّهِ لَمْ تَحْرَسْ ، وَلَا وُلِدَتْ خُرْسًا ، وَلَكِنْ بَوْمُ الشُّومِ رَبَّاهَا

الدَّيْكُ الهِنْدِيُّ والدَّجَاجُ البلدي

يَنَّا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرِّيفِ	تَخْطِرُ فِي بَيْتِ لَهَا طَرِيفِ
إِذَا جَاءَهَا هِنْدِي كَبِيرُ الْقَرْفِ	فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الصَّنِيفِ
يَقُولُ : حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها	وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوها
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي	يَوْمًا ، وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
وَكُلُّ مَا عِنْدَكُمْ حَرَامٌ	عَلَيَّ ، إِلَّا الْمَاءُ ، وَالْمَنَامُ
فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَاءَ الطَّيْشِ	وَفَتَحَتْ لِلْعَلَجِ بَابَ الْعُشِّ
فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِكِ	يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكِ
وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ	مُتَمَتِّعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةَ
وَبَاتَ الدَّجَاجُ فِي أَمَانِ	تَحْلُمُ بِالذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ
حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ	وَأَقْبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ	يَقُولُ : دَامَ مَتْرِي الْمَلِيحُ !
فَانْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْثُومِ	مَذْعُورَةً مِنْ صَبِيحَةِ الْعُشُومِ
تَقُولُ : مَا تِلْكَ الشَّرُوطَ بَيْنَنَا	عَدَرْتَنَا وَاللَّهِ غَدْرًا بَيْنَنَا !
فَضَحِكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى	وَقَالَ : مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمَقِي ؟ !
مَتَى مَلِكُكُمْ أَلْسَنَ الْأَرْبَابِ ؟	قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ !

العصفور والغدير المَهْجُور

أَلَمْ عَصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ	قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفَافِ
يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى	خَشِيَّةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ ، أَوْ يُرَى

فَاعْتَرَفَ الْعَصْفُورُ مِنْ إِحْسَانِهِ
 قَالَ : يَا نَوْرَ عُيُونِ الْأَرْضِ
 هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَرْشِدَ الْإِنْسَانَ
 فَيَنْظُرَ الْخَيْرَ الَّذِي نَظَرْتُ
 لَعَلَّ أَنْ تُشَهَّرَ بِالْجَمِيلِ
 فَالْتَفَتَ الْغَدِيرُ لِلْعَصْفُورِ
 يَا أَيُّهَا الشَّاكِرُ دُونَ الْعَالَمِ
 الثَّيْلُ - فَاسْمَعُ ، وافهم الحديث -
 مِنْ طَوْلٍ مَا أَبْصَرَهُ النَّاسُ نُسِي
 وَهَكَذَا الْعَهْدُ بَوْدُ النَّاسِي
 وَقَدْ عَرَفْتَ حَالِي ، وَضِدَّهَا
 إِنَّ خَفِيَ النَّافِعُ فَالْنَفْعُ ظَهَرَ

وَحَرَّكَ الصَّنِيعُ مِنْ لِسَانِهِ
 وَمُخْجَلَ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْقَرْصِ
 لَيَعْرِفَ الْمَكَانَ وَالْإِمْكَانَا ؟
 وَيَشْكُرَ الْفَضْلَ كَمَا شَكَرْتُ ؟
 وَنُسِيَ النَّاسَ حَدِيثَ الثَّيْلِ ؟
 وَقَالَ يُهْدِي مُهْجَةَ الْمَعْرُورِ
 أَمَّا أَنْتَ اللَّهُ يَدُ ابْنِ آدَمِ
 يُعْطِي ، وَلَكِنْ يَا خُذْ الْخَبِيثَا
 وَصَارَ كُلُّ الذِّكْرِ لِلْمُهَنْدِسِ
 وَقِيَمَةُ الْمُحْسَنِ عِنْدَ النَّاسِ
 فَقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَهَا
 يَا سَعْدَ مَنْ صَافَى ، وَصُوفِي ، وَاسْتَرَا !

الْأَفْعَى الثَّيْلِيَّةُ وَالْعَقْرَبَةُ الْهِنْدِيَّةُ

وَهَذِهِ وَاقِعَةٌ مُسْتَعْرَبَةٌ
 رَأَيْتُ أَفْعَى مِنْ بَنَاتِ الثَّيْلِ
 تَحْتَفِرُ النَّصْحَ ، وَتَجْفُو النَّاصِحَا
 عَنَّتْ لَهَا رَيْبَةُ السَّبَاحِ
 فَحَسِبْتُهَا - وَالْحِسَابُ يُجْدِي -
 فَانْحَرَطَتْ مِثْلَ الْحُسَامِ الْوَالِجِ
 حَتَّى إِذَا مَا أَبْلَغَتْهَا جُحْرَهَا
 تَقُولُ : يَا أُمَّ الْعَمَى وَالطَّيْشِ

فِي هَوَسِ الْأَفْعَى وَخُبِّ الْعَقْرَبَةِ
 مُعْجَبَةً بِقَدِّهَا الْجَمِيلِ
 وَتَدْعِي الْعَقْلَ الْكَبِيرَ الرَّاجِحَا
 تَحْمِلُ وَزْنَهَا مِنَ الْأَوْسَاحِ
 سَاحِرَةً مِنْ سَاحِرَاتِ الْهِنْدِ
 وَانْدَفَعَتْ تِلْكَ كَسَهُمْ زَالِجِ
 دَارَتْ عَلَيْهِ كَالسَّوَارِ دَوْرَهَا
 أَيْنَ الْفِرَارُ يَا عَدُوَّ الْعَيْشِ ؟

إن تلجى فالموتُ في الولُوجِ	أو تخرُجى فالهُلكُ في الخُروجِ
فسكُتتْ طريدةُ البُيوتِ	واغرُتتِ الأفعى بذا السكوتِ
وهجعتْ على الطريقِ هُجعةٌ	فخرجتْ ضرئُها بسرعةً
ونَهضتْ في ذِرْوَةِ الدماغِ	واسترسلتْ في مُؤلمِ التُلداغِ
فانتبَهتْ كالحالمِ المذعورِ	تصيحُ بالويل ، وبالشُورِ
حتى وهتْ من الفتاةِ القوَّةَ	فترلتْ عن رأسها العدوَّةَ
تقول : صبراً للبلَاءِ ، صبرا	وإنْ وجَدتْ قسوةً فعُدرا
فرأسك الداءُ ، وذا الدواءِ	وهكذا فلتُرْكَبُ الأعداءِ
من مَلَكِ الحُصَمِ ونامَ عنه	يُصبحُ يَلْقَى ما لقيتْ منه
لولا الذي أبصرَ أهلُ التَّجربةِ	مِثِّي لَمَا سَمُوا الخِيثَ عقرَبه

السَّلوقيُّ والجواد

قال السَّلوقي مرَّةً للجوادِ	وهو إلى الصَّيْدِ مَسوقُ القيادِ
باللهِ قلْ لي يا رفيقَ الهنا	فأنتَ تدرِي لي الوفا في الودادِ
ألسَ أهلَ البِيدِ ، أهلَ الفَلا	أهلَ السُّرى والسَّيرِ ، أهلَ الجِهادِ ؟
ألمْ تكنْ رَبَّ الصِّفاتِ التي	هَامَ بها الشاعِرُ في كلِّ وادِ ؟
قال : بلى ، كل الذي قلته	أنا به المشهُورُ بينَ العبادِ
قال : فما بالكَ يا صاحبي	إذا دعا الصَّيْدُ ، وجَدَ الطَّرادِ
تشكو ، فتُشكِكُ عصا سَيْدي	إنَّ العصا ما خُلِقَتْ للجوادِ
وتُثني في عَرَقِ سائِلِ	مُنكَّسِ الرُّاسِ ، فضيلَ القُوادِ
وذا السَّلوقي أبدأ صابِرُ	ينقادُ للمالِكِ أيَّ انقيادِ ؟
قال : مهلاً يا كبيرَ الثَّمي	ما هكذا أنظارُ أهلِ الرِّشادِ

السُرُّ في الطَّيْرِ وفي الوحشِ لا في عَظْمٍ سِيقَانِكَ إذا السَّدَادِ
ما الرَّجُلُ إلا حيثُ كان الهوى إنَّ البَطُونَ قَادِرَاتُ شِدَادِ
أَمَّا تَرَى الطَّيْرَ على ضَعْفِهَا تَطْوِي إلى الحَبِّ مِثَالَ البلادِ ؟

فَارُ الْعَيْطِ وفَارُ الْبَيْتِ

يُقَالُ : كانتْ فَارَةُ الْغِيْطَانِ تَبَّيْهُ بَابِنِهَا على الْفَيْرَانِ !
قد سَمَتْ الْأَكْبَرُ نُورَ الْعَيْطِ وَعَلَّمَتْهُ الْمَشْيَ فَوْقَ الْخَيْطِ
فَعَرَفَ الْغِيَاضَ وَالْمَرْوَجَا وَأَتَقَنَ الدُّخُولَ وَالْخُرُوجَا
وَصَارَ فِي الْحَرْقَةِ كَالْآبَاءِ وعَاشَ كَالْفَلَاحِ فِي هِنَاءِ
وَأَتَعَبَ الصَّغِيرُ قَلْبَ الْأُمِّ بِالْكَبِيرِ ، فَاحْتَارَتْ بِمَا تُسَمِّي
فَقَالَ سَمْنِي بَنُورَ الْقَصْرِ لَأَنْتِي - يَا أُمُّ - فَارُ الْعَصْرِ
إِنِّي أَرَى مَا لَمْ يَرِ الشَّقِيقُ فَلَِي طَرِيقٌ ، وَلَهُ طَرِيقُ
لَأَدْخُلَنَّ الدَّارَ بَعْدَ الدَّارِ وَثَبًا مِنْ الرَّفِّ إِلَى الْكَرَارِ
لَعَلَّنِي إِنْ ثَبَّتَتْ أَقْدَامِي وَنَلْتُ - يَا كُلُّ الْمَنَى - مَرَامِي
أَتَيْكَمَا بِمَا أَرَى فِي الْبَيْتِ مِنْ عَسَلٍ ، أَوْ جُبَّةٍ ، أَوْ زَيْتِ
فَعَطَفَتْ عَلَى الصَّغِيرِ أُمُّهُ وَأَقْبَلَتْ مِنْ وَجْدِهَا تَضْمُهُ
تَقُولُ : إِنِّي - يَا قَتِيلَ الْقَوْتِ - أَخْشَى عَلَيْكَ ظُلْمَةَ الْبُيُوتِ
كَانَ أَبُوكَ قد رَأَى الْفَلَاحَا فِي أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ فَلَاحَا
فَاعْمَلْ بِمَا أَوْصَى تُرْحُ جَنَانِي أَوَلَا ، فَسِرْ فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ
فَاسْتَضْحَكِ الْفَارُ ، وَهَزَّ الْكِفَا وَقَالَ : مَنْ قَالَ بِذَا قد خَرَفَا
ثُمَّ مَضَى لِمَا عَلَيْهِ صَمَمَا وَعَاهَدَ الْأُمَّ على أَنْ تَكْتُمَا
فَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةً وَجُبَّةً فِي فِيهِ ، أَوْ شَمْعَةً

حتى مَضَى الشهرُ ، وجاءَ الشهرُ
فجاء يوماً أُمُّهُ مُضْطَرِباً
فقال : ليسَ بالفقيدِ من عَجَبٍ
وجاءها ثَانِيَةً في خَجَلٍ
فقال : رفٌ لم أَصِبْهُ عَالِي
وكان في الثَّالِثَةِ ابنُ القَارَةِ
فاشْتَقَلَ القلبُ عليه ، واشتعلَ
فصَادَقَتْهُ في الطَّرِيقِ مُلْقَى
فناحَتِ الأُمُ ، وصاحت : واها !
وعُرفَ اللَّصُّ ، وشاعَ الأمرُ
فسأَلته : أينَ خَلَى الذَّنْبُ ؟
في الشَّهْدِ قد غاصَ ، وفي الشَّهْدِ ذَهَبَ
منها يُدارِي فقد إحدَى الأَرْجُلُ
صَبَّرَنِي أعرجَ في المعالي
قد أخلفَ العادةَ في الزَّيَارَةِ
وسارت الأُمُّ له على عَجَلٍ
قد سَحِقَتْ منه العِظَامُ سَحَقاً
إن المعالي قَتَلَتْ فتاها !

مَلِكُ الْغُرَبَانِ وَنُدُورُ الْخَادِمِ

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِكٌ
فِيهِ كَرْسِيٌّ . وَخِدْرٌ ، وَمُهَوِّدٌ
جَاءَهُ يَوْمًا نُدُورُ الْخَادِمِ
قال : يا فِرْعَ الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ
سُوءَةٌ كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ
فابْعَثِ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاكِهَا
ضَحَكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالِ
أَنَا رَبُّ الشُّوَكَةِ الصَّافِي الْجَنَاحِ
« أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ »
ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ
وَإِذَا النُّخْلَةُ أَقْوَى جَذْعُهَا
وَلَهُ فِي النُّخْلَةِ الْكُبْرَى أَرِيكَ
لِصْغَارِ الْمُلْكِ أَصْحَابِ الْعُهُودِ
وَهُوَ فِي الْبَابِ الْأَمِينِ الْحَازِمِ
أَنْتَ مَا زِلْتَ تُحِبُّ النَّاصِحِينَ
جَازَتْ الْقَصْرَ ، وَدَبَّتْ فِي الْجُدُورِ
قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ فِي أَشْرَاكِهَا
ثُمَّ أَدْنَى خَادِمِ الْخَيْرِ ، وَقَالَ :
أَنَا ذُو الْمَقَارِ ، غَلَّابُ الرِّيحِ
أَنَا لَا أَبْصُرُ تَحْتِي يَا نُدُورُ !
قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنُّخْلِ خِصَامٌ
فَبَدَأَ لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلْعُهَا

فَهَوَتْ لِلأَرْضِ كَالثَّلِّ الكَـبِيرِ وَهَوَى الدَيَّوَانُ ، وَانْقَضَ السَّرِيرِ
فَدَهَا السُّلْطَانُ ذَا الحُطْبُ المَهُولِ وَدَعَا خَادِمَهُ الغَالِي يَقُولُ :
يَا نُدُورَ الحَـيْرِ ، أَسِعِفْ بِالصَّبَاحِ مَا تَرَى مَا فَعَلْتَ فِينَا الرِّيحَ ؟
قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، لَا تَسْأَلُ نُدُورَ « أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الأُمُورِ » !

الظُّبْيُ والعقد والخِزِيرُ

ظُبْيٌ رَأَى صُورَتَهُ فِي المَاءِ فَرَفَعَ الرُّأْسَ إِلَى السَّمَاءِ
وَقَالَ يَا خَالِقَ هَذَا الجَيِّدِ زِنَهُ بِعَقْدِ اللُّوْلُو التَّضِيدِ
فَسَمِعَ المَاءُ يَقُولُ مُقْصِحَا طَلَبْتَ يَاذَا الظُّبْيُ مَا لَنْ تُمْنَحَا
إِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا الجَيِّدَا لَمْ يُبْقِ فِي الحَسَنِ لَهُ مَزِيدَا
لَوْ أَنَّ حُسْنَهُ عَلَى الثُّحُورِ لَمْ يَخْرُجِ الدُّرُّ مِنَ البُحُورِ
فَافْتَنَ الظُّبْيُ بِذِي المَقَالِ وَزَادَهُ شَوْقًا إِلَى اللَّالِي
وَلَمْ يَنْلَهُ فَمُهُ السَّقِيمُ فَعَاشَ دِهْرًا فِي الفَلَا يَهِيمُ
حَتَّى تَقْضَى العَمْرُ فِي الهَيَامِ وَهَجَرَ طَيْبِ الثَّوْمِ والطَّعَامِ
فَسَارَ نَحْوَ المَاءِ ذَاتَ مَرَّةٍ يَشْكُو إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَضَرَّهُ
وَيَسْمَا الجَارَانِ فِي الكَلَامِ أَقْبَلَ رَاعِي الدَّيْرِ فِي الظَّلَامِ
يَتَبَعُهُ حَيْثُ مَشَى خِزِيرُ فِي جَيِّدِهِ قِلَادَةٌ تُنِيرُ
فَانْدَفَعَ الظُّبْيُ لِذَلِكَ يَبْكِي وَقَالَ مِنْ بَعْدِ انْجِلَاءِ الشَّكِّ
مَا آفَةُ السَّمِيِّ سِوَى الضَّلَالِ مَا آفَةُ العَمْرِ سِوَى الآمَالِ
لَوْلَا قَضَاءُ المَلِكِ القَدِيرِ لَمَّا سَعَى العِقْدُ إِلَى الخِزِيرِ
فَالْتَفَتَ المَاءُ إِلَى الغَزَالِ وَقَالَ : حَالُ الشَّيْخِ شَرُّ حَالِ
لَا عَجَبٌ ، إِنَّ السَّنِينَ مُوقِظَةٌ حَفِظْتَ عُمْرًا لَوْ حَفِظْتَ مُوعِظَةً

وَلِيُّ عَهْدِ الْأَسَدِ وَخُطْبَةُ الْحِمَارِ

لَمَّا دَعَا دَاعِي أَبِي الْأَشْبَالِ	مُبَشِّرًا بِأَوَّلِ الْأَنْجَالِ
سَعَتْ سِبَاعُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ	وَانْعَقَدَ الْمَجْلِسُ لِلْهَنَاءِ
وَصَلَّيَ الْمَرْسُومُ بِالْأَمَانِ	فِي الْأَرْضِ لِلْقَاصِي يَهَا وَالدَّانِي
فَضَاقَ بِالذُّيُولِ صَحْنُ الدَّارِ	مِنْ كُلِّ ذِي صُوفٍ وَذِي مَنَارِ
حَتَّى إِذَا اسْتَكْمَلَتِ الْجُمُعَةُ	نَادَى مُنَادِي اللَّيْثِ فِي الْمَعِيَةِ
هَلْ مِنْ خُطِيبٍ مُحْسِنٍ خَيْرِ	يَدْعُو بِطَوْلِ الْعَمْرِ لِلْأَمِيرِ ؟
فَنَهَضَ الْفَيْلُ الْمَشِيرُ السَّامِي	وَقَالَ مَا يَلِيقُ بِالْمَقَامِ
ثُمَّ تَلَاهُ الثَّعْلَبُ السَّفِيرُ	يُنْشِدُ ، حَتَّى قِيلَ : ذَا جَرِيرِ
وَانْدَفَعَ الْقَرْدُ مَدِيرُ الْكَاسِ	فَقِيلَ : أَحْسَنَتْ أَبَا نُوَاسِ !
وَأَوْمَأَ الْحِمَارُ بِالْعَقِيرِ	يُرِيدُ أَنْ يُشْرِفَ الْعَشِيرِ
فَقَالَ : بِاسْمِ خَالِقِ الشَّعِيرِ	وَبَاعَثَ الْعَصَا إِلَى الْحَمِيرِ ! . .
فَأَزْعَجَ الصَّوْتُ وَلِيَّ الْعَهْدِ	فَمَاتَ مِنْ رِغْدَتِهِ فِي الْمَهْدِ
فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَى الْحَارِ	بِجُمْلَةِ الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
وَانْتَدَبَ الثَّعْلَبُ لِلتَّأْيِينِ	فَقَالَ فِي التَّعْرِيفِ بِالْمَسْكِينِ :
لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ قَرَارًا	عَاشَ حِمَارًا وَمَضَى حِمَارًا !

الْأَسَدُ وَالثَّعْلَبُ وَالْعَجَلُ

نَظَرَ اللَّيْثُ إِلَى عَجَلٍ سَمِينٍ كَانَ بِالْقَرَبِ عَلَى غَيْظٍ أَمِينٍ
فَاسْتَهْتَمَ مِنْ لَحْمِهِ نَفْسُ الرَّئِيسِ وَكَذَا الْأَنْفُسُ يُضِيهِيَ النَّفِيسُ

قال للثعلب : يا ذا الاحتيال
فدعا بالسعد والعمر الطويل
وأتى القبط وقد جنّ الظلام
قائلا : يا أيها المولى الوزير
حمل الذئب على قتلي الحسد
فتراميت على الجاه الرفيع
فبكى المغرور من حال الخيث
قال : هل تجهل يا خلو الصفات
فرأى السلطان في الرأس الكبير
ورآكم خير من يستوزر
ولقد عدوا لكم بين الجدود
فأقاموا لمعالكم سرير
واستعد الطير والوحش لذلك
فإذا قتم بأعباء الأمور
برؤوني عند سلطان الزمان
وكفاكم أنني العبد المطيع
فأخذ العجل قرنيه ، وقال :
فامض واكشف لي إلى الليث الطريق
فمضى الخيلان تواء للفلاة
وهناك ابتلع الليث الوزير
فانثني يضحك من طيش العجول
سلم الثعلب بالرأس الصغير

رأسك المحبوب ، أو ذاك الغزال !
ومضى في الحال للأمر الجليل
فرأى العجل فأهداه السلام
أنت أهل العفو والبر الغزير
فوشى بي عند مولانا الأسد
وهو فينا لم يزل نعم الشفع !
ودنا يسأل عن شرح الحديث
أن مولانا أبا الأفيال مات ؟
موطن الحكمة والحذق الكثير
ولأمر الملك ركنا يُذخر
مثل آيس ومعبود اليهود
عن يمين الملك السامي الخطير
في انتظار السيد العالي هناك
وانتهى الأنس إليكم والسروز
واطلبوا لي العفو منه والأمان
أخدم المنعم جهد المستطيع
أنت منذ اليوم جاري ، لا ثنال !
أنا لا يشقى لديه بي رفيق
ذا إلى الموت ، وهذا للحياه
وحبا الثعلب منه باليسير
وجرى في حلبة الفخر يقول :
فقداه كل ذي رأس كبير !

القرد والفيل

قَرْدٌ رَأَى الْفِيلَ عَلَى الطَّرِيقِ
 وَكَانَ ذَلِكَ الْقَرْدُ نَصَفَ أَعْمَى
 فَقَالَ : أَهْلًا بِأَبِي الْأَهْوَالِ
 تَهْدِي الرَّؤُوسُ رَأْسَكَ الْعَظِيمَا
 اللَّهُ مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَا
 وَأَمْلَحَ الْأَذْنَ فِي الْأَسْتِرْسَالِ
 وَأَحْسَنَ الْخُرُطُومَ حِينَ تَاهَا
 وَظَهْرُكَ الْعَالِي هُوَ الْبَسَاطُ
 فَعَدَّهَا الْفِيلُ مِنَ السُّعُودِ
 فَجَالَ فِي الظَّهْرِ بِلَا تَوَانٍ
 أَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ
 فَانْتَهَمَ الْفِيلُ الْبَعُوضَ ، وَاضْطَرَبَ
 فَوْقَ الضَّرْبِ عَلَى السَّلِيمَةِ
 وَنَزَلَ الْبَصِيرُ ذَا اكْتِنَابٍ
 فَقَالَ : لَا مُوجِبَ لِلنَّدَامَةِ
 مَنْ كَانَ فِي عَيْنِهِ هَذَا الدَّاءُ

مُهْرُولًا خَوْفًا مِنَ التَّغْوِيقِ
 يُرِيدُ يُخْصِي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
 وَمَرْحَبًا بِمُخْجَلِ الْجِبَالِ
 فَقِفْ أَشَاهِدْ حُسْنَتَكَ الْوَسِيمَا
 وَالطَّفَ الْعَظَمَ وَأَبْهَى الْجِلْدَا !
 كَأَنَّهَا دَائِرَةُ الْغِرْبَالِ !
 كَأَنَّهُ النِّخْلَةُ فِي صِبَاهَا !
 لِلنَّفْسِ فِي رُكُوبِهِ أَنْبَسَاطُ
 وَأَمَرَ الشَّاعِرَ بِالسُّعُودِ
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ مَكَانٍ
 وَأَدْخَلَ الْإِصْبَعُ فِيهِ يَخْبِرُ
 وَضِيقَ الثَّقَبِ ، وَصَالَ بِالذَّنَبِ
 فَلَحِجَّتْ بِأُخْتِهَا الْكَرِيمَةِ
 يَشْكُو إِلَى الْفِيلِ مِنَ الْمُصَابِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ
 فِي الْعَمَى لِنَفْسِهِ وَقَاءُ

الشاة والغراب

مَرَّ الْغُرَابُ بِشَاةٍ	قد غابَ عنها الفطيمُ
تَقُولُ وَالدمْعُ جَارٍ	والقلبُ منها كَلِيمٌ :
يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَبْنِي	وواحِدِي ، هل تَدُومُ ؟
وَهَلْ تَكُونُ بِجَنِّي	غداً على ما أُرُومُ ؟
فَقَالَ : يَا أُمَّ سَعْدٍ	هذا عذابُ أَلِيمٍ
فَكُفِّرِي فِي الْعَدِي ، وَالْفِكْ	رُ مُقْعِدُ وَمُقِيمِ
لِكُلِّ يَوْمٍ خُطُوبُ	تَكْنِي ، وشُغْلُ عَظِيمِ
وَبَيْنَمَا هُوَ يَهْدِي	أَتَى السَّعِيُّ الذَّمِيمِ
يَقُولُ : خَلَفْتُ سَعْدًا	وَالعَظَمُ مِنْهُ هَشِيمِ
رَأَى مِنَ الذَّلْبِ مَا قَدْ	رَأَى أَبُوهُ الْكَرِيمِ
فَقَالَ ذُو الْبَيْنِ لِلْأُمِّ	مَ حِينَ وَلَّتْ تَهِيمِ :
إِنَّ الْحَكِيمَ نَبِيٌّ	لِسَأْئِهِ مَعْصُومِ
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوَا	لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومِ ؟
قَالَتْ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ	هذا الكلامُ قَدِيمِ
فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا :	وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومِ

أُمَّةُ الْأَرَانِبِ وَالْفِيلِ

يَحْكُونُ أَنَّ أُمَّةَ الْأَرَانِبِ قَدْ أَخَذَتْ مِنَ الثَّرَى بِجَانِبِ
وَابْتَهَجَتْ بِالْوَطَنِ الْكَرِيمِ وَمَوَثَّلِ الْعِيَالِ وَالْحَرِيمِ

فأختارَه الفيلُ له طريقاً
وكان فيهم أرنَبُ لبيبُ
نادي بهم : يا معشرَ الأرنابِ
أُجِدُوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافي
فأقبلوا مُستَظْويين رايَه
وانتخبوا من بينهم ثلاثة
بل نظروا إلى كَمالِ العقلِ
فنهض الأولُ للخطابِ
أن تُترك الأرضُ لذي الخُطومِ
فصاحتِ الأرنابُ القوالي :
ووثبَ الثاني فقال : إني
فلندعُه يُمدِّنا بحِكْمَتِه
فقبل : لا يا صاحبَ السُّموِّ
وانتدبَ الثالثُ للكلامِ
اجتمعوا ، فالاجتماعُ قوَّةُ
يهوى إليها الفيلُ في مروِّه
ثم يقولُ الجبلُ بعدَ الجبلِ
فاستَظَّوْبا مقالَه ، واستَحَسَّنوا
وهلكَ الفيلُ الرَفيعُ الشَّانِ
وأقبلتْ لِصاحبِ التدبيرِ
فقال : مهلاً يا بَنِي الأوطانِ
فصاحبُ الصَّوتِ القويِّ الغالبِ

مُمرِّقاً أصحابنا تَمزيقاً
أذهبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريبُ
من عالِمٍ ، وشاعِرٍ ، وكاتبٍ
فالاجتماعُ قوَّةُ الضَّعَافِ
وعقدوا للاجتماعِ رايَه
لا هَرَمًا راعَوْا ، ولا حَدائِه
واعتبروا في ذاك سِنَّ الفضلِ
فقال : إِنَّ الرُّأيَ ذا الصوابِ
كي نستريحَ من أذى العُشومِ
هذا أضُرُّ من أبي الأهوالِ
أعهدُ في الثعلبِ شَيْخَ الفَنِّ
ويأخذ اثْنينِ جزاءَ خدمتِه
لا يُدفعُ العَدُوُّ بالعَدُوِّ
فقال : يا معاشِرَ الأقوامِ
ثم احفروا على الطريقِ هُوَّةُ
فنستريحُ الدهرَ من شرورِه
قد أكلَ الأرنَبُ عقلَ الفيلِ
وعملوا من قورهم ، فأحسنوا
فأمستِ الأُمَّةُ في أمانِ
ساعيةً بالتاجِ والسريرِ
إِنَّ محليَّ للمَحَلِّ الثاني
مَنْ قد دعا : يا معشرَ الأرنابِ

حكاية الخُفَّاشِ ومليكة الفراش

مررتُ على الخُفَّاشِ	مليكةُ الفراشِ
تطيرُ بالجموعِ	سعيّاً إلى الشموعِ
فعطفتُ ومالتُ	واستضحكتُ فقالتُ :
أزريتُ بالغرامِ	يا عاشقَ الظلامِ
صِفْ لي الصديقَ الأسودا	الحاملَ المُجَرِّداً
قال : سألتُ فيه	أصدقَ واصفِيه
هو الصديقُ الوافي	الكاملُ الأوصافِ
جوارهُ أمانُ	وسرُّه كتمانُ
وطرفه كليلُ	إذا هفا الخليلُ
يخنو على العثاقِ	يسمعُ للمُشتاقِ
وجُملةُ المقالِ	هو الحبيبُ الغالي

* * *

فقلتُ الحمقاءُ	وقولُها استهزاءُ
أين أبو المسكِ الحُصيّ	ذو الثمنِ المُستَرخَصِ ^٢
من صاحبي الأميرِ	الظاهرِ المنيرِ ^٣
إن عُدَّ فيمن أعرِفُ	أسمو به وأشرفُ
وإن سئِلْتُ عنه	وعن مكاني منه

١ تعني الليل : والخفّاش لا يأنس إلا بالظلام .

٢ أبو المسك الحُصيّ : كافور الإخشيد وكان عبداً أسود .

٣ تعني الضوء .

أَفْخِرُ الْأَثَرَابَا وَأَنْتِي إِعْجَابَا

* * *

فَقَالَ : يَا مَلِيكَةُ وَرَبَّةَ الْأَرِيكَةِ
إِنَّ مِنْ التُّرُورِ مَلَامَةً الْمُرُورِ
فَأَعْطِي قَفَاكَ وَامْضِي إِلَى الْهَلَاكِ

* * *

فَتَرَكْتُهُ سَاخِرَةً وَذَهَبْتُ مُفَاخِرَةً
وَبَعْدَ سَاعَةٍ مَضَتْ مِنَ الزَّمَانِ فَانْقَضَتْ
مَرَّتْ عَلَى الْحُقُفَاشِ مَلِيكَةُ الْفَرَاشِ
نَاقِصَةً الْأَعْضَاءِ تَشْكُو مِنَ الْفَنَاءِ
فَجَاءَهَا مِنْهِيكَا يُضْحِكُهَا مِنْهَا الْبُكََا
قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ رُبَّ صَدِيقٍ عَبْدٍ
بِفِدْيِكَ كَالرَّئِيسِ هَلَكْتَ أَوْ لَمْ تَهْلِكِي
وَصَاحِبٍ كَالتُّورِ أَبْيَضُ وَجْهِ الْوُدِّ
مُفَتِّكِرِ الْفُؤَادِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ
جِبَالُهُ أَشْرَاكُ فِي الْحُسْنِ وَالظُّهُورِ
مُضَيِّعِ الْوُدَادِ وَقُرْبُهُ هَلَاكُ ؟

الأسد ووزيره الحمار

اللَّيْثُ مَلِكُ الْقِفَارِ وَمَا تَنْضُمُ الصَّحَارِي
سَعَتْ إِلَيْهِ الرِّعَايَا يَوْمًا بِكُلِّ انْكِسَارِ
قَالَتْ : تَعِيشُ وَتَبْقَى يَا دَامِي الْأُظْفَارِ

ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذَا	يَسُوسُ أَمْرَ الصَّواري ؟
قالَ : الحمارُ وزيري	قَصَى بهذا اختياري
فاسْتَضْحَكَ ، ثم قالَ :	«ماذا رأى في الحمارِ ؟»
وخَلَفْنُهُ ، وطارَت	بِمُضْحِكِ الأَخْبَارِ
حتى إذا الشَّهْرُ وَلَّى	كَلْبِلَةً أو نَهَارِ
لم يَشْعُرِ اللَّيْثُ إِلَّا	وَمُلْكُهُ في دَمَارِ
القرْدُ عِنْدَ اليَمِينِ	والكلبُ عِنْدَ اليَسَارِ
والقِطُّ بَيْنَ يَدَيْهِ	يَلْهُو بِعَظْمَةٍ فار !
فقالَ : مَنْ في جُدودي	مِثْلِي عَدِيمُ الوَقَارِ ؟!
أَيْنَ اقْتِدَارِي وَبَطْشِي	وَهَبْنِي واعتباري ؟!
فجاءهُ القَرْدُ سَرًّا	وقالَ بَعْدَ اعتذار :
يا عَالِيَ الجاهِ فينا	كُنْ عَالِيَ الأنظارِ
رَأْيُ الرَعِيَّةِ فيكم	من رَأْيكم في الحمار !

الْثَمَلَةُ وَالْمُقَطَّمُ

كانتِ الثَّمَلَةُ تَمْشِي	مَرَّةً تَحْتَ الْمُقَطَّمِ
فارتَحَى مَفْصِلُهَا مِنْ	هَبِيبَةِ الطَّوْدِ المَعْظَمِ
وانشَتْ تَنْظُرُ حَتَّى	أَوْجَدَتِ الخَوْفُ وَأَعْدَمَ
قالتِ : اليَوْمَ هَلَاكِي	حَلًّا يَوْمِي وَتَحْمَ !
ليتْ شِعْرِي : كَيْفَ أَنْجُو	- إنْ هُوَ هَذَا - وَأَسْلَمَ ؟
فَسَعَتْ تَجْرِي ، وَعَيْنَا	ها تَرَى الطَّوْدَ قَتَدَمَ
سَقَطَتْ في شَبْرِ ماءٍ	هو عِنْدَ التَّمَلِ كَالْيَمِ

فبكت يأساً ، وصاحت
ثم قالت وهي أدري
ليتني لم أتأخر
ليتني سلّمتُ ، فالعا
صاح لا تخشَ عظيما
قبلَ جَرِي الماءِ في الفمِ
بالذي قالت وأعلم :
ليتني لم أتقدم
قلُّ مَنْ خاف فسَلِم !
فالذي في الغيب أعظم

الغزال والكلب

كان فيما مَضَى من الدهر بيتٌ
يطعم اللّوزَ والفطيرَ ويُسقى
فأتى الكلبَ ذاتَ يومٍ يُناجي
قال : يا صاحبَ الأمانة ، قل لي
فأجابَ الأمينُ وهو القنولُ الصّد
سألي عن حقيقةِ الناسِ ، عنراً
إنما هم جحدٌ ، وغشٌ ، وبُغضٌ
ليت شعري هل يستريحُ قوادي ؟
فرضا البعض فيه للبعضِ سُخْطُ
ورضا اللهِ نَرْتَجِيهِ ، ولكن
لا يقرنك يا أخوا البيدِ من مو
أنت في الأسرِ ما سلّمتَ ، فإن ثم
فاطلبِ البيدَ ، وارضِ بالعُشبِ قوتاً
أنا لولا العظامُ وهيَ حياتي
من بيوتِ الكرامِ فيه غزال
عسلاً لم يَشْبِهه إلا الثّلال
وفي النفسِ رَرحَةً وملا
كيف حالُ الوَرَى ؟ وكيف الرجال ؟
لادِقُ الكاملِ الثّمَى المِفضال
ليس فيهم حقيقةٌ فتقال
وأذاةٌ ، وغيبةٌ ، وانتحال
كم أداريهم ! وكم أحتال !
ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنال
لا يُودّي إليه إلا الكمال
لاك ذاك القبولُ والإقبال
رض تقطّع من جسمكِ الأوصال
فهناك العيشُ الهنيءُ الحلال
لم تطلب لي مع ابنِ آدمَ حال

الثَّعلبُ والدَّيْكَ

برز الثَّعلبُ يوماً	في شعار الواعِظِينَا
فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْدِي	وَيَسُبُّ الْمَاكِرِينَ
ويقولُ : الحمدُ للهِ	إِلَهِ الْعَالَمِينَ
يا عِبَادَ اللَّهِ ، ثُوبُوا	فَهُوَ كَهْفُ الثَّائِبِينَ
وازْهَدُوا فِي الطَّيْرِ ؛ إِنَّ الـ	عَيْشَ عَيْشِ الزَّاهِدِينَ
واطلبوا الدَّيْكَ يُؤْذَنُ	لصلاة الصُّبْحِ فِينَا
فَأَتَى الدَّيْكَ رَسُولُ	مَنْ إِمَامِ النَّاسِكِينَ
عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ	وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَلِينَا
فَأَجَابَ الدَّيْكَ : عُذْرًا	يَا أَضْلَّ الْمُهْتَدِينَ !
بَلَّغِ الثَّعلبَ عني	عن جُدُودِي الصَّالِحِينَ
عن ذَوِي الثَّيْجَانِ مِمَّنْ	دَخَلَ الْبَطْنَ اللَّعِينَا
أَنَّهُمْ قَالُوا وَخَيْرُ الـ	قَوْلِ قَوْلُ الْعَارِفِينَا :
«مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يَوْمًا	أَنْ لِلثَّعلبِ دِينَا »

التَّعْجَةُ وأولادُهَا

اسْمَعْ نَفَائِسَ مَا يَأْتِيكَ مِنْ حِكْمِي	وَأَفْهَمَهُ فَهَمَ لَيْسَبٍ نَاقِدٍ وَاعِي
كَانَتْ عَلَى زَعْمِهِمْ فِيمَا مَضَى عَنَمٌ	بَارِضٍ بِغَدَادٍ يَرَعَى جَمْعَهَا رَاعِي
قَدْ نَامَ عَنْهَا ، فَنَامَتْ غَيْرَ وَاحِدَةٍ	لَمْ يَدْعُهَا فِي الدِّيَابِجِي لِلْكُرَى دَاعِي
أُمُّ الْفَطِيمِ ، وَسَعْدٍ ، وَالْفَتَى عَلَفَ	وَابْنِ أُمِّهِ ، وَأَخِيهِ مُتِيَّةِ الرَّاعِي

فِينَمَا هِيَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَاهِرَةٌ
بَدَا لَهَا الذَّنْبُ يَسْعَى فِي الظَّلَامِ عَلَى
قَامَ رَاعِي الْحِمَى الْمَرْعَى مُنْذِعًا
وَضَاقَ بِالذَّنْبِ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ فَرْقٍ
قَالَتِ الْأُمُّ : يَا لِلْفَخْرِ ! كَانَ أَبِي
إِذَا الرُّعَاةَ عَلَى أَغْنَامِهَا سَهَرَتْ
تُحْيِيهِ مَا بَيْنَ أَوْجَالٍ وَأَوْجَاعٍ
بُعْدٍ ، فَصَاحَتْ : أَلَا قَوْمًا إِلَى السَّاعِي
يَقُولُ : أَيْنَ كِلَابِي أَيْنَ مِقْلَاعِي ؟
فَانْسَابَ فِيهِ انْسِيَابَ الطَّيْرِ فِي الْقَاعِ
حُرًّا ، وَكَانَ وَفِيًّا طَائِلَ الْبَاعِ
سَهَرَتْ مِنْ حُبِّ أَطْفَالِي عَلَى الرَّاعِي !

الكلب والقط والفأر

فَأَرَى الْقِطَّ عَلَى الْجِدَارِ
وَالْكَلْبُ فِي حَالَتِهِ الْمَعْهُودِ
فَحَاوَلَ الْفَأْرُ اغْتِنَامَ الْفُرْصِ
لَعَلَّهُ يَكْتَسِبُ بِالْأَمَانِ
فَسَارَ لِلْكَلْبِ عَلَى يَدَيْهِ
فَاشْتَغَلَ الرَّاعِي عَنِ الْجِدَارِ
مُبْتَهَجًا يَفْكُرُ فِي وَلِيمَةٍ
يَجْعَلُهَا لِحُطْبِهِ عِلَامَةً
فَجَاءَ ذَلِكَ الْفَأْرُ فِي الْأَثْنَاءِ
رَأَيْتَ فِي الشَّدَّةِ مِنْ إِخْلَاصِي
وَقَدْ أَتَيْتُ أَطْلُبُ الْأَمَانَا
فَقَالَ حَقًّا هَذِهِ كِرَامُهُ
يَكْفِيكَ فخرًا يَا كَرِيمَ الشَّمَةِ
وَانْقَضَ فِي الْحَالِ عَلَى الضَّعِيفِ
فَقُلْتُ فِي الْمَقَامِ قَوْلًا شَاعَا
مُعَذِّبًا فِي أَضْيَقِ الْحِصَارِ
مُسْتَجْمِعًا لِلْوَثْبَةِ الْمَوْعُودِ
وَقَالَ أَكْفِي الْقِطَّ هَذَا الْعُصَّةِ
لِي وَلِأَصْحَابِي مِنَ الْجِيرَانِ
وَمَكَّنَ التَّرَابَ مِنْ عَيْنِهِ
وَنَزَلَ الْقِطُّ عَلَى بِدَارِ
وَفِي فَرِيَسَةٍ لَهَا كَرِيمَةٍ
يَذْكُرُهَا فَيَذْكُرُ السَّلَامَةَ
وَقَالَ : عَاشَ الْقِطُّ فِي هُنَاءٍ
مَا كَانَ مِنْهَا سَبَبَ الْخَلَاصِ
فَامُنْ بِهِ لِمَعَشَرَتِي إِحْسَانَا
غَنِيمَةً وَقَبْلَهَا سَلَامَةً
أَنْكَ فَأْرُ الْخُطْبِ وَالْوَلِيمَةِ
يَا كُلُّهُ بِالْمِلْحِ وَالرَّغِيفِ
«مَنْ حَفِظَ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا ضَاعَا»

سليمان والهُدُودُ

وقف الهُدُودُ في با ب سُلَيْمَانَ بِذِلَّةٍ
قال : يا مولايَ ، كن لي عِشَّتِي صارت مُمِلَّةً
مَتُّ من حَبَّةِ بُرٍّ أَحَدْتُ في الصدرِ عُلَّةً
لا مِياهُ التَّيْلِ تُروِي ها ، ولا أُمُوهُ دِجَلُهُ
وَإِذَا دَامَتْ قَلِيلًا قَتَلْتِي شَرًّا قِتْلَهُ

* * *

فأشار السَّيِّدُ العا لي إلى مَنْ كان حَوْلَهُ :
قد جَنَى الهُدُودُ ذَنْبًا وَأَتَى في اللُّومِ فَعَلَهُ
تِلْكَ نَارُ الإِثْمِ في الصَّدِّ ، وَذِي الشُّكُوى نَعْلَهُ
ما أَرَى الحَبَّةَ إِلَّا سَرَقَتْ من بَيْتِ نَمْلِهِ
إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا يَشْتَكِي من غيرِ عِلَّةِ !

سليمان والطَّاووس

سَمِعْتُ بِأَنَّ طَاووسًا أَتَى يَوْمًا سُلَيْمَانَ
يُجَرِّدُ دُونَ وَفْدِ الطَّيْرِ بِرِ أَذْيَالًا وَأُردَانَا
وَيُظْهِرُ ريشَهُ طَوْرًا وَيُخْفِي الرِّيشَ أحيانًا
فقال : لَدَيَّ مَسْأَلَةٌ أَظُنُّ أَوَّانَهَا أَنَا
وَهَا قد جَنْتُ أَعْرَضُهَا على أَعْتَابِ مَوْلَانَا :
أَلَسْتُ الرُّوضَ بِالْأَزْهَى رِ وَالْأَنْوَارِ مُزْدَانَا ؟

ألم أستوفِ آيَ الظَّرِّ ف أشكالا وألوانا ؟
 ألم أصبح ببايكم ليجمع الطير سلطانا ؟
 فكيف يليقُ أن أبقي وقومي الغرُّ أوثانا !
 فحسنُ الصوتِ قد أَمسى نصيبي منه حِرمانا
 فما تيمتُ أفيدة ولا أسكرتُ آذانا
 وهذي الطيرُ أحقرها يزيدُ الصَّبَّ أشجانا
 وتهنرُ الملوكُ له إذا ما هرَّ عيدانا ؟

* * *

فقال له سليمانُ لقد كان الذي كانا
 تعالت حكمةُ الباري وجلَّ صنيعُهُ شأننا
 لقد صغرتَ يا مغرو رُ نَعَى الله كُفرانا
 ومُلك الطيرُ لم تحفل به ، كبرا وطغيانا
 فلو أصبحتَ ذا صوت لما كلَّمتَ إنسانا !

الغصن والخنفساء

كان برّوضي عُصْنُ ناعمٍ يقولُ : جلَّ الواحدُ المنفردُ
 فقامتي في ظرفها قامتي ومثلُ حُسنِي في الوري ما عُهدُ
 فأقبلتُ « خُنْفَسَةً » تنثني ونجلُّها يمشي بجنبِ الكبدِ
 تقولُ : يا زَيْنَ رياضي البها إن الذي تطلبُهُ قد وُجدُ
 فانظر لِقَدِّ ابني ، ولا تفتخر ما دام في العالم أمُّ تلد !

القُبْرَة وابنها

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةَ	تُطَيِّرُ ابْنَهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ
وَهِيَ تَقُولُ : يَا جَمَالَ الْعُشْرِ	لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ
وَقِفْ عَلَى عَوْدٍ بِجَنْبِ عَوْدٍ	وَأَفْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ
فَانْتَقَلْتُ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ	وَجَعَلْتُ لِكُلِّ نَقْلَةٍ زَمَنَ
كَيْ يَسْتَرِيحَ الْفَرْخُ فِي الْأَنْثَاءِ	فَلَا يَمَلُّ ثِقَلِ الْهَوَاءِ
لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ	لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ الشُّطَارَةَ
وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَا	فَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوْقَمَا
فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ	وَلَمْ يَتَلَّ مِنْ الْعُلَا مَنَاهُ
وَلَوْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمُنِّي	وَعَاشَ طَوْلَ عُمُرِهِ مُهْنًا
لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَفْتُهُ	وَعَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْنُهُ !

النَّعْجَتَانِ

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعْجَتَانِ	وَكَانَتَا فِي الْغَيْطِ تَرْعِيَانِ
إِحْدَاهُمَا سَمِيَّةٌ ، وَالثَّانِيَةُ	عِظَامُهَا مِنْ الْهَزَالِ بَادِيَةٍ
فَكَانَتِ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسَّمَنِ	وَقَوْلِهِمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ
وَتَدَّعِي أَنْ لَهَا مَقْدَارًا	وَأَنَّهَا تَسْتَوْفِقُ الْأَبْصَارَا
فَنَصِيرُ الْأُخْتُ عَلَى الْإِذْلَالِ	حَامِلَةً مَرَارَةً الْإِذْلَالِ
حَتَّى أَتَى الْجَزَارُ ذَاتَ يَوْمٍ	وَقَلَبَ النَّعْجَةَ دُونَ الْقَوْمِ
قَالَ لِلْمَالِكِ : اشْتَرِهَا	وَنَقَدَ الْكَيْسَ الْنَفِيسَ فِيهَا

فانطلقت من فورها لأختها وفي تشك في صلاح بختها
تهول : يا أختاه خبريني هل تعرفين حامل السكين ؟
قالت : دعيني وهزالي والزمن وكلّمي الجزّار يا ذات الثمن !
لكلّ حال حلّوها ومُرّها ما أدبُ النعجة إلا صبرها

السّفينة والحِوانات

لَمَّا أَنَّمْ نوحُ السّفينة وحركتها القُدرة المُعينة
جرى بها ما لا جرى ببالٍ فما تعالى الموج كالجبال . .
. . حتى مَشَى اللَّيْثُ مع الحمارِ وأخذ القطُّ بأيدي الفارِ
واستمعَ الفيلُ إلى الخنزيرِ مُوتِنِساً بصوته النّكيرِ
وجلسَ الهرُّ بجانب الكلبِ وقبّل الحروفُ نابَ الذّئبِ
وعطفَ البازُ على الغزالِ واجتمع الثملُ على الأكالِ
وقلّت الفرخةُ صوفَ الثعلبِ وتيمّ ابنَ عِرسٍ حُبُّ الأرنبِ
فذهبتْ سوابقُ الأحقادِ وظهر الأحابُ في الأعادي
حتى إذا خطّوا بسفحِ الجودي وأيقنوا بعودةِ الوجودِ
عادوا إلى ما تقتضيه الشّمة ورَجَعوا للمحالةِ القديمةِ
فقسّ على ذلك أحوالَ البشَرِ إن شملَ المحنور ، أو عمَّ الخطرُ
يُنا تَرى العالمَ في جهادِ إذ كلهم على الزمانِ العادي

القرء في السفينة

لم يَتَّفِقْ مِمَّا جَرَى فِي الْمَرْكَبِ
فَإِنَّهُ كَانَ بِأَقْصَى السَّطْحِ
وَصَاحَ : يَا لِلطَّيْرِ وَالْأَسْمَاكِ
فَبَعَثَ النَّبِيُّ لَهُ النَّسُورَا
ثُمَّ أَنَى ثَانِيَةً يَصْبِحُ
فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ كُلَّ مَنْ خَضِرُ
وَيَسْمَا السَّفِينَةَ يَوْمًا يَلْعَبُ
فَسَمِعُوهُ فِي الدُّجَى يَنُوحُ
سَقَطَتْ مِنْ حِمَاقِي فِي الْمَاءِ
فَلَمْ يَصْدُقْ أَحَدٌ صِيَاحَهُ
قَدْ قَالَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنْ سَبَقُ
مَنْ كَانَ مَمْنُونًا بِدَاءِ الْكَذِبِ
كَكَذِبِ الْقِرْدِ عَلَى نُوحٍ النَّبِيِّ
فَاشْتَاقَ مِنْ خِفَتِهِ لِلْمَرْحِ
لِمَوْجَةٍ تَجِدُ فِي هَلَاقِي !
فَوَجَدْتُهُ لَاهِبًا مَسْرُورَا
قَدْ تُقِفْتُ مَرْكَبَنَا يَا نُوحُ !
فَلَمْ يَرَوْا كَمَا رَأَى الْقِرْدُ خَطَرَ
جَادَتْ بِهِ عَلَى الْعِيَاكِ الْمَرْكَبُ
يَقُولُ : إِنِّي هَالِكٌ يَا نُوحُ
وَصِرْتُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
وَقَبِلَ حَقًّا هَذِهِ وَقَاةُ
أَكْذَبُ مَا يُلْقَى الْكَذُوبُ إِنْ صَدَقَ
لَا يَتْرُكُ اللَّهُ ، وَلَا يُعْنِي نَبِي !

نوح عليه السلام والتملة في السفينة

قَدْ وَدَّ نُوحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ
وَأَشَارَ أَنْ يَلِيَّ السَّفِينَةَ قَائِدُ
فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ
وَتَلَاهُمَا بَاقِي السَّبَاعِ ، وَكُلُّهُمْ
حَتَّى إِذَا حَيُّوا الْمُؤَيَّدَ بِالْهُدَى
فَدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشِرَ الْحَيَوَانِ
مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ التَّمِي بِمَكَانِ
وَتَعَرَّضَ الْفِيلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ
خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ
وَدَعَوْا بِطُولِ الْعُرِّ وَالْإِمْكَانِ

سَبَقَتْهُمْ لِحَطَابِ نَوْحٍ نَمَلَةٌ
 قَالَتْ : نَبِيُّ اللَّهِ ، أَرْضَى فَارِسُ
 سَادِيرُ دِفْئِهَا ، وَأَخِي أَهْلُهَا
 ضَحِكَ النَّبِيُّ وَقَالَ : إِنَّ سَفِينَتِي
 كُلَّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ
 وَيُودُّ لَوْ سَاسَ الزَّمَانَ ، وَمَالَهُ
 كَانَتْ هُنَاكَ بِجَانِبِ الْأَزْدَانِ
 وَأَنَا يَقِينًا فَارِسُ الْمِيدَانِ
 وَأَقْوَدُهَا فِي عَصْمَةٍ وَأَمَانٍ
 لِهَيِّ الْحَيَاةِ ، وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ
 هُوَ أَوَّلُ ، وَالْغَيْرُ فِيهَا الثَّانِي
 بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَدَانِ

الدُّبُّ فِي السَّفِينَةِ

الدُّبُّ مَعْرُوفٌ بِسُوءِ الظَّنِّ
 لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْثَ فِي السَّفِينَةِ
 وَقَالَ : إِنْ الْمَوْتُ فِي انْتِظَارِي
 ثُمَّ رَأَى مَوْجًا عَلَى بُعْدِ عِلَا
 فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنَ التَّرْوَلِ
 قَدْ قَالَ مَنْ أَدَبُهُ اخْتِبَارُهُ :
 فَاسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ
 فَشَرِبَ التَّعِيسُ مِنْهَا ، فَانْتَفَخَ
 وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِضَّ الْمَاءُ
 وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ
 فَلَمَحَ الْمَرْكَبُ فَوْقَ الْجُودِيِّ
 فَقَالَ : يَا لَجَدِّي التَّعِيسِ
 مَا كَانَ ضَرَرِي لَوْ امْتَلَأْتُ
 فَاسْمَعْ حَدِيثَهُ الْعَجِيبَ عَنِّي
 مَلَّ دَوَامَ الْعِيشَةِ الظَّنِيهِ
 وَالْمَاءُ لَا شَكَّ بِهِ قَرَارِي
 فَظَنَّ أَنَّ فِي الْفَضَاءِ جِبَلًا
 وَصَلَّتْ ، أَوْ لَمْ أَخْطُ بِالْوُصُولِ
 السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انْتِظَارُهُ !
 وَفِيَّ مَعَ الرِّيحِ فِي هَيَاجٍ
 ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ ، وَرَسَخَ
 وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
 إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئًا فِي الْغَرَقِ
 وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودٍ
 أَسَأْتُ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ !
 وَمِثْلَمَا قَدْ فَعَلُوا فَعَلْتُ ؟ !

الثعلب في السفينة

أبو الحُصَيْنِ جَالَ فِي السَّفِينَةِ فَقَرَفَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
 يَقُولُ : إِنَّ حَالَهُ أَسْتَحَالَا وَإِنَّ مَا كَانَ قَدِيمًا زَالَا
 لِيَكُونَ مَا حَلَّ مِنَ الْمَصَائِبِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الثَّعَالِبِ
 وَيُغْلِظُ الْإِيمَانَ لِلدَّبُوكِ لِمَا عَمَى يَبْقَى مِنَ الشُّكُوكِ
 بَأَنَّهُمْ إِنْ نَزَلُوا فِي الْأَرْضِ يَرَوْنَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يُرْضَى
 قِيلَ : فَلَمَّا تَرَكُوا السَّفِينَةَ مَشَى مَعَ السَّمِينِ وَالسَّمِينَةَ
 حَتَّى إِذَا مَا نَصَفُوا الطَّرِيقَا لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ حَوْلَهُ رَفِيقَا
 وَقَالَ : إِذْ قَالُوا عَدِيمُ الدِّينِ لَا عَجَبُ إِنْ حَثَّتْ بَمِينِي
 فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنِي الدَّهَاءِ نَعْمَلُ فِي الشَّدَةِ لِلرَّخَاءِ
 وَمَنْ تَخَافُ أَنْ يَبِيعَ دِينَهُ تُكْفِيكَ مِنْهُ صُحْبَةُ السَّفِينَةِ !

الليث والذئب في السفينة

يَقَالُ إِنَّ اللَّيْثَ فِي ذِي الشَّدَةِ رَأَى مِنَ الذَّئْبِ صَفَا الْمَوْدَةِ
 قِيلَ : يَا مَنْ صَانَ لِي مَحَلِّي فِي حَالَتِي وَلَا يَتِي وَعَزَلِي
 إِنْ عُدْتُ لِلْأَرْضِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَادَ لِي فِيهَا قَدِيمُ الْجَاهِ
 أُعْطِيكَ عِجْلَيْنِ وَأَلْفَ شَاةٍ ثُمَّ تَكُونُ وَالْيَ الْوَلَاةِ
 وَصَاحِبَ اللُّوَاءِ فِي الذُّنَابِ وَقَاهِرَ الرِّعَاةِ وَالْكِلَابِ
 حَتَّى إِذَا مَا تَمَّتِ الْكَرَامَةُ وَوُطِئَ الْأَرْضَ عَلَى السَّلَامَةِ
 سَعَى إِلَيْهِ الذَّئْبُ بَعْدَ شَهْرِ وَهُوَ مُطَاعُ النَّهْيِ مَاضِي الْأَمْرِ

قال : يا مَنْ لا تُداسُ أرضه ومَنْ له طُولُ الفَلا وعَرْضُه
 قد نِلْتَ ما نِلْتَ مِنَ التَّكْرِيمِ وذا أوانِ المَوْعِدِ الكريمِ
 قال : تَجَرَّأتَ وساءَ زَعْمُكَ فَمَنْ تَكُونُ يا فَتَى ؟ وما أَسْمُكَ ؟
 أَجابَه : إن كان ظَنِّي صادِقًا فَلِئَنِّي والي الِوَلَةِ سابقًا !

الثَّعلب والأرنب في السَّفِينَةِ

أتى نبيَّ اللهِ يوما ثعلبٌ فقال : يا مُولاي ، إني مُذنبٌ
 قد سَوَدَّتْ صَحيْفَتِي الذُّنُوبُ وإن وَجَدْتُ شافِعًا أَتُوبُ
 فَاسأَلْ إِلَهِي عَفْوَ الجَلِيلِ لَتَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَهُ ذَلِيلِ
 وإِنِّي وإن أَسأتُ السَّيِّئِ عَمِلْتُ شَرًّا ، وَعَمِلْتُ خَيْرًا
 قَدْ أَتَانِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرْنَبٌ بَرَّعْتُ تَحْتَ مَنْزِلِي وَيَلْعَبُ
 وَلَمْ يَكُنْ مَراقِبُ هُنالِكَ لَكُنْتُ تَرْكُهُ مَعَ ذَلِكَ
 إِذْ عِثْتُ فِي افْتِرَاسِهِ الدَّنَاءَ فلم يَصِلْهُ مِنْ يَدِي مَسَاءَةٌ
 وَكانَ فِي المَجْلِسِ ذاكَ الأَرْنَبُ يَسْمَعُ ما يُبْدي هُنَاكَ الثَّعلَبُ
 قالَ لَمَّا انْقَطَعَ الحَدِيثُ : قَدْ كانَ ذاكَ الرُّهْدُ يا خَيْثُ
 وَأنتَ بَيْنَ المَوْتِ والحَيَاةِ مِنْ تُخْمَةِ أَلْقَتِكَ فِي الفَلَاةِ !

الأرنب وبنت عرس في السفينة

قد حَمَلَتْ إحدى نساء الأرنبِ	وحلَّ يومٌ وضعها في المركبِ
فقلقَ الركابُ من بكائها	وبينا الفتاةُ في عنائها . .
.. جاءت عجوزٌ من بناتِ عرسِ	تقولُ : أفدي جارتِي بنفسِي
أنا التي أُرَجَى لهذا الغايةُ	لأنِّي كنتُ قديمًا «دابةً»
فقالَتِ الأرنبُ : لا يا جاره	فإن بعدَ الألفَةِ الزَّياره
ما لي وُثوقٌ بيناتِ عرسِ	إني أريدُ دابةً من جنسي !

الحمار في السفينة

سَقَطَ الحمارُ مِنَ السفينةِ في الدُّجى	فبكى الرِّفاقُ لفَقْدِهِ ، وَتَرَحَّمُوا
حتى إذا طلَعَ التَّهَارُ أَنتَ بِهِ	نَحْوَ السفينةِ مَوْجَةً تَتَقَدَّمُ
قالَتُ : خُلِّوهُ كما أَتاني سالماً	لم أَتَلَعُهُ ، لأنَّهُ لا يُهْضَمُ !

سليمان عليه السلام والحمامة

كان ابن داود يُقَدِّمُ خِدْمَتَهُ عُمَرَا مِثَامًا
 فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ وَالْكَثْبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا
 فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ نَعْدَ عَمَدَتِ لَأَوَّلِهَا ، وَكَأَنَّ
 فَرَأَاهُ بِأَمْرٍ فِيهِ عَا وَيَقُولُ : وَفُوهَا الرِّعَا
 وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنِّ وَأَنْتَ لِثَالِثِهَا ، وَلَمْ
 فَرَأَاهُ بِأَمْرٍ أَن تَكُونَ فَبَكَتْ لِمَاكَ تَنْدُمًا
 وَأَنْتَ نَسِيٌّ لِلَّهِ وَهُوَ قَالَتْ : فَقَدْتُ الْكَثْبَ - يَا
 . . . لِتَسْرُعِي لِمَا أَنَا فَأَجَابَ : بَلْ جِئْتُ الَّذِي
 لَكِنْ كِفَالِكِ عَقُوبَةُ رَبُّهُ فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةٌ
 قَدْ شَاءَ صَدَقًا وَاسْتِقَامَةً
 يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَهُ
 كُنَيْتُ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةَ
 رَفْتُ مِنْ رِسَائِلِهِ مَرَامَهُ
 نَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَهُ
 مَلَهُ بِنَاجٍ لِلْحَمَامَةِ
 يَّةَ فِي الرَّحِيلِ ، وَفِي الْإِقَامَةِ
 تُعْطَى رِيَاضًا فِي تِهَامِهِ
 تَسْتَحْيِي أَنْ فَضَّتْ خِتَامَهُ
 نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَةَ
 هَيْهَاتَ لَا تُجِدِي التَّدَامَةَ !
 حَيَّ تَقُولُ : يَا رَبُّ السَّلَامَةَ !
 مَوْلَايَ - فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ
 نِي الْبَازُ يَدْفَعُنِي أَمَامَهُ !
 كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةَ
 مَنْ خَانَ خَانَتَهُ الْكَرَامَةَ !

الأسد والضفدع

إنفع بما أُعْطيتَ من قُدْرَةٍ واشفع لذي الذنبِ لَدَى المَجْمَعِ
إِذْ كَيْفَ تُسَمُّو للْعُلَا يَا فَتَى إِنْ أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تُشْفَعْ ؟
عِنْدِي لِهَذَا نَبَأٌ صَادِقٌ يُعْجِبُ أَهْلَ الْفَضْلِ فَاسْمَعْ ، وَعِ
قَالُوا : اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفَدَعِ
وَقِيلَ لِلْمَلِكِ : هَذَا الَّذِي بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِي الْمِسْمَعِ
تُنْقِنُ الدَّهْرَ بِلا عِلَّةٍ وَتَدْعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدْعِي
فَانظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَمُرَّ نُعَلِّقُهَا مِنَ الْأَرْبَعِ
فَهَضَّ الْفِيلُ وَزِيرُ الْعُلَا وَقَالَ : يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْبَعِ
لَا خَيْرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِزِّهِ إِنْ ضَاقَ جَاهُ اللَّيْثِ بِالضَّفَدَعِ
فَكَتَبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ !

النملة الزَّاهِدة

سَمِعْتُ الْفَتَى فِي عَيْشِهِ عِبَادَةً وَقَائِدُ يَهْدِيهِ لِلْسَّعَادَةِ
لَأَنَّ السَّعْيَ يَقُومُ الْكَوْنُ وَاللَّهُ لِلْسَّاعِينَ نِعَمَ الْعَوْنِ
فَإِنْ تَشَأْ فَهَذِهِ حِكَايَةُ تُعَدُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ غَايَةَ
كَانَتْ بِأَرْضِ نَمْلَةٍ ثَبَالَةً لَمْ تَسْلُ يَوْمًا لَذَّةَ الْبَطَالَةِ
وَاشْتَهَرَتْ فِي التَّمَلُّ بِالتَّقَشُّفِ وَانْصَفَتْ بِالزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ
لَكِنْ يَقُومُ اللَّيْلَ مَنْ يَفْتَاتُ فَالْبَطْنُ لَا تَمْلُوهُ الصَّلَاةُ
وَالْتَّمَلُ لَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْحُبُّ وَنَمَلْتِي شَقَّ عَلَيْهَا الدُّبُّ

فخرجت إلى التماسِ القوتِ وجعلتُ تطوفُ بالبيوتِ
تقولُ : هل من نَمَلَةٍ تَقِيَّةٍ تُنعمُ بالقوتِ لذي الوليَّةِ ؟
لقد عَييتُ بالطَّوي المَبْرَحِ ومُنذَ ليلتينِ لم أَسْبَحِ
فصاحتِ الجاراتُ : يا للعارِ لم تتركِ الثَمَلَةَ للصرصارِ !
متى رَضِينَا مِثْلَ هَـذِي الحالِ ؟ متى مددنا الكَفَّ للسُّوالِ ؟
ونحنُ في عينِ الوجودِ أُمَّةٌ ذاتُ اشتِهَارٍ بعلُو الهِمَّةِ
نَحْمِلُ ما لا يَصِيرُ الجِبالُ عن بَعْضِهِ لو أَنها نِمالُ
ألم يقلْ من قوله الصوابُ : ما عِندنا لِسائِلِ جَوابُ ؟
فامضي ؛ فَإِنَّا يا عَجوزَ الشُّومِ نَرى كَمالَ الرُّهْدِ أن تصومي !

اليمامة والصياد

يَمَامَةٌ كانت بأعلى الشَّجرة فاقبلَ الصَّيَّادُ ذاتَ يومٍ
فلم يجدْ للطَّيْرِ فيه ظِلًّا وهمُّ بالرحيلِ حينَ مَلَأَ
فبرَزَتْ من عُشِّها الحُمقاءُ والْحُمُقُ داءُ ما لَهُ دواءُ
تقولُ جَهلاً بالذي سَـبَحْتُ : يَأَيُّهَا الإنسانُ ، عَمَّ نَبَحْتُ ؟
فالتَمَّتِ الصيادُ صوبَ الصوتِ ونَحَوَهُ سَدَدَ سَهْمِ الموتِ
فسَقَطَتْ من عرشِها المَكِينِ ووقعتْ في قبْضَةِ السَّكِينِ
تقول قولَ عارفٍ مُحَقِّقٍ : «مَلَكْتُ نَفْسي لو مَلَكْتُ مَنْطَقي !»

الكلب والحمامة

حِكَايَةُ الْكَلْبِ مَعَ الْحَمَامَةِ
يُقَالُ : كَانَ الْكَلْبُ ذَاتَ يَوْمٍ
فَجَاءَ مِنْ وَرَائِهِ الشَّعْبَانُ
وَهُمَّ أَنْ يَغْدِرَ بِالْأَمِينِ
وَنَزَلَتْ ثَوَا تُغِيثُ الْكَلْبَا
فَحَمَدَ اللَّهُ عَلَى السَّلَامَةِ
إِذْ مَرَّ مَا مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ
فَسَبَقَ الْكَلْبُ لَتِلْكَ الشَّجَرَةَ
وَاتَّخَذَ النَّجِيجَ لَهُ عَلَامَةً
وَأَقْلَعَتْ فِي الْحَالِ لِلْخَلَاصِ
هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَهْلِ الْفِطَنِ

تَشْهَدُ لِلجِنْسَيْنِ بِالْكَرَامَةِ
بَيْنَ الرَّيَاضِ غَارِقًا فِي الثَّوَمِ
مُنْتَفَخًا كَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ
فَرَّقَتْ الْوُرُقَاءُ لِلْمِسْكِينِ
وَنَقَرَتْهُ نَقْرَةً ، فَهَبًا
وَحَفِظَ الْجَمِيلَ لِلْحَمَامَةِ
ثُمَّ أَتَى الْمَالِكُ لِلْبُسْتَانِ
لِيُنْذِرَ الطَّيْرَ كَمَا قَدْ أَنْذَرَهُ
فَفَهِمَتْ حَدِيثَهُ الْحَمَامَةُ
فَسَلِمَتْ مِنْ طَائِرِ الرَّصَاصِ
النَّاسُ بِالنَّاسِ ، وَمَنْ يُعْنِ يُعْنِ !

الكلب والبيغاء

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ بَيِّغَاءُ
رَفِيعَةُ الْقَدْرِ لَدَى مَوْلَاهَا
وَكَانَ فِي الْمَتَرِ كَلْبٌ عَلِيٌّ
كَذَا الْقَلِيلُ بِالْكَثِيرِ يَنْقُصُ
فَجَاءَهَا يَوْمًا عَلَى غِرَارٍ
وَقَالَ : يَا مَلِكَةَ الطُّيُورِ

مَا مَلَّ يَوْمًا نُطْقَهَا الْإِصْغَاءُ
وَكُلُّ مَنْ فِي بَيْتِهِ يَهْوَاهَا
أَرْخَصَهُ وَجُودُ هَذَا الْغَالِي
وَالْفَضْلُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ مُرْخِصُ
وَقَلْبُهُ مِنْ بُغْضِهَا فِي نَارِ
وَيَا حَيَاةَ الْأَنْسِ وَالسُّرُورِ

بحسنِ نُطقِكَ الذي قد أصبى	ألا أُرَيْتِي اللِّسَانَ العذبا
لأنني قد حَزْتُ في التفكُّرِ	لَمَّا سمعتُ أنه من سُكْرِ !
فأخرجتُ من طيشِها لسانها	فعضُّهُ بنابه ، فشانها
ثم مضى من فورِهِ يصيحُ :	قطعتُهُ لأنه فصيحُ !
وما لها عندي من ثأرٍ يُعدُّ	غيرَ الذي سمَّوه قَدَمًا بالحسد !

الحمار والجمل

كان لبعضهم حمارٌ وجملٌ	نالهَمَا يوماً من الرِّقِّ مَلَلٌ
فانتظرا بِشائِرِ الظُّلَماءِ -	وانطلقا معاً إلى الجِداءِ
يَحْتَلِيانِ طلعةَ الحرِّيةِ	وَيَنْشَقَّانِ رِيحَهَا الزَّكِيَّةِ
فاتفقا أن يَقْضيا العُمُرَ بها	وارتَضيا بَعائِها وَعُشْبِها
وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ	التفت الحمارُ للبعيرِ
وقال : كَرَبُّ يا أخي عَظِيمٌ	فقفْ ، فشني كُلُّهُ عَظِيمٌ !
فقال : سَلِّ فِدَاكَ أُمِّي وأبي	عسى تَنالُ بي جليلَ المَطلبِ
قال : انطلقْ معي لِإِدراكِ المُنَى	أو انتظرِ صاحِبَكَ الحَرَّ هُنا
لا بُدَّ لي من عَوْدَةِ لِلْبلَدِ	لأنني تَرَكْتُ فيه مِقْوَدِي !
فقال سرِّ والزَّمْ أخاكِ الوَتْدَا	فإنما خُلِقْتَ كي تُعَيِّدا !

دودة القز والدودة الوضّاءة

لدودة القزّ عندي	ودودة الأضواء
حكاية تشتهها	مسامع الأذكياء
لمّا رأت تلك هذي	ثنيّر في الظلماء
سعت إليها ، وقالت :	تعيش ذات الضياء !
أنا المؤمل نفعي	أنا الشهير وفالي
حلا لي الثّمع حتى	رضيت فيه فنائي
وقد أتيت لأحظى	بوجهك الوضّاء
فهل لئور الثرى في	مودتي وإخالي ؟

* * *

قالت : عرّضت علينا	وجهاً بغير حياء !
من أنت حتى تُداني	ذات السنّ والسناء ؟!
أنا البديع جمالي	أنا الرفيع علالي
أين الكواكب مني ؟!	بل أين بدر السماء ؟!
فامضي ؛ فلا ودّ عندي	إذ لست من أكفالي !

* * *

وعند ذلك مرّت	حسناً مع حسناء
تقول : لله ثوبي	في حسنه والبهاء !
كم عندنا من أيادٍ	للدودة الغراء !

ثم انتنت فانت ذى	تقول للحمقاء :
هل عندك الآن شك	في رُبتي القساء ؟
وقد رأيت صنيعي	وقد سمعت ثنائي ؟
إن كان فيك ضياء	إن الشناء ضيالي
وإنه لضياء	مؤيد بالبقاء !

الجمال والتعلب

كان على بعض الدروب جمال	حمله المالك ما لا يحمل
قال : يا للتحس والشقاء !	إن طال هذا لم يطل بقالي
لم تحملي الجبال مثل حملي	أظن مولاي يريد قتلي !
فجاءه التعلب من أمامه	وكان نال القصد من كلامه
قال : مهلاً يا أخوا الأحمال	ويا طويل الباع في الجمال
فانت خير من أخيك حالا	لأنتي أتعب منك بالا
كان قدامي ألف ديك	تسألني عن دمها المسفوك
كان خلني ألف ألف أرنب	إذا نهضت جاذبتني ذنبي
ورب أم جئت في مناخها	فجعلتها بالفتك في أفرانها
يعتني من مرقدي بكاهها	وأفتح العين على شكواها
وقد عرفت خافي الأحمال	فاصبر ، وقل لأمة الجمال :
ليس بجمال ما يمل الظهر	ما الحمل إلا ما يعاني الصدر

الغزاة والأتان

غزاةٌ مرّت على أتانٍ تُقبِلُ الفطيمَ في الأسنانِ
 وكان خطف الظئيلةِ ابنتها الرثا بُودّها لو حَمَلَتْهُ في الحشا
 ففعلت بسيد الصغار ففعل الأتانِ بأينها الحمارِ
 فأسرع الحمارُ نحو أمّه وجاءها والضحكُ مِلْمٍ فيه
 يصيحُ : يا أمّاه ، ماذا قد دها حتى الغزاةُ استخفّت ابنتها ؟

الثعلب الذي انخدع

قد سمع الثعلبُ أهلَ القرى يدعونَ مُحْتَالاً يا ثعلبُ !
 فقال حقاً هذه غابةٌ في الفخرِ لا تُوثى ولا تُطلبُ
 من في الثمى مثلي حتى الورى أصبحتُ فيهم مثلاً يُضربُ
 ما ضرَّ لو وافيتهم زائراً أريهم فوق الذي استغربوا
 لعلهم يُحيون لي زينةً يحضروها الديكُ أو الأرنبُ
 وقصد القومَ وحياتهم وقام فيما بينهم يخطبُ
 فأخذ الزائرُ من أذنه وأعطى الكلبَ به يلعبُ !
 فلا يثق يوماً بذي حيلةٍ إذ ربّما ينخدعُ الثعلبُ !

ثُعَالَة وَالحِمَار

أَتَى ثُعَالَة يَوْمًا مِنْ الصَّوَا حِي حِمَارُ
وَقَالَ إِنْ كُنْتَ جَارِي حَقًّا وَنَعَمَ الْجَارُ
قُلْ لِي فَلَانِي كَتِيبُ مُفَكَّرُ مُحْتَارُ
فِي مُؤَكِّبِ الْأَمْسِ لَمَّا سَرْنَا وَسَارَ الْكِيَارُ . . .
. . . طَرَحْتُ مُوَلَايَ أَرْضًا فَهَلْ بِذَلِكَ عَارُ
وَهَلْ أَتَيْتُ عَظِيمًا ! فَقَالَ : لَا يَا حِمَارُ !

البغل والجواد

بَغْلُ أَتَى الْجَوَادَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَلْبُهُ مُمْتَلِيٌّ مَسْرَّةٍ
فَقَالَ : فَضْلِي قَدْ بَدَأَ يَا خِلِّي وَأَنَّ أَنْ تَعْرِفَ لِي مَحَلِّي
إِذْ كُنْتَ أَمْسٍ مَاشِيًا بِجَانِبِي تَعَجَّبُ مِنْ رَقَصِي تَحْتَ صَاحِبِي
أُخْتَالُ ، حَتَّى قَالَتِ الْعِبَادُ : لَمَنْ مِنَ الْمُلُوكِ ذَا الْجَوَادُ ؟
فَضَحِكَ الْحِصَانُ مِنْ مَقَالِهِ وَقَالَ بِالْمَعْهُودِ مِنْ دَلَالِهِ :
لَمْ أَرْ رَقَصَ الْبَغْلِ تَحْتَ الْغَازِي لَكِنْ سَمِعْتُ نَقْرَةَ الْمِهْمَازِ !

الفأرة والقطة

سَمِعْتُ أَنَّ فَأَرَةً أَتَاهَا شَقِيقُهَا يَنْحَى لَهَا قَتَاهَا
يَصْبِحُ : يَا لِي مِنْ نُحُوسِ بَخْتِي مَنْ سَلَّطَ الْقِطَّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي ؟
فَوَلَّوْتُ وَعَضَّتِ الثَّرَابَا وَجَمَعَتْ لِلْمَأْتَمِ الْأَتْرَابَا
وَقَالَتْ : الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَائِي لَا خَيْرَ لِي بِعَدِّكَ فِي الْحَيَاةِ
مَنْ لِي بِهَرٍّ مِثْلِي ذَاكَ الْهَرِّ يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمَرِّ ؟
وَكُنَ بِالْقُرْبِ الَّذِي تَرِيدُ يَسْمَعُ مَا تُبْذِي وَمَا تُعِيدُ
فَجَاءَهَا يَقُولُ : يَا بُشْرَاكِ إِنَّ الَّذِي دَعَوْتَ قَدْ لَبَّاكَ !
فَفَزَعَتْ لَمَّا رَأَتْهُ الْفَأَرَةُ وَاعْتَصَمَتْ مِنْهُ بَيْنَ الْجَارَةِ
وَأَشْرَفَتْ تَقُولُ لِلسَّفِيهِ : إِنَّ مِتُّ بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ ؟

الغزال والخروف والتيس والذئب

تَنَازَعَ الْغَزَالُ وَالْخُرُوفُ وَقَالَ كُلُّ : إِنَّهُ الظَّرِيفُ
فَرَأَى التَّيْسَ ، فَظَنَّ أَنَّهُ أَعْطَاهُ عَقْلًا مَنْ أَطَالَ ذَقْنَهُ !
فَكَلَّفَاهُ أَنْ يُفْتَشَ الْفَلَا عَنْ حَكْمٍ لَهُ اعْتِبَارٌ فِي الْمَلَا
يَنْظُرُ فِي دَعَوَاهِمَا بِالذِّقَّةِ عَسَاهُ يُعْطِي الْحَقَّ مُسْتَحِقَّهُ
فَسَارَ لِلْبَحْثِ بِلَا تَوَانِي مُفْتَخِرًا بِثِقَةِ الْإِخْوَانِ
يَقُولُ : عِنْدِي نَظَرَةٌ كَبِيرَةٌ تَرْفَعُ شَأْنَ التَّيْسِ فِي الْعَشِيرَةِ
وَذَلِكَ أَنْ أَجْدَرَ الثَّنَاءِ بِالصِّدْقِ مَا جَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ
وَإِنِّي إِذَا دَعَوْتُ الذِّبْيَا لَا يَسْتَطِيعَانِ لَهُ تَكْذِيبَا

لَكُونَهُ لَا يَعْرِفُ الْغَزَالَا وَلَيْسَ يُبْلِي لِلْخُرُوفِ بِالَا
ثُمَّ أَتَى الذِّيبَ ، فَقَالَ : طَلَّبْتِي أَنْتَ ، فِسْرَمَعِي ، وَخُذْ بِلِحْتِي !
وَقَادَهُ لِلْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ فَقَامَ بَيْنَ الظُّبَيْ وَالْخُرُوفِ
وَقَالَ : لَا أَحْكُمُ حَسَبَ الظَّاهِرِ فَمَزَّقَ الظُّبَيْينِ بِالْأُظْفَارِ
وَقَالَ لِلنِّسِ : انْطَلِقْ لِشَانِكَا مَا قَتَلَ الْخَصْمَيْنِ غَيْرَ ذَقْنَا !

الثعلب والأرنب والديك

مَنْ أَعْجَبَ الْأَخْبَارِ أَنْ الْأَرْنَبَا لَمَّا رَأَى الدِّيكَ يَسُبُّ الثَّعْلَبَا
وَهُوَ عَلَى الْجِدَارِ فِي أَمَانٍ يَغْلِبُ بِالْمَكَانِ ، لَا الْإِمْكَانِ
دَاخِلُهُ الظَّنُّ بِأَنَّ الْمَاكِرَا أَمْسَى مِنَ الضَّعْفِ يُطَبِّقُ السَّاحِرَا
فَجَاءَهُ يَلْعَنُ مِثْلَ الْأَوَّلِ عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلِ
فَعَصَفَ الثَّعْلَبُ بِالضَّعِيفِ عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبَ بِالْخُرُوفِ
وَقَالَ : لِي فِي دَمِكَ الْمَسْفُوكِ تَسْلِيَةً عَنْ خِيْبَتِي فِي الدِّيكِ !
فَالْتَفَتَ الدِّيكُ إِلَى الذِّيبِ وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ
مَا كُلُّنَا يَنْفَعُهُ لِسَانُهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطَقُهُ مَكَانُهُ !

الثعلب وأُمُّ الذئب

كان ذئبٌ يَتَغَدَّى	فجرت في الزُّور عَظْمَةٌ
الزَّمَنَةُ الصُّومَ حَتَّى	فَجَعَتْ في الروح جِسمَةٌ
فأتى الثعلبُ يِكِي	ويُعزِّي فيه أُمَّهُ
قال : يا أُمُّ صديقي	بيَ مَما بِكَ عُمَّةُ
فاصبري صبراً جميلاً	إنَّ صَبْرَ الأُمِّ رَحْمَةٌ !
فأجابت : يا ابنَ أُختي	كلُّ ما قد قلتَ حِكْمَةٌ
ما بيَ الغالي ، ولكن	قولُهُم : ماتَ بِعَظْمَةٍ !
لِئَنَّهُ مِثْلَ أُخِيهِ	ماتَ محسوداً بِشُخْمَةٍ !

ديوان الأطفال

الهرة والنظافة*

هِرَّتِي جِدُّ أَلِفَةٍ وَهِيَ لِلْبَيْتِ حَلِيفَةٌ
 هِيَ مَا لَمْ تَتَحَرَّكَ دُمِيَّةُ الْبَيْتِ الظَّرِيفَةُ
 فَإِذَا جَاءَتْ وَرَاحَتْ زَيْدٌ فِي الْبَيْتِ وَصِيفُهُ
 شَغَلَهَا الْفَارُّ : تُنْقِي الرُّ فَ مِنْهُ وَالسَّقِيفَةُ
 وَتَقُومُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَ بِأَوْرَادِ شَرِيفِهِ
 وَمِنَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَمْ يَلِكُ سِوَى فِرِّوِ قَطِيفِهِ
 كَلَّمَا اسْتَوَسَّخَ ، أَوْ آ وَى الْبِرَاغِيَّ الْمُطِيفِهِ
 غَسَلَتْهُ ، وَكَوَتْهُ بِأَسَالِيبَ لَطِيفِهِ
 وَحَدَّتْ مَا هُوَ كَالْحَمَاءِ مَ وَالْمَاءِ وَظِيفِهِ
 صَبَّرَتْ رِيْقَتَهَا الصَّا بُونَ ، وَالشَّارِبَ لَيْفِهِ

* * *

لَا تُرْمَنْ عَلَى الْعَيْنِ وَلَا بِالْأَنْفِ جِيفُهُ
 وَتَعُوذُ أَنْ تُثْلَقَى حَسَنَ الثَّوْبِ نَظِيفُهُ
 إِنَّمَا الثَّوْبُ عَلَى الْإِنْسِ إِنْ عُنُوَانُ الصَّحِيفِ

* مجموعة من الشعر السهل ، نظمها لتكون للأطفال أدباً وثقافة .

الجدّة

لي جدّة تُرافُ بي أحنى عليّ من أبي
 وكلُّ شيءٍ سرّني تذهبُ فيه مذهبي
 إن غضِبَ الأهلُ عليّ كلُّهم لم تغضبِ
 مشى أبي يوماً إليّ مشيةً المؤدّبِ
 غضباناً قد هدّدَ بالضرِّ بـ ، وإن لم يضربِ
 فلم أجد لي منه غيرَ جدّتي من مهرَبِ
 فجعلتني خلفها أنجو بها ، وأختي
 وفيّ نقولُ لأبي بلهجةِ المؤنّبِ :
 ويحُّ له ! ويحُّ له لذا الولدُ المُعذّبُ !
 ألم تكن تصنعُ ما يصنعُ إذ أنت صبي !

الوطن

عُصفورتانِ في الحِجَا زِ حَلَّتَا على فتنِ
 في خاملٍ من الرِّيا ضِ ، لا نَدِ ، ولا حَسَنِ
 بيناهُمَا تَنَتَجَيَا
 مرَّ على أَيْكِهِمَا رِيحُ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
 حيّاً وقال : دُرَّتَا :
 نِ في وعاءِ مُمْتَهَنِ !

لقد رأيتُ حَوْلَ صَدِّ حاء ، وفي ظلِّ عَدَنٍ
 خَمَانًا كأنها بَقِيَّةٌ من ذي يَزَنٍ
 الحَبُّ فيها سُكَّرُ والماءُ شُهْدٌ وَلَبَنٌ
 لم يرها الطَّيْرُ ولم يَسْمَعْ بها إلا افْتَنَ
 هبًا اركباني نأيتها في ساعة من الزمن

* * *

قالت له إحداهما والطَّيْرُ مِنْهُنَّ الفَطِينُ :
 يا ربيعُ أنتَ ابنُ السَّيِّئِ ل ، ما عَرَفْتَ ما السَّكَنُ
 هبْ جنةَ الخُلْدِ اليَمَنِ لا شيءَ يَعْدِلُ الوطنَ !

الرَّفَقُ بالحيوان

الحيوانُ خَلَقُ له عليك حَقُّ
 سَخَّرَهُ اللهُ لَكَ وللعبادِ قبلَكَ
 حَمُولَةٌ الأُنْقَالِ ومُرْضِعُ الأَطْفَالِ
 ومُطْعِمُ الجماعةِ وخادِمُ الزَّراعهِ
 مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُرْفَقَ بِهِ وَأَلَّا يُزْهَقَ
 إِنْ كَلَّ دَعَهُ يَسْتَرْخِ ودأوه إِذَا جُرِحَ
 وَلَا يَجْعُ فِي دَارِكَا أَوْ يَظْمُ فِي جَوَارِكَا
 بَهِيمَةٌ مِسْكِينُ يشكو فلا يُبِينُ
 لسانُهُ مَقْطُوعُ وما له دُمُوعُ !

١ صنعاء وعدن : من بلاد اليمن .

٢ ذو يزن : من أقباب ملوك اليمن في التاريخ القديم .

الأم

لولا التقي لقلتُ : لم يخلقُ سِوَاكَ الْوَلَدَا !
 إن شئتِ كان العيرُ ، أو إن شئتِ كان الأسدَا
 وإن بُردَ عَيًّا عَوَى أو تبغِ رُشدًا رُشدَا
 واليتُ أنتِ الصوتُ فيه ه ، وهو للصوتِ صدَى
 كالبيعا في قفصٍ : قيلَ له ، فقلّدا
 وكالقضبِ اللدني : قد طاوَع في الشكْلِ البِدا
 بأخذُ ما عودِبه والمرءُ ما تعودَا !

ولد الغراب

وممهدٌ في الوكرِ من ولدِ الغرابِ مُزقنُ
 كرويهبٍ مُتقلِّسٍ مُنأزِرٍ ، مُتنطقٍ
 لبسَ الرَّمَادَ على سِوَا دِ جَنَاحِهِ وَالْمَفْرِقِ
 كالْفَحْمِ غَادِرٍ فِي الرَّمَا دِ بَقِيَّةً لَمْ تُحْرِقِ
 ثُلثَاءُ مِنْقَارٍ ورَأ سٌ ، والأظافرُ مَا بَقِيَ
 ضَخْمُ الدَّمَاعِ عَلَى الحُلُو مِنْ الحِجَى والمنطقِ
 مِنْ أُمِّهِ لَنِي الصَفْدِ يَرُ مِنْ البَلِيَّةِ مَا لَقِيَ

١ رويب : راهب صغير ، والمتقلّس ، والمتأزّر ، والمتنطق : الذي يلبس القلنسوة ، والأزار ، والنطاق ، كالرهبان .

جَلَبْتُ عَلَيْهِ مَا تَنُو دُ الْأَمْهَاتُ وَتُنِي
فُنْتُ بِهِ ، قَتَوَهْمَتْ فِيهِ قَوَى لَمْ تَخْلُقْ
قَالَتْ : كَبُرَتْ ، فُنِبَ كَمَا وَتِبَ الْكِبَارُ ، وَحَلَّقْ
وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ ، لَمْ تُحْرِصْ ، وَلَمْ تُسْتَوِ
فَهَوَى ، فَمَزَّقَ فِي فِنَا الدَّارِ شَرُّ مُمَزَّقْ
وَسَمِعْتُ قَاقَاتٍ تَرُدُّ دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتِي
وَرَأَيْتُ غُرْبَانًا تَفَرُّ قُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْتِي
وَعَرَفْتُ رَنَةَ أُمِّهِ فِي الصَّارِخَاتِ الثَّقِي
فَاشْرَتْ ، فَالْتَفَتَتْ ، فَقَدْ لَهَا مَقَالَةٌ مُشْتَقِي :
أَطْلَقْتِهِ ، وَلَوْ امْتَحَنَ سِتْرَ جَنَاحِهِ لَمْ تُطْلَقِي
وَكَمَا تَرَفَّقَ وَالِدَا لِكَ عَلَيْكَ لَمْ تَرَفَّقِي !

النَّيْلُ

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ
رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْصَرُ !

* * *

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ ، الْقُدْسُ السَّاقِي النَّاسَ وَمَا عَرَسُوا
وَهُوَ الْمِثْوَالُ لَمَّا لَبَسُوا وَالْمَنْعَمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

* * *

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعًا لَمْ يُخْلِ الْوَادِيَّ مِنْ مَرَعَى

قَرَى زرعاً يَتَلو زرعاً وهنا يُجنى ، وهنا يُنذر

• • •

جارٍ ويَرى ليس بجارٍ لأناسٍ فيه ووقار
يَنْصبُ كَتْلُ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحْسَبُهُ يَزَارُ

• • •

حَبَشِيٍّ اللَّوْنُ كَجِيرَتِهِ مِنْ مَنَبِيْعِهِ وَبُحَيْرَتِهِ
صَبَغَ الشُّطْنَيْنِ بِسُورَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنَبِ

المدرسة

أنا المدرسةُ أَجْعَلُنِي	كأُمٌ ، لا تَمِلْ عَنِّي
ولا تَفْرُغْ كَمَاخُوذٍ	من البيتِ إلى السُّجْنِ
كَأَنِّي وَجْهٌ صَبَّادٍ	وأنت الطيرُ في الغصنِ
ولا بُدُّ لَكَ اليَوْمَ	- وإلا فغداً - مِنِّي
أَوْ اسْتَغْنِ عَنِ الْعَقْلِ	إِذْنُ عَنِّي تَسْتَغْنِي
أنا المِصْبَاحُ لِلْفِكْرِ	أنا المِفْتَاحُ لِلذُّهْنِ
أنا البابُ إلى المجدِ	تعالِ ادْخُلْ على اليَمْنِ
غداً تَرْتَعُ في حَوْثِي	ولا تَشْبَعُ من صَحْثِي
وَأَلْفَاكُ بِإِخْوَانِي	يُدَانُونَكَ في السَّنِ
تُنَادِيهِمْ بِيَا فِكْرِي	وَيَا شَوْقِي ، وَيَا حُسْنِي
وَأَبَاءُ أَحَبُّوكَ	وما أنتَ لهم بَابُنِ

نشيد مصر

بني مصر مكانكمو تهيّا فهيّا مهّدوا للملك هيّا
خُنّوا شمسَ النهارِ له حليّا ألم تَكُ تاجُ أولكم مليّا ؟!

* * *

على الأخلاقِ خُطّوا الملكَ وابنوا فليسَ وراءها للعزّ رُكن
أليسَ لكم بوادي التّيلِ عَدْنُ وكوثرها الذي يجري شهيا ؟!

* * *

لنا وطنٌ بأنفسينا نقيه وبالدينا العريضة نفتديه
إذا ما سيّلتِ الأرواحُ فيه بدّلناها كأنْ لم نعطِ شيّا

* * *

لنا الهرمُ الذي صحبَ الزمانا ومن حدّثناه أخذ الأمانا
ونحنُ بنو السّنا العالي ، نمانا أوائلُ علّموا الأمم الرّقبا

* * *

تطاوَلْ عهدُهُم عِزا وفخرا فلما آلَ للتاريخِ ذُخر
نشأنا نشأةً في المجدِ أخرى جَعَلْنَا الحقَّ مَظْهَرها العليّا

* * *

جعلنا مِصرَ مِلّةٍ ذي الجلالِ وألّفنا الصليبَ على الهلالِ
وأقبلنا كصفٍّ من عوالي يُشدُّ السّمهريُّ السّمهريّا

* * *

زومُ لمِصرَ عِزا لا يُرامُ يَرفُ على جوانبه السّلامُ
وينعمُ فيه جيرانُ كرامُ فلن تَجِدَ التّزِيلَ بنا شقيّا

* * *

نقومُ على البناية مُحسِنينا ونعهدُ بالثَّمامِ إلى بنيِنا
إِلَيْكَ نَموتُ - مصرُ - كما حِينا وَيَبْقَى وَجْهَكَ المَفْدِي حَيًّا

نشيد الكشافة

نحنُ الكَشَّافَةُ في الوادي جَبْرِيلُ الروحُ لنا حادي
يا ربُّ ، بَعِيسَى ، والهادي وبمُوسَى خُذْ يَدِ الوطنِ

* * *

كشافةُ مصرَ ، وصبيُّها ومناةُ الدارِ ، ومُنْبِيها
وجَمالُ الأرضِ ، وحليُّها وطلائعُ أَفراحِ المَدِينِ

* * *

نَبْتَلِزُّ الحَيْرَ ، ونَسْتَبِقُ ما يَرْضَى الخالقُ والخلقُ
بالنفسِ وخالِقِها نَتَّقُ ونَزِيدُ وثوقاً في المِخْنِ

* * *

في السَّهْلِ نَرِفُ رِياحينا ونَجوبُ الصَّخْرِ شياطينا
نُتَبِّئُ الأبدانَ وتبنيِّنا والهِمَّةُ في الجسمِ المَرِنِ

* * *

ونُخَلِّي الخلقَ وما اعتقدوا ولَوَجَّهَ الخالقِ نَجْتَهُدُ
نأسوا الجرحى أَنَّى وَجِدُوا ونُداوي مِنْ جَرَحِ الزَّمَنِ

* * *

في الصَّدَقِ نَشأنا والكُومِ والعِفَّةِ عن مَسِّ الحَرَمِ
ورعايةَ طفلٍ أو هَرَمِ والدُّودِ عن الغِيْدِ الحُصْنِ

* * *

وَنُؤَافِي الصَّارِخَ فِي اللُّجَجِ وَالنَّارِ السَّاطِعَةِ الْوَهْجِ
لَا نَسْأَلُهُ نَعْمَ الْمُهْجِ وَكُفَى بِالوَاجِبِ مِنْ نَعْمِ

* * *

يَا رَبُّ ، فَكَّرْنَا عَدَا وَابْذُلْ لِأَبْوَرِنَا الْمَدَا
هَبِيْ لَهُمْ وَلَنَا رَشْدَا يَا رَبُّ ، وَخُذْ بِيَدِ الْوَطَنِ

من شعر الصبا

«وقال في صباه يهنئ الخديوي توفيق بعيد الفطر
ويشير إلى صلة أنفذهما إليه وهو في الدراسة بأوروبا» :

قصر الأعرزة ، ما أعزَّ حِمَاكَ !
تساءلُ العربُ المقدَّسُ يثها :
وتقولُ إذ تَأْتِيكَ تَلَمِّسُ الهُدَى :
يا مُلْتَمِى القَمَرَيْنِ ، ما أبهاك ! بل
إنَّ الأمانةَ ، والجلالةَ ، والعلا
ما العزُّ إلا في ثرى القَدَمِ التي
يا سادِسَ الأمراءِ من آبابه
الثُّركُ تقرأ باسمِ جدِّك في الوعى
نَسَبُ لو انْتَمَت الثُّجُومُ لِعَقْدِهِ
شرفاً - عزيزَ العصرِ - فُتْ مُلُوكُهُ
لك جُئَةُ الدنيا ، وكوثرها الذي
ولك المدائنُ والثغورُ مَنِيعةُ
مُلْكُ رَعِيَتِ اللهَ فيه ، مؤيِّداً
فاقتَ امرأً - يا أبا العباسِ - ما
إنَّ يَعرِضُوهُ على الجبالِ تَهْنُ له
بسياسةٍ تَقْفُ العقولُ كَلِيلَهُ
وبِحِكْمَةٍ في الحُكْمِ توفيقِيَّةِ

وأجلَّ في العَلْيَاءِ بَدْرَ سَمَاكَ !
أُعيدَ باني رُكنِهِ فَبِنَاكَ ١٩
سَيَّانِ هذا في الجلالِ وذاكَ
يا مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ، ما أَصفاكَ !
في هَالَةٍ دارتْ على مِغناكَ
حَسَدَتْ عليها النِّيرَاتُ ثِراكا
ما للإِمَارَةِ مَنْ يُعَدُّ سِواكَ
والعُربُ تذكُرُ في الكتابِ أبَاكَ
لَتَرَفَعَتْ أن تَسْكُنَ الأفلَاكَ
فضلاً ، وفاتَ بَنِيهِمْ نَجَلاكَ
يجري به في الملكِ شَرَطُ غِناكَ
في مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ نَحْتَ لِواكَ
باسمِ النَبِيِّ ، مَوْفَقاً مَسعاكَ
مُونِ السَّيْلِ على رَشِيدِ نُهاكَ
وهيَ الجِبَالُ ، فما أَشدُّ قِواكَ
لا تَسْتَطِيعُ لَكُنْهَها إدراكا
لك يَعتَني فيها الرِّجالُ خُطاكَ

• • •

١ هو توفيق بن إسماعيل .

مَوَلَايَ ، عِيدُ الْفَطْرِ صُبْحُ سُعُودِهِ فِي مِصْرَ أَسْفَرَ عَنْ سَنَا بُشْرَاكَ
 فَاسْتَقْبَلِ الْآمَالَ فِيهِ بِشَائِرًا وَأَشَائِرًا تُجَلِّي عَلَى عَلْيَاكَ
 وَتَلْقُ أَعْيَادَ الزَّمَانِ مُنِيرَةً فَهَنَاؤُهُ مَا كَانَ فِيهِ هَنَاكَ
 يَا أَمْلَكَ الْفَرْ السَّعِيدَةَ كُلُّهَا عِيدٌ ، فَعِيدُ الْعَالَمِينَ بَقَاكَ
 فَلْيَتَّقِ يَتَكَ ، وَلْيَدُمُ دِيْوَانُهُ وَلْيَحْيَ جُنْدُكَ ، وَلْيَعِشْ شُورَاكَ
 وَلْيَهْنِ بِكَ كُلَّ يَوْمٍ أَتِي فِي أَلْفِ عِيدٍ مِنْ سُعُودِ رِضَاكَ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَرِيبُ ، إِلَيْكُمَا عِذَاءُ هَامَتْ فِي صِفَاتِ عُلَاكَ
 فَطُوتُ إِلَيْكَ الْبَحْرَ أَيْضَ نِسْبَةً لِنَظِيرِهِ الْمُرُودِ مِنْ يُمْنَاكَ
 قَلِمْتُ عَلَى عِيدٍ لِبَابِكَ بَعْدَمَا قَلِمْتُ عَلَى جَدِيدَةٍ نُعْمَاكَ
 أَوْ كَلِمًا جَلَدْتُ نَدَاكَ رَوِيَّتِي سَبَقْتُ ثَنَائِي بِالْأَرْتَجَالِ يَدَاكَ ١٩
 أَنْتَ الْغَنِيُّ عَنِ الثَّنَاءِ ، فَلَنْ تُرَدَّ مَا يُطْرَبُ الْمَلِكُ الْأَدِيبُ فَهَاكَ !

قصر المنتزه*

مُنْتَزَعُ الْعَبَّاسِ لِلْمُجْتَلَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَجَنَّاتِهِ !
 الْعِيشُ فِيهِ لَيْسَ فِي غَيْرِهِ يَا طَالِبَ الْعِيشِ وَلَذَائِهِ
 قُصُورُ عَزٍّ بِإِذْخَاتِ الدُّرَى يَوْذُهَا كَسَرَى مَشِيدَاتِهِ
 مِنْ كُلِّ رَاسِي الْأَصْلِ نَحْتُ الثَّرَى مُحِيرُ النَجْمِ بِذِرْوَاتِهِ
 دَارَتْ عَلَى الْبَحْرِ سَلَالِمُهُ فَبِتْنِ أَطْوَقَا لِلْبَّاتِهِ
 مُنْتَظِمَاتٌ مَائِجَاتٌ بِهِ مُنْمَقَاتٌ مِثْلَ لُجَّاتِهِ

* وقال بصف قصر المنتزه العاشر بالإسكندرية بعد رؤية معاله الشائقة بدعوة من الجناب العالي سنة

من الرخامِ النذرِ ، لكنها
 من عملِ الإنسِ ، سوى أنها
 والريحُ في أبوابه ، والجوا
 وغابه مَنْ سارَ في ظلّها
 بالطولِ والعرضِ بُاهي ، فذا
 والرَّمْلُ حالٍ بالضّحي مُذهبٌ
 وئرعةٌ لو لم تكن حلوةٌ
 أو لم تكن ثمّ حياة الثرى
 وفي فَمِ البحرِ لِمَنْ جاءه
 تتَحَشَّدُ الطَّيْرُ بأكفانه
 مِنْ معزٍ وَحشيّةٍ ، إن جرّت
 أو وثبتَ فالنَّجمُ من تحتها
 وأرنبٌ كالثملِ إن أحصيت
 يعلو بها الصَّيْدُ ويعلو إذا
 ومن ظباءٍ في كِناساتها
 والخيلُ في الحيِّ عراقيّةٌ
 غرٌّ كأيامِ عزيزِ الورى

مُنازعُ الجوهرِ قيماته
 تُنسي سليمانَ وجنّاته
 ري مائلاتٌ دون ساحاته
 يأتي على البُسفورِ غاباته
 واف ، وهذا عند غايته
 يُصدّي الظلّ سبيكاته
 أنست « لَمَرَّتَيْنِ » بُحيراته
 لم تُبقي في الوصفِ لحيّاته
 لسانُ أرضٍ فاقَ فُرْصاته
 ويجمعُ الوحشُ جماعته
 أرّت من الجزريّ نهائاته
 والسُّورُ في أسرِ أسيراته
 ثبتُ في الرَّمْلِ وأبياته
 ما قيصرُ ألقى جباله
 تهيجُ للعاشقِ لوعاته
 تحمي وتحمي في بُيوتاته
 مُحجّلاتٌ مثل أوقاته

«وقال يهنئ الخديوي توفيق بقدم نجليه من سياحتهما بأوروبا» :

ما بات يُنْخِي على عليكِ إنسانُ
وما تَهَلَّلَتْ إِذْ وافاكِ ذو أملٍ
الله ساحتك المسعود قاصدُها
لئن تباهى بك الدينُ الحنيفُ لكم
ثراقبُ الله في ملكٍ تدبره
أنجى لك الله أنجالاً يهيبهم
أعزّةً أينما حلت ركايبهم
لم تنهم عن طلاب العلم في صغرٍ
تأبى السعادة إلا أن تُسايَروهم
نجلان قد بلغا في الجحد ما بلغا
يكفيهما في سبيل الفخر أن شهدتا
هُما هُما ، تعرفُ العلياء قدرهُما
ما الفرقدان إذا يوماً هُما طلعا

إلا وانت لعين الدهر إنسانُ
إلا وأدهشته حُسنٌ وإحسانُ
فإنما ظلها أمنٌ وإيمان !
تقومت بك للإسلام أركان
فانت في العدلِ والتقوى سليمان
لرفعة الملك إقبالٌ وعِزّان
لهم مكانٌ كما شأوا وإمكان
في عزّ ملكك - أوطارٌ وأوطان
لأنهم لملوك الأرضِ ضيفان
مُعظّمٌ لهما بين الورى شان
بفضلِ سبقهما روسُ وألمان
كلاهما كلفُ بالجحد يقطان
في موكبِهما يزهو ويزدان ؟

* * *

يا كافي الناس بعد الله أمرهم
ويا منيل المعالي والتدى كرمًا
مولاي ، هل لفتى الباب معذرة
سمى على قدم الإخلاص مُلتبسًا
أرى جَنابك روضاً للندى نضراً
لا زالَ ملكك بالأنجالِ مُبتَهجا

التصرُّ إلا على أيدبك خِذلان
الريح من غيرِ هذا البابِ خُسران
فعقله في جلالِ الملك حيران ؟
رضاك ، فهو على الإقبالِ عُنوان
لأنَّ عُصنَ رجالي فيه رَيّان
ما بات يُنْخِي على عليكِ إنسان

«وقال مهتاً للخديوي عباس بولادة إحدى الكريمات»

أعطى البرية إذ أعطاك بارها	فهل يُهَيِّك شعري أم يُهَيِّها ؟
أنت البرية ، فاهناً ، وهي أنت ، فن	دعاك يوماً ليتها فهو داعيها
عيدُ السماء وعيدُ الأرض بينهما	عيدُ الخلاق قاصيها ودانيها
فبارك الله فيها يومَ مولدها	ويومَ يرجو بها الآمالَ راجيها
ويومَ تُشرقُ حول العرشِ صبيتهَا	كهالةِ زانتِ الدنيا دَراريها
إنَّ العنايةَ لَمَّا جاملتْ وعدتْ	ألا تُكُفَّ وأن تُتْرَى أياديها
بكلِّ عالٍ من الأنجالِ تحسبه	من الفراقيدِ لو هَشَّتْ لرائيها
يقومُ بالعهدِ عن أوفى الجلودِ به	عن والدٍ أبلجِ الذمَّاتِ عاليها
ويأخذُ الجحدَ عن مصرٍ وصاحبها	عن السَّراةِ الأعالي من مواليها
الناهضين على كرسيِّ سُوددها	والقابضين على تاجيِّ معاليها
والساهرين على التَّيلِ الخفيِّ بها	وكأسها وحُمَيَّها وساقبيها

* * *

مولاي ، للنفسِ أن تُبدي بشائرها	بما رزقتَ ، وأن تهدي نهائنها
الشمسُ قدراً ، بلِ الجوزاءِ مترلةً	بلِ الثُّريا ، بلِ الدنيا وما فيها
أُمُّ البنينِ إذا الأوطانُ أعوزَها	مُدبِّرُ حازمٍ أو قلَّ حاميتها
مِنَ الإناثِ سوى أن الزمانَ لها	عبدٌ ، وأنَّ المَلا خُدامُ ناديتها
وأنها سرُّ عباسٍ وبضعتُهُ	فهنيَ الفضيلةُ ، ما لي لا أُسمِّيها ؟!
أغرَّ يستقبلُ العصرُ السلامَ به	وتشرقُ الأرضُ ما شاءتْ لياليها

١ ترى : متواترة متابعة ، وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تواتر .

عالي الأريكة بين الجالسين ، له من المفاخر عاليها وغاليها
عباسٌ ، عِشْ لنفوسٍ أنتِ طَلَبْتِها وأنتِ كلُّ مُرادٍ من تناجيها
تُبدي الرجاء وتدعوه لِيَصْدُقْها والله أصدق وعداً ، وهو كافيا

يَنِي وَيْن أَبِي الْعَلَاءِ

يَنِي وَيْن أَبِي الْعَلَاءِ قَضِيَّةٌ فِي الْبِرِّ أَسْتَرْعِي لَهَا الْحُكَمَاءُ
هُوَ قَدْ رَأَى تُعْنَى أَبِيهِ جِنَايَةً وَأَرَى الْجِنَايَةَ مِنْ أَبِي نَعْمَاءُ

دَوَاءُ الْمُتَيْمِّمِ

دَاوِ الْمُتَيْمِّمَ ، دَاوِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِدَ الدَّوَا
إِنَّ التَّوَاصِيحَ كُلَّهُمْ قَالُوا بِتَبْدِيلِ « الْهَوَا »^١

* * *

فَتَحْتُمُو بَاباً عَلَى صَبِّكُمْ لِلصَّدِّ ، وَالْهَجْرِ ، وَطُولِ التَّوَى
فَلَا تَلُومُوهُ إِذَا مَا سَلَا قَدْ فُتِحَ الْبَابُ وَمَرَّ « الْهَوَا »^٢

١ يشير إلى قول أبي العلاء المري :

« هذا جناه أبي علي ، وما جنيت على أحد . »

وتبو العلاء لم يتزوج ولم يتجب .

٢ يستعمل الشاعر كلمة « الهوى » على طريقة الإيهام عند البديعيين فيقصد معنى ويوهم معنى غيره وهو « مقصور الهوا » غير الهوى بمعنى العشق والهبة .

وكتب على صورة مُهداة لصديق

سَعَتْ لَكَ صُورَتِي ، وَأَتَاكَ شَخْصِي
لَأَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وَفِيَّ أَصْلُ
وَهَبْهَا صُورَةً مِنْ غَيْرِ رُوحٍ
وَسَارَ الظِّلُّ نَحْوَكَ وَالْجِهَاتُ
وَحَيْثُ الْأَصْلُ تَسْعَى الْمُتَحَقِّقَاتُ
أَلَيْسَ مِنَ الْقَبُولِ لَهَا حَيَاةٌ ؟ !

محجوييات

بين مكسوني والأوتوموبيل*

لکم فی الخطَّ سيارَة	حديثُ الجارِ والجارة
أوفرلاندُ يُنبِّئُ	بها القنصلُ طمارة ^١
كسيارة شارلوت	على السواقِ جبارَة ^٢
إذا حركها مالت	على الجيتيْنِ متهارة !
وقد تخرنُ أحياناً	وتمشي وحدها تارة
ولا تُشبِعُها عَيْنُ	مِنَ البنزينِ فواره
ولا تُروى من الرِّيتِ	وإن عامتْ به الفاره
ترى الشارعَ في دُغر	إذا لاحتْ من الحارة
وصبياناً يَصْجُونُ	كَمَا يَلْقَوْنَ طياره
وفي مَقْدَمِها بوقُ	وفي المؤخِرِ زَمَارَه
فقد تَمشي متى شاءتْ	وقد ترجعُ مُختاره
قضى الله على السَّوا	ق أن يجعلها داره !

* كان بين الشاعر والدكتور محبوب ثابت صلة متينة من الود ، وكان بينهما مسامرات ومداعبات أوحى إلى الشاعر ببعض ما ننشره بعد من شعر الفكاهة .

كان للدكتور محبوب ثابت حسان يرتاد به ما شاء من أحياء القاهرة في أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه « مكسوني » وهو اسم بطل إيرلندي مشهور انتحرجوعاً ، يكون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به .

وقد استبدل به الدكتور محبوب سيارة ، فنظم الشاعر هذه القصيدة يداعب الدكتور ويعزي حصانه . وقد نشرت هذه القصيدة في سنة ١٩٢٤ .

١ الشيخ طمارة : كان إماماً بالقضية المصرية في واشنطن .

٢ يعني شارلي شابلن الممثل الهزلي المشهور .

يُقَضِّي يَوْمَهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَا زَارَهُ !

* * *

أَدْنِيَا الْخَيْلِ يَا مَكْسِي كَدُنِيَا النَّاسِ غَدَارَهُ ١٩
لَقَدْ بَدَّلَكَ الدَّمْرُ مِنْ الْإِقْبَالِ إِدْبَارَهُ
فَصَبْرًا يَا فَتَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبْرَهُ
أَحَقُّ أَنْ مَحْجُوبًا سَلَا عَنْكَ بِفَخَّارِهِ ؟
وَبَاعَ الْأَبْلَقَ الْحُرُّ بِأَوْفَرِ لَأَنْدِ نَعَارِهِ ؟
وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ الْفَضْلَ وَلَا قَدْرَ آثَارِهِ
قَدْ اخْتَارَ لَكَ الشَّلْحَ وَمَا كُنْتَ لِتَخْتَارَهُ
فَسَلِّهِ : مَا هُوَ الشَّلْحُ ؟ عَسَى يُنْبِئَكَ أَخْبَارُهُ
كَأَنَّ لَمْ تَحْمِلِ الرَّأْيَ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالشَّارِهِ ١
وَلَمْ تُرْكَبْ إِلَى الْهَوْلِ وَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى الْغَارِهِ
وَلَمْ تُعْطِفْ عَلَى جَرْحِي مِنْ الصُّبْبَةِ نَظَارِهِ
فَمَضْرُوبٌ بِرَشَّاشٍ وَمَقْلُوبٌ بِغَدَارِهِ
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَدُّ فَتًى مَحْجُوبًا وَلَا بَارِهِ
فَلَا الْبِرْسِيمُ تُذْرِيهِ وَلَا تَعْرِفُ نَوَارِهِ !
وَقَدْ تَرَوَى عَلَى صُلَّتِي إِذَا نَادَمْتَ سُؤَارِهِ ٢
وَقَدْ تَسَكَّرَ مِنْ خَوْدِي عَلَى الْإِفْرِيزِ مِغْفَارِهِ
وَقَدْ تَشَبَّعُ يَا ابْنَ اللَّيْلِ لِي مِنْ رَنَّةٍ قَيْثَارِهِ !

* * *

عَسَى اللَّهُ الَّذِي سَاقَ إِلَى يَوْسُفَ سَبَّارِهِ

١ يشير إلى ملازمته إياه إبان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .
٢ مشرب عام في القاهرة كان يرتاد الصفوة من سكان القاهرة ونزلها .

فكانت خلفهم دُنْيا له في الأرضِ كباره
يَبْـيـي لك هَوَّاراً كريماً وابنَ هَوَّاره'
فإن الحظَّ جَوَّالٌ وإنَّ الأرضَ دَوَّاره !

مَكْسُونِي*

تَهْدِيكَ - يا مَكْسُ - الجِيادُ الصَّلاَدِمُ وتغدي الأَساةُ الطُّسُ مَنْ أَنْتَ خادِمُ
كَأَنْكَ - إن حاربتَ - فوَقَكَ عَتَرُ وتحتَ ابنِ سينا أَنْتَ حينَ تَسالِمُ
سُجْزَى التَّمائِيلَ التي لَيسَ مِثْلُها إذا جاءَ يَوْمُ فيه تُجْزَى البَهايمُ
فإنكَ شَمْسٌ ، والجِيادُ كَوَاكِبُ وإنكَ دِينارُ ، وهُنَّ الدِراهِمُ
... مِثالُ بِساحِ البِرْلَمانِ مُنْصَبُ وآخِرُ في بارِ اللِّوا لك قائِمُ
ولا تَظفَرُ الأهرامُ إلا بِثالِثِ « مِزاميرُ » داوِدَ عليه نَواعِمُ^٢
وكم تَدْعِي السُّودانُ يا مَكْسُ هازِلًا وما أَنْتَ مُسَوِّدٌ ، ولا أَنْتَ قائِمُ
وما بِكَ مِمَّا تُبْصِرُ العِينُ شُهَبًا ولكن مَشِيبٌ عَجَلْتُهُ العِظامُ
كَأَنْكَ خَيْلُ التَّرِكِ شابَتْ مُتُونُها وشابَتْ نَواصِبُها ، وشابَ القِوائمُ
فيا رَبَّ أَيامٍ شَهِدْتَ عَصِيَّةَ وقائِمُها مشهُورَةٌ والمَلاحِمُ !

- ١ هواره : قبيلة عربية يشتهر بنوها بالكرم ، ومنها بطن تستوطن صعيد مصر .
. وهذه مداعبة أخرى قلت في مكسوني حسان الدكتور محبوب أيام الثورة المصرية حين كان
الدكتور يرتاد بار اللواء وجريدة الأهرام .
٢ نحسبه يعني الأسوف عليه داود بركات رئيس الأهرام لذلك العهد .

ذخيرة*

قل لابن سينا : لا طيب	بَ اليوم إلا الذرهمُ
هو قبلَ بقراطٍ وقبَ	لَكَ للجراحةِ مَرهم
والناسُ مُدَّ كانوا عليه	دائرون وحوم
وبسخره تعلو الأسا	فلُ في العيونِ وتعظم
يا هل تُرى الألفانِ وقد	فُ لا يُمسُ ومَحرم ؟!
بنكُ السعيدِ عليهما	حتى القيامةِ قيم
لا «شيك» يظهرُ في البنو	ك ولا «حوالة» تُخصم !
وأعفُ مَنْ لا قيتَ يلق	أه فلا يتكرم !
...	...

* وهذه مداعبة أخرى - لم تكل - نظمها في أيام الثورة وهو يشير فيها إلى ألني جنيه كان الدكتور محبوب قد اكتتزا وحرص عليا في بنك حسن باشا سعيد

براغيث محجوب

براغيثُ محجوب لم أنسها ولم أنسَ ما طَعِمْتَ من دمي
 تشقُّ خراطيمُها جَوَري وتنفدُ في اللحم والأعظم !
 وكنتُ إذا الضيفُ راح احتجُمُ تَ فجاء الخريفُ فلم أحجُمُ
 تُرحبُ بالضيف فوقَ الط ريق ، فبابِ العيادة ، فالسُّلم
 قد انتشرت جوقَةٌ جوقَةٌ كما رُشَّت الأرضُ بالسُّسيم !
 وترقصُ رقصَ المَواسي الجِدادِ على الجِلدِ ، والعلَقِ الأسحم

• • •

بواكيرُ تطلعُ قبل الشتاء وترفعُ ألويةَ الموسمِ
 إذا ما «ابنُ سينا» رمى بلغماً رأيتَ البراغيثَ في البلغمِ
 وتُبعِصُها حول «بيبا» الرئيس وفي شاريهِ وحولَ الفمِ !
 وبَيْنَ حفايرِ أسنانهِ مع السُّوسِ في طلبِ المَطْعَمِ !

١ ابن سينا ، والرئيس : كتابة عن الدكتور محجوب نفسه ، ومن الأشياء الحيية إليه التدخين في «البيبا» .

الفهارس

فهرس

الجزء الثالث من الشوقيات

- ٥ سليمان باشا أباطه
من ظن بعدك أن يقول رثاء فليث من هذا الورى من شاء
- ٧ مصطفى باشا فهمي
يأيها الناعي أبا الوزراء هذا أوان جلائل الأنباء
- ١١ أبو هيف بك
اجعل رثاءك للرجال جزاء وأبعثه للوطن الحزين عزاء
- ١٤ مولانا محمد علي
بيت على أرض الهدى وسمائه الحق حائطه وأس بنائه
- ١٦ سيد درويش
كل يوم مهرجان كللوا فيه ميتا برياحين الشتاء
- ١٩ عمر المختار
ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنفض الوادي صباح مساء
- ٢٢ عبد الحليم العلالي بك
لقد لبي زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط عزاء
- ٢٤ حافظ إبراهيم
قد كنت أوتر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء
- ٢٨ محمد تيمور
ضربوا القباب على اليباب وثووا إلى يوم الحساب

- يعقوب صروف ٣١
 سهاؤك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب
- حسين شيرين بك ٣٤
 أرايت زين العابدين مجهزا نقلوه نقل الورد من محرابه
- محمد عبد المطلب ٣٧
 قام من علته الإشافي الوصب وتلقى راحة الدهر التعب
- يرثي جدته ٣٩
 خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات
- محمد عبده ٤١
 مفسر آي الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت
- رياض باشا ٤٢
 ممات في المواكب أم الحياة ونعش في المناكب أم عظات
- عثمان باشا غالب ٤٨
 ضجّت لمصرع غالب في الأرض مملكة النبات
- عبد الحمي ٥٠
 طوى البساط وجفت الأقداح وغدت عواطل بعدك الأفراح
- محمد ثابت باشا ٥٢
 سر أبا صالح إلى الله واترك مصر في مأتم وحزن شديد
- محمد فريد بك ٥٤
 كل حي على المنية غادي تتوالى الركاب والموت حادي
- البنون والحياة الدنيا ٥٧
 الضلوع نتقد والدموع تطرد

- ٦٠ ثروت باشا
يموت في الغاب أو في غيره الأسد كل البلاد وساد حين تسد
- ٦٤ عبد العزيز جاویش
أصاب المجاهد عقبي الشهيد وألقى عصاه المضاف الشريد
- ٦٧ نغزية ورناء
كأس من الدنيا تدار من ذاقها خلع العذار
- ٦٩ ذكرى هيجر
ما جل فيهم عبدك المأثور إلا وأنت أجل يا فكتور
- ٧١ عبده الحمولي
ساجع الشرق طار عن أوكاره وتولى فن على آثاره
- ٧٣ قاسم بك أمين
يأبها الدمع الوفي بدار تقضي حقوق الرقة الأخيار
- ٧٦ تولستوي
تولستوي تجري آية العلم دمعها عليك ويكي بائس وفقير
- ٧٩ عمر بك لطفي
قفوا بالقبور نساءل عمر متى كانت الأرض مثوى القمر
- ٨١ عمر بك لطفي
اليوم أصعد دون قبرك منبرا وأقلد الدنيا رثاءك جوهر
- ٨٤ الأميرة
حلفت بالمستره والروضة المعطره
- ٨٧ ذكرى مصطفى كامل
لم يمت من له أثر وحياة من السير

- ٩٠ المنفلوطي
اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك في عصف الرياح الناعى
- ٩٣ عاطف بركات باشا
خففت لعزة الموت اليراعا وجد جلال منطقته فراعا
- ٩٧ المويلحي
كاتب محسن البيان صناعه استخف العقول حيناً يراعاه
- ٩٩ إسماعيل باشا صبري
أجل وإن طال الزمان موافى أخلى يدك من الخليل الوافى
- ١٠٤ فوزي الغزي
جرح على جرح حنانك جلق حملت ما يوهي الجبال ويزهق
- ١٠٧ كريمة البارودي
أحيث تلوح المنى تأفل كفى عظة أيها المنزل
- ١٠٩ فتحي ونوري
أنظر إلى الأمار كيف تزول وإلى وجوه السعد كيف تحول
- ١١٣ علي باشا أبو الفتوح
ما بين دمعي المسبل عهد وبين ثرى علي
- ١١٧ جرجي زيدان
ممالك الشرق أم أدراس أطلال وتلك دولاته أم رسمها البالي
- ١٢٠ شهباء العلم والغربة
ألا في سبيل الله ذاك الدم الغالي وللمجد ما أبقي من المثل العالي
- ١٢٣ سعيد زغلول بك
آل زغلول حسبكم من عزاء سنة الموت في النبي وآله

- أمين بك الراضي ١٢٥
 مال أحبابه خطيلا خطيلا وتوَلَّى اللدات إلا قليلا
- الشيخ سلامة حجازي ١٢٨
 يا ثرى النيل في نواحيك الطير كان دنيا وكان فرحة جيل
- أدهم باشا ١٣٠
 مصاب بني الدنيا عظيم بأدهم وأعظم منه حيرة الشعر في في
- عثمان باشا الغازي ١٣٢
 هالة للهلal فيها اعتصام كيف حامت حياها الأيام
- بطرس باشا غالي ١٣٤
 قبر الوزير تحية وسلاما الحلم والمعروف فيك أقاما
- بيكي والنته ١٣٦
 إلى الله أشكو من عوادي النوى سها أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى
- الملك حسين ١٤٠
 لك في الأرض والسماء مآتم قام فيها أبو الملائك هاشم
- يرثي أباه ١٤٤
 سألوني لمَ لَمْ أرث أبي وراثاء الأب دين أي دين
- مصطفى كامل باشا ١٤٦
 المشرقان عليك يتحجان قاصبها في مآتم والداني
- حسن بك أنور ١٥٠
 تسألني كرمتي بالنهار وبالليل : أين سميري حسن ؟
- أم المحسنين ١٥٢
 أخذت نعشك مصر باليمين وحوته من يد الروح الأمين

- الدكتور أحمد فؤاد ١٥٥
أوحت لطرفك فاستهل شئوننا دار مررت بها على قيسونا
- نجل إمام اليمن ١٥٨
مضى الدهر بابن إمام اليمن وأودى بزين شباب الزمن
- عبد الله بك الطوير ١٦١
يا قلب وبحك والمودة ذمة ماذا صنعت بعهد عبد الله
- سعد باشا زغلول ١٦٢
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاهها
- الشاعر الموسيقي فردي ١٦٨
فتى العقل والنعمة العالية مضى ومحاسنه باقية
- إسماعيل أباطه باشا ١٦٩
سقى الله بالكفر الأباطي مضجعا تصوع كافوراً من الخلد ساريا
- علي بهجت بك ١٧٢
أحق أنهم دفنوا عليا وحطوا في الثرى المرء الزكيا

فهرس الجزء الرابع من الشوقيات

- ١٧٧ الجامعة المصرية
تاج البلاد ، تحية وسلام ردّتك مصر، وصحت الأحلام
- ١٨٠ بنك مصر
نراوح بالحوادث ، أونغادي وننكرها ، ونعطيا القيادا
- ١٨٣ دار بنك مصر
نبذ الهوى ، وصحا من الأحلام شرق تنبه بعد طول منام
- ١٨٦ دار العلوم
اتخذت السماء يا دار ركنا وأويت البكواكب الزهر سكتا
- ١٨٨ اسكندرية آن أن تتجددي
أمس انقضى ، واليوم مرقاة الغد إسكندرية ، آن أن تتجددي
- ١٩٠ فنية الوادي عرفنا صوتكم
لا يقيمن على الضيم الأسد نزع الشبل من الغاب الوند
- ١٩٢ عيد الجهاد
خطونا في الجهاد خطأ فساحا وهادناً ، ولم تلق السلاحا
- ١٩٤ معالي العهد
معالي العهد قت بها فطيا وكان إليك مرجعها قديما
- ١٩٩ رسالة الناشئة
أحمدك الله وأطري الأنبياء مصدر الحكمة طراً والضياء
- ٢٠٣ حج الأمير
دامت معاليك فينا يا ابن فاطمة ودام منكم لأفق البيت نبراس

- إسماعيل ٢٠٣
أبكك إسماعيل مصر، وفي البكا بعد التذكّر راحة المستعبر
- حريق ميت غمر ٢٠٤
الله يحكم في المدائن والقرى يا ميت غمر خذي القضاء كما جرى
- خطبة غليوم ٢٠٦
يا رب ، ما حكك ؟ ماذا ترى في ذلك الحلم العريض الطويل ؟
- نادي الموسيقى الشرقي ٢٠٧
خطت يدك الروضة الغناء وفرغت من صرح الفنون بناء
- في دار الأوبرا ٢٠٩
حبلا الساحة والظلّ الظليلّ وثناء في فم الدار جميل
- مصرع بطرس غالي باشا ٢١١
بني القبط إخوان الدهور، رويدكم هبوه يسوعاً في البرية ثانيا
- نحية غليوم الثاني لصلاح الدين في القبر ٢١١
عظيم الناس من يكي العظاما وينديهم ولو كانوا عظاما
- الفتار ٢١٢
سما يناغي الشّهاب هل مسّها قاتلها ؟
- القمر على آفاق كلاًزومين ليلة المولد النبوي الأسنى ٢١٥
فديناه من زائر مرتقب بدا للوجود بمرأى عجب
- أثينا ٢١٦
إن تسالي عن مصر حواء القرى وقرارة التاريخ والآثار
- ذكرى محمد فريد ٢١٧
نجدّد ذكرى عهدكم ونعيد ونلّفي خيال الأمل وهو بعيد

- ٢١٨ النخيل ما بين المتزه وأبي قير
أرى شجراً في السماء احتجب وشقّ العنان برأى عجب
- ٢١٩ البحر الأبيض
أمن البحر صائع عبقرى بالزّمال النواغم البيض مغرى؟
- ٢٢١ قف حيّ شبان الحمى
قف حيّ شبان الحمى قبل الرحيل بقافيه
- ٢٢٢ ثنى عطفيها الهرمان نياً
بأرض الجيزة اجتاز الغمام وحلّ سماءها البدر التمام
- ٢٢٤ الأميرة فحجة
فتحجة دنيا تدوم ، وصحة تبقى ، وهجة أمة ، وحياة
- ٢٢٤ تهنئة
يد الملك العلوي الكريم على العلم هزّت أخاه الأدب
- ٢٢٥ يا قاهر الغرب العتيد
شرقاً نصير ، ارفع جبينك عالياً وتلقّ من أوطانك الإكليلا
- ٢٢٦ ابن زيدون
يا ابن زيدون ، مرجا قد أطلت التغيّبا
- ٢٢٨ البلبل الفرد الذي هزّ الربى
وعصابة بالخير ألف شملهم والخير أفضل عصبة ورفاقا
- ٢٢٩ خليل مطران
لبنان مجدك في المشارق أول والأرض راية وأنت سنام
- ٢٣٠ غاندي
بني مصر ، ارفعوا الغار وحيّوا بطل الهند

- ٢٣٢ نحية أبولو
أبولو ، مرحباً بك يا أبولو فإنك من عكاظ الشعر ظل
- ٢٣٣ أغنية
في مثل ما بك يا قرية الوادي ناديت ليلى ، فقومي في الدجى نادي
- ٢٣٣ يا شراعاً وراء دجلة
يا شراعاً وراء دجلة يجري في دموعي تجنبك العوادي
- ٢٣٤ الرجل السعيد
عفيف الجهر والهمس قضى الواجب بالأمس
- ٢٣٥ الأثر
وجدت الحياة طريق الزمر إلى بعثة وشتون آخر
- ٢٣٥ الستار
قدّمت بين يدي نفساً أذنبت وأتيت بين الخوف والإقرار

الخصوصيات

- ٢٣٩ أبو علي
صار شوقي أبا علي في الزمان « التللي »
- ٢٣٩ الزمن الأخير
عليّ ، لو استشرت أباك قبلاً فإن الخير حفظ المستشير
- ٢٣٩ صاحب العهد
رزقت صاحب عهده وتم لي النسل بعدي
- ٢٤٠ يا ليلة
يا ليلة سميتها ليلتي لأنها بالناس ما مرّت
- ٢٤٠ أمينة
أميتي في عامها الأول مثل الملك
- ٢٤١ طفلة لاهية
أمينة ، يا بتي الغالية أهنك بالسنة الثانية
- ٢٤٢ الأنانية
يا جذا أمينة وكلها تحبه جداً كما يحبا
- ٢٤٣ لعبة
صغار بطلوان تستبشر ورؤيتها الفرح الأكبر
- ٢٤٥ زين المهود
يا شبه رسيده البتر ل ، وصورة الملك الطهور
- ٢٤٥ أول خطوة
هذه أول خطوه هذه أول كبوه

- يوم فراقه ٢٤٦
بكيا لأجل خروجه في ذروة يا ليت شعري : كيف يوم فراقه ؟
- مظلوم ٢٤٦
أقسمت لو أمر الزمان سماءه فسعت لصدرك شمسها ونجومها
- سرنا أنك ارتقيت ٢٤٧
يا عزيزاً لنا بمصر علمنا أنه بالرضا الحديوي فائز
- بلغتني أملاً ٢٤٧
ذي همة دونها في شأوها المهم لم تتخذ «لا» ، ولم تكذب لها «نعم»
- أصيب المجد يوم أصبت ٢٤٨
أتني الصحف عنك مخبرات بحادثة ولا كالحادثات
- سألتك بالوداد ٢٤٨
سألتك بالوداد أبا حسين وبالذم السوالف والعهود
- أهنا أخي ٢٤٩
قالوا « تمايز » حمزة قلت : « التمايز » من قديم
- يأنصيب ٢٤٩
لقد وافني البشري وأنبتت بما سراً
- المدامة ٢٥٠
كن في التواضع كالمدامه حين تنجلي في الكؤوس
- تاريخ ٢٥٠
وجنات من الأشعار فيها جنى للمجنني من كل ذوق
- أبقى ديوان ظهر ٢٥١
بمجموعة لأحمد معجزه فيها بحر

- ٢٥١ أنت وأنا
يحكون أن رجلاً كردياً كان عظيم الجسم همشياً
- ٢٥٢ نديم الباذنجان
كان لسلطان نديم واف يعيد ما قال بلا اختلاف
- ٢٥٢ ضيافة قطّة
لست بتناس ليلة من رمضان مرّت
- ٢٥٤ الصياد والمصفورة
حكاية الصياد والمصفورة صارت لبعض الزاهدين صوره
- ٢٥٥ البلبلى التي ربّاهما اليوم
أنبت أن سليمان الزمان ومن أصبى الطيور، فناجته، وناجها
- ٢٥٦ الديك الهندي والدجاج البلدي
بيننا ضعاف من دجاج الزيف تخطر في بيت لها طريف
- ٢٥٦ المصفور والغدير المهجور
ألمّ عصفور بمجرى صاف قد غاب تحت الغاب في الالفاف
- ٢٥٧ الأنفى الثليّة والعقربة الهندية
وهذه واقعة مستغربه في هوس الأنفى وخبت العقربه
- ٢٥٨ السلوقي والجواد
قال السلوقي مرّة للجواد وهو إلى الصيد مسوق القياد
- ٢٥٩ فأر الغيط وفأر البيت
يقال : كانت فأرة الغيطان تبه بابنيها على الفيران ا
- ٢٦٠ ملك الغربان وندور الخادم
كان للغربان في العصر ملك وله في النخلة الكبرى أريك

- الظبي والعقد والختير ٢٦١
ظبي رأى صورته في الماء فرفع الرأس إلى السماء
- ولي عهد الأسد وخطبة الحمار ٢٦٢
لَمَّا دعا داعي أبي الأشبال مبشراً بأول الأنجال
- الأسد والثعلب والعجل ٢٦٢
نظر الليث إلى عجل سمين كان بالقرب على غيط أمين
- القرد والفيل ٢٦٤
قرد رأى الفيل على الطريق مهولاً خوفاً من التعويق
- الشاة والغراب ٢٦٥
مرَّ الغراب بشاة قد غاب عنها الفطيم
- أمة الأراب والفيل ٢٦٥
يحكون أن أمة الأراب قد أخذت من الثرى بجانب
- حكاية الحفّاش ومليكة الفراش ٢٦٧
مرّت على الحفّاش مليكة الفراش
- الأسد ووزيره الحمار ٢٦٨
الليث ملك القفار وما تضمّ الصحاري
- الثملة والمقطم ٢٦٩
كانت الثملة تمشي مرّة تحت المقطم
- الغزال والكلب ٢٧٠
كان فيها مضى من الدهر بيت من بيوت الكرام فيه غزال
- الثعلب والديك ٢٧١
برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا

- النعجة وأولادها ٢٧١
 اسمع نفائس ما يأتيك من حكيم وافهمه فهم ليب ناقد واعي
 الكلب والقطّ والفأر ٢٧٢
 فأر رأى القطّ على الجدار معذباً في أضيق الحصاز
 سليمان والمدهد ٢٧٣
 وقف المدهد في با ب سليمان بذله
 سليمان والطاووس ٢٧٣
 سمعت بأن طاووساً أتى يوماً سليمانا
 الغصن والحنفساء ٢٧٤
 كان بروض غصن ناعم يقول : جلّ الواحد المنفرد
 القبرة وابنها ٢٧٥
 رأيت في بعض الرياض قبرة تطير ابناً بأعلى الشجرة
 النعجتان ٢٧٥
 كان لبعض الناس نعجتان وكانتا في الغيط ترعيان
 السفينة والحيوانات ٢٧٦
 لما أتمّ نوح السفينة وحركها القدرة المعينه
 القرد في السفينة ٢٧٧
 لم يتفق ممّا جرى في المركب ككذب القرد على نوح النبي
 نوح عليه السلام والثملة في السفينة ٢٧٧
 قد ودّ نوح أن يياسط قومه فدعا إليه معاشر الحيوان
 الدب في السفينة ٢٧٨
 الدب معروف بسوء الظن فاسمع حديثه العجيب عني

- ٢٧٩ الثعلب في السفينة
أبو الحصين جال في السفينة فعرف السمين والسمينه
- ٢٧٩ الليث والنثب في السفينة
يقال إنّ الليث في ذي الشدة رأى من الذئب صفا الموده
- ٢٨٠ الثعلب والأرنب في السفينة
أتى نبي الله يوما ثعلب فقال : يا مولاي ، إني مذب
- ٢٨١ الأرنب وبنت عرس في السفينة
قد حملت إحدى نسا الأرناب وحلّ يوم وضعها في المركب
- ٢٨١ الحمار في السفينة
سقط الحمار من السفينة في الدجى فبكى الرفاق لفقده ، وترحموا
- ٢٨٢ سليمان عليه السلام والحمامة
كان ابن داود يقرب في مجالسه حمامه
- ٢٨٣ الأسد والضفدع
إنفع بما أعطيت من قلرة واشفع لذي الذئب لدى المجمع
- ٢٨٣ الثملة الزاهدة
سعي الفتى في عيشه عباده وقائد يهديه للسعادة
- ٢٨٤ البمامة والصياد
بمامة كانت بأعلى الشجرة آمنة في عشها مستره
- ٢٨٥ الكلب والحمامة
حكاية الكلب مع الحمامة تشهد للجنسين بالكرامه
- ٢٨٥ الكلب والبيغاء
كان لبعض الناس بيغاء ما ملّ يوماً نطقها الإصغاء

- ٢٨٦ الحمار والجمل
كان لبعضهم حمار وجمل
نالها يوماً من الرق ملل
- ٢٨٧ دودة القز والدودة الوضاعة
لدودة القز عندي ودودة الأضواء
- ٢٨٨ الجمل والثعلب
كان على بعض الدروب جمل حمّله المالك ما لا يحمل
- ٢٨٩ الغزالة والأتان
غزالة مرّت على أتان تقبل القطيع في الأسنان
- ٢٨٩ الثعلب الذي انخدع
قد سمع الثعلب أهل القرى يدعون محتالا بيا ثعلب !
- ٢٩٠ ثعالة والحمار
أتى ثعالة يوماً من القواحي حمار
- ٢٩٠ البغل والجواد
بغل أتى الجواد ذات مرّه وقلبه ممتليّ مسرّه
- ٢٩١ الفأرة والقطة
سمعت أن فأرة أتاها شقيقها ينمى لها فتاها
- ٢٩١ الغزال والحروف والذئب
تنازع الغزال والحروف وقال كل : إنه الظريف
- ٢٩٢ الثعلب والأرنب والديك
من أعجب الأخبار أن الأرنب لمّا رأى الديك يسبّ الثعلبا
- ٢٩٣ الثعلب وأم الذئب
كان ذئب يتغلّى فجرت في الزور عظمه

ديوان الأطفال

- ٢٩٧ الهرة والنظافة
هرقي جدّ أليفه وهي لليت حليفه
- ٢٩٨ الجدّة
لي جدّة ترأف بي أحنى عليّ من أبي
- ٢٩٨ الوطن
عصفورتان في الحجا ز حلتنا على قن
- ٢٩٩ الرفق بالحيوان
الحيوان خلق له عليك حقّ
- ٣٠٠ الأم
لولا التقى لقلت : لم يخلق سواك الولدا !
- ٣٠٠ ولد الغراب
ومعهد في الوكر من ولد الغراب مزقّق
- ٣٠١ النّيل
النيل العذب هو الكوثر والجنة شاطئه الأخضر
- ٣٠٢ المدرسة
أنا المدرسة اجعلني كام ، لا تمل عني
- ٣٠٣ نشيد مصر
بني مصر مكانكو تيّاً فهيّا مهّدوا للملك هيّا
- ٣٠٤ نشيد الكشافة
نحن الكشافة في الوادي جبريل الروح لنا حادي

من شعر الصبا

- • • ٣٠٩
قصر الأعزة ، ما أعزّ حماكا ! وأجلّ في العلياء بدر سماكا !
- ٣١٠ قصر المتره
متره العباس للمجتلى آمنت بالله وجناته !
- • • ٣١٢
ما بات يثني على عليك إنسان إلا وأنت لعين الدهر إنسان
- • • ٣١٣
أعطى البرّة إذ أعطاك بارها فهل يهنيك شعري أم يهنيها ؟
- ٣١٤ بيني وبين أبي العلاء
بينني وبين أبي العلاء قضية في البرّ أسترعي لها الحكماء
- ٣١٤ دواء المتيم
داو المتيم ، داوه من قبل أن يجد الدواء
- ٣١٥ وكتب على صورة مهداة لصديق
سعت لك صورتي ، وأتاك شخصي وسار الظل نحوك والجهات

محجوبيّات

- بين مكسوني والأونوموبيل ٣١٩
لكم في الخط سيّاره حديث الجار والجاره
مكسوني ٣٢١
تفديك يا مكس الجياد الصّلام وتفدي الأساة النطس من أنت خادم
ذخيرة ٣٢٢
قل لابن سينا : لا طيب ب اليوم إلّا الدرهم
براغيث محجوب ٣٢٣
براغيث - محجوب لم أنسها ولم أنس ما طعمت من دمي